

وأولئك هم أولو الابواب
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
فبشر عبادي الذين يستمعون القول

المعراج

١٣١٥

يوتي الحكمة من يقاه ومن يوت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
الا أولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « وبناراً » كمنار الطريق —

٣٠ جمادى الاولى ١٣٤٠ - ٨ الجدى (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢

فاتحة المجلد الثالث والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم على ما أسبغت علينا من نعمك الظاهرة في السراء، والباطنة
في الضراء، وأربتنا من آياتك في الآفاق بتنازع الباغين الطاغين وفشلهم، وفي
أنفسنا بالتأليف بين المستضعفين المؤذنين بظفرهم، وأتممت النعمة بما أكلت
لنا قبل من الدين، واستخلفتنا في الارض فجعلتنا أئمة وارثين، اذ جعلت لإوتها
لاهل العدل من عبادك الصالحين، ونصلي ونسلم على من بعثه خاتماً للنبيين،
محمد نبي الرحمة، الامي المعلم للكتاب والحكمة، وآله وعترته، وكل من فاز
بصحبه، الذين آمنوا وجاهدوا وما جروا في سبيل الله والذين آمنوا
ونصروا، والذين آمنوا من بعدوا جروا وجاهدوا وصبروا والذين جاءوا من

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)

أما بعد فإن المنار يبشر قراءه في فاتحة المجلد الثالث والعشرين ،
 وخاتمة رابع قرن من جهاد منشئه في خدمة الشرق باصلاح حال المسلمين ،
 وبعد انقضاء جيل من صيحة أمناذيه الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين ،
 بأن ايل الذل والعبودية قد عمس ، وصبح العزة والحرية قد تنفس ، فقد
 ذهب طور الترف والفسوق المهلك للامم ، والمفسد للحكومات والدول ،
 وصرنا الى طور الشدائد المحصنة للقلوب ، المذكية لمصايح العقول ، الموقدة
 ل نار الهيم ، المظهرة لاستعداد الامم ، بازالة الاحقاد ، وجمع الكلمة على الجهاد ،
 (١٠:٢٩) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)
 وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
 الْكَاذِبِينَ (٢١٤:٢) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ
 خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، سَتَّبِعْتُمُ الْبُيُوتَ وَالضَّرَافِعَ ، وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ
 الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)
 جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الي الوحدة ، وجمع
 كلمة الامة ، بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن ، وماهدى اليه من سننه
 المطردة في أطوار الانسان ، عالمين أن هداية القلم واللسان ، لا يغيران
 مارسخ في القلوب والاذهان ، الا بقدر تربية كوارث أحداث الزمان ، وإنما
 تتغير أحوال الامم بتغير الاعمال ، التي تنبعث عما ثبت في الانفس من الافكار
 وملكات الاخلاق ، (١٢:١٣) إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَآ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)
 (٨:٥٤) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

﴿أَبَا أَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

- ألا وانه قد ابي الاوان ، للعمل بما أرشد اليه الامامان ، حتى كأنهما كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من أهل مصر والسودان ، وسائر العرب والهند والترك والفرس والافغان ، فهاؤم اقروا بمض قواعدهما التي نشرهما في الشرق ، في مثل هذا الشهر من السنة الاولى بمد ثلاثمائة والف :
- ﴿ خفيت مذاهب الطامعين أزماناً ثم ظهرت ، بدأت على طرق ربما ﴾
- ﴿ لا تنكرها لانفس ثم التبرت ، أو غل الاقوياء من الامم في سيرهم بالضعفاء ﴾
- ﴿ حتى تجاوزوا بيماء الفكر ، وسجروا ألبابهم حتى أذهلهم عن أنفسهم ﴾
- ﴿ وخرجوا بهم عن محيط النظر ، وبلغوا بهم من الضيم حدًا لا تحتمله ﴾
- ﴿ النفوس البشريّة ﴾
- ﴿ ذهب أقوام الى ما يسوله الوهم ، ويفري به شيطان الخيال ، فظنوا ﴾
- ﴿ أن القوة الآلية وان قل عمالها ، يدوم لها السلطان على الكثرة المدببة ﴾
- ﴿ وان اتفقت احادها ، بل زعموا أنه يمكن استهلاك اللحم الفقير ، في النزر ﴾
- ﴿ اليسير ، وهو زعم ياباه القياس ، بل يبطله البرهان ، فان تقلبت الحوادث ﴾
- ﴿ في الازمان البعيدة والقرية ناطقة بأنه ان ساغ أن تشير قليلة العدد ﴾
- ﴿ فنيت في سواد أمة عظيمة ونسبت تلك المشيرة اسمها ونسبتها فلم يجز ﴾
- ﴿ في زمن من الازمان انحاء أمة أو ملة كبيرة بقوة أمة تماثلها في العدد أو ﴾
- ﴿ تكون منها على نسبة متقاربة وان بلغت القوة أقصى ما يمثله الخيال ﴾
- ﴿ والذي يحكم به العقل الصريح ، ويشهد به سير الاجتماع الانساني ﴾
- ﴿ من يوم علم تاريخه الى اليوم ، أن الامم الكبيرة اذا عراها هزم لا قراق ﴾
- ﴿ في الكلمة ، أو غنلة عن عافية لا تحمد ، أو ركون الى راحة لا تدوم ، ﴾
- ﴿ أو افتتان بنعيم يزول ، ثم صالت عليها قوة أجنبية أزغتها ونهتها بعض ﴾

﴿ التنبيه ، فاذا توالى عليها وخزات الحوادث وأقلقتها آلامها فزعت الى ﴾
 ﴿ استبقاء الموجود ، ورد المفقود ، ولم تجد بدا من طلب النجاة من أي ﴾
 ﴿ سبيل ، وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية ، وهي ما تكون بالثام افرادها ، ﴾
 ﴿ والتعام آحادها ، وان الاطعام الالهي والاحساس الفطري والتعليم ﴾
 ﴿ الشرعي — ترشدها الى أن لا حاجة لها الى ما وراء هذا الاتحاد ﴾
 ﴿ وهو أيسر شيء عليها

﴿ ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والمادة ما بلغت ﴾
 ﴿ اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتل الضيم الا الى حد يدخل ﴾
 ﴿ تحت الطاقة ويسعه الامكان ، فاذا تجاوز الاستطاعة كرت النفوس الى ﴾
 ﴿ قواها ، واستأسد ذنبها ، وتثمر ثعالبها ، والتست خلاصها ، ولن تعدم ﴾
 ﴿ عند الطلب رشادا

﴿ ربما تخطى ، صرة فتكون عليها الدائرة ، لكن ما يصيبها من زلة ﴾
 ﴿ الخطأ ، يلمها تدارك ما فرط ، والاحتراس من الوقوع في مثله ، فتصيب ﴾
 ﴿ اخرى فيكون لها الظفر والقامة ، وان الحركة التي تنبث لدفع مالا ﴾
 ﴿ يطاق اذا قام بتدبيرها القيم عليها ومدبر لسيرها ، لا يكفي في توقف ﴾
 ﴿ سريانها أو محو آثارها قهر ذلك القيم ، واهلاك ذلك المدبر ، فان العلة ﴾
 ﴿ ما دامت موجودة لا تزال آثارها تصدر عنها ، فان ذهب قيم خلفه ﴾
 ﴿ آخر أوسع منه خبرة وأتقذ بصيرة . نعم ، كن تخفيف الأثر أو ازالته بإزالة ﴾
 ﴿ علته ورفع أسبابه

﴿ جرت عادة الامم أن تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق ﴾
 ﴿ والمعادات والمشارب وان لم يكافها بزائد عما كانت تدين به لمن هو على ﴾
 ﴿ شاكلتها ، فكيف بها اذا حملها ما لا طاقة لها به ؟ لا ريب أنها تستنكره ، ﴾

- ﴿ وان كانت تستكبره، وكالما أنكرته بعدت عن الميل اليه، وكالما تباعدت عنه ﴾
 ﴿ لجهة كونه غريبا تقرب بعضهما من بعض، فمئذ ذلك تستصغره فتلفظه ﴾
 ﴿ كما تلفظ النواة، وما كان ذلك بغرب ﴾
 ﴿ ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف ﴾
 ﴿ في الجنسية والمشرق، فترى الاتحاد يدفع ما يعمتها من الخطر، ألزم من ﴾
 ﴿ التعزب للجنس والمذهب، وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة ﴾
 ﴿ البشرية الى الاتفاق أشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة ﴾
 ﴿ أبعد هذا يأخذنا العجب اذا أحسنا بحركة فكرية في أغلب أنحاء ﴾
 ﴿ المشرق في هذه الايام— كل يطلب خلاصا ويتنفي بنجاة وينتحل لذلك ﴾
 ﴿ من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره على درجته من الجودة ﴾
 ﴿ والأفن، وان العقلاء في كثير من أصقاعه يتفكرون في جعل القوي ﴾
 ﴿ المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل ؟ ﴾
 ﴿ بلى كان هذا أمرا ينتظره المستبصر، وان عمي عنه الطامع، وليس ﴾
 ﴿ في الإمكان اقناع الطامعين بالبرهان، ولكن ما يأتي به الزمان من ﴾
 ﴿ ماواته في أبنائه، بل ما يجري به القضاء الالهي من سنة الله في خلقه، ﴾
 ﴿ سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون ﴾
 ﴿ باغ الاجحاف بالشرقيين غايته، ووصل المدوان فيهم نهايته، ﴾
 ﴿ وأدرك المتغلب منهم نكايته، خصوصا في المسلمين منهم، فبهم ملوك انزلوا ﴾
 ﴿ عن عروشهم جورا، وذوو حقوق في الامرة حرموا حقوقهم ظلما، ﴾
 ﴿ وأعزاء بانوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسوا فقراء، ﴾
 ﴿ وأصحاء اصحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما، ولم تبق طبقة من الطبقات ﴾
 ﴿ الا وقد مسها الضر من إفراط الطامعين في لطماتهم فخصو صكش جزاء ﴾

﴿ هذه الحوادث التي بذرت بذورها في الاراضي المصرية من نحو خمس ﴾
 ﴿ سنوات بايدي ذوي المطامع فيها: حموا الى البلاد ما لا تعرفه فدهشت ﴾
 ﴿ عقولها، وشدوا عليها بما لا تألنه فخارت ألبابها ، وألزموها ما ليس في ﴾
 ﴿ قدرتها فاستمصت عليه قواها، وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم ﴾
 ﴿ العدالة ايهيئوا بكل ذلك وسيلة لنبل المطمع، فكانت الحركة المرابية ﴾
 ﴿ المشواء فاتخذوها ذريعة لما كانوا له سلابين، فاندفع بهم سيل المصاعب ﴾
 ﴿ بل طوفان المصائب على تلك البلاد ، وظنوا بلوغ الارب ولكن ﴾
 ﴿ أخطأ الظن وهموا بما لم ينالوا — الى ان قال —

﴿ ولوانهم تركوا الامر من ذلك الوقت لاربابه، فوضوا تدارك ﴾
 ﴿ كل حادث للخبراء به ، والقادرين عليه العارفين بطريق مدافنته ، ﴾
 ﴿ وافتاء فائدته ، لحفظوا بذاك مصالحهم ، ونالوا ما كانوا يشتهون من ﴾
 ﴿ المنافع الوافرة ، بدون أن تزل لهم قدم، أو ينكس لهم علم ﴾
 ﴿ غير أنهم ركبوا الشطط وغرهم ما وجدوا من تفرق الكلمة ﴾
 ﴿ وتشتت الالهواء وهو أتمذعوا ملهم وأقلها ، وما علموا أنه وان كان ﴾
 ﴿ ذريع الفتك الا أنه سريع العطب، وما أسرع أن يتحول عند اشتداد ﴾
 ﴿ الخطوب الى عامل وحدة يسد لقلوب المعتدين، فان بلاء الجور اذا ﴾
 ﴿ حل بشر من الامة وعوفي منه باقيا كانت سلامة لبعض تعزية للمصابين ﴾
 ﴿ وحجاب غفلة لاسالمين، يحول بينهم وبين الاحساس بما اصاب اخوانهم ﴾
 ﴿ أما اذا عم الضرر، فلا محالة يحيط بهم الضجر ، ويمز عليهم الصبر ، ﴾
 ﴿ فيندفعون الى ما فيه خيرهم، ولاخير فيه لغيرهم

﴿ ان الفجيمة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة، وجددت أحزانا ﴾

﴿ لم تكن في الحسبان، وسرى الالم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في ﴾

- ﴿ مداركهم، وهم من تذكّار الماضي ومراقبة الحاضر بتنفسون الصمداء ﴾
 ﴿ ولا تأمن أن يصير التنفس زفيراً، بل . . . بل يكون صائخة تمزق ﴾
 ﴿ مسامع من أصممه الطمع . ﴾
 ﴿ ان اولى المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس ﴾
 ﴿ لا كتائب له في فتوحاته الا المداواة، ولا في القيسوقها الا الاستهلاك سوى ﴾
 ﴿ المحاباة، ولا اسنة يحفظ بها ما تمتد اليه يده الا المراضاة، يظهر بصور ﴾
 ﴿ مختلفة الالوان، متقاربة الاشكال، كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ﴾
 ﴿ ممالكهم، ومثبت مراكز الامراء، ومسكن الفتن، ومخلص الحكومات ﴾
 ﴿ من غوائل المصيان، وواقى مصالح المغلوبين، فكان اول ما يجب عليه ﴾
 ﴿ ملاحظته في سيره هذا أن لا يأتي من أعماله بما يهتك هذا السر الرقيق ﴾
 ﴿ اندي يكفي لتمزيقه رجع البصر، وكر النظر، وأن يتحاشى العنف مع أمة ﴾
 ﴿ يشهد تاريخها بأنها اذا خنقت خنقت، وليس له أن يفتربدمم مكنتهم وهو ﴾
 ﴿ يعلم أن الكلمة اذا انحدرت لانمرزها الوسائط، ولا يمدم المتحدون قويا ﴾
 ﴿ شديد البأس يساهدم بما يلزمهم لترويج سياسته، وان المنيظ لا يبالي ﴾
 ﴿ في الايقاع بمنائيه أسلم او عطب، فهو يضر ليضر، وان مسه الضر . . . ﴾
 ﴿ ان الرزايا الاخيرة التي حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط، ﴾
 ﴿ وقاربت بين الاقطار المتباعدة بمحدودها المتصلة بجامعة الاعتماد بين ﴾
 ﴿ ساكنيها، فأيقظت افكار العقلاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة ﴾
 ﴿ امرهم، مع ملاحظة الملل التي أدت بهم الى ملهم فيه، فتقاربوا في ﴾
 ﴿ النظر، وتواصلوا في طلب الحق، وعمدوا الى معالجة طلل الضعف، ﴾
 ﴿ راجين أن يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة، ومؤملين أن تمهد لهم ﴾
 ﴿ الحوادث سبيلا حسنا يسلكونه لوقاية الدين والشرف، ولذو في الحاضر ﴾

﴿ منها أنبهة تغنم، واليها بسطوا أكرههم، ولا يخالونها نفوتهم، ولئن فاتت ﴾
 ﴿ فكيف في الغيب من مثلها والى الله عاقبة الامور . ﴾
 ﴿ تألفت، عصبات خير من أوثك العقلاء لهذا المقصد الجليل في عدة أقطار ﴾
 ﴿ خصوصاً البلاد الهندية والمصرية، وطفقة وايتحسسون أسباب النجاح من ﴾
 ﴿ كل وجه، ويوحدون كلمة الحق في كل صقع، لا ينون في السعي ولا يتصرفون ﴾
 ﴿ في الجهد، ولو أفضي بهم ذلك الى أقصى ما يشفق منه حي على حياته الخ ﴾
 هذا بعض ما نشره يومئذ ذانكم الامامان الحكيمان . ولو كان الشرق
 مستعداً له في زمنهما كما استعداده في هذا الزمان، لما رسخ قدم الاحتلال في مصر
 والسودان، ولما كان الشرق على غير ما هو عليه الآن. وحسبهما أنهما هما
 السابقان، والموقظان المرشدان، وان زعيم مصر اليوم ليفتخر بأنهما هما
 المريان لعقله واراته، ويشهد بأنهما هما النافخان لروح الوطنية في قومه
 وأمته، كما يفتخر المنار بأنه المحيي لذكرهما، والناشر لدعوتهما، والمقفي
 على آثارهما، ونسأله تعالى ان يتم لهذه الامة، ما ظهرت أوائل فضله به
 من جمع الكلمة، ويكمل خلفها، ما صدق به وعد سلفها، بان يستخلفهم
 في الارض كما استخلف الذين من قبلهم بجمعهم من الصالحين، (و يُرِيدُ
 ان نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ)
 منشيء المنار ومحرره محمد رشيد رضا

(الدعوة الى انتقاد المنار والنصيحة له)

نذكر قراء المنار في جميع الاقطار بما جرينا على مطالبتهم به في رأس كل
 عام — أن يذكرونا بما عسى أن يروه من الخطأ فيه سواء كان ذلك في المسائل
 الدينية والعلمية أو في مصلحة الامة، ونقدم بنشر ما يفضلون بكتابته اليينا
 ملتزمين فيه لشروطنا، فاننا لا نكتب الا ما نرى انه الحق وان فيه المصلحة،
 وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المصوم صلى الله عليه وسلم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يبر بما شاء من الألقاب إن شاء. وانا نذكر الأسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

﴿ سؤال عن الاسترقاق المهود في هذا الزمان ﴾

(س ١) من احد القراء في سنغافورة نشرناه بنصه وغلطه :

ما قول علماء الاسلام أدام الله بهم النفع للخاص والعام فيما يتعامله اهالي بعض الجهات وذلك أن احدهم يأخذ من احد الشينة وهم مشركون بنته الصغيرة بشمن فيربها ثم يتسراها أو يبيها الى آخر مثلا ويستولدها فهل يجوز ذلك والحال أن حكومة تلك الجهة كافرة تمنع ذلك وتماقب عليه بفرض ثبوته لديها لمنها ييم الرقيق والفاعل لذلك انما يفعله بخفية وبصورة استخدام ومتى خرجت تلك البنت من عنده وامتنعت منه لا يقدر هو ولا غيره على ردها بحال — أو لا يجوز ذلك أو يكون مجرد شراها من والدها أو والدتها استيلاء تملك به فيجوز تسريها وبيها؟ وان كان الحال ما ذكر. واذا قلمت بالملك فهل يختص بها المشتري أو يسلك بها مسلك النقي؟ أفيدوا فان المسألة واقعة ولا يخفى مما يترتب عليها من هتك الابضاع وضياع الانساب وقد استشكل ذلك بعض طلبية العلم وفهم بديهية أن مجرد الشراء والحال ما ذكر لا يملك به لان المملك هو الاستيلاء لا الشراء كما نص عليه ومن لا يقدر على قهره ليس مستولى عليه، فالسؤال من اهل العلم توضيح هذه المسئلة بما قهها من خلاف وأقوال بما يطلع الكاتب مذهبيا كان غيره وفي أنه هل يختص بها المشتري فلا يجب عليه تحميسها أو لا يجب؟ فاعل شيئا من الاقوال يحمل من وقع في شيء من ذلك أفيدونا وأوضحوا وبينوا فان المسئلة وقع فيها كثير من الناس وخرجت منها الصدور

وماذا يكون الحكم في الاولاد من هذا الوطاء لو قيل بفساد وجه التملك لا
عندكم المسلمون

(ج) ليعلم المسلمون في سنغافورة وفي سائر بلاد الاسلام ان الله تعالى خلق
البشر احراراً وان الحرية حق لكل فرد ولكل جماعة أو شئب منهم بفطرة الله
وشرعه كما كتب الفاروق رضي الله عنه الى عمرو بن العاص لما بلغه أن ابنه ضرب
غلاماً قبطياً « يا عمرو منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » وان
الرق كان عادة اجتماعية همت بها البلوى حتى كانت تكون في بعض الاحيان من
الضروريات التي تختل بدونها بعض المصالح القائمة . وكان العرف بين الامم والدول
أن الدولة الظاهرة في الحرب تملك الرقاب كما تملك الاعيان مما تستولي عليه

فلما جاء الاصلاح الاسلامي فتح أبواباً كثيرة لتحرير الرقيق ولم يحرم
الاسترقاق من اول الامر تحريماً قطعياً لئلا يكون المسلمون وخدمهم عرضة
للاسترقاق اذا غلبوا في الحرب وهذه علة صحيحة كنا غافلين عنها فهذا أمر
لا يمكن ابطاله الا بتواطؤ بين الامم ولا سيما الحربية منها كما جرى أهل هذا
العصر ووافقهم عليه الدولة العثمانية لانه من مقاصد الشرع لا من محظوراته —
ولان البشر يشق عليهم ابطال العادات الراسخة دفعة واحدة ولا سيما اذا كانت
مصالحهم مشتبكة بها ولا أن بعض الرق كان يكون لمصلحة الارقاء في بعض
الاحوال كأن يقتل رجال قبيلة ويبقى النساء والاطفال لا ملجأ لهم ولا عائل ،
وقلما يقع مثل هذا في زماننا لان شؤون المران فيه قد تبدلت ، والذي عليه
فقهاء المذاهب المعروفة كلها ان الاسترقاق للسبي والاسرى جائز لا واجب ولا
مندوب لذاته لانه ضرورة كالحرب نفسها وانه مفوض الى الامام الاعظم - يميل
فيه وفيما يقابله بما يرى فيه المصلحة بمشاوره أهل الحل والقلم ويشترط فيه ان
يكون في حرب شرعية مبنية على تبليغ دعوة الاسلام وحماتها وحفظ بلاد
المسلمين بالشروط المعروفة في كتب الفقه ، ويقابله المن على من ذكر أي اطلاقهم
بدون مقابل أو فداء أسرى المسلمين عند قومهم بهم ، وهذا مقدم على غيره عند
التعارض بالضرورة على خلاف فيه وفي قتل الاسرى . وقد خير الله رسوله (ص)
في هذين الامرين الاخيرين بسورة القتال ولم يذكر الاسترقاق فقال (فإما منا بعد
وإما فداء) وقد فصلنا هذه المسائل في مواضع من مجلدات المنار السابقة
كارد على خطبة لورد كرومر الشهبيرة وغيره

فعلم من هذا أن ما يجري عليه الناس من اغتصاب بعض أولاد الزوج أو « الشينة » الصينيين أو الجركس أو شرايهم من آبائهم وأولياتهم لا يعد استرقاقاً شرعياً فلا تملك به الأعيان ولا الألبضاع وإن التسري بالمفصولة أو المشتراة من والدها أو غيره حرام وأهون ما يقال في فاعله جاهلاً حكم الشرع فيه أن وطأه وطء شبهة وولده منها ولد شبهة وإلا فهو زنا ظاهر ، لا يستحلّه أحد يؤمن بالله واليوم والآخرة

وما ذكر في السؤال عن بعض طلبية العلم من أن سبب الملك هو الاستيلاء دون مجرد الشراء لا محل له في النوازل المسؤل عنها فإن شرط كون الاستيلاء الصحيح مملكا قابلية المحل للملك وهو الحربي المشترك الذي يسبى بالحرب الدينية بعد إباء الإسلام والجزية وبعد ترجيح أمام المسلمين لاسترقاقه كما تقدم فهنا يختلف الفقهاء في حقيقة الاستيلاء المملك هل يشترط فيه دار الإسلام أم يحصل بالحيازة في دار الحرب ، وقد صرح الفقهاء بعدم جواز بيع الكافر لأولاده في دار الحرب ولا في دار الإسلام

وأنا لنعجب ممن يهتم بأمر الألبضاع والانساب والحلال والحرام ثم يصر على اتباع شهوته في الاستمتاع بهؤلاء الحرائر من السود أو الصفر أو البيض ويسأل عن نواذر الخلاف بين الفقهاء وشواذ الأقوال ليجد لنفسه عذراً لبقائه على ضلاله ؟ ألا فليتبوا إلى الله تعالى وليتركوا هذه الرذيلة وما يتبعها من الفواحش والمنكرات ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

﴿ مسيح الهند ﴾

(س ٢) من أحد القراء في زنجبار
نكتب ملخص هذا السؤال لكثرة الغلط في عبارته لغة وإملاء وإعرايا وهو أن الدعوة إلى مسيح الهند غلام أحمد القادياني قد بثت في زنجبار بأنه « النبي المسيح المهدي » وأن مذهب أتباعه ودعاته هو مذهب خوجه كمال الدين الذي في لندن والامامين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده. ويقول السائل إنهم قد غشوا الناس بهذه الأسماء وصار الناس بالمجادلات حز بين أحدهما مصدق والآخر مكذب ، وسألنا هل عندنا كتاب في الرد عليهم فمرسله إليه ؟ وقد أرسل البناصورة القادياني التي يوزعونها هنالك

(ج) إن غلام أحمد القادياني قد ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى إليه بذلك وأن البسمة تدل بلفظ الرحمن الرحيم على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله وأن غلام أحمد القادياني هو المسيح عيسى بن مريم ، وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد ، وكان يستدل على صدق دعونه بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن ، على أنها كثيرة السخف والغلط والهذيان ، وبكتاب في تفسير الفاتحة سماه (إعجاز أحمدي) وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الالفاظ بحقيقتها ولا بضرب من ضروب المجاز ولا الكناية بل هي دعاو باطلة كادعاء دلالة البسمة على نبوة محمد (ص) ومسيحيته ، وكان يتأول الاحاديث الواردة في نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء في الشام وبكونه يقتل الدجال ويفعل كيت وكيت أو يردّها بزعم انها مخالفة للقرآن ، والقرآن لا يدل عليه بل ولا على نزول المسيح عيسى بن مريم أيضا كما بيناه في المنار من قبل . والآيتان اللتان استدلت بهما بعضهم على ذلك ليستا نصا — ولا ظاهرا فيه —

فأما قوله تعالى في المسيح (٤ : ١٧) وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) فانه لا يدل على ما ذهب اليه بعضهم في تأويل الآية الا بتكاف بعيد لا مسوغ له كما بيناه في تفسيرها (١) وأما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) بعد قوله عز وجل (٤٣ : ٥٧) ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ٥٨ وقالوا آلهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) ففي مرجع الضمير في قوله (وانه لعلم للساعة) وجهان ذكرهما المفسرون (احدهما) أنه القرآن فانه ذكر أولا رساله موسى ثم رساله عيسى لاجل الاستدلال بهما على رساله محمد (عليهم الصلاة والسلام) وصدق القرآن (ثانيهما) أنه عيسى عليه السلام وقد ذكروا لكونه علما للساعة وجوها أظهرها انه إحياءه لبعض الموتى وحياة صورة الطير من الطين بنفخه فيها فانه دليل يعلم به ان البعث ممكن تتعلق به قدرة الله تعالى وواقع بتأييده تعالى لعيسى وجعل احياء الميت وحياة الجمد من آياته الدالة على رسالته . وقد اوضحنا هذا في المنار من قبل

وقد رد عليه كثير من علماء الهند وناظروه ففندوا دعوته ورددنا عليه في المجلد الثالث والمجلد الخامس من المنار وترجمت ردنا عليه الجرائد الهندية في حياته فساءه ذلك وآلمه حتى جملة على تأليف كتاب في شتمنا وتهديدنا يضحك الشكلي ، سماه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) فإنه خلط فيه الهزل بالجد ، وجمع بين الدم والمدح ، ولم يخل من الجون ، ووحى شياطين الجنون ، ومما توعدني به فيه زاعماً أنه قاله بالوحي قوله بعد كلام ، « وعمد أن يؤلمني ويفضخني في أعين الموام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع وألقى وجوده في الآلام ، ووطنني كالخصى ، واستوقد نار الفتنة وحضي ، (١) وقال ما قال وما آمن كأولي النهي ، — الى أن قال — سيهزم فلا يرى ، نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى » الخ (٢) ولو قدر الله تعالى جمل وفاتنا أو نكبة تقم بنا أو بالمنار بعد صدور كتابه هذا الادعى هو وأتباعه أنها مصداق دعواه ، ولكن الله لم يزدنا الا صحة وقوة وحجة ، ولم يزد المنار بفضله الا تأييداً وانتشاراً وقبول كلمة ، اذ رددنا عليه بعد هذا عدة مرات ، فكان هو المهزم الى أن مات

ولكن كان من الغريب أن أتباعه قدمروا على المناظرة والجدل فانصرف أناس منهم الى الدعوة الى الاسلام في الهند وانكلترة والولايات المتحدة الاميركية ، وما أعرف لهم بدعة غير هذه الضلالة الوهمية ، التي زاحموا بها البائية البهائية ، ولو تركوها للقي دعواتهم للاسلام مساعدة وتمضيذاً من جميع المسلمين ، وما أدري أي فائدة يطلبون باصرارهم عليها ، فانهم ليسوا كالبهائية الذين اخترع دعواتهم ديناً جديداً ملفقاً أصابوا به مجداً وعظمة باقرار من اشربت قلوبهم الوثنية بأن البهاء الهيم وربهم حتى أن خليفته وابنه ، الذي فعل في تأسيس هذا الدين ما عجز قبله أبوه عن مثله ، قد لقب نفسه بعبد البهاء

وكننت أظن أن هؤلاء القاديانية قد رجعوا عن هذه الدعوى الخرافية حتى اذا ما زرت الهند جاءني وفد منهم للسلام علي في (لسكرنتو) ودعوني الى زيارة بلدهم. فعلمت منهم أنهم لا يزالون على غرورهم ؛ ولم يتسع الوقت لاختبارهم التام بزيارة بلدتهم ، ولا يبعد أن يكون خوجة كمال الدين منهم فإنه ليس من كبار العلماء الاعلام ، وحاشا حكيم الاسلام والاستاذ الامام ، أن يكونا من اهل هذه الاوهام

«١» حضاً النزب بالهمز وعضاماً بجنسها بالواو اذا حركها لتشتمل ، واستعملها هو بالياء

«٢» يراجع ص ٣١٧ - ٣٢٠ من مجلد المنار الخامس وص ٩٠٠ - ١٢٢

﴿ اشكال في بيت من الشعر ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في لنجة (في خليج فارس) في ١٠ ربيع الاول ١٣٤٠
 حضرة العلامة المتفضل الاستاذ الامام المصلح الفهامة السيد محمد رشيد
 رضا منشيء مجلة المنار لا زال مفيداً للاسلام ومفيداً للانام ، المرجو بيان
 اعراب هذا البيت فقد وصلنا اليه في الاشعوني في المدرسة الرحمانية وعجزنا
 عنه لأن اعرابه ينافي معناه وبالعكس فسألنا حضرة الوالد خديصكم عنه فادعى
 أن فيه تحريفاً ولم تقتنع فصدعنا حضرتكم لتزيلوا الاشكال ولم تزالوا كذلك
 (وكائن في الاباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا)

وقد راجعنا المواد التي عندنا كالصبان وحاشية ابن سميذ وشرح شواهد الرضي
 وشرح العيني وشرح شواهد المغني فلم نجد ما يشفي العليل ويظفي الغليل والمرجو أن
 تشرفوني بالجواب فنحن من المحسوين ولم يزل حضرة الوالد يحننا على ذلك
 من أسير احسانكم - محمد بن عبد الرحمن سلطان العلماء ببلنجة

(ج) إذا كنتم لم تطلعوا على ما قاله ابن هشام في روايت البيت ووجوه
 اعراب الرواية المشككة من المغني فالمعجب منكم كيف راجعتم فيما عندكم من
 الكتب شرح شواهد المغني ولم تراجعوا المغني نفسه أولاً، وإذا كنتم قد اطعتم
 على ما في المغني - ورأيت فيه أن في البيت روايتين وما ذكره في اعراب الرواية المشككة
 - فالمعجب منكم كيف لم تكتفوا بما فيه وما بعده قول لقائل؟ والختار عندنا في
 البيت أن الرواية التي غني بنقلها النجاة ليشحذوا قرائحهم باعرابها غير صحيحة
 بل هي من تحريف بعض الرواة وفاقاً لذوق والدمك السليم وان الرواية الصحيحة
 وكائن بالاباطح من صديق يراه إن أصبت هو المصابا

أي إن أصبت أنا يرى أنه هو المصاب لأنه بصدق وده، أنزلني منه منزلة
 نفسه، وما ينبغي لمن علم بنقل الروايتين أن يعرض عن الواضحة، ويضيم الوقت
 النفس في الرواية المشككة، التي لا يمكن تطبيقها على القواعد وفهم معنى صحيح
 لها الا بتكاف الاحتمالات البعيدة التي ذكرها من وقفوا أعمارهم لاستقصاء
 أمثالها من الاغلاط أو الشواذ لاجل الاحاطة بفروع فن النحو ونوادره،
 وتقييد أو ابده وشوارده،

وقد أورد صاحب المغني البيت في الكلام على (شرح حال الضمير المسمى

فصلاً وعماداً وهو في الباب الرابع (ص ١٠٥ ج ٢)

العلة الحقيقية لسعادة الانسان*

لسيدنا آية المصير ، وسر حكمة الدهر ، ودرية تاج الحكماء . وواسطة عقد
البقاء ، من لا تستوعب وصفه الاقلام وما نسقت ، والطورس وما وسقت ،
استاذنا الاكبر ، الفيلسوف الاشهر ، السيد جمال الدين الافغانى اعزه الله

ان الممكن بالامكان الخاص (وهو الذي لا يلزم من وجوده ولا من عدمه
بمجال) يكون وجوده بوجود علته وعدمه لعدمها ، ولاريب في أن السعادة
من الماهيات الممكنة بالامكان الخاص ، وانها العلة الغائية لحركة كل فرد من
أفراد الانسان حسية كانت تلك الحركة أو معنوية ، اذ لو لوحظت مساعيه أثناء
الليل وأطراف النهار ، وأخذته بوسائل الحرف من زراعة وصناعة وتجارة . ووجهه في
تحصيل العلوم والفنون ، وارتكابه المصاعب ، في نيل المراتب والمناصب ، لما
وجد لها من باعث أو داع سوى طلب السعادة ، مع أنك لا تجد من نالها أو
دنا منها ولو تنقل في مراتب الشؤون وتقلب في درجات التطورات ، وما ذلك
الا لمضم تحقق علتها ، فطينا أن نبحث عن تلك العلة وعن الاسباب التي أوجبت
عدم تحققها ، حتى يتبين وجه ضلال طلاب السعادة عن أن يصيبوها فنقول :
ان بين السعادة والصحة شبيها كلياء ، فكما أن صحة الجسم هي نتيجة ومعلولة
للتناسب الطبيعي بين أعضاء ذلك الجسم وجوارحه وكما الاعتدال فيما تكونت
عنه تلك الاعضاء وحسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته مع مراعاة اللوازم
والشروط الخارجية من الزمان والمكان والمطعم والمشرب والملابس فيكون
زوالها لزوال هذه الامور كلها أو بعضها - كذلك سعادة الانسان هي معلولة
للتناسب الحقيقي في الاجتماعات المنزلية وقيام كل من اركان المنزل بأداء
وظيفته ، وللتعادل التام في الائتلافات المدنية بأن تكون المدينة فيها من الحرف

(هـ) هنا الاثر النقيس لاستاذنا موقظ الشرق رحمه الله تعالى كان فاتحة لكتاب (البيان في
الانكيزوالافغان) الذي كان مما أهله حكيمنا ونشر في جريدة (مصر) التي أصدرها بأمره
الاديبان الموريان الشهيران سليم النقاش وأديب اسحق وكانت لسان حاله ومظهر آرائه وأقواله
تم طبع ذلك في كتاب مستقل بمطبعة جريدة مصر بالاسكندرية سنة ١٨٧٨ وكتب تحت الاسم
هذه العبارة : « لسيدنا آية الحكمة ، مجلي الجمال والجلال ، ومظهر محاسن الكمال ، استاذنا
الفيلسوف الطاهر الارومى ، النسيب ابن النسيب ، السيد جمال الدين الافغانى اعزه الله » وقد
كان لمقالات « البيان » المذكورة تأثيري الأمة البريطانية حتى ردت عليها جرائدها فرد هو
عليها ردا عرفت به عظيم شأنه وكان ذلك السبب الاول لمعرفة اسمه في أوروبا

والصنائع ما يكفها مؤنة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها مع حسن التعامل بين أرباب تلك الصنائع ، وأن تكون أحكامها تحت قانون عدل تساوي فيه الصغير والكبير ، والامير والمأمور ، وللارتباطات العادلة بين الدول بأن تقف كل دولة عند حدها ، ولا تتعدى على حقوق غيرها ، وأن يهد سبل التواصل بينها وبين باقي الدول لكامل التعاون والتوازن بين نوع الانسان وانتفاع كل من الآخر ، فيكون حصولها على السعادة بمحصول تلك الامور وفقدانها لفقد جميعها أو بعضها

وهذه الامور وان كانت ممكنة الحصول وجد الناس في التماسها ما استطاعوا الا أن هناك مانعا من الوصول اليها وهو اعتقاد كل كمال نفسه ونقص غيره ، ونظرة الى أفعاله بعين الرضى والى أفعال غيره بعين السخط ، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ولا أدخل بشيء من واجباته وشؤونه ، ولا تقاعدت همنه عن أداء وظائفه في العالم الانساني ؛ ويتمحل لاثبات ذلك بما تسوله له نفسه من الحجج والبراهين ، وان أصابه العناء ، ونزل به الشقاء ، حسبها من تهاون الغير فيما يلزمه وإهماله ما يجب عليه ، مبرئ نفسه من أسباب ذلك ، حتى لو أغفل شأنًا من شؤونه يزعم أنه قد سدت دونه أبواب الامكان وتمذر عليه القيام به ، ولو انتهك محظوراً من المحظورات لادعى أنه لا اختيار له فيه وانما الضرورة هي التي ساقته الى ارتكابه فهو مجبور لا مختار ، مع أنه لا يلتبس للغير عذراً فيما يفوته أو يقيم منه ولو كان في نفس الامر مجبوراً . ومن ثم وقع التضارب في الآراء والتدافع في الافعال والحركات ، وعمل كل على تقيض الآخر ، فارتفع التناسب وانعدم التبادل وذهب الارتباط

أنظر الى حال الآباء مع الابناء والسادات مع الخدمه ، كيف أن كلا منهم مع علمه بأن السعادة المنزلية انما تحقق بأدائه ما يجب عليه وجعل حركته من متمات حركات الآخر يخالفه في أفعاله ويضاده في آرائه ، معتقداً أنه لو لم يقصر ذلك الآخر في اداء الحقوق المفروضة عليه لاستقرت الراحة المنزلية وارتفع العناء — والى حال المشتركين في المدينة فان كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح انما يكونان باحكام الصنعة وتهذيبها وحسن التعامل وكف يد الشره والحياة وضبط العهود والمواثيق واجتناب الكذب والاعتصام بجبل الصدق والوفاء لا يرى نفسه مخلاً بشيء من ذلك وان أدخل بجميعه ، يزعم أن زوال

السادة المدنية انما جاء من تهاون الآخريين
وتدبر حال الملوك مع رعاياها ترى كلا منهما يرمي الآخر بالاغراق وعدم
الاعتدال ويتهمه بانتهاك المحارم والحقوق ويرى نفسه من نسبة شيء
من ذلك اليها .

فالملوك فضلا عما رسخ في نفوسهم من أن رتبتهن الملوكية ، إنما هي رتبة
سماوية ساقها اليهم يد العناية الالهية ، بسبب طيب عنصرهم ، وطهارة طينتهم ،
يعتقدون أن لاقوام المرعية بدون وجودهم ، وأن لا غنى لها عنهم ، إذ هم
يحفظون أموالها ، ويحتمون دماءها ، ويوفون لكل ذي حق حقه ، وينتقمون
للمظلوم من الظالم ، ويحرسون الثغور لدفع ضرر المهاجمين ، فيرون أن لهم بذلك
حق التصرف في أموال الرعية ودمائها ، وأنه يجب عليها طاعتهم ، والخضوع
لسطوتهم وسلطتهم ، وامثال أوامرهم واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية
بالتقصير فيما يجب عليها .

والرعايا يخاطبونهم قائلين لا مزية لكم علينا كما زعمتم ، ولستم أطهر عنصراً ،
ولا أطيب طينة ، بل نراكم أناساً استولى عليكم حب الرئاسة وأسرتكم الشهوة
واستعبدكم الهوى ، فاستمالكم الى سلب راحتكم وراحة رعاياكم حرصاً على التظلم
وطمعاً في توسيع دائرة السلطة وكسب الافتخار مينا ، وأما اعتقادكم ان لا
قوام لنا الا بكم فإني لكم صدق هذا الاعتقاد وقد أصبحتم كلال على كواهلنا :
نحن نغرس ونحرق ، وننزل ونحوك ، ونفصل ونخيط ، ونبني ونشيد ، ونخترع
الصنائع ، ونفني في المعارف ، وأنتم تأكلون وتشربون ، وتلبسون وتسكنون ،
وتتمتعون بلذة الراحة . وأما ما تملتم به من حفظ أموالنا وحقن دماءنا الى
آخر ما ادعيتم فذلك إنما نشأ عن العظمة والكبرياء اللذين ثبتت أصولهما في
نفوسكم ، أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط إنما هو منا ، وان الحافظ والحاقن
والمنتقم إنما هو القانون والشريعة الحقة ، وما أنتم الا منوطون بحفظها ، والعمل
في الناس بها ، فان قتم بذلك على وجه الاستقامة كان لكم علينا ما يقوم أودكم ،
فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا وتعبثوا بدمائنا ونلقوا بنا في هاوية الشقاوة ،
ثم تبتغوا طاعتنا وامثالنا ، وترموننا بالتقصير والتهاون فيما وجب علينا

وذلك الذي ذكرناه فيما اذا لم يكن الملوك من المتغلبين المباينين للرعايا جنساً
ومشرباً ، وأما المتغلبون من الملوك والمتغلب عليهم فكل منهما يزعم فوق ما ذكر

انه الوسيلة لمنفعة الآخر والواسطة لمصلحته ، وان الآخر قابل حسنته بالسيئة .
ومنعمته بالمضرة .

مثلا ان الحكومة الانكليزية المتغلبة على الهنود تخاطبهم بقولها اني عمرت لكم المدن (كيمباي) و (كلكتا) و (كراجي) و أمثالها وزينتها بالابنية الشاهقة ، والقصور الشائقة ، ووطأت شوارعها ، ووسعت مسالكها ، ورقشتها بالاغصان وزخرفتها بمروج وبساتين ، ومهدت لكم سبل التجارة ، وسهلت لكم أسباب الزراعة ، وفتحت أبواب الثروة بما مددت من الاسلاك البرقية في ارجاء بلادكم ، وأنشأت من الطرق الحديدية في أنحائها ، وحفرت من الترغ والانهار ، ووضعت من القناطر ، وكذلك أسست لكم المدارس ، ورفعت عنكم ظلم النوابين وقهر الراجاوات ، وأنتم مع ذلك أبيتم الا الشقاق والنفاق . ونبذ الطاعة وسلب الراحة ..
وان الهنود يجيبونها متظلمين مستغيثين منها قائلين لها : انك ما عمرت

تلك المدن إلا بمد أن خربت بلاداً كانت زينة الارض ونخار الابناء (شيو) و (وشنو) و (كهكلي) و (مرشد آباد) و (عظيم آباد) و (اكبر آباد) و (اله آباد) و (دهلي) و (رايبود) و (فيض آباد) و (لكهنؤ) و (حيدر آباد) وغيرها من البلدان ، وإنك ما مددت الاسلاك البرقية ، ولا أنشأت الطرق الحديدية ، ولا حفرت الترغ والانهار ولا وضعت القناطر الا لنزف مادة ثروتنا وتسهيل سبل التجارة لساكني جزيرة بريتانيا وتوسيم دائرة ثروتهم ، وإلا فما بالنا أصبحنا على فقر وفاقة وقد نفدت أموالنا ، وذهبت ثروتنا ، ومات الكثير منا يتضور جوعاً ؟ فان زعمت أن ذلك لنقص في فطرتنا ، وضيق في مداركنا ، فياللعجب من أبناء (بريتوس) الذين مضت عليهم أحقاب متطاولة يهيمون في أودية التوحش والتبرير اذ يمتقدون النقص وعدم الاستعداد في أولاد (برها) و (مهاديو) مؤسسي شرائع الانسانية وواضعي قوانين المدنية .

وأما المدارس التي تمنين علينا بتأسيسها فلم تكن لمصلحة تعود علينا اذ لو كانت لذلك لاحتوت على العلوم والفنون والصنائع مع أنها لم تنشأ إلا لتعليم اللغة الانجليزية المتعجرفة الخشنة لآبناء اللغة (السنسكريتية) اللغة المقدسة السماوية حتى تستعملهم في ادارة مصالحك في تلك الممالك الشاسعة .

وأما دعواك رفع ظلم النوابين وقهر الراجاوات عنا ، فما يضحك الشكلي ، ويبيكي المستيئس النبي جاءته البشرية ، فان الظلم إذ ذاك كان قاصراً على البعض

المنار ج ١ م ٢٣ احتجاج الملوك والدول في عدوان بعضهم على بعض (٤)

وظلمك الآن قدم وطم ؛ وإن الثروة والابهة والجلالة والشأن التي يزدهي بها الآن أهالي بريطانيا كان المتمتع بها وقتئذ أبناء وطننا ؛ إذ النوابون والراجوات وغيرهم من الامراء والكبراء وحاشيتهم وخاصتهم كانوا من أبنائنا ومشاركينا في الجنسية ، وكنانتيه بهم فخراً على سائر الممالك والاقطار ، فكيف بك أن تمني علينا بما مننت زوراومينا . وانا لا نراك أيتها المتغلبة علينا الا كالمعلق مصصت دماءنا ، بل كالسلاخ سلخت جلودنا لتتخذها أحذية لنعال البريطانيين . على أنك لم تكثف بهذا وذاك بل تريد أن تستملي عظامنا النخره لتصفية السكر في معاملك

وتبصر في شأن الملوك بعضها مع بعض فان كل واحد منهم يرى بما اقيم من الحجج القاطمة أنه على صراط المدل وحد الاستقامة لا يقدم على محاربة ولا يحجم عنها ولا يضع غرامة أو يأخذ من ممالك الآخريتنا الا وهو في ذلك محق عادل ، مثلا ملك الروسيين محتج لحرب العثمانيين بأن أنين النصارى من رعاياهم قد ذهب براحتة وتجافى به عن مضجعه وحرك فيه حاسة الشفقة حتى دعتة الرحمة والانسانية للاخذ بناصرهم واستنقاذهم من ايديهم ، وتحريرهم من رق عبوديتهم ، من والثمانيون يدحضون حجته قائلين (اولا) لو كنت ممن تحركهم الشفقة والرحمة لكان الاحق بنيلها رعاياك المتحدون معك في المذهب من اهالي (لهستان) فدعواك هذه الاحض الرياء والمواربة (وثانيا) اننا لانعامل رعايانا الا كعامله الآباء للابناء بدون تفرقة بين مذهب ومذهب وجنس وجنس ، وأوضح دليل على ذلك بقاؤهم على مذهبهم حافظين للغاتهم وجنسيتهم ، ولو أننا كنا نفرق بين المذاهب والاجناس كما تدعي لملناهم على رفض مذاهبهم وتغيير لغاتهم ، وكنا قادرين على ذلك في وقت لم يكن لك فيه اسم ولا رسم ، بل لم تكن شيئا مذكورا

وكذلك امبراطور فرنساويين بما ثبت عنده من البراهين البينة على طمع الجرمانيين وحرصهم وشههم يرى لنفسه الحق في افتتاح الحرب عليهم . وامبراطور الالمانيين بما تحقق لديه من كبر فرنساويين وعجبهم ومجاوزتهم الحد في أطوارهم يحسب أن من الواجب عليه أن يضم عليهم غرامة باهظة ويتسلط على قطعة واسعة من بلادهم لتذليل نفوسهم واضفاف قوتهم ، ليتدفع بذلك شرهم ، وبأمن على نفسه وامته من تعديهم .

ودقق النظر في شؤون العقلاء والحكماء وذوي الآراء والمذاهب الذين يعتقدون أن الحق واحد في نفس الامر والواقع لا يتعدد كيف أنهم بعد اتفاقهم على أن القواعد المنطقية هي ميزان النظر وبها يعرف صحيح الفكر من فاسده قد اتسح كل واحد منهم منهجا واتخذ مشربا يناقض به الآخر ويعتقد أن دلائله المؤدية اليه هي المنطبقة على ذلك الميزان وان لا انطباق لدلائل غيره عليه وارجم البصر الى احوال السارقين والقاتلين ونحوهم من مركبي انفوا حش والشناعات في العالم الانساني ترى أنه لا يصدر عمل من هذه الاعمال المجمع على قبجها من فاعلها الا بسبب هذه الخلة الذاتية، أعني اعتقاده كمال نفسه والنظر الى أعماله بعين الرضى - ضرورة أن الفعل انما يكون بعد الارادة التي لا تكون الا بعد ترجيح الفعل على الترك ورؤيته خيرا منه وهو عين الرضى به ومن غرائب آثار هذه الخلة ابرازها الحقيقة واحدة بصور مختلفة في نظر شخص واحد على اختلاف مراتبه وشؤونه، فانك ترى زيدا من الناس مثلا وهو في رتبة دانية رؤوفا بالفقراء، رحما بالضعفاء، شفيقا على المظلومين، ذاما للبخل والشح، مادحا للكرم والسخاء، مهتما بقضاء حوائج ذوي الحاجات، مدعيا للعفة، كارها للانكباب على الشهوة، مستهزئا بذوي التكاثر والتفاخر، مبغضا للكبرياء، متنفرا عن الارتشاء، مشمزا من الاهمال في المصالح العامة والتهاون في الواجبات، مستهينا بالمستبدين بأرائهم، المعجبين بأقوالهم وأفعالهم، مستقبحا تقديم المفضول على الفاضل لغرض يعود على ذاته، مستبشما لاعطاء المراتب لغير أهلها وحرمان مستحقها منها، لا، على الغضب وإسراع العقوبة، مستفحشا للسفاهة والبذاء، محبا للوطن، محاميا عن الحرية، زاعما أنه لو آل الامر اليه لقام بصلاح العالم.

وإذا ارتقى الى رتبة سامية تجده قسي القلب على الفقراء زاعما أن التكفف صناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هربا من عناء الكسب - جافي الطبع على المظلومين مستدلا بأن المتظلمين أولو مكر ودهاء (اورياء) يعلنون خلاف ما يسرون ويستترون تحت حجاب المسكنة والالتجاء للتغلب على حقوق غيرهم - بخيلا شحيحا متمسكا في ذلك بأن من مقتضيات الحزم أن تحرز الاموال وتودع المخازن لوقت اللزوم أو (إن الكرم والسخاء قبيحان عند السويديين من الافرنج) - متوانيا في الاخذ بيد المحتاجين متملا بتراكم الاعمال عليه في وظيفته

المهمة وعدم تمكنه من إسمافهم - شرها شهوياً محتجماً بأنه بشره والنصابه الى الشهوة يؤدي حق الطبيعة - فخوراً برتب وشؤون ساعده على نيلها البخت والصدفة بدون استحقاق مع أنه ما أدى حقها ساعة من دهره مرضياً نفسه في ذلك بكلمة «المبد العاجز» أو (إفتخار أولسون) (١) متكبراً يظن أنه وقور من الواجبات عليه إقامة الحجاب على بابه ، والدائدين عن اعتابه ، قياماً بحق رتبته ولازم شأنه - مرتشياً يقنع نفسه بأن ما يأخذه حق تبيح له الشريعة أخذه إما لأنه جمالة على عمله أو هدية من صديق - مهمل في المصالح العامة منهاونا فيها معتدراً بأنه من آحاد الناس ليس في طوعه تقويها ، وما من مساعد يعاضده عليها . وقد أدى الواجب على شخصه - مستبداً برأيه فمعتقداً أنه قد باغ من العقل والدراية الى حد تنحط دونه جميع أفكار العالم ويقصر عن إدراك غايته مدى أنظارهم ، مع أنه أعمى البصر والبصيرة لا يرى ما تحت قدميه - مقدماً للمفضول على المفاضل مستنداً الى سلامة قلب ذلك المفضول ولين عريكته وطلاقة وجهه . أي أنه (يهزله القاووق) وفي رواية (بمسح له جوخ) وأنه (سطري لجنابه العالي) (١) - رافعاً الى أسنى المراتب من لا يليق لادناها حاسباً نفسه طبيياً روحانياً خبيراً بأخلاق العالم وطبائهم حكماً لا ينظر في أعماله إلا الى المصالح العامة - غضوباً سريع العقوبة يحسبها سياسة وتديراً مديناً - سفياً بذيئاً يرى أن الناس لا يستحقون سوى قبيح فعله ونفس قوله ولا يدركون مزية الآداب ، ولا يقدرون الاديب حق قدره - خائناً لوطنه ساعياً في خرابه وإذلال أهله (أفيا لتيس اليوناني) ويعد نفسه في ذلك مجبوراً ملجأ - طالباً للاستعباد متشبهاً بأن الحرية لا تليق بالاهالي لعدم استعدادهم لها ، بل إنها مما يوجب فسادهم لو نالوها - آيساً من صلاح العالم اذ يراهم لنقص قريحته ناقصي الاستعداد فاقد القابلية ، ويزعم أنه لو كان لهم نوع من التهيؤ للاصلاح لانعم لهم بسعيه واجتهاده

ومن أغرب آثارها ان المتخلق بها مع كونه متصفاً بأرذل الاخلاق وأشنم الخصال يعنى عن أنه متصف بها - مثلاً يكون قسي القلب ويمتقد نفسه رحيماً ،

(١) كان السيد رحمه الله بملي وقلما كتب بيده مقالا وكان تلاميذه كالقاني وأديب اسحق يكتبون كل ما يقوله حتى السكام والامثال العامة التي يمزج بها الكلام كأداة كونه الجليل في الموضوعين وكانت ذائفة في معاصري الحكماء من الترك ولكن ابرهم الاسناذ الامام كان يتصرف في العبارة ويجزله ذلك السيد

ومتكبراً ويرى نفسه متواضعا . وهكذا باقي الحواسل مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لا دركها وشذ عليه التكبر فيها . حتى أنك ترى كل واحد « كأنه » قد جعل على إحدى عينيه نظارة معظمة (ميكروسكوب) ليقف على دقائق معايب مماثريه وعلى الأخرى نظارة رصدية (تلسكوب) لثلا يفوته أعمال البعداء عنه ، وعلى إحدى أذنيه موصلة الصوت (تليفون) لاستراق اخبار الناس كيلا يمزب عنه شيء من نقائصهم ، وعلى الأخرى حافظة الصوت (فونوكراف) ليستحفظ فبأنهم لثلا يقرب عنه شيء منها ويقندر على استحضارها وقت الحاجة عند ما يتحرك دولا ب حقه وحسده ، مع أن أقرب الأشياء اليه نفسه وهو لا يرى شيئا من معايبها ، فهو اهمى حد يد البصر وأصم قوي السمع ،

فتمسا لها من خلة قضت على نوع الانسان بالاختلال وسوء الحال ، وأذنته بالشقاء والعناء ، وأوقعت الخبط في الاعمال والخلط في الاقوال ، وابست الحق بالباطل والزائف بالصافي والجيد بالرديء ، وحسنت التبييح وقبحت الحسن ، وأبرزت المعوج مستقيما والمستقيم معوجا .

ومن نظر بعين الحق وسبر الحقائق بنور البصيرة لا يجد لهذه الخلة أعني (اعتقاد كل كمال نفسه ونظره الى اعماله بعين الرضى) علة وسببا سوى حب الذات الذي هو غشاوة على عين العقل تمنعه من استطلاع الحقائق على ما هي عليه ، ووقوفه عند حد الصواب في سير الافكار ، بل هو متغلب على جميع الاحساسات النفسانية وهاكم على كلها بالتفكير . بل لا يختص حكمه بها اذ يتعدى الى الاحساسات الطبيعية أيضا . فانك ترى مشوه الوجه مختل الملقرة ث الشياب الذي قد تجسدت عليه الأدوران والاقذار اذا نظر الى صورته بهذه الصفة الرديئة في مرآة مثلا لا يشمز ولا يستنكر ، واذا وقم بصره على من بلواه في ذلك أخف من بلواه انفعلت نفسه واستنفر واستبشم .

وهذا الوصف أعني حب الذات الذي هو علة الشقاء والعناء من الاوصاف اللازمة لذات الانسان ما دام موجودا فلا ينفك الانسان عنه ولا هو يزايه ، فاذن لا حيلة ولا خلاص من بلاياه ونكباته الا باستعمال الانسان عقله ورجوعه اليه في جميع اموره ، والخروج من رتبة عبودية سلطات حب الذات ورفض احكامه ، وذلك أن يحكم على نفسه بما يراها عليه في مرآة غيره لا في مرآة نفسه (ما أجلك أيها الانسان المعجب في مرآة نفسك وما أبجلك في مرآة غيرك) .

وهذا الذي ذكرناه هو العلاج الحقيقي والوسيلة العظمى لوقوف كل عند حده ، وسمي كل لاستكمال نفسه ، الذين هما مدار السعادة .
ولسنا نذم حب الذات بجميع أنواعه فإن منه ما قد يعود بسعادة ما على طائفة من الطوائف أو أمة من الأمم وهو حب الذات الداعي إلى طلب المحمدة الحقة (١) وهو الذي يرتقي بصاحبه إلى توجيه افكاره وأعماله نحو المصالح العمومية بدون أن يطلب في ذلك شيئاً سوى الحمد وخلود الذكر، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

كتاب الخلافة الإسلامية

مترجمه بالعربية	مؤلفه باللغة الاوردية
الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي	مولانا أبو الكلام محيي الدين آزاد
محرر جريدة (بيغام) الهندية	صاحب مجلة الهلال الهندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى * وسلام على عباده الذين اصطفى

باب

(الخلافة)

« الخلافة » مصدر من خلف يخلف خلافة ، ومنها « الخليفة » من قولك « خلف فلان فلانا في هذا الامر ، اذا قام مقامه فيه بدمه » (ابن فارس) « فالخليفة » هو الذي يخلف من قبله ويقوم مقامه إما بموته أو عزله أو غيبته أو نصبه إياه في منصبه وسلطته — وفي مفردات الامام الراغب الاصمعياني « الخلافة — النيابة عن الغير ، إما بغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخاف » « ص ١٥٥ »

وهذه الكلمة أيضاً من تلك المختارات اللغوية التي اختارها القرآن الحكيم ، فنقلها من معانيها اللغوية إلى المعاني المصطلحة الشرعية « كالإيمان والنيب والتقدير والبعث والصلاة » وغيرها من الكلمات التي انتقاها من اللغة بمعنى خاص به — فكلمة « الإيمان » مثلاً تستعمل في اللغة لليقين

١ الحق مصدر يستوي في الوصف به المذكور والمؤنث والفرد والجمع

والطمانينة وزوال الخوف والشك - ولكن القرآن يستعملها في يقين أخص من الاول ، يصحبه اقرار باللسان وعمل بالجوارح ، فصارت اصطلاحاً خاصاً ، دالة على معنى خاص به دون دلالتها في اللغة -

وكذلك كلمة « الخلافة » كان معناها عاماً في اللغة ، فوضعها القرآن لمعنى أخص من الاول ، واستعملها (وكذلك الاستخلاف في الارض ، ووراثتها والتمكين فيها) في المظمة القومية والرأسة المليية ، والحكومة العامة والسلطة التامة على الارض ومن فيها من الامم والشعوب ، ويعدها اكبر منة وجزاء من الله سبحانه تناله الامم في هذه الحياة الدنيا على ايمانها وحسن عملها - أما المراد من هذه الخلافة فهو أن تقوم في الارض امة وحكومة تأخذ على عاتقها هداية النوع البشري وسعادته ، وتنشر لواء القسط الالهي ، وتمحق الظلم والجور والاضلال والظغيان حتى لا تذر له اثراً على وجه البسيطة ، وتمد رواق الامن والسكينة والراحة والطمأنينة على العالم بأسره ، وتقيم ناموس العدل الالهي الذي يسميه القرآن « بالصراط المستقيم » الذي هو نافذ من الارض الى السموات العلى ، ومن ذرات الرمل في الصحراء الى الشمس والقمر والنجوم وما هو تحت الثرى - فتقيم ذلك الناموس في مشارق الارض ومغاربها وتنفذه في جميع بقاعها ونواحيها حتى تصبح الكرة الارضية جنة ودار قرار ، وتكون السعادة ضاربة فيها بأطنابها ، والامنية باسطة جناحها من فوقها !

وإنما أطلق لفظ الخلافة على هذه الخلافة المصطلحة ، لان أول أمة وأول فرد لما قام في الارض باعباء الخلافة ، كان نائباً عن الله في اقامة عدله ، ثم الذين جاؤا بعد تلك الامة وذلك الفرد كانوا نائبين عنهم في هذا الامر ، حتى ظهر الاسلام وقامت الامة الاسلامية ، فانتقلت الخلافة الارضية الالهية اليها ، فكان اول خليفة من هذه السلسلة المباركة صاحب الشرع المتين ، ورسول رب العالمين ، محمد صلى الله عليه وسلم - فكان خليفة الله العظيم مباشرة - ثم الذين استموا بعده على منصبه الحكومة الاسلامية المركزية ، كانوا خلفاء هذا الخليفة الالهي والنائبين عنه في الدنيا ، فلذا سمو « الخلفاء » ولا يزالون يسمون به الى الآن -

وقد تقابلت خلافة الارض ووراثتها في أمم كثيرة ، قامت كل واحدة منها في نوبتها بخدمة دين الله الحق - وقد ذكرت هذه الخلافة في الآيات الآتية :

« وهو الذي جعلكم خلائف الارض » ٦ : ١٦٧ « ويستخلف ربي قوماً غيركم » ١١ : ٥٧ « ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لنتنظر كيف تعملون ؟ » ١٠ : ١٤ « واذكروا إذ جعلكم خلفاء بعد قوم نوح » ٧ : ٦٨ « ياداوود ! إنا جعلناك خليفة في الارض » ٣٨ : ٢٦ —

وعبر عن هذه الخلافة « بوراثة الارض » فقال تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون » (٢١ : ١٠٥) وأيضاً « بالتمكن في الارض » وهو استفحال القوة وكمال العظمة الذي ناله قتي اسرائيل في ارض القراعنة بعد أن بيع فيها عبداً ، ثم وصل الى عرش الحكومة وتاج الملك بعمله الحق وسيره القويم « وكذلك مكنا ليوسف في الارض » ١٢ : ٥٦ وقد وعد الله به سبحانه المسلمين فقال « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الامور » ٢٢ : ٤٣ وثبت أيضاً من هذه الآية ان الله تعالى انما يريد من التمكن في الارض أن تقام عبادته فيها ويم الصلاح والصدق والهداية فيها ويصد الانسان العنود عن غيه وعمل المنكر —

وعبر في الآية الاخرى عن التمكين في الارض « بالخلافة » فقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٢٤ : ٥٥)

نزلت هذه الآية العظيمة بعد هجرة رسول الله (صلعم) وأصحابه الى المدينة ، وكانوا فيها خائفين من الكفار ومحاطين بالاعداء من كل جهة ، يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح ، فضجر منهم رجل من هذه الحالة وقال « ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح » فبشرهم الله بهذه الآية أن لا يهنوا ولا يحزنوا ، فانه لا يضع اجر ايمانهم وحسن صنيعهم ، فسينا لونه باذنه ، ويأهفون أعدائهم ، فيذهب الخوف ويحل محله الامن ، ويصيرون ملوكاً وسلاطين ، فيكون الامر أمرهم ، والكلمة كلمتهم ، واكبر من ذلك كله ان خلافة الله ستنتقل اليهم فيرثونها وتطمئن قلوبهم بها (ذكره الطبري بالمعنى في تفسيره عن ابي العالية (ج ١٨ ص ١٠٩)

وقد تضمنت هذه الآية أن مراد القرآن الحكيم « بالخلافة » إنما هو « خلافة الارض » أي الحكومة والسلطان فيها - فإذا لا بد للخليفة الاسلامي من أن يكون صاحب الامر والنهي والحكومة التامة ، لانه ليس كبايا المسيحيين وبطاركتهم فأولئك سلطتهم روحية وهي خضوع القلوب وانحناء الرؤوس امامهم - بل هو حاكم وسلطان بالمعنى الحقيقي - الا أن سلطته يجب أن تكون تحت الشريعة الالهية ، وليس له حق التشريع البتة (١) ولا أعطته الشريعة سلطة دينية روحانية كما أعطت المسيحية للبابوات ، لانها تمد كل سلطة لغير الله ورسوله شركا به وكفراً تمقته أشد المقت وتمحقه من أول ظهوره (٢) قال الله سبحانه « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٩ : ٣٣) وقال « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٣ : ٧٩)

هذا - وقد وفي الله تعالى للمسلمين وعده بالخلافة، كما وفي جميع وعوده وعهوده ، فلم يعض بضع سنين والرسول بين أظهرهم ، الا وأصبحت جزيرة العرب في قبضة يدهم ، وشوهدت جيوشهم خارجة من أسوار المدينة لمقاومة الروم اعداء دينهم ، وسبقت خلافة الارض اليهم بصد أن زعت من غيرهم ، فكان اول خليفة منهم هو حامل الشريعة الفراء بنفسه صلى الله عليه وسلم - ثم الذين قاموا في مقامه من بعده كانوا خلفاءه - وقد أوضح النبي (صلم) بتسميتهم «خلفاء» أنهم ينوبون عنه بعده، فقال للمسلمين «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (رواه ابن ماجه عن المر باض ابن سارية) ولذا سمى ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما خلفه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشارح في دين الاسلام هو الله تعالى ويطلق الالقاب على النبي «ص» باعتبار التبليغ وقال بعض العلماء ان الله تعالى اذن له ان يشرع والجمهور على ان كل ما ثبت في السنة من الاحكام الشرعية فهو اما استنباط من القرآن واما وحي غيره فان الوحي لا ينحصر فيه. والتحقق ان هذا التفصيل خاص بالاحكام الدينية كالعبادات واما الامور المدنية والسياسية والحربية فقد كان «ص» يحكم فيها ويسن برأيه واجتهاده ومشاورة اولي الامر من هؤلاء المسلمين وزعمائهم بالكافة والرأي وجمهور الامة وقد اذن له تعالى بهذا ولا ولي الامر بعده بالتبع له كما حققناه بالتفصيل في تفسير (٤ : ٥٩) اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم « وهذا يسمى تشريفا في عرف علماء الحقوقيين وواضعي القوانين ، وبه يبطل قول الجاهلين بشرعنا انه شرم جامد لا يتطابق على كل زمان (٢) الكاثوليك من النصارى يقولون بأن من حق البابا ان يكون حاكما سياسيا مدنيا أيضا

﴿ الخلافة النبوية الخاصة ، والخلافة الملكية ﴾

انصبغت الخلافة الاسلامية بعد النبي عليه الصلاة والسلام بصفتين مختلفتين ، وظهرت بمظهرين متباينين ، وكان عليه السلام قد أخبر عنهما ، ورفع الستار عن خصائصهما ، والاحاديث التي وردت في هذا الباب تكاد أن تكون متواترة لكثرة طرقها وشهرة متونها - خلافة الخلفاء الراشدين المهديين كانت مصبوغة بصبغة الرسالة ، وسائرة على منهاج النبوة ، فكانت خلافة الرسول حقاً ، والخلفاء الراشدون خلفاءه حقاً - لا في منصة الحكم والسلطان فقط ، بل في جميع اعماله وهديه - فكانوا مثله دعاة الدين ، هداة الامم ، قضاة الشرع ، قادة الشعوب ، ساسة البلاد ، قواد الجيوش ، أخوة الحروب ، رايات الامن ، قد اجتمعت في شخص كل واحد منهم صفات كثيرة مما كان مجتمعاً في شخص سلفهم وهاديهم (صلعم) فكانوا خلفاءه وحاملي شرعه ، بل حلقة من حلقات عهد الرسالة ، وبركة من بركات زمن النبوة ، حكومتهم حكومة اسلامية محضة ، ونموذج كامل للنظام الاسلامي ، فكانت « حكومة جمهورية » قائمة على اساس الشورى بالمعنى الصحيح - غير أنها لم تدم كثيراً ، بل ماتت بموت علي عليه السلام ودفنت معه في ارض الكوفة

ثم ظهرت بعد هذه الخلافة الراشدة ، خلافة في حلة غير حلة اختها منحرفة عن منهاج النبوة ، منقطعة عن مسلك الرسالة ، فكانت حكومة دنيوية وملكا عضوضاً ، وذلك عند ما فشت البدع المعجمية ، وامترجت بالمدينة الاسلامية العربية ، ولدت جرائم الفساد في فضاء العالم الاسلامي ، فهذه الخلافة - وان كانت كل حلقة منها اشبه بالخلافة الراشدة من التي جاءت بعدها ، - لم تكن في مجموعها من محاسن الخلافة الراشدة في شيء . ولذا سميت الاولى على لسان النبي (صلعم) « بالخلافة » لغلبة الهداية والصلاح عليها . والثانية « بالملك العضوض » لظهور الاستبداد والقهر فيها - فقال صلعم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك » (١) وفي حديث ابي هريرة « الخلافة بالمدينة والملك بالشام » (٢) واخبر في حديث آخر بأن هنالك ثلاثة أدوار : عهد نبوة ورحمة - عهد خلافة ورحمة - عهد ملك وسلطان (٣) فانتهى الدور الاول بالنبي صلعم -

﴿١﴾ رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بسند صحيح ، وفي رواية « ثم تكون

ملكا عضوضاً » ﴿٢﴾ رواه البخاري في تاريخه ، والحاكم بسند صحيح

والثاني بعلي عليه السلام كما سر - وقد كان هذا الدور بالحقيقة ذيلاً للاول وجزءاً لازماً له كما هو سنة الله في دعوة الاديان وتوثيق عمرى الشرائع حيث يجعل الله لكل نبي خلفاء يقومون بعده بدعوته ، ويوطدون دعائم شريعته - ثم جاء بعد هذا وذلك الدور الثالث ، دور حكومة ومالك عضوض ، وهو باق على حاله الى الآن - ولم يكن الصحابة مجهلون هذا الدور ولا يستبعدونه بل كانوا يعرفونه وينتظرون مجيئه لاخبار النبي صلعم ايامه به -

وقد كان هذا الدور اكبر مصيبة ابتليت بها الامة ، فبعد أن كانت ترم في رياض النبوة ، وتجنبي ثمار الخلافة الراشدة آمنة مطمئنة ، اذ نلق ناعق الشر بينها ، وقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بين يديها ، فتقام ظل هدي النبوة شيئاً فشيئاً ، وذهبت بركاتها واحدة تلو واحدة ، وأخرجت البدع رءوسها ، وزحفت الفتن بخيلها ورجلها ، فأحاطت بها من كل جوانبها ، فكلم ابتعدت الامة عن عهد الرسالة حرمت نصيباً من بركاته وبركات الخلافة الراشدة - ولم يكن حرمانها محصوراً في امر الامة المظني والخلافة الكبرى فقط ، بل تمداه الى غيرها ، فتغلقت جرائم الفساد في هيكلها الاجتماعي فزعت نظامها وقوامها ، ثم سرت الى حياتها الشخصية فأفسدت عقائدها وعواطفها ، ونفثت في أعمالها سمومها ، فغيرت من صغيرها وكبيرها - ولم تكن فتنة واحدة أو فتنة قليلة محصورة فيسهل اتقاؤها ، بل سالت سيول من الفتن دهمت المسلمين بفتنة فاجت عليهم أمواجها ، وثقلت عليهم وطئتها . فكانت كما قال أعلم الصحابة بالفتن حذيفة رضي الله عنه « تموج كوج البحر » وبين لهم انه ليس بينها وبينهم سد الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنه متى سقط هذا السد المنيع طغت تلك السيول الجارفة وبفت فلم يقدر احد على صدها ، فزال حتى أخذت الخلافة النبوية في تيارها وحطمتها وتركتها اثراً بعد عين -

نعم وقع ما وقع ، الا ان الامة المسلمة قد بشرت على لسان نبيها بأنها سترى في آخر أيامها دور نجاح وفلاح ، فتقر به عينها وينشرح صدرها وتصلح أمورها حتى « لا يدري أولها خير أم آخرها » (١) ويتم فيه نور الله

(١) اشارة الى حيث « امتي امة مباركة لا يدري اولها خير او آخرها » رواه ابن

عساكر عن عمر بن عثمان مرسل وسنده حسن

« والله متم نوره » الخ « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (١) ولذا لا يزال قلب المؤمن قويا برضاء الله ، مملوءاً باليقين ، لم يخالطه ريب ، ولا دخله زيغ ، ولا صادفه قنوط وبأس — حتى في هذا الزمان الذي انصبت فيه على المسلمين المصائب ونزلت بهم النوازل وزلزلوا فيه زلزالاً شديداً — بل كلما ازدادت العواصف شدة ، والليل ظلمة ، والارض عداوة ، يزداد المؤمن رجاء ويقينا ، ويبصر بعينه نور الصباح الجميل من بين هاتيك الظلمات والغيوم والعواصف — ولسان حاله يقول « إنه وعدمه الصباح ، اليس الصباح بقريب ؟ »

﴿ فصل ﴾

﴿ عهد الاجتماع والائتلاف * ودور التشتت والانتشار ﴾

قبل ان نخوض غمار هذا البحث نتكلم في هذا الفصل على كلمتين مصطلحتين زيادة في الايضاح وتفصيلا للبيان — فنقول :

« الاجتماع والائتلاف » كلمتان خفيتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، فيهما سر حياة الامم ومماتها . نروضها وهبوطها . سعادتها وشقوتها — « فالاجتماع » من الجمع وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض (مفردات ص ٩٥) ويقرب منه « الائتلاف » من الالف اجتماع مع التمام « والمؤلف ما جمع من اجزاء مختلفة ورتب ترتيباً فقدم فيه ما حقه ان يقدم واخر فيه ما حقه ان يؤخر » (مفردات ص ١٩) اما « عهد الاجتماع والائتلاف » فهو ذلك العهد الذي تجتمع فيه القوى الاجتماعية الفعالة في مكان واحد ، في نقطة واحدة ، في سلسلة واحدة ، في ذات واحدة ، وفي يد واحدة ، بترتيب طبيعي لائق بها . فتصبح كل المواد والقوى والاعمال الاجتماعية وافراد الامة متماسكة متشابكة . حتى لا ترى فيها خلا ولا خرقا ولا فتقا . بل تجدها كلها كحلقات السلسلة التي التحم بعضها مع بعض فأضحت شيئاً واحداً —

فدور الاجتماع والائتلاف اذا جاء على المادة ظهر فيها الخلق واستمدت للحياة . وعبر القرآن عن هذا « بالتخليق والخلق والتسوية » فقال « الذي خلق ذوى » (٨٧ : ٢) فالوجود والحياة ليس الا اجتماع اجزاء المادة مؤتلفة .

(١) كان شيخنا الأستاذ الامام يقول ان هذا الرعد لما يتم ولا بد من تمامه بظهور الاسلام على سائر الاديان في اوروبا وأمريكا والشرق الاقصى

وكذلك الموت والثناء ليس الا تفرقها وتشتتها - واذا جاء على الابهال سماه علماء الاخلاق « بانخير » وسمته الشريعة « بالعمل الصالح والحسنات » واذا جاء على الجسم سماه علم الطب « بالصحة » وقال الطبيب « هذه حياة » ثم اذا جاء على القوى والاعمال الاجتماعية القومية سمي « بالحياة المليية الاجتماعية » وكان موجبا لنبوخ الامة ونفوذها وساطنهما - فالمبارات مختلفة كثيرة . والحقيقة واحدة لا تتمدد ولا تتبدل . ولا غرو فان الله الحكيم واحد منفرد . وحكمته واحدة . وناموسه واحد - ولثم ما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال يشير
 وضد الاجتماع والائتلاف « التشتت والانتشار » فالتشتت من « الشتات »
 ومعناه في اللغة التفرق يقال شت جمعهم شتا وشتاتا . وجاؤا اشتاتا اي متفرقي
 النظام (مفردات ص ٢٥٦) وفي القرآن « يومئذ يصدر الناس اشتاتا (٩٩ : ٦)
 من نبات شتى (٢٠ : ٥٣) وقلوبهم شتى » (٥٩ : ١٤) اي مختلفة -
 « والانتشار » من النشر وهو ايضا التفرق والبسط كما في القرآن « فاذا قضيت
 الصلاة فانتشروا » اي تفرقوا -

واما دور « التشتت والانتشار » فهو ان تتفرق المواد والقوى والاعمال
 والافراد . فيصير كل شيء على ضد ما كان عليه في عهد الاجتماع - فاذا
 عرضت هذه الحالة للمادة قيل « فساد وانحلال » وللجسم قيل « مرض وداء ثم
 موت » وللاعمال قيل في تعبير القرآن « عمل السوء والعصيان والنسق
 والاجرام » وللأمم قيل « الموت الملى . والموت الاجتماعي » فتصبح الامة في
 هذا الدور في هبوط بعد الصعود وذلة بعد العزة ، وضعف بعد القوة ، وعبودية
 بعد الحرية والسيادة ، ثم تسير الى الموت والهلاك بعد ان كانت صحيحة قوية
 حية ، فياله من بلاء ليس فوفه بلاء والنيراذ بالله !

ولذلك نجد القرآن ينبه مرة بعد مرة على أن « الاجتماع والائتلاف »
 الاساس الاكبر لحياة الامم ، ويمده اكبر نعمة من الله سبحانه على البشر ، ويعبر
 عنه بالمبارات العظيمة الشأن « كالاغتصام بحبل الله » وغيره ، ويقول للامة
 « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
 فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا » ثم يخبر بعد هذا بان لا حياة مع
 التشتت والانتشار ، فانه نار موقدة تخرق كل شيء يقربها ولا سيما شجرة الحياة

الاجتماعية ، فانها اذا مستها لا تبقى عليها ولا تدر - فقال تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٣ : ١٥٣) ثم يخبر بأن الحياة الاجتماعية في الامم ليست من تدبير البشر (١) ، فهما بلغ الانسان من القوة والعظمة والعقل ، لا يقدر على أن يكون أمة ، بل هو الله الواحد القادر يجمع الاشتات فيؤلف بينهما ويسلكها في نظام واحد فقال « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ، ما أنفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٨ : ٦٤)

وأخبر القرآن أيضاً بأن أول ثمرة تثمرها الشريعة الالهية وأعظم بركة تجود بها على النوع الانساني في الدنيا هي « الاجتماع والائتلاف » وكرر مرة بعد أخرى ان التفرق والتشتت والانتشار لا يجتمع مع الدين أبداً . وأنه عاقبة الاعراض عن الله وعصيانه والبغي عليه . فقال « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم (٢ : ٢١٢) وما اختلفوا حتى جاءهم العلم » (١٥ : ٩٣) وآتيناهم بينات من الامر . فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (٤٥ : ١٦)

ولذلك جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والحياة الاسلامية في الجماعة وعد الخروج عنها من الجاهلية . والحياة الجاهلية . فقال « من فارق الجماعة فمات ميتة جاهلية » (كما ستراه مفصلاً ان شاء الله) وأمر المسلمين أمراً مؤكداً بالتزام الجماعة في كل حال . وبطاعة الامير سواء كان برا أو فاجرا . اهلالا للمارة أو غير اهل . عادلا في حكمه أو ظالما . كيفما كانت سيرته وهما فسدت طريقته يجب عليهم طاعته . ولا يجوز لهم الخروج عليه . الا أن يمرق من الدين جهارا أو يترك الصلاة فينبذ لاطاعة له عليهم (٢) وأخبر أن كل من تنكب عن الجماعة

(١) ليس المراد أنه لا ينبغي لزعماء الشعوب والاقوام المتفرقة ان يسعوا الى تكوينها وجعلها امة عزيزة لميجز البشر عن ذلك بل المراد ان هذا التكوين للامم قد جعل بسنة الله تعالى في الاجتماع اثرا وغاية لاعمال اطوار كثيرة بعضها من كسب الافراد وبعضها ليس من كسبهم فلا تقع بتدبيرهم ولكن عليهم ان يعملوا ما في طاقتهم من وسائلها ويكولو الى عناية الله تعالى لإنجاح سعيهم وانمام عملهم

(٢) انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لخلق في معصية الخالق كما صرح في الحديث وأجمع عليه المسلمون . وصرح الخلفاء الراشدون على منبر الرسول (ص) =

شبرا فقد كب على وجهه في النار . وجعل زمامه بيد الشيطان ، وقضى على نفسه بالخسران والهلاك — . وذلك لان الجماعة كالسلسلة الفولاذية التي يعي الأشداء كسرها . وآحاد الامة كالحلقات التي سلامة كل واحدة منها في سلسلتها . فانها ان انفصلت عنها صارت حلقة واحدة تكسر أو تلقى في الزبالة —

ولقد كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يروي في خطبه « عليكم بالجماعة . فان الشيطان مع الفرد . وهو من الاثنين أبعد » وفي رواية « فان الشيطان مع الواحد » وقد ذكره في خطبته الشهيرة بالجالية التي رواها عبد العزيز بن دينار وعامر بن سعد وسليمان بن يسار وغيرهم — ونقل البيهقي أن الشافعي رضي الله عنه كان يستدل بهذا على صحة الاجماع — وورد في الحديث المتواتر بالمعنى « عليكم بالسواد الاعظم » وحديث « فانه من شد . شد في النار » وحديث « يد الله على الجماعة » وحديث لا يجزم الله امتي على الضلالة » وكما قال علي عليه السلام في خطبة له « اياكم والفرقة . فان الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب . الا من دعا الى هذا الضمار فاقتلوه ، ولو كان تحت جمامتي هذه (١) ! » وغير هذا كثير من الاحاديث والآثار في هذا الباب —

فجملة القول ان المسلمين أصروا أمراً مؤكداً بأن يكونوا مع الجماعة أبداً ، لان من انقطع عنها انقطع في النار — ولان الافراد والآحاد المتفرقة لا حياة لهم بل انما هم للموت والفناء والهلاك ، وأما الامة الصالحة فحياتها باقية على وجه الدهر ، ولن تهلك أبداً — ولان يد الله مع الجماعة ، وهو لا يرضى أن تجتمع الامة بأسرها على الضلالة —

ولتعويد المسلمين على الحياة الاجتماعية (٢) أمرتهم الشريعة بالتزام صلاة

مطالبة المسلمين بتقويم زيفهم وعوجهم ، وانما يتمتع عند علماء أهل السنة الخروج على الامام الجائر اذا كان يخشى من الخروج عليه فتنة تفرق الامة وشق عصاها لضعف القائمين بذلك من الامة . واذا كان المؤلف قد وعد بتفصيل القول في المسألة فاننا منتظرون ما يجيء به فاما ان نقره واما ان نذيله بحاشية نبين فيها ما نرمي انه الحق كما بيناه في المنار مرارا .

(١) روي هذا في الروايات الاخرى مرفوعاً — اه من حواشي الاصل

(٢) تقديم التعليل بفيد الحصر ولا حصر ففي صلاة الجماعة فوائد اخري

الجماعة في كل حال ، حتى أنها لا تترك لتفقد ان الامام الاهد للجماعة ، بل يدوام عليها مع السعي في نصب الاهد لقوله صلعم « صلوا خاف كل بر وقاجر » (١) ولذلك نرى سورة الفاتحة التي هي دعاء اجتماعي للمؤمنين عامة يدعو بها كل واحد منهم على حدته استعملت فيها صيغ الجمع لا الواحد - فقال « اهدنا الصراط المستقيم » ولم يقل « اهدني » وذلك لان القرآن كما قلنا من قبل لا يرى للفرد حياة قائمة بالذات ، بل الحياة عنده للجماعة فقط - وما الافراد وأعمالهم في نظره الا لان تتكون منهم ومنها الهيئة الاجتماعية ، فلها عبر بصيغ الجمع في هذا الدعاء الذي هو حاصل الايمان ، وزبدة القرآن ، ومع الاسلام - وكذلك جعل الدعاء الذي يدعو به كل مسلم لآخيه لما يلقاه « السلام عليكم » بالجمع لا « السلام عليك » وكذلك السلام حين الخروج من الصلاة - والعلة فيه أيضا ما ذكرناه لا ما فهمه كثير من الناس -

وانك اذا أمعنت النظر ترى جميع أحكام الشريعة وأعمالها مبنية على هذا الاساس - اساس الاجتماع والائتلاف - وقد علمت ما في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، ومثلها الحج ، فليس هو الا عبارة عن اجتماع المسلمين (على أحاديث شعائر الله) وكذلك الزكاة التي ما جمعت الا لقيام الهيئة الاجتماعية ، فيؤخذ من رءوس أموال الافراد شيء معين ليصرف على الجماعة ، وطريقة أدائها أيضا اجتماعية فليس لكل أحد أن يصرّف زكاته بمشيئته وارادته ، بل عليه ان يؤديها الى الامام الذي له وحده أن ينفقها في الامور العامة ويعين لها مصرفا من المصارف المنصوصة في الكتاب - لا كما يفعل الناس في الهند فينفق كل واحد زكاته بنفسه - ثم ليس في هذه البلاد التمسّة امام ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نعمل لها نظاما مخصوصا كما عملنا للجمعة والعيدين -

ولعمري ان هذه الحقيقة واضحة لا غبار عليها تنجلي كالشمس لمن دقق النظر في الاحاديث النبوية التي تنص على أن المسلمين يجب أن يعيشوا عيشة واحدة ويحسبوا أنفسهم أبناء امة واحدة - فانظر مثلا حديث مسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وحديث الصحيحين « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ثم شبك بين أصابعه فأوضح (صلعم) ان المسلمين ليسوا آجرا

أو حجارة متفرقة بل هم جدار بل حصن مشيد يشد بمضه بعضا - ولا يذهبن عن بالك أن الامر بتسوية الصفوف في الصلاة ، إنما هو لنفس هذه الحكمة - قال صلعم « لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » (البخاري) وفي رواية السنن « سووا صفوفكم ، فان تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » (البخاري) ومثله كثير من الآيات والاحاديث في هذا الباب ، يحتاج في شرحها وبيان حقائقها الى مجلد ضخيم ، وقد وفينا البحث حقه في تفسيرنا « البيان في مقاصد القرآن » فليراجعه من يشاء -

من الخرافات الى الحقيقة

-٢-

﴿ الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها ﴾

كان الواجب أن نبدأ بالفصل الاول والثاني حسب ترتيب الكتاب الذي هو مأخذنا . ولكن بعض الاسباب دعمتنا الى تأخير ذينك الفصلين وتقديم هذا الفصل :

ان الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها كانت بيد رجل اسمه (عبدالله ابن سبأ) كان هذا الرجل يهودياً ثم أسلم ظاهراً ، وأعماله تدل على أنه كان يحمل حقدا شديدا للمسلمين . وكان يرمي الى غرض واحد هو تمزيق شمل (الوحدة) الاسلامية ، وسلاحه القاطم نشر الخرافات الملائمة لطبائع المسلمين من غير العرب ذهب هذا الرجل الى البصرة اذ كان عبدالله بن عامر عاملا (واليا) عليها وسمى نفسه باسم مستعار (ابن السوداء) وأخذ ينشر هناك آراء تلامم أهواء الذين دخلوا في الاسلام حديثاً . وعند ما بلغ خبره العامل (الوالي) استقدمه اليه وسأله عن شخصه وسبب مجيئه الى البصرة فقال «أنا رجل من أهل الكتاب أحببت السكنى في دار الاسلام تحت رعايتك» واذ لم يقنع الوالي هذا الجواب طرده من البصرة . فتزيا بزى مسلم مهتد وطفق يزرع بذور الفساد بين المسلمين الذين دخلوا في الاسلام حديثاً ولم ينسلخوا من تقاليدهم القديمة . ذهب أولا الى الكوفة ثم الى مصر والى جميعات سرية لاجل القيام على الخليفة بقصد

ابقاع الشقاق والتفريق بين المسلمين .

لقيت البذور التي زرعها هذا اليهودي المتزني بزي المسلمين تربية خصبة، وكانت ادارة عثمان بن عفان كمساعد لنموها . فتمكن الرجل من تفريق المسلمين في أمر الخليفة وشق عصاهم فاذا هم فريقان يختصمون

ولم يكتف بذلك، بل تمسك بحبل الاستفادة من شعور الحب والاحترام في القلوب لاهل البيت النبوي الشريف، واستفاد من استخدام هذا الشعور المالي لمقاصده ، واتخذ الفجيمة بعلي المرتضى وولديه سبطي الرسول (عليهم السلام) ذريعة لدس الدسائس وتقسيم المسلمين الى شيع ، لانه كان يعلم أن العقائد الراسخة والتقاليد الموروثة والعادات لا تتبدل في الناس بسرعة بمجرد دخولهم في دين جديد مهما يكن واضحاً جلياً ومنطقياً مقبولاً ، كما كان يعلم أن الدين اذا دخل محيطاً غير محيطه الاصيلي لا بد أن يضم اليه أشياء كثيرة ويكتسب لونا يوافق نظر أهل تلك البلاد . لذلك عزم على أن يستفيد من هذا الحال ليضرب الدين ضربة قاضية . فأخذ ينشر قواعد الدين الحنيف صابغاً اياها بصباغ عادات البلاد الموروثة . والناس كانت تستقبل ذلك بشوق وسرور

انتشر الاسلام في فارس ومصر وسورية واستولى عليها . وكان لاهالي هذه البلاد عقائد وعادات قديمة راسخة في القلوب . ومع قبول هؤلاء الناس للدين الاسلامي كانت عاداتهم لا تزال ذات السلطان الغالب عليهم . فسذاجة الدين الاسلامي وبساطته لم تكن كافية لتسكين نيران شوق السكان الاصليين لحب الفخفخة والعنجهية التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم، ولذلك كانوا يتلقون أقاويل عبد الله بن سبأ كماء زلال تسرب الى قلوبهم المملوءة حرارة وشوقا الى المظاهر الفارغة . وكانوا يحرصون على إلباس الدين الحنيف كساء جديداً منسوجاً من خيوط عاداتهم واساطيرهم . وهذا الشوق من جملة اسباب دخول خرافات ايران ومصر القديمة والهند في الدين الحنيف

اول من تصدى لهدم دين مجوس الفرس وملكهم الكسروي أبو بكر الصديق الاعظم وتلاه الفاروق الاعظم فقضى على ذلك الاستقلال وجعل تلك الامة تابعة للعرب الذين كانت تحتقرهم، وتبع ذلك انتشار الاسلام فيهم . فساء هذا وذاك الذين ظلوا متمسكين بدينهم ، ولا سيما أصحاب السلطتين الدينية والديوية منهم ، فكان منهم بالطبع من يندب استقلالهم . ويتربص الفرص

لرفع السلطة العربية عنهم ، وكانوا يمتقنون الفاروق مقنناً شديداً لأنه هو الذي فتح بلادهم وذهب بعزيمهم ومجدهم . في ذلك الوقت استفاد عبد الله بن سبأ من مجرى الاحوال كما استفاد في زمان ذي النورين وظهر بمظهر المدافع عن حقوق آل البيت ، فخدع بعض العرب ومهد الطريق أمام سياسي الجوس لاختلال التوازن والانتقام من العرب واعادة الاستقلال السياسي لبلادهم بحجة الانتصار لآل البيت .

وأما مقصد عبد الله بن سبأ فلم يكن الا تفريق المسلمين بجعلهم شيعة متعاديتين تقاتل كل منها الاخرى ، مستفيداً من شعور المسلمين معتمداً على أهواء الفرس ، فاستفاد من احساس العرب ومن دهاء المعجم .

بث أولاً دعوة حصر الخلافة والامامة في علي وأولاده رضوان الله عليهم . ثم ادعى ألوهية علي حتى قال له (أنت الله) عندئذ نفاه كرم الله وجهه الى المدائن ولكنه ظل مثابراً على نشر دعوته

قلنا ان الذي بدأ بالمسألة الإيرانية ابو بكر الصديق والذي ضرب الضربة القاضية عمر الفاروق . وفي زمان ذي النورين عام ٣١ هجرية قتل آخر ملوك ايران (يزدجرد) فكان هذا من دواعي تشيع عبد الله بن سبأ لعلي رضي الله عنه لاجل أن يشق عصا المسلمين وينشق شمل العرب فيجعلهم فريقين مختصمين ، ويوقع الشبهات في العقيدة الإسلامية الجامعة للكلمة ، ويجري الجوس من الفرس على أخذ ثارهم ومحاولة استعادة ملكهم

وبعد أن توفي الله أبا الحسين طفق يقول « لم يمض علي وان الذي قتله ابن ملجم شيطان تمثل بصورة علي لان صهر النبي صعد الى السماء ! والرعد صوته والبرق لمعان سيفه ، وسينزل يوماً الى الارض ويملاها عدلاً »

وقد صدق كثير من العوام الجاهلين أقوال هذا اليهودي الماكر ، لان دأبهم تصديق كل قائل واتباع كل ناعق ، ولا سيما اذا كانت هذه الاقوال قريبة من عقائدهم كما هو شأن اولئك الذين دخلوا الاسلام حديثاً من النصراني واليهود والجوس ، فالقول بالوهية نبي وربوبيته كالقول برؤية عيسى والوهيته ، والقول بتزول علي الى الارض لاجل اصلاحها يوافق اعتقاد النصراني (الذين ينتظرون نزول عيسى من الملكوت الى الارض ولا يبعد عن اعتقاد اليهود ظهور مسيح

آخر، وقد تلقاه الإيرانيون بأحسن قبول لأنه يشابه اعتقادهم أن (هرموز) بموجب دين (زردشت) صعد إلى السماء وسينزل يوماً ما إلى الأرض. وبهذا الشكل جعل اليهود والنصارى والمجوس راضين مطمئنين ! لأنه أتاهم بشيء أنست به ارواحهم ، ولطم الحنيفية لطمه لطمخ بها جسمها الناصع البياض لطخة مباينة للونه الجميل فكانت هذه اول خرافة سرت إلى اهل هذا الدين الحنيف العوام غريبو الطبع يتبعون كل ناعق ويركضون خلف كل صوت بسهولة. لذلك تمكن هذا اليهودي (عبد الله بن سبأ) من تكوين حزب ديني وشيعة سميت (السبائية) . واذ كان افراد هذه الفرقة التي زالت ولم تزل خرافاتها يعتقدون أن الرعد صوت علي عليه السلام صار من شعائرهم أن يقولوا كلما تألق البرق بالتقاء الكهربائية الايجابية بالسلبية (السلام عليك يا امير المؤمنين)

الاسباب التي مهدت لظهور هذه الفرقة ثلاثة

(السبب الاول) سيرة عثمان ابن عفان رضي الله عنه في ارخاء العنان لمروان وكثرة استعماله لاقاربه ومحاباته لم خلافا لما جرى عليه الخليفتان قبله، فبذلك كثر الناقورن الطالبون لتفسير الحال وقد قال الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فلواتبعت هذه الآية الكريمة لما وجد عبد الله بن سبأ محلا خصبا لبذر بدوره.

(السبب الثاني) افتتح المسلمون بسيف الحق ومكارم الاخلاق بلاد الفرس والروم (مستعمرات الرومان) وكانت هانان الدولتان في ذلك الوقت على غاية من الانحطاط وفساد الاخلاق وكان ابو بكر الصديق والماروق رضي الله عنهما يبذلان الجهد لحفظ كرامة الاسلام ورفعته ونقائه وبجذران عليه من سريان امراض تينك الامتين الروحية والاجتماعية الى العرب ، وناهيك بمنايا الفاروق وحرصه على معالي الاخلاق والفضيلة والشرف فتانتته في الدين وصلابته في الحق وعدالته التامة بين الخلق كانت تجذب الى الاسلام فضلاء الامتين (الفرس والروم) كما يجذب المغناطيس الحديد. ومن سوء حظ الامم المنحطة أن يكون ابناؤها المتحلون بالفضائل خصوصاً لها كما وقم في هاتين الامتين وغيرهما من الامم (١)

(١) المنار: هذه الكلمة منبثقة عن التعصب الجنسي من المؤلف وهي ليست حقاً باطراد فما جرى عليه اهل الفضائل من تفضيل الصلاح والاصلاح الاسلامي وان جاهم من غير أبناء جنسهم على فساد أقوامهم كان من حسن حظ أقوامهم لانهم =

وأول ما كان الفاروق يمتني به هو منع الامتزاج بين العنصرين الغالب والمغلوب كما يفعل الانكليز اليوم (٢)

ولكن عندما صار الامر الى عثمان النورين وحصل الشقاق بين بني هاشم وبين الامويين تمكنت عادات الفرس والروم « ايراني وبيزانسي » من التسرب الى المسلمين. وهذا مما جعل بذور عبدالله بن سبأ تنبت ثم تثبت في هذه القلوب، فبرجوع مروان الى المدينة وهو المطرود منها بأمر نبوي وجعله على رأس رجال الحل والعقد وتميين اكثر الامويين ولاة واشتداد الخصام بين الامويين وبني هاشم أهمات أحكام الشرع الانور. وكانت شكايات الناس وتظلماتهم تصل الى عثمان رضي الله عنه بصورة مقلوبة لا يعرف بها حقيقتها، الى أن اشتد البأس ونفذ الصبر فسفك الدم، أركان صيبا ناعما يسقي بذور أعداء الاسلام.

= استفادوا من العرب ددي وصلحا ولم يحسروا شيئا لان الاسلام لم يفضل العرب عليهم بشيء الا بحصر الخلافة في قريش. وقد عني بعض كتاب فرسة الاخرار لو بقي العرب في بلادهم عند ما فتحوها بعضها وقال ان اخراجهم منها قد كان لسوء حظهم فلولاه لسبقوا سائر اوروبا الى المدينة بضممة قرون. وانما تصح هذه الكلمة في حالة استيلاء شعب على شعب آخر ليسخره في منافعه ويستغل بلاده بأيدي أهلها كما فعل الرومان بالامس ويفعل اخلافهم من الافرنج اليوم، ولكن اهل الفضائل في هذه الحالة لا يفضلون الاجنبي على قومهم وان كان يفوقهم في كثير من المزايا وانما يفضلهم طلاب المنافع بخدمته وهم من اهل الرذائل وان رفعتهم المناصب التي يخونون امتهم بقبولها من الاجنبي ممناً لأوطانهم

(٢) من أصح الشواهد على هذا ما رواه مسلم في صحيحه مختصراً: كتب عمر (رض) الى قائد جيشه في بلاد المعجم عتبة بن فرقد: يا عتبة ا انه ليس من كدك ولا من كد ايك ولا من كد امك فأشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. واياكم والتنعم وزى اهل الشرك. ولبوس الحررا الخ وفي مسند ابي عوانة بسند صحيح أنه كتب اليه: « أما بعد فاعتزوا وارتدوا وألفوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل، واياكم والتنعم وزى الاعاجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب. وعمددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وارزوا وازموا الاغراض » قال النووي في شرح صحيح مسلم: ومقصود عمر رضي الله تعالى عنه حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظةهم على طريقة العرب في ذلك اه والتعمد التشبه بعهد بن عدنان في ذلك

(السبب الثالث) توسيد الامور السياسية التامة الى غير العرب من المسلمين فلو حصرت الحقوق السياسية - أي حق التدخل بأمر الادارة وتنفيذها - بالعرب لما حصل ما حصل، فان بعض الذين أساءوا لم يكن اسلامهم حقيقيا بل اتخذوا الاسلام سلاحا لجرح الاسلام، ثم كانوا أمهر من العرب بالدسائس السياسية فاستفادوا من صفاء قلوب العرب وكدروها كما شاؤوا بكل سهولة، ألم تر الى الدول التي تغلب الشعوب على أمرها في هذا العصر لاتمطي مثل هذا الحق للمغلوبين البتة، أيتصور اليوم أن يدخل مجالس النواب الانكليزي أعضاء من فلسطين أو الهند ويكون لهم رأي في أمور الادارة والسياسة؟ ان رجال دول الاستعمار في هذا العصر يبعدون المغلوبين عن الوظائف العالية ادارية كانت أو سياسية أو عسكرية - لانهم درسوا التسارخ وعرفوا اعله انحطاط من سبقهم من الامم. فاعتبروا بنحيطات المتقدمين (١)

(١) المنار: يظهر ان مؤلف الكتاب وهو من اخواننا الترك الذين ينظرون في تاريخ الاسلام بالعين التي ينظرون بها الى دول أوربة وشعوبها ولا يقدران ما بينهما من الفارق حق قدره. ان أهل أوربة يقصدون من التغلب على الشعوب استخدامها لتوفير لذاتهم والاستملاء عليها مجرد التمتع بالمعظمة والسلطان والكبرياء والعلو في الارض. وأما الاسلام فانه محرم هذا كله ولم يقصد اهله العارفون به من فتح البلاد الا هداية اهلها الى الحق والعدل والفضيلة وانقاذهم من الشرك والخرافات والذائل لاجعلهم عبيداً للمسلمين بل ليكونوا مثلهم لهم مالم وعليهم ما عليهم، ولو جرى العرب على الخطة التي يجري عليها الاوريون اليوم خلافا لتعاليم الاسلام لما أمكن أن يستولوا في قرن واحد على سلطة اعظم من الساطية الرومانية التي اسسوها في بضعة قرون واما اغلب واعظم دول الارض - الفرس والروم - في بضع سنين وقد كانت الدولة الاموية ذات عصبية عربية فلم تقدر أن تثبت قرنا واحدا. نعم ان سياسة الفاروق كانت هي السياسة المثلى في محافظة العرب الفاتحين تلى آدابهم وعاداتهم التي كانت على وفق هداية الاسلام لئلا تفسدها التقاليد الأعجمية الفاسدة وكان ينبغي ان تكون بيدهم مقاليد الامور وألا يشركوا فيها الامن يوثق بصلاح حاله وعدم الخوف من سوء مآله، ولم يعمل الامويون ولا العباسيون بهذه القاعدة الرشيدة فضاع الامر بين التفريط والافراط

العبر التاريخية في أطوار المسألة المصرية

ذهب وفد وزارة عدلي باشا الرسمي الى اندره لاجل الاتفاق مع حكومتها على رفع الحماية البريطانية عن مصر واستبدال علاقة أخرى بين البلدين بمدان صدع هذا الوفد بناء الوحدة المصرية وفرق كلمتها فن جراء هذا كان نصيبه الفشل وانظر الانكليز بتفريق السكامة بقوة الوزارة المصرية فوضع اللورد كرزون لمصر نظاما جديدا حذف به كلمة الحماية وأبقى معناها بل ما هو أشد منه في استبعاد البلاد واستبدالها الابدي فلم يسمع عدلي باشا ووفده قبول هذا النظام باسم مصر بل عاد اليها وبعد عودته بأيام نشرت الحكومة الوثائق الثلاث الآتية في المسألة المصرية وهامي ذي بنصها:

بلاغ رسمي

رفع حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد الرسمي المصري الى حضرة صاحب العظمة السلطانية بطريق البريد مشروع الماهدة الذي وضعت الحكومة البريطانية وجواب الوفد الرسمي المصري عليه وهذه ترجمة هاتين الوثيقتين

ترجمة مذكرة

بمصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولا - انتهاء الحماية

(١) في مقابل ابرام الماهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنه على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة SOVEREIGN STATE تحت امرة ملوكية دستورية فبمقتضى هذا قد ابرمت وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبها من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصري من الجهة الاخرى معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف

ثانياً - العلاقات الاجنبية

(٢) تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تمت ادار وزير معين لذلك

(٣) يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قومي سير عال يكون له في جميع الاوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائي ويكون له حق التقدم على ممثلي الدول الاخرى

(٤) يمثل الحكومة المصرية في لوندون وفي أية عاصمة اخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعي هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير

(٥) بالنظر للتعهدات التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها في مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول الاجنبية يجب أن توجد اوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقومي سير المالي البريطاني الذي يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية

(٦) لا تدخل الحكومة المصرية في أي اتفاق سياسي مع دولة اجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القومي سير المالي البريطاني

(٧) تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصلين في الخارج

حسب مقتضياتها

(٨) لاجل تولى الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الاماكن التي لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضم ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لهم كل مساعدة في قدرتهم

(٩) تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضات لالغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المشروعة للاجانب في مصر وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً

ثالثاً - النصوص العسكرية

(١٠) تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها

الحيوية وعن سلامة أراضيها

لاجل القيام بهذه التعميدات ولحماية المواصلات الامبراطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور في مصر ولها أن تستقر في أي مكان في مصر ولا يمد مدة بحدودان من وقت لآخر . ويكون لها أيضاً التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية

رابعاً - استخدام الموظفين الأجانب

(١١) بالنظر للمسئوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر للحالة القائمة في الجيش المصري والمصالح العمومية تتمهد الحكومة المصرية بأن لاتعين ضابطاً أو موظفين أجانب في أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسير العالي البريطاني

خامساً - الادارة الماليه

(١٢) تعين الحكومة المصرية بعد استشارة *In consultatio with* حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت المناسب الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسير المالي مسؤولاً بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في مواعيدها وهي :

(١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة

(٢) جميع المعاشات والسنويات الاخرى المستحقة للموظفين الاجانب

المحالين على المعاش وورثتهم

(٣) ميزانيتي القوميسيرين المالي والقضائي والموظفين التابعين لهما .

(١٣) لاجل أن يؤدي القوميسير المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط

احاطة تامة بجميع الامور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل

وقت التتم بمحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية

(١٤) ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص ايرادات

مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالي

سادساً - الادارة القضائية

(١٥) تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا

العظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التمهيدات التي تحملتها بريطانيا العظمى القيام مراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التي تمس الاجانب (١٦) لاجل أن يؤدي القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التي تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحقانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول علي وزيرى الحقانية والداخلية

سابعاً - السودان

(١٧) حيث أن رقي السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التي كانت تقوم بها في الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان اعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين تكون كل القوات المصرية في السودان تحت أمر الحاكم العام وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام أعمال ري جديدة على النيل أو روافد جنوبي وادي حانفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء يمثل أحدهم مصر والثانى السودان والثالث أوغندا

ثامناً - قروض الجزية

(١٨) المبالغ التي تعهد خديوي مصر في أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضى لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضى سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ الى ان يتم استهلاك هذين القرضين تستمر الحكومة المصرية أيضا في دفع المبالغ التي كان جاريا دفعها بالسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون .

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسؤولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تعهد ناشئ عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً

تاسما - اعترال الموظفين والتمويض المستحق لهم

(١٩) لالحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمه الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يمنح هؤلاء الموظفون تمويضاً مالياً كما سيأتي بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشرط في الاستغناء من الخدمه في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسري جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضا على موظفي البلديات ومجالس المديرات والهيئات المحلية الاخرى

(٢٠) الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطى لهم زيادة على التمويض اعانة اياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومتاعه المنزلي الى لوندره .

(٢١) تدفع التمويضات والمعاشات بالجنيهات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ ١/٢ قرشاً للجنيه الانجليزي

(٢٢) يوضع جدول عن التمويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين Societiofract arles

عاشرا حماية الاقليات

(٢٣) تتمهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية . والا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي والا ينقض مضمونها قانون أو لائحة أو عمل رسمي .

(٢٤) تتمهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاهلة لارواحهم وحريةتهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبقيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم يكون لجميع سكان مصر الحق في أن يقوموا بجرية تامة علانية أو غير علانية بشماثر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشماثر لا تنافي النظام العام

أو الآداب العمومية

(٢٥) جميع الحائزين للرعاية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .

اختلاف الأديان والعقائد والمذاهب لا يؤثر على أي شخص حائز للرعاية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظيف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص متمتع بالرعاية المصرية في حرية استعماله لأي لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو الاجتماعات العمومية

(٢٦) الأشخاص الحائزون للرعاية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعاية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحق الآخرين في أن ينشئوا أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها اه

ترجمة رد الوفد المصري الرسمي

(على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر)

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه اللورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١

ولقد رأى أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق بأكثر المسائل التي تناولتها مناقشاتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ اربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم تقبلها حينئذ

فمن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة ولم يقتصر على ذلك . بل توسع في صرماه بما جعله أشد وطأة على أن حماية المواصلات الامبراطورية . (وهي التي قيل في مفاوضات

العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري لا تبرر هذا الحل

ففي حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القنال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تحويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية وضع أيضا تحت تصرفها كل ما لدى القطر من وسائل المواصلات وطرقها. وهذا إنما هو الاحتلال بذاته — الاحتلال الذي يهدم كل معنى للاستقلال بل ويذهب الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على أن الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقوية لأية سلطة

أما مسألة العلاقات الخارجية — وهي المسألة الوحيدة التي عدلت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدأ التمثيل — فان المشروع قد أحاط الحق الذي اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي . اذ لا يتصور ان تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام بأعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزماً بنص صريح بأن يبقى على اتصال وثيق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع الاتفاقات السياسية (حتى ما لا يتناقض منها مع روح التحالف) فيه اخلال خطير بمبدأ السيادة الخارجية . وأخيراً فان استبقاء لقب المندوب السامي (وهو لقب لم تجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة) هو أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السياسي المقترح لمصر

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دمانا الى الاعتقاد بانه لم تبق حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضات بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبة الشأن الاول مع معاونتها في ذلك سياسياً من جانب حليفها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كأنها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماة المصالح الاجنبية . وتريد أن تباشر وحدها

غند الاقتضاء المفاوضات بشأن إلغاء الامتيازات

أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسرين) المالي والقضائي وتداخلهما في إدارة الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الأجنبية تداخلاً قد يصل في بعض الأحوال فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالي الى شل سلطة الحكومة والبرلمان فإتينا لا نريد هنا أن نكرر ما سبق لنا إبداءه من الاعتراضات في مذكراتنا على انه يتحتم علينا القول بان المناقشات التي تلت تأجيل مسألة الامتيازات بعثت في نفوسنا الشعور بان الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الأجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية .

أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناو لها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على هذه البلاد من حق السيادة الذي لا نزاع فيه وحتى السيطرة على مياه النيل

ان الملاحظات المتقدمة لا تجعل ثمة حاجة الى مناقشة المشروع تفصيلاً اذ فيها ما يكفي للدلالة على روحه ومرماه وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و «المسؤوليات الخصوصية» الواقعة على المندوب السامي وكذلك الغرض الجديد — وهو قصد صيانة المصالح الحيوية لمصر — الذي اتخذ سبباً لوجود القوة العسكرية وبهذا تم المشروع صبغة الوصاية الفعلية

إننا لما قبلنا المهمة التي عهد بها اليها عظمة السلطان كنا نؤمل الوصول الى ابرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييداً حقيقياً وكفيلة في الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فان مصر حليفة بريطانيا العظمى كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء باخلاص بما تقطعه على نفسها من العهود ولكن التحالف بين أمتين لا يمكن أن يتحقق الا على شريطة أن لا يقضى على احدهما بالخضوع الدائم

وان روح المسألة التي سادت مناقشاتنا كانت تسمح لنا بالتفاؤل بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذي أمامنا لم يحقق هذا الامل فهو بحالته لا يجعل محلاً للامل في الوصول الى اتفاق يحقق آماني مصر الوطنية

ترجمة تبليغ

من نائب جلالة الملك الى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

يا صاحب العظمة

انه بموجب التعليمات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف أن أرفم الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلالتك فيما يتعلق بالمفاوضات التي جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي باشا . ان حكومة جلالتك قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفاق لمقد معاهدة بين الامبراطورية البريطانية ومصر كانت حكومة جلالتك على استعداد لان توصي جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف ان ذلك المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية في جوهرها واسمة النطاق في نتائجها وانها لا يمكنها أن تبقى محلا لاي أمل في اعادة النظر في المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالتك علم عظمتكم احاطة وافية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها وبالروح التي صدرت عنها تلك الاقتراحات ان هناك حقيقة جليلة سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة هذه العلاقات على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الاهمية للامبراطورية البريطانية ، ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسي بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك في الشرق وجميع الاراضي المصرية هي في الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصر مصر لا يمكن فصله عن سلامة منطقة قناة السويس . لذلك فان حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو في الدرجة الاولى من الاهمية للهند وأستراليا ونيوزيلاند ولجميع مستعمرات وولايات جلالتك في الشرق ويؤثر في سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليوناً من رعايا جلالتك . ثم ان نجاح مصريهم هذه البلاد ليس لان كلاً من

بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل عميلة للآخرى فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو الى مداخلة الدول الاخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة في الماضي قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماماً فعلياً كان المصريون فريسة للاختلال المالي والقوضى الادارية وكانوا تحت رحمة أي قادم ولم يكن في طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبي تلك الوسائل التي تستأصل من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيوية . فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات كرامة فانها مدينة بهذه النهضة على الخموص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها - ان المصريين سلموا من المداخلة الاجنبية واعينوا على انشاء نظام اداري واف وقد تدرب عدد كبير منهم على ادره الامور والحكم واطرد نمو مقدراتهم ونجحت مآلاتهم نجاحاً فوق المنتظر وقد قامت سمادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستقلال . ان بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحاً مالياً أو امتيازاً تجارياً والامة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها

ان شوب نار الحرب بين الدول الاوربية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقاً بين الامبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً ، فكان اعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة وهي انه لا يمكن دفع الخطر عن الامبراطورية البريطانية ومصر مما الابدمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك من الهند و استراليا ونيوزيلاندا ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً وقبورهم في غاليسولي وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا ، قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسه ضرر بفضل جهود

من بعث بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طغيانه ولم يزد دينها . وثروتها الآن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أن الكساد الاقتصادي قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الأخرى . فليس من الحكمة ان الشعب المصري يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله ، ولولا القوة التي أبدتها الامبراطورية البريطانية في الحرب لا أصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر باقدامها وأفنت ثروتها . ولولا نصر الحلفاء لم تكن الآن في مصر أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلا عن حماية أجنبية . فالحرية التي تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع إنما هي مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام في المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذي جعل ائتلافها نافعا لكليهما في الماضي هو دعامه العلاقة التي يجب على كليهما استمرار المحافظة عليها . وعلى الامبراطورية البريطانية الآن كما كان في الماضي أن تحمل على طاقها في آخر الامر مسئولية الدفاع عن أراضي عظمتكم ضد أي تهديد خارجي . وكذلك عليها تقديم المعونة التي قد تطلبها في أي وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم في البلاد . ثم ان حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق في تقديم ما قد تحتاج اليه حكومة عظمتكم من المشورة في ادارة البلاد وتدير ماليتها وترقية نظامها القضائي ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الأجنبية . على ان حكومة جلالاته لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها في حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الأجنبية الأخرى وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي ان استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسي لسلامة الامبراطورية البريطانية ، وحكومة جلالة الملك تأسف على ان مندوبي عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدما يذكر في سبيل الاعتراف بما للامبراطورية البريطانية دون سواها من الاسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسؤوليات

ان شروط المعاهدة التي تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسؤوليات قد ادرجت في مواد للمشروع الذي

سيرفمه الى عظمتكم صاحب الدولة عدلى باشا . وأتم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانية . فان حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الادلة التي قدمها الوفد المصري في هذا الشأن ولكنها لم تستطع أن تقبلها . لان حالة العالم الحاضرة ومجرى الاحوال في مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان في توزيع القوات البريطانية في الوقت الحاضر . ومن الواجب اعادة القول بان مصر هي جزء من مواصلات الامبراطورية . ولم يكذب عيسى جيل على مصر منذ اتقنت من الفوضى . وهناك علامات على انه لا يبعد على المتطرفين في الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية في الهوة التي لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رآته من وفد عظمتكم في الاعتراف بان الامبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوي ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها ، والى أن يحين الوقت الذي يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات ، وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود بريطانية في مصر ، وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه

على انها تعيد القول وتؤكد به بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد بها استمرار الحماية لافعلولا حكما بل بالعكس ان امنيتها القلبية الخالصة هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الامم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالامبراطورية البريطانية بماهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة . ولهذا الغاية التي جعلتها حكومة جلالاته نصب عينها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت امرة ملوكية دستورية » والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر بماهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف » وكانت حكومة جلالاته تأمل ان مصر باعادة وزارة الخارجية ترسل ممثلها في الحال الى الممالك الاجنبية . كما انها كانت على استعداد لتعضيد مصري انضمامها الى جمعية الامم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر في الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات

ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدأ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة

تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن . فلذلك ترغب حكومة جلالة الملك ان تبدي بوضوح حالة موقفها الآن

فنيا يتعلق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالاته تنفيذ اقتراحاتها بدون رضاء الامة المصرية واشترائها ولكن حكومة جلالاته تحافظ على الرغبة التي كانت لديها على الدوام وهي العمل على انهاء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية العالية التي كثر فيها عدد الموظفين الاوربيين . حكومة جلالاته مستعدة لان تواصل بمشاوره حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الاجنبية لاجل إلغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جليا عند ما يحين وقت اصدار التشريع المصري الذي سيحل محل تلك الامتيازات ، وكذلك ترجو حكومة جلالاته ان السلطة التي يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين المدنية المصرية وهي تسر برفع الاحكام العسكرية حالما يصدر « قانون التضمينات » (act of Indemnity) ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر . وهو قانون لا بدمنه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية في مصر

وأما من جهة المستقبل فان حكومة جلالة الملك ترغب أن توضح بمباراة جلية السياسة التي تنوي اتباعها . فقد علمت ان المشروع الذي قدمته الى وفد عظمتكم قد رفض بحجة ان الضمانات التي تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والاجنبية تقضى على التمتع بالحكومة الذاتية تماماً صحيحاً وهي تأسف غاية الاسف على ان استبقاء الجنود البريطانية في مصر واشترائك الموظفين البريطانيين مع وزارتي الحقانية والمالية يساء فهم المراد منها الى هذا الحد . اذا كان الشعب المصري يستسلم الى امانيه الوطنية منها كانت هذه الاماني صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكثر اكرثاً كافيّاً بالحقائق التي تستحكم في الحياة الدولية فان تقدمه في سبيل تحقيق مطمحه الاسمي لا يصيبه التأخر فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً . اذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير من شأن ما على الامة من واجبات وتمظيم ما لها من الحقوق . وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا العمل لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الاثر في مجرى الحوادث قد تحدوا امره بعد حرة الدول الاجنبية في مصالحها واثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في

الاسابيع الاخيرة على التأثير في مصير المفاوضات بندايات مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم، وان حكومة جلالة الملك لا تعتبر انها تخدم مصلحة مصر بتساهلها ازاء تهيج من هذا القبيل ولن يمكن مصر أن تسير في سبيل الرقي الا متى اظهر قادها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قم مثل هذا التهيج . فان العالم يتألم الآن في جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة . وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر أو في غيرها . وان اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود الاجنبية التي يطلبون الخلاص منها أشد لزوماً وبذلك يطيلون أجلها

واذ الامر كذلك فان حكومة جلالة الملك مراعاة مصلحة مصر ومصالحها الخاصة أيضاً ستستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كرشدة لمصر وأمانة على مصالحها . ولا يكفيها أن تعلم ان في استطاعتها العودة الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد التبذير والاضطراب الذي لازمها في القرن الماضي فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدىء به في عهد اللورد كرومر لا أن تبدأ من جديد وهي لا تنوي أن تبقي مصر تحت وصايتها بل بالمعكس ترغب في تقوية عناصر التمير في الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها وتقريب الوقت الذي يمكن فيه تحقيق المطمح الوطني تحقيقاً تاماً . ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لاجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظهر الشعب المصري أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلي وما يترتب عليه حتماً من تدخل الدول الاجنبية

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصري يقوم على تآزره مع الامبراطورية البريطانية لا على تنافرهما . وحكومة جلالاته لرغبتها في هذا التآزر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث في أية طريقة قد تعرض عليها لاجل تنفيذ اقتراحاتها في جوهرها وذلك في أي وقت تريده حكومة عظمتكم، على أنهما مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف تلك الضمانات الجوهريّة التي تشتمل عليها . وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر في أيدي الشعب المصري نفسه . فكما زاد اعتراف شعبكم

بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما قلت الحاجة الى هذه الضمانات. وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم في هذا العهد الثاني من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطني المعروض عليهم الآن وبالالتزام جانب الحكمة في العمل به أن المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية في بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدرج . ١٥

(المنار) قد صدقت الاحداث جميع ما قررناه في المسألة المصرية في الجزء السابع وجاءت الوقائم بما توقعناه من فشل مفاوضة الوفد الرسمي للحكومة البريطانية واستغفاء وزارة عدلي باشا فكان ما أحدثه اختلافها مع الوفد - او سعد - من الشقاق، سبب حرمانها مما تبغي من الاتفاق، وكان فشلها خيرا لمصر من نجاحها، فانه أزال غرور جميع محسني الظن بالدولة البريطانية وأبطل تقرير الانتفاعيين الذين كانوا يمدعون بها الأمة، فشروع (كرزون) الصادع، خير من مشروع (ملتر) الخادع، اذ أظهر للعالم والجاهل والذكي والغبي أن بريطانيا لا تبغي من المصريين الا الاعتراف لها بأنها سيدة مصر والسودان والمالكة لها ولاهلها، ولئن كان لورد كرومر هو المسترق، فكرزون هو المهرج بحفزه الأمة الى الخروج من هذا الرق، وإنما الفضل للسلطة العسكرية التي أرهقت البلاد، وأجبرت وزراء لندن على إمادة حجاب الرياء. ونكتفي بأن نقول في هذه التعليقة المجلى على هذه الوثائق الرسمية إن بريطانيا كانت تظن أن هذا الطفيان والجبروت والمظموت والتهديد بقوة السمير العسكري لا بد أن يرهب مصر الفتاة العزلى فتخر ساجدة بين يدي القائد النبي فاتح القدس قائلة غفرانك غفرانك نحن عبيد بريطانيا العظمى صاحبة الحق في أموالنا ودمائنا وأرضنا وسمائنا فهما تمنحنا في حكم بلادنا من وظيفة أو منصب، أو حق مأكّل أو مشرب، فهو فضل وسخاء منها نقابله بالحمد والشكر، ومهما تستأثر به من الحكم والتصرف والمنافع ومن رقبة الارض فهو من تصرف المالك في ملكه وان سمي في العرف العام والخاص مصادرة وظلما كذب ظن بريطانيا فان الأمة قد هبت كلها للانكار الشديد على المذكرتين ورفضهما أشد الرفض وفي مقدمتها زعيمها الاكبر سعد باشا وأعضاء الوفد داعية الى الاتحاد على ذلك وعلى الاصرار على الاستقلال التام المطلق بلسان جميع أحزابها وصحفها. فأمر القائد النبي سعدا ومن معه باعتزال السياسة والخروج من

القاهرة إلى الريف — فردوا الأمر فاعتقلوا ونفوا من مصر — فثارت البلاد ثورة اجتماعية عامة لم يصدها عنه الخوف من الجند البريطاني الذي ملأ العاصمة وغيرها من المدن معززا بالسيارات المدرعة والطائرات المهتدة وعاد أعضاء الوفد المشاقون فأتحدوا مع الباقين يعملون في بيت الامة ، وبرزت الى ميدان السياسة عقيلة الزعيم التي أبت مرافقته لتحل محله في خدمته فألقت على أعضاء الوفد خطابا من وراء حجاب ، ذرفت منه العيون واضطربت الالباب ، ثم جمعت شمل النساء على مقاومة الخضم بمقاطعة تجارته ، وتربية الاولاد على بغضه وعداوته ، وعم التظاهر بالاستياء والاحتجاج على المذكرتين ونهي الزعيم وأعضاء الوفد في الجرائد وغيرها من جميع الاحزاب والجماعات الرسمية وغير الرسمية من دينية ومدنية حتى أن رؤساء الكنيسة القبطية قرروا ترك الزيارات والتهاني بعيد الميلاذ ورأس السنة ، والحت الوزارة العدلية بقبول استقالتها وتعدرت تأليف وزارة جديدة تنفذ لسلطة البريطانية ما تريد لشدة الاحتجاج من الرأي العام الامة حتى الذين كانوا يسمون العدليين أو الحكوميين والوزاريين . وتواترت الوفود من جميع أرجاء القطر رافمة احتجاجها الى القصر السلطاني على المذكرتين ونهي الزعيم ومن معه الخ واستقر رأي السواد الاعظم على مقاطعة التجارة الانكليزية ورجال الانكليز . وأخيراً أصدر الوفد قراراً شديداً في هذا المعنى نشر في بعض الجرائد فعطلتها السلطة العسكرية واعتقلت أعضاء الوفد الذين وقعوه فحل محلهم أفراد آخرون بلا خوف ولا وجل ، ولا غرو فان كل ما حصل فهو خير لمصر اذ لا تتربى الامم الا بالشدائد ، وشر للانكليز لانه وضع للقوة العسكرية القاهرة ، في موضع سياسة الحكمة والدهاء الساحرة ، فاذا أصروا على ذلك كانوا هم الخاسرين ، واذا أصرنا على طلب حقنا كنا نحن الفائزين ، والعاقبة للمتقين

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ باحثة البادية ﴾

« بحث انتقادي بقلم الأنسة مي »

قد اشتهر هذا الكتاب بين الناطقين بالضاد في كل قطر تنشر فيه أو تقرأ الصحف العربية فقد قرظته صحف القطر المصري فالقطر السوري فسائر

الجرائد العربية في سائر الاقطار، فكان له في صفحاتها أجمل الذكر والثناء. اذ كان غربيا في بابه، عديم النظير في الكتب العربية في نفسه، وفي كون منشئته فتاة عربية تترجم عقيلة عربية بأسلوب عربي جم بين تأثير الشعر ودقة الفلسفة وتحقيق التاريخ وقد عرف قراء هذه الصحف أن « باحثة البادية » لقب أدبي منتحل للادبية المصرية الشهيرة فقيده الاصلاح (ملك ناصف) عقيلة عند الستار بك الباسل (رحمها الله تعالى) كانت تتنكر على به على عادة ربات الحجال المسلمات في عصرنا، وان (ميا) لقب ادبي منتحل للادبية المصرية النشأة السورية الاصل الآتية (ماري زيادة) أتم الله الآداب العربية بطول حياتها، وأن هاتين النابتين للمريبتين قد فاقتا جسيم بنات جنسها في هذا العصر، بل تفاخر مصر العربية بها بنات كل شعب وكل مصر،

نشر هذا الكتاب مطبوعا منذ سنتين وأهدته الي المؤلفة وأنا في دمشق فكانت مطالعته مروحة لنفسي مما أكابد من اعمال رياسة المؤتمر، وسياسة الوطن، وتبريح المرض، والبعد عن الاهل والولد، فتوجهت الارادة الى العناية بتقريظه، والاستقصاء لوصفه، والبحث في نقده، على إثر التأثر بقراءته، فحالت دون ذلك كارثة زحف الجنود الفرنسي على الشام، واسقاطه لحكومتها المبنية على اساس الاستقلال، واشتداد المرض، ومنع المعتمد البريطاني اياي من العودة الى وطن السكن، فأحلت امر تقريظه الى من كان يقرظ غيره من المطبوعات التي تهدي الى المنار، على ما كان من تقصيره في حقوق المهذب والقراء، فخرى فيه وفي كثير من الكتب على مذاهب الارجاب، وحسبي من قضاء حقه هذا التنويه الآن، وأرجو أن أعود اليه في وقت اطيل فيه البحث في شؤون تربية النساء

﴿ كتاب المسألة الشرقية ﴾

المسألة الشرقية في علم السياسة أهم من مسألة التحسين والتقبيح العقليين في علم الكلام، وأعتقد من مسألة تربيعة الدائرة في علم الهندسة، ونحن الشرقيين أحوج الى الاحاطة بها والوقوف على عللها ومعلولاتها منا الى العلم بسائر مسائل السياسة ومستمدتها من علم التاريخ

وقد كان اكثر أهل الشرق غافلين عن هذه المسألة لعدم المنبهات، الموقظة من ذلك السبات، ولهذا افترضنا مسألة تألم العالم الاسلامي من مسألة طرابلس الغرب وبرقة فكتبنا عشر مقالات بعنوان المسألة الشرقية نشرناها في المؤيد

ثم في المنار، فكان لها تأثير عظيم ذكرناه في محله من قبل. ثم جاءت الحرب الكبرى وماتلاها من الهدنة وبناء قواعد الصلح بين الدول الغربية على حل المسألة الشرقية حلانهايا فتم تنبه أذهان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة للبحث في هذه المسألة فبعث ذلك حسين لبيب أفندي أستاذ التاريخ في مدرسة القضاء الشرعي على وضع كتاب وجيز في المسألة نشرته مجلة الهلال المصرية ثم طبعته على حدته في جزء بلغت صفحاته ١٢٠ ص من قطع المنار وهو خاص بطور المسألة الشرقية العثمانية التركية، وقد استمد مسأله من كتب التاريخ العربية والافرنجية والجراند. وهو مؤلف من مقدمة في التعريف بالمسألة وستة فصول بين فيها معنى المسألة وأسباب ضعف الدولة وما كان من نهضة الدولة الروسية وقتالها ايها لحل المسألة الشرقية، والانقلاب العثماني الاخير ومسألة استقلال العناصر، وخاتمة في حال الدولة العثمانية في الحرب العظمى ومعاهدة سيفر المقررة للقضاء على سلطنتها (ونحمد الله تعالى ان أماتها عقب ولادتها) والكتاب مزين بصور عظماء رجال الدولة من المتقدمين والمتأخرين ويتصل به خريطة تاريخية لاملاك الدولة في القرن الماضي. فنحث كل من يهمه أمر الشرق والدولة العثمانية من قراء العربية أن يطلع هذا الكتاب المختصر المفيد

﴿ مفاوضات الانكليز بشأن المسألة المصرية ﴾

نشر أمين بك الرافي مدير جريدة الاخبار في العام الماضي مقالات في الاخبار في تاريخ اعتداء الدولة البريطانية على البلاد المصرية واحتلالها ايها وماتبع ذلك من الوقائع والاحداث والمفاوضات السياسية الدولية في شؤون هذه البلاد كشف فيها القناع عن الدهاء والرياء والخداع الانكليزي الذي يجب على كل مصري وكل عربي بل كل شرقي أن يعرفه ويعتبر به ، وكنا كلما قرأنا مقالة من تلك المقالات نرى وجوب حفظ الجريدة لاجل الرجوع اليها ثم نتمنى لو تجمعت تلك المقالات في كتاب خاص. وكان يتمنى ذلك مثلنا كل من يعرف قيمتها وشدة الحاجة اليها وما كان من تعب الكاتب في جمع تلك الحقائق وبراها في الصيغة النافعة المؤثرة ، وقد كاشف الكاتب بذلك كثيرون منهم واقترحوه عليه فأجابهم اليه ، وطبعت المقالات على ورق جيد فكانت كتابا تاريخيا سياسيا جليلا بلغت صفحاته ٢٧٠ من قطع المنار فنحث كل من يعنى بالسياسة من قراء العربية على قراءة هذا الكتاب مراراً، وتتمنى لو ينتشر في جميع الاقطار العربية ولا سيما المخدوعة منها الى اليوم بالسياسة الانكليزية ،

وثن النسخة منه ٢٥ قرشاً مضمراً تضاف إليها اجرة البريد

﴿ كتاب الارشادات الصحية والاسعافات الوقائية ﴾

الاطباء أنعم العلماء بسنن هذا الكون للبشر وأكثرهم قد قصر نفعه على معالجة المرضى التي هي حرفتهم ومنهم أفراد ينفعون الناس بعملهم هذا وبما ينشرون من الكتب النافعة وهم قليلون، وأقل منهم من لا تقف همته عند هاتين الخدمتين العملية والعملية بل تتجاوزها الى السعي لانشاء المستشفيات والملاجيء للفقراء وغير ذلك من الاعمال الاجتماعية التي ترقى بها الامم — والدكتور عبد العزيز بك نظمي من هؤلاء الافراد، الذين تفتخر بهمته هذه البلاد، فهو على كثرة عمله في عيادته الذي هو حق الحرفة، وعمله في مستشفيات الاوقاف بما توجب عليه الوظيفة (حكماشي مستشفيات الوزارة) وعمله في ملجأ الحرية الذي أسس بسعيه الحميد، يجد سعة فيما يقتصد من وقته للتأليف، فله عدة كتب باللغة العربية أكثرها في تربية الاطفال ومعالجتهم — وهو اخصائي في ذلك — وأخرى باللغة الفرنسية. وآخر ما كتبه هذا الكتاب الذي نحن بصدد تقريره فقد نشره بالطبع في أول هذا العام، واسمه يدل على مسماه، وهو يتألف من مقدمة وأربعة أقسام

فالمقدمة في التعريف بقانون الصحة، والقسم الأول في الارشادات الصحية المتعلقة بالاغذية والاشربة والماء والهواء والنور والنوم والملابس والرياضة ومضار المسكرات والمخدرات، والثاني في التمريض وفيه ٣ فصول، والثالث في الامراض الكثيرة الانتشار في الظاهر والباطن وطرق اتقائها، والرابع في الاسعافات الطبية بانواعها، ويتلوها بيان الصيدلية المنزلية، أي ما ينبغي ان يكون في كل دار من الملاجيء والمطهرات والادوات التي تشتد الحاجة اليها ولا سيما للاسعاف عند حدوث مرض أو حرق أو جرح أو لدغ أو لسع، وعبارة الكتاب سلسة، يفهمها كل متعلم ومتعلمة، وان لم يخل كماكثر المطبوعات المصرية من أغلاط لفظية يحسن تصحيحها في الطبعة الثانية، وفيه عدة صور ورسوم لايضاح بعض المسائل. وجملة القول فيه انه ينبغي ان لا يخلو منه بيت من البيوت ولا أن يجهد ما أودعه رجل ولا امرأة، فكل ذلك من الضروريات التي لا يستغنى عنها. وصفحاته ١٧٠ من قطع كتاب الاسلام والنصرانية. وثن النسخة منه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد، وهو يطلب من مكتبة المنار (تنبيه) ضاق هذا الجزء عن سائر المواد الموعود بها ومنها البدء بالرحلة الاوربية

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

بيني الملكة من بقاء ومن يؤت الملكة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ونارا » كمنار الطريق —

٣٠ جادى الآخرة ١٣٤٠ - الحوت (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٢

فتاوی المنار

فتحنهاذا الباب لاجابة أسئلة المشترکین خاصة اذ لا یسع الناس عامة، ونشترط علی السائل أن یرین اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن یرمز الی اسمه بالحروف أو یعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمننا متاخراً لسبب كحاجة الناس الی بیان موضوعه ، وربما أجبنا غیر مشترك لئلا هذا ، ولمن مضى علی سؤاله شهران أو ثلاثة أن یذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحیح فی إغفاله

رجم الایم بالزنا

(س٤) من صاحب الامضاء أحد تلامبذنا المصریین فی دارالدعوة والارشاد إنکم - فی تفسیر قوله تعالى (فاذا أحصن فان أتین بفاحشة الخ) من سورة النساء (جزء خامس ص ٢٥-٢٦) استنكرتم رجم الایم وقتلم لم یرد فیہ حدیث صریح . أفلیس حدیث عبادة عند مسلم مرفوعاً (خذوا عني . قد جعل الله لهن سبیلاً . الثیب بالثیب الرجم) الرجم والثیب هو غیر البکر فهو شامل للایم ولندي الزوج . وحدیث عمر عند الشیخین - واللفظ للبخاري ؛ قال : الرجم فی کتاب الله حق علی من أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البینه أو كان الحبل أو الاعتراف . قال شارحه صاحب الفتح : أي اذا وجدت المرأة الخلیة من زوج أو سید حبلی ولم تذكر شبهة أو اكرهاً الخ وهو كما قال والا

فكيف يكون الجبل دليلاً على الزنا الا اذا كانت خلية من زوج وسيد لقوله صلعم (الولد للفراش وللماهر الحجر) فاطلاق حديث مسلم وتفصيل حديث الصحيحين يفيدان أن حكم الايم في الزنا الرجم كحكم ذي الزوج سواء فكيف تقولون: لم يرد في ذلك حديث صريح؟

(ج) قد راجعت قبل البدء بكتابة هذا الجواب نص عبارتي في تفسير الآية وهو «ولا أذكر أنني رأيت حديثاً صريحاً في رجم الايم الثيب» وقد كنت كتبت في حاشية نسختي الخاصة بازاء هذه العبارة ما نصه:

«كان الاولى تقديم الثيب على الايم - والمراد رجم من كانت كذلك بالفعل لا بالقول وقد يقال انه يدخل في عموم حديث عبادة بن الصامت عند أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه ان على الثيب الجلد والرجم، وعلى البكر الجلد والنفي، ولكن أكثر الفقهاء لم يأخذوا بهذا الحديث اذ لم يجمعوا بين الجلد والرجم - وفيه احتمال ان يراد بالثيب فيه المحصن بالفعل وهو ذو الزوج. وفي أثر عمر في الصحيحين وغيرهما ان حمل المرأة المحصنة دليل على الزنا موجب للرجم - ولم يأخذ كثير من الفقهاء بهذا كالشافعي والكوفيين وقال النووي في شرح مسلم ان هذا مذهب عمر. وأقول صح عنه انه لم يعمل به في قصة المرأة الجبل التي اعترفت له في منى بان رجلاً جامعها وهي نائمة ولم تعرفه» اهـ

كتبت هذا لما يقع من الاشتباه فيه لايضاحه عند التوسم الذي وعدت به، وأزيد الا ان الجمهور قد تركوا العمل بحديث عبادة للجزم بنسخه واستدلوا على ذلك بأن النبي (ص) نفسه لم يعمل به فهو لم يجمع بين الرجم والجلد في حد ما عز والغامدية المتأخر عن ذلك الحديث. والتحقيق في اللغة ان الثيب المتزوج كما يعلم من المصباح واللسان. وعلوه بأنه من ثاب بمعنى رجع فالبكر ترجع بالزواج الى صفة أخرى تسمى بها ثيباً والاييم ترجع وتثوب من رجل الى آخر فهي انما تسمى ثيباً باعتبار ما آلت اليه لاما كانت فيه فلا غرو اذا وردت في الحديث بمعنى المحصن. وما ذكره عن عمر (رض) ليس بحديث فيمد حجة ولو كان حديثاً مرفوعاً لاخذ به الشافعي والحنفية. على ان عمر قد عبر بالاحصان، وكون الولد للفراش لا يمنع ثبوت حمل المحصنة بالزنا فان له صوراً لا تخفى. ثم إن مذهب عمر في رجم الثيب المحصن من ذكر وأنثى قد أخذه من روايته في رجم الشيخ والشيخة اذا زنيا وكونه قرآناً وهو شاذ لم يثبت (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد الثالث والعشرون)

كونه قرآناً، ولو ثبت لوجب ان يكون خاصاً بالشيخ والشيخة لانه الشيخوخة وصف ترتب عليه الحكم فأفاد كونه علة له كقوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » وحكته ظاهرة ولو كانا غير محصنين فإن الزنا في سن الشيخوخة فساد كبير ويستحق أقصى العقوبة ولذلك ورد في الحديث الصحيح أن الشيخ الزاني لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم كالفقير المستكبر .
وأما ثبوت الرجم بالسنة فلم ننكره وإنما كان البحث فيما دل عليه قوله تعالى (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)
وحديث أحمد والبخاري ان النبي (ص) « قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام واقامة الحد عليه » وهو الجلد بالاجماع ، وكون خكمة الشرع تقتضي ان يكون الاحصان ثابتاً بالفعل - فهل ينقض هذا كله حديث عبادة المنسوخ ومذهب عمر الذي خالفه فيه جمهور المسلمين ؟

(ما معنى الاستطاعة في الحج)

(س ٥) ومنه

فسروا الاستطاعة بالزاد والراحلة - وهذا اجمال - فثلا رجل يملك قطعة أرض زراعية أو بيتاً ويخرج له من ذلك ما يكفيه هو ومن يعوله كفاية القصد او الضرورة واذا باع أرضه او بيته حصل على ثمن يكفيه مدة وتوفر له بعد ذلك ما يحج به فهل يقال : ان هذا الرجل غير مستطيع نظراً لغلة ملكه او مستطيع نظراً لثمن ملكه؟ افيدونا مأجورين عبد الرزاق حمزه

(ج) بينا في تفسير قوله تعالى (من استطاع اليه سبيلاً) في أول الجزء الرابع من التفسير أن أمر الاستطاعة منوط بالافراد يختلف باختلاف أحوالهم البدنية والمالية وان كل امرئ أعلم بنفسه ممن هو أعلم منه بالاحكام والنصوص حتى إن المسائل الخاصة التي اشبه فيها المسائل تختلف باختلاف أحوال الناس في صحتهم وهمتهم ومعايشهم ومعايش من يعولونه فمنهم من لا يضره بيع بيته أو أرضه لينفق منها أو ينفقها على سفره لاداء فريضة الحج ومنهم من اذا باع بيته لا يجد لنفسه ولعيله مأوى سواه وإذا باع أرضه القليلة التي يعيش مع من يحب عليه تفقتهم من زرعها لا يستطيع أن يعول نفسه وعياله من عمل يغنيه عنها ، ومنهم من ليس كذلك، كمن يحسن صناعة أو خدعة يجد فيها كفايته، فقي فهم

كف الحكم فله أن يجتهد في تنفيذه والعمل به كاجتهاده في القبلة وغيرها عند حاجة ويعتذر إذا أخطأ في اجتهاده بل يؤجر أيضا إذا لم يقصر فيه ولم يكن منه العثور على شبهة يتوكل عليها في التفصي من أداء الواجب والله أعلم

(التقليد والتلفيق فيه، وتقليد غير الاربعة)

(س ٦ و ٧) من صاحب الامضاء في بيروت (سورية)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ المحترم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي اجبا التكرم بالاجابة عليه ولسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومني عظيم الشكر: في حاشية العلامة الشيخ يوسف الصفتي المالكي على الشرح المسمى بالجواهر الزكية على ألفاظ المشاوية للعلامة الشيخ أحمد بن تركي المالكي في باب فرائض الوضوء ما نصه :

«واعلم أنهم ذكروا للتقليد شروطاً إلى أن قال (الثالث) أنه لا يلفق في العبادة أما إن لفق كأن ترك المالكي ذلك مقلداً لمذهب الشافعي ولم ييسم لمذهب مالك فلا يجوز لأن الصلاة حينئذ يمنعها الشافعي لفقد البسمة ويمنعها مالك لفقد ذلك ثم قال بعد ذلك وما ذكروه من اشتراط عدم التلفيق رده سيدي محمد الصغير وقال المتمدن أنه لا يشترط ذلك وحينئذ فيجوز مسح بعض الرأس على مذهب الشافعي وفعل الصلاة على مذهب المالكية وكذا الصور المتقدمة ونحوها وهو سعة ودين الله يسر»

فهل إذا اغتسل غسلاً واجباً أو توضأ وضوءاً واجباً من ماء قليل مستعمل في رفع حدث مقلداً لمذهب الامام مالك وترك ذلك مقلداً لمذهب الامام الشافعي وترك النية مقلداً لمذهب الامام أبي حنيفة يكون غسله ووضوءه صحيحاً مثل الصورتين المتقدمتين أم لا - وهل هناك فرق - وهل يجوز التلفيق من مذاهب الأئمة الاربعة في قضية واحدة كغسل واجب أو وضوء واجب أو تيمم واجب أو صلاة واجبة وغير ذلك من العبادات والمعاملات

وهل يجوز تقليد غير مذاهب الأئمة الأربعة كذهب الامام داود
الظاهرى وأصحابه ومذهب الامام أبى ثور ومذهب الامام سفيان الثوري
ومذهب الامام ابراهيم النخعي ومذهب الامام ابن أبى ليلى ومذهب الامام
الاصم ومذهب الامام عبد الرحمن الاوزاعي ومذهب الامام اسحق بن راهويه
ومذهب الامام حماد بن أبى سليمان ومذهب الامام ابن المبارك ومذهب الامام
الليث ومذهب الامام الحسن بن صالح ومذهب الامام الزهري ومذهب الامام
زيفر ومذهب الامام محمد بن جرير الطبري وغيرهم من الأئمة المجتهدين ومذاهب
الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين في العبادات والمعاملات أم لا
وهل يجوز التلفيق من مذاهبهم في قضية واحدة كغسل واجب أو وضوء
واجب أو تيمم واجب أو صلاة واجبة وغير ذلك من العبادات والمعاملات
أم لا؟ تفضلوا بالجواب ولكم من الله عظيم الاجر والثواب ما السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي

الشافعي مذهباً

بيروت

(ج) أن أكثر أحكام العبادات مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة
لتواترها بالعمل وشهرة النصوص فيها فلا تقليد فيها ، ومنها ما ثبت في السنة
على وجوه أو بألفاظ مختلفة كالتشهد في الصلاة ودعاء الافتتاح والوصل
والفصل في الوتر وغيره، أو ثبت فعله تارة وتركه أخرى كالتنوت في الصبح
ورفع اليدين عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الاول، فأخذ بعض العلماء بهذا
وبعضهم بذلك - والخطب في هذه سهل اذ العمل بكل ما ثبت في السنة صحيح
لا يضر العامل اختلاف الرواة واعتماد الفقهاء لبعضها دون بعض وأما المسائل
الاجتهادية التي وقع فيها الخلاف بين علماء الأمة للاختلاف في فهم النصوص
أو مسالك العلة في الاجتهاد فالواجب فيها اتباع قوله تعالى (فان تنازعتم في
شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية
ولا خلاف بين أئمة الدين في وجوب هذا الرد ولا في كون الرد الى الله هو
الرجوع في المسألة الى كتابه وكون الرد الى الرسول هو الرجوع فيها الى سنته
فن وجد نصاً من الكتاب أو السنة يرجح بعض قول العلماء المختلفين على بعض
وجب عليه اتباعه حتماً ولا يجوز له تركه الى اجتهاد أحد ، والا أخذ بقول

من ترجح عنده دليله اذا اطلم على تمارض أدلتهم ومن لم يكن أهلاً لذلك يستفتي فيما يمرض له ويشكل عليه من يثق بعلمه ودينه سواء كان قد تلقى الفقه على مذهب زيد من الأئمة أو مذهب عمرو فجميع الأئمة المشهورين ممن ذكرتم ومن لم تذكروا كأئمة آل البيت النبوي عليهم الرضوان والسلام على هدى من ربهم في تحري الحق باجتهدهم ، ولا يضره اختلاف مذاهب المفتين والمفتدين وان أدى في بعض المسائل الى التلقيق الذي اختلف المقلدون في جوازه فان التلقيق بهذه الصفة كان شائعاً في عامة السلف اذ لم يكن أحد من عوامهم يلتزم العمل باجتهد فقيه معين ولا بروايته . على أن للتلقيق صورة لا يفتي بها عالم وهي التي اطلق بعضهم منع جواز التلقيق لاجلها لانها ضرب من التلاعب بالدين اتباعاً للهوى ، أو تتبعا للرخص وهي أن يأتي المقلد بعمل لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس صحيح ولم يقل به أحد من الأئمة المجتهدين بل ركب هذا المتلاعب من عدة أقوال اجتهادية على النحو الذي ذكره السائل وقد مثل له بعضهم بمن يتزوج باسرة بالتعاقد معها بغير ولي اتباعاً لابي حنيفة وغير شهود تقليداً لمالك مع عدم اشهار الزواج واعلانه الذي يستغني به مالك عن الشهود ، ومنعوا تتبع الرخص أيضاً فيما لا تلقيق فيه وهذا المبلغ حق ظاهر في الرخص الاجتهادية فان للعلماء هفوات لا يؤخذون عليها وليس من التقليد المباح تتبعها والعمل بها وأما الرخص الثابتة بالكتاب والسنة فلا حرج في تتبعها ولكن لا تجمل كالغزائم في المواظبة عليها

وأما سبب ما اشتهر بين مقلدة المتأخرين من وجوب حصر التقليد في مذاهب الفقهاء الاربعة فهو انها قد دونت واتسع فيها التخريج والتفريم فصارت كافية للناس ، فليس في هذا غضا من مقام علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المجتهدين ولكن يشاركها فيما ذكرنا مذاهب أئمة أهل البيت الذين يسند اليهم فقه الزيدية والامامية من الشيعة .

وهذا لا يمنع الاخذ بقول سائر علماء السلف التي يرويها عنهم المحدثون والفقهاء في كتبهم المعتمدة بشرطه الذي يجوز به الاخذ بقول أحد الاربعة وأئمة العترة الطاهرة . وقد فصلنا القول في بطلان التقليد ومضاره والتلقيق في مقالات المصلح والمقلد التي جردت من المنار وطبعت في كتاب مستقل وفي غيرها من مجلدات المنار فليراجعها السائل ان شاء التوسم في هذه المسألة .

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محي الدين آزاد	المليح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بيغام) الهندية

٢

(اجتماع القوى والمناصب وانتشارها)

لما كان المسلمون سائرين على هذا الناموس الالهي — ناموس الاجتماع والائتلاف — كانوا في الذروة العليا من التقدم والرقى ، ولما حادوا عن هذا السبيل القويم سقطوا وانحطوا ، فحل محل الاجتماع الانتشار — فتفرق جمعهم وتمزق شملهم ، وتبددت قواهم ، فكانوا قوماً بوراً ! ولم تقتصر هذه البلية على جانب دون جانب ، بل عمت وأحاطت الامة من جميع الجوانب ، وهي لا تزال ضاربة بأطنابها منذ الف وثلاثمائة سنة ، بل أخذت في الازدياد وما يمر يوم الا وتشد وطأتها فيها —

وقد لهج الناس كثيراً في انحطاط المسلمين ، فعلموا له عللاً ، واخترعوا له أسباباً — غير أن القرآن الحكيم والسنة النبوية والعقل الصحيح لا يقيم لهذا القين والقال والترثرة وزناً ، ويرى أن الفساد والانحطاط نتيجة الانتشار والتشتت فقط ، وكل ما عدا هذا من العلل والأسباب فتفرعة منه ، وراجعة اليه ، فعلة سقوط المسلمين واحدة لا اثنتين ، وإن سميت بأسماء مختلفة ، وذكرت بألفاظ عديدة نعم قد عمت الفوضى جميع شؤون الامة ، غير أننا نذكر ههنا واحداً منها فنقول : كان النبي (صلم) صكراً للامة الاسلامية تركز عليه ونقطة لقواها تجتمع عليها ، فلهذا لم يخل بوفاته محل نبي وحامل شريعة فقط ، بل قد خلا محل

مركز جامعة الامة ومصدر قواها وتفوذها وحكومتها الى غير ذلك من الاوصاف والخصائص التي كانت مجتمعة في شخصه الشريف - إذ أنه لم يكن كالمسيح عليه السلام مملوما واعظا ، ولا كالمملوك الذين فتحوا وحكموا ودمروا وخرّبوا ، أو عمروا وشادوا ، بل كان صلى الله عليه وسلم جامعاً لصفات ومزايا كثيرة في حين واحد فيكون نبي الله ورسوله وهادي الخلق وواعظهم وواضع الشريعة ومؤسس الامة وحاكم البلاد وصاحب السلطة - فحينما يقوم في المسجد على المنبر المستقف بجذوع النخل وجريده يفسر الوحي الالهي ويكشف عن خفايا أسباب السعادة الانسانية ، فهو إذ ذاك معلم الاخلاق وواعظ الخلق - وتارة يقسم في صحن هذا المسجد نفسه خراج اليمن على الناس ، ويسير الجيوش الى ميادين الوغى ، فهو حينئذ حاكم اداري وسياسي ، ثم تراه يصلح نظام البيوت والعائلات وينفذ قوانين الطلاق والنكاح - وبينما هو هكذا اذ تأتيه الاخبار بقدم الاعداء ، فيأخذ سيفه على عاتقه ويهب اليهم ويناضلهم في بدر واحد وتبوك ، ثم تراه داخلا كفاتح عظيم في مكة ، فيملكها ويكون له السلطان فيها فيمنّ على هامات قریش وسادات العرب بالعتق ، ويقيم بامر الله ميزان القسط ، ولا غرو فالنظام الاسلامي يوجب ان تجتمع قوى الامة ومناصبها في مركز واحد ، اذ هذا الدين الحنيف الفطري لم يفرق بين الدنيا والآخرة ، بل جمعها في سلك واحد ، وجعل الشريعة والحكومة شيئاً واحداً ، وأخبر ان الله سبحانه انما يرضى عن الحكومة التي يقوم بناؤها على أساس الشريعة الاسلامية ، لاعلى قوانين الاهواء البشرية ، ولذا كان صاحب الشريعة (ص) مركزاً لقوات الامة الكثيرة ، ومرجعاً لشؤونها المختلفة ولما لحق النبي (صلم) بربه . قام في مقامه خلفاؤه الراشدون ، فكانوا خير الخلفاء لسلفهم ورسولهم ، وكانوا بذلك جامعين لسائر شؤون الامة الدينية والسياسية ، وقابضين على جميع قواها ، ومشرفين على مناصبها كلها ، فكانت خلافتهم كالنبوة قائمة على أساس اجتماع القوى والمناصب ، ولذا سميت « بالخلافة الراشدة » و « الخلافة على منهاج النبوة »

وليعلم ان منصب النبوة يشتمل على وظائف كثيرة ، منها تلقي الوحي الالهي ، وتشريع القوانين والاحكام الدينية والسياسية - وصاحب هذا المنصب معصوم وغير مسئول لدى الخلق - ولقد ارتقم هذا المنصب بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلت الشريعة ، وتمت نسمة الله على الخلق - فلا نبوة بعده

نبوته ، ولا شريعة بعد شريعته ، ولا حق في التشريع لاحد بعده (صلعم)
لأن الشيء اذا بلغ منتهى الكمال لا ينسخه شيء آخر ، اذ هذا مناف لكأه ،
ومظهر لنقصه - قال الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً »

نم تمت هذه الوظائف النبوية الأساسية ، ولكن بقيت لها وظائف أخرى
فرعية ، وستبقى على حالها ما بقي من الناس باق ، وقد عبر عنها النبي (صلعم)
بعبارات مختلفة ، فقال عن عمر رضي الله عنه انه « محدث هذه الامة » وقال
عن العلماء إنهم « ورثة الانبياء » وقال « الرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءاً
من النبوة » وانه « لم يبق الا المبشرات » وحديث « التجديد » أيضاً من هذا النوع
خلفاؤه الراشدون كانوا خلفاءه في جميع وظائفه النبوية غير تلقي الوحي
وحق التشريع ، اذ هما خاصان به ، لا يشاركه فيهما أحد من الخلق^(١) - فكانوا
مثله خلفاء الله في أرضه ، وأصحاب السلطان والنفوذ فيها ، وسواس الامة
وقواد الجيوش وقضاة المحاكم ، وأصحاب الاجتهاد والفتيا ، ومنظمي البلاد ،
وظاهي الاقطار ، وحكام الامة والشعوب ، وذلك لان « الخلافة والامامة »
في ذاتها كالنبوة مشتملة على الدين والدنيا ، وخليقة المسلمين كنبهم مجتهد

(١) المنار. حق التشريع في الاسلام لله فهو الذي شرع الدين وأحل الحلال وحرم
الحرام. واختلف العلماء في كونه تعالى أعطى للنبي أن يشرع من تلقاء نفسه ابتداءً
أم لا ، فذهب الجمهور الى ان جميع ما ثبت في سنته من الاحكام فهو بوحي من الله
تعالى غير القرآن أو باجتهاد في فهم أحكامه والاستنباط منها ، وهم دلائل كثيرة على
هذا أظهرها اسناد الشرع اليه تعالى بقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي أوحينا اليك) الخ وقوله (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) واذ
أطلق عليه (ص) لقب الشارع فانما يراد به على هذا القول مبلغ الشريعة ومبينها
وقال بعضهم ان الله أذن له بالتشريع عن تلقاء نفسه واستدلوا بتجرعه للمدينة كما
حرم ابراهيم مكة أن يباح صيدها أو يعضد شجرها أو يخلت خلاها (أي يقطع
حشيشها) وما قال له عمه العباس : الا الاذخر يا رسول الله - وهو نبات عطر
كانوا يضعونه على الموتى عند دفنهم قال « الا الاذخر » ووراء هذا التشريع الديني
ما جعل الله أمره مفوضا الى الرسول والى أولي الامر يقررونه بالمشاورة وهو جميع
ما يتعلق بالمصالح الدنيوية ويسمى في عرف علماء الحقوق والقوانين تشريعا وسنعود
الى بيانه عند الكلام على أولي الامر

ديني ، وحاكم سياسي - فكنيت ترى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مثلاً في دار شوراہ بالمسجد النبوي يقضي في المسائل الدينية من حيث انه مجتهد وفقهه ويقضي ويحكم بين الناس من حيث إنه قاض وحاكم - وينظم الجيوش ويفرق عليهم الجراية من حيث إنه ناظر الحربية - ويضم الخطط الحربية من حيث إنه القائد العام - ويقابل سفراء الروم من حيث إنه ملك وملكاً ، ثم تراه في سواد الليل متفقداً أحوال المدينة كأنه حارس وخفير واب رحيم للمسلمين ! بل الأمر أكبر مما ذكر ، فقد ناب الخلفاء الراشدون عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في وظائفه النبوية التنفيذية المتعلقة بهداية البشر التي جعلها القرآن ثلاثة أقسام بقوله تعالى (يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٦٢ : ٣) فوظائف النبوة التنفيذية : تلاوة الآيات - وتزكية النفوس - وتعليم الكتاب والحكمة - فقاموا بهذه خير قيام ، وناووا عنه فيها أحسن نيابة ، فكانوا أسوة به يتلون على الناس الآيات الإلهية ويذكرون القلوب والأرواح ويربون الأمة بتعليمها الكتاب وحكمة السنة - فكانهم كانوا في آن واحداً با حنيفة والشافعي ، وجنيداً والشبلي ، وحمادا والنخعي ، وابن معين وابن راهويه والبخاري ، ولم يكن سلطانهم على الأجسام فقط ، بل كانوا يحكمون على القلوب والأرواح أيضاً بسيرتهم القويمة وروحانيتهم القوية - ولذا سميت خلافتهم «بالخلافة الراشدة» وجعلت أعمالهم تنمى لأعمال النبوة - فقال (ص) من وصية له « فعملكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » (١)

فذكر مع سنته سنتهم وأوصى الأمة بأن تعض عليها بالنواجذ - ولكن وأسفاه ! لم تبق الخلافة النبوية والهيئة الاجتماعية الإسلامية على هذا المنوال طويلاً ، بل انتهت بأمر المؤمنين علي عليه السلام ، فم الانتشار والتشتت جميع شؤون الأمة فنزلت بنياية الأمة الاجتماعية وسقطت جدرانها فهي خاوية على عروشها ، وانتقض النظام الشرعي وتبمشرت سائر القوى بمد ان كانت كتلة واحدة مجتمعة على نقطة واحدة ، وتفرقت المناصب والوظائف على أناس كثيرين بعدان كانت في يد واحدة - فن ثم انفصلت الحكومة والسياسة ، عن الدين والشريعة ، وأصبحت الخلافة طارية من خصائصها الروحية ، ومجردة

(١) رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وأول المرفوع منه «أوصيكم بتقوى الله» (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد الثالث والعشرون)

عن وظائفها المتشعبة عن نبع النبوة ، فباتت ملكا عضوضا طبقا لقوله (ص) « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك » وقد تقدم واما وظائفها الدينية فانقسمت أيضاً وقام بها أناس آخرون فحمل القضاء والاجتهاد الفقهاء والمجتهدون فأصبحوا فرقة ، وحمل وظيفة الارشاد وتربية الارواح وتزكية النفوس الصوفية وصاروا فرقة ، مع أن هذه الوظائف كلها كانت في بدء الامر بيد الخليفة الاسلامي فكان قائما بها كلها خير قيام ، وكانت بيعته تغني عن غيره - بيد أنه بعد الانتشار والتشتت أصبح ملكا محضا ، نائبا عن وظيفة الافتاء والقضاء ، بعيداً عن التعليم الروحي وتزكية النفوس ، فهرع الناس الى أصحاب الطرق والمتصوفة وأخذوا يبايعونهم « بيعة التوبة والارشاد » (على اصطلاحهم) فبعد أن كانت القوى والمناصب والوظائف مجتمعة في شخص الخليفة فكان ملكا وفقها ومرشد وقاضيا وقائدا ومحتسبا ، تفرقت في دور الشتات وأصبحت لا نظام لها ولا زمام ، بل كلما امتد الزمان ، زاد الطين بلة ، وانخرق سعة ، حتى بلغ السيل الزبي ، وعمت البلوى ، فتعارضت القوى وتصادم بعضها ببعض أيما تصادم - هذه هي الداهية الدهيئة التي دعت الامة الاسلامية فقضت عليها ، لا ما يتخبط فيه الناس من اختراع الأسباب والعلل لسقوط المسلمين تقليداً للافرنج -

والحاصل أن الخلافة التي تلت الخلافة الراشدة : سواء كانت قرشية أو غير قرشية كانت حكومة دنيوية محضة وملكاً عضوضاً بعيداً عن النيابة النبوية في وظائفها الا السياسية والحكم (اللهم الا خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) وهي لا تزال على هذه الطريقة الى الآن الا ما كان في عهد السلطان عبد الحميد من الانقلاب وتأسيس الحكومة الدستورية ^(١) فانه مما لا ريب فيه عود محمود الى الخلافة الراشدة قليلاً - لان الشورى هي الشرط الاول والميزة الكبرى للحكومة الاسلامية الحق - أما في غير هذا فلم تغير من أحوالها شيئاً

(١) المنار : ان الانقلاب الذي وقع في آخر عهد عبد الحميد بالرغم منه وكان قاضياً على سلطته لم يكن شرعياً ولا وقع انتصاراً للشرع وعوداً اليه بل تقليداً للافرنج ، ومن أصوله أن يسلب من الخليفة السلطة المستقلة في كل شيء واكتنه مع ذلك أدنى الى تمكين الامة من اقامة الحق والعدل ومراعاة الشرع من السلطة الاستبدادية التي كان يتمتع بها اذا كان الرأي العام في الامة يريد ذلك

من الخرافات الى الحقيقة

- ٣ -

الطور الاول للاسلام

كان هدي الاسلام في طوره الاول عبارة عن إشعال نور الحقائق وانهارة سبل الانتباه أمام الذين كانوا يتعبدون بالخرافات والجهل . حينما ظهر الاسلام كان عند العرب عقيدة ابتدائية تقوم في نظرهم مقام الدين . كانت عبادة الاصنام وعبادة النجوم من أروج العقائد المنتشرة بين العرب في ذلك الوقت مكة والمدينة كانتا موجودتين ومعروفتين . ولكنهما كانتا أشبه بملجأ شتوي منهما . بمدينتين العقائد التقليدية الموروثة الراسخة في القلوب بطول القدم وتماذي الزمن توهن مقومات الانسان المادية والمعنوية . وهكذا كانت الحال عند العرب حينما كانوا مقيدين بسلاسل عقائدهم العتيقة . ولما جاء الاسلام بهدايته الاصلاحية وجمع بتعاليمه العالية أهواء القلوب المتفرقة الى تلك الوحدة الكاملة في العقائد والفضائل والنظام الاجتماعي تمكن العرب بهامن القضاء على دولتي العالم الكبيرين فلم يتركوا لهم في السيادة الدنيوية نصيبا، رفعت التلقينات النبوية بوقت قليل الاقوام البدوية الى مستوى الاستاذ في المدنية وجعات العالم كله تلميذا لذلك الاستاذ (١) كان النبي (ص) يأمر الرعاة الذين يرسلهم الى الارحاء لنشر الدين أن يعاملوا الناس الذين يصادفونهم بالرفق واللين ، وأن يجتنبوا العنف والشدة ، وما هي ذي الاوامر التي كان يتسلح بها أمناء الامة عند العمل :

(أ) (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)^(١)
(ب) « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »^(٢)

بهذه الاوامر اصطادوا قلوب الناس وبهذه المشاعل أناروا سبل الحياة والحضارة أمام العالم فهل نحن صادعون بالامر ؟

(٢) أساس الاسلام عالية وساذجة يمكن دخولها في دماغ كل عاقل من

(١) من سورة النحل ١٦ : ١٢٥

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرها عن أنس (ر ض)

بني آدم وحواء . وهي خلوة من مثل محالات عقيدة التثايت عند النصراني ومن أساطير الجبت التي يعزرها اليهود الى الانبياء عليها السلام وفيهم من سوء القدوة ما تاباه أنفس الكرام

(٣) إن الاسلام يفيض نور العدل والسكينة والسلام والطمأنينة على أنفس البشر المضطربة . فقد أمر بقهر الظالم وصيانة المظلوم وأعلن حرية الوجدان . ثم قوض قواعد السلطنات المؤسسة على الاستبداد . ورفع كل حجاب عن وجه الحق والعدل

(٤) تلقينات الاسلام بحق الألوهية كانت كافية لاقتناع كل دماغ مفكر . يسمها العمالي فيصبح مؤمنا مهديا ويتأملها العالم فيمسي موقنا مطمئنا . لأن سذاجتها وعلويتها كافيان لاقتناع كل عقل وطمأنينة كل روح .

(٥) من أسباب سرعة انتشار الاسلام إنارته السبيل أمام الناس الذين كادت الحرافات تزهد ارواحهم . والى القارئ الكريم المشاعل التي أذكها النبي الكريم في سفح جبل عرفات في حجة الوداع :

(أ) - احترام الاموال وتحريم أكل مال أحد بالباطل

(ب) - احترام الدماء وتحريم سفكها بغير حق شرعي

(ج) - تحريم الامراض كتحریم الدماء والاموال

(د) - الوصية بالنساء وما هن وعليهن من الحقوق

(هـ) - الاعتصام بكتاب الله تعالى

(و) - هدم قواعد الشرك ونارات الجاهلية

أقيت هذه المشاعل بين مئة الف من المسلمين . ونقلها الحاضر للغائب . واتخذها المسلمون اذ ذاك دستوراً للسمل . ولم ينصرفوا عنها قيد شعرة . ولا سيما في دور الفاروق الذي كان أوضح مظهر للتجليات النجيبية الاحمدية . وأي صعوبة في تنفيذ هذه الاحكام الآن ؟ إن عظمة هذا الدور الفاروقي نشأت من حسن فهم الاحكام الاسلامية وتطبيقها حرفياً . لأن روح الاسلام الاخوة . وقد جاء في القرآن الحكيم « انما المؤمنون اخوة » وقد رُبّطت وقتئذ جميع القلوب برباط الاخاء الديني الذي كان يرفع فوق كل مصلحة خصوصية وكانت نتيجة هذا الاخاء الاتحاد الاكمل وفقاً لما جاء في الفرقان المبين « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وفي نور هذين المشاعل حكم المسلمون على أهم بقاع

الأرض . وما أيد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من التوفيق لم يكن الا مظهراً من مظاهر رعايته الدقيقة لاوامر الاسلام .

لئن كان ظهور الاسلام انقلاباً اجتماعياً وتطوراً تاريخياً عظيماً فان تأثيره في أرواح الشعوب تطور اجتماعي عظيم أيضاً . وهذا التأثير قد ظهر حكمه التام في التطور الذي فهمت فيه دقائق الاسلام ووضعت في موضع التنفيذ بالتمام والكمال وكان ذلك على اكمله في خلافة الصديق وخلافة الفاروق (رض) فان هذين الامامين الممتازين المنتخبين باجماع عقلاء الامة كانا يديران الامور بمعاونة جماعة من اكابر المسلمين .

(٦) جعل الاسلام حل المعضلات من الامور باستشارة العقلاء . بقول الله تعالى في المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وأمر تبييه بالمشاورة بقوله (وشاورهم في الامر) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكر مع أصحابه وفقاً لهذه الآية الكريمة . وكذلك الصديق الف مجلساً استشارياً تحت راسة الفاروق مؤلفاً من اكابر المسلمين . وعندما انتقلت الخلافة اليه ترأس المجلس علي كرم الله وجهه

وكان هذا المجلس مؤلفاً من كبار المسلمين ورؤساء القبائل وأصحاب المكاتبة في المدينة (٧) جعل الاسلام المساواة بين الناس في الاحكام من اصول الشريعة على

اختلاف طبقاتهم ومللهم ونحلهم بدون أدنى استثناء ، وحادثة ابن الفاروق وقضية علي المجتبي مع اليهودي أوضح دليل على درجة احترام قاعدة المساواة في صدر الاسلام . فكان الغني والفقير والامير والمأمور والخليفة وآحاد السوق سواء في ذلك . فعلم مما تقدم أن الاخاء والمساواة كانا ركنين ركينين للحكومة الاسلامية التي تأسست بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وكان رئيس الحكومة الخليفة ينتخب انتخاباً . وكان لهذا الرئيس مجلس استشاري . وكان يحق لكل فرد أن يراجع الخليفة نفسه اذا ظلم أو وقع عليه حيف

(٨) كانت مكة قبل الاسلام مباءة لمعاقري الحجرة وللمقاصرين وكذا المدينة . وكما طهر مصلح العالم مكة من الاصنام ، طهر قلوب أهلها من رجس الخمر والقمار وبقي هذا الطهر عاماً شاملاً لاهل البلدين المكرمين الى أن نزا الامويون على منصة الحكومة .

(٩) منذ ظهور الاسلام شوهد في مكة والمدينة رغبة في العلم وميل الى الحضارة . تعددت محافل العلم وعمت الدروس والخطب (المحاضرات) الاخلاقية

والمواعظ الدينية. وكان في رأس هذه الحركة المدنية علي كرم الله وجهه. والمدينة كانت تفوق مكة في هذا من حيث كانت العاصمة، والمثابة للمفكرين من المسلمين. فلا غرو اذا كان تجلي حياة الاسلام العالمية فيها أكبر وأظهر من تجليها في مكة. كان يحضر هذه المحاضرات النساء كالرجال. الخليفة وحضرة الفاروق وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وأبو هريرة وزيد بن ثابت والسيدة عائشة وأمثالهم من الواقفين على أسس الاسلام كانوا يحضرون هذه المجالس ويحلون المشاكل التي تطرأ (١٥) حرية التفكير كانت محترمة. وما كان يسفه أحد ولا يهان لرأي أبداه، حرية الفكر كانت محترمة كالحرية الشخصية. كان علماء الصحابة يجتهدون ويفسرون الاحكام بما يوافق المصلحة والزمان. وما كان يجبر أحد على اتباع أحد لم يقتنع بصحة فكره واجتهاده.

كان يحصل في بعض الاحايين اختلاف في حل مسألة واحدة بين علماء الصحابة. فكان الناس على احترامهم للرأين المتعارضين يتبعون الرأي الذي يرجحه الاكثرون^(١) وكان هذا الاختلاف يقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فيوافق اجتهاد بعض الصحابة دون بعض حتى الصديق أو الفاروق. وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من القولين أحقهما مع احترام الذي يترك اجتهاده. وقد جاء في الحديث « إن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة»^(٢) ثم كثرت الاختلافات في زمان الخلفاء الراشدين. ثم أتى زمان بدأ بعض أكابر العلماء يعمل باجتهاد نفسه كما يروى عن الامام البخاري^(٣)

(١) كانوا يرجحون رأي الاكثر من أهل الشورى في المصالح العامة وأما المسائل الشخصية فكان كل أحد يعمل في المسائل الاجتهادية بما يراه هو الراجح ويتبع في النقل أو الفهم من يشق هو به ولم يستبيحوا إلزام أحد ان يأخذ بقول عالم معين فضلا عن اكرام الجمهور على اتباع مذهب أو شخص معين هذا مخالف لاجماعهم.

(٢) لا أتذكر نخريجا لهذا الحديث الآن وقد كتب المترجم بازائه من حاشية مسودته ما نصه: لهذا الحديث الشريف انفت نظر رجال هذا العصر الذين لا يتكون في بحر السفه نقطة الا ويسكبونها على رأس من يدي حكمة تخالف أهوائهم ولو كانت روح الحقيقة. اللهم اعد قومي لتجري الحق والمنطق. هذا ما أقوله وأتمناه فقط.

(٣) ان جميع أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعلماء الامصار كانوا يعملون باجتهادهم فيما فيه مجال الاجتهاد وليس هذا خاصا بالبخاري ولا هو اول من فعله

في زمان رئاسة الحكومة من قبل الصديق كانت الامور العدلية (القضائية) والمالية للفاروق . أي كان ناظراً للعدلية والمالية . وأما المخبرات والامور الحربية فكانت في يد علي بن أبي طالب . أي كان ناظر الحربية و كاتب الخليفة (١١) ان الاسلام بني على الاخاء والمساواة والحرية والشورى كما تقدم فكانت الكفاءة الذاتية هي الممتبرة في المصالح والولايات . لذلك نسب النبي (صلعم) أسامة الشاب قائداً لجيش المسلمين . وأمر الصديق والفاروق وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة وأمثالهم من عطاء الصحابة أن يأتمروا بأمر هذا القائد الشاب . وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم اعترض بعضهم على إمارة هذا الشاب على كبار المهاجرين والانصار وعد بعضهم هذا أصراً غريباً . الا أن أبا بكر أفتنح المعترضين بأن الكفاءة والاقتمدار مرجحة على كل شيء وأسكتهم . هكذا كانت المصاحبة العامة مقدمة على كل ما سواها لهذا كانت راية الاسلام في زمان الصديق والفاروق كلما ارتفعت في مكان تشرق عليه بها شمس الاخاء والحرية والمساواة والفضيلة وتنقسم غيوم التشدد في الكلام والظلم في الاحكام .

وقد حقق حكماء المؤرخين أن سبب سرعة انتشار الدين المحمدي في بلاد قيصر وكبرى هو عدل الخليفتين وحكمتهما وحسن تدبير رؤساء الجيش . ولم يجدوا للظفر العسكري تأثيراً في ذلك الا الشيء الطفيف

نعم كل بلدة تنشر عليها راية الاسلام كان الاخاء والحرية يكتنفان تلك المدينة فيصونان أهلها من تحكم الكهنة والاحبار والاساقفة والرهبان والموبدان المسيطرين على الابدان والارواح . لذلك كان الناس في ذلك الوقت ينظرون الى المسلمين نظراً الى المنجي من الظلم والمحرر من الرق - وهو ما ينتحله بعض ادعياء الافرنج اليوم بمحض الافك وقول الزور -

أثبت التاريخ ولاسيما السياسي منه أن التبدل في الحكومة يحدث ثورة في البلاد . على أنه قد دان للواء الاسلامي امبراطوريتان عظيمتان - امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس - ولم يحدث أدنى ثورة في بلادهما الواسعة على رافعي ذلك العلم بل لم يظهر من أحد من أهلها أدنى امتعاض يحمل على المقاومة ، على ما كان من قلة عدد الفاتحين و عددهم وبعدهم عن عقور دارهم ومركز سلطتهم ، وإنما سبب ذلك حسن الادارة والعمل باصول الاسلام العالية . حتى ان قادة

الجيش الروم كانوا يلقون أنفسهم في حضي الاسلام أحيانا ولكن نقول مع الجزن والاسى: إن هذا الحال لم يدم بل لم يطل عهده هكذا . فعندما استولى الامويون في زمان ذي النورين على أمور الادارة أهملت العدالة الاسلامية وبدأت مقدمات التعدي تظهر وشوهت بوادر العصيان في أمكنة مختلفة وقصارى القول ان الناس كانوا في صدر الاسلام اخوانا متساوين في الحقوق وأحراراً في أنفسهم وفي أفكارهم اذا تنازعوا في أمر رده الى الكتاب والسنة - كما أمرهم الله تعالى - واذا أشكل الأمر يستفتون كبار العلماء . وأما ساحة التفكير فكانت واسعة ان يجول فيها العقل كما يشاء وانى شاء . ولم يكن الحجر على العقل والضغط على الفكر مما يعرف في ذلك الزمان . وما كان أحد يفتت على غيره (١٢) الجمعية الاسلامية كانت مركبة من نساء ورجال متساوين في الحقوق . وكان موقع المرأة عالياً ومحترماً . وكانت المكاملة والمعاملة بين النساء والرجال جائزة . فكانت النساء تخرج بيت الله مع الرجال ، وكانت التربية الاجتماعية مع هذا متينة بحيث يعد أقل تجاوز على أية امرأة من كبريات الجنائيات . وكان طلب العلم فرضاً على النسوان كالرجال . وقد جاء في الحديث الشريف « طلب العلم فريضة لكل مسلم ومسلمة » .^(١) وبناء على هذا الحديث المنيف نرى الكثيرات من النساء تصدين للتعليم وأرشدن الناس الى حقائق الأمور . فالسيدة عائشة كانت في زمان الخلفاء الراشدين في مقدمة العالمات المرشدات من النساء . حتى إن علماء الصحابة كانوا يراجعونها عند الشبهة بشيء هام .

كان النساء يحضرن مجالس الوعظ . وكان يوجد بين تلاميذ ابن عباس الكثيرات منهن . كان النساء يحضرن وقائع الحرب والقتال ويشتركن فيها فعلاً . وكان بعضهن يداوين الجرحى ويوزعن المياه على المطاش . وينشدن الاشعار الحماسية لتشجيع رجالهن واخوتهن .

(١٣) ان انشاء الشعر والغناء كان لها قيمة في ذلك العصر الذهبي . لانها غذاء الروح ، لذلك قال النبي (صلعم) « ان من البيان لسحراً » ، وكان صلى الله عليه وسلم يستمع ما ينشده أصحابه من الشعر بانسراح ، وقد كلل هام كعب

(١) الحديث روي عن ابن عباس وأنس وأبي سعيد الخدري من طرق بعضها صحيح ولبعضها تمة وليس في شيء منها لفظ « ومسلمة » ولكنه مراد بانفاق العلماء وكل ما ورد من الاحكام في الرجال يشاركهم فيه النساء الا ما كان خاصاً كالامامة مثلاً

ابن زهير بالفخر عندما تلا على مسامعه الشريفة قصيدة البردة الشهيرة ، لذلك جاء في الحديث « وان من الشعر حكماً »^(١) وروى أبو الليث السمرقندي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان أصحاب النبي عليه السلام يتناشدون الشعر والنبي عليه السلام بينهم جالس يتبسم ،

وكذلك الخطابة وطلاقة اللسان عدها صلى الله عليه وسلم من أسباب الجمال للرجال اذ قال : « الجمال في الرجل اللسان »^(٢)

(١٤) خط عليه السلام للامة خط حركة أوصلها باطمئنان الى السلامة والمدنية بكل سرعة وهي « أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فهلك »^(٣) فبناء على هذا وعلى الحديث القائل « آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وامام جائر ومجتهد جاهل »^(٤) كان المسلم العالم ورعاً تقياً والامير عادلاً منصفاً والناس دائبين في صناعاتهم وأعمالهم - هكذا كان المسلمون فهل نحن كذلك ؟ (١٥) العدل كان مقدماً على كل شيء ، حتى ان الله قال في كتابه المبين (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) والظلم كان من أشنع الحركات ، وقد جاء في الفرقان الحكيم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ، وجاء في الحديث الشريف أيضاً تهديداً للظالمين « يا أيها الناس ! اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمناً الا انتقم الله منه يوم القيامة » ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الظلم أيضاً بقوله « اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافراً ، فانه ليس دونها حجاب » وقال أيضاً « اتق دعوة المظلوم فانها مستجابة »

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بمقاومة الظالمين أيضاً اذ قال « أحب الجهاد الى الله كلمة حق تقال لامام جائر » ، (رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة) فكان كل من يظلم يعاقب سواء كان كبيراً أو صغيراً بدون نظر الى موقع الظالم الاجتماعي ، لذلك جاء في الحديث الشريف « إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » (اتفق عليه الجماعة)

حسني عبد الهادي

(١) المنار : حديث « ان من البيان سحراً وان من الشعر حكماً » رواه أبو داود عن ابن عباس (٢) رواه الحاكم عن علي بن الحسين مرسلًا بسند صحيح (٣) رواه البزار والطبراني في الاوسط بسند حسن (٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس وأما أحاديث الظلم فمشهورة كثيرة صحيحة (المنار : ج ٢) (١٥) (المجلد الثالث والمشرون)

الرحلة الأوربية

(١)

مقدمة

كادت أوربة تسود العالم الارضي وتستعبد جميع شعوب البشر وتسخرها لخدمتها لولا أن تفلت جل العالم الجديد في غربي الآرة (أميركة) من قبضة يدها وتلاه الشعب الياباني في شرقها فساوى الشعوب الأوربية في العلم والصناعة والنظام، وإتقان فنون الحرب وآلات القتال، ووسائل الثروة وتديبر المال، وأما سائر بلاد المشرق من اسبوية وافريقية فكانت خاضعة خانعة لدول الاستعمار الأوربية على تفاوت بينها في هذا الخوض فنها ما يعد ملكا خالصا لها ومنها ما يسبى التصرف فيه حماية أو احتلالا ومنها ما يسمى مناطق نفوذ سياسية أو اقتصادية أو امتيازات دولية — دع النفوذ العلمي الذي سيطروا فيه على الافكار بتأثير مدارسهم وانتشار لغاتهم وبث مطبوعاتهم والنفوذ الديني الذي سيطروا فيه على القلوب والارواح بيمثاتهم الدينية وما أنشئ لها من المدارس والمستشفيات والاندية وما يطعم لها من الكتب والصحف المنشورة، ولا تنس في هذا المقام تأثير تجارهم وسياحهم، ولا تأثير عاداتهم، وازيادتهم، ولا انهمى ذكر تأثير بغاياهم وفواجرهم، في افساد الاخلاق، وحاناتهم ومقاصدهم واستنزاف الاموال

فهذه المزايا والصفات والمظاهر والافعال حسنها وقبيحها تنجذب قلوب الناس الى رؤية بلاد هؤلاء الناس على اختلاف المقاصد والنيات فهي كعبة طلاب العلوم والفنون والصناعات، كما أنها هيكل عباد الشهوات والتمتم بالذات، فترى الناس يرحلون اليها من جميع اقطار الارض، أفرادا واثبات وأكثرهم يبتغون بالرحلة اليها التمتع بمشاهد عمرانها واحتساء كوؤوس لذاتها، ومنهم من يؤمها للاستشفاء بهوائها ومياها المعدنية، أو لعرض نفسه على أطبائها أولي الاخصاء في فروع الطب والجراحة، ومنهم من يلم بها لاستبضاع عروض التجارة أو غير ذلك من الاعمال المالية، ومنهم من يهاجر اليها لطلب العلوم الكونية والقانونية، والفنون والصناعات المختلفة، ومنهم من يتسأل اليها للقيام بأعمال سياسية.

ولعل أقل زائريها من ينوي تكميل عقله وتجاربه بالاختبار والاعتبار بما يري ويسمع ، وأرجو أن أكون من هذا القليل وان كان المحرك لهذه الرحلة والداعي الى جعلها في الزمن الذي وقعت فيه والى المكان الذي كان جليها فيه ليس الا الخدمة السياسية لوطن المولد والتربية

ذلك بأن حزب الاتحاد السوري — وهو أحد الأحزاب السياسية التي كنت من مؤسسيها والعاملين فيها قد قرر برأيي وموافقتي أن يدعو الأحزاب السورية الاستقلالية الى عقد مؤتمر سوري في مدينة (جنيف) من بلاد (سويسرة) حيث تجتمع جمعية الأمم — لاجل المطالبة بحق سورية في الحرية والاستقلال الصحيح المطلق من كل قيد ينافيه ولاجل جمع كلمة هذه الأحزاب وتعاونها على العمل دائماً — وبناء على هذا القرار نشر الحزب المنشور الآتي بامضائي واهضاء رئيسه

دعوة الحزب الى عقد مؤتمر سوري

« ان لجنة حزب الاتحاد السوري المركزية بصبر واثقة انكم كنتم وما زلتم مواطنين على مبادئكم القومية الوطنية ومساعدكم الشريفة الى ان تكمل بالنجاح ويتحرر الوطن المحبوب ويصبح كما يريد ابناؤه الاحرار العاملون وطنياً حراً مستقلاً زاهراً برجاله ناهضاً بهمهم سائراً كل يوم الى الامام بفضل ما يبذله الاحرار العاملون في سبيله من التضحيات المديدة والمسعى الجليلة

«وبعد فقد رأت لجنة حزب الاتحاد السوري التي كانت وما زالت نجاهد بجميع الطرق المشروعة للحصول على استقلال البلاد التام الذي هو امنية كل سوري أبي النفس ان تتأزر جميع الاحزاب والجمعيات السورية التي تعمل لغاية الاستقلال التام ووحدة البلاد سواء في سورية نفسها أو في المهاجر البعيدة المنفرقة وتتفاهم فيما بينها على أسس المبادئ والمسعى معا وترفع صوتها في وقت واحد للعالم المتمدن بأسره بجميع الطرق المشروعة طالبة الحصول على حقها الوطني الطبيعي المؤيد بكثير من العهود والوعود من أقطاب السياسة في العالم المتمدن كله

«ولما كان مجلس عصبة الأمم سيجتمع قريباً وينظر في شروط الوصاية المفروضة على سورية وغيرها من البلاد المنفصلة عن تركيا فقد قررت لجنة حزب الاتحاد السوري أن تدعو الجمعيات والأحزاب السورية الى عقد مؤتمر سوري عام في

(جنيف) مركز عصبة الأمم في ١٠ حزيران (يونيو) المقبل لتبرهن بكل ما لديهما من الوثائق والحجج والأدلة على ما لـلـسورية من الحق بالحريـة والاستقلال وتوسـل بالوسائل المشروعة لدى مجلس عصبة الأمم لسماع رأي البلاد قبل إبرام الحكم عليها « فلجنة حزب الاتحاد السوري تدعوكم وتدعو سائر الجمعيات السورية للاشتراك في هذا المؤتمر وترجو منكم اشعارها بأسماء مندوبيكم وبمياماد سفرهم وبما ترغبون الاشتراك فيه من نفقات المؤتمر العامة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والسلام»

رئيس حزب الاتحاد السوري

نائب الرئيس

ميشيل لطف الله

محمد رشيد رضا

المانع والمقتضي والتعارف والترجيح

اتفق في أثناء نشرنا لهذه الدعوة أن مرض أولادي واحد بعد آخر ثم توفي صغيرهم وكنا أرجأنا السفر انتظاراً للعالم بموعد اجتماع عصبة الأمم الرسمي الذي كان عين ثم أرجى ثم قرر أن يكون في أواخر شهر أغسطس فتقرر أن يسافر وفد حزبنا من الاسكندرية في ١٢ أغسطس . ثم اتفق أن أصيب ولدي محمد شفيع في أول أغسطس بحمى معدية يحتاج علاجها الى دقة وعلم فكنت اتولى معالجته وتغديته بنفسي على أن والدته كانت تفسأ وقرب الموعد ولما ينقه من مرضه فترددت في السفر ثم رجحت أن ارتبص ريثما ينقه الغلام وأسافر فلما حل الموعد رأيت أن مصلحة خدمة الوطن ينبغي ترجيحها على الأهل والولد ، فعزمت وتوكلت وأزمنت الرحيل ، تاركا الأسرة تستقبل عيد الاضحى في حزن ونفاس وتمريض - كما تركت أعمال المطبعة التي هي مادة المعيشة، وغادرت القاهرة في اليوم الثامن من ذي الحجة (الموافق لليوم الثاني عشر من اغسطس) وهو يوم التروية ويليه يوم عرفة فعيد الاضحى فشق عليّ وعلى الأهل والعيال ولكن سفري لم يكن منه بد باتفاق الاخوان من أعضاء الحزب وغيرهم ، وقد زارني قبله بيومين رئيس الحزب وبالغ في وصف ما يراه من ضرورة سفري وما في تأخيريه عن هذا الوقت من الضرر

سافرت في قطار الضحى السريع من القاهرة فألقيت في المركبة التي ركبها من الدرجة الاولى ثلاثة من اصحابي علماء الشرع الازكياء المشهورين وهم الشيخ محمد حسنين المدوي من هيئة كبار العلماء بالازهر والشيخ محمد المراغي من قضاة المحكمة الشرعية العليا والشيخ محمد الضواهري شيخ الجامع الاحمدي

بطناً فجلست إليهم وقطمنا المسافة في البحث والمذاكرة في المسائل العلمية والاجتماعية ولا سيما مسألة ضعف المسلمين واسبابه ووسائل معالجته وأهمها الإصلاح الديني

سفر البحر من الاسكندرية

ولما بلغت الاسكندرية ذهبت الى أحد فنادقها المجاورة للبحر فتفديت فيه ثم سألت بالمسرة (التليفون) عن الأمير ميشيل بك لطف الله^(١) فعلمت أنه قد ذهب الى الباخرة التي اتفقنا على السفر فيها وأنها تسافر من المرفأ عند انقضاء الساعة الثالثة بعد الظهر فيمضتها فألفيته هو ورفيقنا جورج افندي يوسف سالم ينتظران وكانا قد أرسلنا رسولا للبحث عني فصادفني بالقرب من الميناء فساعدني على إنهاء العمل المعتاد في الجمر كالتنظر في جواز السفر ورؤية الطبيب وما دون ذلك. ثم ركبت الباخرة

الباخرة طليانية اسمها (كليوبطرة) وهي من البواخر المتوسطة في الكبر والاتقان فهي أكبر من بواخر الشركة الخديوية ودون الباخرة (عثمانية) منها اتقاناً ولكنها دون أكثر البواخر التي تنقل الركاب بين مصر وأوربة. وكانت لدولة النمسة فأخذت منها فيما أخذته دول الحلاف من غنائم الحرب. وكان مجراها من مرساها في الموعد المضروب لها (الساعة ٣ بعد الظهر)

كان الرفيقان في شك من سفري معهما لما علما من الموانم التي أهمها تمريض ولدي ولكنهما استأجرا مخدعين في الدرجة الاولى في أحدهما سيران لي وليوسف سالم ان حضرت والا كان له وحده وهو واسم يمكن أن ينام فيه آخرون. وهذه الشركة في المخدع خير لي من الانفراد الذي كنت أفضله لو كنت أعرف لغة اصحاب الباخرة فرفيقي يتكلم بلغتهم كما يتكلم بالفرنسية والانجليزية واتقانه للاخيرة أتم

كان الهواء عند سفرنا لطيفاً لا يشكو منه الجالس على ظهرها ولكنه لا أثر له في مخدع النوم منها فلم اطق النوم في سرير مخدعنا لشدة الحر فنمت على ظهر الباخرة. وفي مساء اليوم الثاني (السبت) برد الهواء قليلاً وطفقت أحشاء البحر تضطرب على ما كان من خفة الهواء وضعف حركته فأرأى بعض الناس

(١) لقب «أهير» أنتم به ملك الحجاز على رجال بيت لطف الله وهذا الانعام اختراع له فيه مباحث اجتماعية وأدبية ليس هذا محل بيانها

أن هذا اثر نوء سابق وبمضهم انه مبدأ نوء جديد وهو الصواب فقد اشتدت
الريح في ناشئة الليل وكانت باردة وانشأ البحر يعبت بالسفيننة فلما شعرت
بالنودان لزمت كرسي الاسلمقاء على ظهرها ولم استطم العشاء مع الركاب على
المائدة بل اكلت وانا مسلق على الكرسي خشية الدوار الذي ادركتني بوادره ولكنها
وقفت عند حدها والله الحمد ، على ان الريح اشتدت في اليوم الثالث وزاد بردها
فلزمت المسانقي عامة نهاره وقد تكلفت طعام الغداء والعشاء وأنا عليه تكافأ ،
وصلت الظهر والعصر قاعدا ، ولم اذهل عن كونه يوم العيد فكبرت الله تعالى
في أوقات متقطعة وتضرعت اليه داعيا إياه ان يثني ولدي ويخلفني في اهلي
ويلطف بنا وبمن معنا ، وقيل لنا ان اضطراب البحر في هذا المكان المحاذي
لقندية (كريد) معتاد . وفي اليوم الرابع (الاثنين) هدأت شدة الريح فصارت
اقرب الى اللطف منها الى العنف ، وزالت مقدمات الدوار والله الحمد ، وجملة
القول ان السفينة لم تضطرب من هذه الريح لانها شمالية غربية تناطح رأسها
مناطحة ولو صدمتها من احد جانبيها لكان النودان شديدا والدوار عتيدا

كنت شرعت في كتابة بعض المقالات للمنار وكتاب مطول لأهل البيت
فلما اضطرب البحر وكان من تأثيره ما ذكرت تركت الكتابة ثم أتممت ذلك كله
في يوم الثلاثاء إذ كان لطيف الحركة ، معتدلا بين البرد والحرارة ، حتى كنا
كأننا في جزيرة لاني سفينة ، فطاب لنا الطعام والكلام

لم يكن معنا من وجهاء المصريين في الباخرة غير أمين باشا يحيى أحد وجهاء
الاسكندرية وهو أشد انصار عدلي باشا ووفده الرسمي في الاسكندرية وكان قد
اشتمد سخطه على سعد باشا زلول وكثر تحامله عليه فخالف في ذلك والده أحمد يحيى
باشا الذي ما زال أقوى أنصار سعد باشا في الاسكندرية ومعه السواد الاعظم
من جميع الطبقات ، وبينى وبينى كل من أحمد باشا وأمين باشا مودة قديمة فكانت
أكلم أمين باشا في المسألة المصرية بلسان الصديق له المعتدل في المسائل العامة
لا يطلب الا الحق ، وذكرت له أنني قد حررت القول في المسألة المصرية تحرير
من يرجح الحق والمصلحة العامة على كل شيء كما يعهد ، وأنني وصفت كلا من
سعد باشا وعدلي باشا وصفا لم أجنس فيه أحدا منهما شيئا من حقه ، وذكرت
له بعض ماقلته فأحب أن يرى جزء المنار الذي نشر فيه ذلك قبل عودته من
أوربه الى مصر ، وقد اتفقنا على أن شدة التطاحن والتشاحن بين الاحزاب والرعماء

مما يزيد في الشقاق وهو افتك اسلحة الخضم ، ويذهب بالوفاق وهو أمنم معاقل الامة
وأما طعام الباخرة فقد كانت أنواعه كثيرة أجودها السمك الطري والدجاج
وأردأها وأقلها الخضر ، وقد كان جورج يوسف سالم يقرأ لي جريدة الطعام
عند الجلوس على المائدة ويبين لي ما يخالطه منها لحم الخنزير لاختار بدلا منه
ليطلبه لي فكان هذا خير ما أشكره له من آداب الصحبة والمساعدة على أعباء
السفر وهو من أخبر الناس بما على ما أوتي من النشاط والهمة والمروءة في
خدمة أصحابه

قطعت باخرتنا المسافة بين الاسكندرية وتريسته في خمسة أيام بلياليها إلا
ثلاث ساعات ويقطعها غيرها من البواخر الجيدة في ثلاثة أيام وثلاث ساعات
فقد كانت بطيئة السير والبحر رهو فلما اضطرب زاد بطؤها حتى لم تكن
تقطع في الساعة الا زهاء ١٢ ميلا

قلما يحتاج المسافر الى أوربة في هذه البواخر الى بذل شيء من الجهد في
معرفة القبلة فان عامة سيرها الى جهة الغرب الشمالي فتكون مستديرة للقبلة
فالذهاب الى أوربة يتجه الى مؤخر السفينة والمائد من أوربة الى مصر يتجه
الى مقدمتها ، وقلما يتغير هذا الوضع

تريسته وجرمها

وفي ضحوة يوم الاربعاء (١٣ ذي الحجة - ١٧ أغسطس) قابلنا ميناء
(تريسته) ثم أرسست السفينة في صرساها من المرفأ في وقت الظهر وكانوا قد
هياوا طعام الغداء للركاب قبل مواعده فتغدينا قبيل الظهر لنتمكن من النزول
عند الوصول . فلم نلبث ان نزلنا فدخلنا إدارة الجمر ك ففتح عماله بعض صناديقنا
وأسقاطنا دون بعض ، وقد فتح لي اثنان من خمس ، ولم يفتش منهما شيء ، ولا و لك
العمال فراسة في الناس وفي متاعهم وأهم ما يبحثون عنه فيمن يجنيء من مصر
(سجائر الدخان) وكان الامير ميشيل قد حمل معه صندوقا كبيرا فيه الوف من هذه
السجائر المصرية ربما يبلغ مكسها الوفا من الليرات الطليانية لو كانت محمولة لتستهلك في
ايطالية وإنما هي محمولة الى (سويسرة) وما يمر من بلاد الى أخرى يعطى المكس عنه
في البلد المحمول اليه دون البلاد التي يمر منها ، وقد مكثنا في إدارة الجمر ك زمنا
طويلا لحل الرفيقين هذه المشككة كما وقفونا لاجابها عندما بلقنا نهاية حدود ايطالية
وأول حدود سويسرة ، فقبح الله هذا الدخان ما أعظم ضرره وأكثر غوائله

(تريسته) حاضرة من أعظم حواضر البحر في سواحل أوربة ، على شاطئ الشمال الشرقي من بحر الأدرياتيك ، مرفأ واسع ، وثغر باسم ، في سفح جبل شامخ ، فهي كبروت أوجونية من سفح لبنان ، وأين مرفأ بيروت الصغير من مرفئها الكبير ذي الارصفة الكثيرة ، وكانت لدولة النمسة فلما مزقتها الحرب الاخيرة آلت فيما آل الى ايطالية مع بواخرها ، وهي في الاصل من حواضر بلادها ،

كان أول عمل عملناه بعد الخروج من المكس ان أودعنا متاعنا في فندق (سافواي) من فنادقها الكبرى وبادرنا الى ارسال البرقيات الى أهلينا بمصر للاعلام بوصولنا سالمين وقد طلبت في برقيتي ان يخبروني بحالة محمد شفيق بترقية برسلونها الى جنيف وأودعنا في البريد ما كتبنا اليهم من تفصيل أخبار سفرنا وما كتبته من المقالات للمنازل ، ثم طوفنا في البلد ساعة من الزمان وعدنا الى الفندق ، وقد عهدنا الى يوسف بك سالم بأن يأخذ لنا تذكرة السفر في صبيحة اليوم التالي في السكة الحديدية لما له من الخبرة ومعرفة اللغة ففعل

واقول في هذا المقام ان الانسان لا يعرف قدر معرفة اللغات الاجنبية كما يجب الا اذا سافر الى بلاد يعرف لغات أهلها فان معرفته بذلك في بلاده بين قومه لا تعدو النظريات الفكرية وشهوة التكلم والتوسع في العلم فاذا سافر وصار بين قوم لا يعرف لغتهم شعر بنقص الجهل بتلك اللغة ورأى أن ما كان يمدده كالميا قد صار من الحاجيات أو الضروريات — من الحاجيات اذا كان معه من الرفاق من يقضي له حاجة تارة ويترجم له كلام القوم أخرى — ومن الضروريات اذا فقد مثل هذا الرفيق ، واذا كفاه المترجم مالا بد منه في شؤون طعامه وشرابه وتنقله من مكان الى آخر في البر والبحر فهو لا يكفيه كل ما يحتاج اليه من إفاضة واستفادة وقلمما يوجد مترجم بين متحاورين يستطيع أن يوصل الى كل منهما ما في نفس الآخر من علم ورأي وحجة وشعور ، بل كان الاستاذ الامام يخبرهم بأن المرء قلمما يستطيع ان يوصل الى نفس غيره بالخطاب أكثر من ٨٠ في المئة وبالكتاب تنمكس النسبة فاذا كان تبليغ المترجم عنه وسطا بين تعبيره عن نفسه بالخطاب وتعبيره بالكتاب فقد يؤدي النصف او اقل من النصف من نظريات السياسة والاجتماع والفلسفة والدين ، وانما يؤدي المراد كله في الامور القطعية التي لا تختلف فيها الافكار كاثمان السلم وجهات الطرق ومواعيد السفر وما اشبه ذلك .

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقليل وتصليب ومخضبة ونقي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان، هو الامير شكيب أرسلان

(مقدمة)

قد التقينا في أوربة بعديتنا القديم الامير شكيب أرسلان الشهير
بمد افتراق بضع سنين وكثر اجتماعنا به في جنيف (سويسري) بسبب
الاشترك في أعمال المؤتمر السوري الفلسطيني وفي سياحتنا معه في سويسرة
وألمانية— وفي هذه الاثناء سمعنا منه أخبارا تفصيلية لفظائح جمال باشا في
سورية وما كان من ممارضته له بالحسنى ثم بالانفاضة، فتمنينا لو تنشر
هذه الوقائع لبيان الحقيقة التاريخية فان معرفة حقيقة تاريخ الامة هو
الوسيلة الاولى للنهوض بها والصعود في مراقي الحياة بين الامم، وضرر
الجهل به والكذب فيه كضرر الجهل والكذب في بيان أحوال المريض
وأعراض أمراضه للطبيب الذي يعالجه. وقد كانت الحقائق التي سمعناها
منه ومن غيره في أوربة مؤيدة لرأينا في جمعية الاتحاد والترقي وفي تأثير
سياستها في الامة التركية والدولة الألمانية كما سنبينه في التعليق على هذا
المقال بمد، ولرأينا في الامير شكيب نفسه أيضا وهو مانينيه في هذه المقدمة:
الامير شكيب من أشهر كتاب سورية وأدبائها بل لا أبالغ إذا قلت
إنه لا يُلزُّ به قرين منهم في مجموع مزاياه كجولان قلمه في جميع ميادين
المنظوم والمنثور والوقوف على دقائق السياسة وشؤون الاجتماع والعمران—
وفصاحة اللسان في الخطابة والمناظرة. وله في الكتابة السياسية والاجتماعية
أسلوب خاص يشبه أسلوب الحكيم ابن خلدون، وكانت سياسته
الوطنية السورية محصورة في وجوب الاخلاص للدولة العثمانية مهما
(المنار: ج ٢) (١٦) (المجلد الثالث والعشرون)

يكن حال سلطانها ورجالها في ادارتها وسياستها لا اعتقاده أنه اذا زالت سيادة الدولة عن وطنه الخاص (لبنان) وسائر سورية وسعة طمحت ساطة دولة أوربية فانه يذل ويمخزي . وكان له خصوم كثيرون في سياسته هذه اكثرهم من نصارى الجبل المشايهين لبعض الدول الاوربية ، ومبعضون آخرون لامثير بمبعضاتهم الاحسد أو التمصب الديني أو المذهبي . وهو من مريدي أستاذينا موقفي الشرق الاستاذ الامام المصري والسيد جمال الدين الافغاني ، وله غيرة على دينه الاسلامي ودفاع عنه لا يطيق صبراً على من نال منه بلسانه أو قلمه ، على أنه لطيف التساهل فكه المباشرة ، وله أصدقاء كثيرون في بلاده السورية وفي مصر والآستانة وأوربة مختلفة الممال والاجناس ، ولكنه جديد المزاج ، ألد الخصام ، فهو كما قال ابن دريد : سهل اذا لوينت لذن معظي أوى اذا خوشنت مرهوب الشدى ولهذا يبلغ في وده أصدقه ، ويفل في عداوته خصماؤه . وإنما شذاه في نضال الأعداء ، هو ما يهد في مجالدة الأدياء ومجادلة العلماء ، لا يكاد يعدو كاوم الكلام ، بوخز اسلات الألسنة وأسنة الاقلام ، فهو أديب متدين بنفر من الاعتداء على الانفس والاموال ، وشجاع يترفع عن دنينة السماية والانغراه وقد كان الكثيرون من الناس يزعمون أنه ليس له مبدأ أو مذهب في السياسة ثابت وإنما يدهن للدولة ولكبراء رجالها لاجل المنفعة ، وأكثر هؤلاء من حساده او مخالفيه في مذهبه السياسي ، وبعضهم ممن كانوا ينكرون عايه مشايتمه للحميديين في عهد عبد الحميد الذي كان يطريه بالنظم والنثر ، ثم مشايتمه للاتحاديين عند ماصاروا في الدولة أصحاب النهي والامر ، وأنه لم يكن من طلاب الاصلاح للدولة في جملتها ، ولا

لبلاده السورية أو العربية في خاصتها. وعندني أن مثله في هذا كمثل مسلمي مصر والهند وغيرهما من الاقطار البعيدة يريدون مشايمة من بيده زمام الدولة تأييدها على الاجانب لا الرضى بسوء الادارة أو السياسة. وقد كنت أنا من هؤلاء المنكرين عليه تشييع الاتحاديين ودفاعه عنهم على علمي بما ذكرت من مذهبه السياسي في تفضيل الدولة على جميع الاجانب وايتارم عليها مهما تكن حالها لأنني كنت على هذا المذهب منذ عقلت السياسة ولا أزال عليه مثله. وقد كان سيء الظن بحزب اللامركزية العثماني الذي كنت أحد مؤسسيه وطمن في هذا الحزب حتى نالني من طعنه بالباطل. انالني، على ما كان يحمد من خدمتي للاسلام واخلاصي للدولة، حتى إنه اطراني بمقال نشره في المؤيد بزعمه، انه اذا اختير من العالم الاسلامي مئة ثم من المئة عشرة ثم من العشرة واحد لكنت ذلك الواحد؛ ولم أرد عليه لعلمي بالشبهات التي مكنت ذلك الظن السيء، في نفسه

وباعلم ما كان من انباء تكييل جمال باشا بالسوريين في أثناء الحرب أشيع أن الامير شكيباً معه وأنه مساعد له على سياسته الطورانية في سورية لشبهات روجها أعداؤه وحساده حتى صدق التهمة غيرهم، ولما علمنا منه أخيراً أن الامر بضد ما قالوا اقترحنا عليه أن يكتب لنا مذكرة بما سمعناه منه أو مقالاً فيه لننشره في المنار انصافاً له وللتاريخ، وقطاباً لألسنة المنتقولين، فاجاب طلبنا معتذراً عما استلزمه من تركية المرء لنفسه وقد نهى الله تعالى عنها، وقد جاء ما كتبه رسالة ملوية فجعلناها عدة فصول وضمنا لها عناوين من عندنا واختصرنا قليلاً منها، ومنه اعذار الكاتب وهضمه لنفسه في فاتحتها، وها نحن أولاء ننشرها تباعاً، قال الكاتب:

١ - التاليف بين السوريين واستعطاف الدولة على النصراري منهم

عند ما نشبت الحرب العاهة وقبل دخول تركيا بها بل اثناء تأهبها للدخول كنت في الاستانة وكان قائد الفيالق العثماني في سورية الفريق زكي باشا فأرقي الى أنور باشا ناظر الحربية يطالب بتعجيل مجيئي الى سورية لاحتياج الحالة الى وجودي فيها يومئذ فأشار علي أنور باشا بسرعة السفر وافادته ما أراه مناسباً من التداير فسافرت الى سورية وبعد وصولي بمدة دخلت الدولة في الحرب وحصل تخوف عظيم لاسما عند اخواننا المسيحيين فتكلم معي كثير منهم في خطورة مراكزهم وما يخالج ضمائرهم فسكنت خواطرهم وأخذت على نفسي أنه لا يصيبهم أدنى سوء ما داموا هم ملازمين السكون والطاعة للدولة . ثم أخذت التي المواعظ على المسلمين وعلى غيرهم من الفرق الاسلامية ولا سيما الازوز بوجود مصافاة المسيحيين وحسن معاهلاتهم أكثر مما يجب في كل وقت وأظن أن الوفا من أهل جبل لبنان من كل طائفة يشهدون بذلك . ثم أبرقت الى أنور باشا بما عليه بطريق الموارنة من الاخلاص للدولة وما لا يزال ينصح به طائفته من وجوب التمسك بالتابعة العثمانية ويأمر به كهنته من الدعاء بنصر الجيش العثماني . وبرقتي هذه لا بد أن تكون مسجلة في سجلات بيت التلغراف في بيروت فلا أستشهد بشيء الا وشاهده حاضر لاي من أراد التحقيق

٢ - مسألة جمع اسلحة النصراري

استشارني زكي باشا القائد المشار اليه في جمع اسلحة النصراري بقوله إن عندهم في لبنان بنادق كثيرة وربما تنزل الاعداء عساكر في سواحل سورية فينضم النصراري اليهم . فحذرته من هذا العمل قائلاً إنه لا لزوم له ولا يكون له نتيجة سوى فاق الخواطر وسوء الظن بأن مقصد الدولة تجريدكم من السلاح لاجل الفدر بهم ، فلم يكتف بملاحظتي الشفوية التي قلتهال في دمشق بل أمهلني ريثما ذهبت الى بيتي في جبل لبنان وحرر الي كتاباً رسمياً طلب مني فيه اذا كنت مصرراً على عدم جمع سلاح النصراري أن اكفل عدم تحفزهم لقيام ما على الدولة . فجوابته بما يؤيد كلامي له قبلاً واكدت له أنني اكفل بنفسي المسيحيين أن لا يأتوا بأدنى حركة على الدولة . ولاجل أن يزداد طمأنينة قلت له في جوابي على سبيل الفرض إن بدا منهم شيء من هذا القبيل فاني

أمشي عليهم بالدروز قبل أن يزحف العسكر العثماني. فسكت عن هذه المسئلة من بعد هذا الجواب . وكتابه محفوظ عندي ولا شك أن جوابي محفوظ في أوراق الحربية العثمانية. ولم أخبر بهذه المسئلة سوى بكر سامي بك الذي كان والي بيروت وقتئذ فصوب رأيي هذا ، وكذلك أسررت بها الى صديق حميم لي وهو الطيب الذكر المطران باسيلوس الحجار مطران الكاثوليك في صيدا وأوصيته جداً بكتمان هذا السر لانه من الاسرار التي يعاقب على افشائها بشد العقوبة فكتمه بالرغم منه لاقناعي اياه بالخطر على حياتي اذا علمت الحكومة العسكرية بانني أطلعت عليه أحداً ، وكان يتلطف الى ساعة وفاته على كونه لا يقدر أن يخبر النصاري بما كنت أسمى به لاجل المحافظة عليهم مع أن الكثيرين منهم يرمونني بخلاف ذلك تحاملاً وتعصبا

٣ - حمل جمال باشا على احترام بطرك الموارنة

ولما نقلت الدولة زكي باشا من قيادة جيوش سورية وجمعت بدلا عنه احمد جمال باشا ورد علي بواسطة بكر سامي بك والي بيروت تلعراف رقي من أنور باشا بان جمال باشا عين قائداً للحملة المصرية وانه هو أي أنور أوصاه بي فحضر جمال الى الشام وأول ماواجهته قال لي أنه سيستقدم بطريك الموارنة الى دمشق ويأمر باقامته بها فبقيت يومين أراجعه بكلام يلين الجوامد وابين له مقدار مايكسر ذلك من خاطر الطائفة المارونية على حين ان هذه الطائفة وسائر المسيحيين لا يريدون شيئاً سوى رضى الدولة عنهم ، فنظراً لكونه حديث العهد بالجيء وموصى بي من الاستانة اقتنع بكلامي ، وقال ماذا يصنع اذاً أفلا يأتي البطريرك للسلام علي ؟ فأت له ان البطريرك لا يأتي أن يسلم عليك لكنه عدا علو سنه مريض وسيرسل اليك أساقفة يزوبون عنه بالسلام عليك ، فقال لا أقبل الا اذا كانوا من الدرجة الاولى فقات له يأتي أكبر الاساقفة ومضى تقه البطريرك يقدم بنفسه . وهكذا حفظت شرف البطريرك من أن يعرض للفض وأخبرت عما جرى نجيب باشا الملاحنة الذي كان يومئذ بالشام وكان ذهب معي الى جمال باشا ففرح نجيب كثيراً بهذا الخير وقال لي اكتب التلعراف الذي تريده الى البطريرك لاجل أن امضيه فابرق الى البطريرك برسالة المطارين ، وبلغني أنه كتب اليه عما فعلت من جهة منم استقدامه لاني بعد عودتي الى الجبل صرت أسمع الثناء والشكر من أكثر من ألقى من

الموارنة ومن جعلتهم حبيب باشا السمود الذي قال لي : لاننسى محافظتك على بطركنا والرجل حي يرزق . والبطرك نفسه حي فلست مستشهداً بغائب ولا بميت والحمد لله .

ثم ان البطرك وحبیب باشا المشار اليه اقترحا علي ان يكون ذهاب وجوه النصارى من لبنان الي الشام للسلام على جمال باشا وفداً واحداً مع وجوه الدروز هذا اذا وافق ذلك هواي فاستحسن ذلك وانتخبوا هم الوفد المسيحي وانتخبت أنا الوفد المحمدي وتلاقى الوفدان بدمشق وكان المقصد مني ومن البطرك ومن حبیب باشا أن نعلن للحكومة العثمانية اتحادنا في لبنان وانه ليس بيننا خلاف فلا تمتديد بالتضريب فيما بيننا وماأظن أحداً يقدر أن ينكر كون مثل هذه السياسة تدل على حسن النية وحب السلام

٤ - بدء جمال باشا بمؤاخذة بعض وجهاء لبنان

ثم ان جمال باشا استقدم عدة من وجوه الجبل الذين كان يبلغ الدولة منذ زمن طويل انهم يحطبون في جبل الاجاب هذا في جبل الفرنسيين وذلك في جبل الانكاز الخ وأمر باقامتهم بدمشق وكنت يومئذ في لبنان أجمع متطوعين للذهاب الى حرب الترة فلما ذهبت بالمتطوعين الى دمشق تلاقيت مع حبیب باشا السعد في محطة البرامكة فقال لي ان جمال باشا أمر باقامتي بالشام مع غيري وانما أذن لي بالذهاب الى البيت لجلب ثيابي . فذهبت تواء الى جمال باشا وفتحت له هذه المسئلة أمام خلوصي بك الذي كان والياً بالشام واعترضت بمحبة فأجاب انه لا يقبل مني تعرضاً لموضوع لم يسألني هو عنه . فقلت له انما تكلمت لكوني أدري بأمر بلادتي وبعد الآن لا أتكلم بشيء ، وخرجت مفاضباً . وفي اليوم التالي ذهب جمال الى زحلة لاستعراض الجنود فشهد حبیب باشا فأذن له بالانصراف وعاد الى الشام وطيب خاطري وأنا سافرت الى الترة عن طريق معان وسافر جمال الى القدس ، وفي أثناء وجوده في القدس أبرق اليه بعض الاساقفة المارونيين يلتمسون اطلاق سراح الذين كانوا مأمورين بالاقامة بدمشق فغضب من تدخل الاساقفة فيما لا يعنيههم وأمر بنقل أولئك الجماعة الى القدس . ولما رجعنا من حملة الترة أمر جمال بمجيئنا الى القدس فوجدت الجماعة المذكورين هناك فرجوته أن يطلقهم مع ان بعضهم كانوا من ألد خصومي فلم يجب سؤالي الا في المرحومين خليل بك الخوري وسليم بك المعوشي وكانا

لم يصل الى القدس فأمر برجوعهما ، فطفق المفسدون يتقولون بكوني أنا الذي أشار بنفي الآخرين .

هـ - رد شبهة عن الكاتب واستبداد جمال باشا

وطالما تشدقوا بهذا الاستدلال في مسائل أخرى قائلين اذا كان الامير شكيب قد أقتد فلاناً من النبي وفلاناً من القتل وفلاناً وفلاناً فهذا أوضح دليل على كون ما وقع من أعمال جمال القاسية هو برأي الامير شكيب . وكل من عنده ذرة من المنطق يسلم بأنه ان كان أحد من ذوي النفوذ تمكن بحظوته لدى حكومة أو حاكم أو قائد أن يخلص فرداً أو أفراداً من عقوبة فلا يقتضي ذلك انه كان يقدر أن يخلص كل من يراد عقابه وأن يستولي على الدولة وأن يتصرف بالاحكام العرفية والمجالس العسكرية وبارادة القواد والولاة وهم مئات وألوف ، ونحن نرى ان أموراً قد يأتيا أحد العمال خلافاً لرأي رئيسه أو رؤسائه ولا يقدرون على منعه وان جمال باشا بالتخصيص قد أتى أموراً لم يكن يوافقها عليها طلعت الذي كان روح السلطنة . ولا أنور الذي كان ناظر الحربية . وانه لما شنق الذين شنقهم ثاني مرة الزهراوى وشفيق المؤيد ورفقاءهما كان البرنس سميد حلیم الصدر الاعظم نفسه خالياً من علم هذه الحادثة فأبرق اليه محتجاً بشدة ويقال ان قتل أولئك الجماعة بدون قرار مجلس النظر كان سبب استشفاء خيرى افندي الاركوبي شيخ الاسلام . وكان السلطان محمد رشاد نفسه يبرئ نفسه من العلم بمقتل أولئك الجماعة . وأغرب من ذلك ان شلبي افندي شيخ المولوية (وهي أكبر طريقة في تركة وكان المرحوم السلطان محمد رشاد ينتمي اليها) لما ذهب بألوف من مريديه مجاهداً في سورية رأى من غطرسة جمال مالم يعجبه فاستأذن في المجيء الى الاستانة فأذن له جمال على شرط الرجوع . وكان من المقربين جداً الى السلطان فشكا اليه الامر وظن ان السلطان يصدر ارادته السنية ببقائه في الاستانة فكان من السلطان أن همس في أذنه همساً قاتلاً له : لا ترجم الى سورية لكن لا تقل اني أنا قلت لك ذلك . أفلم يروا كيف ان جمالا شنق في استامبول صالح باشا خير الدين صهر الاسرة السلطانية في دعوى قتل محمود شوكت وجاءت امرأة صالح باشا وهي ابنة أخي السلطان تشكو اليه وتؤكد له براءة زوجها فتسكّم السلطان مع جمال في استبقاء صالح باشا في الحياة على الاقل فلم يقبلوا منه

وكان التشديد من جمال كما كان يروي ذلك هو عن نفسه. أفبعد هذا يقال لماذا لم يئمنه شكيب أرسلان عن قتل زيد ونفي عمرو ؟
ثم انه لما أراد اعادة الدين كانوا في القدس الى اوطانهم ابرق الى رضا باشا قائد لبنان أن يسألني رأبي في اطلاقهم فأجبت انه لا يوجد من ذلك أدنى محذور وأنا كفيل لهم (مع ان منهم خمسة أشخاص كان مقطوعاً بيني وبينهم حتى السلام والكلام) وأبرقنا بذلك الى القدس فأطلق نصفهم ثم قبل اطلاق النصف الآخر ألقوا على السؤال نفسه فأجبت كأول مرة وأظن ان هذه التلغرافات مقيدة مسجلة فلا تصعب مراجعتها
٦ - الشفاعة في النلة الاولى من ضحايا جمال

عند ما قبض جمال باشا على رضى بك الصلح وعبد الكريم الخليل وعدة من المتهمين الذين شنق منهم ١١ رجلاً وهي القافلة الاولى لم أترك وسيلة من الوسائل الا استعملتها لاجل اقناعه بالمفوع عنهم واقفاهم ما يترتب على فتح هذه المسئلة من الضرر للدولة والملة وفي احدى المرات بينما كنت ألح عليه في الرجاء وكنا في صوفر قال لي كنت أحب أن أطلعك على المكاتب التي من بعضهم الى بعض بالحث على قتلك (يشير الى مكاتب واردة الى سورية من حقي بك العظم بحث فيها على ذلك) فقلت له هذه كتابات لا ذنب لهم فيها ومع هذا فلسنا الآن في ضغائن شخصية وإنما انظر الى المسئلة من وجهة سياسة الدولة فلا أجد فتح هذا الباب في محله. ولاكثره مراجعتي اياه كتم عن نيته الى أن أنفذ فيهم ما اراد، ومن بعد ذلك ابتداء الخلاف بيني وبينه تدرجاً بحسب تزايد شدته ومن جملة من راجعهم في أمر نصحه بترك هذه الشدة من ولادة الدولة عزمي بك والي بيروت وخلوصي بك والي الشام وعزمي بك الآخر والي الشام بعد خلوصي وتحسين بك والي الشام بعد عزمي وعلي منيف بك متصرف لبنان وعلي فؤاد بك رئيس أركان حرب الفيلق الرابع وكلهم أحياء لم يمت منهم سوى خلوصي بك

ولما أرسلت الدولة سنة ١٩١٦ وفداً تركيا الى سورية مؤلفاً من بضعة عشر شخصاً من نواب الامة وأركان الدولة منهم صلاح جيمجوز بك مبعوث الامتانة وعصمت بك مبعوثها أيضاً ووالي الاستانة سابقاً التمت منهم أن يتوسطوا في أمر الرخصة لي بالذهاب الى الاستانة لانه كان يمنعني الى ذلك

اليوم من الذهاب اليها بحجة احتياج المصلحة الي في سورية والحقيقة - وقد صرح بها أخيراً - انه كان يعلم اني لو وصلت الى الأستانة لاطهرت هناك كل ماجري وحملت على سياسته حملة شديدة ولا يقدر أن يتهمني هو بسوء النية لأن الدولة تعلم صداقي لها ولذلك أخذ هو يتكلم مع صلاح جيه جوز وعصمت في أسباب الجفاء الذي حصل وانه من أجل التدابير الشديدة التي يراها ضرورية لسلامة المملكة هم اني أنا غالبية علي صفات الشاعرية ورقة القلب ويهمني أن أرضي أبناء وطني وأجيب رجاءهم ولو بخلاف المصلحة حتى تشفع الي لاناس كانوا يعملون لقتله وكاشفته بذلك فقال : لا تعلم مقدار اللذة التي يجدها الانسان في استحياء من كان يريد قتله .

٧ - الشفاعة في الثلة الثانية من ضحايا جمال باشا

لما قبض جمال على الفرقة الثانية العسلي والشمعة وشفيق المؤيد والزهرابي ورفاقهم واجتمع في عاليه نحو من ٧٠ معتقلاً أخذنا نستعطف خاطرهم لاجل اطلاقهم ونبين له الفوائد السياسية في العفو عنهم وما تصاب به الدولة من الاضرار بالشكال بهم وحملنا علي فؤاد بك رئيس أركان الحرب على الكلام معه في هذا الموضوع لما كان له من نفاذ الكلمة لديه وأكدنا الرجاء الشفوي بالرجاء كتابة أولاً وثانياً فلم تكن تعجبه هذه المساعي مني ولم تسؤه الا عند ما كلمت عزمي بك والي الشام في ذلك وكان تعيينه لتلك الولاية بدون علمه فاحتج على تعيينه وطلب صرفه فاستمهله ثلاثة أشهر بعدها عاد عزمي المذكور الى الأستانة وقبل سفره من دمشق ذهبت اليه في دار الولاية وطلبت منه مقابلة سرية وقتت له في مبدأ خطابي اني مودع هذه الكلمات شرفك وارجو ان لا تعيدها الا الى طلعت بك ناظر الداخلية وهي ان تمادي جمال باشا في ارهاق الحد سيكون منه خطر على سورية وينشأ عنه شقاق طويل بين العرب والترک لانهاية له . ولما كان جمال باشا لا يسمع ما نسمعه نحن أبناء البلاد ولا يجراً احد ان يقول له الحقيقة فهو يظن ان الناس راضون باعماله وليس هناك من راض ولا من مستحسن حتي اتس الذين يمتدحون لديه أعماله وعملأون مجالسه نظماً وثرأ تراهم يتهامون فيما بينهم بوخامة العاقبة وانا صدقت الى اليوم من هذه الدولة واعتد عدم تحذيري وانذاري اياكم بما ينبت في روعي (المنار: ج ٢) (١٧) (المجلد الثالث والعشرون)

من هذه الجهة خيانة واخشى ان تقولوا في يوم من الايام لماذا لم تنبه افكارنا وتجهز بالحقيقة ؟ فيها انا اذا آت لا قول لك الحقيقة بكل صراحة لتبأغ طلعت بك ما قلته لك بتامه . فتأمل قليلا وقال لماذا لم تراجع انت جمال باشا ؟ فقلت قد تكلمت معه مراراً وكتبت اليه تقارير واستمعت بعلي فؤاد بك ولم أر منه دليلا على الرضى ، واخاف ان يصيب هذه القافلة الثانية ما أصاب الاولى فتكون المصيبة أطم والمواقبة اوخم ، فقال لي أنا لا أقدر ان أشافه بذلك طلعت بك كما تريد لانه كالطعن في سياسة جمال باشا مع اني انا احترم هذا الرجل وان شئت اقول انا لجمال باشا نفسه . فلم يسمنى الا ان اقول له حسناً تفعل اذا نصحتك بشرط ان تجعل الكلام منك لا متي . وبعد يومين من هذه الجلسة جاءني احد الشرطة يدعوني الى (القرار كاه العمومي) اي محلة القائد العام وذلك بخلاف العادة الى ذلك الوقت اذ كان قبلها يدعوني دائماً بواسطة ياور من قبله فلما ذهبت وجدت لونه متغيراً وصك الباب وقال لي انه لم يحترم الى الآن أحداً في سورية نظيري لا لسبب سوى حسن اخلاقي الخ ولكن بدأت منذ مدة اتدخل بما لا يعنيني وأنتقد أعماله مع انه هو القائد وهو المسؤول وهو وهو الخ فقلت له اني غير موافق على خطة اهداف الحد واخشى اذا سكت ان أكون مسؤولاً تجاه دولتي وملتي بل تجاه ضميري ، فقال لي قلت لي وكتبت وبينت فكرك وارتحت وجدانك وهذا كاف ولكنك لا تزال مواصلاً مساعيك غير راجع عن اصرارك حتى ذهبت تستنجد عزمي بك وتقول له هكذا بالحرف : قل لطلعت بك يكتب الى هذا الرجل ليخفف من هذه الشدة . فلم أنكر شيئاً من هذا الحديث وقلت له نعم لما قطعت أملي منك رأساً ظننت اني أقدر على استعطاف خاطر ك بواسطة طلعت وانت تعلم اني شخصياً ممنون لك وانك لا تعامل أحداً في سورية بمثل ما تعاملني به من الرعاية اذاً لا يحتمني على هذا السعي سبب شخصي بل مجرد اخلاصي لدواتي ووطني ولشخصك انت لانني اخشى ان يحملوك في يوم من الايام جميع عبء هذه المسؤولية . فقال كن مستريحاً من جهتي ولا تظن اني مقيد بخاطر طلعت ولا غيره ، ثم سكت قليلا وقال أظن اني افعل ما افعل بدون مشاورة رفقاء لي ؟ ثم أنهى كلامه قائلاً اني انذرك بان لا تتدخل من بعد في هذه المسائل التي هي منوطة بي وحدي الخ

٨ خيبة التوسل بأنور باشا وظهور خوفه من جمال باشا

ولما جاء أنور باشا سورية وكان السهم لما ينفذ في القافلة الثانية افتردت زيارته لخلاصهم فحرص جمال جدد الحرص على منعه المخالطة له طول هذه السياحة من الاستانة الى المدينة المنورة ، حتى انني لما طلبت منه الاجتماع في جلسة سرية في (اوتل بترو) في دمشق لم أكذب أبداً معه بالحديث حتى عرف جمال باشا بواسطة احد عيونه الذين كانوا محيطين بانور ليلاً نهاراً فجاء ودخل علينا بفتة بدون استئذان وقال لانور : نحن مدعوون عند نخري باشا افلم يحسن الوقت للذهاب ؟ فنظر الي انور وقال : الا يمكن إرجاء الحديث الى الغد ؟ وكان صباح ذلك الغد وموعد سفره فقلت له لي كلمات لا يأخذن الا بضع دقائق . فاصفر لون جمال حتى صار كالكهرباء وخرج وانا أكملت حديثي مع انور بمعنى العفو عن المعتقلين الذين في (عاليه) وجعل ذلك العفو احدى نتائج سياحته بحيث تكون له هذه المنحة على ابناء العرب . على انه ان كان يرى انه لا بد من الحكم فليكن بالنبي لا بالعدم لان النبي يلحقه العفو وأما العدم فهو غير قابل للتلافي . فلم يزد انور في جوابه على قوله سأوصي وابذل جهدي ، وليكن كان كلامه ضعيفاً وكانت عليه علامة الحيرة . فعلمت انه عاجز عن مقاومة جمال او ان هذا نال من اكثرية الرفاق قراراً أصبح مبرماً لا يقدر انور على نقضه . ثم أسرع انور بالخروج ليري جمالاً ان الجلسة بيننا لم تطل وكان جمال واقفاً أمام الباب ينتظر عمداً لكيلا تطول الجلسة . فقال له انور : يحكى لي شكيب بك في أمر الذخيرة (وهي القمح في عرف الترك) فلم يجاوبه جمال لعلمه اني ما تكلمت الا في مسألة معتقلي عاليه . ورأيت أنا بعيني ساعتئذ من ضعف أنور بازاء جمال مالا أنساه وما أكذب لي ما كان يقال من انه كان يبرق اليه كثيراً من الاحين قائلاً : انا حر في منطقتي مسؤول عنها وليس لك ان تعترضني بشيء . على انني لم اكتف بهذه الكلمات مع انور بل ذهبت الى رئيس رفقائه القائم مقام كاظم بك وأطلت معه القول في العفو عن المعتقلين ليبلغه ايام ثاني يوم حرفياً في أثناء الطريق . وقد عرف كثير من أعيان سورية يومئذ بما وقع وقالوا لي قد عملت الذي عليك

ثم عند ما صمم جمال على شنق الجماعة استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه علي ما علمت من شكري بك نفسه

أسماء ٤٠ شخصاً يجب ان يحكم عليهم بالموت، فراوده شكري بك كثيراً ودافم كثيراً فتهدهه بالقتل (بحسب قوله) ولما قال له ان وجسداني لا يرتاح الى الحكم بالموت الا على ثلاثة وبالكثير على خمسة استحضر جمال باشا أعضاء الديوان وكلهم وهم ضباط شبان لا يخرجون عن أمره فم يبق مع شكري بك الا القاء مقام ملحم بك حماده اللبناني البعلقيني وهو الذي كاشفني بذلك اذ قلت له مشجعاً لا تمناً بهديده لا يقدر على قتلك ولا يريد انما يريد اقناعك بالحكم. فقال ان الامر خرج من يدي وأكثرية المجالس صارت في بده وليس معي الا ابن وطنكم ملحم بك. ولما فشلت هذه الرسائل بقي أمام ضميري وسيلة مراجعة المانيا فذهبت الى (لوتفيد) فنصل المانيا واستحلفته يمينا بالشرف ان لا يخونني لان مثل هذا الامر فيه خطر على الحياة. فاقسم. فأخبرته بما وقع مع شكري بك من أوله الى آخره وانه قد ظهر تصميم جمال على القتل وأن هذه المسئلة وان كانت عثمانية داخلية لاحق لكم في التدخل بها فانها من جهة أخرى تضر المانيا ضرراً بليغاً اذ مما ينبغي أن تفهموه أن قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لا نهاية لها فتكونون زدتم الدول الائتلافية قوة أمة جديدة هي الامة العربية. فأبرق القنصل بالارقام الى السفارة بكل ما قلت له. بعد ذلك بنحو جمعة وقم الشنق وكان في ليلة السبت وفي نهار الاحد وزارني القنصل في منزلي وقال لي: قد تحقق لي الآن أنك كنت على بينة مما تقول. ولم يرد جواب تلغرافي الى اليوم. ثم لقيته بعد أيام فقال لي ان سفارتنا لم تقدر أن تصنع شيئاً. ولكن الأتراك سيندمون على هذا العمل. وأخذ لوي تنفيذ يظهر أسفه مما حصل أمام الكثيرين من أهل الشام لينبرثوا المانية من هذه الحادثة ولعل الحكومة الالمانية بعد رجوع الملاقات الدولية الى ما كانت عليه تنشر مثل هذه المراسلات فبظهرها لعل المسيو كولمان السفير الالمانى الذي كان سنة ١٩١٧ في الاستانة قد أخبر به حكومته عما كنت قررت له من حقيقة هذه المسئلة فقد قال لي: أن المسموع أن هؤلاء الالمان الذين شنقوا في سورية كانوا ممالئين لفرنسة على احتلال سورية: فقلت له: لا صحة لذلك، ربما يوجد في سورية من يتمنى باطننا احتلال فرنسة ولكن لا الزهراوي ولا شفيق المؤيد ولا الصلي ولا الشمعة الخ يريد احتلال فرنسة لسورية بل هم وطنيون مثلنا ويكرهون احتلال الاجانب لبلادنا كما نكرهه نحن وزيادة، نعم ان هؤلاء

قامو بحركة استقلال اداري داخلي وبطاب حقوق للعرب معلومة هم البقاء ضمن دائرة الدولة العثمانية وليس في ذلك خيانة تستحق العقوبة بالقتل فضلا عن الخطأ السياسي العظيم الذي ارتكب في هذه الواقعة والذي أوجد هذا النفور بين العرب والترك : فسكت السفير لكلامي هذا الذي عززته بقولي انني لم أكن على مشرب واحد في السياسة انا واكثر من قتلوا ولكن حاشا ان أقول انهم خونة او انهم يبتفنون احتلال الاجانب لبلادهم . والمسيو فون كولمان لا يزال حياً وهو شهير في المانيا يمكن أن يسأله من شاء عن ذلك وعن سعي آخر لي لديه ولدى خلفه في السفارة (وهو) :

٩ - السعي لجعل الترك والعرب كالنمسة والجزر

لما نشبت الثورة الروسية وخلصوا القيصر وشاع انه ربما ينمقد الصلح على قاعدة تمتع الامم بحريتها ويم ذلك الجميع ذهبت الى المسيو كولمان هذا وافضت اليه بما يتناهى العرب من الحصول على الحرية التي سيحصل عليها غيرهم فاجابني : كل ما تقوله مفيد وجدير بالاهتمام الا اننا لا تقدر ان تتدخل في مسائل تركية داخلية . وبمكس ذلك (الكونت برنستورف) الذي جاء خلفاً لكولمان عند ما صار هذا ناظراً للخارجية في برلين فقد حادثته مراراً بمسئلة العرب ووجوب تغيير نظام السلطنة بعد الحرب العامة بحيث تكون البلاد العربية من البلاد التركية كما هي البافيار وروسيا او المجر واوستريا . وكان يصرح لي بكونه هو على هذا الرأي ، وانه فاض طلعت فيه ووجده قابلاً لهذه الفكرة ، وكان يمدني بالصراحة بأن المانيا ستساعد العرب بعد انتهاء العرب على تحقيق أمنيتهم هذه ، ومرة اجتمعت مع الكونت برنستورف في برلين قبل انتهاء الحرب ببضعة أشهر وكنا نازلين انا واياه في (اوتل آدلون) الشهير وكذلك طلعت باشا وكنا نجتعم كثيراً لتسوية خلاف كان وقع بين الدولة وبين المانيا يتعلق بالقافقاس ومدينة باكو . وبينما كنا نتحدث مرة اسرّ اليّ الكونت برنستورف خبراً قال لي انه خبر يسرك وهو انه وقعت مفاوضة بين الامير فيصل وبين الدولة على الصلح بواسطة القواد الذين بسورية ، فطلب الامير فيصل ان يكون مركز العرب في الدولة كركز البافيار في المانيا ، قال لي الكونت : وقد استشارني طلعت في هذه المسئلة فقات له : اسرعوا الي قبول هذا الوجه . وهذا رأيي قد قمت بما طالما وعدتكم به . والكونت

برستورف في ألمانيا أشهر من نار على علم وهو الآن نائب في الرايستاغ فما على المرید الا أن يسأله كيف كان كلامنا معه في المسألة العربية .
ثم إنني كتبت في هذا تقريراً طويلاً تقدم الى نظارة الخارجية الألمانية بواسطة أحد أصدقائنا الألمان من المشتغلين بالأمور الشرقية في أثناء زيارتي لألمانيا سنة ١٩١٧ وما خصه تشكيل امارات خمس عربية مستقلة استقلالاً داخلياً تماماً مرتبطة مع الدولة العثمانية في الجيش وفي الامور الخارجية . وفي كل منها مجلس أمة ومجلس شيوخ . وفي الاستانة مجلس عام للسلطنة . والرجل الذي قدم هذا التقرير هو أيضاً في قيد الحياة وهو من أصدقاء الاستاذ صاحب المنار (شكيب ارسلان)

القياس في اللغة العربية

٢

القياس في العوالم

من البين ان الرفع والناصب للكمة في الواقع انما هو الالفاظ بها ، وما تسميه بالعامل كالفعل والحرف انما هي اداة يلاحظها المتكلم ويأخذها بمنزلة الوسيلة لتلك الآثار الخفية من رفع ونصب وخفض وجزم وحيث لم يكن تأثير هذه العوالم النحوية من قبيل تأثير الاسباب العقلية او الحسية وانما هو بقصد المتكلم الى جعلها واسطة جاز تأخيرها عن المعمول واستقام لكل من اللفظين ان يكون عاملاً في صاحبه كاسم الشرط والفعل المجزوم به نحو « اياماً تدعو » ولا يتوجه الاعتراض عليها بان الاثر لا يوجد قبل علته الفاعلة — وساغ لهذا المعنى الذي انكشف في بيان العامل ان يتوارد عاملان على معمول واحد ولكنهم ضعفوا قول المبرد « ان الابتداء حامل في المبتدأ وهما عاملان في الخبر » من جهة السماع فقالوا ان توجه عاملين الى معمول واحد لا يعهد له نظير في العربية . ولمثل هذا لم يأخذوا بما ذهب اليه الفراء من ان زبداً في قولك : قام وقعد زيد — مرفوع بالفعلين ، واختاروا ان يكون فاعلاً بالثاني وجعلوا الفاعل في الاول ضميراً مقررّاً وأكثر اختلافهم في تحقيق العامل لا يظهر له أثر في نظم الجملة ، وقد ينبغي

عليه الحكم بصحة بعض التراكيب كاختلاف الكوفيين والبصريين في الرفع
لاسم كان الناسخة ، فقتضى قول الكوفيين « ان الاسم لم يزل مرفوعاً
بالابتداء وان كان انما عملت في الخبر » ان لا يجوز نحو كان زيد كاتباً وعمر
شاعراً ، لما في هذا المثال من العطف على معمولين عاملين مختلفين وهما الابتداء
وكان ، ولكنه بمقتضى مذهب البصريين يكون المثال عربياً فصيحاً لان
المعطوف عليهما وهما « زيد كاتباً » كلاهما معمول للفعل الناسخ وهو كان .
وعطف اسمين على معمولي عامل واحد وان اختلف اعرابهما الامرية في صحته
ولما كان تقرير العامل مما ينشأ عنه آثار في هيئة التراكيب ساغ لنا ان
نأتي في هذه المقالات على أهم الاصول التي يراعيها في تحقيق العوامل فنقول
ينقسم العامل الى قوي ووسط وضعيف فالقوي ما يتصدى للعمل من
جهة صيغته ويكون له تعلق بالمعمول من حيث المعنى مثل الافعال والصادر
وما يشتق منها ، ولقوتها في العمل صح لهم ان يسندوا اليها عاملين مختلفين
مثل كان واخواتها او ثلاثة آثار كالافعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل
والوسط مثل الحروف وما يعمل من جهة موقعه من الاسماء كالمضاف
يعمل في المضاف اليه ، والمبتدأ يعمل في الخبر ، والمميز المفرد يعمل في التمييز
والضعيف مثل الابتداء والتجرد والاضافة في رأى بعض النحاة ثم
ما يسميه الكوفيون بالصرف ، ومن هذا القبيل ما شابه الفعل في طلب العمل
بمعناه كاسم الاشارة وحرف التنبيه في رأى من يجعلها عاملين في الحال ،
وحرف النداء وما النافية عند من يعلق بهما الظرف او الجار والمجرور
ونبني على هذا التقسيم أنه متى أمكن أن يكون العامل من الصنف الاول
فلا نعدل عنه الى القول بعمل الصنف الثاني ، واذا ساغ أن يكون من الصنف
الثاني فهو أحق من الصنف الثالث وأولى ، وبمراعاة هذا الترتيب يترجح قول
البصريين أن العامل في المفعول معه هو الفعل لا الواو المعية ، وأضعف من
القول أن العامل هو الواو نفسها مذهب الكوفيين حيث أسندوا العمل الى ما
هو من الصنف الثالث فقالوا هو منصوب على الخلف ، ومن هذا النمط قول
سيبويه « العامل في التابع هو العامل في المتبوع » فانه أقوى من قول الاخفش
« أن العامل في التابع معنوي وهو كونه تابعا »
واختار سيبويه في باب النداء أن يكون العامل من الصنف الاول ولو

مقدراً ورجحه على الصنف الثاني وإن كان ملفوظاً به حيث قال ان العامل في المنادى فعل مضمرة تقديره ادعوا . والتحقيق فيما نرى أن الموازنة بين الصنف الاول مقدراً والصنف الثاني مذكوراً ترجع الى قوة النظر في التحنى وسرعة انتقال الخاطر الى المقدر فاذا كان المدعي تقريره لا ينتقل اليه الذهن بسرعة أولاً يلتزم بنظم الكلام لو صرح به فالراجح نسبة العمل الى الملفوظ به ولو كان من الصنف الثاني ، وهذا ما دعا المبرد الى أن قال « العامل في المنادى حرف النداء نفسه »

والملفوظ من أي صنف يقدم على المضمرة الذي هو في رتبته بلاسمية ، وهذا الوجه مما يتقوى به قول سيبويه العامل في عطف النسق هو العامل في المتبوع خلافاً لقول ابن جني في سر الصناعة العامل مضمرة ويقدر من جنس العامل في المعطوف عليه ، ويترجح به قول الجمهور ان المفعول لاجله منصوب بالفعل المذكور قبله خلافاً للزجاج حيث أرجعه الى المفعول المطلق وقدر له فعلاً من نوعه

ومما يجري على هذا النسق أن الجمهور يرون عامل الجزم في الفعل الواقع في جواب الطلب شرطاً مقدراً وذهب فريق الى أن العامل هو الطلب نفسه . وأنت اذا أقت موازنة بين المذهبين فرمما دفعتك قوة المعنى الى ترجيح قول الجمهور فان اكرامك له مخاطب في مثل قولك «زرني اكرمك» معلق على حصول الزيارة ، وهذا المعنى لا يستقل بافادته الامر أو الاستفهام وحده فلا بد من ملاحظة شرط يستقيم به نظم الكلام ويطلق به المعنى الذي قصدت التعبير عنه . وللفريق الذي عزا عمل الجزم الى الصيغة الملفوظ بها وشذ مذهب به بقول سيبويه في هذا المبحث من الكتاب «انجزم بالامر» «انجزم بالاستفهام» «انجزم بالتمني» ان يجيب بأن ترتب الاكرام على الزيادة في ذلك المثال ودلالة الجملة على توقفه عليها يؤخذ بقريئة الجزم فيكون الجزم بمنزلة الفاء في مثل قولك «كن شريف الهمة فيكبر عملك» فكبر العمل موقوف على شرف الهمة وليس هنا شرط مقدر وإنما هي الفاء تنبيه عن هذا الارتباط الذي سميت من أجله فاء السببية

والاصل في الحروف المشتركة بين الاسماء والافعال أن تكون معزولة عن العمل وخرج عن هذا الاصل ما ولا وان النافيات فانها من قبيل ما

يشارك فيه النوعان وقد أعطاهما بعض العرب عمل « ليس » الناسخة ، فاذا وقع نزاع في نسبة العمل الى حرف مشترك فالاصل في جانب من ينبي عنه العمل ، ويظهر بهذا ضعف القول بان العامل في عطف النسق هو حرف العطف فان العاطف لا يختص بأحد القبيلين ، وعلى هذا الاصل ينبي خلافهم في « أن » وأخواتها اذا اتصلت بها (ما) الزائدة فقد سمع العمل في « ليتما » فقط فاتفقوا على جوازه في هذا الحرف واختلفوا في بقية الحروف فمنه سيويه وأجازه الزجاج وابن سراج والكسائي ، ومذهب سيويه قائم على أن ليتما لم تزل على اختصاصها بالاسماء فساغ إعمالها ولا يسوغ قياس الاحرف الباقية عليها لان ما أزلت اختصاصها بالاسماء وهيأتها للدخول على الافعال

ومن أصولهم أن الحرف لا يعمل عملين مختلفين وإنما يعمل عملاً واحداً كالحروف الخافضة للاسماء والناصبة للافعال أو عملين متماثلين كما كثر الجوازم والحروف العاملة في المتبوع وتابعه ، وخرج عن هذا الاصل عند البصريين أن وأخواتها ، وحافظ عليه الكوفيون فطرده في كل موضع وقالوا إن الناسخ عمل في الاسم وحده وأما الخبر فانه صرفوع بما ارتقم به قبل أن يرد عليه الناسخ وهو المبتدأ ومثل هذا قول سيويه ان « لا » النافية للجنس انما عملت في الاسم وأما الخبر فانه صرفوع بكونه خبراً للمبتدأ

والاصل فيما يسند اليه العمل أن لا يتخلف عنه أثره أينما وجد فاذا احتمل وجه الاعراب أن ينسب الى ما يدور معه العمل حينما تحقق أو يضاف الى ما لا يطرد في جميع مواقفه ترجح جانب المحمل الاول ، ومن أمثلة هذا أن الكوفيين ومن تبهم من النجدانيين يقولون إن الفعل الواقع بعد واو المنيمة المسبوقة بطلب أو نفي منصوب بالخلاف المسمى عندهم بالصرف ، ويأنه أن معنى « وتأتي » في مثل قول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتي مثله » لما كان مخالفاً لمعنى ما قبله في الايجاب والسلب خولف بينهما في الاعراب . وهذا المنهوب مردود بان الخلاف قد ثبت في مواضع لم يظهر له فيها عمل كلافعال الواردة بعد لا ولكن العاطفتين

واذا دلت الصيغة على معنى وتقرر لها عمل خاص ثم جاءت صيغة اخرى توافقها في الدلالة على ذلك المعنى فليس لنا أن نلحقها بالاولى في إعطائها ذلك (المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الثالث والعشرون)

العمل اذا لا يلزم من الاتحاد في المعنى التماثل في العمل فانك ترى كثيراً من
الكلم تتحد معنى وهي تختلف في التعدى والذوم نحو صلى عليه ورحمه . ومما
يوضح هذا الفرض أن صيغة مفعول تعمل في الاسم الظاهر نحو مفعول
غلامه ومذبوح جزوره ، ويوافق هذه الصيغة في الدلالة على معناها صيغة
فمعل نحو قتيل وجريح وقد أبى الجمهور أن يلحقوه بشبيهه ويرفعوا به الظاهر
وقالوا لا يصح أن يقال مررت برجل كحيل عينه أو قتيل أبوه ، وأجاز ذلك
ابن عصفور . قال أبو حيان وهو محتاج الى نقل صحيح عن العرب . ونحن
تقول ان كان مستند ابن عصفور في هذه المسألة قياس فمعل على مفعول فقد
عرفت فساده اذا لا يلزم من الاتحاد في المعنى التوافق في العمل فيكون الاصل
بيد المانم حتى يأتي المميز بشاهده ، وقد يقرر القياس في مذهب ابن عصفور
على وجه آخر وهو أن يقال قد انفقوا على أن صيغة فمعل ترفع الضمير فألحق
ابن عصفور به الاسماء الظاهرة ، وقياس الاسم الظاهر على الضمير في مثل
هذا الحكم أيسر من قياس فمعل على مفعول . وينتظم في هذا الملك صيغة
فعل نحو حذير فسيبويه يذهب الى أنه يعمل عمل الصيغة المحول عنها وهي اسم
الفاعل وخالفه الجمهور في ذلك وهم الواقفون بالاصل الذي كنا بصدد ايضاحه
وسيبويه هو المطالب باقامة شاهد على مذهبه ، وحيث تلا عليهم قول الشاعر
جذيراً اموراً ما تخاف وآمن ما ليس ينجيهِ من الاقدار
ردوه بأن البيت مصنوع ، وحكوا عن اللاحقي أنه قال ان سيبويه
سألني عن شاهد في تعدى فمعل فعملت له هذا البيت

القياس في شرط العمل

قد يكون العمل مقارناً لوصف ولفظ خاص فيسمون ذلك الوصف أو
مقارنة اللفظ شرطاً له ، وهذا له حالان (احدهما) ما اذا فقد ذلك الشرط
بظل العمل وبقي العامل مهملًا ، كما شرطوا في نصب « اذن » للمضارع أن
تكون في صدر الجملة فاذا فقدت الصدارة بطل النصب مع بقاء اذن في نظم
الكلام مهملًا ، ومثل هذا النوع من الشروط لا تنبغي المخالفة فيه الا ممن لم
تبلغه الشواهد التي خليت من الشرط فانعزل العامل عن العمل
(ثانيهما) ما اذا فقد الشرط لم يصح أن يوثق بالعامل في نظم الكلام
البتة ، وهذا كما شرطوا لعمل ان وأخواتها الترتيب بين اسمها وخبرها فان

المتمم اذا لم يوف لها هذا الشرط لا يسرغ له أن يدخلها في التركيب ولو لم اهمالها ، وهذا النوع من الشروط هو الذي يختلفون فيه كثيرا فان للمخالف في الشرطية أن يدعي أن مقارنة ذلك الوصف انما كانت على سبيل الاتفاق لا على وجه الزوم وبناء العمل عليه اذ لا يوجب ههنا صورة تبين كيف عزل العامل عن العمل من أجل تخلف ذلك الوصف مثلا عرفت في القسم الاول ولمدعي الشرطية أن يقول اني لم أر هذه الاداة عاملة الا مع هذا الوصف الخاص فاعده شرطا للعمل ومن ينفي الشرطية فعليه اقامة الدليل . ولا مقال لمنكر الشرطية في هذا المقام الا أن يسوق شاهدا على عمها مع عدم ذلك الوصف أو يمنع أن يكون لارتباط العمل بذلك الوصف وجه مناسب فان سلك الطريقة الاولى وهي اقامة الشاهد على العمل مم تخلف الوصف فقد رمى بسهم صائب وأصبح مذهبه في حرز حارز من الصحة، وهذا كأن يقول الكوفي إن خبر كان لا يأتي فملا ماضيا الا أن يقترن بقد . فيعارضه البصري في هذا الشرط ويتلو عليه مثل قوله تعالى (ان كان قبضه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) وقول زفر بن الحارث :

* وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة *

وقد يستمر مدعي الشرطية ماسكا برأيه ولو بعد أن تلقى عليه الشواهد البينة في إلغاء الشرط وقيام الحكم بدونه ذاهبا الى حمل الشواهد على غير ظاهرها كما زعم الكوفيون في هذه المسألة أن «قد» في تلك الشواهد مضمرة . ومتى سقط مقال المناظر الى هذا الدرك من التعسف كان الاعراض عنه أبلغ جوابا وأحسن جدلا

واذا عجز المخالف في الشرطية عن الطريقة الاولى حيث أعوزته الشواهد وجنح الى الطريقة الثانية وهي المطالبة بالوجه المناسب لجعل ذلك الوصف شرطا فان أبدى القائل بالشرطية وجها صحيحاً لارتباط الحكم بالوصف المقارن انقطع المخالف واستقر الشرط في محله ، وهذا كما يقول البصري أن الفعل الناسخ المقرون بما النافية لا يجوز تقديم خبره على ما . وهذا القول في معنى أن شرط عمل الناسخ المنفي بما أن يكون خبره مؤخر عنها . وقد نازع الكوفيون في هذا الشرط مع اعترافهم بان الخبر لم يرد في السماع الا مؤخرا ، فما وسم البصري سوى أن قال في علة ربط العمل بهذا الشرط واختصاصه به : إن ما

النافية من الأدوات المستحقة للصدارة فلا يتمكن ما بعدها من العمل فيما قبلها . ولو عجز القائل بالشرطية في أمثال هذه القضية عن بيان وجه الاشتراط لآمكن للمخالف أن يولي وجهه شرط القياس ، فإذا وجدته قريب المأخذة حسن الموقع جاز له أن يهدم به ذلك الشرط ويستمر الحكم على اطلاقه ، ومثال هذا أن يذكر الجمهور في شرط اعطاء ما النافية عمل «ليس» تقدم اسمها على خبرها فينازعهم ابن عصفور في ذلك ويستثني الظرف والجار والمجرور الواقعين خبرا ويجز تقديمها على الاسم . واذا عدم الجمهور أمثلة من كلام العرب تشهد ببطان عمل «ما» اذا قدم خبرها على الظرف أو الجر والمجرور ثم لم يبد وجهها يقتضي التزام الترتيب التسم في وجه ابن عصفور مدخل القياس فألحق ما النافية بباب ان وأخواتها حيث يجوز تقديم خبرها على اسمها متى كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً ومن الأمثلة الجارية على هذا الوجه قولهم ان الفعل لا ينصب الضمير العائد الى نفس الفاعل الا اذا كان من النواسخ فيجوز : اظني كاتباً وتحسبك شاعراً ، ولا يجوز اذاتي ، أو تحسن اليك . فان قام مخالف في اشتراط كون الفعل من النواسخ ولم يسق شاهداً على ما يدعي بل ذهب الى قياس نحو عاتب وأحسن على ما ستم في باب النواسخ تعين على سيبويه ومن اقتدى على أثر في هذه المسألة أن يتعرضوا للطعن في هذا القياس ببيان الفارق بين البابين وكذلك فعلوا فقالوا ان حسبت وأخواتها دخلت على مبتدأ وخبر لتجعل الحديث شكاً أو علماً فصارت بمنزلة ان وأخواتها في افادة معان زائدة على اصل المعنى الخبري ، وكما جاز : اني شاعر ، ولعلي كاتب ، جاز : حسبتني شاعراً ، وعلمتني كاتباً . وأما الافعال غير الناسخة فلم تحرز هذا المعنى اذ هي المقصودة بالحديث ومنزلتها من الاسماء المنصوبة بها منزلة المبتدأ من الخبر ، واذا تحقق الفارق بين المسألتين امتنع إلحاق احدهما بالآخرى

القياس في الاعلام

المعروف في الاعلام أن أمرها موكول الى واضعها فيركبها في أي وزن شاء بدون أن يراعي فيها قانوناً أو يجري فيها على سنة قياس ، قال الشيخ ابن عرفة في تفسير قوله تعالى (عند سدره المنتهى) انتقد القراني على الفخر ابن الخطيب تسمية كتابه باسم المحصول قائلاً ان فعل حصل لا يتعدى الا بحرف الجر ومثل هذا لا يبنى منه اسم المفعول الا مصحوباً بالمجرور فكان حق

التسمية المحصول فيه . والجواب ان ذلك واجب في نظم الكلام وأما في التسمية فيجوز لانه يصح تسمية الانسان ببعض الاسم فأجرى أن يسمى باسم المفعول غير مصحوب بحرف الجر كما سميت الشجرة بسدره المنتهى اليها ، وبمثل هذا يجاب من الممرض تسمية القاضي عياض كتابه بالشفاء وقال أن ما ورد ممدودا كالشفاء لا يجوز قصره الا في ضرورة الشعر . والتحقيق أن انكار تسمية بعض المؤلفات برد المختار أو المقتطف انما يتوجه على واضع الاسم متى اعتقد صحة أخذ الفعل من مادة حار أو قطف . ولو علم أنه لا يقال مختار ومقتطف ثم حمد الى وضع أحدهما اسما لتأليف بعينه لم يكن مخالفا لقانون اللغة ، وعلى أي حال فالناطق بهما بعد أن صارا علمين لا يتوجه اليه اعتراض ولا يوصف بالخطأ الذي يوصف به القائل اقتطفت الثمرة واحترت في أمر كذا .

ولا أدري الى هذا اليوم ماذا أراد صاحب القاموس بالقياس في قوله « فقمس علم مرتجل قياسي » اذ لا نعلم فارقا يميز فقمسا عن بقية الاعلام المرتجلة سوى أن مادته لم تستعمل الا في صيغة هذا العلم بخلاف غيره من المرتجلات كسعاد وادد فانها مرتجلة نظراً الى صيغتها وأما مادة حروفها فانها مستعملة في معان أخرى بصور مختلفة (يتبع) محمد الخضر

الرحلة السورية الثانية

— ٨ —

الحديث مع سكرتير الجنرال غورو

مكثت مع موسيو رويير دو كيه ساعة وأربعين دقيقة ، وقد افتتح الكلام بالثناء علي بقوله إنه بلغه اني من اشهر علماء الاسلام في هذا العصر ومن الخطباء المؤثرين ، والكتاب فتلقت في الشكر والتنصل وتقل الحديث الى الموضوع فشرعت أولاً في مقدمات اجتماعية ، تألف منها أقيسة منطقية ، تفهم من سياق الكلام ، وان لم تذكر بأسلوب تأليف المنتج من الاشكال ، واذكر المهم من ذلك بالاختصار ، قلت :

(١) ان للقوى الادبية تأثيراً في البشر لا تغني عنه القوى المادية

كما يرشد اليه قول المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ، ولذلك تجهد الدول والامم المليمة بطبائع الاجتماع في إعلان فضائلها وتبذل في ذلك مالا كثيراً بوسائل كثيرة كما تجهد في الدفاع عن نفسها اذا وصفت بشيء من الرذائل ولو بحق ، وقد استفادت هذه الدول والامم فوائد عظيمة باقناع الكثير من الناس بأنها هي المقيمة لاركان العدل والحرية والمساواة بين الناس والقائمة بأمر تحرير الشعوب المظلومة من الظلم والاضطهاد خدمة للانسانية ، ولكن هذه الحرب الاخيرة قد هدمت منذ عقد الهدنة الى اليوم ما بنته هذه الامم ودولها في قرن بل في قرنين ، ولا سيما انكلترة وفرنسة اللتين ملأتا الدنيا دعوى ونفراً مدة اربع سنين بأنهما حاربتا لتحرير الامم والشعوب المظلومة وانهما لا تبغيان فتحا ولاجر مغنم ولا تحكيم القوة العسكرية في بلد ولا شعب بل القضاء على القوة العسكرية الخ فلما انتهت الحرب بظفرهما طفقتا تتسلمان جميع ما تقدران على الاستيلاء عليه بالقوة حتى بلاد حلفائهما وأصدقائهما باعترافهما... الخ

(٢) إن الانقلاب الاجتماعي الذي أحدثته الحرب في الشرق قد نتج في جميع الشعوب روح الشعور بحقها في الحرية حتى حفزها لطلب استقلالها بكل ما يملك من الوسائل ، وهذا الشعور اذا دب في الشعوب يتعذر معه دوام استعبادها ، كما جرت دول أوربية في شعوبها ، فاذا لم تقدر الدول الاستعمارية هذا الانقلاب بحق قدره ونجاري طبيعة العمران بترك سيطرة القوة فانها ستلاقي عقابا كبيرة يتعسر أو يتعذر عليها اقتحامها ومشاكل عظيمة يصعب حلها الخ

(٣) إن أوربية قد هدمت ما كان لها من حسن الصيت والمكانة الادبية في الشرق بما فعلته في هذه الحرب وبعد الحرب فلم يبق فيه احد يصدق للاوربيين قولاً أو يحسن بهم ظناً أو يراهم للفضل أو العدل اهلاً . بل صار العوام متفقين مع الخواص على أن المدينة الاوربية مادية محضة لا يبالي اهلها بغير التمتع بالشهوات والتحكم في استعباد الضمفاء ، وانه لا يصد دولها عن الظلم والعدوان وتخريب العمران الا الضعف والعجز ، وان كل ما يتبجحون به من دعوى العدل والمساواة والحرية والانسانية افك وتزوير ، ورياء وتفرير ، وقد صار أشد الناس نفورا من الترك في سورية يفضاونهم عليكم عن اعتقاد حتى ان بعض التجار وغيرهم من الناس الذين لا يحنلون بالسياسة يسألونني سؤال بحث على الحقيقة : لماذا كنا نعتقد أن الافرنج أرقى من الترك وأعدل

وأرحم وأبعد عن التعصب الديني والمحاباة مع أن الامر بالضد كما تبين لنا الآن وكنت أجيهم ببيان الفرق بين الادارة في بلاد الدول وفي مستعمراتها وبيان حالة سورية الخاصة في هذا الوقت ...

(٤) إن السوريين وان اختلفت أديانهم ومذاهبهم وتربيتهم، وبعد بالاستقلال التام عهدهم، لا يرضون بان يكونوا تحت سيادة أجنبية عنهم، اما الاكثرون منهم وهم المسلمون فانهم لم يكونوا يشعرون في عهد الترك بانهم خاضعون لسلطة أجنبية الا في السنين الاخيرة التي ظهرت فيها المصيبة الجنسية التركية، واما النصارى فجاءهم في لبنان الذي كان مستقلا في ادارته ولم يكن في حكومته غير واحد او اثنين من الترك في مركز المتصرفية وكان ما يكلفون من الواجبات في الولايات أخف مما يكلف المسلمون، وقد كان الذين يملقون آمالهم فيكم منهم يظنون انكم ستؤسسون لهم ملكا مسيحياً مستقلا تلتزمون فيه حمايتهم من الخارج وتتركون لهم السيادة والسلطان في الداخل فبدا لهم منكم مالم يكونوا يحتسبون من السيطرة التامة العامة في جميع أنحاء لبنان وثقل الضرائب المالية فبدأوا يتحولون عنكم حتى ان أحد أهل الاختبار من أنصاركم قال لي لو خير موارنة لبنان أنفسهم بين فرنسة والترك لفضل ثمانون في المئة منهم الترك. وسترون من السوريين مالم يكن يخطر في بالكم من الجهاد في سبيل الاستقلال في مشارق الارض ومغاربها

(٥) ان الاسماء الجديدة التي يخطر على المستعمرون آنا بعد آن لتلطيف وقع سيطرتهم على الشعوب لم تمد تخدع شعباً مها يكن جاهلاً فكيف ينخدع بها الشعب السوري الذي لا يخفى على زعمائه ولا على أدبائه شيء من أمور العالم وناهيك بالاسماء والاقوال التي تنقضها الافعال كافعالكم وافعال حلفائكم الانكليز باسم الانتداب لمساعدة السوريين على النهوض بأمر استقلالهم المقرر في عهد عصبة الامم فانكم قبل ان يتم الصلح بينكما وبين أصحاب البلاد بحسب القانون الدولي وهم الترك وقبل ان يتقرر الانتداب المتوقف على هذا الصلح تتصرفون في البلاد تصرف المالك للاعيان الموروثة، وقد زدتم على تصرف الانكليز في سورية الجنوبية انكم رفعت علمكم على المماهد الرسمية في ولاية بيروت ومتصرفية لبنان واستبدلتم بطوابع البريد الموقته طوابع حكومتكم وهو مالم تفعلوه في تونس وجعلتم لغتكم رسمية... (هذا وما فكيف لو)

(٦) ان المعروف لدى جمهور الباحثين من الفرق بين الاستعمار الفرنسي والبريطاني ان جل ذئدة فرنسا منه اقتصادية وأما الانكليز فلهم وراء المنافع الاقتصادية مقاصد أخرى دينية وسياسية هي عندهم أهم من المنافع المالية فهم يطمعون في تنصير المسلمين وجعلهم انجيليين حتى أن رئيس وزارتهم قد استهوت به نشوة السرور بفتح القدس فصرح في مجلس الامة بأن هذه آخر حرب صليبية ، وهو ما كانوا يكتمونونه من قبل فلا عجب بعد هذا اذا أظهرت جميع كذائهم الابتهاج بهذا الفتح الصليبي الديني ، ثم إنهم يطمعون في سيادة العالم كله ويظنون أنهم قد صاروا على مقربة من الوصول الى هذه الغاية ، ومن مبادئ ذلك انعام تأسيس الامبراطورية الافريقية من رأس الرجاء الصالح الى الاسكندرية وجعل الامبراطورية الاسيوية من حدود الصين الى البحر الاحمر الذين يرون أنه قد صار بحرا بريطانيا صرفا ، وناهيك بما تقاسونه قبل كل أحد من احتلالهم للقسطنطينية والسيطرة على البحر الاسود مع البحر الابيض الذي لهم فيه السيادة العليا ولا تطمع فرنسا بشيء من ذلك

لاجل هذه المطامع يخاف المسلمون من الانكليز على دينهم كما يشهد عليهم فيلسوفهم ومؤرخهم الكبير غوستاف لوبون وملكهم ما لا يخافون من الفرنسيين وإن كانوا أشد منهم وطأة في الاستعمار ، ثم ان فرنسا قد خسرت في هذه الحرب من الرجال والاموال ما لم تخسر مثله انكلترة وخرب قسم عظيم من بلادها وهبطت الثقة بما ليتها ولم تشاركها انكلترة في هاتين المصيبتين - ففرنسا اذا أجدر من انكلترة بالشعور بالحاجة الى عطف الشعوب عليها ، وحصرهما في اصلاح ماليتها وتوفير مواردها وتعمير بلادها والتوسل الى ذلك باستعادة مكانتها الادبية في العالم، وان استيلاءها على سورية واستعمارها اياها ينافي ذلك كله فانه يحملها نفقات كثيرة ويجعل العالم العربي كله خصما لها وهي في غنى عن ذلك بما تقترحه عليها

(٧) قلت ان الشعوب الشرقية قد استيقظت من رقادتها الاجتماعية، وتذكرت أنها أمة، حقها أن تكون حرة لا أمة، وفي مقدمتها الامة العربية ذات التاريخ المجيد، من طريف وتليد ، وزعماء هذه الامة يقدرون ارتقاء النظام الاجتماعي والاقتصادي والفنون العملية في أوربة قدرها، ويودون أن يقتبسوا البلاد ما تحتاج اليها منها ، ويرون أنه لا بد لهم من الاستعانة بأمة من الامم الغربية

الراقية في العلوم والفنون ولكنهم ينفرون من كل دولة لها مطامع استعمارية في بلادهم ويفضلون غيرها عاينها وان لم تمتد على استقلالهم، ولا أفضل عندهم من الامة التي تعترف بحكومتها لهم باستقلالهم وحريتهم، فهم يخطبون ودّها ويكافئونها على صداقتها لهم بكل ما يبلغه حولهم وقوتهم من المنافع الاقتصادية والادبية فيفضلون تجارتها ولغتها وفنونها وصناعاتها على غيرها ويضمنون لها ان تنتفع منهم بالصداقة، أضعاف ما ترجو بالعدوان الموجب للعداوة، بل يبثون الدعوة لجعلها صديقة الشرق والعالم الاسلامي كله، فالشعوب العربية عامة والشعب السوري خاصة من أقدر الشعوب على بث هذه الدعوة وعلى ما يقابلها ويضادها لما لهم في أنفسهم وفي بلادهم المقدسة من المزايا

وانني كنت قد عرضت هذه الصداقة على الدولة البريطانية بمذكرة أرسلتها الى رئيس وزرائها (مستر لويدي جورج) ذكرته فيها بما يهدد دولتهم من الاخطار وعداوة شعوب الشرق والغرب ولا سيما العالم الاسلامي الذي حاولوا هدم ما بقي من بناء استقلاله وصرحت لهم بأنهم اذا كانوا لا يخفون بعداوة أمة يتجاوز عدد نفوسها ثلاثمائة مليون وهي المالككة لجزل الشرق الادنى والاوسط بسبب ضعفها فليعلموا انها ان تكون أضعف من ميكروبات الامراض والابوثة التي تفنك بالاقوياء، وبأن صداقة هذه الامة لا يمكن ان تنال بمثل السياسة التي سلكوها في المسألة العربية وانما السبيل اليها واحدة وهي الاعتراف بالاستقلال المطلق للشعوب الاسلامية الكبرى: العرب والترك والفرس، ولم أنس تخصيص مصر بالذكر وان كانت عندي من الامة العربية، وبينت له أن دولتهم ان فعلت ذلك باخلاص فانها تدرأ عن نفسها اخطار الشرق وترج منه اضعاف ما تطمع فيه بالعبث باستقلال شعوبه ومحاولة وضعها تحت سيطرتها - الى آخر ما فصلته في تلك المذكرة. ولكن لويدي جورج لا يزال ثملا بخمرة الظفر بالدولة الالمانية، والاستملاء على جميع الدول الاوربية، ويتوهم أنه قادر على حل جميع المشكلات بأخاديع الوعود، ونذر الوعيد، وضروب التفرير، وبدر الدنانير، (وان صيحة مصر، لا تزيد على صرخة طفل، وثورة العراق لا تعدو ثوران هرة، وان هيجة الهند، كهيجة دعد و هند، وغضبة الافغان، كغضبة فيروز ومرجان)

وغرضي الآن أن أعرض على قرئتي ما عرضته على انكلترا قبلها فهي أجدد بقبوله لا انتفاء المانم وثبوت المقتضي الذين ذكرناهما آنفا، وليس من

المصلحة أن يمارسه الاستمساك باستعمار هذه الحصة التي أعطيت لها من سورية باسم الانتداب على ما فيها من المنفصات والمشكلات، فإذا طبت نفسها باستقلالها أمكنكم أن تعترفوا باستقلال جميع هذه الشعوب الشرقية وفي مقدمتها العرب والترك وأن تبدوا ذلك على ما كنتم تصرحون به منذ أوقدت نار الحرب إلى أن أطفئت من الرغبة عن الفتح والاستعمار إلى جعل الظفر في الحرب قاضياً على الاستيلاء والاستملاء بالقوة، ووسيلة إلى حرية الشعوب واعطائها حق تقرير مصيرها واختيار شكل حكومتها وادارتها، وحينئذ تنفردون بالسلطة الادبية في العالم كله التي حاول الدكتور ويلسون أن يجعلها لامته فباء بالخيبة والخسار بعد أن كان منها قاب قوسين أو أدنى. وأنا أضحككم اجماع الاحزاب السورية على ان يكون رب محكم المادي والادبي من سورية باختيارها، فوق ما تمنون به أنفسكم بقوة احتلالكم إياها

ثم اننا دخلنا باب المناقشة في الموضوع بعد أن قال موسيو روبر دو كيه ان هذا مشروع عملي قابل للتنفيذ وليس خيالاً ولكنه يفتقر إلى بحث دقيق بين العقلاء من الفريقين (السوريين والفرنسيين) فان الاسراع في تنفيذه ولا سيما جلاء الجيش عاجلاً كما تطالبون يعقب مشاكل كثيرة ربما تأتي بخلاف المراد. وليس لي أن أقول في هذه الرحلة كل ما قاله فان من الاصول المتبعة عند الكتاب ان يستأذنتوا في نشر أمثال هذه المسائل من ينقلون عنهم آراءهم فيها ولا سيما اذا كان لهم صفة رسمية تلحقها تبعة ومسؤولية، وحسبي من تصرّحه هذه الكلمة المحملة منه وهو ان استقلال سورية امر يمكن تنفيذه واعتراف فرنسا به باتفاق يضعه العقلاء من الفريقين. وقد صرحت له بأن القطع في هذا الامر من جانب الفرنسيين لا يمكنه الا بحكومتهم العليا في باريس فما على مندوبهم السامي في سورية ورجاله الا ان يمحضوه ثم يرفعوه الى حكومتهم العليا. واذا كان مثل موسيو روبر دو كيه يقول باسمه واسم الجنرال غورو الذي هو امين سره ان هذا المشروع حقيقي لا خيالي فأجدر بمثل موسيو بوانكاريه وموسيو مليران أن يقتنعوا به اذا حاول اقناعهم به من هم أهل لذلك، ولكن البحث في تمحيص المسألة وقف عند ذلك الحديث فلم يهتم احد من كبراء أهل بيروت ولا من غيرهم ان يعيدوا الكرة فيبحثوا مع الجنرال غورو في المسألة فيما أعلم على اني حدثت كل من رأيت أهلاً للوقوف على ذلك فيه فسرّ به وقدره قدره

على تفاوت الافكار في اليأس منه والرجاء فيه

وأما غدري في ترك العودة الى البحث في ذلك فهو اني لما عدت من بيروت الى دمشق اشتغلت مع سائر أعضاء المؤتمر وغيرهم من الاحزاب السياسية في شأن إعلان استقلال البلاد السورية ووضع القانون الاساسي لحكومتها. وفي أثناء ذلك وقعت المصادرة والمصادرة بين الملك فيصل والجنرال غورو حتى انتهى ذلك بزحف الثاني بجنده على دمشق واخراج الاول منها، ثم عدت الى مصر في أول فرصة أمكنني فيها السفر كما أذكر بعد، على أن فرانسة شرعت بعد ذلك في عقد اتفاق بينها وبين حكومة انقرة التركية، فتركت للترك كليكية وجزءا من ولاية حاب السورية، وتوسلت بذلك الى بث الدعوة بأنها صديقة الاسلام ونصيرة الخلافة الاسلامية .
(الرحلة بقية)

سعيد حلیم باشا*)

شخصيته السياسية وشخصيته الفكرية

رسالة من مراسل جريدة الاخبار في (الاستانة في يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١)

وردت الانباء تلو الانباء عن مقتل الصدر الاعظم السابق سعيد حلیم باشا في روما. فتأثرت جميع المحافل السياسية التركية والرأي العام العثماني من هذه العاقبة الفاجعة التي لقيها المرحوم، وقد أفاضت الصحف المحلية في ذكر المرحوم وتاريخ حياته وتبارى كبار الكتاب العثمانيين في نشر المقالات عنه وعن سياسته وقد اتفقت جميع الآراء حول نقطة أساسية هي التأثر لما أصاب المرحوم من مفارقة الحياة الدنيا مضرجا بدمائه بعد أن قضى شطراً من آخر سنينه معتقلاً في مالطه وشطراً قبله مسجوناً بأمر الديوان الحربي العرفي في الاستانة لا ريب ان الحياة التي قضاها سمو الامير المرحوم سعيد باشا منذ عقد

(*) هو أحد أمراء الاسرة الوارثة للملك محمد علي بمصر، وانما نقلنا هذه الترجمة لما فيها من تايد رأينا في زعماء الاتحاديين في الدولة العثمانية ولما هو عندنا فوق ذلك وهو آراء الامير الاجتماعية والسياسية الموافقة لرأينا وما نعتقد في نشرها من الفائدة

الهدنة حياة صرة ، كئيبة ، مؤلمة ، لا تطاق : وقد ذاق سموه خلالها من أنواع المهابة والعذاب ماجمل خصومه وأنصاره يتجدثون في التماس تخليصه من تلك المصائب بيد أن الحياة التي قضها المرحوم في مقام الصدارة العظمى منذ تولاها بعد مقتل المرحوم محمود شوكت باشا ، كانت من أعز الايام التي مرت عليه في حياته . ويصح أن يقال أنه كان آخر الصدور العظام الذين سمح لهم الزمان بأن يتمتعوا بأبهة مقامهم . ولقد كان لموكب سموه نخامة وعظمة تسترعي الانظار بل تأخذ بالابصار اذ يهبط من الباب العالي الى الجسر ليتقدم الى قصر السلطنة حيث كانت جياد الفرسان التي تتقدم عربته تدعو الناس بوقم أقدامها الموزون أن يتنجوا عن الطريق ويمطوا مسيرهم تحية لصدر الزمان ، واحتراما لناظم أمور السلطان

فالتقدر قد خبا للصدر الاسبق حياة تنسبت شواهد العز والمجد ثم هبطت وهبطت حتى تجندلت برصاصة فتاكة

* * *

للصدر الاسبق شخصية سياسية وشخصية فكرية ، وشخصية ثالثة اكتسبها باستشهاده برصاصة خائنة . أما شخصيته السياسية فلعلها أضعف شخصياته ، ولم تصادف أحدا يمتدح هذه الشخصية أو يذكرها مقرونة بحركة سياسية أو توفيق سياسي يستحق عليه المرحوم ثناء خاصا ، بل أن خصومه وأنصاره متجدثون في اتهامه بضعف الارادة والتوغل في الغرور والحرص على الجاه الى حد ينسبه مهام واجباته ووظائفه السياسية ، بل الى حد يجعله على غير علم بما يحدث من الحوادث الخطيرة التي يتعهد مسئوليتها ازاء الأمة وازاء ضميره وربه . بل انهم يقولون انه كان قد القى زمام الامور الى أيدي أخرى على أنها إنما القيت اليه . وهم يضربون لذلك من الامثال أنه لم يكن له علم بحادثة البحر الاسود التي كانت سببا لدخول الدولة الحرب العامة ولا بحوادث الابعاد ولا بغير ذلك . ثم انهم يتهمونه بمخالفة مبادئه طمعا في البقاء في كرسي الصدارة ويبرهنون على ذلك بأنه استقال على أثر دخول تركيا في الحرب لمعارضته لها ولم يلبث أن عاد في استقالته بلا مبرر ، بل قد تحمل مسؤولية اعلان الحرب أيضا بالرغم مما أبداه من شدة المخالفة لها وبما تكفل به لدى الدول من أن تركيا لن تدخل الحرب مادام على رأس حكومتها .

وأما ضعف إرادته وتحمله ما لا قبل له به فيقولون في الشواهد عليه انه على كونه كان يعلم أنه لن يستطيع أن يكبح جناح طلعت باشا أو أنور باشا بتدبيره وكياسته على كونه رأى بعينه أنهما لم يتركا له الا التمتع بلقبه والاسترسال في أهته ونخامته قدرضى أن يشاركهما في أعمالهما وأن يذل ارادته لارادتهما وأن يتقبل كل ما عملاه

ومن الصعب أن يتصدى الانسان للدفاع عن سعيد باشا ازاء هذه الامور التي تعزى اليه لكننا اذا قرأنا شيئا من تصريحاته على أثر عقد الهدنة لدى الشعبة الخامسة من مجلس المبعوثين « أي الشعبة التي قامت لتحقيق في قضية المسئولين عن الحرب وتثبيتهم للحاكمة أمام ديوان عال » ظهر لنا أن أولئك الخصوم على حق فيما يقولونه عن هذه الشخصية السياسية : قال المرحوم اذذاك :

لما علمت بحادثة البحر الاسود قلت لزملائي انكم تلعبون بحياة البلاد وبما أتى المسئول عن ادارة البلاد فلا يمكنني أن ألبث على رأس واجبي لحظة واحدة وقد قدمت استقالي على أثر ذلك . نعم انهم يقولون الآن لماذا لم ينسحب بعد الاستقالة ؟ لقد فكرت اذ ذلك ولم أوافق على الانسحاب في وقت خاضت فيه البلاد غمار المصائب ، ولو لم افكر في ذلك خلصت نفسي ولكنني لم أر أن انسحب والبلاد تمخر في عباب المصائب . ولهذا فاني رضيت أن أسحب استقالي لما كلفوني ذلك على شرط أن أقدم الترضية للذين تسبب هذه الحادثة وان أتلافى ما حدث وإذ قبلوا هذا الشرط راجعت الدول المتحالفة في الحال وأرسلت اليها بلاغا نشرته نظارة الحربية عن كيفية وقوع الحادثة وقلت لهم إن ما حدث كان فضاء وقدرا . ونحن نرضى أن تقوم لجنة بتعيين ما حدث من الخسائر وأن تقدم الترضية اللازمة حتى تمد الحادثة كأن لم تكن ، وإنما لم تدمر هذه المساعي لان الدول المتحالفة أرادت أن تحل المسألة حلا تاما ، والحال أنني كنت أظن أنها تتقبل ذلك المسمى بسهولة اذ كانت تريد منا أن نلازم الحياد . كما أنني كنت أشعر بذلك من أقوال السفراء ، لم تتقبل الدول المتحالفة مساعي ، بيد أنني لم أقف عند ذلك الحد ، بل جمعت الوزراء وأعضاء اللجنة الادارية لحزب الاتحاد في بيتي وقلت لهم « الآن قد وجب علينا أن نحافظ على حيادنا فعلا بالمحافظة على حدودنا لا غير » ولكن لم ينفذ كل ذلك وأنتم أعلم بالنتيجة وتدل تجاربي الآن

على أن مقام الصدارة لا حول له ولا طول ، بل هو في يد الوزراء الذين يفعلون ما يشاؤون دون أن يكون للصدر علم بما يفعلون . أما سبب بقائي في الصدارة بعد استقالتي فهو أنني رأيت أن الصدارة لا تفوض الى أهلها بعدي ولهذا تقم البلاد في المهالك كما أن الذين أثق بهم كانوا يقولون لي « لا تنسب والاساءت

الامور . وهم يحترزون منك » لهذا بقيت في الصدارة « لا ريب أن المرحوم سعيد حليم باشا قد أعطى بأقواله أو باعترافاته هذه سلاحاً قاطعاً لخصومه . كما افشى سرائر ارادته وحقيقة ضعفه .

آراؤه في المتفرنجين وغوائل المدنية الغربية وفوائدها للمسلمين

وأما شخصيته الفكرية فان للمرحوم آثاراً جليلة تبرهن على فكره وتضلعه في التفكير في أهم الشؤون الاسلامية الاجتماعية . وقد انتشرت جميع آثاره في مجلد واحد وكان لها تأثير عميق في المحافل الفكرية والعلمية . فن ذلك رسالة في « الضيقة الفكرية » العثمانية بحث فيها في موضوع حلول الافكار الغربية في الرؤوس الاسلامية وتأثير ذلك في حياتهم الفكرية ثم أفاض في شرح ما يعوز المسلمين أخذه واقتباسه من المدنية الغربية لاحياء المدنية الاسلامية واعلاء شأنها مرة أخرى . وقد انحى باللائمة في مؤلفه هذا على المفتتين بالغرب المنتظرين منه كل شيء ، الساعين لهدم كل ما بنته المدنية الاسلامية لاستبداله بما يروق لآعينهم في الغرب ، وقد شبه المفتتين بالمدنية الغربية بهذا التشبيه :

« حال المفتتين بالغرب كحال الذي توغل في مضالعة الكتب الطبية رجاء أن يتوقى الامراض . فاذا هو كلما طالع بابا رأى نفسه مبعولاً بمرض . فلا يخرج ذلك المطالع من أبواب الكتب الا وهو يعتقد أن الحياة عبء ثقيل واضطراب مديد يتحمله الانسان تحملاً غريزياً . وهؤلاء المفتتون بالغرب من المفكرين يدرسون العلم أملاً في مداواة آهاتهم فاذا بهم يرونها مصابة بأفكك الامراض . ولا يكون حالهم معها الا كحال المتوغل في الطب الذي لا يخرج منه الا كئيباً كاسف البال ، ذلك بأن معلوماتهم قائمة على غير أساس طبيعي أي أنها قائمة على جهل النفس ، فلذلك يختاط المرض ويكتسب شكلاً خاصاً به . ثم انه استرسل في شرح تلك الحال فقال

« للمعلومات التي يتلقاها أولئك المفتتون بالغرب قيمة فردية اذ ينشأ من

بينهم الاطباء والمهندسون وغيرهم، ولكن لا تكون لها قيمة اجتماعية، لان العلم لا يفيد الا اذا اقترن بالقياس والانسان بمقايضة الاشياء يفهم الامور الكونية ويدركها وينظم اموره بمقتضاها ، والعلم معناه القدرة على القياس ، فاذا لم نحصل على المعلومات التي نستطيع بها ان نقارن بين هئتنا الاجتماعية والهيئات الاخرى لم نزال النقائص والفروق ولم نتعرف واقم الداء فينا ، ومهما قارنا بين الامم الاجنبية التي تفوقنا في الرقي ووصلنا الى نتائج علمية منطقية فلا نندفع من ذلك البتة ثم انه زاد آراءه ايضا بقوله :

« إن تقاليد الامم ومشخصاتها يتكون منها الوطن الممنوي الذي هو اعز بكثير من الارض الثمينة التي نعيش عليها . لانها هي العوامل التي تجعل كل جماعة انسانية امة ، والامة التي تتسلط عليها الامم الاخرى يضيع استقلالها كما تضعم تقاليدها ومشخصاتها ، على انها لا تضطر الى المهاجرة من ارضها ، بل لا تنفك تنتفع منها فالانصراف عن الوطن الممنوي اضر شي على البلاد ، نعم إن الزمان لا يقاومه شيء ، ولا بد ان تنهج تلك التقاليد والمشخصات سبيل السكالم كسكل شيء ، وإعنا ينبغي الا تصرفنا تلك الحقيقة عن تقوية رابطتنا بها، وبذل الجهود للمحافظة عليها . فان تلك الرابطة لاتهن حتى تضمحل تلك التقاليد والمشخصات وتكون نتيجة ذلك السقوط والهوان

فالضيقة الالمية التي حلت بأفكارنا ناجمة من قبولنا المدنية الغربية بلا قيد ولا شرط ومن نسياننا مدنيتنا ، ولا زول هذه الضيقة الا اذا ادركنا ذلك الخطأ الفاحش واقدمنا على تصحيحه

« هنالك نتأمل في شخصيتنا وتقضي حياة خاصة بنا كما تكتسب ارواحنا وعقولنا ما كانت تحظى به من الشراح واطمئنان وترتقي استمداداتنا في حال طبيعية وتبدأ بيننا حركة فكرية مشيرة نحصل منها على الاسباب التي نداوي بها حراحنا »

*

وأما ما يرى المرحوم أن نقتبسه من الغرب لترفية مدنيتنا والانتفاع به في تكامل قوة امعانا وفكرنا واجتهادنا وتماعنا فهو « الفكرة الفنية » و « أصول التجربة » والمرحوم مؤلف آخر عن « حقيقة التعصب » بحث فيه عما يمزى الى المسلمين من صفة التعصب وقد أشبع الموضوع بحثا وتمقنا وأوضح أن علة هذه التهمة هو سقوط مستوى الامم الاسلامية عن الامم الغربية لا غير ثم ختم كلامه بقوله :

«لقد آن أن يعلم الجميع أن ما يعلتونه من النفور من تعصبنا ليس في الحقيقة ناشئا من نقص قوانيننا الاجتماعية أو بطلان عقائدنا الدينية . بل ان خصومة الغرب للشرق ناجمة من عجز الصليبيين عجزا نهائيا عن محق الشخصية الاسلامية التي حالت دون تحقق مطامعهم الدينية في الشرق كسد منيع دون تمكن الاوروبيين من تطبيق سياسة التمدن الغربي فيه (!) وكل ما يخيف الاوروبيين منا ويضطرهم الى استهمال سياسته العسف والجور فينا انما هو تفيظهم من تلك الشخصية الممنوية المجهزة بالتماضد والتوكل ، أجل ان صبر أوروبا وينفذ أمام هذه الشخصية التي تفترق عن أية شخصية أخرى بغاياتها الحيوية والتي تجرد وتكافح بالرغم من ظواهرها الخارجية وتقف أمام بغى الغرب وفتوحاته الاستعمارية وقعة المعارض والتي تجنى الصبر والقوة من غراس الحرمان والخسران وتعتقد أنها لا بد أن تتخلص يوما ما من أسر الغربيين كما تؤمن بعمل قلبها باستحالة أن يتمكن الغرب من محققها أبدا فليس معنى تعصب الاسلام ، عداة المسلمين للمسيحيين بل عداة الغربيين للشرقيين» وللمرحوم مؤلفات أخرى «كالضائقة الاجتماعية» و«أسباب انحطاط الامم الاسلامية» و«الدستور» و«الاخذ بمبادئ الاسلام» وهي مؤلفات تتضح منها شخصيته الفكرية وتتجلى في أحسن صورة

وأما الشخصية الثالثة التي اكتسبها المرحوم باستشهاده وصعوده الى ربه مجردا مضرجا بدمائه فانها قد كللت حياته باكليل من المجد ورفعته الى مصاف البررة الكرام وجمعت الكلمة حول تبجيل ذكراه

وعلى كل حال فقد فقدت الدولة رجلا تربع في منصب الصدارة في أوج أيامها التاريخية . ولا شك انه كان مخلصا لبلاده ساعيا خيرا (عمر)

(المنار) نشرنا هذه الترجمة المفيدة بحروفها بل مم تصحيح لبعض عباراتها اللغوية ، وهي مؤبدة لرأينا الذي سبقنا الى بيانه في المنار عقب عودتنا من الآستانة في خطر زعماء جمعية الاتحاد والترقي على الدولة والاسلام ، وقد صار هذا من الأمور المتفق عليها في بلاد الترك والعرب والمجمل وان كانت لا تزال خفية عن اكثر مسلمي مصر وتونس مع اكبارهم لشأن مصطفى باشا كمال وشيعته المنتقدة للدولة والشعب التركي ، فان هؤلاء الجاهلين بحقيقة أحوال الدولة على إخلاصهم في حبها لا يصدقون أن مصطفى باشا كمال لا يأذن لاحد من زعماء الاتحاديين بدخول الأناضول وانه هو وجميع شيعته يعتقدون أنه لم يجبن أحد

من البشر على الدولة العثمانية والشعب التركي في دينه ودينه كجنايتهم ، وهؤلاء وأشباهم هم الذين كانوا يتشيعون لسلطان عبد الحميد على الاتحاديين وغيرهم من رجال الدولة ولم يعتدوا بظلمه واستبداده الا بعد خلمه . ولسنا نريد بهذه الكلمة إقناعهم بل تذكير المستعدين للفهم والحريصين على العلم بالحقائق بأن يتدبروا كل ما يقوله أهل البصيرة والعلم ولا يستهجلوا برد كل ما يخالف أهواءهم ومعلوماتهم الناقصة وان كانوا حريصي النية فيها .

وأما آراء الامير الاجتماعية فلو لم يكن له منها الا هذه الكلمات المختصرة التي ذكرت في هذه الترجمة الوجيزة لكانت وحدها شهادة عادية على تحقيقه وضحة نظره ودقة حكمه فكيف وقد فصلها في مصنفات جليلة لا غنى لاحد من طلاب الاصلاح للشرق والمسلمين عنها ، فينبغي لهم أن يبادروا الى ترجمتها بجميع اللغات التي تتكلم بها الشعوب الاسلامية ونشرها في جميع أقطارها ، وعلى المصريين ولا سيما أمراءهم أن يكونوا هم السابقين الى هذه الخدمة الجليلة التي يحق لهم الفخر بها ولا سيما اذا جمعوا بين نشرها والاعتبار والعمل بها .

السياسة الانكليزية في البلاد العربية

نشرت جريدة التيمس في لندن مقالات في القضية العربية لمراسلها من طهران بين انكلترا وفرنسة صرح فيها بحقائق لم يسبقه الى التصريح بها أحد من قومه وارتأى آراءه نوافقه على بعضها دون بعض وقد نشرت جريدة الاهرام بعض هذه المقالات مترجمة بالعربية فترتب على نشرها ما يأتي ذكره من الوثائق الرسمية في المسألة العربية

ومما قاله : إن انكلترا أرغمت العراق على قبول فيصل ملكا عليها وحزمت الحكومة البريطانية رأيا بعدم السماح بتأسيس جمهورية في العراق — ناكثة بذلك عهدا للعرب — ويهتقد الكثيرون أنه لو أخذ رأي أهل العراق بحرية لاسفر استفتاءهم عن رغبتهم في تأسيس حكومة جمهورية . ولذلك كانت استشارة الرأي العام هنالك صورية بأن سئل زعماء مشايخ القبائل وأعيان البلاد هل يقبلون نصب الامير فيصل ملكا دستوريا عليهم أو يرفضون ؟ ولم يكن من المنتظر أن يكون بينهم شيخ واحد تصل به الغباوة الى حد الاجابة بالرفض

(المنار : ج ٢) (٢٠) (المجلد الثالث والمشرور)

بعد أن رأى ما حل بالسيد طالب. (١) بل كان كل منهم يخشى على حياته إذا طارض في توليته فلم يعارض أحد بالرغم من أنهم جميعاً يرفضونه فالعراق في هذه اللحظة ملأها البغض والحقد والرغبة في الانتقام «

ثم ذكر عودة على بدء طمع امراء الحجاز بتأسيس مملكة عربية من البحر الاحمر الى خليج فارس يدخل فيها شواطئ سورية وقال إن فكرة الوحدة العربية الجنسية غير موجودة في هذه البلاد الآن وان بعض رجال الانكاز في القاهرة واندن وفلسطين والعراق يؤيدون هذا المشروع خلافا لخطة حكومتهم - المتفقة مع فرنسا على تقسيمها - وذكر ما سلم به مستر تشرشل وزير مستعمراتهم من ثبوت وجود تيار خفي من الترامى بانهم بين الموظفين البريطانيين والفرنسيين - قال : وستزداد الحال سوءا الى أن يكسح الرأي العام البريطاني جراح دعاة الجامعة العربية بيد قوية

ثم ذكر مهاجمة الملك حسين وابنه الامير عبدالله لابن سعود وكون ذلك نقضا لمهدم الصريح بعدم التعدي على أحد من امراء البلاد العربية قال « ولكن الوهابيين هزموها ثلاث مرات هزيمة معيبة وصارت مكة في (مايو سنة ١٩١٩) تحت رحمتهم اذ انه لم يبق لهم الا السير اليها ودخولها ولكننا طابنا من ان سعود أن يسحب قواته ففعل اجابة لطلبنا وطالما صبر على تحمل الاعتداءات المتكررة التي يرتكبها الحجازيون اعتداء عليه. ويلوح لنا أنه لا شك في أن الوهابيين هم الاقوى وانهم يستطيعون في كل وقت ان يقضوا على قوات الملك حسين» وذكر من قوتهم أنهم لو اتوا من المساعدة ما لقي الملك حسين الاستماعوا إخضاع جبل شمر . . . على أنهم قد أخضعوا هذا الجبل من غير مساعدة أحد ثم ذكر أنهم انذروا المنتد البريطاني في العراق (السير برسي كوكس) بأنه عيل صبرهم وسيضطرون الى معاملة الملك حسين بمثل اعتدائه الا اذا استطعنا رد شكيمته وان ابن سعود لا يرضى بجملة بين نارين بوضع فيصل في العراق مع عبدالله خصما ثالثا في شرق الاردن (قال) فرد عليه السير برسي كوكس مخاطبا إياه بملك نجد . وبهذه المداهنة وبدفعة قدرها ستون ألف جنيه تدفم مؤخر (كذا

(١) المنار : السيد طالب ابن نقيب البصرة كان ناظرا للداخلية في حكومة العراق الموقته وكان الانكاز يمدونه من أصدقائهم واسكنهم نفوه من بغداد قبل الاستفتاء لما عاها انه يعارض ملكية فيصل

والصواب أنها تدفع مشاهرة كل شهر خمسة آلاف جنيهه) يرجون إبقاء دسائنا.
ثم صرح الكاتب باستنكار هذه السياسة المالية وجزم بنجيبتها ثم قال «لم تبقى الا
خطة واحدة : يجب علينا أن نجلبو عن العراق في الوقت الذي نستطيع فيه الجلاء
وهذا السب الاوقات نفي العراق حكومة عربية وحاكم عربي» الخ
ثم أيد هذا بما تستهدف له السياسة البريطانية في العراق من المشكلات
والخسائر واتساع مسافة الخلاف بينهم وبين فرنسا وبحث في قواتهم العسكرية
في العراق وتوقع حدوث حرب جديدة بينهم وبين العراقيين إن لم يقبل اقتراحه
بعد أن أشار متهمكنا بلطف الى الاساطيل الهوائية الألمانية التي أوجدوها في
العراق لتحقيق فكرة مستر تشرشل الجميلة في المواصلات لهوائية فوق الصحراء
ثم ألمّ بذكر الماعمة التي سيعقدونها مع فيصل محذرا من انتزاع أصحاب
فكرة الجامعة العربية بها، وذكر ما قرره مؤتمر القاهرة^(١) من إبقاء الجنود
العربية تحت قيادة ضباط بريطانيين من حيث هم قوة امبراطورية وابعثته زيادة
هذه الجنود. وذكر تجنيد الاكراد والسككانيين والاوربين وانفاقهم عليهم
كثيراً من المنققات^(٢) وحذر من العاقبة ومن الاغترار بريح زيت البترول
هذا ملخص هذه المنالة وقد نقلتها جريدة القبلة عن الاهرام بنصها في
العدد ٥٥٣ الذي صدر بمكة في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ الموافق ٩ يناير
سنة ١٩٢٢ وردت عليها في هذا العدد وفي العدد ٥٥٥ ردا طويلا معسلا
مشتهلا على الوثائق الرسمية التي اشرنا اليها في صدر هذا المقال. وهانحن أولاء
نشرها بمد مقدمة وجيزة وننتفي عليها ببعض ما كان من سوء تأثير نشرها :

وثائق رسمية ، في المسألة العربية

واخلاص ملك الحجاز للانكايين على خدائهم له والعرب

كان الملك حسين يكتم كل ما كان لديه من المكتوبات بينه وبين الحكومة
الانكليزية التي كان يظن انه يملك بقوتها بلاد العرب كلها ويكون آمنا بحمايتها من
(١) هو المؤتمر الذي عقده مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مع الوفد
الذي جاء من العراق الى القاهرة في العام الماضي وحضره جعفر باشا العسكري
البغدادي — راجع ص ٤٧٣ م ٢١ من المار (٢) خالق الانكايين هذا الجيش لاجل
تفريق القوة وإيجاد الشقاق الديني فيها لتكون كلها آلة في أيديهم.

كل مقاومة ومعارضة. ومن العجيب أنه لا يزال غاضبا على تلك الأمانى بالنواجد وقد خذلتها « العظمة البريطانية وحسياتها النجبية » التي ينوء بها ويتكل عليها أشنع خذلان ولكنه يتوهم أنه يستدليها الى الوفاء له بما ينشره في جريدة القبلة وفي المكتوبات والمنشورات الرسمية التي يبدئ بها آلامه وتعلملاته من خذلها إياه، وقد اضطر المرة بعد المرة الى نشر بعض تلك المكتوبات الرسمية احتجاجا على الانكيز وتبرئة لنفسه لديهم مما تتهمه به جرائمهم من نكث عهودهم وغير ذلك أو لدى العالم الاسلامي والعرب من جنائته عليهما. فأما تبرئة نفسه من عدم الاخلال بشيء ينافي الاخلاص للانكيز أو « للعظمة البريطانية » فحجته عليهم فيه قوية، وأما التبرئة الثانية فكل ما نشر في سبيلها فهو حجة عليه لا له. ثم إننا لم نرم من تلك المكتوبات الرسمية التي نشرها شيئا ينتفع به العرب في إقامة الحجج على الانكيز كالأوثيقة الثالثة من الوثائق الآتية

الوثيقة الاولى المصرحة بجعل الحجاز في حماية انكثارة

قالت جريدة القبلة في ردها على مقالة التيمس في عدد ٥٥٣

« أما ما يفهم من كل ما في قولكم ان لولا ردعكم ومنعكم له (أي ابن سعود) لاستولى على مكة فبأعزاءنا ليس معنا ما نقوله بالاختصار عن الاطالة أو الخروج عن الصدد الا بيان عجونا عن شكر ذلك المنع ومننه وانه من مقتضى شهامة بريطانيا وشعبها النجيب فهو من مقتضيات مواد عهدنا الذي تتول فيه المادة الثانية ما يلي :

- ﴿ تمهد بريطانيا المظان بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها ﴾
- ﴿ من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخلها وسلافة حدودها ﴾
- ﴿ البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي ﴾
- ﴿ من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأصراء فهي تساعد الحكومة ﴾
- ﴿ المذكورة مادة بمعنى على رفع ذلك القيام حين اندفاعه . وهذه المساعدة ﴾
- ﴿ في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي حين يتم ﴾

﴿ للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية ﴾ انتهى
وعليه وبصرف النظر عن مؤداها وكل ما اشتمل عليه مضونها
وصراميتها قبل كل قبل فان شرف مفكرة ذلك العهد منزحة بطبيعتها
عن أقل مما رويتونا به بثبته برقية جلالة مولانا المئذ الصادرة لمديرهية
شيختنا الموقرة التيمس ، نعلمها القراء وما نقلها وأبيك الا لزيادة وقوف
المجموع عموما والشعب البريطاني خصوصا - على أن جلالة مولانا
المئذ وشيخته منزهون بعنايته السبحانية عن أمراض الاغراض والبلل
ودناءة النحل الا الغاية التي اعترفت لهم بها وانما هي الغاية التي قلم
باليه عنها انكم ترفعون لها القبعات ، وهي الآمال والغايات التي عليها
نحي وعاليتها تحوت رها هي البرقية المنوه عنها بتبدي :

الوثيقة الثانية المصرحة بكون ملك الحجاز موظفا انكليزيا (١)

﴿ المدير العمومي لصحيفة التيمس ﴾

﴿ اطلمت على عددكم المشتمل الرد والقدح بأتحاد العرب والزامكم ﴾
﴿ أحد اصرائهم ، ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة ﴾
﴿ لعموم الشعب النجيب البريطاني أكرر بهذا طلي بواسطتكم من ﴾
﴿ حكومة جلالاته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستيم البلاد ﴾
﴿ فان غايتي الراحة العمومية وخدمتها كما يعلم من أساسات قيامي ﴾
﴿ وشرايطه يؤيده طلي هذا المثبات للحقيقة من سائر وجهاتها ﴾

(المنار) قول ملك الحجاز « اكرر طلي » الخ يفيد أنه قد سبق له مطالبة
الدولة البريطانية (والعظمة البريطانية كما يسميها هو) أن تنصب أميرا أو ملكا
غيره على الحجاز اذا كانت غير راضية عنه . وقد سبق لنا ان نقلنا عن القبله

(١) هذا العنوان للمنار والكلام متصل بما قبله

نص الكتاب الذي كان أرسله الى نائب ملك الانكايز بمصر في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ الذي يطالب فيه منها أن تختاره ولا ولاده بلدا يقيمون فيه وتنصب على الحجاز من تختاره له! وقد تكرر نشر جريدة القبلة لذلك الكتاب ومفاخرتها به لامم الارض كلها راجع ص ٢٣٣ م ٢٢) وليس افتخار هذه الجريدة الجاهلة بهذه الفضايح الخزية بأعرب من وجود أناس محبين لاستقلال الامة العربية ويقرعون هذا وذلك في جريدة القبلة ثم لا يرون لانفسهم سياسة غير سياستها، ولا زعيما يتبعم غير واضع هذه الوثائق لها

(انتقاد الجرائد المصرية ، جعل الحجاز تحت الحماية البريطانية)

اطلع بعض مديري الجرائد الاسلامية بمصر على الوثيقة الاولى من هذه الوثائق فها لهم أمر جعل الحجاز تحت الحماية البريطانية فبعضهم تساءل بصيغة استفهام الانكار : هل يصح ان يكون الحجاز تحت حماية دولة أجنبية غير اسلامية ؟ وهو ما اكتفت به جريدة الاخبار الشهيرة في العدد (٢٩٢) وبعضهم شدد في تغليظ الانكار كجريدة الامة في الاسكندرية

فلما وصلت هذه الجرائد الى مكة المكرمة صمد سائس جريدة القبلة الى الرد عليها كمادته فنشر في صدر العدد ٥٦١ ردا على جريدة الاخبار عنرانه بقلم الثالث (فلاتك في ضيق مما يمكرون) - وصواب الآية الكريمة (ولا تك في ضيق) الخ قال فيه مانصه

« وما مثل الصحيفة المذكورة باسناد مزاعمها على المادة الثانية التي أوردتها (القبلة) الا كمثل من وقف على قوله تعالى (فويل للمصلين) دون ان يكمل الآية فسوَّغ لنفسه بذلك ترك الصلاة . وكذلك الجريدة المذكورة نظرت الى أول المادة المشار اليها دون ان تلتفت الى آخرها وهو : « وهذه المساعدة تكون مدتها محدودة لحين يتم للحكومة العربية تشكيلها المادية » الخ نقول ان هذا الرد لم ينف ما صرحت به المادة من جعل البلاد تحت حماية الدولة البريطانية في داخلها وخارجها بل أكده وغاياته انه جعل المساعدة الداخلية مغيية باقتدار الحكومة المحلية المحمية على حفظ داخليتها بنفسها ، وأما الحماية الخارجية وحفظ الحدود البرية والبحرية فلم يقيده بهذه الغاية وكأن سبب السكوت عن تقييده علم واضع المادة (وهو الملك حسين نفسه) بأنه لا يستطيع

أن ينشئ أسطولاً ولا جيشاً قويا يستطيع حماية الحدود فجعل ذلك حقاً دائماً للدولة البريطانية التي يتكلم على «حمايتها النجيبية» ولكنه وهب ما لا يملك هو ولا الدولة العثمانية التي كان هو تابعاً لها يوم وضع هذه المادة وغيرها مما يسميه (مقررات النهضة) لانه بنى عليه ما قام به من الثورة والخروج على الدولة، ولكن الانكليز بنوا على هذه المادة تأسيس محافظة سد، وها (محافظة البحر الاحمر) وجعلوا مركز محافظتها نجر جده، على انهم لم ينفوا لمن أعظم هذا الحق الذي لا يملكه بما طلبه منهم في مقاله وهو تأسيس دولة عربية له تكون ربيبة لهم وتحت كنفهم ووصايتهم بشرط الا يستولوا على شيء منها مباشرة الا على ولاية البصرة... وكان يجب على محرر القبله بل على ملك الحجاز ان يستفيد من هرب مصر من الحماية الانكليزية ومن تذكير جرائد مصر له ولا سيما مدير جريدة الأخبار العليم بأصول السياسة الدولية، الخبير بمخنمايا الدسائس الانكليزية، فيتبرأ من هذه «المقررات» التي تعدا كبرجناية على الحرمين الشريفين وعلى البلاد العربية والامة الاسلامية، لا ان يبرهن تذكيره ونصححه بالسفاسف ويصفه بالفز واللمز، (وانما يتذكر من ينيب)

الوثيقة الثالثة — وعود انكلترا باستقلال بلاد العرب

أرسل بعض قواد الترك في أثناء الحرب كتباً الى الاميرين فيصل وعبدا لله لاستماتهما الى الصلح باعتراف الدولة باستقلال البلاد العربية مع الارتباط بها (كارتباط المجر بالنمسة على ما قيل) فالملك حسين أبى قبول الصلح وأرسل كل ما كتبه الترك الى ولديه الى نائب الملك البريطاني بمصر وهو أرسلها الى وزارة الخارجية فاجابت عنها بالكتاب الآتي الذي نشر في العدد ٥٥٥ من جريدة القبلة الصادر في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٤٥ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٢٤ في أثناء مقالة في الرد على مقالة جريدة التيمس المشار اليها آنفاً وهذا نصه
(برقية الحكومة الانكليزية، في تأكيد الوعد باستقلال البلاد العربية)

جده في ٨ فبراير سنة ١٩١٨ — ٢٧ — ٤ — ١٣٢٦

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم بعد بيان ما يجب بيانه من الاحتشام والتوقير قد أمرني نخامة نائب جلالة الملك أن أبلغ جلالته البرقية التي وصلت الى نخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن وقد عنونتها حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باسم جلالته وهذا نصها بالحرف الواحد :

« ان الرغبة والعراحة التامة التي اتخذتموها جلالتم في ارسالكم التحريرات التي ارسلها القائد التركي في سورية الى سمو الامير فيصل وجمفر باشا (الصواب سمو الامير عبدالله بدل جمفر باشا) الى جناب نخامة نائب جلالة الملك كان لها اعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى . وان الاجراءات التي اتخذتموها جلالتم في هذا الصدد لم تكن الا رمزا يعبر عن تلك الصداقة وللصراحة التي كانت دائما شاهد العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى . ومما لا يحتاج الى دليل ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتباب والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم ارشادات جلالتم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا باعادة حريتهم للقدمية . ان السياسة التركية لا تفتأ تفرس ذلك الارتباب بأن توسوس للعرب ان دول الحلفاء يرغبون في الاراضي العربية وتلتمى بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن ارجاع العرب عن مقصدهم ولكن أقوال الدساسين لن تقوى على ايجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة وهي مصممة ان تتف بمجانب الامم العربية في جهادها لان تبني عالمعربيا (الذي) يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني وتتحده (كذا) التناؤس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الامم العربية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصده ان تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين ليتالوا حريتهم » انتهى وفي الختام التمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحتشامات ما (نائب المعتمد البريطاني مجده)

(المنار) هذا الكتاب الرسمي هو أقوى الوثائق التي نشرتها جريدة القبلة حجة على الدولة البريطانية ومن الغريب تأخير نشره الى الآن وأغرب من ذلك أنها نشرته في ضمن مقالة قالت إنها جاءت من أحد قرائها في جدة أقسم عليها الايمان الشديدة بأن تنشرها فبرئت قسمه! كأنها تمتدح بذلك عن ذنب!!! وهي لم تنشر منذ وجدت شيئا أنعم منه في إقامة الحججة على الانكياز وان كانت حجج الضمفاء لا تقنع هذه الدولة مهما تكن ناهضة، وإنما الذي يقنعها حجج الاقوياء وان كانت داحضة.

فبشر عبادي الذين يستمرون القول
فببشرون احسن اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المكاتب
١٣١٥

بقرني المكاتب من بقاء ومن يؤت الملكة
بقرني اوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام حوى « وما نزلنا » كبرار الطريق —

٣٠ رجب ١٣٤٠ - ٨ - ١٣٤٠ (وا) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٩ مارس سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، واشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالتاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشتركك لمثل هذا ، ولعن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

﴿ حرية الدين وقتل المرتد وانتفاع الوالدين بعمل أولادهم ﴾

(س ٩٨٠) من الشيخ محمد نصر الوكيل طالب العلم بالقسم الثانوي النظامي
للأزهر (من أسطنيا)

سيدي الرشيد ، ذو الرأي السديد ، خليفة الاستاذ الامام ، وحمي دمار الاسلام ، سلام عليكم من قبي . محجب بالمنار ومتأثر بدعوة صاحبه الذي وقف بحياء ومماتة لله رب العالمين ، ونصب للناس في ديجور الشرك صوى ومناراً به يهتدون ويهدون ، وأطلع لهم في ليالي السرار نجم الحقيقة في سماء الدين وبعد قلدي سؤالان أتقدم بهما الى موأله علىكم الشريف رجاء أن تحسنوا الى محبكم بتوضيحية بضع دقائق من وقتكم المبارك تكتبون فيها جواباً على صفحات المنار الأغر أو في كتاب خاص يكون ذخراً لديه من حكم الاسلام وخادمه ومقر عين النبي ووارثه

(١) ان شر يمتنا السمحة قد امتازت بالتسامح مع المخالفين في الاعتقاد والنسائل مع ذوي المذاهب والاديان ، وفي ذلك قال الله تعالى (لا اكراه في الدين . . الخ) وهذه الآية هي مفخرتنا على الغربيين في أن ديننا أتى بمبدأ حرية الاعتقاد، ووسع صدره في الايام التي كان فيها قابضاً على ناصية الارض ومتقلداً صولجان العزة والملك كل مخالف من غير أن يتعرض لعقيدته، بل كان يستعين بالنصارى النسطوريين على نشر العلم واقامة المدارس في ربوع المملكة،

ولكني أغرض على نور معلوماتكم الدينية ، ومشكاة معارفكم القديمة الربانية ، مسألة المرتد فإلها تعارضت عندي مع هذا الاصل الكريم وهذا هو السؤال : هل في القرآن الشريف أو في السنة الصحيحة أمر يقتل المرتد؟ وإذا كان فكيف التوفيق بينه وبين النهي عن الاكراه في الدين؟ وإذا لم يكن فما مراد الشارع من قوله صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) وقوله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الخ) وقوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الى أن قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وإذا لم يكن المراد من ذلك اكراه المرتد وكل مخالف على الدين فعلى أي أصل استند الفقهاء في وجوب قتل المرتد؟ وإذا قاتم انه من باب سد الذريعة واستئصال جذور الفتنة أفلا يصدق ذلك على الفلاسفة والعلماء الاحرار الافكار الذين قديكتشفون نظريات علمية تخالف ظاهر الدين؟ وإذا كان لا يصدق أفلا يعد على كل حال عملاً منافياً لحرية الاعتقاد وما ساء مبدأ التسامح والتساهل الذي امتاز به الاسلام؟

(٢) جاء في الجزء الاخير من المنازل الاغر صفحة ٢٤ قولكم : ومما ينتفع به الانسان من عمل غيره بعد موته صوم ولده أو حجه عنه مستداين بقوله (ص) «من مات وعاليه صيام فايصمه عنه وليه» أفلا يعد ذلك نسخاً لقوله تعالى (وأن ليس للإنسان الا ما سعى) بمحدث الآحاد لانكم قلتم ان الحديث لا يصح الا من طريق عائشة (رضى الله عنها) وإذا لم يكن نسخاً وقلتم انه تخصيص أفلا يعد التخصيص نسخاً لبعض المفهوم الكلي الشامل في الآية؟ وإذا كان لا يعد نسخاً فلم خصصتم في هذه الآية ولم تخصصوا في آية الطعام (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً... الخ) وإذا قلتم انه ينتفع بذلك من حيث يعد من قبيل عمله لانه كان سبباً فيه فلم لانعد الصلاة كذلك وينتفع بها من هذه الحيثية؟ وإذا قلتم ذلك مخالف للنص القطعي فكذلك انتفاعه بصوم الولد وحجه مخالف للنص القطعي وهو قوله تعالى (وأن ليس للإنسان الا ما سعى) ويعجبني في ذلك مبدأ السيدة عائشة حيث كانت ترد كل ما تراد مخالفاً للقرآن وتحمل رواية الصادق على خطأ الجمع أو سوء الفهم ولكن كيف كان هذا مبدؤها وقد روت هي ما خالف القرآن

وهو حديث « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » على ان ذلك لا يمنعنا من أن نقول فيها ما فاتته هي في ابن عمر : لقد حدثتوني عن غير كاذب ولا متهم ولكن خانه سمعه . أجبوا لازتم هاديين مهديين والسلام محبكم الخاص محمد نصر الوكيل

﴿ الجواب عن مسألة حرية الدين وقتل المرتد ﴾

ذكرت هذه المسألة في مواضع من المنار كالتفسير والفتاري فنقول فيها هنا قولاً نلخص به ما تقدم نشره . فنقول (أولاً) انه ليس في القرآن أمر بقتل المرتد بل فيه ما يدل على عدم قتل المرتدين المسلمين الذين لا يحاربون المسلمين ولا يخرجون عن طاعة الحكومة فقد جاء في تفسيرنا لقوله تعالى (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وأتوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سييلاً) من سورة النساء مانصه : « وفي الآية من الاحكام — على قول من قالوا أنهم كانوا مسلمين أو مظهرين للاسلام ثم ارتدوا — ان المرتدين لا يقتلون إذا كانوا مسلمين لا يقاتلون ولا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد فيجعل ناسخاً لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) الخ » نعم ثبت في الحديث الصحيح الامر بقتل من بدل دينه وعليه الجمهور ، وفي نسخ القرآن بالسنة الخلاف المشهور ، ويؤيد الحديث عمل الصحابة ، وقد يقال ان قتالهم للمرتدين في أول خلافة أبي بكر كان بالاجتهاد فانهم قاتلوا من تركوا الدين بالمرّة كطي وأسد ، وقاتلوا من منع الزكاة من تميم وهوازن ، لان الذين ارتدوا صاروا الى عادة الجاهلية حرباً لكل أحد لم يعاهدوه على ترك الحرب . والذين منعوا الزكاة كانوا مفرقين لجماعة الاسلام نافرين لنظامهم ، والرجل الواحد إذا ترك الزكاة لا يقتل عند الجمهور » اهـ والتحقيق ان القرآن لا ينسخ بالسنة كما قال الشافعي ومن تبعه وخالفهم الكثيرون في السنة المتواترة

ويؤيد الحكم في هؤلاء الحكم فيمن ذكروا في الآية التالية لهذه الآية وهي (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا بكم كما رجعوا الى الفتنه أركسوا فيها فان لم يقاتلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

ثقتهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) روى ابن جرير عن مجاهد ان هؤلاء ناس كانوا يأتون النبي (ص) فيسلمون رياء فيرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فأمر بقتالهم ان لم يعتزلوا ويصلحوا . وروي عن ابن عباس انه قال : كلما أرادوا أن يخرجوا من فنة أركسوا فيها . وذلك ان الرجل منهم كان يوجد قد تكلم بالاسلام فيقرب الى العود والحجر والى العقرب والخنفساء فيقول له المشركون قل : هذا ربي للخنفساء والعقرب . وقد جعل حكمهم حكم من سبهم وهو انهم اذا لزموا الحياض وهو ماء به عنه باعتزال المسلمين والقاء السلم وكف الايدي عن القتال — فلا سبيل الى قتالهم والاقتلوا حيث ثقفوا لانهم محاربون لا لانهم مرتدون فقط وقال (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) أي دون غيرهم من المسلمين والمجايدين .

ونقلنا في تفسيرها عن الرازي انه عز القول بعدم قتال هؤلاء الى الاكثرين ونظر له بايات سورة الممتحنة وآية البقرة في انه لا يقاتل الا المقاتلون وقتلنا والظاهر انه يعني بمقابل الاكثرين من يقول ان في الآيات نسخاً ولا يظهر فيها النسخ الا بتكلف فما وجه الحرص على هذا التكلف ؟

وقد استفتينا في هذه المسألة قبل كتابة هذا التفسير بسنين فتجد في فتاوى المجلد العاشر من المنار (ص ٢٨٧ ج ٤ م ١٠) أسئلة من أحد علماء تونس منها السؤال عن حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » الخ ألا يعارض كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف كما يعتقد الجهلاء؟ والسؤال عن حديث « من بدل دينه فاقتلوه » ألا ينافي كون الاسلام لا يضطهد أحداً لعقيدته؟ وقد أجبنا عن الاول بأن الحديث ليس لبيان أصل مشروعية القتال فان هذا مبين في قوله تعالى ٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآيات وقوله (٢ : ١٩٠) وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) الآيات . بل هو لبيان غايته إذ الفرض منه بيان ان قول « لا إله إلا الله » كاف في حقن الدم حتى في أثناء القتال وان لم يكن القاتل من المشركين معتقداً في الباطن لأن الامر في ذلك مبني على الظاهر الخ وأجبنا عن الثاني بان المرتد من مشركي العرب كان يعود الى محاربة المسلمين

وان بعض اليهود كان يصد الناس عن الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقبل قوله بالطعن فيه . و ذكرنا ما حكاه الله عنهم في هذا . وقلنا : فالظاهر ان الامر في الحديث بقتل المرتد كان لمنع المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لاسباب قضت بها سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصرنا سياسة عرفية عسكرية لا لاضطهاد بعض الناس في دينهم . ألم تر ان بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم المتهودين على الاسلام فنعهم النبي (ص) بوحي من الله عن ذلك حتى عند جلاء بني النضير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزلت آية (٢ : ٢٥٦) لا إكراه في الدين) وأزيد هنا ما كنت ذكرته في تفسير هذه الآية وهو ان النبي (ص) أمر بتخيير أولئك المتهودين فمن اختار الاسلام بقي مع أهله المسلمين وكان منهم ومن اختار اليهودية جلا مع أهل دينه من اليهود وهو منهم . وراجع تفسير الآية وكلام الاستاذ الامام فيها (ص ٣٦٦ ج ٣ تفسير)

وقد أعدت ذكر هذه المسألة في تفسير (٣ : ٦٥) وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) فما ذكر يعلم السائل جواب سؤاله ومأخذ الفقهاء في قتل المرتد — وهو الحديث الذي أخذوه على إطلاقه — والجمع بين الحديثين اللذين ذكرهما وبين قاعدة التسامح والحرية في الاسلام .

وأما قوله تعالى (٩ : ٥) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الخ فهو يعلم أنه نزل في نذعهم الذين نكثوا العهد من المشركين وانهم أعطوا في الآية الاولى من هذه السورة (التوبة) مهلة الاربعة الأشهر الحرم وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم قال (فاذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الخ ومن الضروري ان يستثنى من ذلك من يتوب منهم عن الشرك ويدخل في الاسلام . ألا تراه استثنى من حافظوا على عهدهم من المشركين فقال (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) ثم ألا ترى كيف علل قتال الناكثين بقوله (كيف وان يظفروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولاذمة) الخ وفيها التصريح بأنهم هم المعتدون وانهم لا أيمان لهم أي لا عهد لهم تحفظ بل يجعلونها خداعا في وقت الضعف . ثم قال في هذا

التعليل (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة)؟
والفقهاء الذين يقولون بقتل المرتد اختلفوا في بعض مسأله كالمترد ذي المنعة
في قومه وغيره وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة . وقد قال الشيخ صالح اليافعي في رده
على الدكتور محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) ما نصه

« قال الفاضل حفظه الله : أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام
للحديث والقرآن يقول (لا اكره في الدين * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)
وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على اطلاقه بل لو منم الامام عن
قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومعاودة ومأمنة بشروط الجي إليها لا يجوز قتله فقتل
المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات » الخ (وهو في ص ١٢٤٤٩ من المنار)
وقد نقلنا في المجلد التاسع عن جريدة اللواء مقالة مترجمة عن جريدة (ريج) الروسية
عنوانها (تسامح الدين الاسلامي) موضوعها أسئلة أقيمت على شيخ الاسلام في الاستانة
منها هذه المسألة وأجاب عنها بما قاله بعد تشبيهه المرتد عندنا بالنار من العسكرية في
الاسنياء منه : « وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنية على أساس ان كل الناس
مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكوة أن تعاقب الخارجين عن الدين
الابالحكم المنوي، ولا يمكن إجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية، وإذا كان لشخص
اختيار في الارتداد فلا يمنعنا مانع من اظهار كراهتنا له ونفورنا منه » اه المراد منه
وقد ألم السائل في سؤاله باكتشاف أحرار العلماء لنظريات علمية تخالف
ظاهر الدين هل يكونون بها مرتدين أم لا ؟ وتقول ان مخالفة بعض ظواهر النصوص
الدينية وهي ما كان مدلوله غير قطعي فيها تفصيل فمن كان يعتقد ان كلام الله
كله حق وكلام رسوله فيما يباقة عنه حق وقام عنده دليل على ان بعض ظواهرهما
غير صحيح فصرف الكلام عنه الى معنى آخر رجح عنده بالدليل انه هو الصحيح المراد
فلا يعد مرتدا بل لا اثم عليه ولا حرج ، وإنما الردة تكذيب كلام الله أو تكذيب
رسوله فيما جاء به من أمر الدين بنظريات فلسفية أو بغير ذلك . ونحن نعتقد اعتقادا
جازما بأنه ليس في أصول الاسلام القطعية فيه شيء يمكن نقضه وقد بينا حقيقة الاسلام
وحقيقة الكفر والردة في المجلد الثاني والعشرين الذي قبل هذا وفي غيره وهو أقرب ما يراجع

في المسألة . ومن أهم الأحكام المتعلقة بالمسألة ان المجاهر بما يعد في الاسلام كفرا صريحا لا تجري عليه أحكام الاسلام في موت ولا حياة ولا زواج ولا ارث .

﴿ جواب السؤال المنعلق بعدم امتناع المرء بعمل غيره ﴾

لعل الاستدراك على هذه المسألة الذي نشرناه في الجزء الذي قبل هذا قد أغنى السائل عن جواب سؤاله هذا وعلم منه كون عمل الولد ملحقا بعمل الوالد فان لم يكن أغناه فليكتب اليانا ثانية بما بقي عنده من إشكال ، وليراجع في تفسير آية محرمات الطعام مسألة امتناع نسخ الآيات المؤكدة

﴿ شرب الدخان (التبغ) والتذكير في المنائر ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

الى حضرة الاستاذ العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار بعد رفع جزيل السلام اللائق لمقامكم العالي ورحمة الله وبركاته على الدوام لا يخفى عند جميع الناس اشتغالك بالعلوم والمعارف الدينية النافعة وارشاداتك المفيدة المنشورة بمجنتك لا بناء جلدتك في جميع البلدان — لذا كفتني بعض اصحابي الذين هم من أهل السنة والجماعة أن أوجه اليك هذا السؤال وهو : ضمنى وجماعة من الاصحاب مجلس جرى فيه البحث في التذكير على المنائر قبل المشاء وقبل صلاة الفجر وفي شرب الدخان (التن) واستمر الجدل ساعات ولم يقدر أحد الفريقين أن يقنع الآخر برأيه . . ولا عجب لسؤالنا لان علماءنا وتمصهم لا يقفون عند حد، واحد يجوز والثاني محرم ، ولا ندري أي الصواب لناخذ به . واسترضى الجميع أن نرسل اليك هذا السؤال لترشدنا من فترن علومك وآرائك الحرة الناضجة وتبين لنا الخطأ من الصواب انعمت عليه والله يحفظك على ابراهيم كانوا

الجواب عن مسألة شرب الدخان

اعلم أولاً أن التمهيم والتحليل تشريع وهو حق الله تعالى وحده فمن استباح لنفسه أن يهزم على عباد الله تعالى شيئاً بغير حجة شرعية عن الله ورسوله فقد اقترى على الله وأدعى الربوبية معه ومن أطاعه وتبعه في ذلك يكون قد اتخذ ربا كما ورد في الحديث تفسيراً لقوله تعالى (اتخذوا أعبادهم ورهبانهم أربابا من

دون الله) وقد بيناهذه المسائل مراراً وآخر تفصيل لنا فيها تفسير آية محرمات الطعام — وثانياً — ان الاصل في الانتفاع بما خلقه الله لنا في هذه الارض الحل كما تدل عليه الآيات القرآنية فلا يحرم شيء منها الا بنص عن الله ورسوله صحيح الدلالة باللفظ أو الفحوى ولا نص في هذا الدخان المستول عنه بعينه، بل هو داخل في الاباحة العامة لكل ما خلقه الله لنا من هذه الارض الا اذا ثبت ضرره في الجسم أو العقل كالحشيشة والافيون والحقن بالمورفين فيخينئذ يظهر القول بتحريمه كما أفقينا من قبل وفاقا لبعض الفقهاء وفي الحديث الصحيح « لا ضرر ولا ضرار » فاذا ثبت بشهادة الأطباء انه يضر كل من شربه ضرراً ذا شأن فالقول بتحريمه على الاطلاق وحيه واذا كان يضر بعض الناس كالمصدورين دون بعض فهو محرم على من يضره سواء علم ذلك بقول الطبيب أو بالتجربة والاختبار والا فلا. ويستدل بعض الناس على تحريمه بقوله تعالى (ويحرم عليهم الخبائث) بناء على تفسير الخبيث بالطبيعي وهو ما توافقه الطبايع السائمة وقيل العرب . والصواب انه الخبيث المعنوي الشرعي كالربا والخيانة والغلول كما فصلناه في تفسير آية محرمات الطعام أيضاً والا فان الثوم والبصل من الخبائث قطعاً وهما غير محررين. ونحمد الله ان حمانا من هذا الدخان وننصح لكل من لم يتل به أن يجتنب تقليد الناس بشربه ولكل من ابتلي به أن يتركه اذا قدر ان كان يرى بالتجربة أنه لا يضره واهله لا يخلوا من مظنة الضرر التي تقتضي كراهة التنزيه بما فيه من السم المسمى بالنيكوتين وهذا الضرر ظاهر لا محالة في أصحاب الامراض الصدرية وربما كان سبباً لها في المستعدين ، والله أعلم

﴿ التذكير على المنائر ﴾

ان كل ما زاده الناس قبل الاذان المأثور وبعده من الاذكار والصلاة على النبي (ص) بدعة اشبهت على العامة بالمشروع بل صارت عندهم من شعائر الدين فيجب تركها لان الزيادة في الدين كالتقص منه كلاهما شرع لم يأذن به الله وان كانت الزيادة في نفسها حسنة . ولو أبيع في الاسلام ان يزداد في كل ما شرعه الله تعالى من العبادات زيادات حسنة من ركوع وسجود وأذكار لتغيرت الشرائع والشعائر في هذه الملة كالمثل السابقة وقد بينا هذا من قبل مراراً

الخلافة الإسلامية

وترجمه بالمربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد

الشيخ عبد الرزاق

المليح آبادي

محرر جريدة (بيغام) الهندية

أنفه باللغة الاوردية
أحد رعماء النهضة الهندية

مولانا ابوالكلام

محي الدين آزاد

صاحب مجلة الهلال الهندية

٣

فصل

﴿ طاعة الخليفة والتزام الجماعة ﴾

بعد هذه التوطئة الضرورية للبحث نقول ان الشريعة الغراء فرضت على المسلمين طاعة الخليفة ما لم يأمر بمعصية ، كما فرضت طاعة الله وطاعة رسوله ، ولا عجب . فان نظام الشريعة الاجتماعي يقتضي ذلك وهو مطابق لناмос الفطرة تمام المطابقة - بل هو حلقة من سلسلة هذا الناموس الالهي الذي يخضع له كل ما في السموات والارض ، وذلك لاننا نرى كل شيء من هذا الكون البديع على نظام طبقي مخصوص ، وهو الذي يسمونه « بناموس المركزية » او « بناموس الدوائر » ففي كل جهة من هذا الكون « مركز » تحيط به الاجسام والدوات على شكل الدائرة ، وعلى هذا المركز تتوقف حياتها وبقاؤها ونماؤها فلو تحولت عنه هذه الدائرة او انحرف عن طاعتها تنحل حالا ويهترى الخراب والدمار في طرفة عين - وعن هذه الحقيقة عبر بهض الصوفيه بقوله « ان الحقيقة كالكرة » وعنهما قال صاحب الفتوحات « بأنها دائرة قلب قوسين »

« ناموس المركزية » هذا نافذ في الكائنات كلها ، فما هذا النظام الشمسي الذي فوقنا ، وهذه السيارات العظيمة والنجوم الملائمة ، والكرات النيرة المتبعثرة على بساط السماء ، وهذه الحياة المعجبة والحركة المدهشة للعقول ؟

(المنار: ج ٣) (٢٥) (المجلد الثالث والعشرون)

ان هي الا مظهر من مظاهر هذا الناموس - فالنجوم لها دوائر ، وكل دائرة منها قائمة على نقطة في الشمس ، حولها حركتها ودورانها ، وعليها حياتها وبقاؤها ، وبها قيامها ودوامها - وستبقى هكذا مادامت مرتبطة بمركزها ومنقادة له - (ذلك تقدير العزيز العليم) وكذلك أرضنا حلقة من تلك الدائرة خاضعة لمركزها كل آن - فكل من الارض والسموات يدور في محوره ويسبح في فلكه ويطيع مركزه ولا يخرج عن دائرته ابدا حسب قوله تعالى (وله أسلم من في السموات والارض) (٢ : ٨٣) وقوله ألم تر ان الله له يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم) الخ (٢٢ : ١٩) وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) (٣٦ : ٤١)

ليست الكائنات العظيمة وحدها هي الخاضعة لناموس المركزية - بل الكائنات الحقة المنحطة مثلها فذلك العالم النباتي مثلا فني كل شجرة ترى الاوراق والفروع والازهار والثمار كلها مرتكزة على مركزها الذي هو أصل الشجرة - ومهما انفصلت ورقة أو غصن من الاصل ، حل به الموت والقناء - هذا في عالم الآفاق ، ثم انظر في عالم النفس ، افلا ترى اعضاءك الخارجية والداخلية ومشاعرك الظاهرة والباطنة كلها تتحرك وتعمل عملها ، حتى كأنك مدينة مزدحمة بالاحياء لكل واحد منها حياة قائمة بذاته ووظيفة خاصة به - ولكنها كلها خاضعة لمركزها الذي هو القلب ، به صلاحها وفسادها ، وعليه مدار حياتها وبقائها ، اذا صلح صبحت كلها - واذا فسدت فسدت كلها

وكما جعل الله سبحانه للكائنات ناموسا ونظاما ، كذلك جعل لسيادة النوع الانساني وهدايته ناموسا ونظاما وهو الاسلام ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولا بد ان يكون هذا الناموس المعنوي موافقا لذلك الناموس الصوري غير متعارض معه لانها صنم يد واحدة ، وتقدير العزيز العليم الذي لا ترى في خلقه من تفاوت ، فارجم البصر هل ترى فيه من فطور ؟ ولم يري انهم كذلك فكما ترى نظام الكون قائما على ناموس المركزية كذلك نظام الاسلام قائم على ناموس المركزية سواء بسواء - وقد نبه القرآن الحكيم على هذه الحقيقة مرارا وهي أن النوع الانساني جماعته وأحاده وحياتهم الادبية والمادية قائمة بناموس المركزية - كسائر أنواع الاجسام ، فكما أن الشمس مركز لنجوم سيارة في محيطها

جعل الله الانبياء مركزا لسعادة البشر ، وجعل حياتهم المعنوية و خلاص ارواحهم موقوفة على ارتباطهم بهذا المركز . قال الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله (٤ : ٦٨) وقال : فلا ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٤ : ٦٩) وقال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ثم جعل الله تعالى تحت هذا المركز الاعظم دوائر مختلفة وسراكرز متعددة ، فجعل عقيدة التوحيد مركزا لسائر العقائد ، فهي تحرم حولها قال تعالى (ان الله لا يقدر ان يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء (٤ : ١٥) وحجر الصلاة مركزا للعبادات عليها مدارها ونضياها ضياعها وبطلانها تقوى النبي (ص) « فن أقامها أقام الدين ، ومن ترها فقد هدم الدين » وفي حديث الترمذي . كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال ركة بغير الصلاة » وقد جعل الكعبة مركزا أرضيا لسائر الامم والشعوب والبلاد فقال تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » ولذا اوجب أن توجه الى هذا المركز ودوائر الناس ووجوههم فقال (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره (٢ : ١٤٥) ثم لما كان للاجسام والاشخاص والمعتقدات والاعمال مراكز ، وجب أن يكون للحياة الاجتماعية مركز ، فجعل الله لها مركزا ، وجعل الامة حمله كالدائرة ، وأوجب عليها مرافقته وموافقته وطاعته ، فاذا نادى لبث ، واذا تحركت تحركت ، واذا وقف وقفت ، واذا نهض نهضت بخيالها ورجلها وسائر قواها . وجعل عصيانه من الجاهلية التي لا تخرج منها الا بطاعته والرجوع اليه ، وقد همى المسلمون هذا المركز الاجتماعي « بالخليفة والامام » وفرض على المسلمين قاطبة أن يمينوه وينصروه ويطيعوه كما يطيعون الله ورسوله ، فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (٤ : ٦٣)

فصل

﴿ اولو الامر ﴾

أمر الله سبحانه في هذه الآية بثلاث طاعات : طاعة الله ، وطاعة الرسول وطاعة أولي الامر ، وقد علمنا أن طاعة الله تكون بطاعة كتابه ، وطاعة

الرسول بطاعة سننه القولية وتعلية ، ومن أولو الامر الذين أمرنا بطاعتهم ؛ لقد تضاربت لادلة القطعية والبراهين القوية على أن المراد بأولي الامر « الخليفة والامام » الذي ينفذ أحكام كتاب الله وسنة رسول الله ، ويقوم بمصالح الأمة ويحكم ويستنبط الاحكام من الشريعة عند النوازل : آية واجتهاده ، وإنما ذهبنا الى هذا القول لوجوه :

(١) قاعدة « القرآن يفسر بعرضه بعضه » فإذا رجعنا اليه نجد في آية هذه السورة قول الله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (٤ : ٨٦) ذكر الله سبحانه في هذه الآية تلك الآخرة التي كانت تروج فيها أخبار الامن والخوف ، والفتوح والمزيمات ، فيسمعها الناس ، فيضطربون من أجلها اضطراباً شديداً ، وقد أشاع في عهد النبي (ص) بمض المنافقين مثل هذه الاخبار ، ففهم منها بعض ضعفة الايمان من المسلمين ، فأمرهم الله أن اذا سمعتم هذه الاشاعات ، فلا تأخذوها على غلاتها ولا تصدقوها بل ردوها الى الرسول وإلى « أولي الامر » ليحققوها ويحصوها ويستنبطوا منها ما يجب استنباطه .

فإلا التي ذكرت في هذه الآية : حالة الحرب والصلح والامن والخوف ولا يخفى على أحد ان النظر في هذه الحقائق والاهتمام لها واتخاذ التدابير اللازمة لها من وظائف الامراء والحكام ، لا من وظائف العلماء والفقهاء ، لان المسئلة مسئلة نظام البلاد ، وقيام الامن ، ونشوب الحرب ، لا مسئلة الحلال والحرام التي ينظر فيها العلماء ، فاذن لا مناص من أن نسلم بأن المراد « بأولي الامر » هم الذين يبدون الحرب والصلح وتنظيم البلاد وسياسة العباد ، والذين من شأنهم أن يحققوا مثل هذه الاخبار المؤثرة على السياسة العامة وما هم الا الامراء والحكام (٢) اذا تتبعنا الكتاب والسنة واللغة نجد أن كلمة « الامر » اذا استعملت

(١) المنار : هذا الوجه حجة على الكتاب لانه فان الرسول (ص) كان عند نزول الآية هو الامام الاعظم وصاحب الامر في السياسة وغيرها ولم يكن معه امراء ولا حكام فتمين ان يكون المراد بأولي الامر أهل الشورى من زعماء الأمة وأهل الرأي فيها اذ كان (ص) يأخذ برأيهم واستنباطهم في أمر الامن والخوف وسياسة الحرب وغيرها لقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وهذا نص في موضع النزاع

هذا الاستعمال ، يكون معناها الحكومة والسلطان ^(١) وقد كثر استعمالها في هذا المعنى في الأحاديث النبوية كثرة زائدة لا يبقى معها محل للربس والشك وفي اللغة أيضاً معنى « الأمر » « الحكم » ولذا قال الإمام البخاري « أولو الأمر هم ذوو الأمر » ومعلوم أن صاحب الحكم لا يكون إلا صاحب الحكومة .

(٣) لقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن هذه الآية إنما نزلت في طاعة أمير الجماعة ، ففي الصحيحين « عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي إذ بعثه النبي (ص) في سرية » وروى ابن جرير الطبري في تفسيره « بأنهم نزلت في قصة جرت لعمار مع خالد وكان خالد أميراً ، فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما » فعلم من هاتين الروايتين أن الآية إنما نزلت في طاعة الأئمة لا غير ^(٢)

(٤) روينا هذا التفسير عن كثير من الصحابة والتابعين ، ولم يؤثر عنهم غيره ، وأما ما قيل في الآية فأنما هو من عند المفسرين المتأخرين ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن عيينة أنه قال « سألت زيد بن أسلم عنها ، ولم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله ، فقال اقرأ ما قبلها تعرف ، فقرأت إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) فقال هذه في الولاية (فتح الباري ١٣ : ٩٩) فالنظر كيف استدل زيد بن أسلم على أن المراد من « أولي الأمر » الحكام والولاية بالآية التي قبلها والتي ذكر فيها الأئمة والحكام ^(٣) وقد روى الطبري بسند صحيح عن ميمون ابن مهران وأبي هريرة وغيرهما « أولو الأمر هم الأئمة » وعدان حزم الصحابة والتابعين الذين نقل عنهم هذا التفسير قبلنا ثلاثاً عشر رجلاً

(١) هذا الحكم غير صحيح وإنما الأمر الشأن ومقابل النهي ويدخل فيهما معنى الحكم والقرينة تعين المراد كما تقدم فالأمر في الآيتين هنا عن الأمر آية (وشاورهم في الأمر) وآية (وأمرهم شورى بينهم) ذوات الأمر في آية القرآن أخذ الشورى الذين اعترضوا العلماء على التعبير عنهم بأهل الحل والعقد وعم الذين لا يكون الخليفة إماماً للمسلمين إلا بما يفتهم له (٢) هذا الخصر بل هذا الوجه غير صحيح كما علم من الحاشيتين اللتين قبل هذه وكانوا كثيراً ما يمتسون بقولهم أن هذه الآية نزلت في كذا أنها هيئنة للحكم في مثله وذلك بحسب فهم التمثيل (٣) ليس في الآية التي قبلها ذكر للحكام والأئمة وإنما هي خطاب للإمامة أنه يجب على من أئتمن منهم على شيء أن يؤديه إلى أهله وعلى من حكم بين الناس بولاية عامة أو خاصة أو تحكيم من بعضهم أن يحكم بالعدل

نعم قد روى عن بعض الصحابة والتابعين ان المراد من اولي الامر العلماء فقال جابر بن عبد الله (رض) « انهم أهل العلم والخير » وقال مجاهد وعطاء وابو العالية « انهم العلماء » ولكن لا تعارض بين التفسيرين ، وذلك لان الشريعة جمعت الحكومة والولاية مركزاً اسائر شؤون الامة الدينية والسياسية والمالية ، ولم تكن المناصب والوظائف قد انقسمت الى ذلك الحين ، فأمر المؤمنين كما كان حاكماً وسائساً ، كذلك كان عالماً وفقياً ايضاً ، فالصحابه والتابعون الذين فسروا اولي الامر « بأهل العلم والخير » قد احسنوا التفسير ، اذ أثبتوا به أن أمراء المسلمين يجب أن يكونوا من أهل العلم والخير ، لا ما فهمه المتأخرون من هذا القول بأنهم قصدوا به تلك الفئة التي عرفت « بالعلماء والفقهاء » بعد انقراض ذلك المهد وانهدام نظام الجماعة الشرعي ، لان هذه الفئة لم تخطر على بال أحد من الصحابة والتابعين في الصدر الاول ، ومن هذا القبيل ما نقله ابن جرير ايضاً عن عكرمة أنه قال « أولو الامر ، هم أبو بكر وعمر » أي ان المراد من أولي الامر الخلفاء والأئمة مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^(١)

وهذا التفسير مطابق لحالة البلاد الاجتماعية اذ ذلك ، لان بلاد الحجاز كانت في القوضى قبل الاسلام ولا سيما قرين مكة ، فانهم لم يكونوا يعرفون الامارة ولا ينتقدون لاحد من الناس ، فجاءهم الاسلام « بنظام الجماعة » و « نظام الامارة » وأوجب على كل الناس أن يطيعوا الامراء ويلتزموا الجماعة والى هذا ذهب الامام الشافعي (رض) كما نقل عنه المسقلافي في الفتح حيث يقول « ورجح الشافعي الاول واحتج بأن قريناً كانوا لا يعرفون الامارة ولا ينتقدون لامير ، فأمروا بالطاعة لمن ولي الامر » ولذلك قال (ص) « من أطاع أميري فقد أطاعني » (فتح الباري ٨ : ١٩١) ^(٢)

(٥) هذا هو قول اكبر فقيه قام في الامة الاسلامية ، الا وهو الامام محمد ابن اسماعيل البخاري رضي الله عنه ، فقد بوب في كتاب الاحكام من صحيحه باباً على هذه الآية فقال « باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم »

(١) ليس هذا معنى قوله بل معناه هم أهل الثورى عند الرسول (ص) كابي بكر وعمر لانه كان يستشيرهما في كل امر (٢) ان طاعة الائمة والامراء واجبة في المعروف باجماع المسامين والنصوص فيها معروفة ومنها هذا الحديث الصحيح ولكن هذا ليس دليلاً على تفسير الآية بما ذكر

وروى تحتها حديث أبي هريرة « من أطاع أميري فقد أطاعني » فأثبت بهذا أن أولي الامر في مذهبه أيضاً هم الامراء والائمة لا الفقهاء والعلماء كما قال ابن سبغر في شرح هذا الحديث « في هذا إشارة من المصنف الى ترجيح القول الصائر الى أن الآية نزلت في طاعة الامراء ، خلافاً لمن قال نزلت في العلماء » (فتح الباري ١٣ : ٩٩) ^(١)

(٦) أن أقدم التفسير عهداً وأغزرها مادة تفسير ابن جرير الطبري ، ومكانة صاحبه في مدركة تفسير الصحابة والتابعين واستقصائه معلومة ، وهو قد رجح هذا القول بعد أن ذكر سائر الاقوال - ^(١)

(٧) لا يذهبن عن بالك أن الاقوال الكثيرة في تفسير القرآن إنجابات من المتأخرين الذين سهرت ألبابهم الفاسفة اليونانية في زمن كانت العجمية المموجة قد اندمست في الفكر والنظر ، واستويات على العلوم والمعارف ، وتقهقرت العربية الخالصة الصالحة وهجرت علوم السنة وعشق الناس « التعمق » في كل شيء ، حتى في العلوم الدينية ، ذلك التعمق الذي ورد فيه « هلك المتعمقون » وأما السلف الصالح فلم تكن في عصرهم منازعات ولا مشاجرات ولا قيل ولا قال ، بل كانوا يفهمون كتاب الله بملكهم اللغوية ، بدون أن يتكافوا أو يتممقوا ، أو يجهدوا أفكارهم في نحت المعاني البعيدة واختراع الاحتمالات الباردة ، فاذا سمعوا كلمة « أولي الامر » التي نحن بصددنا فهجوا منها بلا أدنى تكلف معناها المتبادر الى الذهن ، مثل ما يفهم الاعراب والرعا -

ولكن الدهر كان خبياً أمثال نجر الدين الرازي الذين لا ترضيهم هذه السماحة والسذاجة ، طاروا من بعدهم يخترعون لكل كلمة عذبة واحتمالات كثيرة ويظهرون بذلك براعتهم وجودة ذهنيهم ، فلا ترو عنك أقوال المتأخرين واختلافهم لانهم إنما اتخذوا العلم صنعة لهم وممارسة بينهم ، بل ان كنت تنشده الحق فعليك بالسنة النبوية الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فما وافقهما فخذ وما خالفهما فاضرب به عرض الحائط - اذ صاحب القرآن (صلم) اعلم به وكذلك أصحابه الذين شهد الله عليهم بعملهم

(١) قد صرح الكاتب من قبل كغيره بان المسألة خلافية فترجح بعض كبار العلماء لاحد الوجوه التي يحتملها اللفظ ليس حجة على غيرهم وانما السيرة بقوة الدليل

ورضى الله عنهم ورضوا عنه (١)

ومالي لا أعجب من هؤلاء الناس الذين يعرضون عن السلف الصالح ولا يقيمون لهم وزناً في تلك العلوم التي اخترعوها اختراعاً ، لاجل أنهم لم يكونوا يعلمون أصول الفقه وتعلم الكلام اليوناني الملازم ما أنزل الله بهما من سلطان! فلم لا يسهون لهم في علم الكتاب الألهي ، أنيس بحديث أن يؤمنوا بأن القرآن نزل على محمد العربي (ص) ثم يستشهدوا في فهم معانيه بارسطاطليس اليوناني؟ نعم ان هذا الشيء عجاب!

وأما الذي حير الرازي وغيره في فهم الآية فأنما هو ذكر الطاعة لاولي الامر معطوفة على طاعة الله ورسوله - فقالوا كيف تكون طاعتهم مثل طاعة الله ورسوله؟ وأين الماوك والسلاطين من هذا المقام الرفيع؟ فاخترعوا لذلك معنى يوافق فلسفتهم، وقالوا هم «العلماء والفقهاء» (٢) ولقد تعبوا سدى، لان المسئلة واضحة جارية لا تحتاج في حياها وظهورها الى التفلسف البارد، وذلك لان القرآن والسنة شريعة وقانون، وما ذا يجدي القانون اذا لم تكن وراءه قوة منفذة - فطاعة هذه القوة، طاعة القانون نفسه وطاعة واضعه - ولا يخفى على أحد من الماس حتى السوق والاعراب أن طاعة والي البلد طاعة للملك الذي أرسله وعينه، وعصيانه، عصيان للملك بلا ريب حتى إن الذي يعارض الشرطي في عمله الرسمي يعد مخالفاً للقانون ولقوة اتي سنته - وإنما تحبط الناس في فهم الآية لانهم لم يأنهوا النظام الشرعي اللاحق نهي، اذ أنهم لو ابعثوا النظر فيه بما تحيروا هذا التعبير ولما حقا حق العلم بأن لا بد لقيام الشريعة وبقاء الامة من قوة مركزية، وما هي تلك القوة الا الخليفة والامام والامراء ونوابه ولو أنهم فعلوا ذلك لما خفي عليهم معنى «أولي الامر» (٣)

(١) هذا الكلام حق ولكنه وضع هنا في غير موضعه اذ ليست هذه

المسئلة بما خالف الخلف فيها اسلف ولا مما أكثرها فيها الاقوال

(٢) قد نقل المكتوب هنا قول عن بعض السلف وجمع بينه وبين القول الاول الذي اختاره وأزال فيه فزوره الى الرازي خطأ وهبسه جواباً فلماذا أسمى عليه بهانه الائمة في قول سبته ائبه من ذكر من السلف؟ على ان الرازي على تفاسيفه وكثرة غلطه، قد اهتدي في تفسير أولي الامر الى التصواب في الجملة كما بيناه في تفسير الآية في موضعها من التفسير (٣) الحق أنهم ترقوا مارماهم بحججه كما تقدم

وقد علمنا أيضا من آية «فان تنازعتم» الخ أن بين الخليفة الاسلامي والبابا المسيحي بونا شاسما إذ البابا ليس بيده الخلافة الارضية بل هو صاحب السلطة في ملكوت السماء ، وقد عد الاسلام هذه العقيدة كفرا وشركا ، فقال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) وأما الخليفة الاسلامي فهو الحاكم والسلطان في الارض فقط ، يذود عن حوض الامة وينفذ أحكام الشريعة ولا يملك أدنى سلطة في السماء ، ولا بيده القوة التشريعية ، فهو لا يستطيع أن يغير من الشريعة شيئا ، ولا أن يزيد فيها أو ينقص ، بل عليه أيضا مثل سائر آحاد الامة أن يخضع لها خضوعا تاما ، واذا تنازع في شيء مع المسلمين فلا حق له بأن يحملهم على حكمه ورأيه الخاص ، بل يجب عليه وعليهم جميعا أن يرجعوا الى كتاب الله وسنة رسول الله ، فيحكموا بها بينهم ويساموا لهما تساميا ، قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول) ففي هذه الحالة لا حكم للخليفة ، وإنما الحكم لله وللرسول ، وكذلك طاعته طاعة الله ورسوله ، ولاجل هذا كرر الفعل في الآية فقال (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ولم يكرره في (أولي الامر) ليعلم أن طاعتهما مطلوبة أصلا وطاعة أولي الامر ليست كذلك بل إنما جعلت ليطاع الله ورسوله (قاله الطيبي في الشرح) ولذلك لما أراد أمراء بني أمية أن يحملوا المسلمين على طاعتهم في المنكر والبدعة والظلم ، قائلين : أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله (وأولي الامر منكم) رد عليهم بعض الأئمة من التابعين أحسن رد فقال أليس قد نزع عنكم بقوله (فان تنازعتم) ؟

ونظمت أن الله سبحانه فرض على الامة الاسلامية بهذه الآية طاعة الخليفة والامام ، اذ به قيام الجماعة ، وبقاء الهيئة الاجتماعية*)

(المنار : من أراد الوقوف على ملخص أقوال السلف والخلف في أولي الامر وتحقيق الحق فيها وفهم الآية حق الفهم ومعرفة مصلحة المسلمين في ذلك اليوم فليراجع تفسيرها في الجزء الرابع من تفسيرنا من صفحة ١٨٠ — الى ٢٢٢)

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تمثيل وتصايب ومخصة ونفي
مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شبيب أرسلان

٢

ثم نعود الى حوادث سورية التي كنا في صددنا فنقول : —
عهدنا بالبيكباشي شكري بك رئيس الديوان العرفي الذي كان في عايله انه
«حي برزق» وكان قد تقرر بيننا وبينه أن نفتتح بعد نهاية الحرب مسألة سورية
في مجالس المبعوثين في الاستانة ونطاب شهادته وانه يشهد بكل ماجرى معه .
على أن شكري هذا وان استظهر جمال عايله بما في ديوان الحرب من مستنطق
ومدخ عمومي رأ أكثر الاعضاء قد أمكنه إنقاذ بضعة عشر شخصا من الموت
لان جمالا طلب الحكم على أربعين كما تقدم فلما بالغ في المعارضة نزل معه جمال
الى عدد ٢٧ ووقف هناك ولكن شكري بك تمكن من تخليص ستة من هؤلاء
أيضا وتقدم ذكر رأيه فيهم . ولما نفذ الحكم استعفى حالا وذهب الى الاستانة
مغاضا لجمال باشا .

مسألة نفي السوريين الى الأناضول

قبل أن أنفذ الحكم بالقتل على الواحد والعشرين رجلا الذين صلبوا في
ساحة المرجة بالشام وساحة البرج في بيروت أخذ جمال ينفي العائلات مئآت وألوف
الى الأناضول من كل مدن سورية . وكان يعتمد في ذلك على جداول يقدمها
لا مديرو البوليس وغيرهم من جواسيسه وشكل لجنة سماها « قوه سيون التهجير »^(١)

(١) المنار : المراد بالتهجير الحمل والاكراه على الهجرة أي الخروج من الوطن
الى غيره وهو استعمال جديد لم تنطق به العرب ولا المولدون لان الاكراه على الخروج
من الوطن يسمى في اللغة إجملاء وجلاء يقال أجملاء وجلام ويقال جلاوا أيضا . وأما
التهجير في اللغة فهو الخروج في وقت الهجرة اي الحر . والترك يتصرفون في أبنية
الأفعال العربية بحسب حاجتهم فيخطئون السماع والقياس تارة ويصبون تارة

تحت رئاسة رجل اسمه ثوري بك كاز (مكتوب بـجيا) بالشام وكان من أشد الناس ضراوة بالضرر والفساد وكان يكره في الباطن جمالا وطلعت وكل رجال جمعية الأتحاد والترقي ولكنه يعري جمالا بالنفي والتغريب انتقاما منهم لعلمه ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي وقد نبهنا جمالا الى هذا الامن وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس وأعلمناه انهم لا يخبرونه الا بما يرون انه يقربهم اليه زلفى من السعائيات والوثائيات ، فلم يكن يهأ بكلامنا وكان يعتقد انه لا تخفى عليه خافية ، حتى لوقات انه كان يظن نفسه ما يها ومعضوما من الخطأ لما كنت مبالغا . ومن جملة من بدأ « بتهجيرهم » أسرة المرحوم الامير عبد القادر الجزائري ولما راجعته في ذلك قال لي ان عنده أدلة ووثائق خطية تثبت خيانتهم وخدمتهم لفرنسا في سورية ، فقلت له الذي أعلمه ان الامير سعيداً الجزائري كان لا شغل له الا شتم فرنسا فقال هذا من باب الاحتيال ، لاجل أن تسكته فرنسا بالمال ، فقلت له مهما يكن من الامر فان مراعاة هذا البيت واجبة لكون الامير عبد القادر له منزلة سامية في العالم الاسلامي فأجابني : « بكأنه » ومنها هنا ماذا ينالني من ذلك

(المنايا) وقد أطال الكاتب هنا في ذكر وقائع جزئية (منها) أنه لما بلغه أمر جمال باشا بنفي بعض وجهاء لبنان - وكان الامير توفيق ارسلان والامير قواد ارسلان ابنا عمه منهم - كلمه وكتب اليه محاورا صرفه عن هذا العزم فلم يأبه له فتوسل اليه بعزمي بك والي الشام كما ذكر أولا ففضب وأنذره أن لا يراجمه في شيء من أمر المنفيين ونشر في الجريدة الرسمية أنه لا يسمح لاحد بالافتيات عليه في ذلك . وقد كاشف رئيس لجنة النفي (قوه سيون التهجير) محمد فوزي باشا العظيم بأن المراد بانذار الجريدة هو الامير شكيب فنصح له الباشا بأن يقف عند ذلك الحد خوفا على حياته . وعلل ذلك بأنه يفعل ما يشاء بلا معارض ،

وهو على علمه بأن هذا الكلام حق لم يشن عن عزمه

(ومنها) انه على تعرضه للخطر بهذا السعي طوؤلاء كان بعضهم يتهمه بأنه هو الذي أغرى جمالا بهم ويستدلون على ذلك بأنه ليس في المنفيين أحد من حزبهم الارسلاني وان الجواب على ذلك سهل وهو ان الحزب الارسلاني معروف قديما وحديثا بأنه الحزب الماوي للاجانب على الاطلاق وأنه الحزب العثماني لو حيد في الجبال ، وسواء كان ذلك حسنة أو سيئة فهو حقيقة يعرفها كل أحد ، فغير منقول

تعهد الدولة الى رؤساء هذا الحزب فتنفيهم مهما بلغ من خرمها

(ومنها) ان جمال باشا كان يعتمد في اختيار من ينفيهم على بلاغات الجواسيس الموظفين والمتطوعين وان علي منيف بك متصرف لبنان كان معارضا له في خطة النفي ، كلمه في ترك في أحد من الجبل فلما لم يقبل انتخب له من تواتر عنهم الميل الى الاجانب ومنهم من وحده في أوراق قنصاية فرنسة ببيروت وثائق تبرح صداقتهم للدولة ومن تقدمت عليهم شهادات أخرى . وذكر الكاتب هنا تقارير الشرطة الممرية وعيون الحكومات وانه كان للدولة منها بعض مالمحتابن في سورية وفلسطين الآن ...

(ومنها) انه لو كان للكاتب أدنى مشاركة أو مساعدة لجمال باشا على أفعاله لما أمكنه أن يشنع عليه في الآستانة ، يسمى لمحاكمته ، وان كان جمال باشا يقول إنه كان قد أغراني بذلك وحسنه لي فأخذت بقوله وقول أمثاله لثقتي بملهم بحال البلاد

ثم قال الكاتب : —

هذا ولما صدر الأمر بنفي حبيب باشا السعد من جملة من صدر الأمر بنفيهم من لبنان جاء دمشق وزارني في محلي. وقال لي انه سمع من اسير أفندي شقير وغيره عن الجفوة التي جرت بيني وبين جمال باشا من أجل مسألة النفي والقتل فهو لذلك لا يكافتي الكلام معه في امره بل الكتابة الى علي منيف متصرف الجبل الذي هو صديقي له انه يتمكن من اقناعه فحكيت له كل ما جري وحررت له لي منيف كتابا بأن يبذل جهده في صرف جمال عن نفيه فان لم يمكن فليكن النفي الى اطنه لا لي داخل الاناضول ثم توجهت الى الجبل وبيروت وسألت علي منيف الك عن مسألة حبيب باشا وغيره فحاجني انه لم يدخر وسعا في صرف جمال باشا عن فكرة النفي فلم يفلح ولكنه خاص أناسا كثيرين وأما حبيب السعد فقد كتب الى والي اطنه جودت بك بأن لا يشخصه الى أبعد منها متى وصل اليها وهكذا تم وبقي حبيب في اطنه وتحابب مع جودت بك . ولقد صادف وصولي الى لبنان بقاء بعض المنفيين على أهبة السفر مثل رشيد بك نخله فاقنعت علي منيف بابقائه لانحراف صحته فخلصه بالرغم من إلحاح جمال باشا بتسفيره ، وكان أخي عادل خالص عدة أشخاص بحجة المرض مثل أمين بك عبد الملك وخليل بك عقل شديد وغيرهما

وأما اسير أفندي شقير فكان جمال باشا نفاه الى القدس ثم سمح له بالمجيء الى الشام واعد ماصار في الشام تعبت كثيراً في اعادته الى بيته لانه كان بيني وبينه جفوة مزمنة وكنت أترقب فرصة لاجل ان أسدي اليه هذه اليد على ما بيننا من النفور . ولما كان جمال علق له رخصة الرجوع الى البيت على رضي متصرف لبنان ووالي بيروت راجعت بذلك كلا من علي منيف وعزمي بك وبالرغم مما أبداه عزمي من التصعيب اقمتهما بالقبول على ان أكون كفيلا لاسير أفندي فلما جاء جمال احدى جيئاته الى بيروت تسكلم معه الواليان المشار اليهما أمام أناس من بيت سرسق بشأن اسير شقير وانني أنا الذي يلح في هذا الامر فقبض جمال وهدرت منه كلمات بحقي وأشاع أبناء سرسق ثاني يوم ان جمال باشا غضب علي بسبب اسير أفندي . وخاف علي أصحابي بل جاءني فوزي بك ابن اسير أفندي

ورجائي أن لا أعرض نفسي للفرر من أجلهم وانهم هم قد عرفوا صدقهم من عدوم ونجاحي في تخلص والدم وعدمه لا يقدمان ولا يؤخران شيئاً في امتنانهم مما جرى . ثم ذهبت بعدها الى الشام فكان كلام اسبر أفندي معي طبق كلام ولده فوزي . نعم انه تخلص فيما بعد بقرار حصانا عليه بمساعدة طلعت بشأن عم جميع المنفيين الذين فوق الستين ومع هذا كان يمد حسن نيتي واخلاصي السعي له جبلاً وينوه به ويلوم من أساءوا الظن بي من المنكوبين ويذيل مالصق باذنهاتهم من الشبهات على حين كان الذين نفقتهم فعلاً ودفعت عنهم شرورا عظيمة وعاركت من أجلهم في مواقف عديدة قد نسي أكثرهم الجليل وأنكروه ومنهم من قابلوا الاحسان بالاساءة والود بالشتمات

ووجدت رجلاً آخر بلغت به الجرأة الادبية ان دافع عني بقله بعد الحرب الا وهو المرحوم سليم بك المعوشي قائم مقام جزين فقد كنت أيام الصفاء مع جمال لاول الحرب استرجعت أمر جمال بنفيه الى القدس ثم وجدت — أوراق في قنصلية فرنسا أوجبت القبض عليه وحجسه في عاليه فتمكنت بواسطة رئيس الديوان العرفي وأعضائه وبقائهم بكون هذه الاوراق لا بال لها وليس فيها خيانة للدولة ان أطلق سراحه بدون ان يعلم بذلك جمال فكان هو الرجل الوحيد الذي نشر عند نهاية الحرب في احدي الجرائد ما معناه: انني أعلم ان كلامي لا يرضي الكثيرين ولكن الحق أولى أن يتبع وهو ان الامير شكيب ارسلان لم يشترك في شيء من أعمال جمال باشا بل خاصمه وعانده من أجلها الخ

هذا ولو كانت الحرب انتهت بغير ما انتهت به لم أكن عرضة الآن لاقتراء بعض المنسدين المتماقين للحلفاء ! وباليات الواقفين على أقاويلهم اليوم سمعوا نعمة الرؤساء والزعماء في لبنان أيام الحرب وهم يقولون في هذا العاجز على ضعفه وقصوره : هذا أمير البلاد وأبوها وأمها وان لم يحافظ عليها هو فمن ياتراه يحافظ عليها الخ ؟ . . . ولكن لم ادارت الدائرة على المانيا وتركيا انقلب الحقيقة لديهم وصار الابيض أسود في نظرهم ، اذا أكثر الناس ينظرون من وراء لون الاحوال الحاضرة وكأن الحقائق وباللاسف هي أيضا رهائن الاقوياء موقوفة لخدمتهم . . .

حال جمال باشا بعد ثورة الحجاز

هذا ولما ثار الشريف بالحجاز وسرت الحركة الى سورية خاف جمال العواقب فمدل عن الخاشنة الى المحاسنة واستدعاني أنا وكامل بك الاسعد وسنيم باشا الاطرش ونسيب بك الاطرش وكنجج أبا صالح شيخ مجدل شمس وغيرنا من الزعماء وتكلم معنا في اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة . والتمس منا السهر على الامانة للدولة . وانا وان كنت لم أصدق كلامه في البراءة من السيادة الطورانية . . . لم أخالفه في الطعن بسياسة الشريف من جهة مخالفة لانكثرة وتصديقه لمعاداة وقلت قبل الحرب وكررت في أثناء الحرب وبعد الحرب ولا أزال أقول : ان كل عربي يصدق ان دول الحلفاء يسمين في استقلال العرب لا بل يقبلان ؟ باستقلال العرب . يكون في عقله خبال ، وانهم ما أردن الا فصل العرب عن الترك ليتسهل لمن ابتلاع الامتين ، هذه هي غايتهم : ولي بذلك قبل الحرب نظم من جملة قصيدة في سيرة صلاح الدين الايوبي

وكيد على الأتراك قبيل مدير ولكن لصيد الامتين حباله
اذا غالت الجلي أخاك فانه لقد غالك الامر الذي هو غائله

وطلب مني جمال أن أرافقه في سياحة الى حوران وجبل الدروز واستصحب أيضا المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف وسامي باشا مردم بك وبعض العلماء والمعممين وأراد أني يجبلو ما كان أعظم بيني وبينه فلما كنا في مقعد السويداء بجبل الدروز وكان قبض قبل ذلك على شكري باشا الايوبي وعدة رجال منهم فارس افندي الخوري أحد المشار اليهم بالبنان في سورية علما وفضلا واتهمهم بمؤامرات سبقت لهم مع الامير فيصل (فانتهزت تلك الفرصة وتكلمت معه بشأن هذه القافلة الثالثة على مسمع من عبد الرحمن باشا اليوسف ووجه افندي الايوبي وحيدر بك ابن سامي باشا مردم بك وما زلت ألح عليه بشأنهم حتى وعد بأن يطلني على أوراق وجدت معهم وانها تثبت خيانتهم ، ولما نزلنا الشام قال لي ان التحقيقات لم تتم فصرنا نراوحو الشفاعة ونقاديه ولا سيما بفارس افندي الخوري

والشيخ خضر حسين التونسي الاديب العالم الفاضل والمرحوم الشيخ صالح الرافعي
 وأناس من وجوه راشيا وآخرين من وجوه زحلة أوصلتهم الى السجن تقارير
 شاب طرابلسي ولعب في هذه المسئلة دوراً مهماً المسمى توفيق بك الذي جعله
 جمال باشا وكيل لولاية الشام فاجتهد هذا التوفيق - لا وفقه الله - كل الاجتهاد في
 اثبات ان هناك مؤامرة على قتل جمال وخلع طاعة الدولة . وكانوا يضمون الناس
 ضرباً بمرحاً ويعذبون الشهود ليقرروا ما يريدونه هم . وقيل ان هذا الجهد النباغ
 لاثبات وجود المؤامرة هو لاجل اقناع رجال الدولة والرأي العام الذي كان بدأ
 يقيم النكير على جمال في الاستانة بأن جمالاً لم يعتقد على أحد وانه لا تزال المؤامرات
 وحركات الثورة في سورية متصلة ولكن جمالاً اضطر في هذه المرة الى الاكتفاء بالحبس ولم
 يتجاوز الى القتل ، فقبل ان شريف مكة أرسل يندبهم ان قتلوا في هذه المرة
 أحداً قتل هو جميع الاسرى الذين عنده من الاتراك وفي مقدمتهم الوالي غالب
 باشا . وقيل ان الاستانة أنذرت هذه النوبة انداراً شديداً بأن يعدل عن خطته
 المعهودة لانه قد طفح الكيل وقد كفى ماجرى ، فلذلك رأينا هذه الدعوى أخرجت
 في يوم من الايام من يد توفيق وكيل الولاية وتحوت الى ديوان عرفي في الشام
 أخذ ينظر فيها مجدداً ويطرح الشهادات المأخوذة بقوة الضرب والتعذيب ويسلك
 مسلك العدالة وأمكننا يومئذ اطلاق سبيل أناس من مشايخ راشيا وآخرين من
 زحلة وواحد من عرمون الغرب . ثم أطلق سبيل الشيخ صالح الرافعي والشيخ محمد
 خضر حسين التونسي اللذين كان ذنبهما انهما استفتيا في أحد المجالس في جواز
 الخروج على الدولة فلم يفتيا بذلك ولكن لم يبادرا بأخبار جمال باشا بوقوع هذا
 الاستفتاء ولو كان هذا الاستفتاء مجرد كلام فارغ من أناس لا شأن لهم . أما
 شكري الايوبي فكانت قضيته شديدة لانه اعترف بالاتصال بفيصل وكونه اشترك
 معه في انتقاد الاحوال . وأما فارس الخوري فذنبه الوحيد انه سأل الشاب الطرابلسي
 رأيه في عمل ثورة فأنكر هذا الامر ونباه عن الخوض فيه لكن جمالاً يقول : لو
 كان فارس الخوري أخبرني يومئذ بما سأل عنه اعلمت بنية فيصل وقبضت عليه
 ولم أدعه يذهب الى الحجاز ولم تكن حصلت ثورة الحجاز ففارس الخوري هو

سبب هذه الثورة بسكوته، والحال ان فارسا الخوري قرر ونحن طالما أكدنا لجمال باشا ان ذهاب فيصل الى الحجاز كان قبل المسئلة التي سئل عنها فارس افندي ومع هذا بقي فارس نحو أربعة أشهر بين أربعة حيطان (وهنا ذكر الكاتب عجبي، وقد الاستانة الى سورية وقول بمبوئها) صلاح بك جيجوز) الشهير بجرثته ان موعد افتتاح المجلس قد حان ولا يرضون أن يكون أحد البموئين محبوسا وان هذا كان سببا لقبول جمال اطلاق فارس الخوري بكفالة الكاتب بشرط استقالته من المجلس)

مصادرة جمال باشا لفلال سورية

ثم انه خطر لجمال باشا خاطر غريب من جهة تأمين الجيش على ميرته وهو جمع حبوب البلاد كلها موسم سنة ١٩١٦ وادّخارها في أنبار العسكرية واعطاء الاهالي والعساكر جميعا حاجتهم من المنازل والاناير بموجب وثائق، وقد اقتنع هذا الرأي ولم يجرأ أحد لا من أعيان البلاد ولا من كبار المأمورين أن يبين له ضرر هذا التدبير الا أنا فراروته كثيراً أن يرجع عن هذا الفكر لاسباب عديدة (منها) أن الاهالي ولا سيما الفلاحين لا يمكن أن يقدموا جميع غلات أراضيهم ويصيروا طالة على المنزل كلما أرادوا أخذ مقدار من الحب لقوت عيالهم وعلف دوابهم اضطر الواحد الى تقديم وثيقة والانتظار أباما وليالي أمام باب المنزل فهذا الفلاح سيطمر في الارض كل ما يقدر عليه من محصوله فيقل مجموع الموسم عما هو (ومنها) أنه ان كان المقصود هو تأمين الجيش على قوته فيمكنكم عمل حساب ما يلزم الجيش كل يوم ومن ثمة ما يارمه طول السنة الواحدة وقسم من العام القابل وبعد معرفة مجموع اللازم طرحه على الولايات والالوية بحسب درجات غلاتها واقبال مواسمها واما أخذكم الجميع سواء احتاج الجيش الى كل هذا المقدار أم لا فانه يوم الناس أن مقصودكم إمانتهم جوعا والآن يذيع كثير من المنسدين بين العامة انكم ترسلون بجانب من الحبوب الى المانيا وعقول الصادحين تصدق هذه الفرية، فلم يقبل النصيحة، وحصل كل ما كنت تكهنت به لان الذي أعطى جميع حاصلاته احتاج الحب فكان يذهب الى المنزل فلا يأخذ من القمح الا بعد الثياب والتي وان الاكثريين

ظمروا في الارض أكثر حاصلاتهم فتصور جمال أنه بانذاره الاهالي أن من يخفي منهم شيئاً من الخبواب يجرى بالقتل يخاف الاهالي فيقدمون كل ما عندهم من الغلة والحال ان هذا الانذار لم يزد الا تكتماً في العمل فصار الواحد يطمس الحب في جوف الليل تحت الارض ويأخذ منه حاجته لعياله ودوايه واذا جاءه أي كان وطلب منه حقة من الحب بحجة أن اولاده يموتون جوعاً انكر ان يكون عنده شيء خوفاً من أن يكون ذلك الطالب جاسوساً يقصد استكشاف سره أو يذهب فيقول ان هذا القميص هو من عند فلان جزاءه الله خيراً فيصل الخبر الى الحكومة المحلية ويجزى بالشنق. وجمال باشا اذا قال فعل. فأصبح اناس يدورون في البراري في طلب القوت ولا يجدونه وآخرون عندهم أكداً من الحب مخبوءة تحت الارض. ولا أقصد بذلك أن هذا هو السبب الاصيل في مجاعة سورية كلابل ان هذا التدبير السيء المبني على الاستبداد والفرور بالنفس كان من جملة أسباب المجاعة ولكن السبب الاهم هو الحرب من حيث هي وقلة الايدي العاملة وقلة البذار والابقار والحصر البحري وأعظم المسؤولية في شدة المسغبة وموت الالوف جوعاً بسببها تعود على الحلفاء الذين رفضوا اغاثة سورية من جهة البحر وايصال اعانات أميركا واسبانيا والبابا وأحبوا أن يلصقوا ذنب التجويع بالحكومة العثمانية ظلماً وزوراً كما سيأتي في كلامنا على المجاعة

على أننا كما نذكر كلا بفعله نقول ان هذا التدبير الذي قرره جمال باشا لتلافي نخبة الغلال كان تدبيراً فائلاً وأتى بعكس المقصود ومن جملة نتائجه أن أهل حوران ثاروا على الحكومة . وذلك أنه فرض على لواء حوران ٨٠ مليون كيلو جعلها تحت التزام ميشيل ابراهيم سرسق مبعوث بيروت ووضع تحت طلب ميشيل القوة العسكرية فجمع هذا ٢٠ مليون كيلو ووقف حمار الشيخ في العقبة فأخذوا حينئذ بالعسف والتضييق وأخرجوا الاهالي قثاروا وضربوا الجندرية فساقوا عليهم المسكر فتضاربوا والعسكر وقطعوا اسلاك البرق وخرّبوا سكة الحديد واستفحل الامر وكان جمال في حلب فخف أن تمتد الفتنة ويشترك فيها العربان والدروز فأبرق إلي - وكنت في لبنان - أن اذهب الى حوران وأن اشترك مع حافظ جمال

باشا في تسكين الثورة فلم أستطع الا الذهاب وترلم أذهب لم يبعد عليه أن يجعاني مسؤولا عما وقع. ولما وصلت الى درعا (أذرع) استدعيت مشايخ الدرور فحضروا في الف وخمسمائة فارس وأكذروا طاعتهم للدولة وأبرقت الى جمال بالخبر فوراً الي جوابه بالشكر والسروور ثم راسلت مسلمي حوران فحضر مشايخهم وقالوا لي نحن كنا نخبرنا الحكومة أنه لا يقدر على تسكين هذه الثورة الا الامير شكيب فالحمد لله على قدومك وان أكثر الثائر بن متجهمون في قرية نوى فبعثت الى جمال برقية أعرض فيها عليه رأي العفو عن الثائرين واعادة الامن الى نصابه وانني أتهد في مقابلة ذلك بادخالهم جميعا في الطاعة فأجابني برقية سريعة بأن من أطاع الى نهاية أربعة أيام وحضر الى مركز الحكومة فهو مئو عنه فأمرت بكتابة خطاب الى الثائرين المحتشدين في نوى أدعوم فيه الى الطاعة وأعظمهم وأبين لهم عواقب العصيان فأجابوني الى ما أردت وطلبوا أن نتلاقى أولاً في قرية الرمثاء .

وبينما نريد تعيين يوم للاجتماع هناك اذ ورد لي خبر بكون حافظ جمال باشا القائد العسكري في حوران المأمور بقمع الثورة قد ساق عدة توابع على نوى فكأسوها بيانا وضر بوها بالمدافع وقتلوا نحو ثمانين نفسا ، فلم أصدق هذا الخبر ولم يفهم عقلي ان جمال باشا بأذن لي بتأمين الثائرين على نيل العفو ويضرب لي لذلك موعداً ربعة أيام وقبل انقضاء الموعد يسوق عليهم العساكر ويفسر بهم واذا بالوالي تحسين أك وبمحافظ جمال باشا (وكانوا يقولون له جمال باشا الثالث لانه كان في سورية احمد جمال باشا القائد العام وجمال باشا المرسيني الذي صار بعد الحرب العامة ناظراً للحربية في الاستانة ونفاه الانكليز الى مالطه وجمال باشا هذا) قد حضرا الى أذرعات وعلما ان واقعة نوى هذه قد حصلت فكان بيني وبينها في دار الحكومة في أذرعات خصام عظيم ارتفعت فيه الاصوات وبلغت الحدة أقصاها على مسمع الجمهور وانما ظهر ان جمال باشا الثالث هذا في يده أمر برقي بالضرب خلافاً للامر الذي بيدي بالتأمين ، فعند ذلك أبرقت الى جمال باشا القائد العام أبين له مزبذ استغرابي من هذه الواقعة التي وقعت ضمن المدة التي أعطاني إياها لتأمين الثائرين ومقدار الفضاة في قتل نحو ٨٠ شخصاً منهم بعض نساء وهدم

بيوت في بلدة الامام النووي رضى الله عنه . وتلغرافي هذا مسجل ولا شك في بيت التلغراف بأذرع . ففضب جمال من هذا الخطاب وزاده غضبا أن الشيخ أسعد شقير الذي كان أرسله مراقبا له على حركات الجميع في حوران حضر الخصومة بيني وبين الوالي وجمال باشا الثالث (كان ممن اجتهد في كف النزاع ولكنه ناني يوم برح حوران الى عكا ويقال انه أبرق الى جمال بما حصل بيني وبين ممثلي الحكومة الملكية والمسكرية وانني أغلظت لهم القمل رقلت اني لا بد أن أفتح هذه المسائل في المجلس بالاستانة وأشرح كل ماجرى الخ فبرق جمال الى بالحضور الى صوفر وكان قد انبها من حلب وهناك أرغى وأزبد وأشرف على من سماء عظموته فلم أجابوه لانفيا ولا اقراراً وقت منصرفا فكأنه وجد في سكوني دليلا على اضرار سوء فقام وتبغني وحاول استرضائي وعدل عن المناشنة الى الملاينة وبقيت ساكتا وصممت أن أذهب الى الاستانة وأن لأعرد الى سورية مادام جمال فيها... (١)

(للمقال بقية)

من الخرافات الى الحقيقة



الاسلامية والمجوسية

أو

العرب والمجم

ان السبب الاول لدخول الخرافات في الاسلام هو روح مجوسية الفرس: الدين الاسلامي دين حر ساذج ، ولكن حال لونه الاصلي في محيط ايران ، ولما دخلت الاصول الاسلامية بلاد اليونان ومصر والروم تعقدت سذاجته العالية وأخذ شكلا غريبا ممزوجا بنظريات تلك الشعوب الدينية والفلسفية ولا سيما اليهود الذين كانوا كلما دخل أحد منهم في محيط الاسلام يدخل معه خرافات دينه هنا يجب على الباحث عن جرائم مرض التحزبات الاسلامية أن يجول ،

(١) حذف من هذا الموضوع ذكر الوسائل التي توسل بها الكتاب الى الذهاب الى الاستانة مع منع جمال للسفر بدون اذنه

وحيث نجد أن أشد الضربات وأجزم النكبات قد هبت ربحها على الاسلامية من جهة ايران .

كان الفكر الديني ذو السلطان الروحي في محيط ايران وهو مذهب (زردشت) محافظا على قوته وصولته بعد افول نجم الفرس السياسي . نعم ان ظفر المسلمين بالفرس في القادسية قد دك دين زردشت كما نزل عرش ملوكه الا كاسرة فان الفرس كانوا يدخلون في دين الله أفواجا ولكنه لم يصف أثره بل أصر عليه كثيرون ولا يزال له أتباع في بلاد الهند في شبه جزيرة كجرات وفي فيافي ايران وعلى ساحل بحر الخزر يدينون دين زردشت . فما بالك بما كان من بة يا تأثيره في أنفس الذين آثروا الاسلام عليه من حيث لا يشعرون

كان للفرس إلهان (آهريمان) أي خالق الشر، و(هرموز) أي خالق الخير، وفي عام ٢٢٤ ميلادية في زمان الدولة الساسانية اتحدت في ايران السلطة السياسية والسلطة الدينية وظلتا متحدتين حتى دخول الاسلام في ديار ايران. كان الالهون يقسمون في تلك الازمنة أربع طبقات :

(١) طاجيه (٢) شارجه (٣) دهقين (٤) موبدان

فالاولى طبقة الموام والثانية طبة الخواص والثالثة طبة رجال الحكمة والرابعة طبقة رؤساء الدين والاشراف والوجوه

وكان القضاء للرئيس الديني المسمى (موبد موبدان)

كانت عاصمة الفرس اذ ذلك بلدة اصطخر . وكان للعرب هنالك حكومة عاصمتها الحيرة لادولة (ويين مدلول كلمة حكومة ومدلول كلمة دولة بون شاسم) هكذا كانت التنظيمات الاجتماعية والسياسية في ايران عند دخول الاسلام فيها . وكانت هذه التنظيمات منطبقة على روح الايرانيين طبعا بمرور الزمان . وكل تشكيل سياسي أو اجتماعي يتولد من روح الامة الاجتماعي لا يمكن تعديله . ولو أرادوا ذلك لما استطاعوا اليه سبيلا

كان الفرس ينظرون الى دولة الامويين والى حكومتهم شذراً لسببين رئيسيين :
 (١) أن تأليف امتهم أحسن ترتيباً وأتم نظاماً من تأليف الامة الحاكمة
 (٢) انهم كانوا يعدون الامويين غاصبين لاستقلالهم السياسي . ولكنهم يسترون ذلك بالباس بفضهم إياهم لباس التشيم لآل البيت النبوي الكريم .
 لذلك كان الايرانيون دائماً يترقبون الفرص لكي يستردوا سلطنتهم

المادية، ولم يجدوا سبيلا يوصلهم الى مقصدهم الاصيلي أقنصر من تكليف قواعد الدين الحنيف بأشكال توافق احتياجاتهم الروحية .

وفي سنة احدى واربعين للهجرة اضطر سيدنا الحسن السبط الى ترك الخلافة لخصمه معاوية ، ثم خلف يزيد أباه معاوية ، وما عثم يزيد أن فعل فعلته الشنماء في سيدنا الحسين رضي الله عنه . فكانت كجذوة نار القيت على مستودع بارود النفور والسكرامة الخزونين في قلوب المسلمين لسلطنة بني أمية، فانتهز الايرانيون هذه الفرصة فآخذوها ذريعة لتفجير المسلمين من اخلاف معاوية ، وبذلوا كل ما أوتوه من قوة لنشر هذه الدعوة .

وفي أثناء بث دعوتهم شعروا بالحاجة الى قوة يتكئون عليها فجعلوا مسألة (التثيم لآل البيت الكريم) مذهبا دينيا .

ثم تمخضت الايام بل الاعوام بهذا الجدال والجلاد حتى وضعت حملها، فظهر أبو مسلم الخراساني الذي تجت جميع آماهم بشخصه ، فكان ظهوره كأنفجار القذائف النارية فلم يلبث أن فاز بازالة السلطنة الاموية واقامة سلطنة العباسيين الذين يمثلون نفوذ الفرس مكانها ^(١)

وكان من أعوان أبي مسلم على إعادة النفوذ الفارسي اغني أهل زمانه (ابو سلمة الخلال) . بذل ماله وجاهه بكل سخاء في سبيل فوز أبي مسلم .

ولكن العاقبة لم تكن كما كان يروم الفرس من كل وجه فطرقوا بابا آخر وهو باب (العلوية) فاستمر الجدال والجلاد وتوالت الفجائع الدموية . ومع كل هذا لم ينل الفرس كل مبتغاهم من أنهار الدماء التي فجروها تفجيرا ، اذ لم يكن القصد في الباطن الا ادارة ملك العرب كما يشاءون ترويجا لسياستهم . ولكن العباسيين عرفوا سر الامر، ولم ينقادوا كل الانقياد للفرس ، وحينئذ ظهر هؤلاء بمظهر جديد وهو مظهر (العلوية) . وبهذا الشكل توالت الفجائع ، وتعاقب سيل الدماء

وهذه السياسة قد فشلت أيضا فلما رأوا ان بلادهم قد ملكت ، ودمائهم قد سفكت ، ولم ينالوا شيئا - عمدوا الى سياسة أخرى . وهي سياسة اجتثاث

(١) ليعتبر العربي بهذا الكيلا يساق في سبيل مصالح الاجنبي . مجدوعا بأنها مصالحة ، فيخسر ما كان بيده ولا يستفيد عوضا عما خسر شيئا كما جرى في أثناء الحرب العالمية - حاشية لاه ترجم

شجرة الدين، وقلعه من أسه وهو التوحيد، فوضعوا مذهب التعليم الباطني على أس الحلول، وحاولوا اصطياذ قلوب ملوك العرب بالدين والدهاء. الى ان ينالوا المرام، ويأخذوا بأزمة الادارة وينفردوا مع صنائعهم بالاحكام، ... على هذه السلم صعدت البرامكة الى صرح وزارة التفويض، والاستبداد بالتنفيذ، كان جدهم (خالد) قائداً من قواد جيش أبي مسلم الخراساني. وكان فاراً تتقد غيظاً وحقداً على العرب. وهو ابن رجل مجوسي اسمه (برمك) وكان متولياً أوقاف (نيران) مدينة بلخ. وانما أظهر خالد الاسلام عند التحاقه بأبي مسلم وكان شديد الفيرة والحرص على احياء مجد الفرس السياسي والديني. وكان من الدهاء والحنكة بحيث إن السفاح الخليفة العباسي أعجب به وجعله وزيراً له. ثم انتقلت الوزارة من بعده لابنه (بجي) ثم لحفيده (جعفر). وقد نجح الفرس في هذه السياسة سياسة اصطياذ قلوب العرب الذين تروج عليهم الدسائس بكل سهولة. حتى ان الدولة العربية في زمان السلالة العباسية كانت في أيدي الفرس، فكان الولاة والقواد فرسا كالوزراء. وقد اشتهر في الادارة العربية عدة فصائل عجمية ادارت الملك مثل (١) فصيلة برمك (٢) وفصيلة وهب (٣) وفصيلة قحطبة (٤) وفصيلة سهل (٥) وفصيلة ظاهر

فكانت الدولة عربية اسما، وفارسية جسما، أو مسلمة ظاهرا، ومجوسية باطنا، وقد نجح النفوذ الفارسي عند جلوس المأمون على كرسي الخلافة أكمل التجلي حتى إن بعضهم كان يتخيل أن الفرس سيعيدون ملك الأكامرة بلا جدال الا أن الاسلام لما كان قد تمكن من مباءته في قلوب الناس لم يتجرأ منافقوا المجوس على ابراز جيم مكنونات قلوبهم بوضوح، بل حاولوا الاستفادة من الاسلام بطريقة خفية تدنيهم من آمالهم السياسية بالتدريج، وهذا كان ممكنا ومعقولا. لذلك اكتسى اصراء الفرس كسوة الاسلام ورفعوا علم الخلافة والامامة وظهروا بمظهر جديد يحلو لبسطاء العرب ويجذب قلوبهم. على هذه الطريقة ساروا الى خدمة مقام الامامة والخلافة، وبعض العرب يركض وراءهم مجذوبا بمجازبة الآمال الخلابية.

اذا دقق الانسان النظر في التاريخ تدقيقا جيدا يجد أن غلو الفرس في آل البيت النبوي وتقلبهم بين العباسيين والعلويين، لم يكن الالعبة سياسة لعبوها خلف ستار الدين، تأمينا لاعادة مجدهم الذي قوضه العرب. ومن الآيات الدالة

على ذلك ان جعفر البرمكي وزير هارون الرشيد قال صرة لمن كانوا يستحسنون
أفعال أبي مسلم الخراساني : « إن ما عمله أبو مسلم ليس شيئاً مهماً ، لأنه نقل السلطنة
من سلالة الى سلالة ، متحدثين في المشيرة وفي الديانة . وإنما المهارة هي نقل
السلطنة من امة الى امة أخرى لا تتحد معها لسانا ولا ديناً . . . وكان قضده
من هذا الفخر ان امرته تنقل السلطنة من العرب الى العجم ، ثم ان فضل
ابن سهل المرخسي اشهر رجال المؤمنين كان مجوسياً تة - له خدمة الحكوة
ولاجل تأمين مصالح الفرس اسلم عام ١٩٥ اسلامية وتقلد مذهب الشيعة الذي
أحدثه قومه . وبعد اسلامه بثماني سنين الف جيشاً قيادة (طاهر بن حسين)
وفتح بغداد وقهر الامين لان امة عربية ، واجلس المؤمن ابن الفارسية .
ولم يكتب الفضل بن سهل بهذا بل قرر في عام ٢٠١ جعل علي بن موسى
ولي عهد ثم أزال شعار العباسيين وهو السواد واستبدل به شعار الفرس الاخضر
بحجة انه شعار آل البيت .

وفلت فتوحات الفرس في قلوب اهل المملكة تزداد وتهويشاتهم لأمور
الدين الاسلامي تكاثرت حتى زمان الخليفة المعتصم فاستعان بالترك على الفرس
تجرى بين الفرس والتركة ماجرى وانتهى الامر بدخول الترك بغداد مظفرين
بعده ان سحقوا قوة الفرس المجوسية وكان هذا بزعامة طغرل بك الساجوقى
في زمان الخليفة القائم بأمر الله^(١)

عند ذلك انتقلت المناصب من ايدي الفرس الى ايدي الترك ، فانسحب
امراء الفرس من ميدان السياسة ودخلوا ميدان الجندية واعلنوا الاستقلال
واظهروا مكنونات قلبهم القديمة . انقوا في خراسان دويلة الطاهرية وفي نفس
فارس الصفارية وفي ما وراء النهر السامانية وفي آذربايجان الساجية وفي
جرجان الزيارية . وجميع هذه الدويلات كانت كراة تتجلى فيها الروح الفارسية
منذ عهد الامويين الى زمن إعلانها . وكانت جميع دويلات الفرس ضعيفة بالنسبة
الى قوة المركز العربية ما عدا دولة (آل بويه) التي ظهرت عام ٣٢٠

ونتيجة ما تقدم ان بذور التفريق التي غرسها الفرس قد نمت ونبتت واثمرت
وقوع الشقاق بين المسامين فكانوا فرقتين يتنازعان السيادة بينهما ، وكان يدافع

(١) المترجم : كنت هنا احب ان ابحث عن سر مراجعة المعتصم للترك دون
العرب ، لولا مواعن منعتني لذلك اتركه لغري

عن الحزب الايراني أو الشيعي الفرس ، وعن الحزب العربي أو السني الترك ، وقد كان الفوز لهؤلاء في المراكه الصوري والمادي ، ولاولئك في التنازع المعنوي . لأن الايراني كان ادهى من التركي في السياسة وبهذا تمكنوا من إلقاء بذور التشيع في قلوب الترك انفسهم .

ثم دالت دويلة آل بويه ، ولكن فكرة مجد كسرى ظلت باقية في ادمنة المعجم ، فكانوا كلما سنحت لهم فرصة مناسبة او وجدوا بيئة موافقة يظهرن بمظهر ديني صردين رداء نصره آل البيت النبوي الكريم . هكذا كان الاسلام يتدحرج بين يدي المعجم والترك .

فكرة إعادة مجد الفرس ظلت تنمو وتكبر منذ زمان الفاروق الاعظم وقصت في طريق نموها اجنحة العرب وبقيت مشارة على غاياتها تركض خلف بغيتها غير ملتفتة الى شيء حتى عام ٩٠٥ في تلك السنة أعان اسماعيل الصفوي رسمياً مذهب الشيعة واعيد مجد كسرى فعلاً : فالباطن كانوا يظنون أن المنتصر هو حزب آل البيت النبوي الكريم والحال أن المنتصر كان ورثة كسرى (١) والمغلوب ورثة عدنان - بل قوم رسول الله (ص) وائمة كتاب الله ، فإذا استفاد آل الرسول عليهم السلام من اتخاذهم وسيلة لذلك الملك ؟ هل تحولت الامامة اليهم ، وصار أمر الدين والدنيا في أيديهم وفقاً لدعوة دعاة الفرس لهم ؟ أم يغنيهم عن ذلك سب ابي بكر وعمر وزيري جدم وأعز أنصاره وناشري دينه ومؤسسي ملك شريعته وسبب هداية الفرس الى الايمان به ؟

ثم تكرر الاصطدام بين السنة والشيعة أي الحزبين الاسلاميين المتظاهرين بنصرة مبدأ ديني . والحقيقة أن التصادم كان بين شميين يريدان الاستفادة من غفلة العرب لتوطيد نفوذهما السياسي وهما الترك والفرس وكانت العاقبة انتصار الترك . الا أن ظهور نوادر من بين الفرس مثل الشاه طهماسب والشاه عباس

(١) حاشية للمترجم : لا أدري أين كان عقلاء العرب ودهاهم عند ما كان الفرس والترك يتنازعون على سطاتهم بحجة المحافظة عليه ؟ ويتبادر الى الذهن أن تنازع الانكاز والفرنسيس علينا اليوم بحجة ترقينتنا يشبه ذلك التنازع حتى باسم الاسلام فالانكار يزعمون أنهم يرقون العرب وأهل البيت النبوي شرفاء مكة والفرنسيس يزعمون أنهم يؤدون الترك بحفظه على سطة الاسلام وخدفة النبي عليه الصلاة والسلام ؟

والشاه نادر جعل الغلب دينيا فقط ، وظل البناء السياسي قائما
 أكثر العارفين بدقائق الامور في زماننا يرون ان علة تأخر كل من الترك
 والفرس عن شوط الأوربيين محصورة في هذا النزاع الهائل الذي شغل البصيرين
 المسلمين مدة طويلة . فبينما كان الأوربيون يصلحون ما اختل من امورهم
 العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان المسلمون يقتل بعضهم بعضا
 باسم اختلاف عرضي . ثم سبق الترك الإيرانيين في الانتباه لوخامة هذا الاختلاف
 وطفقوا يقومون ما اعوج من امورهم منذ عام ١٢٥٤ هـ ثم تبهم الإيرانيون
 بمد مدة . ولكن الاصلاحات المصرية وجدت في الاصول تربة أخصب من
 تربة بلاد ايران

والحاصل أن الإيرانيين ناضلوا عن استقلالهم مدة لا تنقص عن الف سنة
 بأساليب مختلفة وطرائق متنوعة أتعبوا بها الاسلام والمسلمين وأتعبوا انفسهم .
 ولا يلوم المؤرخون ولا الاجتماعيون رجال العجم على ما فعلوه في سبيل
 استعادة مجددهم . ولكن الطرق التي سلكوها كانت مضره بالاسلام لان القاء
 بذور التفرقة بين المسلمين وتشتيت وحدتهم السياسية أنتج نتائج سيئة جداً .
 وعواقب الحروب التي وقعت بين أهل السنة والشيعة لم تزل مؤثرة في حياة
 المسلمين الاقتصادية والسياسية الى يومنا هذا ولا سيما الدماء التي سفكها
 الاخوان في الاسلام التي لو سكبت في بحر الخزر لكفت لجملة أحر قانياً فهي
 والأسفاه لم تكف لفتح عيون المسلمين وإراءتهم سوء نتائج الاختلافات
 المذهبية ليرجموا عن اسبابها^(١)

حسني عبد الهادي

(١) المنار : نحمد الله أن أرانا ما لم يره مؤلف الكتاب من يهتزة المسلمين في
 هذه الايام وشروعهم في شد أواخي الاخوان والوحدة بين أهل السنة والشيعة عامة
 وبين الترك والفرس خاصة كما نوهنا بذلك من عهد قريب في تفسير قوله تعالى (ان
 الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأشرنا اليه بمد هذه المقالة في
 الكلام على جمعية الرابطة الشرقية

جمعية الرابطة الشرقية

من سنن الله تعالى في (الاجتماع البشري) ان يتآلف الافراد والجماعات من الناس ويتعاونوا بقدر ما يكون بينهم من ضروب المشاركة في الصفات التي تميزهم من غيرهم وفي مرافق الحياة الخاصة بهم كما هو مشاهد في تكوين البيوت والمشار والقبائل والشعوب وقد اتسعت في هذا العصر هذه المشاركات حتى صارت الشعوب الكثيرة التي تجمعا بقعة كبيرة كاقسام الارض المسماة بالقارات تتحد وتتعاون على ما هو خاص بها دون القارات الاخرى وبناء على هذه السنة وضع مونرو قاعدة (أميركة للاميركيين) ونرى الاوربيين من عهد بعيد يتعاونون فيما بينهم متفقين على وضع سلطانهم على رقاب الاسيويين والافريقيين على ما بين دولهم من التماذي والتنازع في ذلك وفي غيره . ثم انهم لكثرة الروابط بينهم وبين الممالك الاميركية قسموا العالم قسمين أطلقوا على احدهما اسم الغرب ويمنون به أوروبا وأميركة وعلى آخر اسم الشرق ويعنون به آسيا وأفريقية ، وهم يفضلون الغرب على الشرق ويجهدون في جملة تحت سيطرته وسيادته في الحكم وهذا خاص بأوروبا وفي الشؤون الاقتصادية والادبية والدينية وهذا مشترك بين الاوربيين والاميركيين . وقد ظل الشرقيون غافلين عن اتساع خاضعين للغربيين في كل ما يبغون منهم الى هذا العصر الذي تنبته فيه الشعوب الشرقية الى وجودها والخطر عليها وقد كانت الحرب الاخيرة أقوى المنبهات للشرقيين اذ ظهر لهم ان الدول الاوربية الظافرة تريد ان تقضي على بقية الدول الشرقية التي أنهكت قواها من قبل بالحروب وبالتدخل السياسي والاقتصادي والعلمي والديني ، فشددت أواخي التعاون السياسي بين الترك والفرس والافغان والروس وغيرهم من شعوب الشرق وفي أوائل هذا العام الهجري نبتت في مصر فكرة تأليف جمعية للتعارف والتعاون العلمي والادبي والاقتصادي بين الشعوب الشرقية — نبتت هذه الفكرة في حفلة كرم فيها أحد وجهاء الايرانيين في مصر كاتباً أديباً ايرانياً أراد العودة الى بلاده . هذا الاديب هو عبدالمحمد صاحب جريدة (جهرغا) الفارسية المصرية وذلك الوجه هو ميرزا مهدي بك رفيع مشكفي أمين التجار

وقد أبا ندوكت من بلاد الهند والاداء : جواهر المصريين وغيرهم
دعيت الى هذه الجمعية فراقبها بعد السروع الخط - فدعيت الى الخطاية
اذ كان اسمي مطبوعا في البرنامج فوقفت فالتقيت جملا وحيزة في معنى الاحتفال
رجوت فيها أن يكون المحتفل به رسول تعارف وتآلف بين البلاد المصرية
العربية التي أقام فيها عزيزاً كريماً وبين البلاد التي يربد السفر اليها (وهي فارس
والافغان) ثم قلت لأدري هل الموقف يسمح لي بحرية القول في وجه الحاجة
الى هذا التعارف والتآلف، فصاح أحمد زكي باشا علم كلنا طلاب حرية ذلك أن
تقول ماشئت حينئذ ذكرت اني قريب عهد بأوربة وانني رأيت فيها جميع عقلاء
الشعوب الشرقية يعقدون روابط التآلف فيما بينها من شعور بشدة الحاجة الى ذلك
وان مصر على مكاتها العالية في بلاد الشرق لاتزال مقصرة في ذلك ، وأفضت
في ذلك بما أهدمت من القول ثم تبارى الخطباء في ذلك وكان أوسعهم فيه قولاً
وطولاً أحمد زكي باشا والشيخ مصطفى القاياتي - فأفضي ذلك الى اقتراح
تأليف لجنة لوضع مشروع جمعية فتألفت اللجنة ثم شرعت تجتمع في دار السيد
عبد الحميد البكري فوضعت القانون الاساسي الآتي مع مقدمته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ان من يتأمل في حالة الشرق وما أصبحت عليه أممه ويقارن ذلك
بماضي التاريخ ، يدهش للانحطاط الذي وصلت اليه هذه الامم ، على ما كان
لها - جلها ان لم يكن كلها - من التاريخ المجيد الحافل بدلائل العظمة .
قد يقول بعضهم : ان هذه سنة الطبيعة وان حكم الامم في ذلك حكم
الافراد : تولد وتثب وتهرم وتموت
قول ييمث على اليأس !

ولكن في حياة الامم - ولا حد لحياتها - نواميس ترتقي بمقتضاها
أو تنحط ، تبعا للعوامل المؤثرة في كل حالة . فيتطور الامة منها بهذه العوامل

قد ينتابها التحلل الجزئي ، ولكنها لا تموت . بل تستطيع التي فقدت
مجدها بمامل من عوامل الضعف الطارئة عليها ، أن تسترد مكانتها الاولى
بفضل عوامل القوة الكامنة فيها ، اذا أحسنت استغلالها ،
وفي الايمان بهذه القاعدة ما يبعث على الامل « ان الله لا يغير ما
يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

* * *

وقد لوحظ مع الاسف أن الشرقي لا يزال قليل العلم بثقوث
بلاده التي أعقبها اهماله الاهتمام بأحوال شعوبها والعوامل المؤثرة فيها، الا
قليلاً ، على ما بين الشرقين عامة — بالرغم من اختلاف الاجناس
والعقائد واللغات — من الاشتراك في كثير من المميزات والصفات الخاصة
بالشرق: من حيث التقاليد والمدارك ووجهة النظر الفلسفية في امور الحياة.
على أن كثيراً من شعوبه متحدة في الجنس أو العقيدة أو اللغة ، وكلهم
مشركون في المنافع أو المصالح بحكم المجاورة أو المبادلة التجارية أو غير
ذلك من الاسباب . وهذه العوامل من شأنها أن تشرك الجميع في الشعور
بما يلم بهم عامة من اسباب الانحطاط، وبما يصيب كل شعب منهم خاصة من
جرائ ذلك . وقد بدت يد ادر هذا الشعور في زماننا بالتصامن الضمني أو
الصريح بين بعض هذه الشعوب للتعاون على النهوض و سبيل الرقي لخير
العالم . ولما كانت القرب برقيه المادي والفكري متما للشرق ولا غنى
لاحدهما عن الآخر وان اختلفت الاديان ، أصبح من مصلحة الانسانية
أن يكونا صديقين متضامنين في خدمتهما ، لا خصمين عاملين على شقاءها .
لهذا رأي أنه قد حان الوقت لتأليف جمعية شرقية يكون غرضها

نشر علوم الشرق وآدابها والبحث في شؤونها : للعمل على ترقية شعوبه ،
وتكوين صلة تعارف بين أرباب الرأي والقلم منهم على اختلاف اجناسهم
لتبادل الآراء والمعلومات في هذه السبيل ؛ ثم لتكون رسول سلام وتعارف
بين الامم الشرقية التي لها من سوابق تواريحها المجيدة وحضاراتها القديمة
وتقاليدها القويمة ومدارك أفرادها العالية وموارد ثروتها الثمينة ما يستطيع
به أن يخدم بعضها بعضا وأن تتضامن في سبيل اسعاد المجتمع الانساني
وترقيته لخير جميع الاجناس والاديان .

ولهذا الغرض تأسست بمصر القاهرة جمعية الرابطة الشرقية
المسطر قانونها بعد . وقد اختيرت مصر مركزا لها لمكانة موقعها الجغرافي
الخاص الذي كانت به ملتقى الامم من اهل المشرق والمغرب المارين بها
أو المقيمين فيها . ومن ثم كانت هي الواسطة بين الشرق والغرب .
وعولت الجمعية على الوصول الى غرضها السلمي العمرائي بالوسائل
العلمية العملية . وهي تقبل في عضويتها كل طالب من اهل الفكر واتجاه يعمل
على تحقيق أغراضها بلامتياز بين المقائد والاجناس

وستعمل في مقدمة منهاجها دراسة جغرافية الشرق وتاريخه ، وكذا
علوم الامم الشرقية وآدابها وحضاراتها ، والتنقيب عن عاداتها وآثارها ،
والبحث في علل تدهور هذه الامم ، وعقد المؤتمرات الدورية للنظر في
وسائل رقيها الادبي والمادي ، وتسهيل التعامل وتبادل المنافع بينها ، ثم
التوفيق بين حضاراتها وآدابها وبين الحضارة الغربية وآدابها بما تقتضيه
مصلحة الوقت ، لتوثيق روابط الوداد والاتلاف بين الشرق والغرب .
والله المسئول أن يوفقها لما تريد وأن يؤيدها بروح من عنده

قانون جمعية الرابطة الشرقية

إن الموقعين على هذا، قد نظروا فيما آلت إليه أحوال الامم الشرقية من التدهور والانحطاط فأرأوا بعد البحث أن يسعوا الى تلافي ذلك بتأسيس جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الامم الشرقية: بالعلم الذي هو أساس كل فلاح، وبإحكام الروابط بين هذه الامم، وبإحياء حضارة الشرق وارجاعه الى فضائه، مع الأخذ بما في مدينة الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية . وذلك بمقتضى المواد الآتية :

- ١ - ألفت في القاهرة جمعية علمية اجتماعية باسم «جمعية الرابطة الشرقية»
- ٢ - شعار الجمعية «الارواح جنود مجندة : ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» .
- ٣ - غرض الجمعية نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية ، وتعميمها وتوسيع نطاقها ، وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين الامم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها
- ٤ - يشترط في أعضاء الجمعية أن يكونوا من أهل المكاة والجاه في الشرق أو من أهل الرأي في المصلحة العامة، أو من أرباب القلم في أي لغة من لغات الشرق ويجب أن يكونوا من أولي الحرص والعمل على تحقيق غرض الجمعية .
- ٥ - تتوسل الجمعية الى غرضها بالوسائل العلمية والاقتصادية . وتبث دعوتها بالقلم واللسان ، وتشر ما ترى فيه المصلحة بأي لغة تراها .
- ٦ - تنشر الجمعية مجلة تتضمن محاضراتها ومباحثها العلمية والادبية والاقتصادية والآثرية ، ونحوي بواسطتها آثار السلف ، وتدون فيها أيضا ما ترى منه فائدة لتحقيق غرضها .
- ٧ - المركز الرئيسي للجمعية مدينة القاهرة .
- ٨ - تكون للجمعية شعب في كل قطر من الاقطار الشرقية . وللجنة المركزية ولكل شعبة انشاء ما تراه من الفروع في المدن الداخلية في دائرتها

٩ - يتألف مجلس ادارة الجمعية في القاهرة من رئيس ونائبي رئيس وأمين صندوق وكاتب سر عام وثلاثة مساعدين (عربي وتري وفارسي) ومن سبعة أعضاء يعينون بطريق الاقتراع السري . على أن يكون ثلاثة منهم من الشرقيين غير المصريين

١٠ - يتخذ المجلس الادارة من مركزه ناديا للاجتماعات العامة والخاصة وللقاء المحاضرات . ويدعو اليه ويستقبل فيه الوافدين على دينار مصر من نبراء الشرقيين والمستشرقين وفضلائهم لاحكام روابط التعارف والتضامن .

١١ - تعقد الجمعية في كل ثلاث سنوات مؤتمرا شرقيا عاميا يتألف أعضاؤه من جميع الامم التي ينتظم افراد منها في ملك الرابطة الشرقية : لاجل التعارف والتآلف ، وتبادل الافكار والمعارف ، والبحث في الاعمال والوسائل التي اتخذت في المركز العام وفي سائر الشعب والفروع لتحقيق غرض الجمعية .

وبحوز عقدها المؤتمر بصيغة فوق المادة . اذا دعت الحاجة الماسة الى ذلك

١٢ - يكون من أغراض المؤتمر الاسامية توحيد الاصطلاحات اللغوية التي تقضي بها الاحوال الممرانية في هذا الزمان ، وتوحيد الخط العربي وترقيته بين الشعوب التي تكتب به لغاتها بحيث يكون وافيا بالحاجات التي طرأت على هذه الشعوب بعد تقريره على الحالة المعهودة للآن ، والسعي لوضع وحدة للمعاملات بين الامم الشرقية من حيث النقود والموازن والمقاييس والمكاييل ونحو ذلك من الامور التي تزيد في أسباب التفاهم بين الامم الشرقية مما تدعو اليه التجارة والتعامل وكل الاسباب الاقتصادية العامة .

١٣ - على كل شعبة أن تقدم الى المركز العام بالقاهرة تقريرا سنويا في خلاصة أعمالها . وهذه التقارير تعرض على المؤتمر العام عند انعقاده .

١٤ - يعقد المؤتمر العام أول مرة بمدينة القاهرة في الموعد الذي يحدده مجلس ادارة الجمعية . وقبل ختامه ينتدب لجنة من أقطار مختلفة لتقرير محل الاجتماع التالي في عاصمة قطر آخر أو في مدينة من كبرى مدنه . وعلى هذا السن يكون كل اجتماع دوايلك .

١٥ - يكون لكل شعبة في كل قطر عقد مؤتمر محلي قبل المؤتمر العام ستة أشهر على الأقل . تبسط فيه ما يتعلق بشؤون أمتها الخاصة والمسائل التي يجب عرضها على المؤتمر العام القادم .

ولكل شعبة اصدار مجلة خاصة بها لتحقيق غرض الرابطة في دائرة حدودها
١٦ - تفاصيل العمل بهذا القانون موكولة الى مجلس ادارة الجمعية بمصر .
وكل شعبة مستقلة في وضع لائحتها الداخلية وادارة اعمالها ، بشرط أن
لا تخرج عن القواعد الاساسية المقررة في هذا القانون .

الاعضاء المؤسسون (مرتبة اسمائهم على حروف الهجاء)

احمد زكي باشا كاتب السر المؤقت
صالح جودت بك
عبد الحميد البكري (السيد) الرئيس المؤقت
محجوب ثابت بك (الدكتور)
محمد بنحيت (الشيخ)
محمد التفتازاني الفنبسي (السيد)
محمد رشيد رضا (السيد) طرابلس الشام
مهدي رفيع مشكي (ميرزا) فارس
نور الدين . صطفى بك توكية

﴿ تأليف الجمعية بالفعل ﴾

بعد وضع المؤسسين لهذا القانون أرسلت نسخ منه الى مئين من أهل
العلم والادب ومن الوجهاء وطلب منهم أن يكتبوا الى كاتب السر المؤقت
(احمد زكي باشا) بالرغبة في الانتظام بسلك الجمعية من شاء منهم ذلك . ثم دعي
جميع من أجاب الدعوة الى الاجتماع في دار الرئيس المؤقت لاجنحة المؤسسة
ليبدوا رأيهم في القانون وينتخبوا أعضاء مجلس الادارة بأنهم هم الجمعية العامة
وقد اجتمع عدد كبير بعد ظهر يوم الاحد ٢٢ جمادى الآخرة الماضي (١٩)
فبراير) بدار صاحب المساحة الرئيس المؤقت وكان في مقدمة الحاضرين
الاميران الجليلان يوسف كمال واسماعيل داود وافتتحت الجلسة بتلاوة آي
الذكر الحكيم ثم ألقى حضرة صاحب المساحة السيد البكري خطبة افتتاحية
نوه فيها بفضل الشرق والشرقيين وما كان لهم من المنزلة في الحكمة
والعلم والادب ثم أبان الغرض من الاجتماع ودعا الحاضرين الى اقرار قانون

(المجلد الثالث والمشرون)

(٢٩)

(المنار ج ٣)

الجمعية وانتخاب أعضاء مجلس الإدارة، وبعد المناقشة أقرت أغلبية الحاضرين القانون وشرع في الانتخاب بطريقة الاقتراع السري، ثم أعلنت نتيجة الانتخاب في الجلسة وبلغت بعد ذلك للصحف وهي :

صاحب السباحة السيد عبد الحميد البكري رئيس وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت نائب رئيس وصاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا نائب رئيس وأصحاب السعادة والعزة أحمد زكي باشا كاتب السر العام وميرزا مهدي بك رفيع مشكي أمين التجار أمين الصندوق والسيد محمد الفخيمي التفتازاني مساعد عربي لكاتب السر العام ونور الدين بك مصطفى مساعد تركي لكاتب السر العام ومحمد رضا قزويني افندي ناصر التجار مساعد فارسي لكاتب السر العام وصالح جودت بك والاستاذ الدكتور محبوب ثابت وأحمد شفيق باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق والامير حبيب لطف الله وأمير زيدان افندي والشيخ عبد المحسن الكاظمي أعضاء

العبر التاريخية في اطوار المسألة المصرية

٢

نشرنا تحت هذا العنوان في الجزء الاول نص البلاغ الرسمي الذي رفعه عدلي باشا رئيس الوفد الرسمي المصري الى السلطان بشأن مفاوضاته مع الدولة البريطانية في عاصمتها وفيه ترجمة المذكرة التي وضعتها نظارة خارجيتها لمشروع الاتفاق بينها وبين مصر وترجمة رد الوفد المصري عليها وعدم قبوله إياها وانقطاع المفاوضات بذلك

ثم ترجمة البلاغ الذي أنهأه نائب ملك الانكليز الى سلطان مصر في شأن تفسير مشروع نظارة الخارجية البريطانية وتأيدته، وقفينا عليه بتعليق وجيز في بيان سوء تأثير المشروع وبلاغ نائب الملك في الامة المصرية ونقمه إياها باجماع الكلمة على رده والاستمسالك بالاستقلال التام للبلاد حتى أشد الناس مقاومة لسعد باشا وحزبه ورغبة في الاتفاق مع الانكليز

وقد كنا نريد أن نكتب مقالا مطولا في تنفيذ الشبهات البريطانية وما فيها من العبر لنا في مصر والعراق وسورية وسائر بلاد العرب التي يدب فيها

ديب الدسائس البريطانية والمطامع الاستعمارية ، ولكن اجماع كلمة الامة المصرية على مقاومة المشروع البريطاني بكل شدة وعدم الخنوع لما فيه من تهديد الفطرسة والعظمة وشروعها في مقاطعة التجارة الانكليزية وكل ما هو انكليزي من الاشياء والاناسي واغتيال الموظفين والجنود عند الامكان وتعذر تأليف وزارة تكون آلة المستشارين ونائب الملك في استمرار الادارة السابقة .
 قد حمل نائب الملك (لورد اللاني) على السفر الى عاصمة حكومته بأمرها ليطلعه على حقيقة الحال في هذا القطر وما يراه من وجوب الاعتراف باستقلال وترك ادارة البلاد لاهلها ، مع قيود تحفظ بها المصالح البريطانية فيها ، فذهب يصحبه اثنان من أعقل رجالهم في هذه الديار وهما مستشار الداخلية الجنرال جلبرت كليتون ومسترايمس مستشار الحقانية فكثرا أياما قليلة في لندن أقنعا فيها الوزارة بوضع المشروع الآتي الذي جاء به . وهذا نص البلاغ الرسمي فيه :

الوثيقة الاولى

﴿ كتاب اللورد اللاني الى عظمة السلطان ﴾

يا صاحب العظمة :

- ١ - أشرف بان أعرض لتمام عظمتكم ان الناس قد ذهبوا في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها الى عظمتكم في الثالث من شهر ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ما آسف له أشد الانف
- ٢ - واقدم بخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة ان كثيراً من المصريين التي في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك ان ترجع في نيتها القائمة على التسامح والعطف على الاماني المصرية وانها تنوي الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسي اداري لا ينفق والحرب التي وعدت بها
- ٣ - غير انه لا شيء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة بل ان الاساس الذي بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التي تطلبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكا وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد

المستقلة من مميزات أهلية ومن مركز دولي
 وإذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات انها تجاوزت الحد الذي
 يلتم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم ان انجلترا إنما ألبأها الى ذلك حرصها
 على سلامة نفسها تلقاء حالة تطلب منها أشد الحذر خصوصا فيما يتعلق بتوزيع
 القوات العسكرية . على ان الاحوال التي يمر بها العالم الآن لن تدوم ولا يابث
 كذلك ان بزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة ، والامل وطيد في ان
 الاحوال العالمية صائرة الى التحسن ، هذا من جانب ومن جانب آخر ، فكما قيل (١)
 في المذكرة : سيجي وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هي
 من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الاجنبية

٥ - اما ان تكون انجلترا راغبة في التدخل في ادارة مصر الداخلية فذلك
 ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولا تزال تقول ان اصدق رغباتها وأخلصها هو
 ان تترك للمصريين ادارة شؤونهم . ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذي عرضته
 بريطانيا العظمى عن هذا المعنى ، واذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين
 لوزاري المالية والمحاسبة فان الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامها
 لتدخل في شؤون مصر ، وكل ما قصده هو أن تستبقي اداة اتصال تستدعيها
 حماية للمصالح الاجنبية

٦ - هذا هو كل مرمى الضمانات البريطانية ولم تصدر هذه الضمانات قط
 عن رغبة في الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة في حكومة أهلية
 ٧ - فاذا كانت هذه هي نية انجلترا فلا يمكن لاحد ان ينكر ان انجلترا
 بعز عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الاجل الذي يباغون فيه
 مظمحا ترغب فيه انجلترا كما تتوق اليه مصر ، أو ان ينكر انها تسكره ان ترى
 نفسها مضطرة الى التدخل لرد الامن الى نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف
 الاجانب ويجعل مصالح الدول في خطر ، وانه ليكون مما يؤسف له ان يرى
 المصريون في التدابير الاستثنائية التي اتخذت أخيراً أي مساس بمظمهم الاسمي

(١) قوله : هذا من جانب الخ تركيب غير صحيح في اللغة

أو آية دلالة على تغيير القاعدة السياسية التي سبق بيانها ، فان الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تصع حداً لتببيح ضار قد يكون اتوجهيه الى اهواء العامة نتائج تذهب بثمره الجهود القومية المصرية ، ولذلك كان الذي روعي بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصالحة القضية المصرية التي تستفيد من ان البحث فيها يجري في جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص

٨ — والا ن وقد بدأت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكومة التي هي قوام الخلق المصري ، والتي تتغلب في الساعات الحاسمة ، فانتني اسعيد أن أنهي الى عظمتكم ان حكومة جلالة الملك تنوي أن تشير على البرلمان باقرار التصريح الملحق بهذا وانني على يقين بان هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الاساس لحل المسألة المصرية حلانهاثيا مرضيا

٩ — وايس تمت ما يمنع الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسي والتنصلي لمصر

١٠ — اما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالامر فيه يرجع الى عظمتكم والى الشعب المصري

واذا أبطأ لاي سبب من الاسباب انفاذ قانون التضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) الساري على جميع ساكني مصر والذي أشير اليه في التصريح الملحق بهذا فانتني أود أن أحيط عظمتكم علما بانني الى ان يتم الفاء الاعلان الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ سأكون على استعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية في جميع الامور المتعلقة بحرية المصريين في التمتع بحقوقهم السياسية

١١ — فالكلمة الآن لمصر وانه ليرجي انها وقد عرفت مبلغ حسن استعداد الحكومة البريطانية ونيتها تسترشد في أمرها بالعقل والروية لا بعامل الاهواء ولي مزيد الشرف أن أكون الخادم المطيع

(الذي فيلد مارشال)

القاهرة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

الوثيقة الثانية

(مرفوعة من لدن فخامة المندوب السامي الى عظمة سلطان مصر باسم
تصريح لمصر)

« بما أن حكومة جلالة الملك عملاً بنيتها التي جاهرت بها ترغب في الحال
في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة

وبما ان للعلاقات بين حكومة جلالة لملك وبين مصر أهمية جوهرية
للامبراطورية البريطانية ، فبموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

١ — انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة مستقلة
ذات سيادة

٢ — حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (اقرار الاجراءات التي
اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع ساكني مصر تلتفى الاحكام
العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

٣ — الى أن يحين الوقت الذي يتسنى فيه ابرام اتفاقات بين حكومة جلالة
الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتية بيانها وذلك بمفاوضات
ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولي
هذه الامور وهي :

- أ تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر
- ب الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بواسطة
- ج حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات
- د السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحال فيما يتعلق بهذه الامور على ما هي
عليه الآن»

﴿ تأليف الوزارة الجديدة ﴾

﴿ أمر كريم نمرة ١٣ لسنة ١٩٢٢ ﴾

(صادر لحضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا)

عزيزي عبد الخالق ثروت باشا :

ان الثمر الذي ابلغنا اياه حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي للدولة بريطانيا العظمى فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر وبالاعتراف بهادولة مستقلة ذات سيادة يحقق أعز أمنية لنا واشعبنا العزيز وهو ثمرة الجهاد القومي الذي تعهدنا على الدوام بالتشجيع والتأييد . ولا ريب عندنا في ان استمهالك الامة بروابط الوئام والاتحاد والتزامها جانب الحكمة في هذا الدور الجديد من حياتها السياسية كفيل بتحقيق كامل امانها

ونظراً لما نعرفه لكم من الجهد المشكور في خدمة القضية المصرية ولما لنا من الثقة التامة بكم وما نعده فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بمهام الامور — اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه سند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجالية لمعهدتكم . وقد أصدرنا أمرنا هذا لدواتكم الاخذ في تأليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعرض مشروعه لجانبنا لصدور مرسومنا العالي به

ولما كان من أجل رغباتنا أن يكون للبلاد نظام دستوري يحقق التعاون بين الامة والحكومة لذلك يكون من أول ما تفتى به الوزارة اعداد مشروع ذلك النظام وانا نسأل الله العلي القدير أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يموء على بلادنا ورعاياتنا بالخير والسعادة وهو المستعان

الامضاء

صدر بسراي عابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ — أول مارس سنة ١٩٢٢ فؤاد

﴿ برنامج الوزارة ﴾

بإصاحب المطبعة :

أتقدم الى سدة عظميتكم بفائق الشكر على ما تفضلت فأوليتني من الثقة السامية اذ عهدت الي بتأليف الوزارة الجديدة ووجهت لي رتبة الرئاسة الجليلة

وإني لا تشرف بأن أعرض على عظمتكم أسماء الوزراء الذين تتألف منهم
هيئة الوزارة وقد قبلوا مشاركتي في العمل وهم : —

اسماعيل صدقي باشا	لوزارة المالية
وابراهيم فتحي باشا	« الحربية والبحرية
وجعفر والي باشا	« الاوقاف
ومصطفى ماهر باشا	« المعارف العمومية
ومحمد شكري باشا	« الزراعة
ومصطفى فتحي باشا	« الحقانية
وحسين واصف باشا	« الاشغال العمومية
وواصل سميكه بك	« المواصلات

وقد احتفظت بوزارتي الداخلية والخارجية

فاذا وقع هذا الاختيار موقع الاستحسان لدى عظمتكم يصدر المرسوم العالي

بالتصديق عاياه

يا صاحب العظمة :

لم يكن لزهلائي ولي ونحن نشاطر الامة امانيتها في الاستقلال الا أن تقر الوفد
الرسمي الذي تولى المفاوضات لعقد اتفاق مع بريطانيا العظمى على ما فعل . فلم
يكن يسهنا أن نتولى اعباء الحكم مادامت المبادئ التي تسترشد الحكومة البريطانية
في سياستها نحو مصر هي تلك التي كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام
الماضي ومن المذكرة التفسيرية التي أتته . فإن تولى الحكم في ظل مثل هذه المبادئ
قد يكون فيه معنى القبول بها

غير ان الكتاب الذي رفعه فخامة المندوب السامي البريطاني الى عظمة بكم
وتصريح الحكومة البريطانية في البرلمان قد أحدثنا في الحالة تغييراً كبيراً . فأصبح
من الممكن أن تتألف هذه الوزارة اذا تم ائثرى أن الشعور القومي أصاب ترضية من
هاتين الوثيقتين لا من ناحية الاعتراف باستقلال مصر حالاً وقبل أي اتفاق
فحسب بل ولأن المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأي تعهد سابق

أما وقد جزنا هذا الدور بخير فلم يبق على مصر الا أن تثبت لبريطانيا العظمى أن ليس بها في سبيل حماية مصالحها من حاجة لاتشدد في طلب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات في هذا الصدد وأجابهما أثرأهي حسن نية مصر ومصحتها في حفظ العهود

على ان الوزارة ترى انه لكي تكون جهود البلاد في سبيل تحقيق كامل أمانها بحيث تؤتي جميع ثمرها يجب أن يؤلف بين عمل الحكومة وبين عمل هيئة تنوب عن الامة وان تسمى الهيئتان متساندتين لاغراض متحدة

ولذلك فان^(١) الوزارة عملاً بأوامر عظمتمكم ستأخذ في الحال في اعداد مشروع دستور طبقاً لمبادئ القانون العام الحديث وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسؤولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسي المقبل وغني عن البيان ان انفاذ هذا الدستور يقتضي إلغاء الاحكام العرفية وأنه على أي حال يجب أن تجري الانتخابات في أحوال عادية وفي ظل نظام تتمتع معه جميع التدابير الاستثنائية، وقد سلمت بهذا الوثيقتان اللتان أبلغتما أخيراً الى عظمتمكم وستتخذ الوزارة بلا امهال ما يدعو اليه الامر في ذلك من التدابير كما انها ستبذل جهدها اعتماداً على حسن موقف الامة في الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية عملاً بالاحكام العرفية

هذا وان إعادة منصب وزير الخارجية سيعين على العمل لتحقيق التمثيل السياسي والفنصلي لمصر في الخارج

ونظراً لان النظام الاداري الحالي لا يتفق مع النظام السياسي الجديد ومع الانظمة الديمقراطية التي ستمتنعها البلاد فان الوزارة قد اعترفت أن تتولى الامر بنفسها وبلاشر يك في الحكم الذي ستتحمل كل مسؤوليته امام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها في ادارة شؤون الامة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها والوزارة موقنة بأن أكبر عامل لنجاح مصر في تسوية المسائل التي بقي حلها

(١) هذا التعبير يكثر في الجرائد وكتب أهل هذا العصر وهو خطأ وما بعد انقائه لا يعمل فيما قبلها. وفاء السببية تقدم على لام التعليل اذا احتيج اليهما معا
(المنار : ج ٣) (٣٠) (المجلد الثالث والعشرون)

وأقوى حجة تستعين بها في تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور الجديد
متحدة الكلمة مؤلفة القلوب وان تأخذ بدواعي النظام وتلتزم جانب الحكمة
والوزارة تحيي العصر الجديد الذي كان لعظمتكم أجل أثر في طلوعه على
الامة بفضل ما بذلته عظمةكم من المساعي الوطنية العالية وهي واثقة أزستلقى من
لدى عظمةكم كل تأييد في عمل القم وانها ترجو أن يجيء مكالا للمجهود البلاد
واني لأزال لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم الخاص الامين ثروت
القاهرة في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)
(المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة)

نحن سلطان مصر

بعد الاطلاع على الامر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ وبمد
الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء
رسمنا ما هوآت : المادة الاولى

عين عبد الخالق ثروت باشا وزيراً للداخلية والخارجية
اسماعيل صدقي باشا وزيراً للمالية ابراهيم فتحي باشا وزيراً للحربية والبحرية
جعفر باشا والي « للاوقاف مصطفى ماهر باشا « للعارف العمومية
محمد شكري باشا « للزراعة مصطفى فتحي باشا « للحقانية
حسين واصف باشا « للاشغال العمومية واصف سميكة بك « للمواصلات

المادة الثانية — على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا
صدر بسراري عابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ أول مارس سنة ١٣٤٠ (فؤاد)
بأمر الحضرة السلطانية رئيس مجلس الوزراء ثروت

(المنار) — هذا ما نشرته الحكومة في الصحف وعلم مما نشر قبله أنه
كان نتيجة لسعي جماعة رشدي باشا وعدلي باشا ولكن الذي تولى العمل
وظهر به في هذه الكرة عبد الخالق ثروت باشا فهو الذي أخذ على عاتقه
مواصلة المفاوضات مع الاورد النبي في أمر تأليف وزارة بالشروط التي يقترحها

مفتحة فرصة فشل الانكليز في تأليف وزارة يتخذونها آلة لإدارة البلاد كدأبهم منذ تمكنوا في أرض مصر وما زالت المساومة في ذلك دائرة بين القاهرة ولندن حتى انتهت بما ذكرنا في مقدمة هذه البلاغات الرسمية من سفر اللورد اللنبي الى لندن وعودته بهذا المشروع وعلم بذلك ان ثروت باشا ذو شجاعة أدبية يقل مثله فيها كما أنه ذو ذكاء وفطنة نافذة - وقد انبرى لهذا العمل وهو يعلم ان المراضين يكيدون له ويستعدون لاغتياله وقد شرعوا في ذلك بالفعل فأنجاه الله من الموت واكتشفت الجمعية التي توأطت على ذلك وحاولته وحكم على بعض أفرادها بمقاب شديد هذا وان الامة قد قابلت هذا التصريح البريطاني بالفناء الحماية على مصر والاعتراف باستقلالها التام وتأليف الوزارة بفتور وتفور، وعدوه خداعاً بريطانياً وان لم يشترط على مصر أن تعترف لهم في مقابلته بحق من الحقوق، ذلك بأنه تم على أيدي أصدقاء الانكليز، وبأنهم أخرجوا سعد باشا وبعض بطاقته وأنصاره من البلاد ووضعوه في جزيرة صغيرة في أقصى البحار، وبأن الاحتلال العسكري باق والحكم العرفي باق، وبأن ما حفظوه لانفسهم من الحقوق مثار لاخطار كثيرة ولا سيما مسألة السودان . وسنذكر في جزء آخر ما فيه العبرة من الانباء والآراء في هذا الطور الجديد

الرحلة السورية الثانية

- ٩ -

جريت فيما كتبت من هذه الرحلة على طريقة بيان أحوال سورية الاجتماعية والادبية والسياسية في هذا الطور الجديد الذي دخلت فيه بعد الحرب لاعلى طريقة بيان تنقلي في البلاد بتواريخه وذكر المشاهدات وما يتبعها من الآراء تبعاً له كما اعتاد المؤرخون. وقد كان كل ما كتبت من فصول الرحلة بياناً لما فيه الفائدة مما رأيت وخبرت وجرى لي في الساحل مدة إقامتي فيه متردداً بين بيروت وطرابلس وأخرت الكلام على دمشق وما يتبعها عمداً، وكنت عازماً على اطالة الكلام في شأنها. وقد بدا لي الآن أن أختصر لما كان من التراخي في كتابتها الرحلة ونشرها ولا تني ذكرت بعض ما حدث في الشام بعد ذلك في بعض المقالات التي قبضت الحال ببيان بعض

حقائق المسألة العربية فيها، وكان موضعها اللائق بها الرحلة لولا الضرورة فأقول :

الحال العامة بدمشق في سنتي ١٣٣٧ و ١٣٣٨

قد علم من النبذة الثانية من هذه الرحلة التي نشرت في المجلد الحادي والعشرين (ص ٤٢٨ ..) ان وصولي الى دمشق كان (في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٧ - ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩) وانه اتفق ان أعان عقبه كل من انكلترة وفرنسة انهما اتفقتا نهائيا على تنفيذ معاهدة (سايكس وبيكو) المعروفة باتفاق سنة ١٩١٦ وان انكلترة ستخرج جنودها من المنطقتين الشرقية والغربية من سورية وتترك الاولى للجيش العربي الحجازي والثانية للجيش الفرنسي - وان أهل سورية عامة كانوا يظنون قبل هذا الاعلان أن الدولتين الحليقتين عدلتا عن تنفيذ هذا الاتفاق لما رآوه من تنازع سياستيهما أثناء مجيء اللجنة الاميركية لاستفتاء أهل البلاد . وكنت بينت في تلك النبذة ان الناس أحفوني بالسؤال عن سبب هذا الانقلاب وذكرت فيها ملخص جوابي لاهل الرأي منهم ولكن المراقبة على المطبوعات بمصر في ذلك العهد منعت نشر ذلك كله وأما نشر منه بعض المقدمات فكان الكلام أبتري غير مفيد ولم أعلم بذلك الا عند مراجعته الآن وسألتخص ما حذف منه في موضعه

لقد كان الفرور بخديمة الانكليز للسوريين وغيرهم من العرب في أثناء الحرب بأن استقلالهم سيكون مكفولا بانتصار الحلفاء في الحرب بما بينهم وبين ملك الحجاز من اليهود والحلف، فلما جلا الترك عن سورية وكان أول من دخلها الامير فيصل بجنده المؤلف من السوريين والعراقيين والحجازيين اعتقدوا أن الاستقلال قد تم والسلطنة العربية قد تم أمرها ونصب عرشها، ولم يكن نزع العلم العربي من بيروت وغيرها من السواحل - ولا خطب سايكس - وبيكو الخادعة ولا استيلاء السلطنة العسكرية الفرنسية في الساحل على الادارة - بذهاب ذلك الوهم الخادع . وقد ألمنا بشي من هذا المعنى في الفصاين السادس والسابع من الرحلة ومنه يعلم أن الريب دب دبيبه الى أهل الساحل ثم انتشر فيهم أولا بتأثير السلطنة الفرنسية المحتلة

نعم ان الاذكياء في دمشق قد اضطربوا لاعلان الدولتين الاتفاقي على تنفيذ اتفاق (سايكس وبيكو) وكانوا قد عرفوا حقيقته ولذلك كثر سؤالهم اياي عن رأبي

فيه وهل يعقل أن تنقلب سياسة انكلترة بهذه السرعة فتسمح بسورية لفرنسة . وقد ذكر في النبذة الثانية من جوابي لهم ان السياسة البريطانية لم تتغير في المسألة و ليس اعاقل أن يظن انهما تفضل العرب على فرنسة وانما عرض لفرنسة أمل بأخذ سورية كلها بحجة إجماع السوريين على وحدة البلاد وعدم تقسيمها . وأما بقية الجواب الذي منعت المراقبة نشره يومئذ فهو ان انكلترة لما شعرت بهذا الطمع من فرنسة استعانت بالامير فيصل وحزبه على نبذ السواد الاعظم من أهل المناطق السورية الثلاث للانتداب الفرنسي والمساعدة الفرنسية وقد تم هذا وظهر باستفتاء اللجنة الاميركية لاهل البلاد . وغرض انكلترة من ذلك أن تعلم فرنسة أنها اذا شئت عن الاتفاق معها وحاولت أخذ فلسطين بحجة اتفاق الاهالي على طلب وحدة البلاد فانها هي قادرة على حرمانها من كل شيء برأي أهل البلاد الذي جعل له الاعتبار الاول في عهد عصبة الامم ! فلما رأت فرنسة ذلك قنعت بنصيبها في اتفاق سايكس بيكو حتى بعد تعديله بما هو في مصلحة الانكليز

مع هذا كان أهل المنطقة الشرقية عامة وأهل دمشق خاصة يظنون أن استقلال منطقتهم مضمون فان فاتهم إلحاق المنطقتين الأخرين بهم فلان يفوتهم التمتع بالسلطان القومي في منطقتهم . وازداد شعورهم قوة بهذا بعد جلاء الجيش البريطاني وما تلاه من ترك المراقبة على الحكومة وان كانت لا تزال عسكرية تابعة للقائد العام للجيش البريطانية

كانت مظاهر هذا الشعور بالاستقلال، تبعث في أنفس الشعب السرور وتقوي الآمال فقد صارت دواوين الحكومة ومصالحها عربية والتعليم في المدارس الرسمية كغيرها بالعربية ، وتلاميذ المدارس كانوا يتعلمون أناشيد الاستقلال، فيترنمون بها صباح مساء، وكانت البرقيات المبشرات والمسكنات ترد على الحكومة من الامير فيصل أو من مندوبه النائب عنه لدى الحلفاء وفي مؤتمراتهم (أحمد رستم بك هيدر) وكانت الاجتماعات والمظاهرات حرة تنفخ في هذه الاماني روحاً حياً، كل ذلك كان يبعث السرور في كل نفس لم تستشف شيئاً مما وراءه حتى ان سليم بك شاهين أحد أصحاب المقطم قال لي في بيروت انني أمت في دمشق يوماً واحداً فبعث في روح حياة عربية

ووطنية جديدة ، ولا أرى هنا إلا أمارات الذل والموت التي تبعث الحزن والاسى
 لقد كنت أعلم ما لا يعلم أهل وطني من نية الخلفاء فيهم وتواطؤهم على بلادهم ومن بناء
 عهودهم على الدخول وعودهم على الغش ، وأنهم اذا وفوا لملك الحجاز بما وعدوه به ولو
 على الوجه الذي طلبه منهم فيما يسميه « مقررّات النهضة » لم تكن البلاد العربية
 ولا الحجاز منها الا مستعبدة تحت نير السلطة الاجنبية ، فلمذا لم أكن أشعر بشيء
 مما يشعر به الجمهور من السرور ، المنبعث عن الفرور وانما كنت أعتقد أن الامة لا يزال
 يمكنها أن تعمل لاستقلالها عملاً تضطر الطامعين الى احترامه اذا وجد فيها عدد
 من الرجال الاكفاء وهذا ما كنت أبعده وأعيده للسائلين ولا سيما من هم مظنة
 العمل من الاخوان ، حتى بعد ان تم ماسعيت اليه معهم من اعلان الاستقلال ، فاني
 لم أكن أعده الا تقوية لحرية العمل باخراج الحكومة من مضيق العسكرية التابعة
 للقيادة البريطانية الى فضاء الحرية الوطنية ، لتكوين قوة من الجند المنظم ومن العشائر
 والقبائل التي يمكن تنظيمها لتوطيد الامن والنظام ، وإقامة الحجبة المحترمة لدى الخلفاء
 على القدرة على الاستقلال ، وهذا ما كنت أبعده وأسعى اليه ولم يوجد في رجال الحكومة
 من هو أهل للنهوض به ، ولذلك كان لساني صامتاً في كل تلك الاحتفالات العظيمة
 التي أقامتها الحكومة وكذا الشعب فلم أخطب في شيء منها على ما كان من اللاحاح
 علي في كل احتفال بطلب ذلك . وانني اذكر مسألة صرحت فيها برأبي بعدم الثقة
 بحالة البلاد قبل اعلان الاستقلال ، وهي

دعوتي الى تولي المصالح الشرعية بدمشق

لم أكد أستريح في دمشق من لقاء وفرد الزائرين حتى كاشفتي الحماكم العسكري
 العام (علي رضا باشا الركابي) بما يرغبون أن ينيطوه بي من مساعدة الحكومة العربية
 وهو تولي اصلاح (دوائر الامور الشرعية) ففي يوم الاحد ٢٦ ذي الحجة
 (٢١ سبتمبر) وعدني بأن يزورني زيارة خاصة للمذاكرة والاستشارة في شؤون الحكومة
 وما يطلب من مساعدتي لها وفي اليوم التالي أعاد الكلام معي فيما يبغيه من تقليدي
 ادارة الامور الشرعية وهي الاوقاف والمحاكم الشرعية والتعليم الديني والمفتين ، وقال
 انه طالبني من الانكليز خمس مرات وكان يظن ان الامتناع مني . فأخبرته بأن الانكليزية

لم تخاطبني بذلك البتة وانه لم يصل الى منه الا الكتاب الذي أرسله في ضمن مكتوبات الحكومة لندوبها التجاري بمصر الدكتور بشير القصار، وذكرته بما كتبت اليه في الجواب عنه وهواتي مستعداً لمساعدة الحكومة العربية بكل ما استطعته بشرط أن لا أتقيد بعمل رسمي. وذكرت مشربى وتر بيتي الصوفية التي بسببها وطنت نفسي على أن لا أقبل وظيفة ولا عملاً للحكومة ولا رتبة ولا وساماً طول عمري... ثم قلت له بعد

محاورة طويلة: ضع لي مذكرة بالعمل لا ارى رأيي فيه

وفي يوم الخميس (٣٠ ذي الحجة) أخبرني أن المشروع الذي تضمنه الحكومة لإدارة الامور الشرعية يتم يوم السبت الآتي ويقدمه لي ، وانه كان كلم فيه الامير فيصلاً قبل سفره الى أوربة فوافق هو ونائبه الامير زيد على نوطه بي - فاعتذرت بمشربي الخاص و بالمواع العامة الاخرى وهي سوء حالة البلاد الداخلية والخارجية وعدم استقرار الحال السياسية . اذ البلاد لا تزال بحسب القانون الدولي تابعة للدولة العثمانية - والمستقبل مجهول - ثم بضعف الحكومة والامارة وبأن الاصلاح الصحيح يلتقى معارضة قوية من أهل الاهواء الذين يرتزقون بهذه المصالح الشرعية فاذا لم يكن للمصالح ركن شديد من قوة الحكومة لا يستطيع عملاً ، فاعترف بذلك وقال إنه هو الحجة التي يستند اليها في وجوب وجود مثلي، وإني سأكون حرافى عملي، وان الاصلاح الذي تبغيه البلاد مني لا يتم الا بالقيام به بنفسى لان الارشاد بالقول والكتابة لا ينفع الا اذا وجد رجالاً كفءاً يقدرون على العمل به وهم غير موجودين (قال) يجب أن تستفيد بلادك من علمك الواسع واختبارك الدقيق مدة اقامتك بمصر بتطور البلاد المصرية وارتقاء الادارة والنظام فيها. وان مانعله فيك من العبرة وحب الاصلاح يحملنا على الاعتقاد بأن لا يخيب أمل وطنك فيك

وفي يوم السبت (٢ المحرم سنة ١٣٣٨) زارني الامير زيد في الفندق بهد العصر ودار الكلام بيننا في حالتنا العامة فذكرت له ملخص ما أعلم من اتفاق والده مع الانكليز وأنه ينافى مصلحة العرب . ثم انتقلنا الى الكلام في سورية فكلمني الامير في شدة حاجة الحكومة الى مساعدتي لها فاعتذرت له بمثل ما اعتذرت له لي رضا باشا فأجاب بمثل جوابه، ومما قاله ان الاخلاق في الشام ضعيفة جداً فان أكبر الرجال برهبه أقل تخويف ويستميله أقل نفع ، فاذا لم

ينهمن مثلك . . . بالاصلاح فن ؟ . . .

فقلت له ان حجتكم علي وان كانت عندي ضعيفة من حيث مبالغتكم في حسن الظن بي هي أقوى من حجتي عليكم بالتمصل من العمل ، وانتي علي علمي بضمي لا أرتاب في قوة إخلاصي وحرصي علي الاصلاح لذاته ، ولكن الاصلاح العام يعوزه الاعوان الاكفاء علماء ونزاهة وإخلاصاً وهم قليلون متفرقون وسأفوض من أثق به منهم قولاً وكتابة ثم أبني علي ذلك ما يتجدد من الرأي ، ولا أعد الآن بشي .
وسألني هل أحضر الاسرة وانتقل عملي من مصر الي الشام ؟ فقلت ان قبالت المكث الآن في الشام للمساعدة فلا يمكنني أن أنقل أسرتي لما يقتضيه نقلها من النفقة الكثيرة والحسارة التي لا يسمح بها لمكث موقت ومركزنا في مصر ثابت لا يمكن التفريط فيه فلا بد من ابقائه علي حاله حتى يستقر الامر في الشام علي أساس ثابت . فأقرني علي ذلك وجاءته وهو عندي برقية من أخيه الامير فيصل يؤكدها فيها وجوب السكنية في البلاد — اذ علموا ان الاهالي في اضطراب من جراء الاتفاق بين الانكايز والفرنسيس

وفي هذا اليوم أعطاني علي رضا باشا المذكورة التي وضعها لادارة الامور الشرعية وهي خاصة بالادارة والعاملين فيها — ادارة المدير العام — ومحكمة التمييز الشرعية — ولجنة التوجيه والانتخاب والامتحان والتدقيق والمعاهد والمدارس الدينية — وادارة الاوقاف العامة — وقلم الرسائل . وبلي ذلك الامور المالية لهذه الادارات ومن هذه القضية يعلم رأيي في حالة البلاد وحكومتها في سورية علي حين كان الوجهاء والمعلمون يعتقدون ان لها دولة ثابتة بتهافتون علي مناصبها ووظائفها . وقد كان التزامهم علي ادارة الامور الشرعية بعد مجيء الامير فيصل وبعد اعلان الاستقلال أعظم ، والتزامهم أشد ، وكان كثير من العلماء يختلفون الي للبحث فيها وقد كتبوا لي زهاء أربعين اسماً قالوا انهم علي رأي واحد في أن يكونوا أنصاراً لي ، ولا يدعون في رياسة الامور العلمية لعيري ، فكان ذلك مما زادني فيها زهداً ، وعنها بعدا ، وذكرت لهم رأيي ومثري كما ذكرته للملك فيصل بمناسبة ذكر هذه المسألة . وانتهى الامر فيها بعد الاستقلال وتأليف الوزارة الي إحداث وظيفة مدير للعلمية ، ليس له شأن في الاوقاف ولا المحاكم الشرعية . (للرحلة بقية)

بشرك عباده الذي يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة

١٣١٥

بوتني المعجزة من يقاه ومن يؤت المعجزة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنازا » كمنار الطريق —

٢٩ شعبان ١٣٤٠ - الثور (٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

(س ١٢-١٧) أسئلة من الاستاذ صاحب الامضاء في سعادون (المنوفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه
باحسان الى يوم الدين : من طالب الارشاد صاحب الامضاء الى حضرة صاحب
الفضيلة السيد محمد رشيد رضا محرر المنار، سلام عليكم (أما بعد) فأرجو الافادة التامة
الموضحة بالادلة القطعية على الاسئلة الآتية لازتم محط رحال السائين وناطقا

بالصواب ومعلياً شأن الإسلام والمسلمين : ونص الاسئلة هو
 (١) ما سبب التعارض الواقع في كتب المذاهب الاربعية عند الكلام على
 تعدد الجمعة من حيث جوازه ومنعه؟ فمثلاً روي في كتب الشافعية ان مذهب الامام
 الذي نص عليه هو منع التعدد مطلقاً ، وقول بجوازه بشرط الحاجة ، وقول بالجواز
 مطلقاً . ولم أر الاخير الا في كتاب صغير اسمه مرقاة الصعود للشيخ (نووي) مع خلوة
 الكتب الواسعة منه . وهي أقوال ظاهرة التناقض . وقد ورد في كتب المالكية
 ان للامام مالك قولاً واحداً وهو المنع ، ثم اذا قرأت في كتبهم تجد ما يقتضي قولهم
 بجواز التعدد بشرط الحاجة ، ثم بالجواز المطلق . ومثل ذلك في كتب الحنبلية .
 وفي كتب الحنفية ان للامام ثلاثة أقوال ويندكرون القول بالمنع وروايتين في الجواز
 انما يفيدان الجواز بشرط الحاجة ، ثم يذكرون القول بالجواز المطلق ، وأن عليه الامام
 السرخسي الحنفي وأتباعه هل ذلك التضارب وقع من نفس أئمة المذاهب؟
 وعليه فما تأويله؟ أو وقع من المقلدين وعليه فما سببه؟ وفي أي عصر وقع . وما عين
 الصواب في المسألة وما وجهه وما دليله؟

(٢) هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أو سنة أو بدعة؟ واذا قاتم بالثاني أو
 بالاول فما دليله الصريح من الكتاب أو السنة ، وهل يقبل في العبادات ما يحتمل
 أن يكون دليلاً ، وهل عمل السلف الصالح — أهل القرون الثلاثة الاولى المشهود لهم
 بالخيرية ، والمأمورون نحن بأتباع سنة الرسول وسنتهم — بهذه الصلاة أو ثبت
 أن أحداً منهم أو من الائمة المجتهدين كان يصليها بعد صلاته الجمعة وهل صلاها
 الامام الشافعي ولو مرة؟ واذا قلتم بالثالث فمن اخترعها ولاي سبب وفي أي عصر
 وهل يعمل بقوله ويحمل الناس خصوصاً العوام على فعلها واعتقاد وجوبها أو سنيها
 وهل اذا رد حنفي على شافعي بأن هذه الصلاة بدعة اخترعها بعض المتأخرين
 عند ما اعتورهم الشك في صحة الجمعة وأن في فعلها والقول بها افساداً لعقيدة العوام
 اذ هم يعتقدون فرضيتها وتعدد الفرض في اليوم؟ وهل يصح من الشافعي أن يقول
 ان مذهبنا غير مذهبكم ولا يُردّ بمذهب على مذهب ، وهل لقوله هذا دليل من
 القواعد الاصولية المتفق عليها أو من الكتاب أو السنة؟

(٤٣) هل المصلحة اليوم في العمل باعتبار الطلاق الثلاث بلفظ واحد واحداً كما هو طريقة رسول الله وأبي بكر وعمر في أول خلافته أو العمل باعتباره ثلاثاً كما أمضاه عمر — للمتخلص من المحلل والحليل التي يهملها فقهاء البلاد من اعتبار العقد الأول باطلاً بالنسبة لمذهب الشافعي وتجديد العقد عليه أو من اعتبار مجرد العقد على غير الزوج كافياً في التحليل بدون ذوق عسيلته أو من اعتبار مجرد الخالوة بزواج صغير لم يبلغ الحلم وبيات المرأة عنده ليلة أو أكثر تحليلاً . وما قيمة تلك الحيل من الصحة والفساد . وما جزاء فاعلها شرعاً وقانوناً ؟

(٦٥) هل شرع الطلاق لغير حل عقدة النكاح عند اليأس من التوفيق بين الزوجين بعد التحكيم حتى أصبح الرجل في حل من أن يطلق امرأته بأقل سبب وبدونه من غير تحكيم ؟ وهل ينقذ اليمين بغير الله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفات ذاته ؟ حتى أصبح الطلاق ، وأيمان المسلمين ، ورسول الله ، والنبى ، ودينى وذمتى وغير ذلك أماناً مغلظة يحنث الحالف بها إذا لم يبر بالمخوف عليه وهل كان ذلك معروفاً عند أهل القرون الثلاثة الأولى . وما معنى حديث (من حلف بغير الله فقد عظمه ومن عظم غير الله فقد كفر) وما مقتضاه

(٧) ما معنى « لافضل لعربي على عجمي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى » و « المسلمون متكافئون في الحقوق » وغير ذلك من أحاديث الرسول مع اعتبار الفقهاء الكفاءة في النكاح في الحسب والنسب والحرفة والثروة أمراً ضرورياً بطلبه الدين مع ظهور التضاد إذ أحد الطرفين يقول بالمساواة وعدم الامتياز الا بالتقوى والطرف الآخر يقول بالتفريق بين بعض الناس وبعض في غير التقوى

(٨) وما هو المقياس الذي قيست به الحرف حتى حكم على بعضها بالخسة وبعضها بالشرف مع كونها لا بد منها جميعاً بل ربما كانت الحرفة التي نقول بنحسها أزم من حرفة نقول بشرفها . وما سبب الحديث القائل « كسب الحجامة خبيث » مع كونه ينفر الناس من تعاطي صناعة الحجامة ، وهذا ربما يستلزم ابطالها مع شدة الحاجة إليها ، مع أن في حديث آخر ما يقذفني تعاطيها وهو « لو كان في شيء مما ينالونى به الناس خير لكان في شرطة محجم » الخ

(١٠٠٩) هل في قوله تعالى (واذا حيمتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) نص صريح على حل أنواع التحية من نهارك سعيد وليلتك سعيدة وغير ذلك أو هناك حديث صحيح بين المراد من الآية ويمنع غير (السلام عليكم) وعابيه فما هو . وهل يرد السلام على من ابتدأ به من غير المسلمين — والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طالب الارشاد

محمد مقبول حلوه

﴿ الجواب عن المسألتين المتعلقتين بتمدد الجمعة وصلاة الظهر معها ﴾

الخلاف بين المذاهب في هذه المسألة كغيره من الخلاف والتعارض في المسائل الاجتهادية، وأسبابه معروفة وقد ألف بعضهم فيها رسائل خاصة ، ولا نرى من حاجة الى ذكر جميع مسائل الخلاف في الجمعة ودلائل المختلفين أو تعليقاتهم وشبهاتهم وأشخاصهم لانها اضاءة للوقت فيما لا يتعلق به عمل ، وليس فيها أدلة قطعية اذ لا خلاف في القطعي وانما نبي الخلاف على أمر متفق عليه وهو أن عدم التعدد مطلوب شرعا اذا تيسر وانما المفيد هو الجواب عن المسألة الثانية وهي: هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم بدعة. والجواب عنها انها بدعة لانها ما حدث بعد الصدر الاول ، ولم يرد بها نص من كتاب ولا سنة ولا اجماع من الصحابة وهو الاجماع الذي يعتد به في المسائل الدينية دون سواه ، ولا هي مما يثبت بالقياس لانها من المسائل التعبدية الموقوفة على النص اذ لو جاز ان تثبت العبادات بظنون المجتهدين وأقيستهم لما صح ان يكون قد أكمل الله الدين على لسان رسوله ، ولكن اكمال الدين ثابت في محكم القرآن وبالاجماع — ولجاز أن تتجدد في الدين عبادات كثيرة يكون المتعبدون بها أكمل ديناً من الرسول وأصحابه وذلك مما يعلم بطلانه بضرورة الدين ، ولكن القائل بوجوب صلاة الظهر أو سنتيتها بالشرط الذي أداه اليه اجتهاده مهذور في اجتهاده اذا لم يدع أحدا الى تقليده فيه ، ومثل هذا التقليد لم يدع اليه ولم يقل به أحد من الائمة المجتهدين ولم ينقل اليها ان أحداً من الصحابة أو علماء السلف المجتهدين صلى الظهر بعد الجمعة وقد جاء الشافعي ببغداد وفيها عدة مساجد ولم ينقل انه كان يصلي الظهر بعد الجمعة ولو فعل لم يكن فعله شرعاً يتبع

وقد فصلنا القول في المسألة في المجلدين السابع والثامن فليراجعها الاستاذ السائل وان وجد بعد مراجعتها حاجة الى سؤال آخر مفيد في المسألة فله ذلك

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق الثلاث باللفظ الواحد ﴾

لا يمتري أحد من المختبرين لحالة المسلمين في هذا العصر ولا سببا في مثل هذه البلاد في ان مفسد امضاء وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد قد كثرت وان عدم امضائه والعمل فيه بما كان على عهد النبي (ص) ومدة خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر هو أصلح مما جرىوا عليه في آخر خلافة عمر، وان ما كان يقصد اليه عمر من منع الناس به من طلاق البدعة ومخالفة السنة إن كان قد أفاد في عصره فامتنع الناس كلهم أو جلهم من ذلك الطلاق - فالامر في هذا الزمان على خلاف ذلك، إذ عمّت البدع، وجهلت السنن، وكثر خراب البيوت وفسادها بكثرة الطلاق، وتحليل المطلقات، واستغلال المرتزقين بالفتوى والتحليل ووكالة الدعاوى والقضاء لجهل الناس بتحليل ما يمتدنون نحرجه بالحيل الباطلة

﴿ الجواب عن مسألة الحيل وتحليل المطلقات وأمثاله ﴾

وأما هذه الحيل التي يسمونها شرعية فلو كانت مشروعة في دين الله باطلاق لكان الشرع هادما لنفسه، وجميع الحقوق والحدود فيه أمورا صورية يمكن لكل أحد التفصي منها، والتمتع بالمفاسد التي وردت النصوص القطعية بحظرها، والاغراء بالفسق والفجور وأكل أموال الناس بالباطل والكفر أيضا - فان من هذه الحيل ان ترتد المرأة عن الاسلام ليفسخ نكاحها، وأن تمكن المرأة ابن زوجها من نفسها ليفسخ نكاحها ونحوه عليه أبداً - وان يسكر مريد الزنا ثم يزني ليسلم من الحد بناء على قول من يقول ان السكران لا يؤخذ ان كان متعديا بسكره، وأن يهب المكلف بالزكاة أو الحج ماله الذي ثبت به ذلك عليه لامرأته أو ولده قبيل انتهاء حول الزكاة أو خروج ركب الحج ثم يسترده بعد ذلك - وأمثال هذه المفاسد كثير. ولما ظهرت في بلاد الإسلام، وعلم بها بعض الأئمة الاعلام، قالوا: ان

من أفتى بها فقد قلب الإسلام ظهراً لبطن، ونقض دين الله عروة عروة، بل صرحوا بان الذي يقول بذلك أو يرضى به يكون كافراً خارجاً من هذه الأمة وقد صح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس على منبر رسول الله (ص) وقال : لأوتى بمحلل ولا محلل له الا رجعتما . وقد أقره سائر الصحابة على ذلك فلم يخالفه فيه أحد كما خالفه ابن عباس وغيره في امضاء الطلاق الثلاث باللفظ الواحد . والروايات عن الصحابة والتابعين وعلما الامصار في بطلان هذه الحيل كثيرة . وقد استقصى المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) دلائل بطلان الحيل وما احتج به المجوزون لها مع الرد عليهم وابطال شبهاتهم .

وأظهر أسباب هذا الفساد في الامة التقليد الذي مقتضاه اتباع العلماء في كل آرائهم وظنونهم الاجتهادية — والاجتهاد كله ظنون وبمض الظن إثم — وليس أحد منهم مضموماً في اجتهاده بل لكل عالم زلات . حتى ان اجماع المجتهدين بمد الصحابة لم يبق دليل قطعي على انه حجة فهو غير مجمع عليه وقد خالف جمهور أئمة الفقه كثيراً من علماء الصحابة والتابعين ، فقاعدة التقايد التي عليها المنتمون الى المذاهب — وهو انه يجب على كل منتم الى مذهب ان يعمل بكل ما اعتمده المؤلفون فيه — بدعة لم يقل بها إمام مجتهد قط بل خرّمها جميع الأئمة أي أثبتوا تحريم الله لها ولكن المقلدين يخالفونهم في أصول مذاهبهم وهم لا يشعرون هذا وان من الاحكام التي تدخل في عموم الحيل ما هو صحيح وهو ما لا يخجل به لدول نصوص الشرع ولا ينقض حكمته فيه ومراده من دره المفسد وحفظ المصالح، وقد جعل ابن القيم الحيل قسمين محرمة وجائزة، فالاولى أن تكون الحيلة نفسها محرمة والمقصود بها محرم، أو تكون مباحة ويقصد بها المحرم، والثانية ان تكون الوسيلة مشروعة والمقصود بها مشروعا، وقد سرد أمثلة كثيرة لكل قسم منهما ولعلنا نعود الى تلخيص ذلك في مقالة أو مقالات فانه مما يحتاج اليه كل من يجب أن يكون على بصيرة من دينه

وما ذكره السائل من الحيل المألوفة في تحليل المطلقة كله باطل — فاما اعتبار العقيد الاول باطلاً على قول بعض الفقهاء الذين يشترطون في صحة العقد ما لا

يشترطه غيرهم — كاشتراط الشافعي الولي العدل والشهود العدول — وجعل الطلاق غير واقع لانتهاء الزوجية فهو مفسدة ظاهرة ، فان الزوجين يلزمهما ما التزمنا من العقد وما يترتب عليه بعد العمل بمقتضاه مع اعتقاد صحته وهو العاشرة الزوجية واستحلال البضع ، حتى اذا فرض انهما كانا قد تعاقدوا على مذهب قام الدليل عندهما على صحته ثم تغير اعتقادهما فان هذا التغير لا يؤثر بعد انتهاء العمل ، فلا يجب على من كان يمسح بعض رأسه في الوضوء أن يعيد كل صلاة صلاها اذا صار يعتقد أن مسح جميع الرأس واجب ، بل يجب أن يعمل بهذا الاعتقاد بعد ظهور ترجيحه له ، والمسائل المدنية أولى بالنفاد والمضي على الصحة بالالتزام والعمل بها لما يترتب على عدم الالتزام من المفاسد المتعلقة بالنسب والارث وغير ذلك ، وقد صرح بعض العلماء المحققين بان العمل ببعض المسائل المختلف فيها وحكم الحاكم بها يرفعان الخلاف حتى كأنه لم يكن ، ولا يتسع هذا الموضوع للتطويل بالاستدلال ونقل الشواهد على ما ذكره وأما التحليل بمجرد العقد أو الخلوة بزواج صغير لم يبلغ الحلم فهو مخالف لنصوص الكتاب والسنة المثبتة بان التي طلقت ثلاث مرات لا تحل للاول حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا عن رغبة وهو لا يتحقق الا بنزوق العسيلة ، وقد اظال شيخنا الاسلام ابن تيمية في كتاب ابطال التحليل وابن القيم في اعلام الموقعين في بيان ذلك ودفع شبهات المشتبين وتأويلات المختالين. ويستحق أولئك المحللون التعزير ولكن أين من يفعله؟

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق قبل التحكيم ﴾

أما شرع الطلاق مع عده مكروها شرعا ومبغضا من الله عز وجل لاجل حل عقدة الزوجية اذا تعذر أو نكس على الزوجين إقامة حدود الله تعالى في الزوجية بأن يقع بينهما من التباغض والشقاق مالا يستطيعان عليه صبورا. واردة الاصلاح والاستعانة عليها بتحكيم حكم من أهله وحكم من أهله مما شرعه الله تعالى بنص كتابه ، ولكن ليس في هذا النص ولا في غيره دليل على توقف صحة الطلاق على تقديم التحكيم عليه واليأس من الاصلاح به ، وأما ما جرى عليه الناس في مثل

هذه البلاد المصرية من الاسراف في الطلاق ، وبنائه على أوهى الاسباب ، فهو مما يبغضه الله ويكرهه شرعه وينبغي لحكام المسلمين اتخاذ الوسائل لتلافيه ، سدا لذرائع الفساد فيه

﴿ الجواب عن مسألة الحلف بغير الله ﴾

لا يجوز في الاسلام الحلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الاجماع على ذلك ، وقال بعض العلماء ان عدم الجواز فيه يشمل التحريم والكراهة ، وقد فصلنا القول في هذه المسألة من قبل فراجعه في تفسير آية الايمان من أواخر سورة المائدة (ص ٣٣ — ٤٨ ج ٧ تفسير) وفي المنار وأما الحديث الذي ذكره السائل فقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث ابن عمر بلفظ « من حلف بغير الله فقد كفر » وفي رواية أحمد فقد أشرك . ولا أذكر له رواية باللفظ الذي أورده . فان لم تكن الزيادة التي ذكرها مروية فهي تفسير . اذ المراد على وجه ان من يحلف بغير الله لانه يعظمه كما يعظم الله ويتدين بالحلف به ويتزم البر تعظيما له كما كانوا يحلفون بالاصنام وبالصبغة فقد كفر ، وأوله بعض العلماء تأويل آخر

﴿ الجواب عن مسألة التفاضل بالتقوى ومعارضته بكفاءة النكاح ﴾

لا شك في ان الاسلام قد أبطل ماجرى عليه كثير من الامم من تفضيل بعض الناس على بعض بأنسابهم أو حصر بعض المناصب الدينية أو المدنية فيهم ، أو بقوتهم وثروتهم ، وقرر ان الناس انما يتفاضلون بالعمل الصالح المعبر عنه بتقوى الله تعالى كما قال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وبالايمان والعلم كما قال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ولا يتعارض هذا مع الكفاءة في الزواج لان مسألة الكفاءة من المسائل التي يراعي فيها عرف الناس طرق عيشتهم وعلائق التواد والتحاب بالمصاهرة بينهم ، فاذا حكم بأن الرجل الفقير ليس كفوًا للمرأة الغنية فليس معنى ذلك انها أفضل عند الله منه أو أحق

بالتكريم من الناس بل معناه أنه لا يستطيع أن يقوم بنفقتها بما تعودت من أساليب المعيشة في طعامها ولباسها، وان هذا قد يعود بالضرر والعار على أهلها، فكان لهم أن يعارضوا في تزوجها به يقال مثل ذلك في انتفاء الكفاءة بين الطبقات الدنيا من الصناعات والعمال وبين بيوت الشرف والامارة، فان كان في هذا شيء من التقدم فالذنب فيه على الرأي العام والعرف المحكم بينهم، وقد فصلنا القول في ذلك بمقال كتبناه بمناسبة تزوج الشيخ علي يوسف (رحمه الله) بنت السيد عبد الخالق السادات وفسخ القاضي العقد بدعوى عدم الكفاءة. وقد نشرت تلك المقالة في الجزء العاشر من مجلد المنار السابع. ومما بيناه فيها ان المسألة اجتهادية، وليست من أصول الشريعة المنصوصة في الكتاب والسنة، وان العبرة فيها بالتعبير الذي يخشى أن يكون سبباً للشقاق في الاسرة. فاذا رضيت المرأة وأولياؤها أن تزوج بمن لا يعد كفواً لها في العرف صح ذلك. فكيف تعد هذه المسألة الاجتهادية العرفية معارضة لاصل ثابت بنصوص الكتاب والسنة؟

الجواب عن مسألة الحرف الخسيصة والشريفة وكسب الحجام

ان حاجة الناس الى جميع الحرف لم يمنع اتفاقهم في كل زمان ومكان على أن بعضها شريف وبعضها ذليل أو خسيس فلا يوجد أحد من البشر يسوي بين ربان السفينة ووقاد النار فيها، ولا يجعل الكناسة والكساحة، بمنزلة الطبابة أو الصحافة، وان من حكم الله في خلق البشر متفاوتين في الاستعداد العقلي والنفسي أن يقوم كل فريق منهم بما يحتاج اليه المجموع من العلوم والاعمال، ولذلك اختلف العلماء في الجمع بين حديث « كسب الحجام خبيث » وقرنه بغير البهي وثمن الكلب وهو في صحيح مسلم والسنن الثلاث وبين مدحه (ص) للحجامة وحته عليها وإعطائه الحجام أجره حجمه له. ففي حديث أنس المتفق عليه انه (ص) احتجمه أبو طيبة فأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه فحففوا عنه. وكذلك حديث ابن عباس المتفق عليه قال: احتجم النبي (ص) وأعطى الحجام أجره— ولو كان سحناً لم يعطه. وفي لفظ للبخاري في البيوع: ولو كان حراماً لم يعطه، وفي لفظ له في الأجارة: ولو علم كراهية لم يعطه. وجهور المساهين

من السلف والخلف على ان كسب الحجامة حلال، وأجابوا عن حديث مسلم المذكور آنفا وما في معناه بأجوبة (منها) ان الحجامة مكروهة كراهة تنزيه لدناءتها في العرف وخص الكراهة بمضهم — ومنهم الامام احمد — بالاحرار دون العبيد (ومنها) ان النهي عن احترامها وكسبها منسوخ ورجحه الطحاوي الحنفي (ومنها) انها مما يجب من اعانة المرء لآخيه فيكره أخذ أجر عليها لانه ينافي المروءة قاله ابن الجوزي الحنبلي (ومنها) ان محل الجواز اذا كانت الاجرة على عمل معلوم ومحل الزجر اذا كان مجهولا قاله ابن العربي المالكي

﴿ الجواب عن مسائل التحية والسلام بدءا وردا ﴾

بيننا في تفسير الآية ان لفظ التحية فيها على اطلاقه بصدق بكل ما يجي الناس به بمضهم بمضا . وان ما ورد في التحية بانف السلام وكونه تحية الاسلام ليس في شيء منه ما يدل على تقييد الاطلاق في الآية ولا سيما الرد وانما غايته انه يستحب تفضيله على غيره من التحيات ولا سيما تحيات غيرنا اذ الاسلام يرفنا عن دركة الامم التابعة الى درجة الائمة المتبوعين وان السلام على غير المسلمين بدءا وردا مشروع أيضا وقد اختلف فيه الفقهاء اختلافا بينا بتحقيق الحق فيه من قبل في فتوى نشرت في مجلد المنار الخامس وذكرناها في تفسير آية التحية المشار اليها آنفا . ومما أوردناه فيها دليلا لذلك حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي « ان الله تعالى جعل السلام تحية لامتنا وأمانا لاهل ذمتنا » ولكن سنده ضعيف، وحديث الصحيحين « وان تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » فراجع التفصيل في جزء التفسير الرابع أو في المجلد الرابع عشر من المنار (ص ٤٩٥ — ٥٠٠)

﴿ منع الحج هل يجوز لاحد ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء « المكي » بمصر

أيها السيد الرشيد

ما قولكم دام فضلكم في السؤال الآتي : هل يجوز لأي مسلم منع مسلم من أداء فريضة من فرائض الاسلام في أي مكان كان وفي أي ظرف كان ؟ أفيدونا بالجواب في مجلتكم المنار الاغر أنار الله بها المسامين وهداهم وأثابكم بأحسن الاعمال خيرا عظيما

« المكي »

(المجلد الثالث والعشرون)

(٣٤)

(المنار : ج ٤)

(ج) قد علمنا من السائل أنه يريد بسؤاله منع ملك الحجاز حسين بن علي للترك واهل نجد من أداء فريضة الحج لما بينه وبين الفريقين من العداوة السياسية . والجواب عن هذا من المسائل المملومة من الدين بالضرورة وهو انه لا يجوز لاحد منم احد من إقامة دينه وأداء فرائضه ومن استحل ذلك فحكه معلوم بالضرورة لاخلاف فيه بين المسلمين في كفره . ونحن لا نعتقد أن ملك الحجاز يستحل هذا العمل مطلقاً ، ولكنه يعذر نفسه ، بأن في دخول أعدائه الحجاز خطراً على ملكه ، ويقال انه يأذن للنجديين في دخول الحجاز لاجل الحج عز لا وهم لا يأمنون على انفسهم من انتقامه اذ لم يكونوا مستعدين للدفاع عن انفسهم في بلاده ، ولم يلفنا من غير السائل أنه يمنع افراد الترك من الحج . أو لا يظن انه يخاف منهم ضرراً اذ ليس في استطاعتهم أن يؤذوه الا بالكلام وازالة هذا الاذى في إبانه واخذه بربانه هنالك من أيسر الامور عليه لكثرة جواسيسه في البلاد على ان السياسة لا تقف عند حدود الدين ولذلك بينا في النار ان الحجاز يجب ان يكون على الحياد لا يجارب احداً ولا يجاربه احد ، ولا يصح ان يكون دار ملك يعادي ويمادي ويقاقل ويقاقل ، لان ذلك يفضي الى منع كثير من المسلمين من إقامة ركن من اهم اركان دينهم ، واذا لم يسع المسلمون الى تأمين حرم الله تعالى وتمكين كل مسلم من أداء فريضة الحج اذا ارادها يكونون آثمين كلهم . نعم ان الذي يجب عليه هذا قبل كل أحد هو إمام المسلمين وخليفتهم ، ولكن ليس لهم في هذا الزمن إمام مطاع ، والذي يعترف له أكثر المسلمين بالخلافة واقع تحت سيطرة بعض الدول غير المسلمة ، ولذلك أفتى بعض علماء الهند والقوقاس بسقوط فريضة الحج في هذه الايام ، معللين ذلك بخروج الحرمين من سلطة الاسلام ، ووقوعها تحت سيطرة غير المسلمين ، وسنمين ما في فتواهم من الخطأ في جزء آخر . وقد أذاع بعض الاجانب الذين اتخذوا ملك الحجاز عدو لهم أن بلاد الحجاز غير آمنة ، وان حكومتها تصادر الحجاج ، والحق ان الحجاز في أمن تام وأن الملك حسينا يعني بأمر الامن كل العناية ، وما تأخذه حكومة الحجاز من الرسوم لنفسها وما سمحت به من زيادة اجور الجمال التي تنقل الحجاج كل ذلك مما يسهل احتمالها ، وهي لا تصادر فيما نعلم الا النقود الفضية العثمانية فن كان لا يملك غيرها ويلحقه غبن يبيها بأقل من ثمنها فربما يد غير مستطيم للحج في هذه الحال

الاسلام والنصرانية

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

كتب الينا من بيروت ان مجلة المشرق الجزويتية قد صارت تصرح بالظن في الاسلام إذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح ، فتوارى أحياناً وراء ما يحتمل التأويل من تعريض وتلويح ، ورغبوا الينا في الرد عليها لان الدفاع عن الاسلام من أهم مقاصد المنار، ويرون أن السكوت عنها ربما يفضي الى التماذي الضار، ولما كانت أعمالنا الكثيرة لا نترك لنا وقتاً لمطالعة هذه المجلة كلها للاطلاع على كل ما تنشره نطلب منهم أن يبينوا لنا ذلك الظن بنقله أو تعيين مواضعه من أجزائها .

هذا وان دعاة البروتستانتية في مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الظن في الاسلام والتفجير عنه والدعوة الى دينهم حتى ملنا من النظر فيها انشابهها في الضعف والسخف والتكرار، وهذا هو سبب سكوتنا عنهم في هذه الآونة مع رفع المراقبة عن الصحف لا اينداؤهم لنا بما نجحوا به من منع المنار من دخول السودان ، الذي قام حجة على رياء الانكليز المتبجحين بدعوى حرية الاديان .

وقد صرحنا من قبل بأننا لا نرى في هذه المطاعن ضرراً على المسلمين في نفس دينهم ولا في استمالتهم الى النصرانية بل هي أشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاماً به ومحافظه عليه، وإنما يخشى منها احدى مفسدتين (الاولى) فساد عقيدة بعض المسلمين وصيرورتهم مناققين أو اباحين (والثانية) أن تكون سبباً للتعادي والتباغض الضار بين أبناء الوطن الواحد ، فلهدا نذكر إخواننا في سورية بأنه ينبغي لهم أن يوطنوا أنفسهم على حرية البحث والنقد، واحتمال أذى الظن والرد، وأن لا يجعلوا المناظرات الكلامية ، مؤثرة في العلاقات الوطنية ، وأن يعلموا أن حرية البحث اذا كانت عامة فان الفلج والظفر فيها إنما يكون لصاحب الحق ، ولا سيما اذا التزم الإدب في القول والفعال ، وأن الاسلام هو دين الفطرة

والعلم والعقل ، وان النصرانية الحاضرة مبنية على وجوب التقليد للكنيسة بلا معارضة ولا بحث ، وان من يتركون التقليد من أهلها ، و يناقشون الكنيسة في تعليمها ، ويطالبونها أو يطالبون أنفسهم بالدليل ، واستقلال العقل في فهم الدين ، فانهم لا محالة ينتهون الى ما جاء به الاسلام ، سواء علموا أو لم يعلموا تلك الحقائق التي قررها القرآن ، وهذا واقع في بعض البلاد الاوربية الآن ، كما يعلم ذلك من الشاهد الذي نقله هنا عن جريدة (الدبلي تلغراف) وسينتهي التمادي في أمثال هذه المباحث الى عقيدة التوحيد ، والرجوع عن التثليث وتأليه المسيح ، والاخذ فيه بما قرره القرآن ، وتعميم الاهتداء به في كل مكان ، والنجاة به من مساوىء المادية ، ومفاسد الشيوغية ، وينجز الله وعده الحق ، بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ، وان المقدمات والاسباب لذلك قد صارت كثيرة ، وان منها ماهي صحيحة وماهي غير صحيحة ، وسيمتاز الصريح بتكرار الخوض ، فيذهب الزبد ويبقى المحض ، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

كتب رجل مسلم بصير مقيم في أوربة مراقب لتطورها الديني والادبي والاجتماعي كتابا الى صديق له قال فيه :

« أعرفك ان مسألة ألوهية المسيح أصبحت في بلاد الانكليز موضوعا لاهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولا سيما رجال الاكايروس الانجليكاني كما يتضح ذلك مما ينشر في هذه الايام الاخيرة على صفحات الجرائد الانكليزية واني أرسل اليك طي هذا نموذجاً لهذه المناقشات اقتطفناه من جريدة الديلي تلغراف . واني على تمام اليقين من ان الانكليز والامريكان سيرجعون في القريب العاجل عن (عقيدتي) التثليث وألوهية المسيح كما رجعوا من قبل عن كثير من مثلها من و.....^(١) التي كان ينهى عن مثلها الاسلام هم بها متمسكون .

(١) المنار : حذفنا من هذا الموضع ومن موضع آخر بعده كلمات لا نستحسن نشر مثلها في الصحف العامة اذ ليست كالكاتب الخاصة .

« فإياها الأخ الحكيم إذا صرفت نظرك برهة عن مسرح السياسة العالمية الذي أخذ بلبك ، وتوجهت إليه بكل قواك وحواسك ، وتأملت مليا فيما يدور ويجري في الخفاء بين الجماعات البشرية في الغرب — يظهر لك إن الشرق المغلوب المقهور الذي يئن تحت نير الظلم والاستبداد الغربي هو مع ذلك يهاجم في هذه الآونة العالم المسيحي من جميع الأنحاء بجيوش جرارة تفوق جيوش صدر الاسلام قوة وفيالق آل عثمان عند مادوخوا أوربة بأسا ، ولكنها في هذه المرة ليست مسلحة بالسيف البتار ، بل بأسلحة معنوية ، مثل الفلسفة الهندية ، والمبادئ الصوفية ، والتعاليم البهائية ، والمذاهب التيوسوفية والانتروپوسوفية ، وغير ذلك من الافكار والمبادئ الروحانية ، التي تتسرب كل يوم بطريقة غير محسوسة الى أذهان الغرب وقلوب أبنائه من حيث لا يشعرون

« ولا بد أن يأتي يوم — إخاله قريبا — يفتح فيه الشرق الغرب فتحا معنويا مبينا فيقوم أهله قومة صادقة يكسرون بأيديهم تماثيلهم... ويهدمون كنائسهم وه... ليقيموا مكانها المعابد الحقيقية التي لا يعبد فيها الا الواحد القهار ، طبقا لشريعة سيد الانام ، محمد عليه الصلاة والسلام ، فطوبى لمن يعيش ويرى يوما يتعانق فيه الشرق والغرب ويصبح عباد الله إخوانا في التوحيد والاسلام »
وهذه ترجمة ما اقتطفه الكاتب من جريدة الديلي تلغراف

علاقة المسيح بالله

كبريدج لمراسلنا الخاص بتاريخ ١٣ - ٨ - ١٩٢١

ان درجة ابتعاد اللاهوتيين المصريين العصريين عن العقائد التقليدية الموروثة قد ظهرت اليوم ظهورا واضحا في مؤتمر رجال الكنيسة فقد تكلم ذو الاحترام الكلي (هاستنس راشدول) مطران كارليل في مسألة « المسيح كلمة الله وابنه » فقال ان الطلب يزداد على اللاهوتيين الاحرار^(١) ليوضحوا بمبارات صريحة ما يقصدونه

(١) المنار: يقابل هؤلاء الاحرار المقلدون الذين لا يعيرون الادلة التفاتا ، وقوله بمدى عبارات صريحة يشير الى ان بعض الاحرار لا يتجرءون على التصريح بما ثبت عندهم ون بطلان تقاليد دينهم فيعبرون عنه بالكناية والتعريض المحتمل للتأويل

حقيقة عند ما يستعملون العبارات التقليدية عن ألوهية المسيح . وبدأ الدكتور (راشدول) يبحث في السؤال من وجهته السلبية فقال : ان المسيح لم يدع الالهية لنفسه . نعم انه ربما دعا نفسه أو تسامح على الأرجح بأن يدعى «مسيحاً»^(١) أو ابن الله ولكن لم يرد في الاقول الثابتة عنه شيء يدل على انه كان يرى علاقته بالله غير علاقة رجل بالله . وهي العلاقة التي كان يريد أن يستشعرها كل انسان . فيستخرج من هذا القول ان المسيح كان انسانا بكل معنى الكلمة ولم يكن انسانا بجسده فقط بل كانت نفسه وعقله وارادته انسانية أيضا . ولم تكن تعترف الكنيسة بذلك دائماً وان كان كثيرون من الآباء اليونانيين (كادانا يوس واثناسيوس)^(٢) قد مثلوه كلمة الله مقبلة في جسم بشري ، وانكرت المجامع التي عقدت بعد ذلك هذا التعريف بزعامة أبوليناريوس ولا يمكن العلو في ان يؤكد من نقطة النظر اللاهوتية بعد ذلك ان اثناسيوس كان من مذهب (ابوليناريوس) وأخشى أن يكون كثير من الناس الذين يظنون أنهم مستقيمو الرأي ليسوا سوى أبوليناريين . وقد عرفت كثيراً من الكاثوليك المتتورين بجهلون ان الكنيسة تعلم ان المسيح نفسا بشرية فكثير مما يسمى استقامة في الرأي « ليس سوى أبولينارية . وبعض المدافعين عن العقائد الكاثوليكية الواقفين عليها وقوفنا بحول دون جعلهم أبوليناريين صريحين هم في الحقيقة تحت تأثير تلك المبادئ في شكها الاخير المعدل الذي ينكر ان المسيح كان ذا ارادة بشرية

ثم قال : وليس من الاستقامة في الرأي البتة ان يفرض أن نفس المسيح البشرية كانت موجودة من قبل ، إذ لا أساس لعقيدة كهذه ، فند قبلت الكنيسة مبدأ كون المسيح كلمة الله تعين ان الذي كان موجودا في ماسبق هو الكلمة الالهية

(١) مسيا بتشديد الياء المسيح وهو الملك الذي كان اليهود ولا يزالون ينتظرونه
(٢) اثناسيوس بطرك الاسكندرونه في القرن الرابع المسيحي كان اتهم بآراء آريوس الذي أنكر في القرن الثالث ألوهية المسيح . وأبوليناريوس من أساقفة اللاذقية وقد تبع بعض آراء آريوس واسكن له فلسفة خاصة في المسيحية وقد حرم تعليمه في الجمع الاسكندري سنة ٣٦٢ والجمع الروماني سنة ٣٧٣ وله أتباع ينتسبون إليه .

لا المسيح البشري . ان ألوهية المسيح لا تتضمن بالضرورة الولادة من عذراء أو أي معجزة أخرى . فالولادة من عذراء اذا أمكن اثباتها تاريخيا لا تكون مظهرا لالوهية المسيح ولا بوقوع عدم اثباتها ربيا في تلك العقيدة ، كما ان ألوهية المسيح لا تتضمن أن يحيط بكل شيء علما . ولم تبق حاجة للكلام في هذا الموضوع بعد ظهور الخطب التي ألقاها المطران (بنجور) في (بامبتون) بالرغم من كون عقيدة تحديد علم المسيح لم ترسخ بعد في أذهان العامة .

ان النظريات الحديثة في اليوم الآخر قد زادت في ضرورة التسليم بأن ذلك التحديد يجب أن يكون أعظم مما ذكره المطران (غور) ومن على رأيه . وعلى فرض انهم جعلوا الاقوال الثابتة عن المسيح في اليوم الآخر أقل ما يمكن — وهذا ما كان المطران نفسه يميل الى فعله — فمن الصعب إنكار ان المسيح كان يتوقع حدوث أشياء في المستقبل لم يحققها التاريخ فإحقيقة الرأي العصري اذن في العلاقة بين الله والانسان ؟ هو ان الانسان ليس خليقة لله يتسلى بها ، وان جميع العقول البشرية نسخة في شكل محدود عن العقل الالهي ، وان في جميع التفكرات البشرية الصحيحة نقلا عن الفكر الالهي ، وان في اسمى المقاصد التي يعترف بها الضمير البشري جلاء للمقصد السامي الخالد في الفكر الالهي — هذه هي الفروض التي يمكن ان يفسر بها وحدها معنى تلك العقيدة . واذا كنا نعتقد ان كل نفس بشرية تنقل عن الله وتجلوه وتجسده الى درجة معينة — واذا كنا نعتقد أن الله يتجلى لكبراء معلمي الآداب في البشر وزعماء الدين ومؤسسي الأديان ومصالحها أكثر مما يتجلى لسواهم — فمن الممكن اذن أن نعتقد ان شخصا واحدا كالمسيح امتاز عن سواه في علاقته الشخصية بالله فكانت سامية فريدة رفيعة عن سواها . وان صفات المسيح وتعاليمه تحتوي خيرا ما يتجلى من صفات الله نفسه واراادته في البشر — هذا هو المعنى الحقيقي الذي نفهمه من ألوهية المسيح^(١)

(١) المنار: ملخص هذه العقيدة بعبارة اسلامية صوفية ان هذه المخلوقات مظهر من مظاهر صفات الله تعالى كعلمه وحكمته وان خيار البشر كالأنبيا والعهديين قد تجلى فيهم من آثار الكمال الالهي في البشر ما لم يتجلى في غيرهم فظهر ذلك في صفاتهم

شعور المسيح

وتلاه القس ه. د. ا. ماجور رئيس ريبون هول (ا كسفررد) وخص كلامه بنظرية «المسيح في البنية الالهية» فقال ان من المشا كل العويصة في نقد الانجيل معرفة ماهية رأي المسيح نفسه في بنوته لله . انه قد ذكر بصراحة تامة انه لا يعتبر مهمته سياسية ، وقد خدم الاستاذ (ليك) الانجيل خدمة حقيقية باظهاره مافي تعاليم المسيح من الصفات المعارضة للسياسة تجاه الدعوة السياسية التي كان يثبها المتعصبون . كان المسيح يعتبر انه هو (مسيًّا) ويعتقد انه وكيل مملكة ولكن لم تكن له علاقة بالسياسة بالمعنى المفهوم من سياسة مملكة . لانه كان معارضا لنظريتها الاقتصادية

ثم تناول الخطيب مسألة ما اذا كان المسيح ادعى انه كان ذا شعور ومعرفة سابقين لوجوده كما هو مثبت في الانجيل الرابع فقال انه يرى انهم اليوم يستطيعون ان يصرحوا ان شعور المسيح كان شعوراً بشرياً تاماً — تاركاً مسألة الشعور السابق الوجود بدون حل — وانه ليس فيه من خوارق الطبيعة والمعجزات مالا يمكن أن يعزى الى سواه من البشر . وأما كونه ابن الله فقد سوغ لهم أن يدعوه «الهي» كما دعي في الانجيل الرابع ، فان القس ماجور يظن ان لغة المحبة والتعظيم تسمح بذلك ، ولكن مثل هذا التعبير لم يقره المسيح ولا يظن ان المسيح كان يهتم بما كان يلقب به . ولا شك في ان الذين لم يعرفوا المسيح بالاسم ولكن أظهروا للناس روح الخدمة والتضحية التي هي روح المسيح أقرب اليه من الذين لم يظهروا روحه في شؤون حياتهم اليومية وان كانوا متمسكين بأعظم الآراء غلوًا في شخص المسيح اه ما جاء في رسالة الديلي تفراف . ومن الظاهر البين منه أنهم يرجعون فيه الى التحقيق والاصلاح الذي بينه الله لعباده على لسان روح الحق الذي بشر به المسيح وقال انه يعلمهم كل شيء . والحمد لله رب العالمين

وتعاليمهم وأعمالهم ، فلا غرو إذن أن يكون ما تجلّى من ذلك في المسيح عليه الصلاة والسلام ، ممتازا عما كان قد تجلّى في سائر الصالحين من الناس.

رسالة

تطهير الاعتقاد ، عن أدران الالحاد

(تأليف) الامام المحدث الشير محمد بن اسماعيل الامير المنيني الصنهاجي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو المستعان

الحمد لله الذي لا يقبل توحيداً بغيره من العباد . حتى يفردوه بتوحيد
العبادة كل الافراد . من اتخاذ الالناد . فلا يتخذون له ندا . ولا يدعون معه أحداً :
ولا يتكلمون الا عليه . ولا يفزعون في كل حال الا اليه . ولا يدعون به غير اسمائه
الحسنى : ولا يتوصلون اليه بالشفعا . (من ذا الذي يشفع عنده لا باذنه) وأشهد
أن لا اله الا الله ربا معبودا . وأن محمداً عبده ورسوله الذي أمره أن يقول (قل
لأملك انفسى ذمراً ولا نفعا الا ماشاء الله) — وكفى بالله شهيداً . صلى الله
عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب . وتطهير القلوب عن اعتقاد
كل شيء يشوب

(وبعد) فهذا (تطهير الاعتقاد . عن ادران الالحاد) وجب علي
تأليفه . وتعين علي ترصيفه . لما رأيت به وعلمته من اتخاذ العباد الالناد . في
الامصار والقرى وجميع البلاد . من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الاسلام .
وهو الاعتقاد في القبور . وفي الاحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو
من أهل الفجور .^(١) لا يحضر المسلمين مسجداً . ولا يرى الله راكعاً ولا ساجداً .
ولا يعرف السنة ولا الكتاب . ولا يهاب البعث ولا الحساب . فوجب علي أن أنكر
ما أوجب الله انكاره . ولا أكون من الذين يكتبون ما أوجب الله اظهاره . فاعلم
ان ههنا أصولاً هي من قواعد الدين . ومن أهم ما يجب معرفته على الموحدين

(١) المناج : هذه صفة كاشفة فان هؤلاء الادعياء كلهم أو جلهم كذلك
لان التي الصالح لا يدعي هذه الدعوى ولو ادعاها فخرج بها عن الصلاح فهي
دعوى لا تقبل من أحد وان كان ما يسمونه المكاشفة بقم أحياناً وهو من
فراصة المؤمن الشائبة في الحديث

﴿الاصل الاول﴾ انه قد علم من ضرورة الدين ان كل ما في القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لا شك فيه. فهذا الاصل اصل لا يتم اسلام أحد ولا ايمانه إلا بالاقرار بهذا الاصل^(١) وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه

﴿الاصل الثاني﴾ ان رسل الله وأنبياءه من أولهم الى آخرهم بعثوا الدعاة الى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ما يقرع به اسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره — أن لا تعبدوا إلا الله — أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله فانما دعت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها هو أفراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبرائة منه . وهذا الاصل لامرية في ما تضمنه ولا شك فيه وانه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه

﴿الاصل الثالث﴾ ان التوحيد قسمان القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ومعناها ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يعملون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به كما سيأتي في الاصل الرابع . والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناها افراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ الشريك يشعر بالاقرار بالله تعالى. فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقريب الاول ودعاء المشركين الى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين (أفى الله شك ؟ هل من خالق غير الله ؟) ونهيبهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله) أي قائمين لا يهيم أن اعبدوا الله فافاد بقوله « في كل أمة » ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل الا اطاب توحيد العبادة لا للتعريف بان الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض فانهم مقرون بهذا ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله ؟ — أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ — أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ — أفغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟ — أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ — أروني ماذا خلقوا

(١) الظاهر هنا الاضمار وهو أن يقول الابه

من الارض؟) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ، وهذا تعرف ان المشركين لم يتخذوا الاضنام والاولثان ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لانهم أشركوهم في خلق السموات والارض بل اتخذوهم لانهم يقربونهم الى الله زانين كما قالوه - فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم - وأنهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (قل أنبئوني بالله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخذهم للشفعاء شركاء ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يفنون عنهم من الله شيئاً

(الاصل الرابع) ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون ان الله خالقهم (وائن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وانه الذي خالق السموات والارض (وائن سألتهم من خالق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وانه الرازق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وانه الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وانه الذي يملك السمع والابصار والافتدة (قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ أمَّن بملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولن الله ، فقل أفلا تتقون — قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع وربُّ العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه كما عن موسى عليه السلام (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا ربُّ السموات والارض بصائر) وقال إبليس (اني أخاف الله رب العالمين) وقال (رب بما أغويتني) وقال (رب أنظرني) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه خالق السموات الارض وربهن ورب ما فيهما ورازقهم ، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وقولهم (ان الذين تدعون من دون الله ابن



يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرون
 ﴿ الاصل الخامس ﴾ ان العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل
 إلا في الخضوع لله لانه مولي أعظم النعم وكان ^(١) حقيقا بأقصى غاية الخضوع
 كما في الكشاف. ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيدته كلمته التي
 إليها دعت جميع الرسل وهو قول لا إله الا الله والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها
 باللسان، ومعناها افراد الله بالعبادة والالهية ، والنفي والبراءة من كل معبود دونه،
 وقد علم الكفار هذا المعنى لانهم أهل اللسان العربي فقالوا (أجعل الآلهة إلهها
 واحداً ان هذا شيء عجاب)

﴿ فصل ﴾ اذا عرفت هذه الاصول فاعلم ان الله تعالى له جعل العبادة له
 أنواعا (اعتقادية) وهي أساسها وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الاحد الذي له
 الخالق والامر، وبيده النفع والضر، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد
 لا بأذنه ، وانه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية (ومنها
 اللفظية) وهي النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه
 ولا ماله وكان كابليس فانه يعتقد التوحيد بل ويقربه كما أسلفناه عنه إلا انه لم
 يمثل أمر الله فكفر ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه الى الله وحكمه
 حكم المنافقين (و بدنية) كالقيام والركوع والسجود في الصلاة (ومنها) الصوم وأفعال
 الحج والطواف (ومالية) كإخراج جزء من المال أمثالا لما أمر الله تعالى به . وأنواع
 الواجبات والمندوبات في الاموال والابدان والافعال والاقوال كثيرة لكن هذه أماتها

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بهت الانبياء عليهم السلام من
 أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى افراد الله تعالى بالعبادة لا الى إثبات أنه خلقهم
 ونحوه ^(٢) اذهم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه ولذا قالوا (أجبتنا لعباد الله وحده؟)
 أي لفردة بالعبادة ويختص بها من دون الاوثان ، فلم يشكروا الا طالب الرسل
 منهم افراد العبادة لله ولم يشكروا الله تعالى ولا انه لا يعبد بل أقروا بأنه يعبدوا أنكروا

(١) المنار: الظاهر أن يقال فكان (٢) أي فقط فانه تحصيل حاصل

قال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أي وأنتم تعلمون أنه لا ند له .
 وكانوا يقولون في تأييدهم للحجج : ايبيك لا شريك لك ، الا شريكاً هولك ،
 نعمة وما ملك : وكان يسموهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قولهم لا شريك لك
 ويقول : قد أفردوه جلال جلاله لو تركوا قولهم الا شريكاً هولك . فنفس
 شركهم بالله تعالى اقرار به تعالى قال تعالى (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون)
 ادعوا شركاءكم من دون الله — قل ادعوا شركاءكم كما كنتم كيدون فلا تنظرون)
 نفس اتخاذ الشركاء اقرار بالله تعالى ولم يبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب
 بالدور والنحر لهم الا للاعتقاد انهم اقربهم من الله زائلي وتشفع لهم لديه فأرسل
 الله الرسل تأمر بتبرك عبادة كل ما سواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتمدونه في
 الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون الا لله وحده وهذا هو توحيد
 العبادة وقد كانوا مقرين كما عرفت في الاصل الرابع بتوحيد الربوبية وهو ان الله
 هو الخالق وحده ، والرازق وحده ، ومن هذا تعرف ان التوحيد الذي دعتهم
 اليه الرسل من أولهم — وهو نوح عليه السلام — الى آخرهم — وهو محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم — هو توحيد العبادة ولذا تقول لهم الرسل (ألا تعبدوا الا الله —
 اعبدوا الله ما لكم من اإله غيره) وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة
 ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجاراً ^(١) ويهتف بها عند الشدائد ،
 فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم الى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما
 أفردوه بالربوبية أي بربوبية السموات والارض ، وأن يفردوه بكلمة « لا إله
 الا الله » معتدين معناها عامين بمتنفسها ، وأن لا يدعوا مع الله أحداً . وقال تعالى
 (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقال تعالى
 وعلى الله فتروا ان كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق بالله أن لا يتوكفوا الا

(١) المنار: الاحجار لم تعبد لذاتها وانما كانت تماثيل لبعض العالحين ومذكرات
 بهم أو منسوبة اليهم كأحد أعمدة الرخام في المسجد الحسيني بمصر يتمسح به
 للبركة والاستشفاء لانه منسوب الى السيد البدوي فهو يعرف بهمورد السيد

عليه وان يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالسعاء والاستغفار، وأمر الله عباده أن يقولوا (إياك نعبد) ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله تعالى والا كان كاذبا منبها عن ان يقول هذه الكلمة اذ معناها نخصك بالعبادة وتفردك بها وهو معني قوله (فإياي قاعبدون — وإياي فاتقون) كما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر أي لا تعبدوا الا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا غيره (*) كما في الكشاف، فأفرد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم الا بان يكون الدعاء كله له والتداء في الشدائد والرخاء لا يكون الا لله وحده، والاستعانة بالله وحده والالجا الى الله والنذر والنجر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذلا لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والخلق والتقصير كله لا يكون الا لله عز وجل، ومن فعل ذلك للمخلوق حي أو ميت أو جواد أو غيره فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور الها لها بديهة سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرا أو قبرا أو جنيا أو حيا أو ميتا وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عبداً لذلك المخلوق وان أقرب الله وعبده، فان أقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفلت دعائهم وسبي ذرارهم ونهب أموالهم قال (١) الله تعالى «أنا أغني الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره

(فصل) إذا تقرر عندك أن المشركين لم يفهموا الاقرار بالله مع اشراكهم في العبادة ولا يفني عنهم من الله شيئا وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضررون وينفعون وانهم يقر بونهم الى الله زانين وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى فنحروا

(*) المنار: الحصر جامع بين الأثبات والنفي والمنفي اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره واتقوه ولا تتقوا غيره فايراد صيغتي النفي إما تحريف من النسخ وهو الأرجح وإما سبق قلم من المؤلف.

(١) قوله قال الله تعالى أي في الحديث القدسي ولفظه (قال رسول الله ص) يقول الله تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه فحري أنكره وشركه) رواه مسلم كتيبه محمد محمد فاضل

لهم النجائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم
 وسجدوا لهم ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم كما أشركوا
 في عبادته جعلهم شركيين ولم يعتد باقرارهم هذا لانه نافاه فملهم فلم يفهمهم الاقرار
 بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقر الله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرد بتوحيد
 العبادة فإذا لم يفعل ذلك فالأقرار الاول باطل، وقد عرفوا وهم في طبقات النار
 وقالوا (تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) مع انهم لم يسوؤم
 به من كل وجه ولا جعلوهم خائفين ولا رازقين لكنهم علموا وهم في قدر جهنم
 أن سخاطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى
 بين الاصنام، وبين رب الانام، قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم
 مشركون) أي ما يقر أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خاتمه وخالق السموات والارض
 الا وهو مشرك بعبادة الاوثان^(١) بل سمي الله الرياء في الطاعات شركا مع أن فاعل
 الطاعة ما قصد بها الا الله تعالى وانما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس
 فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس فلم تقبل له عبادة
 وماها شركا كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل
 عملا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه) بل سمي الله التسمية بسبب الحارث
 شركا كما قال تعالى (فلما آتاهما صالحا جلا له شركاه فيما آتاهما) فانه أخرج
 الامام أحمد والترمذي من حديث سمرة أنه قال صلى الله عليه وسلم لما حملت
 حواء وكان لا يمشي لها ولد - طاف بها ابليس وقال : لا يمشي لك ولد حتى
 تسميه عبد الحارث فسمته فهاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره فأنزل الله الآيات
 وسمى هذه التسمية شركا وكان ابليس تسمى بالحارث^(٢) والقصة في الدر المنثور وغيره^(٣)

(١) المنازل : أي بعبادة غيره تعالى معه اذ لا فرق بين الاوثان وغيرها في ذلك
 (٢) الحديث معلول من وجوه كما بينه ابن كثير في تفسيره ولكن المعنى
 الذي قصدته المؤلف صحيح

أومالك أوجني أوجي أوميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى — إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك^(١) فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الأوثان فضلاً عن ينذر بماله وولده لميت أوجي أو يطلب من ذلك مالا يطالب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية من يرضه أو قدوم غائبه أو نيله لاي مطالب من المطالب فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام . والتدور بالمال على الميت ونحوه والتحرر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية وإنما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصناً وفعله القبوريون لما يسمونه وائياً وقبراً ومشهداً . والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني — ضرورة لغوية وعقلية وشرعية ، فإن من شرب الخمر وماها ماء ما شرب إلا خمرًا وعقابه عقاب شارب ، الخمر وأمله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية : وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق صلى الله عليه وسلم فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها بئيداً وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس لعنه الله فإنه قال لابي البشر آدم عليه السلام (يا آدم هل أدراك على شجرة الخلد وملاك لا يبلى) فسمى الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذبا لطبعه اليها وهزاً انشراطه إلى قربانها ، وتدلها عليه بالاسم الذي اخترعه لها ، كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظالة مائة ضوونه من أموال عباد الله ظالماً وعدواناً أدبا فيقولون أدب القتل : أدب السرقة : أدب التهمة ، يتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم التفاعلة وفي بعضها إلى اسم السبابة وفي بعضها أدب المكائيل والموارين . وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة

(١) المراد حديث توسل الاعشى والرواية القوية ليس فيها ما يحل بالتوحيد كما بينه شيخ الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة وهو كتاب لا يستغني عن قراءته أو سماعه مسلم في هذا العصر

الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن ابليس حيث سمي الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد

وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجهم^(١) عن اسم الصنم والوثن اذ هم ماملون لها^(٢) معاملة المشركين للاصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لاركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي وأهل التهامم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون يازيلمي يا ابن المعجبل، وأهل مكة وأهل الطائف: يا ابن العباس وأهل مصر يا رفاعي — يابدوي — والسادة البكرية: وأهل الجبال يا أبا طير: وأهل اليمن يا ابن علوان. وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهو^(٣) بعينه فعل المشركين في الاصنام كما قلنا في الايات النجدية

أعادوا بها معنى سواع ومثله يعبث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المخطر بالصمد الفرد
ولم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت انفير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا وياتمس الاركان منهن بالايدي
فان قال انما نحررت لله وذكر اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلاي
شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتمتد فيه؟ هل أردت بذلك
تعظيمه؟ ان^(٤) قال نعم فقل له هذا النحر اعير الله بل أشركت مع الله تعالى
غيره، وان لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيع باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه؟
أنت تعلم يقيناً انك ما أردت ذلك أصلاً ولا أردت الا الاول ولا خرجت من بيتك
الا لتصد، ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذي عليه ولا شرك بلاريب (بها بقية)

(١) وفي نسخة: وهذا لا يخرجهم (٢) وفي نسخة: بها. هذا وان القرآن قد يجبر
عن تلك المعبودات بالاولياء ونهى عن اتخاذ الاولياء من دونه. (٣) وفي نسخة:
وهذا بعينه (٤) أم لا فان قال
(المنار: ج ٤) (٣٦) (المجلد الثالث والعشرون)

الخلافة الإسلامية

و ترجمه بالعربية	ألفه باللغة الأوردية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد	أحد زعماء النهضة الهندية
الشيخ عبد الـ زاق	مولانا أبو الكلام
المليح آبادي	محي الدين آزاد
محرر جريدة (بينام) الهندية	صاحب مجلة الهلال الهندية



﴿ شرح حديث الحارث الأشعري ﴾

أما طاعة الخليفة في السنة ، فقد تضافرت الأحاديث الصحيحة في وجوبها واشتهرت اشتهارا عظيما حتى أنه لم يصل حكم بعد عقيدة التوحيد والرسالة الى هذه الشهرة والتواتر -

وها أنا ذا ذاكر ههنا أولا حديثا من مسند الامام أحمد وسنن الترمذي يوضح نظام الاسلام الاجتماعي توضيحا حسنا ، - فأقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا آمركم بحمسة ، الله أمرني بهن : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله - فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلم ربقة الاسلام من عنقه الا أن يرجع - ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جنى جهنم - قالوا يا رسول الله ! وان صام وصلى ؟ قال وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم من حديث الحارث الأشعري على شرط الصحيحين ، قال ابن كثير هذا حديث حسن وله شواهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحمسة :

أولهن « الجماعة » أي يجب على الأمة أن تجتمع على الامام وتمين امره مرتبطة بمرکزها الاجتماعي ، وسترى كثيرا من الأحاديث التي تحذر من الوحدة والترقة

وتعلمها حياة جاهلية شيطانية ، اذ الاعلام لا يحسب الحياة الفردية حياة ،
 وإنما الحياة عنده « الحياة الاجتماعية »
 ما « الجماعة » كتلة من الآحاد ، تربط بعضهم ببعض رابطة « الاتحاد »
 و « الائتلاف » ويكون فيهم « الامتزاج و « النظام »
 هاتيك الجماعة ولوازمها الاربعة : الاتحاد والائتلاف والامتزاج والنظام
 أما « الاتحاد » فهو أن يكون الافراد متصلا بعضهم ببعض ، فلا عوامل
 التفرقة ، تفرقهم ولا التشتت يبددهم ، بل يكونوا جميعا متقاربين ، وأن تكون
 أعمالهم كذلك متوافقة غير متخالفة ، وجهتها واحدة وغايتها واحدة
 وأما « الائتلاف » فهو أخص من « الاتحاد » اذ الاتحاد مجرد الاتصال ،
 و « الائتلاف » هو الاجتماع والاتصال بتناسب صحيح وترتيب حسن ، فيقدم
 فيه ما حقه أن يقدم ، ويؤخر فيه ما حقه أن يؤخر ، ويوضع الفرد في الجماعة
 بالمكان الذي يؤهله له استمداده وقوته ، فلا يستخدم في الشرطة من هو أهل
 للسيادة والقيادة ، ولا يرفع - الرياسة السياسة - من لا يصلح الا للشرطة
 وأما « الامتزاج » فهو أخص منهما ، ويراعى فيه اتحاد الكيف أكثر من
 اتحاد الكم - أي ينظر في طبائع الافراد حيث استمدادهم الاجتماعي ، فيلحق
 كل واحد بالذي يكون أكثر موافقة لطبعه ليتحدوا تمام الاتحاد ، اذ لو لم يراع
 ذلك لا يتأتى الاتحاد بين أفراد مختلفة الامزجة والطبائع ، كما لا يتحد الزيت
 والماء - وإن الله سبحانه كما خلق العناصر ليتكون باجتماعها المناسب مركب
 مخصوص ، كذلك خلق الافراد ليكونوا باجتماعهم « جماعة » فالافراد « عناصر »
 والجماعة « مركب » وكما أن العناصر لا تكون « مركبا » الا اذا امتزجت
 امتزاجا تاما ، كذلك الافراد لا تكون « جماعة » الا بهذا « الامتزاج » -
 فاذن يجب أن يتمازج الافراد بعضهم ببعض وينموا وجودهم في سبيل تكوين
 الجماعة بحيث يحسبهم من يراهم شيئا واحدا ، ولا يكون ذلك الا بعد
 الامتزاج التام

وأما « النظام » فهو ان يحل كل فرد في الجماعة محله ، يدور في دائرته ويسمى
 في داخل حدوده ويمثل عمله الاجتماعي فيه
 ولا تتحقق هذه الامور اذا لم تكن قوة «سيطرة على الاجتماع ، ويدة
 مديرة للجماعة ، فتوحيد الآطاف المنتشرة وتؤلف بينهم وتمزج بعضهم ببعض

وتخربهم في نظام الجماعة — فلا بد إذا من «امام وخليفة» ولا مفر للأفراد من طاعته والخضوع ، اذا كانوا يريدون ان يحيا حياة اجتماعية طيبة — فمقام الامام أو الخليفة في الهيئة الاجتماعية مقام النقطة من الدائرة ، وعماله بمنزلة الدائرة نفسها ، فأحاد الأمة يدورون حول هذه الدائرة ، وهي تدور حول تلك النقطة — وبهذه الصورة تتكون من اجتماع الافراد ، « الجماعة » ويصيرون كتلة واحدة وجسماً واحداً حياً ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد — وبهذا أمر المسلمون ومنعوا من الوحدة والفرقة وأوجب عليهم أن لا يعيشوا بدون إمام ، سواء كثروا أم قلوا ، حتى لو كانوا ثلاثة ووجب عليهم أن يؤمروا أحدهم لقوله صلعم « اذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » وقد جعل الله سبحانه صلاة الجماعة — التي هي عماد الدين ومثال كامل للمقائد والاعمال — نموذجاً ليهتدي بها المسلمون الى تنظيم حياتهم الاجتماعية فانظر كيف يجتمع مئات وألوف أو طائفتهم متناهية ، وجهاتهم متباعدة ، وألوانهم متغايرة ، وألبستهم متخالفة ، فبينما هم في هذه الحالة ، اذ تفرع سمعهم التكبيرية فيتحول الانتشار الى الاجتماع والتفرق الى الائتلاف ، فهم وقوف في صف واحد ، أجسامهم متلامسة ، أكتافهم متلاصقة ، أقدامهم متقاربة ، ووجوههم متوجهة الى جهة واحدة ، اذا كانوا قياماً ، فكلهم قيام . كأنهم بنيان مرصوص ، واذا كانوا قعوداً فكلهم قعود ، باطنهم كظاهريهم متحد ومؤتلف ، قلوبهم بذكر واحد مشفولة ، وألسنتهم للفظ واحد مرددة . ثم انظر أمامهم فلا ترى هناك الا رجلاً واحداً يؤمهم ويقودهم ، متى شاء أقامهم ، ومتى شاء أقعدهم ، كلهم طوع أمره وسمعواون لكلمته ، لا يخالفونه ولا ينازعونه ، بل يتبعونه ويتقنون به ويطيعون له ^(١)

هذه هي « الجماعة » التي يطالب بها الاسلام ، ويأمر المسلمين أن يجعلوا هيئتهم الاجتماعية على أسلوبها لا كما يزدحم الهمج في الاسواق — هذا وكل ما ذكرناه من أوصاف الجماعة وخصائصها مأخوذة من الكتاب والسنة ، وقد أغفلنا ذكر الشواهد عمداً لضيق المقام وعدم الحاجة اليها

(١) المنار: وظاهر ان هذا الاتباع يتفقد به الامام كالأعموم بنصوص الشرع فمشتتة فيه لاقامة المأمومين وافعادهم ليست مطلقة فاذا اخرج عن الشرع فارقه وأدبوه، وكذلك الامام الاعظم وهو الخليفة وقد أشار السكاكبي الى ذلك في الكلام على الطاعة

(٢) ثانيهن «السمع» وهو أن نستمع الامة أو امر الامام وتسهدي به ، وكلمة «السمع» توحي أن مقام الامام في الامة مقام المعلم والمرشد - فطليها أن تتلقى أوامره بالقبول وتمتد به في مهماتها -

(٣) ثالثهن «الطاعة» وهي أن يطاع الامام طاعة تامة ، ويفوض اليه جميع القوى العاملة تقريباً كلياً^(١) ويمثل كل فرد من الامة بأمره بدون أدنى عذر ولا ضجر . ومعلوم أن الطاعة في المعروف لا في المنكر

(٤) رابعهن «الهجرة» وهي من «المهجر» ومعناه «الترك» ففي المفردات «المهجر والمهجران مفارقة الانسان غيره ، اما بالبدن أو باللسان أو بالقلب . والمهاجرة مضارمة الغير ومناكرته» (صفحة ٥٥٨) وأما في الشريعة فهي أن يترك رجل أو جماعة الملاذ الدنيوية والرغائب النفسية في سبيل الحق والسعادة^(٢) فنلا اذا ترك أحد لفرس عام وقصد مال ماله وراحته وأهله وأقاربه وعشيرته وبيته ووطنه ، يسى عمله هذا في الشريعة «الهجرة الى الله والذهاب الى الله» وقد غلب استعمال «الهجرة» في ترك الوطن ، لان تركه يستلزم ترك المال والاهل والاصدقاء وكل ما يحب ويؤلف في الوطن - ولذا اذا أطلقت يكون معناها ترك الوطن ، واذا أضيفت الى شيء يفهم معناها حسب الاضافة ، قال النبي صلعم «وانما لكل امرئ ما نوى» فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لذيها بصيها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه (البخاري عن عمر - رض) فالهجرة أنواع وأقسام تجدها مبينة في الكتاب والسنة وليس هنا محل تفصيلها

(٥) خامسهن «الجهاد في سبيل الله» وهو من «الجهد» ومعناه «استفراغ الوسع في مدافعة العدو ظاهراً أو بائناً» (مفردات) فالجهاد هو السعي الطبيعي

(١) النار : الحق ان الخليفة مقيد في الاسلام بمشاوره أهل الحل والعقد كما انه مقيد بالشرع ، فتتويضه ليس مطلقاً

(٢) الهجرة الشرعية هي ترك دار الكفر الى دار الاسلام وكذا كل مكان لا تستطيع فيه ان يقيم دينه بحرية وليس هو المعنى الشرعي الاصيل ويحتجون له بحديث « والمهاجرين من ديار السوء» وهو وصف للمهاجر الكامل كحديث «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» فان لم يهجر السوء لا يكون صادقاً في هجره ووطنه لاجل الحق الذي رضى الله تعالى كما يؤخذ من حديث النبية

لنعم الاعداء والتدود عن الامة ، ويكون باللسان والمال والنفس ، فكل ما يبذله الرجل في سبيل الله حسب الحاجة والضرورة فهو جهاد في سبيل الله كما قال النبي صلى الله عليه «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم» (رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن أنس رضي الله عنه)

ولسنا في حاجة الى أن نثبت أن على هذه الجملة تتوقف حياة الامم وقيامها وبقاؤها ، اذ كل من له ذرة من العقل يعلم حق العلم أنه لا تستطيع امة أن تفوز في معترك الحياة بدونها ، أو تنجح في أعمالها صغيرة كانت أو كبيرة بغيرها ، فحواء عليها أن تسعى لحصول خير من البر ، أو تذهب لكشف القطب الشمالي ، فهي على كل حال تحتاج الى هذه الاصول الخمسة ، والتي تمرض عنها تخسر ثم تسقط حتما ، وان كل ما نراه الآن في هذه المعمورة العظيمة من الحضارة والري والصناعة ، نتيجة لهذه الخمسة : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد ان النزاع والخلاف الذي ملأ الخافقين ، انما هو ناتج عن شيء واحد ، وهو تمدد الاسماء لمسمى واحد ، وكثرة المصطلحات لحقيقة واحدة ، فانك ان دقت النظر في جدال الناس ، ترى معظمهم متشاجرين في الاسماء والالفاظ والمصطلحات ، مع أنهم لو جردوا الحقيقة عن الظواهر لاملأوا أنها واحدة ، وعند الجميع سواء ، لكنهم لسوء الحظ لا يفعلون ذلك فيتخبطون طول صهرم في تيهاء الالفاظ والمصطلحات ويتناطحون عليها

وقد كثر مثل هذا النزاع في العلوم والمعارف ، والموفق من لا يخذعه الظواهر ، فلا يرى الحقيقة بمنظاره الخاص المصنوع من الالفاظ والمصطلحات ، بل يراها مجردة كما هي — وهذا المقام مقام الرسوخ في العلم ويسميه الشيخ احمد ولي الله صاحب «حجة الله البالغة» «بعلم الجهم بين المختلفات» وعامة أصحاب السلوك والاشارات يسمونه «بمشهد الوحدة» ويقصدون به نفس هذا المقام الذي يضل السالك بعد زوال الحجب والاستار عن عينيه

فاذا بحثت بمد هذا ، تعلم أن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد — من تلك الحقائق العامة المسلمة التي لا ينكرها أحد من البشر — والامم بأجمعها سائرة عليها من أول خلقها و متمسكة بها أشد التمسك — وانما النزاع فيها والانكار عليها جاء من تلك البلية التي ذكرناها آنفا ، أي التشبث بالاسماء والمصطلحات . فلاجل هذا أنكرها كثير من الناس لاسمائها الاسلامية ، وليكنهم يقبلونها

ويعلمون بها بغير هذه الاسماء. والذي يرد هذه الحقائق تنسها يحرم من الحياة، ولا يرى في دنياه الا الخيبة والامسار

وها أنا ذا أسوقها اليك واحدة واحدة مع بيان وجيز لتفهم ما صرحق القوم، فانظر الى أولهن، وهي «الجماعة» التي علمت معناها وخصائصها، فقل أي شيء يتم بدون الجماعة والاجتماع؟ دع ما قالت فيها الفلاسفة والحكماء فانه دقيق يخفى على كثير من الناس، وألق عليها نظرة عامة ترى أن الفرض من البيئات والاحزاب والجميات المنتديات والمجالس والمحافل والبرلمان، بل من الامة والوطن والجيش «الجماعة»، والتزام الجماعة «أيمكن لأحد أن يستغني عن الجماعة؟ حتى ان أولئك الذين يمشون في الغابات عراة متوحشين يضطرون الى الاجتماع اذا أهمهم أمر، أو وقع فيهم شقاق؟ يجتمعون للبحث في شؤونهم وامصلاح ذات بينهم، ولو تحمت شجرة على التراب — فتلك «الجماعة»

ولكن ماذا تنفي الجماعة اذا لم يوجد من رأسها ويرشدها؟ ولذا اذا اجتمع بضع رجال لاسر جامع بينهم، تبادروا الى انتخاب الرئيس وقالوا اذا لم يرأى الجلطة أحد لا تكون قانونية ونظامية، وكذلك اذا أرادوا تنظيم جيش فسبوه فقام من الف ومائة وعشرة، وجعلوا على كل منهارؤساء (اي تابعين لرئيس واحد وهو للقائد العام) وقالوا بدون هذا لا يكون الجيش جيشا، ولا يستطيع أن يسل عملاء، فاذا كان قولهم هذا عن جماعة من عشرة او خمسة، فاذا يقال عن أمة مكورة من نوف وملايين من الرجال والنساء أفلا تحتاج الى قائد يقودها ورئيس يرأسها وهل تقدر على عمل اجتماعي بدون الامير؟ ثم أي فائدة من الامير اذا لم يطع؟ خذ لك أقرب مثال اليك وهو بيتك الذي تسكنه مع زوجتك وولديك — فان همت الزوجة أمرك وتسرعايك أولادك. أفلا تغضب عليهم وتقول والناس معك هذا بيت لا يفلح أهله أبدا، لانه لا نظام فيه ولا راحة، بل هو مبتلى بحرب أهلية! وهل هذا الذي تقول غير «الجماعة» والسهم والطاعة» — فكما أن هذا البيت لا يفلح، كذلك لا يفلح الامة التي لا جماعة فيها ولا سهم ولا طاعة» —

وأما «الهجرة» فينتشر منها كثير من الناس، لانهم يحسبون انها من بقايا ذلك العهد الذي كان فيه الانسان في حبل ووحشية وهمجية ومصابا بالجنون الديني — فكان يهلك نفسه ويقتل عواطفه ويترك راحته لاجل الدين — ولكنهم ينسون أن ما يهرون منه، تدعو اليه البشر مدنيتهم أيضا، وانك

قد علمت معنى « الهجرة » وهو أن يؤثر الانسان المقاصد العليا الدنيا - وأن اضطر في هذه السبيل الى هجران أهله وماله ووطنه وأمته وملاذه هجرها فرحاً مطمئناً ، فقل أي نجاح يصادفه الانسان في العلم والعمل إن لم يكن صدره مملوءاً بهذه العاطفة العالية ؟ وما هذا التقدم المدني والعلمي ، وما هذه الاختراعات العجيبة والاكتشافات المدهشة ، والاموال الكثيرة ، والتجارة الواسعة ، والمستعمرات العظيمة ، ووسائل المعيشة المتنوعة ، وورق البلاد ، وعلو الامم ، ونسمة المدنية ؟ أليست نتائج « الهجرة » وثمراتها ؟ وذلك لان الانسان - أفراد وجماعات - لو لم يؤثر المقاصد العالية والمزائم الكبيرة على راحته وأهله ووطنه ولم يهجر كل شيء في سبيلها لما رأينا اليوم مآزاه في الدنيا ، بل رأينا الجهل مقام العلم ، والوحشية مقام المدنية ، والخراب مقام العمران - وما قولك في علم الطب وتقويم البلدان وعلم الحياة الانساني ؟ أكان يمكن أن تصل هذه العلوم الى ما وصلت اليه ، لو لم يهاجر كثير من البشر في سبيلها ، لاجل معرفة تفاصيلها واستقرار جزئياتها ؟ لو لم يهاجر كولبوس لما علمنا عن نصف الدنيا شيئاً ، ولو لم يهاجر الفرييون لما شاهدنا في واشنطن ونيويورك المباني الفخمة والقصور العالية ، ولو لم يهاجر الامم الاوربية لما أصبحت أعنى الامم - عجباً ! اذ رأوا المهاجرين زرافات ووحيدان يقصدون الى منطقة القطب الشمالي قالوا هؤلاء عظماء الرجال حقاً كل العلم فيهم ، وحلت الوطنية الصادقة في قلوبهم - ثم اذا علموا أنهم هلكوا على بكرة أبيهم دون أن ينالوا بغيتهم ، أقاموا عليهم المآتم ورثوهم وبكوا عليهم وقالوا مات النجباء ! ولكن اذا سمعوا الشريعة الالهية تسمى مثل هذا العمل « بالهجرة » وتدعو الناس اليه - تقروا منه وأنكروا واسودت وجوههم - تراهم يجدون أولئك الرجال الذين هجروا أوطانهم لكشف منبع النيل وهلكوا في مجاهيل أفريقية ، ولكن اذا علموا رجال هاجروا في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ، ذمهم أشد الذم وسموهم « مجانين وهمجاً » ثم اذا رأوا نيوتن يهجر نومه ويسهر الليالي الطويلة ليحقق « ناموس الشغل » أعظموه وسموه بأسماء كريهة ، ولكن إن رأوا رجلاً يجهد نفسه مثل نيوتن لناموس الشغل بل لناموس نجاة العالم وسمادته وهدايته أنكروا عليه صمته وعدوه من الوحوش ! فما هذا الجنون ؟ وما هذا التناقض يا ترى ؟

زى اليوم الامم الغربية تمتد أن فلاحها وحياتها في الاستعمار (كأنويل سستم)

وتتصادم وتتناطح ويهلك بعضها بعضا لاجل المستعمرات — ولكن ما الاستعمار؟ أليس الغرض منه ترك الوطن والهجرة من أرض الى أخرى وتعميرها واستحصاال الثروة منها ، وتكثير غنى الامة بها ؟ فما رأيك بعد هذا ؟ أليست الدنيا كلها متمسكة بنظام « الجماعة والسمع والطاعة والهجرة ؟ نعم هي متمسكة بها الا أنها لا تسميها بأسمائها الاسلامية !

وأما « الجهاد » فما أكثر استفظاع بعض الناس له ، وما أشد انكارهم عليه ! اذا سمعوه جعلوا أصابعهم في آذانهم واضطربوا منه اضطرابا شديدا ، وقالوا الاسلام يستحل الدماء البريئة، ويدعو البشر الى المساواة والبربرية، والمجزرة الانسانية ، فهو دين وحشية وهمجية — ولكن ما أشد استماعهم لقول دارون ورنسل ووياس « ان من الحقائق الثابتة « ناموس تنازع البقاء » « وناموس انتخاب الطبيعة » « وناموس بقاء الاصلح » فاذا سمعوا هذه الكلمات اصغوا اليها هادئين ، ساكنين ، وآمنوا بها مصدقين ، موقنين ، ولم يترعجوا من هذه النواميس القتالة والداعية الى سفك الدماء ، بل قالوا انها كلها حق ، ومؤيده بالبراهين القوية، والمشاهد العينية ، لانا نرى الحياة كلها عمرا كامرزا حية ، الانسان وما دونه من الاحياء كله يزاحم معارضه في الحياة ويدافع غيره ويهلكه ويحل محله، وهذا طبيعي، ولا بقاء لحى بدونه؛ ثم اذا أخبرهم بأن النواميس التي يخضع لها سائر الموجودات يخضع لها الجنس البشري ، وأن الامة التي تثبت أنها اصلح للقيام بالحق والهداية ، تمشي وتحيى ، والامة الفاسدة وغير الصالحة تهلك وتفتى ! وتحل محلها الاولى « ليظهره على الدين كله » لم يقبلوا هذا وتولوا عنه مدبرين ، ولو وجعوا الى رشدهم لضحكوا على أنفسهم اذ الذي يردونه باسم « الجهاد » (١) قتلونه بأسماء أخرى ناقصة الدلالة على مسماها! والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل!

(١) المنار: أوجز الكاتب واختصر في بيان هذه المسألة وأسهب فيما عداها وأطرب ، صواب القول في الجهاد الاسلامي أنه بذل الجهد في حفظ الحق ودفع الباطل، لتفريب المصالح وابتالة المفاسد ، وأما الجهاد العام، غير المقيد بهداية الاسلام فهو بذل الجهد من كل حي لحفظ حياته ومنافعه شخصا كان أو جماعة بالحق أو بالباطل ، ولكن قصرنا في بيان حقيقة الاسلام حتى لاهله ، وأعداءهم جدوا وشمروا في تصويره بضد حقيقة ففروا منه حتى الكثير من الالبيين للباسه

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقبيل وتصيب ومخصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان

٣

تشيع الكاتب على جمال باشا بالاستانة

وما وصلت الى الاستانة حتى بدأت بشرح ماجرى في سورية من افعال الشدة والقسوة وارهاق الحد وذكرت ذلك في جميع المراكز بدون استثناء ولا يوجد تقريباً واحد من كبار رجال الدولة القدماء أو الجدد إلا وهو يعلم اني كنت منتقداً ادارة جمال في سورية مشدداً النكير على الدولة في اركانها العنان لهذا الرجل الى هذا الحد . ويصعب عليّ الآن استقصاء شهودي على ذلك سواء من الفئة المعارضة للاتحاديين أو الفئة الموافقة لهم فان ذلك يطول جداً وأما اجتزىء بالاستشهاد بمجلاة السلطان وحيد الدين نفسه الذي بقيت بين يديه أكثر من ساعتين أبسط له ما حدث في سورية من الامور وأبين له وجه الظلم والخطأ فيها وكذلك بولي عهد السلطنة الامير عبد المجيد افندي الذي تكلمت معه في هذا الشأن مراراً وكان كل منهما يتنفس الصعداء ويتأوه ويعد يبذل جهده بأصلاح الامور وإيتاء العرب حقوقهم وانصافهم من ظالمهم وذلك عند ما توضع الحرب أوزارها وينتصب الميزان ويبدأ بالحساب . وبقيت في الاستانة من أوائل سنة ١٩١٧ الى نهاية الحرب واستحضرت عائلتي اليها وتحملت نفقات الغربة حتى لا أعود الى سورية وجمال باشا فيها مع اني كنت أصرح امام الجميع اني من جهتي الشخصية لا أقدر أن أشتكي منه بشيء بل يجب عليّ الشكر له لمزيد الرعاية وبالغ العناية اللتين كنت أراهما منه نحوي وانما أشكو بطشه وعنفه وسفكه للدماء وشدة استبداده وما يعمود بذلك من الضرر بالدولة وبالجامعة المثمانية

ولما حضرت الى المانيا أولهم مرة سنة ١٩١٧ سميت باقتناع الالمان في طلب صرفه عن سورية وكان لهم بذلك يد وأرسلوا الجنرال (فالنكنهاين) قائداً لفلسطين وقطعوا علاقة جمال بالجيش المرابط فيها وما زال نفوذ جمال يقل

ودائرة اختصاصه تضيق الى أن طلب هو الرجوع الى الاستانة وذلك قبل دخول الانكليز بقليل ولما جاء الى الاستانة ووجد التكبير عليه عاماً كان كن استيقظ من منام ، وتبدل مرارة الحقائق بحلاوة الاحلام ، وربما تذكر ما كنت أنحاه إياه من النصيحة وأنهاء به عن الشدة والبطش ولا سيما عن القتل لانه غير قابل للتلافي وما شعرت يوماً الا وأحد أصحابي وأصحابه يشكلم معي في الذهاب الى نظارة البحرية للسلام على جمال باشا ويلح جداً بذلك فقلت ليس بيننا أدنى شيء يوجب النفور شخصياً وانما كان النفور منبعثاً عن اختلاف في الرأي وانه كان يرى الشدة ضرورية لحفظ سلامة المملكة وأنا كنت أرى الذي أتاه معجلاً في مجريتها ، وذهبت وسمعت عليه وتصلحت معه وعاتبني على حملائي عليه وقال لي ان رفقاءه كانوا يقولون له إن شكيب أرسلان بك هو أيضاً في مقدمة الناقدين الناقمين وهو ممن لاشك في صدقهم وانه هو كان يجاوبهم نعم انه مخاص ولكنه رقيق القلب ويريد أخذ الامور كلها بالنفوس. فدار بيني وبينه جدال طويل أنذكر منه اني قلت له يا مولانا عند ما أتيتهم بالزهر اوي من باريس وجعلته موه في مجلس الاعيان كنت أنا مستقداً هذا العمل ولكن بعد ان عفونم عنه ومضى على ذلك ثلاث سنين تأخذونه من مجلس الاعيان وتشتقونه : هذا انتقده أكثر ، لانه خطأ أعظم من الاول ، ثم لا يكفي شئق الزهر اوي بتلك الصورة حتى ينهى الى الا ناضرل والده البالغ من العمر نحو ٩٠ سنة فكيف تريد أن لا انتقد هذه الاعمال : وقد دافع عن نفسه ببعض أجوبة لا تخرج عن الترداير العسكرية التي يعملها كل قائد في أثناء الحرب . وأنا لا أنكر ان جمالا تصرف تصرف أي قائد أوربي أودع اليه أمر مستعمرة آسيوية أو أفريقية وليس في قواد فرنسا ولا انكلترا كثير يتقدرون أن يرموا جمالا بحجر كما يقال او ان يعيبوا مظالمه لانهم جميعاً تقريباً يسلكون هذا المسلك وأفظم منه وهذا تاريخ استعمارهم في الهند وفي مصر وفي الجزائر وفي تونس وفي الكونغو الخ أصدق شاهد على ما تقول وفي الحرب العامة قد جرت من فريقى الدول المتحاربة كلمات يدفريق على آخر من المناكير والموبقات وغرائب القسوة والوحشية ما يزيد على أعمال جمال ولكن جمالا تركي عيبه ظاهر ، ولا يوجد له ساتر ، وأما القائد الانكليزي أو الفرنسي اوي فهذا مسموح له عند بعض أبناء وطننا بأن يفعل ما يشاء فلا يتعرض بذلك

لا انتقاد أحد منهم ولو فات الوحوش في أعماله لأنه كما ورد في المثل العامي :
« من بيت الرففور ، ذنبه مغفور »

على أن وجه انتقادنا على جمال هو كون سورية ليست مستعمرة ولا الدولة العثمانية هي دولة أوربية فان الدول المعهودة اذا قدم من عمالين يدي الماركان لمن من القوة المادية ومن الثروة ومن البسطة ما يغطيه (١) وأما الدولة فليس عندها من القوة ما يغطي عيوبها ولو فازت المانيا وتركيا بهذه الحرب لما وجدت أحداً انتقد جمالاً من هؤلاء الذين يملأون الدنيا سخبا عليه اليوم بل يقحمون في زمرته اناساً أيديهم طاهرة من جيم ما عمله ولما كانوا اليوم ينوهون بمثابة جمال واقلامه وحزمه

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولا أم الخطي الهبل
مسألة محاولة جعل سورية تركية

قال لي بديع بك المؤيد بمبعوث الشام عقب عودتي الى الاستانة انه يوجد قانون مراد الحكومة إلقاءه الى المجلس للمناقشة فيه وتصديقه وهو يتضمن جواز تبديل أملاك المبعدين بدون تعيين وانه بعد تصديق هذا القانون يمكن الحكومة نزع أملاك المبعدين من سورية واعطاؤهم عوضاً عنها في الاناضول وكان شاع أن جمالا ينوي هذه النية وانه أسس (قومسيون التهجير) لهذه الغاية ، وأخذوا باحصاء أملاك المبعدين . فذهبت الى نجم الدين بك ملا رئيس الشعبة الخامسة في مجلس الامة وحكيت له القصة فلم يمتقد أن المراد بهذا القانون منفيو سورية ولكنه أشار عليّ بمذكرة طلعت ، ثم ذهبت الى الحاج عادل بك رئيس مجلس الامة فأشار عليّ بمراجعة الحكومة وصرافها عن هذا المشروع قبل طرحه في المجلس ، فصادف أنني مرضت بهاتييك الامة (٢) ولزمت محلي

(١) المزار : اسمي الكاتب هنا الافك وقلب الحقائق فيما تذييه البرقيات والجرائد فهذا لا يغطي مظالمهم فقط بل يحيل السيئات حسنات بمنون بها على المظلومين المقهورين (٢) كذا في الاصل فهل هو محرف عن الآونة أم استعمل الكاتب الالهة بمعنى الحين كما قال بعضهم في تفسير قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة) وقوله (وادّكر بعد امة) والصواب عندنا في تفسيره ما جرى عليه اليضاوي من انه بمعنى الطائفة من الزمن فهو استعمال للامة في غير الاحياء فتفسرها بالحين تفسير بلامني في الجملة لالغوي ، قال الراغب : وحقيقة ذلك أي في الآية الأولى : بعد انقضاء أهل عصر أو أدل دين اه . ولكن هذا الوجه لا يظهر في الآية الاخرى

جاءني سمع الله بك الملا مبعوث طرابلس وأخبرني أن القانون عند حامد بك مبعوث حلب وقد روجع في تأخيره الى أن أكون شفيع من وعكتي وذهبت الى المجلس فأبى وأنه ان طرح القانون في المجلس خيف تصديقه بالاكثرية فاضطرت أن أؤوم من قراش مرضي وأذهب الى الباب العالي وكان طلعت تولى الصدارة جديداً فيما حكيت له القصة أجابني فوراً : هذا قانون لن يذهب الى المجلس أبداً . كن مستريحاً . ثم سحبه وانطوت هذه المسألة التي كتبت أنا السبب الوحيد في دفعها كما يعلم كثير من الرء الاوما كنت لا تفر شيئا لذكر هذه الخدمة ونشر مكنونات لم يكن في البال اظهارها حرف نسبة التبرجح لولا ان شديق بعض الاعضاء بما يتشددون به من الافتراء والافتئات، واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها السنة أمثالهم

اعادة السوريين المنفيين

كذلك القرار الاول باعادة منفيي سورية الى أوطانهم حصلت عليه بواسطة طلعت و خليل ونسيمي و جاويد ولم يكن لي فيه شريك مطلقا وقد امت تقرراً بواسطة جاويد — أقول فيه أنه لا يوجد أدنى محذور من اعادة هؤلاء المنفيين الى سورية وانني اكلهم بنفسى كفالة عامة وأقدم عن كل شخص منهم بمفرده كفالة خاصة من رجل مأمون . فرد جمال هذا القرار وكان يومئذ لم يزل في سورية وكان انكسار الانكاز عن فلسطين في واقعتي غزاة الاوليين قد كسب جمالا جمالا ورونقا فلم يريدوا أن يكسروا كلمته وقد اندرهم بالاستعماء ذا أمر مجلس النظار على هذا القرار ، وذهب انور بنفسه ثاني نوبة الى سورية ومدحت شكري ناموس جمعية الاتحاد والترقي ولم يقدر على اقناعه فعاد انحنى حينئذ ، وبلغني الخبر فذهبت الى طلعت وقلت له صبح ان جمالا لم يقبل قراركم رجائي ان اصبر عليه شهرين فقط وانه بعد ذلك ينفذه . ثم اخذ يأذن لانس المنفيين بالتنقل من مكان الى آخر كلما راجعنا في قضية واحد اجاب الطلب . كذلك انور صار يتعاهد المنفيين بالاحسان والفضله وكانت سنين عسيرة اثناء الحرب كما لا يخفى فاضفت زيادات كثيرة على مرتبات قسم من المنفيين من جبل نان كانوا باسكيشهر وآخرين من المدينة المنورة كانوا بكو تاهية وعشاق وازمير غيرها وكانت هذه الملاوات كلها من دائرة التشكيلات التي كانت تابعة نظارة لمرية وكنت في آخر كل شهر اطالب بها وارسلها كما انني كنت اردد دائما الى نسبة المهاجرين في الباب العالي استنجر دفع شهريات المنفيين بأجمعهم فكانت

الدولة تتقدم كل شهر ١٥٠ الف ليرة . وكنت اقول لرجال الدولة : ما سمعت ان دولة في الدنيا تشتري عداوة فسم من تبعها بمائة وخمسين الف ليرة شهريا اصرفوا هؤلاء الناس الى اوطانهم يصيروا شاكرين داعين لكم وتوفروا على خزائن الدولة اكثر من مليون ونصف مليون ليرة في السنة . ولم يكن احديهم يأمر المنفيين ويخاطبهم سواي لان الآخرين يخافون مغبة العلاقة معهم فكنت اقضي ليبي ونهاري في تحرير الاجوبة والبرقيات بمضاء حاجاتهم وكانت ترد علي منهم مئات من الرسائل ممن بأزمير ومفيسية وبروسة وباليكسروقره شهر واسكيشهر وكوتاهية وعشاق وسيواس وثوقات وكنفري وادرنه . وما زلنا نكافح بلاءهم ، ونخفف من مريض غربتهم ، الى أن تحول جمال من سورية الى الاستانة فأخذ طلعت بتسريح المنفيين تدريجاً . وحدث أن الحكومة احتاجت الى اصواتنا (أي مبعوثي العرب) في مسألة تتعلق بتجديد مدة الامتياز لشركة حصر الدخان فاشتترطت أنا والمرحوم فقيد الشام محمد باشا العظم أن يطلقوا لنا سراح المنفيين لنعطيهم اصواتنا وصرنا نعقد بعد ذلك اجتماعات يحضرها جميع مبعوثي سورية وفي احدي الجلسات قرر المبعوثون تعويض ثلاثة بمفاوضة الحكومة في شأن المنفيين وهم المرحوم محمد باشا العظم مبعوث الشام وابو علي سلام مبعوث بيروت وهذا العاجز

— ٤ —

الجماعة في سورية اثناء الحرب

ومن هم المسؤولون الحقيقيون عنها

لاجرم أن من أعظم حوادث هذه الحرب وتاثيرها على الانسانية هي الجماعة التي عضت بانيابها كثيراً من الامم ، وأتلخت مئات ألوف بل ملايين من النسم ، وكان لسورية منها نصيب واف لم يحدث التاريخ منذ قرون عديدة بأن سورية أصيبت بمثله . فقد وصل الامر الى أن بعض الناس أكلوا الميتة وبعضهم فتكروا بالاطفال وطعموا من لحمهم وبعضهم اختلط عقله فذبح ابنته وأكلها كما حصل لرجل من معلقة الدامور . ولما كان وقوع هذه المسغبة في أواخر دور الدولة العثمانية بسورية كان بديهاً أن ينقم الناس أمر هذه المصيبة

على هذه الدولة لان الناس متى حلت بهم المصائب ينهالون بالقذف والظن
 قل كل شيء على حكومتهم الحاضرة . ولان سحر الاكاذب والفرنسيس وغيرهم
 من الخلفاء كان لا يزال ماثباً الى ذلك الوقت على السوريين . وكان لهم في البلاد
 سمعة يستثمرون جهالة العامة وأغراض الخاصة في تحويل تيمة هذه الفادحة
 على الدولة العثمانية خاصة دون سواها . ولما كان المصائب كما يقال ينبغي عن
 الثواب كان السواد الاعظم من المصائب ميبالين الى تصديق ذلك الحديث
 المتقري . ثم لما انتهت الحرب بانتصار الخلفاء وصار الناس في سورية يتزاحمون
 بالمتاكب في مواكب إجلالهم ويتسابقون على جراد القرايح في ميدان الترف
 بهم ، كانت في مقدمة أسباب الزلزال قضية هذه المجاعة يذكرون أهوالها
 الخلفاء بكثرة وأصيلاً ، ليفتخروا منها الى التنظير بينهم وبين الاتراك بأن
 هؤلاء أماتهم جوعاً قسداً وعمداً ، وقطعوا عنهم الميرة لانتلاف خضراتهم
 تصوراً وتصديماً ، وان الخلفاء جاؤا بمد الفتح والظفر فأغتمهم من فقر ،
 وأسمنهم من جوع ، وآمنهم من خوف ، واندفعت جرائم سورية الاماندر ،
 تضرب على هذا الوتر ، وانبرى كل من أراد اظهار المودة للخلفاء يسرد قصص
 المصائب التي صبها الاتراك على نصارى لبنان نظراً لتعلقهم بفرنسا وكيف انهم
 جوعوهم وأزهقوا من أرواحهم نحواً من ٢٠٠ الف نسمة كلها ذهبت في حب
 فرنسا ولا عجب - فأوله ستم وأخره قتل - وانه لولا حب هذه الفئة
 فرنسا لكان الاتراك أشبهوها ولم يهملوها إذ كان الخير والميرة فائضين لديهم
 وانما قتلوا على اللبنانيين لبسأصلوهم أو لينقصوا عددهم تقصياً عظيماً يستريحون
 بعده من وجودهم . وبالاختصار فثالثا الف شهيد هذه كلها تكلمت بالشهادة
 في حب فرنسا لاغير . . . وقد مرت هذه الاوهام الى أناس من أنفس
 الأوربيين ولا سيما من الفرنسيين حتى قرأت لهم في هذا الموضوع كلاماً كثيراً
 وردد صداد مجلس البرلمان الفرنسي . فاللبناني من هذه الفئة كلما
 اراد ان يعتمد بخدمة لقومه في هذه الحرب قال : واقد امات ما الاتراك
 ٢٠٠ الف نسمة أثناء الحرب من اجل استمسا كنا بعروة الخلفاء ولا سيما فرنسا
 ولمدم انحرافنا عن سبيلها . والفرنساوي كلما اراد ادعاء حق في سورية وحاول
 تسوية احتلاله اباها نادى : والناجر الفرنسي هناك اصدقاء مرتبطون بنا
 منذ احقاب متطاولة وسالماً سيبوا الألف والهران من احلتنا وتحملوا الانتقام

والاضطهاد وناهيك انه في اثناء هذه الحرب قد اهلك منهم الا تراك مائتي الف
حوراً من اجل محبتهم لفرنسا .

وهكذا تتواتر هذه الكلمات وتكرر وتماد وتثقل ونحس ونشطر وكما
جرى ذكر الحرب العامة وما اصاب السوريين فيها كانت هذه الدعوى ويسمونها
« التجويج » اول ما يستفتح به الخطاب ويعتد به من المن على الحلفاء. حتى ان
كثيرين ممن لا يحبون فرنسا ولا انكثرا اذا طالبوها بتحرير سورية وتركها
لاهلها وذكروا سابقة السوريين في خدمتهما ومناصحتهم للحلفاء في الحرب
العامة جماعوا من جملة هذه الخدمات الجلى والمناصحات المثلثي هذا « التجويج »
الذي اجراه الاتراك على سورية انتقاماً من اهلها

ولقد آن لكل انسان يحترم نفسه ويحاسب وجدانه، ولا يرضى ان يكون
ذليلاً للباطل وهو يمامه، ولا أن يقار على البهتان وهو يشهده، ان يثور في
وجه هذه الا كذوبة التي طال امرها وتمادى اجلها، ويمصي سلطة هذه
الاعراض مهما كان وراهها من دول وملل، وسيف وقلم، فان القليل بالحق
كثير، وان العزيز مع الباطل ذليل، وان الحق أولى ان يتبع ولو انهزم اتباعه،
وان الضلال لا جدر بأن يتمكب ولو انتصر اشياعه، ولا سيما وان صولة الباطل
ساعة، وجولة الحق الى قيام الساعة، فالى متى ندهن الحلفاء بأن الاتراك
هم الدين اماتونا، وانهم هم الدين احيونا، وتبصص اليهم بقولنا ان الاتراك
كان بوسمهم ان يمرونا، لولا نعمدهم تنقيص اعدادنا، وتقليل سوادنا،
وانهم انما اماتونا على بينة واهلكونا وهم قادرون على استحيائنا، كل ذلك
من اجل محبتنا لفرنسا وانكثرا . والله لقد اصبحنا أمثلة في العالمين، واضحوكة
في الاولين والآخرين، وجمالنا لسورية في التمدل والتماق تاريخاً تضرب به
امثال المتهاين، فكفانا يا قوم حرباً لضمائرتنا، ومكارة لحواسنا . انه ليس
المقصود هنا الدفاع عن الترك الذين خسروا من الامور ما هو اهم من عطقنا
ومودتنا واصبح لا يهمهم حبنا لهم او كرهنا ايهم . وانما المقصود هو تقرير
حقيقة وتحرير واقع، وابطال نعمة ملتها الاسماع، وطاقتها الطباع، لا سيما مع
شدة اعراقها في الباطل ومحض صدورها عن الهوى، فان المجاعة اثناء الحرب
كانت فامة شاملة طامة غير خاصة بمحلا دون آخر وانما كانت شدتها على درجات
متفارقة وذلك على مقدار تحمل البلدان وقابليتها وقد عمت السلطنة العثمانية

بأجمعها شرقيها وغربيها ، وشمالها وجنوبيها ، فلم ينج من غلبها مكان ، ولا سلم سكان ، الا انه مما لاصرية فيه ان السهول والبقاع التي تكثرت فيها البسائط لزراع الحبوب كانت اوفر تحملا واكل بلاء من الجبال والبقاع القاحلة التي هي عيال على البحر من جهة وعلى السهل من جهة اخرى لاجل ميرتها ، لذلك لا يمكن ان يتصور العقل ان بلدة من الشام او حلب مثلا تجوع بقدر جبل لبنان الذي كل ما ينبت من الحبوب يكفي اهله شهرين من السنة فقط ويضطر لمؤونة العشرة الاشهر الباقية الى الجلب من البحر او من داخل البلاد . اما البحر فان دول الحلفاء قد سدت ابوابه على الاهالي سداً محكما فلم تسمح حتى للاعانات الخيرية ان تدخل الى سورية ، لا يقدر ان يكابر في ذلك احد . واما الداخل فان الحبوب التي عاش منها اهل بيروت ولبنان وسكان السواحل عموماً اثناء الحرب كانت ترد منه وحده ، وان قيل انه لم يرد من الداخل الا القليل ولذلك مات الوف من اهل السواحل جوعاً فالجواب : من قال لكم ان الداخل لم يشتد به الفلاء ولم يخف اهله من الموت جوعاً ؛ واي عقل يصدق ان اهل الداخل يسمحون بحبوبهم ان ترسل الى السواحل وبفلاهم ان تؤخذ من بين ايديهم ويكونون هم انفسهم تحت خطر المجاعة . فقد عاجنا هذه المسئلة جيداً وتعاركنا مع اهل الشام وحماء وحب مراراً اثناء الحرب لاجل المقدار الذي نحتاجه من الحبوب من بلادهم وكانوا دائماً يعارضون اشد الممارضة في فتح الباب على مصراعيه ، وبعد اللتيا والتي يسمحون بشاحنتين من الحبوب يومياً ويرون ذلك كثيراً ، وكم مرة اصدرت الحكومة التركية الاوامر المشددة المؤكدة بشحن كذا وكذا من الحنطة الى بيروت ولبنان وكان مجلس ادارة الشام ومجلس ادارة حلب يملآن الدنيا صراخاً بكون بلادها لا تتحملان اخراج هذه الكميات منها وانهم لا يرضون ان يجوعوا هم لاجل ان يشبع اهل لبنان وبيروت والمثل يقول : ابدأ بنفسك ثم بأخيك . وكانوا يحتجون بأن البلاد الداخلية قد تلقت قسماً عظيماً من سكان الجبل والسواحل وآوتهم واطعمتهم ولم تقصر في رفقهم . فنقول ان مجالس الشام وحلب وحماء وحمص الادارية التي هي مركبة من اعيان البلاد من مسلمين ومسيحيين ويهود هل كانوا يقصدون «التجويم» وينوون به استئصال نصارى لبنان؟ وهل سكان السواحل كلهم نصارى؟ لا، ان الاحصاء يثبت ان المسلمين في السواحل اذا اعتبرت كلها منضمة مع لبنان يزيدون على (المجلد الثالث والعشرون) (٣٨) (المناز : ج ٤)

النصارى في العدد^(١) أفنقول ان مسلمي الداخل ارادوا اهلاك مسلمي السواحل
جوما ، وقد برد بأن اهالي حلب والشام وهما وحص لم يكونوا بما نعين اخراج
الحبوب وانما هم الاتراك الذين كانوا يضعون العوائق. والحقيقة التي لا مرية
فيها ان الاتراك كانوا يأصرون باصدار الحبوب المرة تلو المرة وكانت المعارضة
تقع من اهل تلك الولايات بحجة ان مواصمها لا تكفيها وان اهلها اولي بها فلا
يموتون هم جوما لاجل شبع غيرهم . وهو كلام مقبول لا غبار عليه . وكم من
مرة ذهب علي منيف بك متصرف لبنان بنفسه وعزيم بك والي بيروت
بذاته وغيرهما الى الشام والي حماه والي حلب واقاموا الايام الطوال يتنازعون
مع المجالس الادارية في تلك الجهات فأحيانا يظفرون بشيء واحيانا يعودون
بمخفي حنين . وبلغ الامر في الآخر ان صاروا يطوفون بانفسهم على القرى في
تلك البلاد ومعهم القوة العسكرية لاخذ ما يجدونه من الخنطة فمراً فكانت
الفلاحون يطعمونها في الارض ويخفونها بكل وسيلة وينكرون وجودها .
وهذا جمال باشا نفسه على ما كان عليه من القسوة والغلظة اصدر اوامر لاتعد
ولا تخصى بارسال المقادير اللازمة الى لبنان وتولى هو بنفسه ارسال كميات
عظيمة عدة مرار ولكن تشديدا لاوامر وصدورها ولو ممن اشهر بقط الرقاب
لا يكفيان في ايجاد القمح من العدم حينما المجاعة تكشر للجميع عن انيابها
والموت الابيض واقف على الابواب

ومن جهة اعتراضات بعضهم قوهم : يا للعجب كيف أن سورية التي كانت
تدير أهلها وتصدر منها حبوب الى الخارج تمجز فيما بعد عن ميرة أهلها وعموت
منهم الالوف المؤلفة جوما ! وهذا الاعتراض يكاد يكون من السخف بحيث
لا يستحق الجواب . فان الذين يقولون مثل هذا القول ينسون الحرب الكبرى
ويقتلون أو يتفلقون عما كان من نتائجها في كل الدنيا لاني سورية فقط . ولقد
اعطت سورية وحدها خمسمائة الف جندي الى الدولة هم لباب الامة وقوتها

(١) المنار: ان قرية القلمون في ساحل لبنان بقرب طرابلس الشام وأهلها كلهم
مسلمون وأكثرهم شرفاء من ذرية الرسول (ص) وروى لنا الثقات عن رأى
اسمها في دركار الدولة بالباب العالمي انها سميت فيه بسيدة القرى والزارع -
واقدم مات ثلثا أهلها جوما ووجد فيها من أكل الجيف وامراً اذا كلت من لحم أولادها ،
علي إسم كانوا قبل شدة المجاعة يفيضون على جيران قريتهم النصارى فضل قوتهم

واصحاب الايدي العاملة فيها، واكثر الباقي كان من الشيوخ والنساء والاطفال وقد يقال ان قسماً كبيراً من هؤلاء الخمائة الف فر وامن خدمة الاتراك . والجواب ان الفارين كانوا يختبئون فلا بقدرتون أن يظهروا ولا أن يتعاطوا الاشغال الزراعية فلا فائدة منهم . على أن الحرث والزرع لا يقومان بالايدي العاملة فقط . فلا يقال هاقد حضر الزارع فحسب فان البلاد اعوزها البذر والبقر وكل ما به قوام الغلة لكون الحرب جرفت اكثر المواشي بماسقت منها العسكرية لاجل جرم المدافع وحمل الاثقال ولاجل اكل الجنود على مدة اربع سنوات واستأصلت حرب ترعة السويس وحدها ٣٠ الف جمل كنت اراها بنفسي تموت بالعمشات على الطريق وأنا عائد من قلعة النخل الى معان مع المتطوعين الذين سرت بهم الى تلك الحملة . ولماذا نعني انفسنا بسرده هذه الاسباب التي كل اهل سورية يعرفونها ويعرفون انها هي السبب الاصيلي في المجاعة وان الجوع عم البلاد كلها فالسهول التي مثل حوران وحمص وحماه وحلب والبقاع والفور ومرج ابن عامر كان الخطب فيها ايسر من الجبال التي كلبنان وجبل القدس ومن المدن التي كبيروت وصيدا والح ولاانس أنه في سنة ١٩١٥ جاء جراد سد الآفاق وعم البلاد كلها واهلك الزرع والضرع ولم يبق من بعد بذر كاف للمستقبل فكان من اقوى عوامل الجوع في السنين التي بعدها .

إذا فالجوع الذي اصببت به سورية لم يكن سببه سوء نية الاتراك كما يقولون بل سببه حالة الحرب العامة والحصر البحري وذلك الجراد الذي لم يسبق له مثيل قامتص خير البلاد من اول سنة، وأثرها عشرة صعبت من بعدها اقاتها . ولقد اشتد الفلاء في جميع القطر الشامي حتى في دمشق الشام التي كانت منذ وجدت أرهى بلاد الله عيشا وأرخصها اسعاراً ومات فيها وفي توابعها الوف من الجوع ومن الامراض التي قواها سوء الغذاء ولكن ليس كما حصل في الساحل لان درجات الشدة كانت بحسب درجات قابلية الاراضي لزرع الحبوب كما قلنا وقد بلغ من رطل الحنطة في حوران وهي ام الحنطة نحو ١٨ و ٢٠ غر شا ذهباً وذلك على البيادر فماذا تقول في البلاد التي ليست تقاس بحوران في قليل ولا كثير؟

(للكلام بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

٥

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام^(*)

(١٦) شعور الاخاء كان بالنسبة لأعلى الدرجات بين المسلمين . ألم الواحد كان يؤلم المجموع . لانهم اتخذوا حالتهم الاجتماعية منهاجا رسمه لهم النبي (ص) اذ قال « ان حقا على المؤمنين أن يتوجه بعضهم لبعض كما يؤلم الجسد الرأس »^(١) كان الناس يمشون على هذا المنهاج الاجتماعي بكل إخلاص . أما نحن (وأسفاه) فهل يتذكر أحدنا ان جاء المسلمين ضربة الا وكانت عن يد مسلم ؟ هذا تاريخنا الماضي لتقرأه باكين^(٢)

(١٧) اللقاء بذور الشقاق والتفريق بين المسلمين كان ممقوتا أشد المقت حتى ان الهادي الاكرم أخرج المفرقين من بين أفراد العائلة الاسلامية . اذ قال « من فرق فليس منا »^(٣) وأما في زماننا فواحد رتاه . قد أصبح التفريق بين المسلمين يهد من حسن الحزم ودهاء السياسة فينا :

﴿وقلبوا الحقيقة فخصوا المفرق باسم (المنقذ) . كان الخروج من التابعية الاسلامية والدخول في حماية غير المسلمين (انقاذ !!!) - لا حول ولا- (المرجم)﴾

(* المنار : لاندري لماذا تصرف المترجم في الاصل بالتقديم والتأخير ومنه الفصل بين ما هنا وما سبقه من آداب الاسلام بالكلام في تأثير الفرس والترك في السياسة الاسلامية ؟ (١) رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب مرسل باسناد حسن ، وفي معناه أحاديث موصولة في الصحاح هي أولى منه بالتمثيل كحديث النعمان بن بشير في مسند احمد وصحيح مسلم الذي يأتي قريبا في ع-دد (٢١) (٤) أن حالنا الحاضرة ليست أمثل من تاريخ تعادينا الماضي وإيقاعنا بأمتنا فكل ما أصابنا من استيلاء الأعداء على بلادنا قد وقع بتخاذلنا وتخريب بيوتنا بأيدي أعدائنا الذين واليناهم وساعدناهم على أنفسنا كما أشار اليه المترجم في جملته التي ذيل بها حديث التفريق الذي بعد هذا (٣) الحديث رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار بسند صحيح وهو مأخوذ من قول الله تعالى لرسوله (ص) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) والاحاديث في الحث على الاعتصام والنهي عن التفريق كثيرة والآيات في ذلك معروفة

(١٨) كانت النجيمة بين الناس من أشنع المنكرات . لان سيد الخلق قال
« إياكم والمضة النجيمة القالة بين الناس »^(١)

(١٩) الظن السيء في الناس الذين لم تثبت تهمتهم كان من أسوأ الاخلاق
والتجسس على الناس كان معدوداً من المفاسد المنافية للتأليف مع الاسلام .
لحديث « إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا
تنافسوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله اخوانا »^(٢) وأما نحن فأقل
اشارة تبدو من أخينا المسلم تكون سبباً لاغراقنا إياه في أمواج الظنون
المختلفة . فهل صار ديننا البعد عن هدي نبينا ونبذ آداب ديننا ؟

كلا ان حسن الظن بالناس قد عد من حسن العبادة في ديننا اذ قال نبينا
عليه صلوات الله وسلامه « حسن الظن من حسن العبادة »^(٣) وكان الناس
يعدون الانقياد لهذا الهدي النبوي من أقدس الواجبات ، فليتدبره العقلاء
وليحكموا على أنفسهم أو لها

(٢٠) كانوا يكرهون التفرق في المجلس الواحد ويستحبون الاجتماع
والمشاركة فيه . لان النبي (ص) كان يحب مرأى أمته وهم مجتمعون . وقد دخل
المسجد مرة فرأى المسامين جالسين خمسة خمسة أو ستة ستة . فلم يرقه هذا
المنظر فقال « مالي أراكم عزين »^(٤) . لان هذا المنظر يوم الاعداء وقوع التفرقة
ظل المسلمون مهتدين بهذا الهدي محافظين على وصية الاجتماع والاعتصام
الى زمان ذي النورين . وهناك بدأت التفرقة . ومنذ ذلك التاريخ تخطر التفرقة
على رأس المسلمين وابل النكبات والمصائب . أين المقلد ؟

(٢١) أم ما كان يرخي اليه النبي (ص) أن يؤلف المسلمون جسماً معنوياً
واحداً يتحابون ويتراحمون فيكونون كأعضاء الجسد الواحد . لذلك قال
« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه

(١) رواه أبو الشيخ في التوبيخ عن عبيد الله بن مسعود بسند حسن . وفي
النهج عن النجيمة أحاديث صحيحة معروفة والمضة كعزة وسيأتي . (٢) رواه مالك
واحمد والشيخان وابو داود والترمذي من حديث أبي هريرة قالوا ان التجسس
بالمملة هو التجسس بالواسطة وهو في أصل اللغة طلب الحس والاحساس بالشيء
(٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة (٤) رواه احمد ومسلم
وابو داود والنسائي عن جابر بن كرة . وعزير جمع عزة بوزن عدة وجمعه هذا سماعي

هضموا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وأما نحن فلم نفقد التعاطف والتراحم فقط بل صرنا نجعل أحوال اخواننا المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكيف نتراحم قبل أن نتعارف من منا يعرف أحوال مسلمي جاوه وما جاورها من دينية وادارية واقتصادية ؟ من منا يطلب من الجرائد أن تبحث له عنها أو عن غيرها من بلاد المسلمين كما تبحث عن أمم أوربة وأميركا ؟ أين الكتب التي تبحث عن جغرافية تلك البلاد وتاريخها ؟ وكيف طوّق عنقها بقيود الحماية الغربية ؟ كيف ولماذا أصيبت بهذه المصيبة ؟ من منا — الا قليل — تشر نفسه بالحاجة الى ما ذكر ؟ وبعد هذا الاهمال ونحن مسلمون؟^{*}

رب قائل يقول ان الجرائد غير الاسلامية تهمل البحث عن المسلمين وأحوالهم وأحداث بلادهم لعدم الملاقة بينها وبينهم وتملاً أدمفتنا بما يتعلق بأوروبا وأميركا ، فامتلاً انخلاء . ولكن ما قولنا في الجرائد الاسلامية ؟ هل فات أصحابها الناغبين ان ما حدث عليه النبي (ص) من التراحم والتعاطف يتوقف على التعارف قبل كل شيء ؟ كيف أعطف على قوم لا أعرفهم ؟ لذلك أرى التبعة تقع على عاتق مؤلفي الجغرافية والتاريخ وكتاب الصحف قبل كل الناس

(٢٢) الاتحاد من أقصى مقاصد الدين لان للتعالي السيامي لا يكون بدونه أبداً . لذلك^(١) أمر الله تعالى به بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (٢٣) الاجتماع كان محبوباً جداً عنده صلى الله عليه وسلم . جاء في الحديث « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة » .^(٢) لذلك لم يكن أحد من السلف يفكر في شخصه وحده . بل كان

(* المنار : لو اطلع المؤلف أو المترجم على حديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » لا ورده هنا وهو عند الطبراني وأبي نعيم في الحلية بل رواه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً بمعناه

(١) المنار : هذا التعليل من لوازم حكمة الدين ومقصده من الامر بالاعتصام والاتفاق والنهي عن التفرق والشقاق أو أحد المقاصد ، وليس هو العلة الاولى الامر والنهي بل عاتهما الاولى ان الدين نفسه لا يحفظ ولا يقوم ولا تترتب عليه آثاره من سعادة الدارين الا بذلك (٢) رواه احمد عن أبي ذر بسند صحيح والاحاديث في وجوب التزام الجماعة وحظر الفرقة كثيرة

الناس يفتشون على سعادتهم بين سعادة المجموع
(٢٤) كان المرء والجدال لتأييد أهواء الأنفس من أقبح انخصال المذمومة
لانه يثير الاحقاد ، ويممي البصائر والابصار عن رؤية الحقائق ، ومما ورد
من الأحاديث الصحيحة في ذمه والتنفير عنه قوله صلى الله عليه وسلم « انفض
الرجال الى الله الالذ الخضم »^(١)

(٢٥) معاملة الجار بالحسنى وعمل المعروف كان من أهم الآداب التي يحافظ
عليها المسلمون لوصايا القرآن والسنة به ومنها حديث « احسن الى جارك تكن
مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً »^(٢)

(٢٦) كان افراد الامة صرّيجين في أقوالهم أحرار في أطوارهم. وأظهر سجايا
الاسلام في طوره الاول هذه السجية . كان كل فرد مسلم يقول الحق بصراحة.
ولو كان مخاطبه نفس الخليفة . وكانوا يتزهون عن الكذب لانه أقوى دعائم
للفنفاق وقد قال (ص). « آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ،
واذا ائتمن خان »^(٣)

(٢٧) اغماض العين على الباطل محاباة والتلق للظلمة مداراة والغش والخداع
للناس — كل ذلك كان يعد من صفات المجرمين والمنافقين ، المنافية لآداب
الاسلام وصفات المؤمنين، وقد أخرج النبي (ص) كل من يفش مسلماً أو يخدعه
أو يجتال عليه من الجمية الاسلامية اذ قال « ليس منا من غش مسلماً أو ضره
أو ماكره »^(٤)

(٢٨) أخذ الموظفين الهدية وقبول الحكام الرشوة كان من أكبر الجرائم

(١) رواه احمد والشيخان وغيرها (٢) هذا بعض حديث أوله « اتق المحارم » الخ
رواه الترمذي وغيره من رواية حسن البصري عن أبي هريرة وهو لم يسمع منه وفي
الباب أحاديث ضخمة كثيرة

(٣) : رواه الشيخان البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ،
وفي معناه أحاديث أخرى كثيرة صرح فيها بكون اكرام الجار من آيات الايمان
وكون ايذائه ينافي الايمان (٤) رواه الرافي من حديث علي بسند حسن وفي
معناه أحاديث أخرى منها « من غش أمي فليس منا » رواه الترمذي عن أبي
هريرة بسند صحيح وهو عام في غش المسلمين وغيرهم

المذمومة. قال (ص): «أخذ الأمير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر»^(١)
وما قول أمراء هذا الزمان الذين يمدون قبول الهدايا أمراً غير منهي
هته ؟ رب ارحم أمة يدير أمورها أناس لا يفقهون أحكام الشرع !!

(٢٩) الاستقامة على الحق كانت من أس الواجبات وركن المعاملات . حتى
ان النبي (ص) قال في آية (فاستقم كما أمرت) إنها شيبته تعظيماً لشأن
الاستقامة . وعلى من يريد أن يقف على روح الاسلام ويتأمل في صعوبة
الاستقامة ، ويدرك درجة عظمة المستقيمين فاعليه إلا أن يتأمل معاملة
الفاروق للمرأة التي رآها جائعة وكيف حمل لها كيس الطحين على ظهره وكيف
طبخ لها بيديه الشريفتين . من يتأمل فيما أودعته هذه الواقعة من المعاني يدرك
عظمة الاستقامة وكيفية تلقيها عند المساكين وعندئذ تتضح له أسباب تعاليمهم
بكل سهولة^(٢)

(٣٠) العدل كان غاية من كل مسلم ، لان الله قال في كتابه العزيز (اعدلوا
هو أقرب للتقوى)^(٣)

(٣١) روح الاسلام حسن الخلق ، لذلك أمرنا (ص) بقوله « استقم
وليحسن خلقك للناس »^(٤) وقوله « الاسلام حسن الخلق »^(٥) وقال تعالى

(١) رواد أحمد في الزهد من حديث علي كرم الله وجهه بسند حسن . والمراد
أنه من أعمال الكفار التي يتجنبها المسلمون لانه خروج من الملة
(٢) قد يخفى جمل هذه المنقبة من مناقب الفاروق مثلاً للاستقامة التي هي
عبارة عن الثبات على الحق والفضيلة ولعله أراد بذلك أن هذا العمل وان كان
حدثاً زائلاً بعد أدل الدلائل على استقامة الفاروق على منتهى آداب الشرع وكمال
فضائله من حيث إن الخلافة التي هي أعلى المناصب لم تكن صارفة لأمير المؤمنين
عن منتهى النجدة والتواضع وخدمة أضعف أفراد الامة

(٣) ينبغي أن تجمل هذه المسألة هكذا : كان العدل مع البعيد والقريب ، والعدو
والصديق ، والبغض والحبيب ، فرضاً لازماً على كل مسلم في هذا الدين لان الله قال
في كتابه العزيز (ولا يجرمكم بشان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب
للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضهم -م لكم على ترك العدل فيهم
بل اعدلوا مع كل أحد لان العدل وهو ميزان صلاح العالم أقرب للتقوى فيتمتع به
من شر الشان مالا يتقى بتركه أو بضده

(٤) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وحسنوه (٥) رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري

مادحاً نبيه (وانك لعل خلق عظيم) وقال (ص) «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً»^(١)

(٣٢) التمدي والتجاوز على الناس كان منهيّاً (ومنشياً) عنه لأن النبي قال (ص) «أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من يده ولسانه وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢). وهذا تأميناً لحرية الأفراد من أي تمدد خارجي (٣٣) حسن الخلق كان يوصل صاحبه إلى أعلى درجات التقوى التي لا تنال إلا بقيام الليل وصيام النهار لأن النبي (ص) قال «ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»^(٣)

(٣٤) علو الهمة والسماحة من مكارم الأخلاق العالية عند المسلمين فقد جاء في الحديث «اسمحوا يسمع لكم»^(٤) لكي تقابل المكارم بمثلها .

(٣٥) كان المسلمون يسلم بعضهم على بعض عند التلاقي بكل لطف وبشاشة وأخلاص ، لأجل استمالة القلوب ودوام التحاب ، ومما ورد من الحديث في ذلك «افشوا السلام بينكم تحابوا»^(٥)

(٣٦) الرفق واللين كان الأساس لجميع المعاملات ، لأن النبي (ص) قال «ان الله يحب الرفق في الأمر كله»^(٦)

(٣٧) إن البشاشة في الوجوه عند اللقاء كانت من الآداب العامة المطلوبة للتحاب وكان التعميس والتقطيب من الخصال المقوتة قال (ص) «ان الله تعالى ينفخ المعبس في وجوه اخوانه»^(٧) (للكلام بقية)

- (١) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر بسند صحيح
 (٢) رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بسند صحيح وله تمة
 (٣) رواه أبو داود وابن حبان من حديث عائشة (٤) رواه عبد الرزاق في جامعه مرسل بسند صحيح (٥) رواه الحاكم من حديث أبي هوسى وصححه (٦) رواه البخاري من حديث عائشة (٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي

الرحلة الأوربية

٢

السفر من تريسته

سافرنا من تريسته يوم الخميس في الربعم الاخير من الساعة السابعة صباحا (٦ س و ٥٤ د) في قطار أوربية الاكبر وكان مواعده قبل ساعة ولكنه تأخر لتأخر مجيئه من الآستانة

سار بنا القطار في خيف شجير ، من ذلك الجبل النضير ، فكانت شجراؤه من يميننا في الجبل وعن يسارنا فوق البحر ، وما زال يتسلق بنا متلويًا كالارقم في الاجم ، حتى استوى على تلك السهول الفيحاء ، والسهوب الشجراء ، ذات المروج الخضراء ، والرياض الغناء ، الكثيرة النوار ، والمفتحة الازهار ، حتى كان الزمان قد استدار ، فتحول الشطر الثاني من آب الى مثله من نيسان وأوائل أيار — وهي السهول المروفة بسهول لومباردية — ، وبعد أربع ساعات وصل الى مدينة البندقية (فينيسية) وهو يدخل اليها على طريق ييس في رقراني من الماء يسير فيه خمس دقائق يقطع فيها زهاء أربعة أميال (أوه كيلو) ثم عاد بنا القهقري في ذلك الماء بمدوقوف دقائق في المحطة ثم وصلنا الى مدينة (ميلان) وقت العصر (الساعة ٣ و ٤٥ دقيقة) ومكث في محطتها نصف ساعة تزود فيها ما يحتاج اليه من الفحم والماء ، وبين البندقية وميلان بلاد وقرى كثيرة عاصرة لا يقف عليها القطار العام السريع وإنما المواصلات بينها بالقطر الوطنية . وأما هاتان المدينتان فهما من أعظم المدن ذات الصناعات الجميلة والآثار التاريخية التي يقصدها السياح من الاقطار ولوشئنا لنقلنا من كتب التاريخ شيئامن وصفها كما يفعل كثير من الناس فيما يكتبون في رحلاتهم ، ولسنا من مستحضي هذه الطريقة باطلاق ، وإنما يحسن فيها تقييد بعض الشوارد المبعثرة ، والنواد التي لاتنال باليسير من المرجعة ، والنواد التي تزدان بها المحاضرة ، وما يستنبطه السائح من المبرة والفائدة ، حتى فيما صورته الفكاهة والتسلية وما لاحظته في نبات هذه الارض ان اكثر شجرها صغير ومتوسط العمر لعل اكبره لا يتجاوز عشر سنين وذلك أنهم يتناولونه بالقطع للاستفادة من خشبه ولكن بالقرب من ميلان أدوا عظمة باسقة ، كأنهم يستبقونها

للزينة، ورأيهم يختلون خلالها (أي يقطعون حشيشها) بالآلات تستأصله من وجه الأرض ويجففونه ويجملونه اكداسا كاكداس حصيد القمح والشعير، ولا يلبث أن ينمي مكانه ويطول لان المكان مجاج الثرى ريان بالماء ولم أرفي تلك الحقول الخضراء زرا غير القرة وهي غضة حسنة النماء فيما قبل ميلان من الأرض وأكثرها ضئيل فيما بعدها، وبالتقرب من المدن والقرى حقول وبساتين مزروعة بقولا كالفاصوليا والكرنب والطماطم وأما شجرها فمنه التفاح والكمثرى وقد أينع ثمره وطابت فاكهته وأجل مناظر هذه البلاد على الاطلاق البحيرات فقد مررنا ببعضها عن بعد وبعضها عن كثب، ولم أنس لا أنسى أصيل ذلك اليوم اذ بلقنا بحيرة ماجورأو (ميجارو) فراغني ذلك المنظر البهيج، الذي لم أر له فيما سبق من صمري من شبيه ولا نظير، وانما رأيت نظيره بعد ذلك في سويسرة، فأقول: إن مثل هذه البحيرة وبحيرة (لوسرن) من البحيرات التي بين الجبال هو أجل ما خلقه الله في هذه الأرض

البحيرة واسعة، بين جبال شاهقة، مزدانة بالجئات الالفاف، والاجم الغبياء، من أدنى الفور المساوي للماء، الى الشمارخ التي تناطح السماء، وترى فيما يدنو منك من هذه الجئات، المروشات منها وغير المروشات، أصناف الاعناب وأنواع الثمرات، وهي ذات تماريج كثيرة، وفيها جزائر صغيرة، بنيت فيها قصور نضيرة، يملون اليها بزوارق جميلة، ومياها زرقاء صافية، وهي تتسع في مكان وتضيق في آخر، وأخفاف الجبال المحيطة بها تمتد على بعض الضفاف وتتقلص عن بعض، ولبعضها السنة مستطيلة فيها، ورءوس مقنعة في بعض نواحيها، والقطار يسيرها في جوانبها، ويلتف على معاطفها، فيدنو ويبدد، ويفيرو وينجد، ويصوب ويصمد، ونحن فيه متلمو الرؤس شاخصوا الابصار، نقلب الطرف ذات اليمين وذات اليسار، فنظر البحيرة المعجيب عن أيماننا، ومنظر الجبال الغريب عن شمائلنا، وفي كل منهما آيات للناظرين، ومعاني للمتفكرين، تثير في الخيال هواجس الشعر، وتنفض في الوهم رقي السحر، وتلقي في العقول معاني الفنون، وتوحي الى القلوب حقائق الايمان بمن يقول للشيء كن فيكون،

تذكرت برؤية تلك الجئات الغناء، والغابات الغبياء، والرياض الفيحاء،

ومعنى روضة من روضات الوطن في مقصوري وهو:

- وروضة تجلي بثوب سندس
 رصعها الثور بأصناف الحللي^{١)}
- ما صوح البارح غص نجمها
 وناضر الافنان منها مادوى^{٢)}
- والباسقات رفعت أكتفها
 تستنزل الفيث وتطلب الندى^{٣)}
- تمتاج (الكربوني) من ضرع الهوا
 نؤثرنا بالا كسجين المنتقى^{٤)}
- مدت على الصميد ظلاً وارفا
 فلا ذأى العود ولا الظل أزي^{٥)}
- والشمس تبدو من خلال دوحها
 آونة تخفي وتارة ترى^{٦)}
- كفادة وضاحة قد أنلمت
 من خلل الشجر ترنو والكوى^{٧)}

(١) الروضة الموضع المعجب بالزهور قاله في المصباح وأصله مجتمع الماء ثم أطلق على ما يحدته الماء من النبات والزهر وهو الترويض . والنور بالفتح زهر النبات والشجر واحده نورة فهو كتمر وتمره وجمعه أنوار ونوار بوزن تفاع . والحلي بالكسر وبالضم جمع حلية بالكسر وهي ما يزين به النساء من الجواهر . والترصيع تزيين الحلي والحلل بالجواهر التي شبه بها هنا أصناف النوار (٢) البارح الريح الحارة وتسمو بجها للنبات تخفيفه والنجم النبات الذي لا ساق له ويتأمله الشجر وأشير اليه بالافنان وهي الاغصان وذوى بذوى ذيل (٣) الباسقات جمع باسق وباسقة وهو ما ارتفع وذهب في الافق طولاً وارتفاعاً وأكثر ما استعمل في وصف النخل والسحاب والمراد هنا كل ما ارتفع من الشجر كالخور والسرو، وأكتفها أغصانها المورقة، وارتفاع الشجر سبب من اسباب المطر، والذي انظر أو مادون الفيث من ماء السماء أي ما يتكاثف من بخار الماء بالتدريج فيحدث بللاً . ومنه النسدي بمعنى الجود والسقاء . وفي اللفظ هنا تورية لطيفة، على ما فيه وفيما قبله من استعارات طريفة ، (٤) تمتاج ترتفع والكربون عنصر كيميائي يكثر في الفحم والاكسجين عنصر آخر يدخل في تركيب الهواء والماء وهو علة أو سبب من أسباب حياة الحيوان والنبات ، وباستنشاقه في الهواء يطهر الدم من المواد السامة والشجر ينتشق حمض الكربون السام من الهواء ويفرز الاكسجين النافع المطهر للدم ومن غيره (٥) الصميد وجه الارض والظل الوارف المتسع الممتد . وذأى ذأياً وذأواً ذبل كزوى ، وأزى يأزي وأزا يأزوا تبحس وتقلص (٦) الدوح جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة (٧) الفادة الحساء الباعمة اللينة العنق والقوام واتلمت مدت عنها متطاولة لتنظر . والسجوف جمع سجف بفتح السين وكسرها وهي الستور التي

تأتي على الروض ثير عسجد فتحسب الروض عروساً تجتلي^{٨١}
 وأين هذا الوصف القاصر ، من هذا المنظر الناضر ، والجمال الساحر ،
 وأنى لي بتخيل مثله في طرابلس والقلمون ، وإن كانت كثيرة الجنات جارية العيون .
 كل هذا الجمال والجلال ، الذي تجلي علينا بمنظر البحيرة وما يحيط بها
 من الجبال ، وما يزين ضفافها وجزائرها من القصور والقنادق ، والجنات
 والحدائق ، والفلك والزوارق ، وما تولده من المماني الشعرية ، والخواطر
 الاجتماعية والروحية ، لم تكن لتنسني أن ولدي مريض ما أدري ما فعل الله
 به ، ولا لتصرفني عن الخوف عليه والدعاء له ، ولا سيما في أعقاب الصلوات ،
 وما وفقت له من تلاوة القرآن . والوضوء والصلاة في هذه القطر من أسهل
 الأمور ، ومعرفة سمت القبلة فيها ميسور ،

وانتهينا عند الساعة السابعة مساءً الى محطة وقف فيها القطار نصف ساعة
 لانكسار مركبة الطعام هنالك وقد ظننا انها اصلحت في تلك المدة ولكن
 خاب الظن وبقينا بغير عشاء ، على اننا مكثنا زمنا طويلا في المحطة التي بعدها
 وهي آخر محطة طليانية وفيها مطعم عام ، الا اننا شغلنا عن الطعام فيها بعرض
 جوازات السفر وتفتيش الصناديق وبما اتخذ من المعاملات الجمركية بشأن لغائف
 التبغ التي يحملها الرفاق

ثم سار القطار بنا ولم يلبث أن دخل في النفق الكبير الفاصل بين ايطالية
 وسويسرة ومكث في بطن الارض ٢٥ دقيقة ثم تجاوزه ووقف بنا بعد نصف ساعة في
 أول محطة سويسرية فكثنا فيها مدة لاجل معاملات الاجوزة وقد أخذوها منا
 واعدنا باعادتها لنا في جنيف . ثم سرنا فوصلنا الى مدينة (لوزان) في منتصف الليل
 فلم ندرك القطار الذي يسافر ليلا الى جنيف لتأخرنا عن الموعد فبيتنا بقية ليلتنا في
 فندق (فيكتوريا) بقرب المحطة وقد طلبنا فيه طعاماً فقيل لنا أن المطعم قد
 أقفل ولا طعام الا الخبز والجبن والزبد والمربي والفاكهة فجأؤنا من ذلك

تنصب على الابواب والنوافذ مؤلفاً كل منها من سترين بينهما فرجة وقيل السجف
 المشق بين السترين المقرونين . والكوي بالضم جمع كوة وهي النافذة الصغيرة . والحلل
 بالتحريك ما بين الاشياء من فرجة . ورنأ اليه وله رنا وزنوا نظر ، بل هو اطالة
 النظر مع سكون الطرف كمنظر العاشق (٨) المسجد الذهب . والنار والثير مارنثر
 أي يلتقي متبرقا وكانوا يتبرون الدناثر حول المروس

بأفضل أنواعه مع الماء المثلوج والثلج لتبريد الفاكهة وهي موز وتفاح وكثري فكان هذا الغشاء أشهى وألذ من كل طعام أكلناه في أوربة إذ كان عقب

جوع صحيح وتعب طويل

أكلنا طعاماً لطيفاً لذيذاً ، ونمنا نوماً هادئاً هريماً ، على سرر مرفوعة وفرش وثيرة نظيفة ، ولكل حجرة من حجرات النوم حمام خاص ، تتمنا

بها في ليلنا وفي صبيحته

كان الجو في ذلك اليوم الذي قطعنا به أرض ايطالية يوم صيف معتدل ، وان كانت أرضها أرض ربيع مديرا ومقبل ، ولولا غمام رقيق كان يكفكف بعض أشعة الشمس ، لعد هنالك من أيام الحر ، وقد تغير الجو علينا في سويسرة بعد نصف الليل فهب الهواء البليل ، ولما أصبحنا رأينا السحاب يتكاثف في الافق ، ثم طفق يجود برذاذ لطيف ، ثم تكاثف السحاب قبل الظهر ، واشتد المطر بعد العصر ، فكان كما وصفه ابن دريد بقوله :

جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الْجَنُوبُ جَانِبًا مِنْهَا وَوَأَصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الْعَسْبَا ١)
نَاءٌ يَمَانِيًا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَامْتَدَّ كِسْرَاهُ غَطَا ٢)

(١) قوله جَوْنٌ صفةٌ لمخدوفٍ تقديره سحاب جَوْنٌ وهو فاعل لفعله ستمى المتيقن الخ في بيت سابق. والجون الأسود ويطلق على الأبيض فهو من أسماء الأضداد التي يتعین المراد منها بالقرينة والمراد بالجنوب الريح التي تهب من جهة الجنوب فتجيء بالمطر ، والصبا الريح الشرقية ، وهي تتحد مع الجنوبية كثيراً وتشبهها كما أن الريح الغربية تتحد مع الشمالية وتشبهها ويكثر مجيء المطر بعد هبها في نصف الأرض الشمالي كما يكثر مجيء المطر بعد الأوليين في النصف الجنوبي . ورواها واصلها والمعنى أن هذا السحاب بدأت الجنوب بانثارته بحركتها ، وبتلقيه بردها ثم واصلت الصبا به وبها ما بدأت به أختمها (٢) ناء نهض بشقل وجهه وبالامر نهض به بتعب ومشقة وأحضان الشيء نواحيه وأصله مادون الابط إلى الكشح من الانسان ، والكسر بكسر الكاف وفتحها ما تكسر وتدل من الخباء إلى جهة الأرض ، وهو استمارة جميلة . وغطا يفظو ارتفاع وقيل انسط ، والمعنى ان هذا السحاب الجون ناء يحمل الماء حال كونه يمانيا إذ اليمن من بلاد العرب في الجنوب وقد بدأ ظهوره منها فلما انتشرت جوانبه بمواصلة الصبا ومواصلة عمل الجنوب فيه وامتد كسراه الجنوبي والشرقي في سائر الافق ارتفع إذ خفف حمله بما أفرغ من ثقله أو انتشر وصار

وجال الأفق فكل جانب
 وطبق الأرض فكل بقعة
 إذا خبت بروقه عنت له
 وإن وئت رعوده حدا بها
 كأن في أحضانه وبركه
 منها كأن من تطره المزن حبا^(١)
 منها تقول الغيث في هاتأثوى^(٢)
 ريح الصبا أشب منه ماخبا^(٣)
 حادي الجنوب فحدت كما حدا^(٤)
 بر كأتداعى بين سجنو ورحى^(٥)

عامة كما صرح به في البيتين التاليين لهذا (٣) جال الأفق غطاء وعمه بستره إياه ،
 والمزن السحاب المطر . وحبا زحف ودنا يقال حبا الصبي إذا زحف ، والمعنى
 أنه بعد أن عم الأفق وجالته صار كل قطر من أقطاره كان المزن قد زحف بصيبه
 منه إذ لم يعد خاصا بالجنوب حيث نهض ولا بالشرق حيث امتد (٤) طبق
 الأرض غطاها وجالها بطره كما طبق هو الأفق بنفسه - وعده في الأساس مجازاً -
 فكل بقعة منها تقول إن الغيث قد ثوى في هذه دون غيرها كما يؤخذ من تقدم
 الظرف والمعنى يقتضيه . وهانا اسم إشارة للمؤنث معروف كهذه وهذى ونستعمل
 كلها بدون هاء التثنية أيضا (٥) حبا البرق سكن كالسراج إذا طفي ، يقول إذا خبت بروق
 هذا الجون عنت وعرضت له ريح الصبا فاعادت وميضه وامانه كما تشب النار
 السراج بعد انطفائه (٦) وئت ضمفت أو فترت ، وحدا الأبل وحدا بها غنى لها
 ينشطها على السر : وحادي الجنوب وفي رواية راعي الجنوب معناه الجنوب الذي
 هو الكحادي أو الراعي للأبل لانه هو الذي يسوق السحاب . يقول : وإن ضمفت أو
 فترت رعوده انبرى له من ريح الجنوب عاصفة ما يصبح به كما يصبح حادي الأبل بها
 إذا وئت وضمف سيرها فمادت تجاجل بصوتها كأنها تحييه عن حدائه مثله . وإيس
 المراد أن البرق ومض بتأثير ريح الصبا وحدها في السحاب والرعد يقصف بتأثير
 ريح الجنوب وحدها ، بل المراد أن هذا السحاب الذي تعاونت الجنوب والصبا على
 آثاره ولفحته برودها حمل القطر ثم ألقى حملة على الأرض تتعاون الرياح في شب بروقه
 وقصف رعوده بجمعهم ما بين زوجي الكهر بائية الايجابي والسلي الذي يشب البرق
 فيحدث بشبوته تفرغ الهواء الذي هو سبب الرعد . وفي الكلام من ظرف الاستعارات
 ما ترى وتسمع . وقد فسر الاستعارات من مكنية وتمثيلية بالتشبيه الصريح في البيت التالي
 وبما بعده (٧) البرك الأول الصدر والثاني جماعة الأبل الباركة . وإنما يقال برك
 البهائم لانه يلتقي بصدره الى الأرض ، وتداعى أصله تداعى أي يدعو بعضها بعضاً

لم تر كالزن سواماً بهلاً
تحمسها رعية وهي سدى^١
يقول للأجرأز لما استوسقت
بسوقه ثقي بري وحيا^٢
فأوسع الأحداب سيباه حسبا
وطبق البطانان بالماء الزوى^٣

والسجر والسجور حنين الناقة وجهه الراغب استمارة من سجر النار لالتهاها في العدو . وفي معجاز الاساس : سجرت الناقة سجراً وسجرت تسجيراً امدت حنينها في أمر ولدها وملأت به فاهها . قال :

حننت الى برق فقلت لها قري
بعض الحنين فان سجرك سائق
وانما قيد الحنين هنا بالمتد الذي علا الفهم لان حقيقة السجر المثل يقال سجر
التنوير انا ملاحا لهباً وسجر المطر الوادي انا ملاء والبحر المسجور المثل . وقوله
« قري » في الشاهد أمر من الوفار والسكون يقول للناقة لا تجولي حنينك ممسداً
دائماً بل اكتفي ببعضه واترني أفله فان سجرك يشوقني الى وطني ومن أحب فيه
فأحن اليه كما تحنين الى فضيلك . والوحي كفتى الصوت الذي ينقضي بسرعة ، والمجلة
والسرعة . ويقال الوحي الوحي والوحاء الوحاء في طلب النجدة والاعانة السريعة .
واللهي كان ماني جوانب ذلك الجون وفي صدره وهو وسطه من قطع السحاب
التي تجتمع وتفترق وتتحول من جانب من جوانب الافق الى آخر بين وميض
البروق وقمعة الرعود التي تمتد وتقوى أحياناً وتنقضي أحياناً بسرعة - كأن في
ذلك - ادلا باركة يدعو بعضها بعضاً الى التحول والانتقال فتنتقل بين حنين
خفي قصير وحنين تمتد طويل

(١) السوام الابل السائمة أي الراعية وأسماها رعاها فهو مسيم ، والبهل
التي لم تحلب فهي ملاي الضروع باللبان وناقة باهل غير مخلوبة ولا مصرورة أي
ولامر بوظة الضرع ، بحلبها من شاء ، وقيل المتروكة الرعي ، والسدي المهمة التي لاراعي ،
لها . والمعنى أن هذه السحب الممطرة في كل مكان ، التي تشبه السوام البهل المبدول لبنها لكل
انسان ، تحسبها في انتقالها وحركانها بتأثير الرياح كالمريعية التي يسوقها الراعي الى حيث يشاء
وهي في نفس الامر سدى مهمة لاراعي لها لان الرياح ليس لها ارادة في تحريكها
وسوقها . (٢) الاجرأز جمع جرز (بضمهتين) وهو الارض اليابسة التي لا نبات فيها الجفاف ،
واستوسقت حمت من أوساق الماء ما حمت ، والتوسق جمع المنفرق ومنه الوسق
بالضم للكيل المعلوم . والري بالكسر الشيع من الشرب ، والحيا بالقصر يطلق على
المطر وتلى ما ينشأ عنه من النبات والخصب والمعنى ظاهر (٣) الاحداب جمع
حداب وهو ما ارتفع من الارض والبطنان بالضم جمع بطن ، والسيب المطاء والحسب

كأنما البيداء غيب صوتيه بحر طم تياره ثم سجا^{٤١}
 هذا واننا كنا نريد أن نساغر الى جنيف قبل الظهر ولكن جاء منها
 لاستقبالنا من كان فيها من إخواننا السوريين - نجيب بك شقير وصلاح الدين
 افندي قاسم وتوفيق افندي اليازجي الذي كان سبق من قبل حزبا للاستعداد
 للمؤتمر فتأخرنا الى الممساء، ولم نتمكن من التجوال في لوزان لشدة المطر، ثم
 ساغرنا عند انتهاء الساعة الخامسة مساء والمطر يهطل والريح تمنعنا من فتح نوافذ
 القطار، ومناظر سويسرة تأخذ بأبصارنا ذات اليمين وذات اليسار، فوصلنا الى
 جنيف في خمسين دقيقة (للكلام بقية)

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

(١٠)

حكومة دمشق العربية

كنت قبل سفري الى سورية سألت عن حكومتها بعض من جاء منها الى مصر
 من السوريين والاجانب الذين يوثق بعلمهم ورأيهم - ومنهم الجنرال كايون
 الشهير والدكتور بشير القصار منا - فقالوا انها ليست رديئة وليست كما يجب من كل
 وجه، وهي شهادة حسنة لحكومة جديدة، هذه حقيقة حالها في ذاتها، ففيها ضعف
 بالنسبة الى ما يجب ان تكون عليه كل حكومة في هذا العصر. ولكنها كانت
 على ما فيها من ضعف وقصور خيراً من حكومتي الاحتلال في المنطقتين الاخرتين:
 الجنوبية (فلسطين) الانكايزية، والغربية (لبنان وساحل سورية) الفرنسية

كانت هذه الحكومة العربية الطفلة أقرب الى العدل والحرية والمساواة
 والاصلاح، وأبعد عن التعصب والمحاباة والافساد الادبي والاقتصادي من حكومتي

السكافي الذي يحمل المعطى على أن يقول حسبي حسبي . والماء الرمى بكمر الراء
 المشددة والقصير - الغزير المروي كروي ورواء بالفتح، والمعنى أنه أروى ظاهر
 الارض وباطنها وأحداها وأبقاعها التي يتحدر عنها الماء فلا ترموي الا بالغزير المتصل
 (٤) البيداء الصحراء، وصوب المطر نزوله وأنحداره، وطما ارتفع، وتياره

موجسه، وسجا سكن. والمعنى ان البيداء كانت غيب نزوله اي بعده كبحر ارتفع
 موجسه واضطرب، وسكن بعد ذلك ثم ذهب، وبذلك كان رحمة لا تقمة

(المجلد الثالث والعشرون)

(٤٠)

(المنار : ج ٤)

الدولتين اللتين ابتدعتا لنا بدعة الانتداب لاصلاح بلادنا بحجة اننا عاجزون عن النهوض بأمر أنفسنا ، ولقد كانت هذه الحكومة بعد زوال السيطرة البريطانية ولا سيما بعد اعلان الاستقلال خيرا منها قبل ذلك : كانت متوجهة الى الاصلاح الاداري والعلمي ، وكانت الحرية بجميع أنواعها ولا سيما حرية الاجتماع والخطابة والنشر مما تجسدها عليه سائر البلاد السورية ومصر ، وزال من دمشق ما كانت مشهورة به من المبالغة في الحفاوة والتعظيم للحكام والوجهاء ، وشعر الشعب بحرمته وكرامته ، وقد كان لتواضع فيصل وآدابه الشخصية العالية تأثير عظيم في ذلك

كان اليهودي الصهيوني يحابي في فلسطين فيقدم على المسلم والمسيحي بفيرحق ، وكان الكاثوليكي يحابي في الساحل كذلك ، ولم يكن المسلم يحابي في حكومة الشام ، ولاشكا مسيحي ولا يهودي من الحكومة ولا من الاهالي تعصبا عليه ، ولا ظمالة من المسلمين ، ولم يكن المسلمون يرجون من الوزراء ورؤساء الحكومة المسلمين مالا يرجون من الوزراء والرؤساء من النصارى . وما أبرئ هذه الحكومة من عيب محاباة الكبراء وقبول شفاعتهم في طلاب وظائفها بدءا وترقية ، وكان أكبر هذا الضعف في الوزراء والرؤساء بازاء الملك فيصل وعشيرته والمقرين منه فان هؤلاء قد اعتادوا على عهد سلطتهم العسكرية المطلقة أن يتصرفوا في الاعمال والأموال بما شاؤوا وكيف شاؤوا ، فصعب عليهم بعد اعلان الاستقلال أن يتقيدوا بقانون ونظام ، ولم يكن للوزراء من الشجاعة الادبية والتكافل ما يؤهلهم لتقيدهم وتعميدهم الوقوف عند حدود سلطتهم الرسمية ، اذ كانوا هم قد اعتادوا في عهد الترك أن يميلوا مع أهواء الرؤساء والكبراء ، ومع هذا أمكن الحكومة الاستقلال أن تقيد الملك براتب محدود لم يكن راضيا به على كثرته ، وكان يستهلك راتب كل شهر في أوله أو قبل بدو هلاله ، ويطلب من وزارة المالية سلفة بعد سلفة فلا يزال كل ما يطالب ولا أكثره بسهولة . وقد كان نفوذه في بعض الوزارات أقوى منه في غيرها ، واختلاف مع الوزارة في عدة مسائل من أهمها انه كان يريد ارسال حملة من الجيش السوري الجديد لقتال ابن سعود لإنجاد آل نواله ، — اذا ثبت ما كان أشيع من عزم الاخوان النجديين على الاسيلاء على المدينة المنورة — فلما كاشف الوزراء بذلك حاروا في أمرهم ، وهدتشارر وتدبرقروا الرد عليه بأنه لا سبيل الى ارسال حملة من جند الحكومة ، ولا اتفاق شي من ما لهافي

هذه السبيل، وإنما يمكن جمع حملة متطوعة بمال الحجاز، وكان هذا أفضل موقف للوزارة الاتاسية مع الملك فيصل أشدة اهتمامه بهذا الأمر وتصريحه للاتاسي وغيره بأنه إذا وقع القتال بين والده وبين ابن سعود فإنه يغادر سورية وينذهب بنفسه للقتال سواء ساعدته حكومة الشام أم لا، ولكن لم يقع ما كان يتوقع ولو وقع فأصر فواتته الوزارة لهجزت عن التنفيذ وكان هذا رأيي إذ شاررتني في الأمر لو وجدت في الشام وزارة حازمة بصيرة لا يمكنها أن تعمل في البلاد عملاً عظيماً في فرصة الاستقلال وارتفاع السيطرة العسكرية البريطانية عن المنطقة الشرقية، وقد كان لي أمل كبير في وزارة علي رضا باشا الركابي - لأدري أكان للصلة الودية بيننا تأثير فيه أم لا - ولا أدري كنه السبب الخفية هذا الأمل. كان بعض الناس يبائع لي في الطعن فيه وبعضهم يدافع عنه، ولم أستطع الوقوف على حقيقة رأيه في موقف البلاد السياسي، ولا فيما يجب أن تكون عليه الحكومة على ما كان من احترامه إياي وحسن اعتقاده الذي هو فوق ما أشرت إليه في الفصل الذي قبل هذا، وإنما كنت أعجب لكلمة سمعتها منه مرة أو مرتين وهي إن استقلنا مضمون وانكاثرة وفرنسة متفقتان عليه!! وقد اقترحت عليه شيئاً واحداً من الإصلاح، وهو وضع إدارة منظمة للعشائر والقائل بينت له بعض مسائلها وما يرجي منها، فأظهر لي منتهى الانسحاب لها، وطلق بما طل ويسوف فيها مع إقناعي للملك فيصل بوجوب العناية بها، وأمره إياه بتنفيذها ولم يفعل، وقد كثر بعد الاستقلال المتقدمون له حتى صار أكثر أعضاء المؤتمر وأفراد حزب الجمعية التي ينتمي هو إليها وهو حزب الاستقلال العربي عليه، وانتهى ذلك بانحراف الملك عنه، وعقدت اجتماعات سرية للبحث في إسقاط وزارته حضر بعضها الملك فيصل وتقرر فيها استبدال وزارة قوية بها، فتألفت وزارة هاشم بك الاتاسي ودخل فيها الدكتور عبد الرحمن شهبندر والمرحوم يوسف بك العظمة وكان الكاتب هو المقترح الأول لادخالها في هذه الوزارة. وأما الرئيس فاختاره الملك فيصل، وقد كان أحد أعضاء لجنة الشورى السورية قد استطاع هاشم بك بدمائه واطفه إرضاء الملك، ولكنه لم يكن بالرئيس الذي يرضاه في هذا الوقت المؤتمر ولا الأحزاب وفي مقدمتها حزب الاستقلال العربي الذي

هو منه، لان الجميع كانوا يطلبون وزارة دفاعية تصرف جل جهدها في الاستعداد للدفاع عن الاستقلال اذا اعتدي عليه ، أو يكون الاستعداد سببا لعدم الاعتداء . فلم يلبث أن ضايقه المؤتمر والحزب، وتوجه رأي الاكثريين الى وجوب تبديل وزارته وكثير الانتقاد في المؤتمر عليها، والاقتراحات في أمر استيضاحها عن موقف البلاد ، والاستعداد للدفاع، وكنت أجهت في حمل المؤتمر على الاناة والتروي والحزب الغالب يظاهرنى ولما علم حزب الاستقلال بانذار الجنرال غورو للملك فيصل اجتمعت الجمعية العامة لعني الليلة الـ ٢٧ من شوال (١٣ يوليو) وانتخبت وفدا مؤلفا من أعضاء اللجنة المركزية وسبعة من غيرهم لا بلاغ الملك فيصل وجوب تبديل الوزارة فان لم يجب بكلمة هاشم بك أن يستقيل ويقنع الملك بأن يكلف ياسين باشا الهاشمي تأليف وزارة دفاعية. وكان كاتب هذا رئيسا لتلك الجلسة ثم الوفد ، فلما بلغنا الملك ذلك أجاب جوابا جافا خلاصته أنه لا يهمل برأي جمعية ولا حزب ولا المؤتمر ، وأجبتة جوابا أشد من جوابه وأجف وأجفى ، ولا حاجة الآن الى تفصيل ذلك ، ثم كلفت رئيس الوزارة الاستقالة باسم الوطن واسم الاخوان فأجاب بالقبول — قال ولكن ليس يجب الاتفاق قبل ذلك على من يخلفنا لئلا يكونوا ممن تنكرون منهم ما لا تنكرون منا ؟ فأنتم تقفون بوطني ولا تشكون مني الا الضعف عن النهوض باعباء الحال الحاضرة، وربما كان الخلف الذي يرضاه الملك أضعف وغير موثوق بوطنيته ، وقال ان الملك لن يولي الهاشمي الوزارة بل اجتهدنا في اقناعه بأن يولية وزارة الداخلية فأني إنما موضوع كلامي ها بيان ضعف الوزارة لا ترجمة الملك فيصل ، ولا تاريخ تلك الابهام المفصل . وقد كنت كلمت الامير زيدا في ذلك اذ خلوت به مرتين في أيام فرصة عيد الفطر — احداها في داري والاخرى في البلاط — وكان يشكو من ذلك مثلنا . فقلت له : إن الاصلاح ان يكون الا بترك الملك التدخل في أعمال الوزارة بنفوذه الشخصي — فاعتذر عن تدخل الملك بأن سببه ضعف الوزارة وعجزها ، فقلت له : إنما يجب عليه إصلاحها لا التصرف الشخصي في جزئيات أعمالها الذي يزيد ما خلا. وقد كان الملك فيصل راضيا كل الرضى عن وزارة الاتاسي ، ولا سيما وزير الخارجية الدكتور عبدالرحمن شهبندر الذي كان من قبل يكرهه ويظن

أنه عدو له حتى إنه قال لي يوماً : إنني لما عرفت شهبندر احتقرت جميع أهل الشام ،
ولكن رضاه في ذلك الوقت ، كان سبباً لسخط جمهور الشعب .
وقد أفضى ضعف الحكومة وإينها وطمع الطامعين فيها إلى أن تجرأ الساخطون
عليها من الطامعين في المناصب والمواهب الملكية على الطعن فيها ؛ وتأليف
الاحزاب لمقاومتها ، وكان بعض العلماء والعامة ، يكثرون الطعن في وزير المعارف خاصة ،
ويزعمون إنه يريد اضعاف الدين في المدارس وتعويد البنات فيها على التهتك ، وطالما
راجعوني في هذا قبل اعلان الاستقلال وبعده متوسلين بي إلى السعي مهم لدى الأمير
ثم الملك بعزله ، فكنت أنصح لهم بالتأني وأحسب حساباً لتعود الشعب الاقتيات
على الحكومة ولا سيما الطامعين منه في أعمالها ومناصبها ، وأرى أن السعي لتلافي الخلل
واقناع الحكومة باصلاح ما ينتقد عليها بحق أحسن عاقبة من إطماعهم فيها . وقد ذكرت
رأبي هذا لمدير المعارف ثم وزيرها ليكون على بصيرة من أمره . ولم يقف تأثير ضعف
الحكومة في الشعب عند هذا الحد بل أفضى أخيراً بالساخطين والطامعين أن تجرأوا
على السعي لهدم الاستقلال والتزلف إلى الاجانب ققوي الحزب الوطني المتهم بموالاتة
فرنسة وهو الذي كان يرأسه عبدالرحمن باشا اليوسف . حتى إنه بلغ الحكومة أنهم عزموا
على تأليف وفد فيه سبعة من حملة العمامة ، وسكنته الاثواب العباغب ، يرسلونه إلى باريس
لطلب الإلتداب الفرنسي على جميع البلاد السورية ، ولم تفعل الحكومة شيئاً — وأغرب
من هذا ان بعض الموظفين في بلاط الملك سرق دقتر الخزينة الخاصة مرتين ولم يشك
أحد علم بذلك في سببه ... ولم يعاقب بل لم يحاكم بل لم يجز في البلاط تحقيق شأنه
وكان بعض الوزراء كيوسف بك العظمة (رحمه الله) يخص وزير الداخلية
بالتصير في ايقاف الاحزاب المعارضة عند حدها فقلت لهم كلا ان هذا يطلب من
الوزارة كلها لا من الداخلية وحدها

أكتفي بهذه الخلاصة من بيان ضعفنا وتعليل عدم نجاحنا ، عسى أن نعتبر به
في مستقبل أمرنا ، وأعيد القول بأن حكوماتنا كانت مع هذا خيراً من حكومتي
المنطقتين الاخرين من بلادنا أمناً وعدلاً ومساواة وتقدماً في العلم والاقتصاد
وسأتكلم في الفصل الآتي على المؤتمر

احوال العالم الاسلامي

لم يبق ريب ما في أن الشعوب الاسلامية قد استيقظت من رقادها السياسي الذي كاد يكون موتاً زوئاماً، وذلك بعد أن بلغ الضيم فيها غايته بهذه الحرب الاخيرة، وأحيط بها أو كاد، ولا يزال الطامعون يحاولون الاجهاز عليها، والقضاء على ما بقي من ملكها، لئلا تحيا بهذه اليقظة حياة جديدة تنال بها حريتها، وتحفظ حقيقتها، ولكنهم غير متفقين على قسمة الغنيمة، وشموبهم تناقضهم الحساب على ما ينفقون في سبيل التوسع في الاستعمار، وسياسة الشعوب بقوة الحديد والنار، لان هذه الحرب قد أكلت ثروتها، وضاعفت الضرائب عليها، فهذه فرصة يجب على الشعوب الاسلامية اغتنامها بتقوية أنفسها، وتعاونها فيما بينها وبين سائر الشعوب الشرقية المجاورة لها، والظاهر أن كلا منها يبذل جهده بقدر ما يصل اليه علمه وقدرته

الافغان

وانتازى الشعب الافغاني خيراً من غيره فهو لا يهاجم الا الآن ولا يقاوم من الخارج، ولا شقاق يعرقل عمله في الداخل، وقد سلك طريقة الحياة المثلى اذ جعل همه الاول في تنظيم القوة العسكرية طالما أن خصمه لا يحترم غير القوة، ثم في التعليم وتنمية الثروة لان القوة وسائر شؤون العمران متوقفة عليها، وهو مع هذا يمتصم بولاء اخوانه من الشعوب القريبة منه كالفرس والترك. ومن توفيق الله تعالى ان كان أميره في هذا الطور من أفضل أمراء الشرق علماً وعقلاً وأخلاقاً وهمة وحزماً وعزماً وديناً

الفرس

ويسوءنا أن جاره الشعب الايراني لا يزال مصاباً بالشقاق الداخلي الذي كان سببه الباطن تأثير التعاليم الافرنجية، والدسائس الانكليزية والروسية جميعاً، فعسى أن يوفق في هذه الفرصة السانحة الى جمع كلمته، واتفاق زعمائه على خطة واحدة ينحون فيها نحو جيرانهم الافغانين. ونذكر الزعماء المختلفين أن دوام الخلاف باصرار كل فريق منهم على تنفيذ رأيه دون غيره أشد خطراً على البلاد من الاتفاق على خطة يرى بعضهم أن فيها شيئاً من الخطأ فان الشقاق الداخلي اكبر المهالك. ولا سيما في مثل هذه الايام والاحوال التي هم فيها

الترك

أما الترك فهم على كونهم قد استفادوا من المبر بهذه الحرب أكثر من غيرهم ، وعلى كونهم لا يزالون أعظم استفاداً من غيرهم لحماية حقيقتهم ، والدفاع عن بيضتهم ، وعلى انتفاعهم بمطف العالم الاسلامي كله - ولا سيما مسلمي الهند - عليهم ، وعلى تسخير الله الدولة الروسية عدوتهم التاريخية الكبرى في عهد القياصرة الى مساعدتهم ، وعلى استفادتهم من الخلاف السياسي بين فرنسا وانكلترا - هم على هذا كله - لا يزالون على خطر من اصرار الدولة البريطانية على نيل عرشهم (رفعه الله) وتقويض دعائم ملكهم (جاء الله) ولا تزال اليونان محتملة لجزء عظيم من بلادهم . وذلك يوجب عليهم من الحدق والدهاء في السياسة مع الاستعداد الحربي ومن التفاني في الاصرار على الاستقلال المطلق ، والحرص على استدامة صداقة الشعوب التي عطفت عليهم والسعي لاكتساب مودة غيرها ما نرجو أن يكون فيهم من الرجال من يقوم به كله

مصر

وأما مصر فقد استفادت من جهادها رفع الانكاز للحماية الباطلة عنها ، واعترافهم بالاستقلال والسيادة القومية لها ، وتلا ذلك اعتراف الدول بذلك واحدة بعد أخرى ، فصارت أقدر على الجهاد في سبيل ازالة الاحتلال الاجنبي عنها وعن سوداتها الذي هو مصدر حياتها ، اذا هي وحدث أحزابها وعرفت كنه قوتها ، وانما هي قوة سلبية اقتصادية ، لا حرية ولا عدوانية

العرب

وأما سائر العرب فلا يزالون على ما شكونا منه من تفرقهم الا أن اخواننا العراقيين قد أقروا أعيننا بما علمنا من اتفاق السواد الاعظم منهم على الاستقلال المطلق من قيود الحماية والوصاية والانتداب ، وعجز الدسائس الاجنبية عن تفريق كلمتهم وعن خداعهم بجمل السيطرة عليهم موهبة في شكل مهادنة ، ولكن ساء ناغفلة الكثيرين منهم عما تبغيه من ايقاع العداوة والبغضاء بينهم وبين جيرانهم النجديين ، وما يجب من تحامي ذلك والخضوع من لباسه لباس الدين ، ونرجو أن يفتن لذلك سلطان نجد الحكيم ، ويعلم أن الاجانب يخوفون العراقيين من عدوانه عليهم ليرضوهم ببقائهم تحت سيطرتهم العسكرية . واننا لمتقد أن دينه وعقله يأبى أن يجعل نفوذه آلة حربية للاجنبي يخضع بها أخصب بلاد العرب وأوسمها لسلطته

وهو لا يجهل ان استتباب السلطة الأجنبية في العراق والشام خطر على استقلال نجد وسائر جزيرة العرب ، وقاض على كل سلطة للإسلام فيها ، ولا سيما اذا امتدت فيها السكك الحديدية العسكرية ، وقواعد الطائرات الحربية ، التي تؤسسها السلطة البريطانية في العراق وشرق الأردن من سورية ، ولكن الحجازيين يجتهدون في بث الدعوة (البوربفندة) لتشويه سمعته ، والطمع فيه وفي أهل بلاده ، ويوهمون الناس أنهم وحوش ضارية يستحلون سفك الدماء بغير حق ، فيعاقبون بالقتل على أقل ذنب ، أو مالا يعد عند غيرهم بذنب ، وغير ذلك من الزور والبهتان والكذب ، وقد راجت هذه الدسائس حتى في سورية وفلسطين ومصر

والحق انه لا يوجد فيما نعلم من أمر بلاد الاسلام قطر يقام فيه الاسلام مثل نجد ، سواء في ذلك الاعمال الشخصية والقضائية أو بث الدعوة ومقاومة البداوة ، والزمام البدو بالمران والحضارة ، ومنعهم من الغزو والمدوان بغير حق ، لاجل الارتزاق والكسب ، وإنما يقاتل النجديين البدو لاجل هذا ، ولم يتمدوا على حكومة منظمة لاجل فتح بلادها ، وإنما أزالوا امارة ابن الرشيد لانه لا يجوز أن يكون في قطر واحد حكومتان مختلفتان ، وآل سعود هم الامراء الشرعيون لهذه البلاد ، وقد اختاروا في ازلها أخف الضررين وهو الحصار وأما اليمين فلا يزال العداء والشقاق بين اماميها يحيي والادريسي مستمرا ، والقتل آونة بعد أخرى مستحرا ، وقد اتفق الثاني مع صاحب نجد وتحالفنا فاشتمد ازره ، وكان صاحب الحجاز يطمع في جعلهما تابعين له ولو في السياسة على كونها أقوى منه وأعز ، ثم حاول الارتباط متهما بمخالفة هجومه دفاعية وانتهى الامر بوفاق اقتصادي وهو لا يبلغه غرضه من تدويع نجد ، ولا يؤمنه تغلبها على الحجاز ، ولا يرتاح مع ذلك الى الصلح والاتفاق مع صاحبها ، لانه يخاف ان يبث دعوة التدين في سائر بدو الحجاز وحضره آمنة والبلاد مستعدة لذلك ولا سيما الاعراب فيها . ولعله لولا رجاؤه في جمع قوته الى قوة ولديه في العراق وشرق الأردن للاحاطة بنجد وازالة سلطانها لجنح الى السلم ورضي بالاتفاق ، وهم يبتون الدعوة في هذه الاقطار الثلاث وما جاورها من سورية ومصر تمهيدا لذلك ، ويمتقد أنهم اذا استولوا على نجد يتم له تأسيس الامبراطورية العربية ، في ظل الدولة البريطانية ، تنفيذاً لمقررات نهضته الرسمية في ادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

بوتني الحكمة من بقاء ومن يوت الحكمة
فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
إلا أول الألباب

المسألة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستعملوا حسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٣٠ رمضان ١٣٤٠ - ٥ الجوزاء (٣) سنة ١٣٥٠ هـ ٢٧ مايو سنة ١٩٢٢



فتاوى المنار

﴿ تعريف المنطق وعدم اطراد ما ذكره من غايته ﴾

(س ١٩) من صاحب الامضاء في لنبجة (الخليج الفارسي)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المصلح الوحيد الامام، والاستاذ العلامة الهمام، السيد محمد رشيد
رضا منشيء مجلة المنار الاعظم لزال كهفا للانام ومؤيدا للاسلام
وبعد فقد اطلمنا على جوابكم عن اشكال بيت جرير وكان الجواب كجواب
حضرة الوالد حرفا بحرف فحصل به اطمئنان خاطر، ثم إنه عرض لي اشكال ولم
أر من تنبه له ولا من أجاب عنه فعرضناه على خليفكم وشاكر احسانكم الوالد
فأمرني باستجداء الجواب عن حضرتكم، فالمرجو كشف الغمة لازلتكم كما أملتكم.
الاشكال هو أن مؤلفي فن المنطق اتفقوا في تعريفه بأنه آلة قانونية تصمم
مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر واتفقوا فيما أعلم أن واضع هذا الفن الحكماء
اليونانيون وكونهم قائلين بقدم العالم على قدم، فلا يخلو من امور اما عدم صحة

التعريف، واما ادعاء أن الواضعين لم يراعوها، وإما كونهم محقين في ذلك. على كل أزيلوا الاشكال كما جعلكم الله تعالى كهفا ومنارا
 (ج) اننا نجزم بأن ما ذكرناه في تعريف المنطق لا يصح باطراد، وأن حكماء اليونان وغيرهم ممن كانوا يحاولون إثبات العلوم العقلية بأنواعها حتى الالهيات بتطبيقها على قواعد المنطق لم يستطيعوا مراعاة أحكامه لافي التصورات ولا في التصديقات، فتحديد السكيات التي يؤلف منها الحد والرسم في التصورات، ومقدمات القياس ولا سيما البرهان الذي عليه مدار صحة النتيجة في التصديقات، كلاهما من أعسر الامور وأبعدها عن المنال. وليس خطأهم محصورا في قولهم بقدم العالم بل هو غير محصور، على انهم لم يكونوا يدعون ان كل مسألة من مسائل فلسفتهم وقضية من قضايا علومهم من اليقينييات الثابتة بالبرهان وأكثر ما كان يفيدهم المنطق في المناظرات، التي تقوم فيها المسلمات مقام اليقينييات. وبيان هذا بالتفصيل وتوضيحه بالامثلة لا يتم الا في مقال طويل، وحسبك ان تتأمل اليقينييات الست لتعلم ما يقع فيها من الغلط والتلبس ومثل علم المنطق في هذا علم الشرع فانك ترى الخطأ في تطبيق الاحكام الشرعية على الوقائع العملية كثيرا جدا وترى فهم الناس للاحكام يختلف باختلاف معارفهم وأخلاقهم وعاداتهم والعرف العام عندهم حتى إنهم ليستدلون بالحكم على ضد ما يدل عليه أحيانا كما هو شأنهم في البدع فما من بدعة فشت الا وأهلها يستدلون عليها بأدلة تشبه الشرعية وما هي بشرعية. هذا شأنهم في نصوص الشرع الواضحة ولم تصرفهم عنها قواعد أئمة العلماء الذين يدعون تقليدكم كما بيناه في الفتوى الثانية من فتاوى المجلد الثاني والعشرين

﴿ اطلاق أسماء الله تعالى على بعض خلقه ﴾

(س ٢٠) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد افندي رضا

صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

سلام الله عليكم وتحياته وبركاته وبعد أرفع افضيلتكم ماياتي راجيا التكرم

بالاجابة عليه وهو :

(المجلد الثالث والعشرون)

(٤٣)

(المنار : ج ٥)

الفاظ تستعملها الناس عند مخاطبة العلماء والرؤساء وأصحاب الرتب العالية كالسلاطين والوزراء وغيرهم مثل: العليم . الحكيم . الرحيم . مولانا . صاحب العظمة صاحب السعادة . صاحب العزة . ولي النعم . رب الفضل وغير ذلك فهل يجوز مخاطبة العبيد ومدحهم بهذه الصفات مع انها من صفات الله سبحانه وتعالى أم لا
م . ط . ل

(ج) أسماء الله تعالى منها ما هو خاص به عز وجل كاسم الجلالة (الله) و(الرحمن) و(الرب) بالتعريف وغيرها فلا يجوز وصف غيره بها ، ومنها ما هو غير خاص به كالرحيم والعليم والحليم والحكيم وقد وصف الله تعالى رسوله بقوله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) و(برأهيم بالحليم) وكذا ولده اسماعيل اذ قال فيه (فبشرناه بعلام حليم) وولده اسحق بقوله (وبشرناه بعلام عليم) وآتى داود الحكمة وقال (يؤتى الحكمة من يشاء) ومن اوتيها كان حكيما ومن هذه الالفاظ المشتركة في الاستعمال « المولى » قل تعالى في رسوله (ص) (فان الله هو مولاه وجبريل وصالحو المؤمنين) وأما صاحب العظمة وصاحب السعادة وصاحب العزة وولي النعم ورب الفضل فلم يرد في الكتاب ولا في السنة إطلاقها على الله تعالى ولكن ورد (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وورد (من كان يريد العزة قل الله العزة جملها) وثم آيتان أخريان كهنه ، وفي اسناده الله وأخيره قوله (والله العزة ورسوله وللمؤمنين) ووصف عرش بلقيس بانه عرش عظيم . وكتب النبي (ص) الى هرقل فوصفه بقوله « عظيم الروم » والى المقوقس « عظيم القبط » والى غيرها من الملوك والرؤساء بمثل ذلك ويظهر انه لا يجوز وصف غيره تعالى بعدة صفات من الصفات المشتركة اذا كان باجماعها يعلم من سمعها لا مجتمع لمخلوق بحيث يظن اذا لم يعرف الموصوف بها انها لله تعالى
(لبس العمامة سنة أم لا ؟)

(س ٢١) ومنه: هل لبس العمامة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أحاديث صحيحة معتمدة أم لا ؟ وهل من يلبس العمامة يثاب على لبسها؟ وهل العمامة البيضاء والخضراء والسوداء والحمرات كلها سواء أم أياها أفضل
(ج) ثبت في السنة أن النبي (ص) كان يلبس العمامة تارة فوق القلنسوة وهو

الاكثر وتارة بغير قلنسوة وانه كان يلبس القلنسوة تارة بغير عمامة وأنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وورد انه كان يرخي طرفها وهو الذؤابة بين كتفيه . وانه كان يلتحي بها تحت الحنك كما يفعل المغاربة . ولم يرد الامر بلبسها على سبيل التدين والتشريع ، فمن اعتم كما كان يعتم بنية التشبه به (ص) في لباسه حبا فيه عليه صلوات الله وسلامه كانت هذا النية مما يثاب عليه وهكذا التشبه به (ص) في سائر عاداته التي لم يقيم الدليل على شرعها دينا لنا بشرط أن لا يتخذة ديننا لانه يكون حينئذ تشريعا وكل مباح يفعل بنية صالحة يثاب عليه المؤمن . وقد سبق هذا البحث في المنار من قبل فلا نطيل به

﴿ مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ﴾

(س ٢٢) ومنه: وهى مؤلفات الشيخ أحمد بن يمية الحراني الحنبلي والشيخ محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية صحيحة معتمدة يجوز العمل بها أم لا ؟ أفتونا ماجورين

(ج) : اننا لم نطلع على جميع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ونشهد على ما اطلعنا عليه منها انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية ومحققا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لانظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزايها ، فانها ألفت بعد فشو البدع في الامة وتعدد العلوم وكثرة التأليف في المعقول والمنقول وكان أكثر علماء المعقول مقصرين في علم السنة وآثار السلف الصالح ، وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرين في العلوم العقلية ، فبعدت الهوة بين الفريقين وكثر الخاط والخبط في علوم الشرع حتى جاء أول هذين الشيخين فكان ممن جمع الله لهم بين سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولفوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظيرا في هذا الجمع ، وقد خرّج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم ابن القيم ولا سيما في العلوم الشرعية . فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول وأقوى رد على جميع ما خالف السنة وسيرة السلف الصالح ، لا نعرف لها نظيرا في ذلك فلو اهتدى بها المسلمون علما وعملا لأما اتوا البدع وأحيوا السنن وحسنت حالهم في دينهم ودينهم . ولدخل الناس في

دين الله أفواجا. ولكنها غير معصومين من الخطأ فقد أنكرنا في تفسير هذا الجزء عبارة للاول تابع فيها غيره من غير أن يتنبه الى حاجته الى الاستقلال في الاستدلال عليها، وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الاعمال الى الموتى في آخر تفسير سورة الانعام. ولم يؤلف أحد كتابا وافقه كل الناس على كل ما فيه وخير الكتب ما قل فيه الخطأ. على ان كثيراً من المخطئين لغيرهم يكونون هم المخطئون وغيرهم المصيب، وما كل من أصاب بتخطئة غيره في مسألة أو أكثر يكون أعلم منه مطلقا ولا مثله وإنما العصمة لمن عصم الله فيما عصم. ولو شئنا أن نؤلف كتابا حافلا في فضل مؤلفات الشيخين وشدة حاجة الامة اليها في هذا العصر لفعلنا

﴿ أكل الحرام كالربا والقمار وإرثه والعقاب عايمه ﴾

(س ٢٣ و ٢٤) - ومنه

رجل جمع مالا من طرق غير مشروعة كربا وقمار ولعب بالبورصة (مايسمونها بالكونتراتات) وغير ذلك هل يجوز الاكل عنده واذا مات وترك أولاداً يعلمون بحال أشغاله فهل يكون المال حلالا للاولاد بالميراث أم لا ؟ واذا مات رجل وعليه ديون ومظالم لاناس ولم تسامحه أربابها في الحياة الدنيا فما حكمه يوم القيامة ؟ وهل يعذب في قبره بسبب ذلك أم عذابه في الآخرة ؟ واذا سامحه أرباب الديون والمظالم في الدنيا فهل يرفع عنه العذاب ؟ وهل يجوز مسامحته في ذلك يوم القيامة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ، ولكم من الله عظيم الاجر والثواب

(ج) - من علم أن مال زهد من الناس حرام كانه لم يجز له أن يأكل من طعامه ولا أن يعامله بهذا المال . ولكن قلما يوجد أحد جميع ما له حرام . ومن ترك لأولاده مالا يعلمون انه مقصوب أو مسروق مثلاً ويعرفون أصحابه فالواجب عليهم رده اليهم . وأما مالا يعرف له مالك والمأخوذ بالعقود الفاسدة شرعا كالربا والمضاربات فيملكونه وان كان في الفقهاء من يقول بأنها لا تفيد الملك للمتعاقدين بها فهذا لا يسري الى من تنتقل اليه منهم بسبب شرعي صحيح كالارث ولا سيما اذا كان مختلطاً بغيره غير متميز فعلى هذا لا يأثم ورثة هذا الميت بأخذ ما تركه لهم اذا لم يقتدوا به في أكل الحرام . والله تعالى يأخذ من حسنات من

مات وعليه حقوق للناس أو يحمله من سيئاتهم يوم القيامة إلا أن يحلوه منها وتقدم في تفسير هذا الجزء حديث صحيح في ذلك. وإذا عفا أصحاب الحقوق عنه فعفو الله تعالى عن حقه بمخالفة شرعه أرجى فهو مرجو غير مقطوع به. ويجوز أن يعذبه عليها في الآخرة ولم ير أنها سبب أذاب القبر

هذا إجاب إجمالي بلمشهور عند العلماء في المسألتين، والارلى ثمحل بمخاطوبلا في مسألة المال الحرام المختلط بالحلال نذكر منه على سبيل المثال ما تشد الحاجة الى معرفته فنقول إن من علم ان بعض مال زيد حلال وبعضه حرام وتميز عنده أحدهما من الآخر وجب عليه اجتناب ما علم انه حرام كمن علم ان زيدا سرق شاة أو ديكاً رومياً ودعاها الى العشاء معه منه فلا يجوز له أن يجيبه كما لا يجوز له أن يشتري منه ذلك ويأكله. وأما اذا تعذر تمييز الحلال من الحرام كالذي يقرض ماله الحلال في الاصل بالرأفهل يغلب الحرام فيجتنب جميع ما له أو الحلال فيعد الحرام كأنه غير موجود؟

لهذه المسألة صور كثيرة مختلفة الاحكام. فالحرام أنواع منه الظلم المحض كالغصب والسرقة ومنه المأخوذ بمقود فاسدة مع التراضي كالربا والتمار كما تقدم، والاختلاط اما يكون فيه كل من الحلال والحرام محصوراً أو غير محصور، وتجد أحكام هذه الاقسام مفصلة في كتاب الحلال والحرام من الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي، وتجد أيضاً في رسالة الحلال والحرام لشيخ الاسلام ابن تيمية أصولاً وقواعد تفيدك علماً تفصيلياً في المسألة. واننا ننقل هنا بعض ما قاله أبو حامد الغزالي في اختلاط الحرام بالحلال غير المحصورين بعد ان قسمه الى عدة أقسام، وهو —

(القسم الثالث) أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به. والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من

الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على انه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكاه. ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس فأما الاثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت أثمان الخور ودرهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الاموال وكذا غلول الغنيمة^(١) ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا اذ قال «أول ربا أضعه ربا العباس» ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخور وسائر المعاصي حتى روي ان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه: لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها- وقال صلى الله عليه وسلم «ان فلاناً يجر في النار عباءة قد غابها» وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غابها وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشاراً اليه في الورع والا كثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في أيام الظلمة. ومن أوجب مالم يوجب السلف الصالح وزعم أنه تفتن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موشوس مختل العقل، ولو جاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير^(٢) وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الاشياء الستة. وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم

وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذا الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببها في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لالمحالة الى الاختلاط. (فان قيل) فقد نقاهم انه صلى الله عليه

(١) الغلول الخيانة فيها (٢) مسألة الشعر فيها خلاف وكذلك مسألة الربا في غير

وسلم امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون مما مسخه الله^(١) وهو في اختلاط غير المحصور (قلنا) يحمل ذلك على الشدة والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول

(فان قيل) هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالاضافة الى الحلال فإذا نقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام أم لا

(فأقول) ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل أكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض منشأ الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثير (مثاله) ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا أضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالاكثر أيضا بل هو كثير والفقهاء اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر. فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لان مستند هذا القائل اما أن يكون كثرة الظلمة والجنديّة أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الاسلام الى زماننا هذا على أصول الاموال الموجودة اليوم

(١) حملت هذه الرواية على الشك منه (ص) قبل ان يعلم امتناع ان يكون الضب من سلالة ما مسخ وقد صح ان رجلا قال يا رسول الله القرودة والخنزير هي مما مسخ الله؟ فقال «ان الله لم يهلك او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا» رواه مسلم

أما المستند الاول فباطل فان الظلم^(١) كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجندية اذا لا يظلم الا ذو غابة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلاً فيملك أقالماً يجمع ألف ألف وزبادة وامل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذا كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلاً مع تنعمهم بالمعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل

وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضاً كثيرة وليست بالاكثر اذا أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعددهم لواء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا أن يطالب الانسان بوجهه في البلد مخصوصاً بالمجانة والحبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيراً فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضاً عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها، وهذا مقطوع به لمن تأمله، وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستيعادها اياه واستعظامها له وان كان نادراً حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتمخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة

(المنار) لكلام الفرزالي هذا بقية نفيسة فيها مباحث في الحكومة والمصلحة العامة وعمران الكون ونظريات الاشتراكية وأهل الورع والزهد

(١) وفي بعض النسخ فان الظالم الخ والمراد جنسه ولذلك فان بعده فانه الجندية وعلى نسختنا يرجع الضمير الى أهل الظلم كما قدره الشارح

تطهير الاعتقاد

عن أدران الأحاد (*)

وقد يعتقدون في بعض فسقة الاحياء ، وينادونهم في الشدة والرخاء ، وهو
عكس على القبائح ^(١) لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ،
ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يهود مريضا ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالا
ويضم الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويحجبه اليه ابليس جماعة قد عشت في
قلوبهم وباض فيها وفرخ ، يصدقون بهتان ، ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا ندا
لرب العالمين ومثلا . فيا للقول أن ذهبت ، ويا للشرائع كيف جهلت ، (ان الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم)

فان قلت : أفصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والالياء والفسقة والخلفاء
مشركين كالذين يعتقدون في الاصنام قلت : نعم قد حصل منهم ^(٢) ما حصل من
أولئك وساوهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانتقاد والانتقاد فلا فرق بينهم
فان قلت : هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له
ندا والالتجاء الى الالياء ليس شركا . قلت : نعم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم
لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الالياء وتحريم التحاثر لهم شرك
والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أي لا تغيره كما يفيدته تقديم الظرف ويقول
تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقد عرفت بما قدمنا قريبا أنه سعى الرياء شركا
فكيف بما ذكرناه ؟ فبذ الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا
به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئا لان فعلهم أ كذب قولهم .

فان قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه . قلت : قد خرج الفقهاء في
كتب الفقه في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها
وهذا دال ^(٣) على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ

(*) تابع لما نشر في ص ٢٧٣ من الجزء الرابع (١) وفي نسخة القضايح

(٢) وفي نسخة فهم ما حصل في (٣) وفي نسخة دل

كفراً كفراً أصلياً ، فالله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة (أن لا تعبدوا الا الله) وإخلاصها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية ومن نادى الله لبلا ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمأناً . ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فان الدعاء من العبادة وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) بعد قوله (ادعوني أستجب لكم)

فان قلت : فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ماسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين : قلت : الى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقلوا يجب أولاً دعاؤهم الى التوحيد وإبانت أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئاً ، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الايمان بما جاءت به الرسل الا بتركه والتوبة منه وافراد التوحيد اعتقاداً وعملاً لله وحده . وهذا واجب على العلماء (أي) بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه الذنور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لاصنامهم . فاذا أبانت العلماء (ذلك) للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة الى إخلاص التوحيد فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذرايره ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين

(فان قلت) : الاستغاثة قد ثبتت في الاحاديث فانه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بأدم أبي البشر ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بهيسى وينتهون الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد اعتذار كل واحد من الانبياء فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر : قلت : هذا تلميح فان الاستغاثة بالخلق من الاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وإنما الكلام في استغاثة القبور بين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المرهض وغيرها . بل أعجب من هذا أن القبور بين وغيرهم من الاحياء ومن أتباع من يهتدون فيه يحملون له حصصاً من الولد ان عاش ويشتركون منه الخلل في بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ اليها المشركون : ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبور بكون بعض أهل القبور أنه جاء انسان بدراهم وحليلة نسائه

وقال (هذه لسيده فلان) يريد صاحب القبر — نصف مهر ابنتي لاني زوجتها وكنت ملكت نصفها فلانا : يريد صاحب القبر : « وهذا شيء ما بلغ اليه عباد الاصنام وهو داخل تحت قول الله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب — نعم استغاثت العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء اعمادعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يرجعهم من هول الموقف، وهذا الاشك في جوازه (أعني) طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً : « لا تنسنا يا أخي . من دعائك » وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم : يعني قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وقد قالت أم سلم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وهو حي وهذا أمره متفق على جوازه والكلام في طلب القبوريين من الاموات أو من الاحياء الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا على حبالهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدرؤا ضررهم، ويحفظوا هاهنا من العيون، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى — هؤلاء الذين قال الله فيهم (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فكيف يطلب من الجداد أو من حي الجماد خبير منه لانه لا تكليف عليه. وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية وقال (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد الا في الله، وجعلوا لهم جزءا من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقربا اليهم — وهذه

(١) وهذه التدور بالاموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئا من الزرع يسمونه تلم في بعض الجهات اليمنية وهذا شيء الخ

هي أنواع العبادات التي عرفناك — ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيماً له وعبادته ويقسمون بأسمائهم. بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عباد الأصنام (وإذا ذكر الله وحده اشتمت قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يحلف بالللات فأمره أن يقول: لا إله الا الله — وهذا يدل على أنه ارتد بلطاب بالصنم فأمره أن يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك كما قررنا في سبيل السلام شرح بلوغ المرام. وفي منحة الغفار:

فان قلت: لا سواء لان هؤلاء قد قالوا: لا إله الا الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها» وقال لاسامة بن زيد «قتلته بعد ما قال لا إله الا الله»؟ وهؤلاء يصلون ويصومون ويذكرون ويحجون بخلاف المشركين (قلت) قد قال صلى الله عليه وسلم الا بحقها وحقها افراد الالهية والبودية لله تعالى والقبور يون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فانها لا تنفع الا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الانبياء وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة — ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ولكنهم قالوا: ان مسيلة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوا فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية ويناديه للهيات. وهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ وكانوا يقولون: لا إله الا الله محمد رسول الله، ولكن غلوا في علي رضي الله عنه واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم بل عاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة فانه حفر لهم الحفائر وأجج لهم ناراً والقاهم فيها وقال

اني اذا رأيت أمراً منكراً أجهت ناري ودعوت قنبر

وقال الشاعر في عصره

لترم بي المنية حيث شئت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أجبوا فيمن فلرا رأيت الموت نقدا غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير. وقد وقع اجماع الامة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله الا الله فكيف من يجعل لله ندا. فان قلت: قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله لمن قال لا إله الا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسير قلت لا شك أن من قال: لا إله الا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله ولذا أنزل الله في قصة (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فأمرهم الله تعالى بالثبوت في شأن من قال: كلمة التوحيد فان التزم لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وإن تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ. وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه الى أن يتبين منه ما يخالف ذلك فاذا تبين لم تنفع هذه الكلمة بمجرد ما ولذلك لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج مع ما انضم اليها من العبادة التي يحقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقال «لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد» وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء كما ثبتت به الاحاديث، فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابها ما يخالفها من عبادة غير الله (فان قلت) القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجه الهم من الاحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد الا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم، ولا ن الحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة فانها ليست منحصرة فيما ذكرت بل رأنها وأساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه مُعْتَقِدًا ويصنعون له ما سمعته مما تفرغ عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم (التوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والالحاف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء أن من تزعم بزى الكفار صار كافرًا ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرًا فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقادًا وقولًا وفعلاً (فان قلت) هذه النذور والنحوائر ما حكمها: (قلت) قد علم كل عاقل أن

الاموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية ، ويقطعون
القيافي من أدنى الارض والاقاصي فلا يبذل أحد من ماله شيئاً الا معتقدا جلب
نفع أكثر منه أو دفع ضرر. فالناذر للقبر ما أخرج من ماله الا لذلك وهذا
اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهما فان الاموال عزيزة
عند أهلها قال تعالى (ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفتكم تبخلوا ويخرج
أضفانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه اضاءة لماله وأنه لا ينفعه
ما يخرج ولا يدفع عنه ضررا وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر لا يأتي بخير
وأما يستخرج به من البخيل) ويجب رده اليه، وأما القابض للنذر فانه حرام عليه
قبضه لانه أكل لمال الناذر بالباطل لافي مقابلة شيء وقد قال تعالى (ولاتأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل) ولانه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك
ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (ان الله لا يغفر أن يشرك به) الآية فهو مثل
حلوان الكاهن ومهر البغي ولانه تدليس على الناذر وإيهام له ان الولي ينفعه ويضره
فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأي تدليس أعظم وأي رضاه
بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأي تصبير لمنكر معروفا أعجب من هذا وما
كانت النذور للاصنام والاثان الا على هذا الاسلوب يعتقد الناذر جلب النفع
في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزورا من ماله ويقاسمه في غلات أطيانه ويأتي
به الى سدنة الاصنام فيقبضونه منه وبوهونه حقيقة عقيدته . وكذلك يأتي ببخيره
فينجرها بباب الصنم . وهذه الافعال هي التي بعث الله الرسل لازالتها ومحائثها
واتلافها والنهي عنها

فان قلت : ان الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب اخراجه للنذر وبذله
— قلت كذلك الاصنام قد يدرك منها ما هو أبلغ من هذا وهو الخطاب من خوفها
والاخبار ببعض ما يكتمه الانسان فان كان هذا دليلا على حقيقة القبور وصحة
الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقيقة الاصنام وهذا هدم الاسلام ، وتشديد لاركان
الاصنام . والتحقيق أن لا بليس وجنوده من الجن والانس أعظم العناية في إضلال
العباد وقد مكن الله ابليس من الدخول في الابدان والوسوسة في الصدور والتقام

القلب بخزطومه فكذلك يدخل أجواف الاصنام ويلقى الكلام اسماع الاقوام ومثله يصنع في عائد القبور بين فان الله تعالى قد اخذ له أن يجلب بمخيله ويرجئه على بني آدم وأن يشاركهم في الاموال والاولاد. وثبت في الاحاديث ان الشيطان يسترق السمع بالامر الذي يحدثه الله فيلقبه الى الكهان وهم الذين يخبرون بالمشيات ويزيدون فيما يلقبه الشيطان من عند أنفسهم. انه كذبة ويتصد شياطين الجن شياطين الانس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون ان الولي فعل وفعل يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه وترى العامة ملوك الاقطار وولاة الامصار مرزوقين لذلك ويولون المال لقبض الثور. وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم ارقاض او مفت او شيخ صوفي فيتم التديس لا يلبس وتمر عينه بهذا لتلبس (فان قلت) هذا امر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الاغوار والانجاد، وطبق الارض شرقا وغربا، ويحنا وشاما، وجنوبا وعدنا^(١) بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام الا وفيها قبور ومشاهد واحياء يمتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتقون باسمائها ويحلفون بها ويطوفون ببناء القبور ويسرجونها ويلقون عليها الاوراد والرياحين ويلبسونها الثياب ويصنعون كل امر يتدرون عليه من العبادة وما في معناها والتعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار اليها. بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر او قريب منه او مشهد يقصده المصلون في اوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكر او بعض ما ذكر، ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع حبات الدنيا (قلت) ان اردت الانصاف، وتركت متابعة الاسلاف، وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه الموالم جلا بعد جيل، وقبلا بعد قبيل فاعلم ان هذه الامور التي تفتقدن حيل انكارها، ونسب في هبدم منارها، صادرة عن العامة الذين اسلاهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين ذني ومثيل. ينشأ الواحد فيهم فيجد اهل قريته واصحاب بلده يلقونه في الطفولية ان يهتف باسم من يمتقدون فيه، وبراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به الى محل قبره ويأطخونه بتراجه

(١) كان المناسب أن يقول: وجنوباً وشمالاً

٣٥٢ سكوت جمهور المسلمين على المنكرات حتى في الحرم المنار : ج ٤ م ٢٣

وبجلونه طائفاً على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية أو المعرفة، أو الأمانة والحكومة معظماً لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه، قابضاً للتدور، آكلاً ما ينحر على القبور، فيظن أن هذا دين الإسلام وأنه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والآثار أن سكوت العالم أو العالم على وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر ولنضرب لك مثلاً من ذلك وهي هذه المكوس المسماة بالمجاني المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قدملات الدبار والبقاع، وصارت أمراً مانوساً لا يلج إنكارها إلى سمع من الأسماع، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع في مكة أم القرى يقبضون من القاصدين لاداء فريضة الإسلام، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام، وسكانها من فضلاء الأنام، والعلماء والحكام، ساكتون عن الإنكار، معرضون عن إرادته والاصدار. أفينكون السكوت دليلاً على أخذها واحرازها؟ هذا لا يقوله من له أذن إدراك.

بل أضرب لك مثلاً آخر هذا حرّم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشركاء الجهلة الضلال هذه المقامات الأربعة التي فرقت لعبادات العباد، واشتملت على ما لا يخصه إلا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالمثلل المختلفة في الدين، بدعة قرت بهامين إبليس اللعين، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووفد علماء الآفاق والابدال والأقطاب إليها، وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي أذنين، أفهذا السكوت دليل على جوازها؟ هذا لا يقوله من له إمام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبورين (فان قلت) يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكنت عن إنكارها لأعظم جهالة (قلت) الاجماع حقيقته اتفاق مجتهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد عصره وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون

الاجتهاد من بعد الاربعة وان كان هذا قولاً باطلاً، وكلاماً لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم لا اجماع أبداً من بعد الأئمة الاربعة فلا يرد السؤال، فان هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الاربعة وعلى ما تحققت فالاجماع وقوعه محال فان الامة المحمدية قد ملات الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم فعلماءؤها المحققون لا ينحسرون ولا يتم لاحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الاجماع بعد انتشار الدين، وكثرة علماء المسلمين، فانها دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق

ثم لو فرض انهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن انكاره لما دل سكوتهم على جوازه فانه قد علم من قواعد الشريعة ان وظائف الانكار ثلاثة (أولها) الانكار باليد وذلك بتغيير المنكر وازالته (ثانيها) الانكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير (ثالثها) الانكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان، فان اتقى أحدهما لم ينفى الآخر. ومثاله مرور فرد من افراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان، لانه انما يكون سخرة لاهل العصيان فانتهى شرط الانكار بالوظيفتين ولم يبق الا الانكار بالقلب الذي هو أضعف الايمان. فيجب على من رأى ذلك العالم ساكناً على الانكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار ان يعتقد أنه تعذر عليه الانكار باليد واللسان وان كان قد أنكروا بقلبه، فان حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب فالداخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الابنية الشيطانية التي فرقت كلمة الدين، وشتمت صلوات المسلمين، معذرون عن الانكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين وعلى القبور بين

ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض ما يستدلون عليه انه وقع ولم ينكر فكان اجماعاً. ووجه اختلاله ان قولهم ولم ينكر رجم بالغيب فانه قد يكون أنكروته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليد واللسان وأنت تشهد في زمانك انه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك وأنت منكر له بقلبك ويقول (المنار : ج ٥) (٤٥) (المجلد الثالث والعشرون)

الجاهل اذا راك تشاهده سكت فلان عن الانكار بقوله اما لا ثما أو متأسيا بسكوته
 فالسكوت لا يستدل به عارف وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال: فعل
 فلان كذا وسكت الباقيون فكان اجماعا — مختل من جهتين (الاولى) دعوى ان
 سكوت الباقيين تقرير لفعل فلان لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير
 (الثانية) قولهم فكان اجماعا فان الاجماع اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 والسكوت لا ينسب اليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه . قال بعض
 الملوك وقد اثني الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت مالك لا تقول
 كما يقولون فقال ان تكلمت خالفتم فما كل سكوت رضى فان هذه منكرات
 أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، واعراضهم
 تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فزد من الافراد، على دفعه عما أراد، فان هذه القباب
 والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة الى الشرك والاحاد وأكبر وسيلة الى هدم
 الاسلام وخراب بنيانه غالب^(١) بل كل من يعمرها هم الملوك والسلطين والرؤساء
 والولاة اما على قريب لهم أو على من يحسون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي
 أو فقير أو شيخ أو كبير ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون
 توسل به ولا هتف باسمه بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو
 أكثرهم فيأتي من يهدم فيجد قبرا قد شيد عليه البناء وسرحت عليه الشموع
 وفرش بالفراش الفاخر وأرخت عليه الستور، وألقيت عليه الاوراد والزهور،
 فيعتقدان ذلك لنفع أو لدفع ضرر ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بانه فعل وفعل
 وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع حتى يفرسوا في جباته كل باطل ولهذا الامر
 ثبت في الاحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها
 وأحاديث ذلك وانسمة معروفة فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة الى مفسدة عظيمة
 (فان قلت) هذ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة

(١) قوله غالب خبر قوله : فان هذه القباب اي ان اكثر من يعمرها هذه القباب
 بل كل من يعمرها هم الملوك والامراء . والاضراب مبالغة فان الذين اقتدوا بهم
 كثروا ايضا وامله كذلك في بلاد المؤلف

عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ماته بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من ابنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ذكره في (تحقيق النصره بتأخيض معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الا اول

وهذا آخر ما أردناه بما أوردناه لما عمت البلوى واتبعت الالهواء وأعرض العلماء عن الشكير الذي يحب عليهم، ومالوا الى مالمات العامة اليه وصار المنكر مهروفا والمعروف منكراً، ولم نجد من الاعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجراً

(فان قلت) قد يتفق للاحياء وللأموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الافعال يتسمون بالمجاذيب فما حكم ما يأتون من تلك الامور فانها مما جابت القلوب الى ^(١) الاعتقاد بها (قلت) أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بالستهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم من أجناد ابليس اللعين ومن أعظم حمر ^(٢) الكون الذين البستهم ^(٣) حل التلبيس والتزيين، لما أن اطلاق الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم الله الله ليس بكلام ولا توحيد وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف باخراجه عن لفظه العربي ثم اخلاؤها عن معنى من المعاني ولو أن رجلاً عظيماً صالحاً يسمى زيد وصار جماعة يقولون زيد زيد لمد ذلك استهزاء واهانة وسخرية، ولا سيما اذا زادوا الى ذلك تحريف اللفظ ثم انظر هل أتى في لفظه من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها اذ الذي فيها هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل وهذه اذكار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشبهق والنبيق والنعيق الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسوله صلى الله عليه وسلم وسمته ودله في مكان سحيق، ثم قد يضيفون

(١) الحمر بوزن كتب جمع حمار (٢) اما ان يكون الاصل جلبت القلوب بتقديم اللام على الباء، واما يكون جلبت القلوب على الاعتقاد (٣) وفي نسخة ألبستهم وامل الاصل البستهم السنتهم

الى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين
وعبد القادر والميدروس بل قد انتمى الحال الى أنهم يفرون الى أهل القبور من
الظلم والجرأة كهلي رومان وعلى الاحمر وأشباههما وقد صان الله سبحانه وتعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن ادخالهم في أفواه
هؤلاء الجهلة الضلال فيجمعون أنواعا من الجهل والشرك والكفر (فان قلت) إنه
قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ويضيفون اليها أهل الخلاعة والبطالة
خوارق عادات وأمور تظن كرامات كطعن أنفسهم وحمائم لمثل الخنش والحية
والعقرب وأكلهم النار ومسهم ايها بالايدي وتقلبهم فيها بالاجسام (قلت) هذه
أحوال شيطانية وانك للملبوس^(١) عليك ان ظننتها كرامات للاموات أو حسنات
للأحياء لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أزدادا وشركاء له في الخلق والامر
فهؤلاء الموتى أذنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى فهل يرضى ولي الله أن يجعله
المجنوب أو السالك شريكا له تعالى ونندا ؟ ان زعمت ذلك فقد جئت شيئا إداً ،
وصيرت هؤلاء الاموات مشركين وأخرجتهم — وحاشاهم عن ذلك — عن
دائرة الاسلام والدين حيث جعلتهم بجعلهم أزداد الله راضين فرحين وزعمت أن
هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين التابعين لكل باطل المنغمسين
بين بحار الرذائل ، الذين لا يسجدون لله سجدة ، ولا يذكرون الله وحده ، فان زعمت
هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين المجازين وهدمت بذلك ضوابط
الاسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين .

واذا عرفت بطلان هذين الامرين علمت أن هذه أحوال وأفعال طاغوتية ،
وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين لاخوانهم من هؤلاء الضالين معاونة من
الفريقين ، وقد ثبت في الاحاديث ان الشياطين والجان يتشكلون بأشكال
الحية والثعبان وهذا أمر مقطوع بوقوعه فهم الثعابين التي يشاهدها في أيدي
المجاذيب الانسان وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع وتعلمه ليس
بالمسير بل بابه الاعظم الكفر بالله واهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في

كثيف ونحوه، فلا يفتقر من يشاهد ما يهظم في عينه من أحوال المجاذيب من الأمور
التي يراها خوارق فان للسحر تأثيرا عظيما في الافعال، وهكذا ان الذين يلبسون الاعيان
بالاسعار وغيرها وقد ملاء سحره فرعون الوادي بالثعابين والحيات^(١) حتى أوجس
في نفسه خيفة موسى عليه السلام وقد^(٢) وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل
أعظم من هذا فانه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما وقد
لهم النار المظلمة فيلبسون^(٣) الثياب الرقيقة^(٤) ويخوضون في تلك النار ويخرجون
وثيابهم كأنهم لم يمسها شيء بل ذكر أنه رأى انسانا عند بعض ملوك الهند أتى به ليدين
معه ثم قطعها عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو الى جهة فرقا حتى لم ير أحد شيئا من
تلك الاعضاء ثم صاح وبكى فلم يشمر الحاضرون الا وقد نزل كل عضو على انفراد
وانضم الى الآخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حيا سويا ذكر هذا في
حلقه وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت - طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة والف
أملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أحمد رحمه الله

وفي الإغني لابن الفرج الاصفهاني بسنده أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة
نمل يدخل في جوف بقرة ويخرج فراه جندب رضي الله عنه فذهب الى بيته فاشتمل
لبيته فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب أتأتون السحروا أنتم تبصرون ثم ضرب
سط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها فاندعر الناس فخبسه الوليد وكتب بذلك الى
بني رضى الله عنه وكان على السجن رحل نصراني فلما رأى جندبا يقوم الليل
يصبح صائما قال النصراني والله ان قوما هذا شرهم ليقوم صدق فوكيل بالسجن
بلا ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا الأشعث بن قيس فاستضافه
بني أبي محمد يعني الأشعث بنام الليل ويصبح فيدعو ابنته، فخرج من عنده
أل أبي أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا جريز بن عبد الله فوجده بنام الليل ثم
يج فيدعو ابنته فاستقبل القبلة فقال ربي رب جندب وديني دين جندب
لم وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى بمفارقة في القصة فذكر بسنده الى الأسود
الوليد بن عقبة كان بالعراق يامب بين يديه ساحر فكان يضرب رأس الرجل

(١) والجيشان (٢) وحتى وصفه الخ (٣) ويلبسون (٤) الرقيقة

ثم يصيح به فيقوم صارخا فيرد إليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيى (الموت) وراه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب ^(١) يلعب لابه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال ان كان صادقا فليحي نفسه فأمر به الوليد ديناراً ^(٢) صاحب السجن فسجنه انتهى بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي باسناده في قصة طوبلة وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت وأنها أخذت قمحا فقالت له بعد ان ألقته في الارض اطع فطلع فقالت: أحقل فاحقل ثم تركته ثم قالت أيس فييس ثم قالت له اطحن فأطحن ثم قالت له اختبز فاخبز. وكانت لا تريد شيئا الا كان. والاحوال الشيطانية لا تنحصر وكفى بما يأتي به الدجال والميعاد. اتباع الكتاب والسنة ومخالفتها انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولا وآخراً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تذليل للعنار وتقريره للرسالة ﴾

إن هذه الاعمال الغريبة التي تسمى بالسحرحيل صناعية تتلقى بالتعليم والتأمرين، وليست من خوارق العادات حقيقة بل صورة، فهي كما قال تعالى في سحرة فرعون (سحروا أعين الناس) بأن أروها أشياء على غير حقيقتها، لتخييل الجبال والعصي متحركة بارادتها (يخيل اليه من سحرحم أنها تسمى) والخوارق لا تكون صناعة تعليمية. وإنما يكثر هذا السحر في البلاد التي يغاب على أهلها الجهل بهلوم الكون وسنن الله في الخلق، كبلاد الزنوج في أفريقيا والشعوب المشابهة لها في الغباوة والجهل، وتقل في غيرها أو تنعدم وما يبقى منها يكون حرفة لبعض المشعوذين يعرضون ما يتقنونه من أعمالها على الناس فيرضخون لهم بقليل من النقد، فمنهم من يلحس حديدة محمجة بالنار حتى تبرد وذلك أنه يتمرن على إدنائها من لسانه واصابتها بلعابه من غير أن تمس اللسان ولكنهم يفعلون ذلك بسرعة تخيل للرأي أن اللسان

(١) وفي نسخة فذهب الساحر يلعب الخ (٢) دمار السجن

يتمسها، ومنه اقتحام النار كما بيناه في بعض فتاوى المجلد الثاني والمشرين، وأكثر هذه الشقوة صناعية يدوية.

ومن فنون السحر ما يستعان عليه بعلوم خواص الاشياء . ولو ذهب الآن بعض علماء الكيمياء وغيرها كخواص الكهرباء الى بعض تلك البلاد التي نجعل هذه العلوم جهلا مطلقا لفتنهم واستبدوهم — ولا سيما اذا كان معهم من الآلات والادوات ما يمكنهم من أعمالها المعروفة — المشهور منها كالنراف والتليفون اللاسلكي وغير المشهور . وقد صار جميع العارفين بأمر الكون يعلمون أن جميع هذه الاعمال الغريبة صناعة لها أسباب يعرفون بعضها ويقيسون . لم يعرفوا على ما عرفوا هذا وإن الاسلام — والله الحمد — مبني على الحقائق ورفض الخرافات والخرعيلات التي عبر عنها الجبوت والسحر، وابطال كل ما يطغى الناس بافساد اخلاقهم وآدابهم وحملهم على الاعمال المنكرة وهو ما عبر عنه بالطاغوت . فالؤمن التقي هو السليم العقل والاخلاق القائم بالاعمال الصالحة التي يصلح به حاله وحال الناس الذين يعيشون معه على منهاج الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة الصالح، وكل ما زاد على ذلك باسم الدين فهو بدعة ضلالة اما فسق واما كفر

وأما أمور الدنيا المحضة فقد قال لنا الرسول عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بأمر دنياكم » فلا ينكر العارف بالاسلام على أحد من افراد المسلمين ولا من جماعاتهم ما استحدثوا فيها من طعام وشراب ولباس وآنية وماعون وأثاث ومراكب برية وبحرية وهوائية وآلات صناعة وأعمال زراعة وطرق نجارة وأسمحة حرب وغير ذلك مع المحافظة على حدود الشريعة في الحلال والحرام وحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال

وقد ابتلي الاسلام ببهال لبسوه مقلوباً كالكفرو، فاكثروا من الابتداع في الدين، وشوهوه بالخرافات، وزادوا فيه ما لم يرد في سنة ولا كتاب ولا عرفه الرسول ولا أصحابه ولا غيرهم من أئمة السلف حتى صار البله والسخف والخروج عن المقول والوساخة والخرافات والبدع من علامات الصالحين التي لا تنكر، وما أباحه الله وفوض الامر فيه رسوله للناس فقد أنكروه وضلوا أهله باسم الدين

ولله در مؤلف هذه الرسالة الامام المحقق فقد أتى فيها بما لم يأت به من ألفوا
 المختصرات والمطولات في موضوعها وهو كشف شبهة الذين يزعمون ان علماء
 المسلمين قد أجازوا ضلالات القبور بين منذ قرون فصار ذلك اجماعاً عليها ، فبين
 انه لا يمكن الحكم بأنهم سكتوا جميعاً فكم منهم من أنكر ذلك قولاً وكتابة، ولئن
 سكتوا فلا حجة في سكوتهم ولا سيما مع العلم بأن هنالك منكرات أخرى لا يقول
 هؤلاء القبوريون ولا غيرهم بجوازها وهي مسكوت عنها، اما للعجز عن انكارها ، واما
 للجهل والتهاون في أمر الدين لان المعروف صار منكر، والمنكر صار معروفاً كما ورد
 في اعلام النبوة، وهذه الحجة أظهر في زماننا وبلادنا منها في غيرها من زمان ومكان،
 فان العلماء الذين لا ينكرون ما وردت الاحاديث الصحيحة بحظره من تشييد القبور
 وكسوتها؛ وايقاد السرج والشموع عليها وعبادتها بدعاء أصحابها والطواف بها والنذر
 لهم — لا يتكفرون أيضاً ما فشا في البلاد من البدع والفواحش والمنكرات التي لا
 خلاف في شيء منها، بل لا ينكرون ما يرون، ويسمونه من الكفر البواح، والاحاد
 الصراح، بل يعظمون من يعتقدون كفرهم والحادهم ، ويعلمون اولادهم القوانين
 التي يعتقدون أنها مشتملة على ما هو محرم بالاجماع، وان استحلالات الردة ، وخروج
 من الملة ، لاجل أن يحكموا بها وهو حكم بغير ما أنزل الله ، وهم يتلون في ذلك
 آيات الله ، فهل يحتاج بسكوت أمثال هؤلاء قائلوا أو كثر واولا حجة في سكوت المجتهد بن
 وهم ليسوا منهم ، ولا في أقوالهم على القول المشهور في الاصول الا اذا أمكن
 حصرهم وإجماعهم على حكم من الاحكام لا يشذ منهم عن القول به أحد ، على
 ما في حجيته اذا أمكن وقوعه والعلم به من النظر؟؟

اللهم انا نبرأ اليك من كل قول وعمل واقرار في أمر ما من أمور الدين لم يكن
 مما أنزلته على رسولاك محمد خاتم النبيين والمرسلين، ومن كل فهم وعمل فيه يخالف
 لسلف الامة الصالحين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الخلافة الإسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وتوجهه بالمربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محي الدين آزاد	المليح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بيغام) الهندية

٥

فصل

(الجماعة والتزام الجماعة)

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده أمرهم يستحق أن نتأمل فيه ، وهو أن الشريعة نصت على أن الحياة الإسلامية إنعاشي في التزام الجماعة وطاعة الخليفة ، والحياة الجاهلية في الانحراف عنها - ولقد أوضح القرآن أن الجاهلية هي التفرق والتشتت وانتشار الكلمة وعدم الاجتماع على مركز واحد ، وأن الحياة الإسلامية هي الحياة الاجتماعية والاتحاد والائتلاف بين الأمة واجتماع الآحاد المنتشرة - قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الخ

فالجاهلية الفرقة ، والاسلام الجماعة ، ولذا أكد النبي عليه الصلاة والسلام مرة بعد مرة أن من يجحد عن الجماعة وينزع يده عن طاعة الخليفة ، يكاد يخرج من الاسلام ، وتكون ميته على الجاهلية لا على الاسلام وان صلى وصام وزعم أنه مسلم

وها هي ذي بعض الأحاديث الصحيحة المشهورة في هذا الباب :

(المنار : ج ٥) (٤٦) (المجلد الثالث والعشرون)

قال (ص) « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع اميري فقد أطاعني ، ومن عصى اميري فقد عصاني » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وفي رواية أخرى لمسلم « من أطاع الامير » أي اطاع امام المسلمين وقال « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » (البخاري ومسلم عن أنس)

يظهر أن هذه الجملة كثيرا ماكان يكررها صلى الله عليه وسلم ولا سيما في خطبه ولذا تجدها مروية بألفاظ مختلفة ونسبت الى مواقع مختلفة، وقد قال يوم الحج الاكبر في حجة الوداع التي كانت مشهدا عظيما للمسلمين ، والتي لم يعش (ص) بعدها الا بضعة أشهر « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله ، اسمعوا وأطيعوا » (مسلم)

وقال « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية » وفي لفظ « فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الامات ميتة جاهلية » (متفق عليه) ومعلوم ان الجاهلية كانت قبل الاسلام ، فعنى الحديث انه مات على ضلالة عرب الجاهلية — والعياذ بالله ! وفي رواية عبد الله بن عمر (رض) « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »

وقال « من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربة الاسلام من عنقه » (الترمذي) وفي رواية « دخل النار » (اخرجها الحاكم على شرط الصحيحين) وقال « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لانبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون — قالوا فأتأمرنا؟ قال — فو بيعة الاول فالاول ، ثم اعطوهم حقهم ، فان الله يسألم عما استراهم » (متفق عليه) وغير هذا كثير من الأحاديث التي لا تحصى ، وشواهد الاجماع ونصوص كتب المقائد والفقهاء لسنا في حاجة اليها بعد الحديث

فصل

(في شروط الامامة والخلافة)

اذا استقصيت نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة ، تسلم ان الشريعة لاسلامية اعتبرت الامامة والخلافة عنى شكلين متضادين ، واحد منهما اصلي

ومطلوب ، والثاني اضطراري

وبيان هذا ان الشكل الاصلي المطلوب هو انتخاب الامة خليفته بحيث
يختصم آحادها واهل الحل والعقد والرأي والبصيرة منها، فيتباحثون ويتشاورون
طبقاً للآية (وامرهم شورى بينهم) ثم ينتخبون الخليفة مراعين فيه شروط
الخلافة الشرعية ، ومقاصدها الاساسية ، غير ناظرين الى الوجاهة الذاتية
والجنسية النسبية ^(١) اذ الشريعة تعتبر في الانتخاب شورى الامة ، لاجنسية
الخليفة وعشيرته ونسبه — وقد تأسست الخلافة الراشدة على هذا الاساس
الجمهوري ، فالخليفة الاول انتخبته الامة مباشرة ، والخليفة الثاني انتخبه
الخليفة الاول ^(٢) ورضي به اهل الحل والعقد من الامة ، والخليفة الثالث
انتخبته جماعة الشورى ، والرابع بايعته الجماعة بأسرها — فانتخاب هؤلاء
الخلفاء الاربعة كان انتخاباً شرعياً وجمهورياً ، ولم ترع فيه الجنسية والقبيلة
والعهد البتة ولوروعي فيه شيء من هذا القبيل لبقيت الخلافة في بيت الخليفة
الاول ولم تخرج منه الى آخر الدهر . ولكن لم يكن شيء من ذلك ، بل لم
يدع الخليفة الثاني مجالاً للامة في ان تنتخب ابنه خليفة لانه منع وأوصى
بذلك وصية حين احتضاره — رضى الله عنه وعنهم اجمعين

فاذا كان الامر على هذا النهج الجمهوري واستطاعت الامة انتخاب خليفته
فقد شرطت الشريعة فيه شروطاً تراعى عند الانتخاب

واما الشكل الثاني وهو اذا تغلب متغلب بقوة وعصبية على الخلافة ولم
يترك مجالاً للانتخاب فحينئذ ما ذا يجب على الامة اذا كان المتغلب غير اهل
لها وظالماً وفاقداً لشروطها ؟ فهل يجب عليها ان تخرج عليه وتقاتله ؟ ام يجب
عليها ان تطيعه وتنقاد له وتؤدي اليه الزكاة وتقيم وراه الجماعة والجماعة
وتعمل تحت سيطرته سائر الاعمال التي لا تتم الا بوجود الخليفة والامام ؟
لما كانت هذه المسئلة اهم المسائل الحيوية ، وأساس حياة الامة الاجتماعي

(١) أي لم يرع فيه الاشراف نسباً من بيوت قريش التي حصر الرسول الخلافة
في جملتها بل يرجحون كفاءته من أي بيت منهم كان ، وسيد الله بعد بابها لوجملت
وراثية في بيت معين لبقيت في بيت الخليفة الاول كما هو الشأن في بيوت الملوك الى
عهدنا هذا وضرب له المثل بالخلفاء الراشدين (٢) يعني أنه رشحه والامة
رضيته فيما يعته

لم تكن الشريعة لتغفل عنها وتترك الامة بلا هداية ولا بصيرة فيها ولذا تجدها قد اهتمت بها أشد الاهتمام وبينتها بياناً وافياً بعبارات واضحة ونصوص صريحة ومن أجل ذلك لم يتردد الصحابة رضوان الله عليهم في تعيين خطتهم لما قامت الخلافة الاموية الاستبدادية بعد انقراض الخلافة الراشدة ، فعاملوهما معاملة واحدة كأنهم كانوا عينوها من قبل ، وصارت تلك المعاملة سنة لمن بعدهم ، وأجمت الامة على استحسانها ، واتخذتها خطة اجتماعية لها . نعم قد اختلف بعض الفرق الاسلامية في الشكل الاول للخلافة ، ولكن لم يختلف أحد منهم في الشكل الثاني لا قولاً ولا عملاً^(١)

وقد شرطت الشريعة في الشكل الاول الجمهوري شروطاً بالغة في الكمال منهاه ، وأوجبت على الامة أن تنظر في الخليفة كل الامور التي تلزم لهذا المنصب الرفيع ، وهذه المسؤولية العظيمة . وقد اشتهرت شروط الخلافة هذه اشتهاراً عظيماً حتى انك تجدها في عامة كتب العقائد والفقهاء التي يتداولها طلبة العلم في المدارس الدينية — فترى فيها « ويشترط أن يكون (الخليفة) من أهل الولاية المطلقة الكاملة بأن يكون مسلماً ، حراً ، ذكراً ، عاقلاً ، بالغاً ، سائساً بقوة رأيه ورويته ومعونته بأسه وشوخته ، قادراً بعلمه وعدالته وكفايته وشجاعته على تنفيذ الاحكام ، وحفظ حدود الاسلام ، وانصاف المظلوم من الظالم ، عند حدوث المظالم » الخ — راجع شرح المواقف والنسفي والتمهيد وشرح الفقه الاكبر للقاري وشرح المقاصد — ومن كتب المحدثين شرح عقيدة ابن عقيل وفتح الباري وشرح منظومة الآداب و خلاصة ابن مفلح ونيل الاوطار ووبل المرام للشوكاني والاقناع وشرحه وغيرها من الكتب ، وأما شرط القرشية ففيه اختلاف^(٢) وقد كان يقول به أكثر العلماء

- (١) اطلاق النفي خطأ فالخلاف وقع قولاً وعملاً ذهب كثيرون الى مقاومة السلطة الجائرة وغير الشرعية ، وكثيرون الى طاعتها ، وسيأتي تحقيقه . وما زالوا يستمدون لاسقاط خلافة الامويين حتى أستطوها وهي في ريق شبابها
- (٢) يظهر ان للكاتب — عفا الله عنه — ميلاً الى اضعاف هذا الشرط الذي أجمع عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الشقاق في الامة وهم أهل الاجماع الصحيح دون غيرهم والاحاديث الصحيحة فيه كثيرة متفق عليها وقد ذكر حديثاً واحداً منها لم يقره بذلك من خرج من رواة الصحيح ، وقد صرحت الكتب التي ذكرها كلها بشرط القرشية

والفقهاء الى زمن الدولة العباسية وبعدها بيسير (سنة ٦٤٠ هـ سنة ١٢٤٣ م) لقوله (ص) « ان هذا الامر في قریش » ولذا ذهبت الامامية الى ان الخليفة يجب أن يكون من أهل بيت النبي (ص) ونقول على هذه القاعدة ان الخلافة

= ولما ذكروا أن الخوارج وبعض المعتزلة خلفوا سائر المسلمين في اشتراط القرشية ردوا عليهم بأن الاجماع كان قد انعقد على ذلك من عهد الصحابة مستندا الى النص فلا عبرة بخلافه

قال السعد التفتازاني في شرح المقاصد : ويشترط أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية سميما بصيرا ناطقا قرشيا فان لم يوجد من قریش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني فان لم يوجد فرجل من بني اسماعيل فان لم يوجد فرجل من العجم الخ (ص ٢٧١ ج ٢ طبع الاستانة) وقال الحافظ في شرح البخاري بعد اراد الاحاديث في حصر الامامة في قریش المؤيدة لما رواه البخاري منها ما نصه :

« ويؤخذ منه أن الصحابة انفقوا على افادة المفهوم للحصر خلافا لمن أنكر ذلك والى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الامام أن يكون قرشيا » — ثم ذكر من قيده ببعض قریش ، كالشيعة ورأي الخوارج وبعض المعتزلة بعدم اشتراط القرشية وتعقبه بقوله « قال أبو بكر بن الطيب لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث « الائمة من قریش » وعمل المسلمین به قرنا بعد قرن وانعقد الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف (ص ٥٨١ ج ٢٩ طبعة الهند)

ثم ذكر الحافظ ما رواه أحمد عن عمر من ميله الى استخلاف أبي عبيدة وهو غير قرشي أو معاذ بن جبل وهو أنصاري وجمع بينه وبين نقلهم للاجماع باحتمال أن يكون رجوع عن ذلك أو يكون الاجماع قد انعقد بعده . والصواب أن ابا بكر قد احتج على الانصار — وعمر يظاھرہ — بحديث حصر الائمة في قریش فأذعنوا ولم يعارض فيه أحد منهم ولا من غيرهم فانعقد الاجماع من ذلك اليوم ويكنى هذا اعلا لارواية قول عمر إنه كان يجب أن يستخلف أحد الرجلين . وهل يوجد شيء يرد به أثر آحادي أقوى من هذا الاجماع وهذه النصوص المتفق عليها ؟

وذكر الحافظ قبل ذلك ما أورد على حديث « لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي من الناس اثنان » على القول بأنه خبر محض من أنه نولي أمر المسلمين كثير من غير قریش وأجاب عنه أولا بأن تولى هؤلاء لم يمنع وجود أئمة من قریش في اليمن والمغرب وغيرها وأن بعض أولئك كان يدعي القرشية كبنی عبيد ثم قال « وأما سائر من ذكر ومن لم يذكر فيهم من المتغلبين وحكمهم بحكم البغاة فلا عبرة بهم (قال)

اعلى عليه السلام ثم لائمة المعترة، رضوان الله عليهم أجمعين - وذهبت الزيدية إلى أن الخلافة في بني فاطمة كلهم ولا خصوصية فيها لائمة أهل البيت فالامامية تشترط في الخليفة مع سائر الشروط المذكورة آنفاً ، ان يكون من أهل البيت النبوي، والزيدية توسع فيها وتقول كل بني فاطمة أهل للخلافة وهم يستحقونها دون غيرهم

ولا تنسين ان هذا الاختلاف في الشكل الاول. اما في الشكل الثاني - أي اذا لم تقدر الامة على انتخاب الخليفة لتغلب المتغلبين - فلا خلاف فيه بين المسلمين لكثرة الاحاديث الصحيحة واجماع الصحابة وأئمة أهل البيت في هذا الباب ولذا ترى الامة قد اتفقت كلمتها على أنه اذا استولى مسلم بقوته وشوكته وعصبيته على الخلافة وتمكن فيها وقامت حكومته وقوي أمره وجب على الامة ان تطيعه وتسمع له وتخضع لخلافته مثل ما لو كان أصابها بحق ، ولا يجوز لاحد الخروج عليه والقيام على وجهه ، ومن يفعل ذلك يقاتله المسلمون ويمينون الخليفة عليه ، مهما كان الخارج ذا فضل وصلاح وأهلية، لانه مفارق للجماعة وخارج على السلطان^(١)

هذا هو حكم الشريعة في هذه الصورة ، وحكمته واضحة جلية ، وهي ان قيام الشريعة وبقاء الامة يتوقف على الحكومة القوية . اذ هي أساس للحياة الاجتماعية ، وقد جعلت لها الشريعة نظاما في غاية من الكمال والجودة، فحوت للامة حق انتخاب الامير ، وجعلت الشورى أساسا للانتخاب ، وشرطت شروطا في الامير ، ولم تعتمد في الامارة على امتيازات الجنس والمصيبة والملوكية - بل جعلتها حرة وجمهورية محضة لا يشوبها الاستبداد والضغط أبداً ، ثم حذرت

= وقال القرطبي هذا الحديث خبر عن المشروعية أي لاتنقد الامامة الكبرى الا لقرشي مهما وجد منهم أحد . وكأنه جنج الى انه خبر بمعنى الامر وقد ورد الامر بذلك في حديث «قدموا قريشا ولا تقدموها» أخرجه البيهقي . وذكر له شواهد من الصحاح وغيرها (ص ٥٨١ ج ٢٩ ايضا)

(١) حكاية الاجماع باطلة كما أشرنا اليه في حاشية سابقة، وان الحافظ ابن حجر قال أنهم يعدون المتغلبين على الخلافة من البغاة لخارجين على السلطة الاسلامية وسيأتي مزيد بيان لذلك

الناس من أن يتصدوا لها ، ويرشحوا أنفسهم لاجلها ، وينافسوا فيها ويتظلموا إليها ، فيقاتلوا ويحاربوا عليها ، ويسفكوا الدماء في سبيلها - وقد كان رسول الله (ص) يبايع الناس على هذا فيقول « لا ينازع الامر أهله »^(١) هذه كلمة صغيرة في ظاهرها ، كبيرة في ذاتها ، وكافية لابطال الحروب والمنازعات بأسرها. وقد بوب البخاري في صحيحه عليها بابا فقال «باب ما يكره من الحرص على الامارة» وروى فيه حديث أبي موسى الأشعري قال : قال النبي (ص) «انا لاني هذا الامر من سأله ولا من حرص عليه» وكان الغرض من هذا التحذير والمنع لان الناس اذا لم يحرصوا عليها ، سهل للامة انتخاب الاصلح والاهل لها

هذا هو النظام الحقيقي الذي جعلته الشريعة للخلافة الاسلامية ولو بقي معمولا به لصلحت الدنيا كلها، ولكن النبي (ص) كان يعلم أنه لا يدوم اكثر من ثلاثين سنة فبين للامة ما يجب عليها عندما ينهدم ذلك ويحل محله الاستبداد والقهر لنفحص المسئلة فحفا جيدا ، لنرى آية خطة احسن عند تغلب المتغلبين على الخلافة ، فان هنا خطتين (احدهما) أن يقبل الاستبداد ويخضع له صيانة للجماعة وحفظ النفوس الامة وذودا عن البلاد الاسلامية من الأعداء وصونا لاوامر الشريعة من التعطيل وغيرها كثير من المصالح العامة ولا تنس أن هذه الحكومة وان كانت مستبدة قاهرة الا انها اسلامية تفار على الدين وترفع شأن الامة في نظر الأعداء، نعم تنتقل الحكومة الاسلامية في هذه الصورة الى مستبد تغلب عليها ولم يبال بالنظام الشرعي لها ولا ريب في أنه تنشأ عن هذا مفسد كثيرة^(٢)

وأما الخطة الثانية فهي أن يقاتل المتغلب ويخرج عليه وترد الخلافة الى من هو أصلح لها منه . ولكن اذا فعل ذلك جرت الدماء انهارا في حروب تشيب من هوها الولدان، واختلت المصالح العامة، وتزلزلت الهيئة الاجتماعية، وبطل الامن، وعمت الفوضى، وتمطلت أوامر الشريعة ، وهدمت الجوامع،

(١) يتأمل كلمة أهله ويراد بها شرعاهل يمكن أن يكون منها من ظالمون المستبدون ؟
(٢) اكثر هذه المفسد على جرتومتها ان الامر يجري على القوة لا على الشريعة، واي حاكم تخضع له الامة خضوعا اعمى سم يقف عند حدود الحق والعدل، فلا يمدداها على علم ولا عن جهل

ونهب البيوت ، وخربت البلاد ، وانصبت على رأس الامة المصائب ، وأصلها كل ما يصيب الامم في مثل هذه الحروب التي تثيرها الالهواء والشهوات . ومع هذا لا يعرف متى يستتب الأمن وتعود الراحة ؟ اذ كل صاحب عصبية وذو مطامع كبيرة ينهض قائلاً : أنا أحق بالخلافة من صاحبها ، فعلى الناس أن يبايعوني ويقاتلوا في صفي وينصروني على عدوي ! » ^(١) فإذا تكون حال الامة اذ ذلك؟ ألا تكون كالريشة في مهب العواصف تقلبها الرياح كيف شاءت؟ أولا تصبح كسفينة في بحر محيط لاربان عليها، تتقاذفها الامواج بمنة ويسرة فتعلو تارة وتسفل اخرى ويخشى عليها الفرق كل آن؟ ولا ينكر أن مع هذه المخاوف والاهوال يحتمل أن ترد الخلافة الى الاصح لها ، فأبي صورة أحق أن ترجحها الشريعة الفراء؟ أتلك التي مصالح الامة فيها مصونة مضمونة ، والمفاسد محتملة؟ أم هذه التي الخراب والدمار فيها محقق ، وردد الحق الى اهله محتمل؟ كل من له أدنى حظ من العقل الصحيح لا يتردد في الجواب بأن الصورة الاولى أحق أن تقبل وتعمل عليها في مثل هذه الحالات ، وقد فعلت الشريعة ذلك جرياً على قاعدة « المنافع تجلب والمضار تدفع » واذا اختلطت المصالح والمفاسد ، تختار الشريعة طريقاً أقل مضرّة وأكثر مصلحة وترجح أهون الشرين ، اذ لو لم تفعل ذلك وفرضت على الامة عدم الخضوع لاحد سوى جامع شروط الخلافة والمنتخب على الطريقة الجمهورية الصحيحة لقام كما قلنا كل من اتخذ الله هواه لنيل الخلافة وقال هذا الخليفة ليس بأهل وأنا أحق منه وأجمل للشروط — ثم ماذا كان بعد ذلك؟ القتل والسلب واهراق الدماء وزهق النفوس وانهدام الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان الامة . فمن كان يحافظ على البلاد ويحكم بين العباد ويعاقب المجرمين ويحصد السراق وقطاع الطريق

(١) الصواب أن هذا من لوازم الخضوع لكل قوي يتغاب إذ لو كان أصحاب هذه المطامع يعامون أن الامة انما تخضع للحق لا للقوة وأنها لا تزال تقابل المسبب الخارج حتى يهلك او تملك لا يخرج عاينها خارج ، ولا تغلب مستبد ظالم ، وكلام الاستاذ أبي الكلام هنا متعارض متدافع ، وباض ما فرضه من صور المسألة غير متمين الوقوع بل نادر ، ومقاومة الظالم والاستبداد وتغيير المنكر فرض لازم ، ولكن براعى في تنفيذه ارتسكاب أخف الضررين عند التمارض

ويأخذ الزكاة ويقوم الجمعة والميادين ويدافع عن الثغور ويرابط على الحدود؛
وأيم الله لو كان كذلك لتداعت الأمم الأكلة على المسامير ولاحتلت بلادهم
وخضدت شوكتهم واستعبدتهم وأذلتهم وفعلت بهم ما فعلت ! فقبول خلافة
المتغلب أحسن وأهون ، أم هذا الخراب والدمار الذي ليس فوقه خراب ولا
دمار ؟ ولماذا امرت الشريعة بطاعة الخليفة المسلم مهما كان ظالماً ومستبداً وكيفما
كانت سيرته وسريته ما لم يأمر بمعصية الله ، وما أقام الصلاة — والله تعالى
أعلم بما يأمر وهو بصير بمصالح العباد ! *

(*) السكاتب فرض صورة للتمارض بين الحق والتغلب لا تطرد بل قلما تقع
وجعلها قاعدة للترجيح ، : ان مجموع الاحاديث الواردة في الامامة والامارة تدل
على أمور يعز أن تجدها مجموعة في مكان واحد فتجتمع بها بين ما يترأى لك فيها
من التمارض (١) ان الامام الاعظم (الخليفة) يجب أن يكون من قریش (٢) ان
طاعة الامام واجبة شرعاً مادام مسلماً يقيم الصلاة بالناس ودية ودهم بكتاب الله وأما الطاعة
بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٣) ان طاعة الامراء والولاة والعمال الذين
يوليهم الامام قيادة الجيوش والادارة والقبضة والجبابة يطاعون وتؤدي اليهم الحقوق
بالشرط الذي يطاع فيه الامام بالاولى. وفي حديث يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين
بنبت اسحق الاحمسية أنها سمعت النبي (ص) يخاطب في حجة الوداع وهو يقول
« ولو استعمل عايكم عبد يهودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم وفي
أحاديث أخرى ولو كان عبداً حبشياً مجدع الاطراف ومنه حديث علي عند الحاكم
مرفوعاً باسناد جيد ورجح الدارقطني وقته قال في آخره « وان أمرت قریش فيكم
عبداً حبشياً مجدعاً فاسمعوا له وأطيعوا » (٤) ان ظلم الأئمة والامراء وفسقهم
وأثرهم لا تبيح لافراد الامة عصيانهم فيما يأمرون به من المعروف لان ذلك
يستلزم ما هو شر منه وهو الفوضى وفساد جميع الامور العامة . فكل ما ورد في
كتب الكلام والفقه وشروح الاحاديث من وجوب الطاعة فالمراد به ما ذكرنا لما
علناه به (٥) ان ذلك كله لا يدل على وجوب رضی الامة بالظلم والبنم، والآثرة ولو
من قریش ، ولا على الخضوع لكل فوي مستبد ، ويستحيل أن يكون هذا
حكم الدين وهو يهدم الحق والعدل والفضيلة ويفسد على الامة دينها ودنياها ،
ولا يمكن ترجيح احاديث الطاعة المطلقة على الاحاديث المقيدة لها بالمعروف
والشرع وعلى سائر النصوص المعلومة من الدين بالضرورة . وإنما يظهر الجمع
بينها بان على الافراد السمع والطاعة وعلى أهل الحل والعقد من زعماء الامة التي
(المنار : ج ٥) (٤٧) (المجلد الثالث والعشرون)

فصل

(نصوص السنة واجماع الامة)

من يلقي نظرة سطحية على الاحاديث النبوية يرى أن رسول الله (ص) كان يخبر بما سيكون في المستقبل من انقلاب الحال وتغير الناس ، وبين لكل حالة وكل دور علام وآيات ، ويرسم للامة خطة تناسب كل وقت وزمان . وان هذا المن اكبر الأدلة على صدقه وصدق نبوته ، اذ كل ما اخبر جاء كفلق الصبح ، وان كان الناس لا يصدقون بذلك فبأي دليل يثبتون ما جرى في الزمان الغابر ، فكل احد يستطيع ان ينكر حينئذ وجود الاسكندر المقدوني والدولة الرومانية ، بل نابليون وحرب واترلو

والحاصل أن رسول الله (ص) كان يعلم بما يقع بعده ، ولذا جعل لكل حالة ووقت امرا وحكما ، وأمر الامة بما تثل أمره ، فيجب على الباحث أن لا يخطأ بين الاوامر والاحوال خلطا ، بل يضع كلا منها في موضعه ، والذين لم يفعلوا ذلك أخطاؤا وغلطوا في فهم الاحاديث ولم يستطيعوا التوفيق والتطبيق بينها يرى الناظر أولا الاحاديث التي ذكرت فيها الخلافة الراشدة ، ولكونها كانت معلومة لديه بأنها ستقوم على منهاج النبوة تماما ، اوصى الامة بطاعتها واتخاذ أعمالها قدوة وسنة كسنته نفسه (ص) ففيها - روى عن ابن عباس بن سارية حديثه المشهور قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فوعظنا موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها الميرون ، فقبل يارسول الله ! وعظتنا موعظة مودع فاعهد اليها بهد ، فقال « عليكم بتقوى الله ، والسهم والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، وسترون بعدي اختلافا شديدا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » (ابن ماجه والترمذي) وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الخ وحديث « أما طبقتي وطبقة أصحابي

= هي صاحبة السلطان وهم أهل الشورى والزعامة فيها أن بوقفوا الامة والامراء عند ما أوجب الله من الحق والعدل والالتزام الشرع بما دون الخلق لغير الكافر ان أمكن وأن يستمدوا لذلك بما ترجح به المصلحة على المفسدة . وكذلك فعلت كل الامم التي استقام امر حكومتها ولم توطن امة نفسها على الخضوع الا كانت من الهالكين واطلاق القول بالخضوع للمستبدن الجائرين لاجل قوتهم خطأ عظيم واية حكومة قامت بالقوة ثم قاومتها الامة براى زعمائها ولم تسقط ؟ وسياتي ما يقرب من هذا الجمع من النووي

فأهل علم وإيمان « الخ (رواه المغوي عن انس) وحديث عبد الله بن مسعود « ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا وكان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » الخ (مسلم) وغيرها كثير

ففي هذا الدور أمرت الامة بأمرين: الطاعة والافتداء بالخلفاء — ثم تأتي بعمده أحاديث الدور الثاني، فيبقى حكم الطاعة على حاله فتطيع الامة خلفاء هذا الدور أيضا مثل طاعتها لخلفاء الدور الاول، ولكن يتغير الحكم الثاني، أي حكم الاقتداء، فلا يقتدى بهم ولا تتخذ أعمالهم سنة متبعة، لانه كان معلوما من قبل أنهم لا يناولون الخلافة على النظام الشرعي، ولا يكون سيرهم طبقاً للكتاب والسنة، فيكون فيهم الصالح والطالح والتبجح والحسن، فلذا أمرت بطاعتهم، ونهيت عن اتباعهم والاقتداء بهم — بل اذا قاموا لنشر بدعتهم، وترويج فسادهم وجب على كل أحد السعي لصد فسادهم ومنع منكرهم بيده ولسانه، وان لم يستطع فبقابه يبغيض أعمالهم « وذلك أضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان جبة خردل فمن عبادة بن الصامت (رض) قال « بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الامراهله، الا أن تروا كفرا بواحا، عندكم فيه من الله برهان » (متفق عليه) أي يطاع الامام في كل حال الا أن يظهر منه كفر صريح

وقال خيار أمتكم الذين تحبونهم ومحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرا ر أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم « قال قلنا أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: « لا ما أقاموا فيكم الصلاة، الا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يدا من طاعة » (رواه أحمد ومسلم)

وعن حذيفة قال قال (صلعم) « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جحان أنس، قال: قلت: كيف يارسول الله ان أدركت ذلك؟ قال « تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (أحمد ومسلم)

وقال (صلعم) « ستكون بعدي اثرة وأمور تنكرونها — قالوا فما تأمرنا؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم » (متفق عليه عن ابن مسعود وأخرجه أيضا الحارث بن وهب وأورده الحافظ في التلخيص)

وعن جابر بن عتيك مرفوعاً عند أبي داود بلفظ «سيأتكم ركب مبعوضون فإذا أتوكم فرحبوا بهم وخلوا بينهم وبين ما يبتغون ، فان عدلوا فلا تقسهم وان ظلموا فمليهم»

وعن وائل بن حجر قال «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورجل يسأله فقال أرأيت ان كان علينا أمراء يمنعوننا حقنا ويسألونا حقهم؟ قال «اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم» (مسلم والترمذي وصححه)
قال صنم «على المرء المسلم ، السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر) - اذ لا يعصى الله خالق السموات والأرض في شيء مهما صغر وقل ، لمخلوق مهما كبر وعظم وارتفع شأنه - وان هذا ما قاله الاسلام وجميع الاديان وكل العقلاء والحكماء

ولذا أمرت الشريعة بأداء الصدقات والزكاة الى العاملين عليها ، مهما كانوا ظلمة وفسقة وخونة ، ولا يجوز منعها عنهم لاجل ذلك - نعم يجوز السعي عند الامام في عزلهم ولكن ماداموا على عملهم لا يجوز منع الزكاة عنهم لئلا يختل نظام الامة - كما في رواية بشير بن خصاصة أنه قال قلنا «ان قوما من أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكنكم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا؟ فقال «لا» (قال أبو داود رفعه عبد الرزاق عن معمر) وفي رواية سمع ابن أبي وقاص ، قال «أدفعوا اليهم ما صلوا» وروى ابن أبي شيبه انه قال رجل لابن عمر: الى من تؤدي الزكاة؟ قال الى الامراء ، فقال الرجل «اذا يتخذون بها ثيابا وطيباً» قال وان فعلوا ذلك اد اليهم الزكاة!

ولذا ترجم اصحاب الحديث «باب براءة رب المال بالدفم الى السلطان مع العدل والجور» (كما في المنتقى) وبه قال جمهور الفقهاء وائمة اهل البيت . كما نقل عن الامام الباقر عليه السلام في الاصول والى هذا ذهب المحققون من الامامية والزيدية^(١)

(١) قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعه على السمع والطاعة الذي تقدم في الاصل عند قوله فيه من كتاب الفتن «وان لا تنازع الامر أهله» أي الملك والامارة ، ثم ذكر زيادات في الحديث من روايات أخرى منها «وان تقوم بالحق بحيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم»

كوارث سوروية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان

٦

ثم لا ينبغي ان ننسى ان لجبل لبنان علة ثانية زادته وبالا على وبال وهي ولوع أهله بتربية التوت وترفيهم هذه الشجرة ما اسنطاعوا اليه نبيلًا. وهم معذرون في ذلك لان الجبل بضيق أراضيه ووعورتها لا يلام أهله في اعتمادهم على التوت الذي

= وذاكر في شرح قوله « الا أن تروا كفرا بواحا » روايات أخرى بلفظ المصيبة والاثم بدل الكفر ثم قال : وفي رواية اسماعيل بن عبدالله عند أحمد والطبراني والحاكم من روايته عن أبيه عن أبي عن عبادة « سيلي أموركم من بعددي رجال يرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون. فلا طاعة لمن عصى الله » وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبد الله عن عبادة رفعه « سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون و يفعلون ما تنكرون فليس لأئلك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم محتمل التأويل . قال النووي : المراد بالكفر هنا المصيبة ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الامور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم الا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حينما كنتم اه وقال غيره المراد بالاثم هنا المصيبة والكفر فلا يعترض على السلطان الا اذا وقع في الكفر الظاهر . والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية الا اذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المصيبة على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فاذا لم يقدح في الولاية نازعه في المصيبة بأن ينكر عليه برفق ويتوصل الى تثبيت الحق له بغير عنف ، وتحمل ذلك اذا كان قادرا والله أعلم . ونقل ابن التين عن الداودي قال : الذي عليه العلماء في امراء الجور أنه اذا قدر على خنائه بغير فتنة ولا ظلم وجب والا فالواجب الصبر . وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لقاسق ابتداء ، فان أحدث جورا بعد ان كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا أن يكفر فيجب الخروج عليه . اه (ص ٥٢٤ ج ٢٩

طبعة الهند)

منه الحرير . وهذا القليل منه يفنى عن الكثير من غيره . ولكن حال الحرب ليست كحال السلم . فلما نشبت الحرب العامة نسوا ان البحر سيصبح مسدوداً في وجههم وان البر من الداخل ستقل فيه المزروعات بسبب ذهاب الشبان كلهم الى العسكرية وأخذ الجيش للبقر والجمال . وربما لم ينتظروا أن يكون أمد الحرب سنوات متعددة بل ظنوه بضعة أشهر فلم يعملوا شيئاً من الحيلة لانفسهم وبقوا يعاملون التوت كالاول وكما لو لم تكن حرب ، ويأبون ان يزرعوا ببر شجره قمحاً أو شعيراً لئلاً يلحق من ذلك ضعف بالشجر وكذلك بين شجر الزيتون وغيره من الاشجار . وظنوا في انفسهم ان الدولة لا بد ان تميرهم من حوران والشام وحلب وغيرها . وكانوا يقولون: ان السلطان بلاده واسمه فلا يعجز أن يبعث الينا بمحاجتنا من الحبوب . فاتهم ان أكثر بلاد السلطان بعيدة عنهم وانه لا ير بطها بهم سوى خط حديدي واحد لا يقدر ان يقوم بنقل مئات الالوف من العساكر مع مدافعها وأثقالها وبشحن جميع لوازم الاهالي، وان رجال العسكرية في الحرب لا يقدمون شغلاً على شغل الحرب . غفلوا عن هذه الامور وتوهوا أحوال الحرب كاحوال السلم فقتلهم الجهل . وعندى أوف من الشهود من أهل الجبل اني من أول الحرب حتى من قبل خوض الدولة غمراتها كنت أطوف على اللبنانيين وأعظهم وأبصرهم العواقب قائلاً لهم ازرعوا جميع أراضيكم ولا تهفوا ولا على ما يتخال منها التوت أو الزيتون فان الهم يتقدم على المهم ، واني أخشى بشدة ترفيكم لاشجاركم ان تموتوا جوعاً والشجر ليس بأعلى من البشر . فلم يستبينوا النصح الا ثالث سنة عند ما مستهم اللاء ولاء ورأوا انفسهم هالكين ان لم يفعلوا . ولكن كان الضعف يومئذ قد استولى على كل شيء ، ونضبت أكثره وورد الانفاق فلم يبق من قوة لزرع جميع تلك الاراضي التي لوزعوها من أول سنة مع ما ينالها من الري الوافي لجاءت بغلال تحجب عين الشمس ، ولكانت قوة لهم للسنين الشديدة التي جاءت فيما بعد . فانت ترى ان الجهل باحوال الحروب وبهواقبها ، والاعتقاد بكون الدولة تقدر على كل شيء ، كانا من أسباب هذه المصيبة الكبرى . وكيف تقدر الدولة ان تطعمهم كفايتهم وقد عجزت في الآخر عن اطعام جيشها ، وكان الجوع من أفعال الاسباب في فشل الدولة بالحرب . ولقد علم القاصي

والداني كيف كانت الالوف تفرّ من الجيش العثماني في فلسطين من قلة القوت . وكيف كانوا فيه يقتاتون الحشائش، ويموتون ألوفا من سوء التغذية ، وكيف كان الولاية بانفسهم يذهبون الى جبل الدروز بايديهم الذهب الرنان الاصفر يعرضونه على أهله ليأخذوا بدله ما يمرون به الهسكر وكثيراً ما كانوا يخفقون في سعيهم . و بقيت الاقوات مدة مديدة ترد على جيش فلسطين من قونيه من قلب الاناضول وذلك لخلو سورية ثم حلب ثم أطنه نفسها مما يكفني الجيش والاهالي . ما . فالذي يقصد «التجويع» لا بد ان يكون هو شعبان لاجائما . والا فلا يكون قصد التجويع بل يكون أصيب هو بالجوع وعجز عن الميرة . ومن عجز عن كفاية نفسه فهو عن كفاية غيره أعجز . وربما قيل ما دامت الاناضول فيها ارزاق فلماذا بخلت بها الدولة على أهل سورية، والجواب لم يكن في الاناضول أرزاق تفيض عن حاجة أهلها بل اشتد الغلاء في كثير من ديار الاناضول ووقعت المجاعة في القسم الشرقي منه ومات مئات ألوفا من أهله جوعا، وكثير من السوريين الذين كانوا منفيين في الاناضول ولا سيما في جهات سواس وطوقات يشهدون بذلك . فان قلنا ان الأتراك أماتوا نصارى لبنان تجويعا لمحببتهم فرنسا فقد مات ألوفا مؤلفة من مسلمي سورية من الجوع أو من الامراض الناشئة من فقد الغذاء والدواء (وأكثر الموت الذي وقع في لبنان هو أيضا بالامراض الناشئة عن ذلك ومات بعض بالجوع رأسا) فهل قتلت الدولة هؤلاء المسلمين أيضا لمحببتهم لفرنسا ؟ وان رد بأنها تعمدت قتل هؤلاء لكونهم عربا فهل تعمد قتل الأتراك الاناضول ومهاجري ارضروم ووان وبتليس الخ وهم أتراك و اكراد وجميع ارتكانها هو عليهم ؟ وهل كان هؤلاء الأتراك والاكراد الى تلك الدرجة ذائبين في حب فرنسا ! حتى قتلتهم الدولة ؟ واذا كانت الموصل التي هي من أخصب بلاد الله وأوفرها زرعا وادرها ضرعا بلغ من شدتها أثناء الحرب ان أكل الناس فيها لحوم البشر فهل يعجب الانسان من ان تمس المجاعة أهل جبل لبنان الذي أكثره صخور صماء وأتربة جرداء ؟ كنا في لاستمانه سنة ١٩١٧ و ١٩١٨ وكان كثير من الفقراء فيها يموتون جوعا ، وهي عاصمة الملك وكان الاغنياء يوزع عليهم الخبز الاسود المجهول الماهية بمقادير قليلة ولولا فتح

المانيا وحلفائها بلاد رومانيا الفنية بالحنطة والذرة وجاب الاتراك منها ما نفس قليلا من خناق الآستانة لم يكن أحد يعلم ماذا كانت تؤول اليه حالة الا عاشة في نفس العاصمة .

مع هذا كله يوجد كثيرون ممن يقرأون كلامي هذا سيتميزون من الغيظ لاجتهادي في اثبات كون المجاعة في سورية حصات من حالة الحرب الطبيعية وبتواليها بضع سنين، وبالحصر البحري المحكم، وان مثلها وأشد منها قد أصاب بلاداً أخرى من ممالك الدولة العثمانية ومن غير الممالك العثمانية مثل مكذونية والصرب أوبولونية وروسية ولولا كثرة الخطوط الحديدية لقلنا النمسا والمانيا الخ ويقولون لماذا أحاول أن أنفي كون الاتراك جوعوا أهل لبنان عمداً وتصعبا لمجرد حبهم لفرنسا وليكون أكثرهم نصارى فهذه الاشاعة يخبون ان تبقى سارية ماشية رائجة وهذا الحجاب يودون لو يبقى دائماً على حقيقة الحال مسد ولا كرها بالدولة السابقة في سورية وتحببا وتقربا الى الدول المحتلة

والجواب ان الحق يجب أن يعلو ولا يعلى، واذا كانوا هم يفضون الاتراك فليفضوهم ماشاءوا ولكن ليحبوا الحق الذي لا يجوز أن يمحذ بفضا يزيد ولا حبا بعمرو . والاتراك لهم سيئات كثيرة وجمال باشا أتى أعمالا ذكراها وقبحناها ولكن ذنب التجويع هذا هم أبرياء منه . فان كان لبعض الناس أغراض سياسية في ديمومة هذه الاشاعة إما ترزنا الى الخلفاء واماً تمهيدا للعذر من النفور من كل حكومة اسلامية بدعوهم كون الحكومة العثمانية قتلت بالجوع ألوقا من مسيحي لبنان . . . فهذه الاغراض السياسية ليست عندنا لا بل يجب علينا أن نبينها ونشرحها ونزبه الى خطرها وما يترتب عليها من مضار التفرقة بين الامتين اللتين يجب أن تكونا متحدتين أن أرادتا عمران هذا الوطن . فقد طالعت مرة مجلة « مراسلات الشرق » المحررة بالفرنسوية التي ينشرها بباريز هذا المسمى بالسمنة فوجدت من جملة ترهاها ان باخرة مشحونة أرزاقاجات الى سورية أثناء الحرب فأفرغت مشحونها ووزعه جمال باشا على المسلمين وحرم النصارى فالذي تبلغ به قحة الافتراء وهوس التفرقة بين المسلمين والنصارى أن يزعم كون الباخرة

التي وردت من أميركا بأرزاق لأهل السواحل ووقفها الإنكليز في الإسكندرية ولم يسمحوا بوصولها إلى بيروت قد وصلت وأفرغت واستفاد منها المسلمون دون المسيحيين لأعجب أن يكون هو واضرا به مروّجين لحديث « التجويع » المقصود ولا غرو أن نكون نحن ممن يتوخى فضيحة تلك الاضاليل حتى يزول أثرها السيء من الأذهان .

انه سيظهر لك أيها القارئ مما سيأتي بالدليل القاطع والبرهان الساطع انه لو شاء الحلفاء لوصولوا الاعانات إلى سواحل سورية كما أوصلوها إلى ممالك أخرى عضتها الجوع بنابه أثناء الحرب ولوقوا من الموت أو أوثك الألوف الذين ماتوا من مسلمين ونصارى . ان الحلفاء مع كونهم في حال حرب مع ألمانيا أمكنهم أن يتفقوا معها على اعاشة بلجيكا وتمينت لذلك لجنة مؤلفة من متحايدين اسبانيين وهولانديين كانت تأتي بالحبوب والأرزاق من أميركا وتوزعها على المعوزين في بلجيكا وعلى كل من ينقصه شيء فلم يمنع وجودهم محاربين للامان من أن يتفقوا معهم على اغاثة أمة أشفقوا أن يمسه الجوع . ولقد ثبت أنهم أرسلوا إلى البولونيين بامدادات وافرة وإلى الصربيين وإلى غيرهم . فلو كانوا يحبون أهل لبنان كما يدعون لاتفقوا مع الدولة العثمانية وقتئذ وأغاثوهم ولو بسداد من عوز، ولاتقدوا تلك الخلائق من الموت، أو لسمحوا على الأقل بتسريب الاعانة التي أرسلتها أميركا لأجل سورية والاعانة التي كان البابا ينوي إرسالها إلى المسيحيين وهم كانوا الحائلين من دونها، أفتكون هذه هي الحقيقة وتكون التبعة العظمى في عدم دفع هذه المجاعة عليهم ونأتي نحن لاغراض في الانفس فببرئهم من جنابة هم أنفسهم أدرى بأنهم كانوا قاعليها لاسباب حربية وسياسية قامت في نفوسهم، وتقول لهم: كلا انما اجاعنا الاتراك وأتم أولاء أحييتهمونا؟ والكثرة ما نردد امامهم هذه الكلمة يبلغ بهم الامر أن يظنوا كونهم صاروا أحق بالبلاد من أهلها وأن يصارحونا بقولهم : لولا اننا لكمتم جميعا هلكتم جوعا . كما رددوا ذلك مرارا، وآخر مرة أعلنها الجنرال غورو على مائدة غبطة البطريرك الماروني في الديمان بدون محاباة

هذا ولقد آن لنا أن نستشهد على أسباب هذه المجاعة بكلام عظيم هو بطريرك

الطائفة المارونية من تقرير أرسل به الى جمال باشا سنة ١٩١٦ وبمث هذا بصورته مع صور الكتب التي وردته من سائر البطاركة الى الفاتيكان ليطلع حضرة البابا عليها، فالبطريك الحويك بطري الدولة العثمانية اطراء اعظما في مراحها ومكارمها وشخص جمال باشا في ادارته ويدافع عن أعماله ويبررها ثم يقول ماترييه (لان أصل التقرير باللغة الفرنسية) بالحرف

شهادة بطرك الموارنة للترك وجمال باشا

« أما ما بوجهونه من التهم بشأن وسائل الضغط والتضييق التي بزعمهم قد استعملتها الحكومة بحق السوريين ولا سيما الموارنة اللبنانيين كالأجاعة والنفي فإننا نجد من العبث الاجتهاد في ابطالها وإنما نأسف من كون هذه الارجيف المصطنعة هي عمل بعض ذوي المآرب، ولذلك نعلن عدم موافقتنا لهم وننتدب من تلقاء أنفسنا وبكل حرية للدفاع عن الحقيقة المقدسة والعدالة السامية »

« انه كما حصل في جميع الممالك المحاربة قد وقعت عندنا أيضا نوازل هامة ومصائب بطبيعة الحال، وذلك مثل الجراد الذي أكل مواسم البلاد، والحصر البحري، وحجز دول الائتلاف ما يرد باسم السوريين من الحوالات من أميركا، وغلاء الاسعار، وقلة مواد الرزق الوطنية، وتعدر اصدار محصول الحرير. فهذه المحن جاءت كلها دفعة واحدة وبدون اختيار الحكومة العثمانية ووضعت البلاد في مركز ضئيل. ولكن لحسن الحظ قد تمهدت جميع هذه العقبات بعناية الدولة الابوية وما تيتها الخيرية، ولا سيما بالمساعي المتواصلة والتدابير المؤثرة التي كان يأتيها حضرة صاحب الدولة أحمد جمال باشا قائدنا الشهير ناظر البحرية وقائد قواد القيلق الرابع الذي كرم سمجيته منقوش على صفحات القلوب، وصدى أعماله الخيرية سيرن مدة أعصر طويلة من أعلى جبل لبنان الشهير. نعم انه بحق يعد أهل سورية ولا سيما المسيحيون منهم وجود دولته في بلادهم احسانا عظيما ونعمة من الله »

« وأما الاسطورة التي معناها أن الموت جوعا قد فشا في الشعب اللبناني بسبب الحصر المقصود الذي تجريه الحكومة، فهذا افتراء فظيع، ولقد بينا أسباب

ذلك . كذلك لم تحشد جنود في الجبل لاجل التضييق على أحد من الاهالي بل بالعكس قد كان هذا الجند المرابط لاجل الدفاع عن البلاد ذا فائدة عظيمة في توطيد الامن العام الذي لم يوجد قط في لبنان قبل الحرب كما وجد الآن ، وكانت سيرة هذا الجند التي هي مثال الادب فوق مدح كل مادح مما اقتضى عرفان الجيل «

« كذلك يعززون الى الحكومة كونها تصرفت بشدة بحق أشخاص اتهموا بالخيانة وقد ثبتت جرميتهم، وتوضحت بوثائق رسمية. والذي لا بد من الاعتراف به هو أن مثل هذه التدابير الشديدة التي لا مناص منها في هذه الاحوال هي مما يجريه جميع الممالك المتعدنة (هنا مثل لاتيني مذکور بنصه ومعناه): ان أسى عدالة هي سلامة الوطن «

« كذلك نرد صريحاً هذه الاشاعة الغربية، وهي اننا قد أشخصنا بذاتنا الى الديوان الحربي في حلب نحن الذين لانزال موضوع الكرامة العظيمة والبر من قبل حكومتنا العزيزة وممثلها قائدنا العظيم «

« وبالنهاية بجميع قوة عواطفنا ومن صميم فؤادنا نعلن انه ليس لنا الا أمنية واحدة ودعاء واحد وهي ان القادر على كل شيء يحرس السلطنة السنية، ويقودها من نصر الى نصر الى الظفر النهائي ، ونضم الى هذا الدعاء التأكيد باسمنا وباسم جميع الموارنة بالتخصيص انه ان كانت فرنسا يوماً من الايام أو عدوة أخرى أبة كانت تجسر ان تتعرض لهذه البلاد من اجزاء سلطتنا فلتعلم اننا بأجمعنا مستعدون للقتال في صفوف حكومتنا العزيزة، ولبذل جميع مجاهدينا، واتحمل كل مناداة طوعاً واختياراً، ولنسفك دماننا ان مست الحاجة الى آخر نقطة «

الياس بطرس الحويك البطرك الماروني

وربما قيل ان هذا التقرير فيه استطراد الى غير مسألة المجاعة فما معنى نشره كله والجواب اننا لم ننشره كله لطوله بل نشرنا القسم الاخير منه لما فيه من جلاء الشبهات ولبكون الكلام آخذاً بهضه برقاب بعض فلا يحسن اقتضابه ، وان شاء القراء ننشره من اوله الى آخره بالحرف لانه وثيقة تاريخية عظيمة القيمة كما انها

بمداشهادة البطريرك الماروني هذه تنشر الآن تقرير غبطة بطريرك الروم الارثوذكس المتقدم الى جمال باشا أيضاً مع كتاب خاص وهذا نص الكتاب معرباً بالحرف

كتاب بطرك الارثوذكس لجمال باشا

« يا صاحب الدولة

« انا باسمنا وباسم الشعب الارثوذكسي في سورية وفلسطين نتشرف بأن نرفع الى معارف معاليكم ما يأتي

« لقد أثرت بنا جداً العبارات الجارحة التي دارت بحق حكومتنا السنية في البرلمان الفرنسي ورددتها الصحافة الفرنسية ، والتي صداها يجرح كرامتنا نحن العثمانيين الصادقين فلذلك جئنا بالوثائق الملحقة محتجين علناً على هذه الاكاذيب الوقحة مفنديين هذه المزاعم الباطلة »

« وهكذا فلاجل شرف الامة العثمانية وبمقتضى الحرارة الوطنية المقدسة جئنا نرجو من دولتكم أتم حامي سورية وفلسطين وأعظم المحسنين عليهما أن تأذنوا بنشر هذه الوثائق لاجل نصرة الحقيقة »

« وفي جميع الاحوال نبتهل الى الله القادر على كل شيء بأن يحفظ شخص دولتكم ويرفعكم من مجد الى مجد لاجل سعادة وطننا العزيز »

« دمشق - الرابع عشر من اكتوبر السنة الالف والتسعمائة والسادسة عشرة

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

أما التقرير التابع للكتاب فهو ما يأتي معرباً بالحرف

« الى دولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيالق الرابع »

« في هذا اليوم لا يجمل أحد ما قيل في البرلمان الفرنسي وما رددته الصحف

الفرنسية بشأن المسيحيين عموماً في سورية وفلسطين »

زعموا أن لفرنسا نفوذاً سائداً في هذه البلاد الجميلة التاريخية التي هي جزء من السلطنة العثمانية وادعوا ان الحكومة العثمانية تستعمل وسائل القهر والتضييق على المسيحيين في هذه الديار قاصدة ملاماتهم بطرق متنوعة كالتجويع والنفي الخ

« فنحن على ثقة بأن فرنسا تحاول أن تقف عنا موقف دفاع لا فائدة له من أجل غرض في نفسها. وانا نحن معاشر العثمانيين العائشين منذ قرون عديدة في هذه السلطنة أدري بأمورنا وأولى بالدفاع عن حقوقنا »

« نسأل الله أن لا يجعل مصيرنا أبداً مرهونا الى رأفتهم »

« فباسمنا نحن بطريرك الكنيسة الارثوذكسية في سورية وفي كل المشرق التي هي أقدم كنيسة في المشرق نحتج بكل قوتنا على ما قيل بغير حق عن حكومتنا العثمانية العادلة »

« لا يلزمنا أن نبحث في التاريخ وأن نسأل الاعصر الماضية لاجل ابطال هذا الحق التاريخي التي تدعيه فرنسا . فنصارى سورية لم يزالوا هم قرابين أولئك الذين يزعمون انهم حماهم »

« أي فرنسا هل تقدرين أن تقولي لنا عما اذا كانت حرية الاديان محترمة تحت ظل شرائك كما هي محترمة عندنا ؟ وهل الكنيسة والاكليروس متمتعان في أرضك بالحماية التي تحوطنا بها نحن الاكليروس والشعب المسيحي حكومتنا السنية؟ »
« نحن اذاً مقتخرون بان نعلن على الملأ انه في ظل مكارم حكومتنا العثمانية السلطانية وعنايتها الابوية لا مسيحيو سورية وفلسطين فقط بل الاكليروس المنسوب الى فرنسا الحرّة نفسها يتمتعون في ظل هذه العناية بما هم محرومون منه في بلادهم »

« وبناء على ما تقدم كان لنا الحق أن نرى فرنسا تدفعنا الى تجديد شكرنا لدولتنا العلية بدلا من ان نعزو اليها تهماً باطلة ونضيف الى ذلك القول بأن مسيحيي سورية وفلسطين هم من عناية حكومتهم الابوية في غنى عن كل عضد آخر »
« أيصح أن يكون لنا ضلع الى حكومة أجنبية عند ما نكون عارفين يقيناً ان دولتنا هي أعدل وأفضل من الحكومة التي نريد أن نختارها ؟ اذاً يكون ذلك منا فداء السعادة »

« ونسأل من صميم القلب الاله القادر على كل شيء أن يحرس الى الابد حكومتنا المحبوبة وان يوفقها الى تحقيق جميع مقاصدها الشريفة »

«وأما الحالة الحاضرة وما أوجدته من الازمات فنعترف بأن مثل هذه الازمات هي من شأن آونة كهذه على انها تلطفت كثيراً بعناية حكومتنا وليس من حكومة يحق لها أن تفتخر بالاعتناء بمثل ذلك برعاياها»

«وبوصولنا الى هذه النقطة لا يسعنا أن نضرب صفحاً عن ذكر علة سعادتنا والمحسن العظيم على النصرانية في هذه البلاد صاحب الدولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع الذي صورته السامية تبقى مرسومة أبداً في قلوب المسيحيين وما اثره مكتوبة بأحرف من ذهب في تاريخ بلادنا»

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

وهناك تقرير ثالث مصحوب بكتاب أيضاً الى أحمد جمال باشا من (نيافة) المطران ديمتريوس القاضي قائم المقام البطريركي للروم الكاثوليك لاحاجة الى تعريه ونشره لانه طويل وأشبه بأخويه السابقين، ويزيد بكونه لا يعرف للكاثوليك الشرقيين علاقة لا بفرنسا، ولا بدولة أخرى أجنبية بل بالبابا فقط . وهذه العلاقة مع الكرسي البابوي هي دينية محضة . وربما قيل ان تقارير البطارقة هذه لا عبرة بها لانها استكثبت تحت الضغط والاكراه في زمان كان السيف فيه ينظف دما . والجواب ان أمثال هؤلاء الرؤساء المبجلين يجلون عن ان يكتبوا خلاف اعتقادهم ولم نسمع قط يومئذ ان أحداً أجبرهم على هذه الكتابة أو أنذرهم بشر ان تأبوا ان يعطوا هذه الشهادات ، وكانت كرامتهم دائماً محفوظة أيام الحرب وتوقيع تاما . ومرة تكلم أمامي انا جمال باشا مع بطريرك الارثوذكس في ان يحرر شيئاً في جريدة الشرق فلم يجاربه البطريرك أصلاً، وكنت أراه مصه في غاية المتانة، فرجل كهذا لا يصرح بهذه الشهادة الطويلة العريضة ان خالفت وجدانه . وقصارى مافي الامر ان يكون جمال باشا أرسل اليهم بأنه في مجلس البرلمان الفرنسي قيل كذا وكذا فإذا يقولون هم؟ ثم ان قيل ان هذه الكتابة من غبطة البطارقة وقعت يومئذ بالاكراه والاجبار—وهو مالم يقع— فلماذا لا يقال ان تكار بطريركي الارثوذكس والموارنة للمؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف هو واقع أيضاً تحت مثل هذا الضغط من الجنرال غورو، ولماذا تبجح بذلك فرنسا واذانها ويهدونه حجة علينا؟..

الرحلة الأوربية

(٣)

الفنادق في سويسرة

كان الامير ميشيل بك لطف الله أوصى توفيق أفندي اليازجي بأن يحجر لنا حجرات في فندق من أرقى فنادق (جنيف) وأحسنها اذ كان بلغنا أن هذه الفنادق ستكتظ على كثرتها بالمسافرين عند اجتماع عصبة الأمم ، وأن يستأجرها اذا توقف حبرها على استئجارها ، وصح ما قيل من تسابق الناس الى مثل ذلك . فلما وصلنا الى جنيف ذهب بنا الى فندق انكلرة وهو من الفنادق الوسطى ، وموقعه أمام البحيرة جميل ، فلم يعجب الامير ميشيل بك وعاتب توفيقا على انزالنا فيه ، فاعتذر بأن الحديدو كان ينزل فيه . فقلنا لعله كان يراه أعون له على التنكر ، وقد نزل فيه في وقتنا الامير عزيز حسن . ثم عهد الامير ميشيل الى جورج أفندي يوسف سالم بأن يبحث لنا عن حجرات في فندق من الدرجة الاولى يكترفيه كبار أعضاء جمعية الامم ليسهل التعرف بهم ، ويكون وجودنا معهم مذكرا لهم دائما بوجود وفد سوري يطالب باستقلال بلاده ، وبعد جهد في البحث والتجوال وجد لنا مطلوبنا في فندق (دي برك) وكان الامير ميشيل قد أوصاه بأن يساوم صاحب الفندق في اجرة الحجرات وثمان الطمام واجرة غسل الثياب فلم يعن بالتدقيق في ذلك بل رضي بأن نعاملهم بالتعريفة التي يطلبونها لظنه أن ذلك محدود كما يقولون . ثم تبين أن الامير ميشيل هو المصيب ، وأنه أعلم بشؤون البلاد من سالم الذي هو أكثر منه أسفارا ونجوالا في الممالك كما قلنا من قبل ، وأنه كان يمكن أن يقتصد بالمساومة مبلغا من الجنيهات لا ينبغي التسامح في مثله

وقبل أن أئين الفائدة التي أقصد اليها من ذكر هذه المسألة أذكر دقيقة أخرى للامير ميشيل هي دونها في باب الاقتصاد ، ولكنها تدل على حذق وذكاء واختبار وهي أن أصحاب فندق فيكتوريا في مدينة لوزان لما قدموا لنا جريدة الطعام ، وهي مطبوعة ألثينافيا الأثمان المطبوعة مرصحة وبجانها أثمان مكتوبة بالحبر هي أكثر منها فلم ينتبه أحد منا الى سبب ذلك غيره فقد قال ان هذه الأثمان المطبوعة هي أثمان الطعام لاهل البلد ، وانهم انما زادوا

فيها لاجاننا ، فان لاهل سويسرة حدقا في اجتلاب الاموال من السياح لا يضارعهم فيه غيرهم ، وسبب ذلك أن ما يربحجوبه من الاجانب معظمه من الذين يقصدون بلادهم من جميع أقطار العالم المدني للتمتع بمناظر جبالها وروجها الخضراء ، وبحيراتها الزرقاء ، واستنشاق نسيمها العليل ، وتفيؤ ظل حدائقها الظليل ، فما ينفقه فيها السائحون والسائحات ، هو عند أهلها من قبيل دخل الصادرات ، وأما الصادرات التي تخرج منها الى غيرها فهي قليلة أهمها الساعات من المصنوعات المدنية فهي أشهر بلاد أوربة اتقانها ، والزبدة والجبن والفاكهة من نتائج الزراعة ،

هذا وان جميع الاسمار في بلاد سويسرة محدودة لجميع أنواع البضائع واهلها يغلب عليهم الصدق والامانة ، وقد قيل لنا ان اكثر بلاد اوربة ولا سيما المواسم والثفور العظيمة كباريس ومارسيلية يبيعون الغرباء بأسعار اعلى من الاسمار التي يبيعون بها الوطنيين ، واما سويسرة فقلما تجرد هذه المعاملة فيها للغرباء في غير الفنادق ، ومن اسباب ذلك ان اكثر اصحابها من اليهود

اما بعد فان غرضنا من الالمام بهذا البحث تنبيه القراء الى ما يجب على المسافر من بلاده الى اوربة وغيرها من الدقة والاقتصاد في النفقة ، وحفظ ماله ان يضيع فيما لا يفيد صاحبه حمدا في الدنيا ولا ثوابا في الآخرة ، بل هو من اسراف الغباوة الذي يحقر فاعله كل عاقل وقف على حاله

ان من لا يعرف ميشيل لطف الله اذا سمع أنه يساوم في اثمان طعام الفنادق ، وينبذ من يوليه امر نفقته الى امثال هذه الدقائق ، يظن انه ممن يصح ان تكتب اخبارهم في نوادر البخلاء ، أو ان الدافم له الى مثل هذا التوفير الفقر والاملاق ، اما وكل من يعرف الرجل يعلم انه من اكبر اهل النعمة والثراء ، ومن اشهر الاجواد والاسخياء ، وانه مقري الضيوف ، ووهاب الالوف ، فكيف يفهمون بمد هذا منه ، ما روينا من هذه الدقة في التوفير عنه ؟

لا شك ان سفهاء الوارثين المعروفين في هذه البلاد ، وهم لا يعقلون معنى لكلمتي التوفير والاقتصاد ، الذي عليه مدار ثروة الامم والافراد ، يعدون ذلك من الهنات المستهجنات ، ويكثرنون التنادر بها ، واختراع النكات لها واما اهل العلم والبصيرة ، فهم الذين يقدرونه قدره ، ويعلمون انه من العقل

والحكمة ، والشكر الذي تدوم به النعمة ، وانني قبل التثريب على أولئك السفهاء المسرفين ، أذكر لهم مثلا من قصد الأجواد المتقدمين والمتأخرين ، روي في مناقب الامام الحسن السبط عليه السلام أنه جاء المدينة المنورة تاجر من العراق بأحمال من أجود الثياب ، فاشتراها منه الحسن بعد أن بالغ في المساومة معه ولم يترك له من الربح الا القليل ، ثم أخذ منها ثوبا أو ثوبين ووزع الباقي على الحاضرين ، فقال له التاجر يا ابن رسول الله لقد بالفت في مساومتي حتى لم يكن لي من الربح على نمبي الا القليل وقد كنت أحق من هؤلاء الناس بمثل ما أعطيتهم — أو ما هذا ممناه — فقال له الحسن : « المغبون لا محمود ولا مأجور » أي لا هو مهدي هدية فيحمد ولا متصدق فيؤجر . وهذا حديث مرفوع رواه الخطيب عن أبيه والطبراني عنه وأبو يعلى عن أخيه الحسين عليهم السلام

ومارأت أحد من الأغنياء العقلاء أشبه بالامير ميشيل في إنفاقه وتوفيره ، من الشيخ قاسم آل ابراهيم التاجر العربي الشهير في بومبي (الهند) فقد عهدناه ينفق من سمته في الاعمال العامة كالمدارس والاعانات للدولة المثمانية فيهب المئات والالوف من الجنيهات ، ولا يطعم أهل الكدية والاستجداء منه بدينار ولا درهم وان وقف على بابه طول النهار ، وأطراه بالبليغ من الاشعار ، على أن ميشيل لطف الله كثيرا ما يعطي الشعراء والادباء ، ولكن دون ما يهب للمدارس والجمعيات الخيرية ، والاعمال السياسية ،

فأمثال هؤلاء الأغنياء هم الذين يعرفون كيف يحفظون نعمة الله عليهم بالثروة ، ويكونون أهلا للمزيد والزكاء فيها على كثرة النفقة

هذا وان ما يمكن توفيره من نفقات السفر في أوربة من غير إزراء بصاحبه ، ولا نقص في تمتعه ، ليس بالشيء التافه الذي لا يمتد به ، وناهيك باختيار المواقع ، ومساومة أصحاب المنازل والفنادق . وقد علمنا ان أهم سبب غلاء المواد الغذائية في سويسرة وغيرها وارتفاع اجور الفنادق هو جعل ورقها النقدي (بنك نوت) بسعر الذهب لا ينقص شيئا — وقد كان هذا سببا لقلّة قصد السائحين اليها بعد الحرب كما كان يعهد قبلها حتى سائحي الانكليز والاميركيين الذين هم أكثر الشعوب سياحة وأوسعهم فيها نفقة فقد تجولنا بعد

فض مؤتمرننا في أشهر بلادها ، ورأينا أشهر فنادقها فلم نجد الا القليل من السائحين فيها، ولما ذهبنا الى ألمانيا وجدنا الفنادق غاصة بالناس من أهل سويسرة وغيرهم، حتى انك لتطوف على الكثير منها فلا تجد لك حجرة فيها كما سيأتي في محله . وانما اثر الغرباء في مدينة جنيف وحدها لما ذكرنا من اجتماع جمعية الامم فيها، وكثرة قصد المشتغلين بالسياسة اليها .

الفرنك السويسري كالفرنك الفرنسي والليرة الايطالية وغيرها من نقد دول الاتحاد اللاتيني، كلها متساوية في وزنها الفضي وسعرها الذهبي، ولكن التعامل العام قد انحصر منذ اشتملت نار الحرب في الورق وهو مختلف السعر الآن حتى في البلاد التي يطعم فيها بحسب الثقة المالية قوة وضعفا، والمعيار العام في أوربة لهذا الورق (البون) الانكليزي لانه االية انكثرة اثبت من غيرها من الدول الاوربية التي اشتركت في الحرب ولا يعلوها في ذلك الا الولايات المتحدة وسويسرة فانها كالولايات المتحدة في سعر القطع ففرنكها لا يقل عن اربعة قروش مصرية صحيحة

وان شئت مثلا من امثلة غلاء الفنادق الغريب في سويسرة فاعلم ان ثمن البيضة في السوق قرشان مصريان كما اخبرنا توفيق افندي اليازجي وهي في الفندق أغلى ، وأن اجرة غسل بعض الثياب في شهر واحد قد يزيد على ثمنها ضعفا او ضعفين او اكثر، فان اجرة غسل كل من المنديل والجورب وكيه لا يقل عن فرنكين سويسريين كاجرة القميص واللباس وقد يكون في بعضها أكثر، افليس شراء جديد بدلا من المتسخ هنالك خيرا من غسله كلما استعمل كما هي العادة؟ وقد هال رياض بك صلح انه دفع جنيتين اجرة لغسل ثيابه في الفندق الذي نقيم فيه (اوتيل دي برج) ومتوسط نفقة الطعام في سويسرة جنيه انكليزي او مصري في اليوم وفي فندقنا وما مائه أكثر، وفي بعض مطاعم السوق أقل . وهذا الفندق من اغلى الفنادق اجرة وطعاما ان لم يكن اغلاها ، والطعام فيه اجود واكثر منه في فندق فيكتوريا الذي نزلنا فيه اولا (وكتب اولا فندق انكثرة سهوا وطبع) فاللون هنالك قليلة وهنا كثيرة جدا، ولكن لكل يوم بل كل وجبة الوانا معدودة لها ثمن معين ومن طلب غيرها بما يوجد دائما رهن الطلب كالقراخ والسماك والطيروساثر الاجوم بأنواعها فعليه ان يدفع ثمنه . ومن عاف شيئا من طعام الوجبة فله ان يطلب بدلا منه بغير ثمن جديد،

وكنت دائما اطلب بدلا من الالوان التي يدخل فيها لحم الخنزير ، والجبن من متمات الطعام يجوز ان يستبدل به بعض الفاكهة - وهي كثيرة وجيدة الالاتين فانه قليل ورديء، وقيل لئانه يأتي من اسبانية واكثر المنب غير جيد ايضا (استطراد في اغبياء الاغنياء المسرفين)

هؤلاء الاغنياء المسرفون هم الذين يبذرون الاموال في سبيل الشهوات المحرمة، والفضيحة الجديدين بأن يسلبوا ما وهبوا من النعمة ، يتوهم الجاهل المفروود منهم أن الشرف والفخار، في استمالة الفواجر والفجار، وتعلق سباسة الفسق من قواد وخمار، وشيخوخ الابصار على موائد القمار، واطراء المخادعين من الطامعين والشطار، وتغريب السباسة الاشرار، فتراه بينهم يعطي باليمين واليسار، ويشترى سلعة الدرهم بالدينار

الا ان هؤلاء الاغنياء الاغبياء ، والمبذرون السفهاء ، هم أعداء الله تعالى وأعداء دينه ، وأعداء اوليائه من فضلاء الناس وخيارهم، وأولياء أعدائه من أشرارهم ، وأعداء امتهم ووطنهم ، وأعداء ذوي قرباهم ، ولا سيما ازواجهم واولادهم ، فهم اذا اعدى اعداء انفسهم .

أما كونهم اعداء الله واعداء دينه فهو انهم يكفرون نعمه عليهم بالمال وبالجوارح والمشاعر والحواس باستعمالها فيما يخالف شرعه الحكيم ، ويضل عن صراطه المستقيم ، وقد وصفهم في كتابه بقوله (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) ويدخلون في عموم قوله (وأن المسرفين هم اصحاب النار) ولا نطيل في تذكيرهم بآيات ربهم فهم عن ذكره معرضون واما كونهم اعداء اولياء الله اهل الفضائل ، فهو ان الاسراف قد هبط بهم الى اسفل دركات الرذائل ، وانما يجب الالسان شبيهه ، ويكره بمقتضى الطبع مخالفة وضده ، ولهذا وصفهم الله بأنهم اخوان الشياطين ، وهو يصدق بشياطين الانس والجن ولذلك جمع ، فأما شياطين الجن فهي ما يجدون اثره في خواطرهم ، ووساوس انفسهم ، التي تزين لهم الفسق وتلبس عليهم الحقائق ، بتسمية الرذائل بأسماء الفضائل ، كتسمية الاسراف جودا وكرا ، وتعلق المنافقين (النصابين) جاها ومجدا ، وتهافت العواهر وخدمة الحانات والمواخير عزا وشرفا ، واما شياطين الانس فهم قرناء السوء المنافقون المتملقون الذين يتهافتون على الاغنياء المسرفين ، ولا سيما الشبان الوارثين ، فيزينون لهم في

الظاهر، ما يوحسوس به الشيطان في الباطن، فهم شر منه واقدر على الاغواء، لان التناسب بين شيطان الجن والشرير من الناس نفساني فقط، واما التناسب بينه وبين شيطان الانس فهو نفساني وجسداني، ذلك يشغل قلبه وخطره، وهذا يملك باطنه وظاهره، فيشغل سمعه وبصره، وذوقه ولمسه، ويكون قدوة سيئة له في جميع الرذائل، وشاغلا بل منفراً له عن معاشره الافاضل،

واما كونهم اعداء وطنهم وامتهم فله مظاهر كثيرة اديية، كسوء القدوة في افساد الاخلاق وشرحه يطول - واقتصادية كتحويل ثروة البلاد الى الاجانب انباني نخلة باشا المطران في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ قال انباني رجل من كبار المباليين في باريس ان متوسط ما ترجمه باريس وحدها من المصريين في كل صيف ثلاثون مليون فرنك (وهو مليون ونصف مليون دينار) افرنسي من الذهب) ومثل هذا الاحصاء خاص بما يمكن العلم به ويتناوله الاحصاء عادة كأجور الفنادق والملاهي والملاعب والحانات، وربما كان منه مواخير البغاء الرسمية دون ما يعطى للاخدان، ويقال انه قلما يوجد رجل من الذين اعتادوا الاصلبيات في اوربة من المصريين لاجل التمتع بالشهوات ليس له خدن يكثر الاخلاف اليها في بيدها او تختلف اليه في البيت الذي يقيم فيه من الفنادق العامة او الدور الخاصة التي يعرف واحدها (بالبنسيون)

وللقمار مقامر عامة يمكن احصاء ربحها وخسائر الشعوب فيها ولكن المبطلين به لا يحصرون مقامرتهم فيها بل يقامرون اصداقهم واخذانهم من النساء والرجال في البيوت والملاهي والمنزهات، وقد بلغنا ان عمر باشا سلطان قد خسر بالمقامرة في صيف سنة واحدة (اهلها السنة التي مات فيها او السنة التي قبلها) ثلاثين الف جنيه مصري

ان اكثر الاغنياء الاغبياء ولا سيما الشبان الوارثين منهم يخوضون بحار هذه الموبقات بغير عقل ولا حساب ولا تقدير، فهم ليسوا كالا فرنج الذين لهم من العلم والتربية ما يقف بهم عند حدود من الاقتصاد فيها كغيرها من النفقات المشروعة: بلغني ان المقامرين منهم يضمون في ميزانية نفقاتهم السنوية مبلغا معيناً من الدخل يوزعونه على الاشهر لا يتجاوزون قسط الشهر ربحوا ام خسروا. والمقامرون ولا سيما المسلمين الجغرافيين او الرسميين من اهل بلادنا قلما يقف احد منهم عند حد او يتقيد بنظام، وان خسروا دخل السنة كلها

في اساييم او ايام ، بل يقترض بمد ذلك بالربا الفاحش ويرهن املاكه لهدم قدرته على كبح جماح نفسه ، والوقوف بها عند حد من شهواته ، ولو ان الجرائد تنشر اخبار هؤلاء السفهاء وما يخسرون في القمار وسائر طرق الفسق والفجور لكان لها تأثير عظيم في ردعهم ، واعتبار الناس بسوء حالهم .

ان آخر ما سمعت من اخبار هؤلاء المسرفين خبر شاب من الوارثين كان قد انفق مبلغا عظيما في سبيل العلم فظننت انه سيكون كالشيخ قاسم ابراهيم في جده وعقله في بذله ، وبعده عن اللهو الباطل واهله ، او كالامير لطف الله في جمعه بين منتهى ابهة التمتع بزينة الدنيا وطيباتها ، وبين اعمال البر والمعروف مع النظام والتدبير فيهما ، ولكن خاب الامل فيه اذ علمت انه غلغلا في الاسراف والتبذير غلوا كبيرا ، لعله لا يدع له فتيل ولا تقبرا ولا قيطرا ، فهو ينفق أضعاف ما ترك له والده المريض من الدخل الكبير ، وطفق يقترض بالربا الفاحش ويرهن ويبيع ، فخرت وأنا لأعرفه عليه ، وتمنيت لو تخلص مثل هذه النصيحة اليه ، وأن لا يكون إن نصح ممن قال الله فيهم (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون — ومن قال فيهم — ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ، ولو أسمهم لتولوا وهم معرضون)

وكذلك ما ينفقه هؤلاء في وطنهم يتسرب أكثره الى جيوب الاجانب أيضا غاية انما يذهب في الفجور وأكثر الفواجر منهم ، والخمر وجميعها من صادرات بلادهم ، والقمار وهم أصحاب القمح المعلى فيه ، أو ربا الديون وهم أصحاب المصارف ورءوس الاموال له ،

أي عداوة للوطن وجناية عليه اكبر من نزع ثروته منه وإعطائها للاجانب ؛ ولو أن هؤلاء السفهاء يجملون ما ينفقون في غير الضار لهم من شهواتهم وفيما ينفع الوطن من المشروعات العامية والعملية لا يمكن لمصر أن تضارع أوربة وتبارها في زمن قصير ، سواء كان هذا البذل تبرعا في سبيل المصالح العامة أو استفلالا للمال فيما يرقى الزراعة والصناعة والتجارة ويحفظ ثروة البلاد من الضياع ، ولو أنهم يشترون به سندات دين الحكومة وسهام الشركات والمصارف العقارية وغيرها لا يمكنهم إعتاق حكومتهم وأمتهم من استرقاق الافرنج الاقتصادي لها وجعلها حرة مستقلة في ادارة ثروتها ، والاستقلال الاقتصادي أنجح ذرائع الاستقلال السياسي اذا كان مفقودا ، وأقوى دعائمه اذا كان موجودا ،

وأما عداوة هؤلاء الاغنياء الاغنياء لاهلهم واولادهم فهي انهم اسوأ الناس قدوة لهم في الفساد الذي اشرنا اليه واقلمهم عناية بتربيتهم الصالحة ، فكثيرا ما يفنون ثروتهم كلها في حياتهم فلا يتركون لاولادهم ما يعيشون به كما اعتادوا فيكونون اشقى الناس . ونتيجة ما ذكر انهم أعدى أعداء انفسهم والجناة عليها في دنياها وآخرتها

اننا بالتجوال في أوربة ورؤية مناظرها الجميلة والتمتع بهوائها المعتدل في فصل الصيف ووجدان جميع أسباب الراحة عرفنا تجربة ذوق واختبار عذرا أغنيائنا في اقبالهم على الاصطياف فيها هربا من حر قطرهم وغبارهم ولكننا لا نرى لاحد منهم عذرا ما في اتفاق شيء من ثروة الوطن في غير اثمان ما يتمتعون به من طيبات الرزق وأجور السكن والتنقل في البر والبحر ، الا أن يكون فيما فيه منفعة معنوية لهم اولادهم ووطنهم في علم أو ثروة أو سياسة ، فان في أوربة من ينابيع العلم ومصادر المعارف ومجال الاعمال السياسية ما ليس في مصر ولا في غيرها من البلاد ولكن لا يكاد يوجد فيها شيء من اللذات الجسدية لا يوجد مثله في مصر ، وسيأتي بيان ما تمتاز به في مكان آخر

الرحلة السورية الثانية

١٥

المؤتمر السوري العام

انتخب أعضاء هذا المؤتمر في أوائل سنة ١٩١٩ من جميع الولايات والمتصرفيات السورية في المناطق الثلاث التي قسمها الحلفاء اليها . وكان انتخابهم فيما عدا متصرفية جبل لبنان التي كانت مستقلة في ادارتها الداخلية على طريقة انتخاب مجالس المبعوثين العثماني بل انتخبهم المنتخبون الاولون الذين انتخبوا المبعوثين في الدورة الاخيرة ، وأما جبل لبنان الذي لم يكن ينتخب منه أعضاء لمجلس المبعوثين فقد انتخب من بعض بلاده — لا كلها — أعضاء للمؤتمر انتخبهم الوجهاء وشيوخ الصلح الذين ينتخبون أعضاء مجلس ادارة لبنان

وكان الغرض من تأليف هذا المؤتمر المنتخب بطريقة زبائية عن الشعب السوري كله أن يبين رأي الشعب السوري في مصير البلاد وشكل حكومتها وما يفرضه عليها دول الاحلاف من المساعدة . . . وقد اجتمع المؤتمر لأول

مرة في دمشق عند مجيء اللجنة الامريكانية من أوربة في تلك السنة لاستفتاء الشعب السوري في ذلك . وخبر هذه اللجنة في تأليفها وامتناع دولتي فرنسا وانكلترا من الاشتراك فيها بعد أن كان قد تقرر جعلها مشتركة وطوافها مناطق البلاد واطلاعها على رأي جميع الطبقات والجماعات فيها بالمشافهة وقرار المؤتمر العام الذي قدمه لها في دمشق واجماع الرأي العام في هذه المناطق كلها على طلب الاستقلال التام للبلاد كلها واتحادها ورفض كل مساعدة تنافي هذا الاستقلال — كل ذلك معروف مشهور قد نشر في جميع الجرائد السورية في ذلك الوقت وتقلته عنها الجرائد العربية بمصر وأمريكة وغيرها ونوه به كثير من الجرائد الافرنجية في البلاد المختلفة وسبق له ذكر في المنار وليس هو مما يعني هنا وإنما الذي يزيد أن تقوله هو أن الجماعات والافراد أولي الشأن الذين قابلوا اللجنة الامريكية في جميع المناطق قد أيدوا المؤتمر السوري العام فكان ذلك من الشهادات المتواترة على ثقة الشعب كله بالمؤتمر وكونه ينطق باسمه ويعبر عن رأيه

لاجل هذا قرر حزب الاستقلال العربي عند البحث في طريقة إعلان استقلال البلاد أن يكون المؤتمر السوري العام هو الذي يقوم به في العاصمة (دمشق) مستظها بعلمائها ورؤسائها الروحيين وكبار رجالها من جميع الطبقات والاحزاب — وأنه لا حاجة الى انتخاب جديد — كما اقترح بعضهم — وكذلك كان ، وقد نشرنا خبره مفصلا في وقته

ولما اجتمع المؤتمر وأعلن الاستقلال أيده الشعب في جميع المناطق السورية وصارت له بمظاهرة الشعب له صفة الجمعية الوطنية التأسيسية، وقد كان من رأي الامير فيصل أن ينفذ بعد إعلان الاستقلال وكأشف الذين كانوا يتولون مراجعته ومذاكرته في الامر من كبار أعضاء الحزب بذلك فلم يوافقهم أحد وكاد يصر لولا أن قيل له ان هذا الامر لا يمكن البت فيه الا بعد اجتماع المؤتمر والاتفاق مع الأكثر من أعضائه وهم من حزبنا على ما يحسن في ذلك؛ ثم كثر البحث في ذلك بعد اجتماعه وقبل الاتفاق على وضع صيغة اعلان الاستقلال حتى تم الاتفاق على الصيغة التي وضعت في قرار المؤتمر التاريخي الذي أعلن به الاستقلال — وقد نشرناه في المجلد الحادي والعشرين من المنار (ص ٤٤١) — وهذا نصها بعد ذكر اختيار فيصل ملكا

وأعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس (أي المؤتمر) في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام الى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية» فان جعل الحكومة مسؤولة تجاه المجلس كان يراد وضمه مطلقا فلم يقبل الأمير فيصل بذلك وبعد المراجعة والأصغاء رضي بأن يكون ذلك مقيدا بما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام ورضي أكثر الأعضاء بذلك وبعد أن تألفت الحكومة وانتظمت جلسات المؤتمر اقترح بعض أعضائه وضم قرار بطلب تقديم الوزارة بيان خطتها للمؤتمر طلبا لاعتماده اياها من حيث هي حكومة نيابية بمقتضى قراره فقبل الاقتراح وتقرر بأغلبية كادت تكون اتفاقا ولما بلغ رئيس الوزارة قرار المؤتمر عرضه على الملك فأنكره وأبى أن يجيب الوزارة الطلب حتى أقنعتة بذلك بعد مناظرة حادة حضرها احسان بك الجابري رئيس أمنائه - وكان فيها يالا لرأيي - وسمع بعضها الأمير زيد ذلك أنني زرته صباحا كالعادة فذكر لي قرار المؤتمر وقال انه ليس له هذا الحق لأنه ليس مجلسا نيابيا وانني أمرت الوزارة بعدم إجابة طلبه . فقلت له يا مولاي ان هذا الاقتراح عرض خباءة في المؤتمر ولم يبحث حزبنا فيه ولا علم به قبل عرضه، وانني لم اكن من المقربين له ولا الممارضين فيه لاني لا أزال مترددا في الترجيح بين كفاءة الوزارة وكفاءة المؤتمر وناظر اليهما بعين النقد والتجربة ، ولكن يجب أن ينفذ قرار المؤتمر بعد أن قرره وبلغه ولا يجوز رده البتة قال انه لا حق في هذا الطلب لأنه ليس مجلسا نيابيا - قلت بل له هذا الحق لأنه أعظم سلطة من المجلس النيابي ، إنه جمعية وطنية تأسيسية، قال اني أنا الذي أوجدته فلا أعطيه هذا الحق الذي يعرقل عمل الحكومة قلت بل هو الذي أوجدك ، فقد كنت قائدا من قواد الحلفاء تحت قيادة الجنرال ألنبي فجمعك ملكا لسورية . نعم ان لك فضلا بالسماح بجمعه اذ كنت تحكم هذه البلاد حكومة عسكرية باسم الحلفاء - أما وقد اجتمع باسم الامة وهي صاحبة السلطان الاعلى بمقتضى اصول الشرع الاسلامي الذي تدين الله به وبمقتضى جميع اصول القوانين العصرية الراقية ، وقد اشترط في تأسيسه لهذه الحكومة التي اختارك ملكا لها أن تكون مسؤولة تجاهه في كل ما يتعلق بأساس

الاستقلال ، وبرنامج الوزارة السياسي يتعلق بأساس الاستقلال مباشرة وبرنامجها الاداري يتعلق بحفظ الاستقلال بالتبع أيضاً. فأرجو أن لا تحدث لنا أزمة في أول طريقنا . وما تخشاه من عرقلة الحكومة بتدخل المؤتمر وسيطرته عليها فأمره سهل ، فان اكثرية المجلس من حزبنا وأعضاء الوزارة من حزبنا أيضاً ونحن نضمن التوفيق بينهما وعدم فتح هذا الباب الآن . وبعد التأمل في هذا الكلام الذي يعتقد اخلاص قائله وصدقه وعلمه بأن المؤتمر لا يسكت عن تنفيذ قراره رضي ، ثم قدمت الوزارة بيانها على الوجه الذي يتفق مع رأي الحزب ونالت الاعتماد المطلوب ثم كان من أمرها بعد ذلك ما ذكرناه من قبل والغرض من ذكر هذه الحادثة بيان صفة المؤتمر لا التعريض بميل الملك فيصل الى الاستبداد، بل أقول إنني كنت أخاف ما يخاف هو من تحكّم المؤتمر في الحكومة وعرقلته لاعمالها وهي في طور التكون ، فان استبداد الجماعة قد يكون أشد ضرراً من استبداد الافراد، والشواهد على هذا معروفة في التاريخ القديم والحديث، وحسبنا من الحديث استبداد الاتحاديين بالحكومة العثمانية الذي أدى الى هدم سلطنتها (أمبراطوريتها) العظيمة . وحب الاستبداد فطري في نفوس البشر خيارهم وشرارهم ، وربما كان بعض الاخيار أمضى فيه وأثبت قدما من غيرهم، لعذرهم أنفسهم فيه بما يجدون فيها من حسن النية ، والشرير قد يلوم نفسه عليه اذا كان فيه بقية من الخير ، ولا يصرف الناس عن الاستبداد الا التقيد بشرع أو قانون وراهه قوة تحافظ على تنفيذه وتراقب المنفذين له، وهذا معروف لا يحتاج الى شرح ، ولما كانت مراقبة الملوك وايقافهم عند حدود الشرائع والقوانين مع الاعتراف لهم بالسلطة العليا من أشق الامور بل تكاد تكون متعذرة — سلبت الامم الراقية السلطتين منهم وجعلتهما للمجالس النيابية وجماعة الوزراء ... قلت مرة لمستمر متشل إنس وكيل المالية بمصر في عهد كرومر انكم قد ظلمتم الخديو وقيدتم سلطته حتى لم تتركوا له من النفوذ الفعلي في الحكومة شيئاً. فتال لكتنا تركنا له جميع مظاهر الملك وعظمته وهل تريد أن نعطيه ما ليس لملكنا مثله فيستبد في الاعمال ، فوالله لو أن ملكنا استطاع أن يستبد في أمر من الامور في يومه لما أخره الى الغد . ومعقول ان يكون الملك فيصل أجدر من غيره بحب الاستبداد وقد صرح بأنه ندم أن لم يكن استبد في سورية ولو لکن من غرائزه وأخلاقه ما يصدده عنه اذا كان طريقه غير معبد له، وآية لي على ذلك أنه سمع مني ما ذكرت من معارضته فرجع

الى قولي ، ولم ينقص ذلك شيئاً من مودته واحترامه لي ، ولو كان الاستبداد
راسخاً فيه كرسوخه في كثير من نعرف من الامراء وكان قوي الشكيمة فيسه لما
استطعت معاشرته والعمل معه بعد ذلك ، ولكن حقد علي بهذه المعارضة
وكاد لي كيدا ، اذا لم يستطع ايذاءي جهراً ، على أنه رأى مني بعد ذلك معارضة
اشد وأخشن ولم يكن ذلك بصرف له عن مكاشفتي عند توديعه ليلة خروجه
من دمشق بأعمق اسراره التي اكد لي انه لم يذكرها لآخيه كما ذكرت ذلك من
قبل ولعله لولا يقينه الصحيح باخلاصي للامة وله وانني ليس لي ادنى هوى
نفسي في ذلك — لما بقيت لي عنده هذه المودة ، وقلما تجد هذا عند غيره من
الملوك والامراء ، بل عند الافراد والنظرء ، بل عندهم دونهم ؟ ونعود بعد
هذا الاستطراد الى الكلام عن المؤتمر

المؤتمر والحكومة في سورية

قلت إنني كنت أخاف ما يخاف الملك فيصل من تحم المؤتمر في الحكومة
وعرقلته لاعمالها ، وانني كنت اراقب كلا منهما مراقبة المختبر الشاك في كفاءة
الفريقين وفي الترجيح بينهما ، وقد تكون وجهة النظر عندي في ذلك مخالفة
لوجهة النظر عند الملك فيصل ، وقد بينت بالاجمال ما ظهر لي من كفاءة الحكومة
والاقتقاد عليها بالاعتدال البريء من التحامل والمحابة
وأما المؤتمر فقد ظهر أنه ليس أدنى من المستوى الذي فيه الشعب بل
هو مثال مطابق له ، فقد كان الرأي العام فيه في مسألة الاستقلال التام الناجز
ورفض كل سيطرة أجنبية هو رأي الشعب بعينه ، بل لم يكن فيه أدنى مظهر
للفئة القليلة في الامة التي تميل الى قبول الوصاية الأجنبية الموقته — وهل لدى
الدول الطامحة الى ذلك سيطرة موقته الا عند العجز عن الدائمة؟ وقد يلطفونها
بتسميتها مساعدة ، نعم قد اتهم أفراد من الاعضاء بأنهم من الحزب الوطني الذي
ألفه بعض الاغنياء. ولكن بعض وزراء الحكومة على قلتهم كانوا يصرحون لبعض
الناس بأن رأيهم قبول الوصاية ومنهم ساطع بك الحصري وزير المعارف الذي كان
أحد رسل الملك فيصل الى الجنرال غورو وعلاء الدين الدروبي قتيل خربة الغزالة
وتقدم ذكر ذلك. بل كانت وطأة المؤتمر شديدة في مقاومة الانتداب في كل من سورية
الجنوبية والشامية ولم يكن هذا محل خلاف بين حزبيه ولا بين أحد من أفرادهما
وكان فيه العدد الكافي من دارسي علم الحقوق واصول القوانين ومن
ذوي الامام بالشريعة الاسلامية ومن الاذكياء المتعلمين في مدارس الدولة

العثمانية أو بعض المدارس الاجنبية فكان بذلك كفتوا الوضع القانون الاساسي للبلاد وأهلا لوضع غيرها من القوانين أو تنقيح القوانين العثمانية . وكان فيه طائفة من المحافظين على القديم من أمور الامة وتقاليدها وطائفة من المولعين بالجديد الاوروبي وطائفة من المعتدلين بين جمود اولئك وخفة هؤلاء ، ومن المولعين بالجديد من يودون السير من وراء حدود الدين وان يستظهروا في ذلك بالقانون بل قاوم كثيرون منهم تقييد الحرية الشخصية بشرط المحافظة على الآداب العامة وكان رأي بعضهم أنه شرط لاحاجة اليه لئلا يتوسل به الى منع السكر في المقاهي والملاهي واختلاط النساء بالرجال فيها ، ورأي آخرين أنه شرط حسن ولكن لا ينبغي ذكره في القانون الاساسي فكان رأي الفريقين أفلج فرجح على رأي المخالفين لهم لان أكثر هؤلاء كان ضعيف الفهم قليل الحزم

أشرت آنفا الى انه كان في المؤتمر حزبان ، وهما حزب التقدم الذي يمثل حزب الاستقلال العربي وجمعيته وحزب الاعتدال ، ثم انفرد أفراد سموا أنفسهم حزب الاستقلال — أي الاستقلال في الرأي — ولكن الذين لا يتقيدون ببرنامج حزب يؤبدون رأي الاكثر من أفرادها اذا قرروه لا يمكن أن يؤلفوا حزبا من أنفسهم . ولو أمكن أن يكون هؤلاء حزبا لكنت منهم قبيل أن أكون رئيس المؤتمر فاني من أشد الناس استمساكا باستقلالي فيما أراه هو الصواب ، ولكن لم يكن لي مندوحة عن الاشتراك في تأليف حزب التقدم الذي يمثل الجماعة التي أنا مرتبط بمذاهبها السياسي وهو استقلال البلاد العربية وقد انتخبت رئيساً لهذا الحزب عند تأسيسه ، وكنت أستعين به على تنفيذ رأيي في المسائل الخلافية في اجتماعاته الخاصة فان لم يتيسر لي اقناع الاكثرين في بعض المسائل ولم يتيسر لهم اقناعي فاني أنفذ قرارهم عملاً بالنظام ولكنني لا أنصره بالاحتجاج له والدفاع عنه على منبر المؤتمر ولا في مناقشة الافراد ، بل كنت أصرح لهم بما أعتقد انه الصواب ، وأقول هذا رأيي وذلك قرار الحزب . وقد استطعت بما لي من المكاة الشخصية عند الاخوان أن أقنعهم بارجاء البت في بعض المسائل الخلافية الى أجل ساعدتنا فيه الايام على الاتفاق فيها ولقد دعيت الى المساعدة على تأليف الحزب الآخر عند الشروع فيه على أن أكون رئيساً له فلم أقبل ، وقد كان الداعي الاول الى تأليفه كتب أسماء

أكثر الذين لا ينتمون الى حزب الاستقلال العربي ليدعواهم الى تأليف حزب مخالف له في المؤتمر لئلا ينفرد بالنفوذ فيه كما انفرد بالنفوذ في الحكومة وفي بلاط الملك ، على أن يتقاسموا ليكوننّ إلباوا واحدا وكلمة واحدة على كل ما يقررونه فيما بينهم لا يشذ أحد عن رفع صوته به ، ولم أكن أعرف لهم رأياً جامعاً غير ما ذكرت وهو ما يتمذر عليّ على أنه قد دخل في حزبهم بعض أعضاء جماعتنا برضى من حزبها بقصد الإصلاح وتفادياً من توسيع مسافة الخلاف ، وقد كان أفراد هذا الحزب وهم الاقلون عدداً أكثر اتفاقاً وتناصراً من الآخرين وهم الاكثرون عدداً وعلماء الا في المسائل المهمة ومنهم أكثر أهل العلم والرأي والخطباء

سيرتي في المؤتمر

ولما صرت رئيساً للمؤتمر وجب على أن أساوي بين الحزبين في كل شيء يتعلق به وفي احترام أفرادها حتى في خارجه وإعطاء كل ذي حق حقه ، وإيتاء كل ذي فضل فضله ، بل تركت رئاسة حزب التقدم مع المحافظة على نصرا الجماعة التي ينتمي اليها ، وقد كان الذين استاؤا من تشديدي عليهم في حفظ نظام الجلسات أو في المنع في بعض الاحيان من الكلام والخطابة أكثرهم من أفراد جماعتنا وأقلهم من الحزب الآخر ، بل ربما كان أكثرهم من أصدقائي وما كلهم من أفراد جماعتنا ولا كل أفراد جماعتنا منهم ، ومن العادات الراسخة في نفسي أن اشتد مع الاصدقاء أهدحباً واخلاصاً في الصداقة مالا اشتد مع غيرهم في الاقناع بالحق والمطالبة بالوقوف عنده ، لانهم أقرب الي حسن الظن ، وأبعد عن الظنة (التهمة) التي قد تبعث على مكابرة الحق ، وكم أغضب عليّ هذا الخلق من صديق ساءني إغضابه ، وسرني استعتابه ، وكم وجه الي من عتب محب لم يتعذر عليّ إعتابه ، وربما فاتني من ذلك ما أجهله او أعذر نفسي بحسن النية فيه وان لم تعلم . وقد اتهمني بعض من صاحبت وواددت من أعضاء المؤتمر وغيرهم بالمحاباة في تنفيذ وظيفة الرئاسة فيهم ، وكانت هذه التهمة باطلة ، فوايم الحق ، اني كنت دائماً محايداً على تحري الحق والعدل ، ولكنني لأبريء نفسي من التساهل أحياناً مداراة لبعض شديدي الانفعال والغضب أو محبي المشاغبة كراهة أن تكسر فتسوء سمعة المؤتمر ، ومنهم من أغراه ذلك باللاجاج بالتادي حتى اضطررت الى ما كنت أكره من الانذار وراء الانذار ، الذي لا يبيح القانون فيه للرئيس اخراج المنذر من الجلسة بقوة الشرطة (للكلام بقية)

مصائبنا بشقيقتنا

السَّيِّدُ الصَّالِحُ فِي مَخْرَجِ رِضَا

الامر لله . ولا حول ولا قوة الا بالله . انا لله وانا اليه راجعون . ربنا
أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين

في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان رزئنا بوفاة شقيقتنا وتربنا ورفيق
حياتنا وأخلص الرجال لنا السيد صالح آل رضا تغمده الله برحمته ورضوانه
بعد أن أصيب بألم في الحنجرة كان عرضه الاول بحجة في الصوت صبر عليها
بضعة أشهر لم يعرض نفسه فيها على طبيب . وكان يظن كما نظن أنه عرض
لا يلبث أن يزول ، ثم الفيناه يزداد بالتدرج البطيء وكنت أنصح له باستشارة
الاطباء فيه والعناية بما يصفون من معالجاته ، وكان يتهاون بذلك كدأبه ، وهو
من أشد الناس صبراً وجهداً واحتمالاً للآلام . ثم اشتد عليه الألم وضيق النفس
فعرض نفسه على عدة أطباء من المصريين واليهود والافرنج فاختلف رأيهم
أولاً ثم ظهر ان المرض ورم سرطاني واختلف القائلون بهذا في استئصاله هل هو
خطر على الحياة أم لا ، فكان ذلك سبباً لتردده في العملية الجراحية الى أن ضعف
بدنه بقلّة الغذاء اذ كان يشق عليه ازدراد الطعام حتى انه ليألم من شرب الماء واللبن
وحيث رضيت بأن تعمل له العملية الجراحية واخترنا لها الطبيب الاخصائي
الشهير الدكتور حسن بك شاهين ولكنه أثنى أن يعملها لجزمه بأن البنية لم
تعد تحتل ذلك واكتفى بأن فتح له ثغرة في نحره لاجل التنفس وقال انه قد يعيش
في هذه الحالة عدة أشهر ممتعاً ببعض الراحة ، ولكنه أجله المحتوم لم يكن قد
بقي منه الا أيام معدودة لا تبلغ الاسبوع فتوفاه الله تعالى وهو في أحسن
حال كان عليها من الايمان به والتوجه اليه واخلاص العبادة له حتى انه كان
يصلي الصلوات في سريره قاعداً ، فكان هذا مع العلم بأنه لم يعد له راحة في
الحياة مع هذا الداء العضال أكبر المعزيات لنا في مصائبنا به

تعلمه وتربيته :

كان رحمه الله نادر الذكاء سريع الفهم سريع الحفظ بطيء النسيان . تلقى
مبادئ التعليم الاولى في بلدنا القلمون على أحد شيوخها فلم يكديحذق حروف

المجاء وتركيب الكلم حتى صار يقرأ كل ما أقرأه بسرعة عجيبة فهما يطل
 الدرس الذي يلقيه إياه الاستاذ يعيده بعد إقراءه إياه مرة واحدة فلو شاء أن
 يقرئه كل يوم جزءا كاملا من القرآن لفعل ، فكان يفوقنا كلنا في ذلك . ثم
 طلب العلم في طرابلس فكان محل إعجاب شيوخه بذكائه وفهمه فتلقى من الفنون
 العربية والعلوم الشرعية ما كان يظهر قليلا من فضله ، ما لا يظهر اضعافه في تحصيل غيره ،
 وقرأ كثيرا من كتب التربية والتعليم فكان ذا رأي وذوق في هذا الفن ، وطالم
 كثيرا من كتب الادب والتاريخ وكتب الديانة المسيحية فحفظ من ذلك كله
 ما كان به خير نديم وسمير ، وكان معاشروه في سورية ثم في مصر يعجبون من
 سعة حفظه وحسن اختياره فيه وسرعة استحضاره له وحسن القائه إياه ، ويستغرب
 النصارى منهم كثرة ما يحفظه من كتبهم ويعرفه من تقاليدهم الدينية على اختلاف
 مذاهبيهم ، وكان يجيد الكتابة نثرا ونظما ولكنه كان كسولا قلما يمسك القلم بيده
 وله مقالات قليلة وتقاريف لبعض المطبوعات في المنار استتبع بعضها ترجمة
 صديقه الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله تعالى ترجمة انتقادية دقيقة غير مألوفة
 في هذا العصر فانتقدتها بعض أدباء دمشق على اعترافه بأنها حق ، شرع في
 وضع تفسير لمفردات القرآن الكريم ولكنه لم يكتب منه الاوريقات قليلة . وفي
 ضبط دنوان من الشعر وشرح لغريبه لاجل طبعه ولم يتم منه شيئا يذكر وقد كان
 عين مديرا لبعض المدارس الابتدائية التي أنشئت بأمر السلطان عبدالحميد وثقته
 لمسلمي لبنان — وهي مدرسة الكورة — فسلك في تربية تلاميذها وتعليمهم
 مسلكا حسنا نافعا . وقد أودى من اضطهاد حكومة طرابلس لاهل بيتنا في
 العهد الحميدي أشد مما أودى غيره فكان ذلك ميفضاله في تلك البلاد وصرغبا
 له في الهجرة الى مصر ، فلما سنحت الفرصة لحق بي فيها
 آراؤه وأخلاقه :

وكان مستقل الفكر في الدين والآداب وكل ما للرأي فيه مجال ، قليل المبالاة
 بكل شؤون الحياة ، يأكل ما وجد متى جاع لا ينتظر ما هو أطيب منه ، وينام
 حيث نفس من ليل او نهار ، سواء كان في الحقول والبساتين او الاندية
 والسمار ، ويتأنق في اللباس تارة ويتبذل أخرى غير حريص على ان يلقي
 الناس متزينا ، ولا خجل من أن يروه متبذلا ، ولا مبال ان يرتاض في عذق
 الارض او قطع الشجر متأنقا ، سخى النفس ربما يوجد بكل ما في يده على من

يراه محتاجاً اليه ويؤثره على نفسه وان لم تكن حاجته فوق حاجته ، شديد الرحمة لمن يراه محلاً لها وشديد القسوة اذا غضب ، وقد يعود فيسترضي من يماقبه اذا اعتقدانه ظلم ، راقب مرة لصاً كان يسرق الليمون من بستان لنا حتى اذا ظفر به وهو يسرق ضربه ضرباً مبرحاً وأخذ منه مقدار ثمن ماسرق من قبل كما قدره ، ولكنه خاف أن يكون مخطئاً في التقدير أو يكون قد سبقه لص آخر قبل من اللص ما وجدته بيده بالثمن الذي تقاضاه منه ، وحمله على إحلاله والسماح عنه ، وله نوادر من مثل هذه الفتوى او الحيلة الشرعية فيما يرضي به اعتقاده وهو اه معاً كنت أخطئه في بعضه

وكان نفورا بنسبه وبمناقب آل البيت الطاهرين من أجداده ويتشيع لهم ويبغض بني أمية الذين ظلموهم وأذوهم وهضموا حقوقهم ، وهو على هذا مجل الشيخين ويبرئهما من كل ما رماهما به الرافضة وما رموا به جمهور الصحابة رضوان الله عليهم ويعلم أن هذا قد كان بتأثير دعوة المجوس أعداء الاسلام والعرب ، وقد كان في هذا الفخر والتشيع كالرحوم الوالد بل يفوقه فيهما ، وليس في أسرتنا من يضارعهما في ذلك

ولا اهتمامه بأمر النسب والتاريخ غني بالبحث عن الدخلاء في بلدنا القامون وهم من غير السلالة الطاهرة فمرفهم بيتاً بيتاً وفرداً فرداً فكان يميز بين أهلها الاصلين وكأهم من السادة الشرفاء وبين الدخلاء فيهم . وليس هذه العناية لاجل ضبط أفراد أسرتنا فانهم معروفون لا يبجل أحد من الاهالي أحد منهم لتقلتهم وامتيازهم على سائر البيوت بالعلم والارشاد ، وان ترك أكثرهم ذلك في هذه السنين الاخيرة . وكان يعرف من تاريخ لبنان الحديث ما لا يعرف الا القليل من أهله تلقى ذلك من أفواه الشيوخ الذين كان يلقاهم في دارنا أو في قرى الكورة وغيرها

وأما ما كان بيني وبينه من الصلة والمحبة والعشرة فهو ما يقل نظيره بين اخوين ، ولقد كان أقدر على بيانه مني لو كتبه ، كنا نعيش ممأ ، وكنت أكثر منه اشتغالا بالعلم والعبادة وكان لذلك يجلي كاجلاله لوالده واساتذته بل أشد لانه إجلال اعتقاد روجي ومحبة أخوية ، وعشرة لازقة كنا في سن المراهقة نقضي بعض أيام رمضان في كرم لنا على مسافة ميلين عن القرية فكنت أصرف كل النهار في قراءة القرآن والصلاة ، وكان لا يصلي معي الا الرواتب بل يلح

علي بأن اللعب معه فلا أفعل، فاذا أطلت الصلاة قام أمامي فيها يبني لي محراباً .
 وكنت في بعض الايام أقرأ القرآن كله فان قرأت نصفه عانت نفسي على
 التقصير . كان يذكرني بهذا ويذكره لغيري . يقول : كنت اعتقد ان أخي نبي
 من الانبياء ، فلما كبرت وعلمت ان النبوة قد ختمت بنبينا (ص) صرت اعتقد
 انه ولي من أعظم الاولياء . ولما فقته في التحصيل حضر علي بعض الكتب في
 الفنون وكان يحضر دروسي الدينية في المسجد متعلماً ويهديني أخاً وأستاذاً ،
 وما زال يكرهني في الاعياد وعند التلاقي بعد سفره على السماح له بتقبيل يدي
 على علمه بكرهتي لذلك فان تهودنا على تقبيل أيدينا من الصغر لم تجعله محبباً
 عندي في الصغر ولا في الكبر

وكنت أقول اني لا أعرف أحداً يحبني كحب أخي السيد صالح الا أن
 تكون الوالدة . واما انا فلما إنني لم أشمر قط بأنني كنت أملك في الدنيا شيئاً
 من دونه ، ولعلمه بذلك كان يتصرف بكل ما هو لي تصرف المالك حتى انه
 يهب ويهدي ويتصدق ولا يرى انه في حاجة الى إعلام ولا استشارة . ولم
 أحفظ شيئاً مما علمته من ذلك الا أن صدقاً لي كان قد أهدى الى شيئاً مما يحفظ
 للذكرى فتفقدته مرة فلم أجده فسألت عنه فعلمت انه أهداه الى صاحب له
 نعم اننا كنا شقيقين صديقين بلغت عواطف الاخوة والصدقة والاخلاص
 بيننا الغاية التي لا نعرفها عن غيرنا ، وكان أشد مني عاطفة لانه عصبي المزاج
 وأنا معتدل ، لا اخلاصاً ولا قياماً بالحقوق . ولولا المزاج لكان الاصل في
 عاطفة الاخوة وأنسها المساواة اذا كانت التربية واحدة . وقد قلت في بيان حكمة
 محرمات النكاح من التفسير ان أنس أحد الاخوين بالآخر أنس مساواة لا يضاويه
 انس آخراذ لا يوجد بين البشر صلة اخرى فيها هذا النوع من المساواة الكاملة ،
 وعواطف الود والثقة المتبادلة الخ

وقد تزوج رحمه الله وغفر له في أول سن الشباب ولم يكن مقتبلاً بالزواج
 وقد توهمت زوجته وهي من شرائف القلمون بعد أن ولدت له غلاماً وجارية
 وكان شديد الحب لهما والحذب عليهما حتى كاد يخرج بذلك عن سنن أشد
 الموالدات عطفاً وعاطفة ، وقد زوج ابنته بمصر من رجل فاضل كريم ولها اولاد
 جعلهم قررة عين لها ولوالدهم . وولده السيد محيي الدين تربي في دار الدعوة
 والارشاد وهو كاتب أديب مقيم معنا ويراسل بعض الجرائد في أقطار أخرى
 وفقه الله تعالى ورحم والده فقيدنا الكريم رحمة واسعة وجعلنا جميعاً مع السيدة
 الوالدة من الصابرين المأجورين .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المؤمنين

١٣١٥

يقولون في الحسنة من يشاء ومن يؤت الحسنة
فقد آوتني خيراً كثيراً وما يذكر
الا اولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٢٩ شوال ١٣٤٠ - ٣ السرطان (ص ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ تمة كلام الغزالي في مسألة الحلال والحرام ﴾

من جواب الفتوى ٢٣ و ٢٤

وأما المستند الثالث وهو أخيلها (١) أن يقال الاموال انما نحصل من المعادن والنبات . والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق الى أصل من تلك الاصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن يسلم أصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا الى أول الشرع ، ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك الى أول زمان النبوة حلالا . وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الاموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة بل المعادن في أيدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا (٢) فاذا نظر الى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل (٣) ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحارى الموت والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر الى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا (والجواب) ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المحلوط بالحلال فخرج عن

(١) قال شارح الاحياء أي أكثرها خيالا في النفوس (٢) زاد الشارح: ويقاصصون في الاجر . وهذا مبني على ان هذه المعادن مباحة للناس وان مستخرجيها يملكونها ولهم حرية التصرف في بيعها فأخذ لحكام ايها منهم والزامهم قبول ما يأخذونه من الاجور وان قلت ظلم مخالف للشرع كما سيأتي وما أقرب هذا الى الاشتراكية (٣) المراد بالنيل الحيازة له باخراجه من معدنه

النمط الذي نحن فيه والتحقق بما عددناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرج عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القواين للشافعي رضى الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع اذا لم يجد نجاسة فان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من أواني المشركين جائز وان الصلاة في المقابر الملبوسة جائزة^(١) فنثبت هذا أولاً ثم نقيس ما نحن فيه عليه وبدل على ذلك توضح رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضؤ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الحمر ومطعمهم الخنزير ولا يحتززون عما نجسه شرعاً فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم؟ بل نقول نعم قطعاً أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر بل نقول نعم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقل ما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات، بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كان يحتز عنها، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعدرة ولا يجلسون عليهم ويستنزهن منه، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأروائها، ولا ينبغي أن نظن أن الاعصار أو الامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس عن الدواب هيئات فذلك معلوم استحاله بالمادة قطعاً فدل على أنهم لم يحتزوا الا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين، فأما الظن الغالب الذي يستبان من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه. وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير واقع اذ لم يزل الصحابة يدخلون

الحمامات وبتوضؤن من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطم في هذا الغرض. ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرّة نصرانية ثبت جواز حكم شر به والتحقق حكم الحل بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه (قلنا) ان أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها ممصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احتزوا عن كل نجاسة وحب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تمارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتماق بعين ما فيه النظر مطرح. وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس لان أمر الاموال مخوف والذنس تميل اليها ان لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فلا اقتراق في ذلك لا بقدرح في الغرض الذي أجمعنا فيه على أنا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في اصوله حرام. بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يقصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمقصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالاضافة الى غيره أقل ولسنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فانه كما يزيد المقصوب بالتوالد يزيد غير المقصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب ان الحبوب المقصوبة تقصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المقصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام أكثر ولم تزل اصول الحلال أكثر من اصول الحرام. ولينفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مرلة قدم. واكثر العلماء يفلطون فيه فكيف العوام؟

هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فمنها مخلقة مسبلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا بحالة لا أكثر ومن حاز من السلاطين معدنًا فظاهه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة. والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقلى له واستحق الاجرة فكذا النيل^(١) فاذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب الا أن يقدر ظاهه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة . ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته

وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسمود اليهم الا شيئاً قليلاً يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالاضافة الى مال التجار أقل لا بحالة . نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضرب يبته لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحسنة السلطان فما يأخذه عوض من حشمته وذلك من باب الخلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فيكون هو الاكثر

فهذا إذا يطسقت الى القلوب بالوهم وتشعر اتميزينها جماعة ممن رقد دينهم حتى قبضوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال ، وذلك عين البدعة والضلال ، فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناوئة علامة خاصة (فنقول) الذي نراه ان تركه ورع وان أخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرهما بل أزيد وأقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم بقيننا أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف نهييد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده، فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه انه اذا وقعت

هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة

أحدها — أن يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم
الثاني — أن يقتصروا منها على قدر الضرورة ومد الرmq يزجون عليها بأما الى الموت
الثالث — أن يقال ية اولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من
غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة

الرابع — أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار
على قدر الحاجة

الخامس — أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة
أما الاول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعاً لانه اذا اقتصر الناس على
سد الرmq وزجوا أوقاتهم على الضعف فشافيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات
وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة
وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ
مصالح الدنيا ليرحم بها مصالح الدين

وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية
بين مال ومال بالغصب والسرقه والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لحكم الشرع
وفتح لباب سده الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد ، فتمتد الأيدي بالغصب
والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يميز صاحب اليد باستحقاق عنا
فانه حرام عليه وعالمنا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا أيضاً محتاجون
وان كان الذي أخذته في حقي زائداً على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه ،
واذا لم نراع حاجة اليوم والسنة فما الذي نراعي؟ وكيف يضبط؟ وهذا يؤدي الى
بطلان سياسة الشرع واغراء أهل الفساد بالفساد.

فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده ويقال
هو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه ، والتراضي هو
طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فالتراضي أيضاً منهاج في الشرع تتعلق
به المصالح فان لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضي وتمطل تفصيله

وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الايدي فهو الذي نراه لاثقا بالورع لمن يريد سلوك طريقة الآخرة، ولكن لا وجه لا يجابهه على الكفاية، ولا دخاله في فتوى العامة، لان أيدي الظلم تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق، وكل من غلب سلب، وكل من وجد فرصة سرق، ويقول لاحق له الا في قدر الحاجة، وأنا محتاج. ولا يبقى الا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوماً فيوماً أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال

أما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلاً، وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفهم فكيف على قدر حاجتهم؟ ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطة بانقي عن الناس اذا أصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح.

بل أقول لو ورد نبي في هذا الزمان - ضرباً المثل - لوجب عليه أن يستأنف الامر ويمهد تفصيل أسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالاً من غير فرق. وأعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصاحبة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكفاية الى قدر الضرورة والحاجة اليه فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا، ونحن نجوز أن يقدر الله سبباً يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم، فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيى من يشاء، ولكننا نقدر الامر جارياً على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء اصلاح الدين والدنيا

ومالي أقدر هذا وقد كان ما أقدره؟ فاقدر بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له قدشع

الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة^(١) والاموال كانت في أيدي المكذبين والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق بنبوته كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوثة أقرب ، فكانت الاموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفاصلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم .

فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلمية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقهاء المنوط بمصالح الخلق، وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق لا يقدر على سلوكه الا الآحاد، ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم، فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة، ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الحسيسة لبطل النظام ثم يبطل بطلانه الملك أيضا، فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك الملوك، وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين

(١) هذه المسألة خلافية بين الفقهاء والمشهور أن الشافعية ومنهم الغزالي يثبتونها والحنفية ينقونها . والتحقق أنهم مخاطبون بطلب العبادات بالتبع للايمان فمن لم يؤمن لا يطالب بالعبادات ولا تصح منه انا فعلها ولكن صرح بعضهم بأنه اذا صلى بصير مسلما بالصلاة . . . وهو في الآخرة يعذب على ترك الايمان وترك الاعمال التي تفرض على المؤمن ينص القرآن . وكلام الغزالي هنا صريح في أنهم مخاطبون بأحكام المعاملات بالفعل لان الايمان ليس شرطا فيها ، وصرح نخر الاسلام الحنفية في آخر أصوله بأن الكافر أهل لا يحكام لا يراد بها وجه الله لانه أهل لأدائها فكان أهلا للوجوب له وعليه . وهذا هو الحق الذي لا معدل عنه والا كانت الحقوق والمعاملات بين المسلمين وأهل الذمة ومن في حكمهم معطلة في دار الاسلام

لذوي الدين وهو ملك الآخرة ، ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضاً دينهم ، فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الا كثرون عن طريقهم ويشغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً) (فان قيل) لاحاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الاقل أو الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولاً بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة^(١)

(فأقول) ان سلم أن الحرام هو الاقل فيكفينا برهاننا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقه والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول أيضاً فبرهانه ثلاثة أمور

(الاول) التقسيم الذي حصرناه وأبطلناه منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراماً كان أخرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر أو الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما تخيله من

(١) قد سبق للمنار ذكر المصالح المرسلة والمصالح مطلقاً في عدة مجلدات منه ، منها جمل الطوفي الحنبلي المصلحة من أدلة الشرع بل مقدمة في المعاملات على النص (ص ٧٤٥ - ٩٧٧٠) ومنها تحقيق صاحب الاعتصام المالكي لمعنى المصالح المرسلة التي هي مذهب مالك (ص ٨٣٣ - ٨٥٢ و ٩١٩ م ١٧) ومنها ما حققناه في تفسير (لا تسالوا عن أشياء ..) من سورة المائدة (ص ١٩١ ج ٧ تفسير و ص ٤٨١ م ١٨ منار)

والذي حققه الغزالي في الاصول و اشار اليه منا هو أن المصلحة تعتبر في حجج الشرع وأصوله اذا كانت ضرورية قطعية كلية . فالضرورية أن تكون احدي الكليات الخمس التي عاينها مدار الشرع وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب (أي النسل الشرعي) ويدخل فيه تحريم الزنا والواط (والقطعية هي الجزوم بحصول المصلحة فيها دون ما كانت مظنوته - والكلية ما كانت فائدتها عامة للإمة لا لشخص معين

نخبه في امور مظنونة وهذا مقطوع به، فانا لا نشك في أن مصاحبة لدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون، ولا شك في أن رد كافة الناس الى قدر الضرورة أو الحاجة أرى الى المشيش والصيد مخرب لادنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا، فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المعلقة بأحد الاشخاص

(البرهان الثاني) أن يعال بقياس مخزر مردود الى أصل يتفق الفقهاء الآ نسون بالاقية الجزئية عليه وان كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم . والقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجزء النصرانية وأواني المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة . وقولنا انقطعت العلامات المينة احتراز عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها ، وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية

(فان قيل) كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم أن الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم (فنقول) الاموال التي لا تحرم اصفحة في عينها حرمة الحر والخنزير خالقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خالق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الامرين والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب أقوى منه ، بدليل أن الشرع ألحقه به اذ من ادعي عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة اليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه الم يدل على خلافه علامة مميئة

(البرهان الثالث) هو ان كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وان كان قطعاً فبأن لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى. ويبيانه ان ما علم انه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه، ولو علم ان له مال كافي للعالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة، ولو دل على أن له مال كما محصوراً في عشرة مثلاً أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة، فالذي يشك في أن له مال كما سوى صاحب اليد أم لا، لا يزيد على الذي يتيقن قطعاً أن له مال كما ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهداً له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مال كما يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم، فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه، فلو سرقه منه سارق قطع يده، فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير؟ ايس ذلك الاحكامنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة؟

(فان قيل) ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان (فنقول) والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه؟ لا سبب له الا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه الى مهم، والصرف الى مهم أصلح من التضييع فرجح عليه، والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الايدي، اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه. وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى ان المصلحة أن يبني بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف مادارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذ في أعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في ملك الاعيان كما لم يؤخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى. فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم اه

﴿ اسلام الاعاجم عامة والترک خاصة ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء (في كندا)

يا صاحب الفضيلة : لي الشرف اني اعرض على مساهمكم ، وناخذ لنا قاعدة من فضيلتكم ، وانتم اهل لها لكي يستقيم الحق ، ويزهق الباطل ، وتنشر الصدور ولكم الاجر والثواب ، رفعمكم العزيز الوهاب

يا صاحب الفضيلة : سؤالي لمقامكم العالي عن الاتراك والاعاجم : ما هم ؟ هل هم اسلام كما يزعمون ؟ وهل هم صادقون سرأ وجهرأ ؟ أم هم كما يزعم البعض في هذه الايام ان الاتراك خصوصاً غير اسلام — لاسمح الله بذلك ؟ وهذا خلاف ما نهد بهم وكيف نسمع في هذه الايام عنهم مثل هذا من رجال كنا نعدهم قواماً للامة ومنهم الفاضل . . . قال في كتاب مخصوص لي بهذا الامر : ان القوم هم أعداء الاسلام وأنه يجب أن لا يهتم بهم ولا مصطفى باشا وقوله عنه : هذا التتاري . وانهم أي الاتراك هم سبب انحطاط الاسلام الى هذه الحالة وأن السلطان الفاتح عقد محاففة مع فرديناند على قتل عرب الاندلس وانه ربط البحور وسد المنافذ بوجه من ينجدهم من اخوانهم حتى قتلوا جميعاً الخ : وقوله عن السلطان عبد المجيد ومحمود أطلقوا يد الاباحة فيما يخالف الدين بدل أن يمنعووا وتغييرهم الزبي الى الانجحي الذي يعيق المسلم عن الضوء من ضيق اللباس — الله أكبر لذلك — وقوله عن السلطان سليم السلطان الاحمر الاول واغتيا له للخلافة من العباسي الفاطمي بمصر وبقره بطون الامهات لقتل الجنين لاجل أن لا يعود يطالبه بالخلافة الوهمية فهو ذب الله من هذه الفعال التي كانت عنا بطي الغيب ان كانت صدقا . وكيف يدعوه المسلمون أمير المؤمنين وخليفة الله في أرضه ؟

ويزعم في الطورانيين ان باكورة أعمالهم قتل العرب وتبديل القرآن وانهم نزلوا في الحرب لاجل هذا ويحلف اليمين على ذلك ، وان علماء الاسلام يعرفون هذا كله كما يعرفون دينهم الشريف وسكتوا عن المرض حتى وصلنا لما نحن عليه ومثل هذا كثير من أعمالهم . وحيث اني على غير علم بشيء من هذا كله قبل الآن أتيت لكي

أستنير من مناركم الشريف لكي يهدأ روعي من وخز الضمير لهذه الاخبار عسى
أن تلبوا تلميذكم من كرمكم الذي وهبكم إياه رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد
النبي الكريم وآله وصحبه الطاهرين

نرجوكم أن تفتونا عن سؤالنا إما خصوصيا ، وإما بنشرها بالمنار لكي يكون واضحا
ونكسب ايمانا بأيمانكم ان شاء الله وتكونوا قدتم خدمة يرضى بها عنكم الله
ورسوله والمؤمنون مع الثواب ، وبأفتاكم نحصل على الحكمة وفصل الخطاب

حسين عبد الرحمن دسوقي

(المنار) — اعلم أيها المسلم المخلص الغيور ان اسلام شعوب الاعاجم من الترك
والفرس والافغان والتتار والهند والصين والملاو وغيرهم كاسلام الشعب العربي ،
وان العرب في هذا العصر لا يستطيعون أن يفضلوا أنفسهم على الترك ولا على غيرهم
من العجم في علم من علوم لاسلام ولا عمل يعتربه المسلمون بل يعتقد أكثر
المسلمين من العرب والعجم ان الامر بالعكس حتى انني سمعت أحد امراء الفرس
وفي أوربة يقول : لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الارض ذليلا . ولكن
العرب يفضلون جميع الاعاجم بما يعترف لهم به كل مسلم منهم وهو كون خاتم رسل
الله (ص) والسواد الاعظم من أصحابه (رض) من صميم العرب وهم الذين
أقاموا دين الله كما أنزله وهدى الله بهم وبتابعيهم وتابعي تابعيهم من الهدى من الاعاجم
الذين شاركوا العرب بعد ذلك في تدوين علوم الاسلام وفنون لغته ، ثم في اقامة
ملكه واعلاء كلمته ،

واما فتنه التنازع على الملك والخلافة وما تبعها من سفك الدماء فقد كان
العرب هم الذين أوقدوا نارها أولا ، وزلوا بالامامة الكبرى عن صراطها الذي
وضعها فيه كتاب الله تعالى وهدى رسوله (ص) وهو اختيار أهل الحل والعقد لمن
يرون فيه الكفاءة والكفاية بالعلم والعمل من زعماء قريش ، وجعلوها ملكا
عضوفا مداره على قوة العصبية ، ثم أهملوا وقصروا في إحكام قوة العصبية واتكل
بعض الخلفاء من العباسيين على عصبية الفرس ، ثم تحولوا عنهم الى عصبية الترك ،
حتى آل أمرهم الى اضعاف الخلافة والملك ، فاذا كان لبعض سلاطين الترك سيئات

فما رأوه خطأ أو صوابا معززا للملكهم فقد سبقتهم العرب الى مثل ذلك في حصار الامويين لمكة وهدمهم للكعبة المشرفة ، واستباحتهم للمدينة المنورة ، وفي ظلمهم وظلم العباسيين من بعدهم لآل بيت الرسول (ص) وسفك دماء الكثير منهم ومن غيرهم بالشبهة وتهم السياسة .

وأما البدع في الدين والفسق عنه فقد فشيا في جميع الشعوب الاسلامية في القديم والحديث حتى صار المنشد في تركها وانكارها على أصحابها يرمى بالابتداع كما يفعل أهل مكة وأهل الشام وغيرهم إذ يسمون أهل نجد مبتدعة ويسمون أنفسهم سنية

ثم اعلم أيها السائل الخاص أن سبب طعن بعض العرب في الترك في هذه السنين الاخيرة هو السياسة ، وأن الذي أثار هذه الفتنة جمعية الاتحاد والترقي التي فنتت بالمصيبة الجنسية الطورانية أشد فتنة ، ولاشك عندي في أن بعض زعمائها من الملاحدة ، ولا في أنهم حاربوا الاسلام وأرادوا إضعاف سلطانه الروحي ، تمهيدا لازالة سلطانه السياسي ، ولا في أنهم هم الذين نشروا تلك الكتب الكثيرة المشتملة على الطعن فيه ، وصد الترك عنه ، وان في متفرنجي الترك كثيرا من المرتدين الذين راجت هذه الدعوة فيهم ، وقد بينا هذا من قبل لانكار المنكر والامر بالمعروف والتحذير من عواقب هذه الفتنة ، لثلاث تكون هي القاضية على الدولة ، التي هي على ضعفها أقوى سياج لهذه الملة (الاسلامية) ، وقد وقع ما توقعناه من شرها ، وحذرنا الترك منه مشافهة لكبرائهم في الآستانة وكتابة في جرائدها وفي المنار . ولولا هذه الفتنة التي اصطلت بناها ألوف من شبان العرب وكهولهم في الآستانة ثم في غيرها ، وما كان من فظائع جمال باشا في سورية بسببها لما وقعت الثورة الحجازية ، وكانت أحد أسباب ما وقع من المصائب على الامة الاسلامية ، التي كان ضررها على العرب أشد من ضررها على الترك

ثم أخبرك مع هذا بأن في شبان العرب الذين ناهضوا الترك وعادوهم ملاحدة كمن ذكرنا من الترك لانهم تعلموا وتربوا في مدارس واحدة ، ولما نصحننا لمن لجأ منهم الى الحجاز في أثناء الثورة بأن يحرموا بيت الله ولا يظهروا شيئا من (المنار : ج ٦) (٥٥) (المجلد الثالث والعشرون)

إلخادهم فيه غضب عليا ملك الحجاز ومنع المنار من الحجاز كما بينا ذلك من قبل ، ثم اخبرك أن الاتحاديين قد عرفوا بعد الانكسار في الحرب العامة خطأهم واعتبرف لي من اقيت في أوربة منهم بذلك ، وهم يجتهدون الآن في إحياء الجامعة الاسلامية لا يختلف في ذلك المتدين منهم بالفعل مع غيره حتى ان جمال باشا وهو أشدهم اجراما وعصبية طورانية قد خدم الدواة الافغانية الاسلامية الفتاة أجل خدمة . كما أخبرك أن جمهور الترك كانوا قد سخطوا عليهم في أثناء الحرب وأظهروا الطعن فيهم وعزموا على الثورة عليهم والتنكيل بهم . وأكد لي بعض المؤمنين منهم في أوربة أن الدولة لو انتصرت لقامت فيها ثورة داخلية بسبب حق السواد الاعظم من الترك عليهم

وجملة القول إن الترك كالعرب السواد الاعظم منهما مسلمون مقلدون ، وفي كل منهما علماء مستقلون ومتمذهبون ، وفي كل منهما ملاحدة ومبتدعون ، وصالحون وفاسقون ، وأن الترك خير من العرب استمسا كما بما يجب من المحافظة على الاستقلال والسلطان القومي والعمل للجامعة الاسلامية . وأنه لا فائدة لاحد من الفريقين في الطعن بالآخر والبحث عن عيوبه القديمة والجديدة الآن بل ذلك ضار بهما وفيه لاعدائهما ، فلاحاجة اذا الى البحث فيما كان من تقصير السلطان محمد الفاتح في اغائة مسلمي الاندلس والدفاع عنهم أو مساعدته على القضاء عليهم ، ولا في قسوة حجاج الترك السلطان سليم واسرافه في سفك الدماء على انه أعز دواة الاسلام وأذل أعداءها فكان خيرا من حجاجنا — وأما الطعن في دين السلطان محمود بتغييره للزي العثماني الرسمي واستبداله الزي الافرنجي به فهو ظلم مبین ، فان الزي العثماني السابق لم يكن زيا دينيا والدين لم يأمر بالترام زي خاص ، وما صح من نهينا عن التشبه بغيرنا يراد به ان الاسلام قد جعلنا أئمة متبوعين لا تابعين لغيرنا ولو في المباح كالزي . ولكن التشبه لا يتحقق الا بالقصد والمحاكاة التي يشبه فيها المتشبه بالمتشبه به فيما فيه التشبه ولا يسهل تطبيق ذلك على عمل السلطان محمود الذي أدخل به الاصلاح العسكري الجديد في الدواة فأنقذها من فوضى الانكشارية التي كادت تقضي عليها . ولم يكن الزي الذي اختاره عائقا عن الصلاة وإنما

يعوق عنها ما أحدث بعد ذلك من السراويلات الخازقة (الضاغطة) كالتى يلبسها ضباط الشرطة (البوليس) بمصر ، وقد فصلنا القول في اللباس والتشبه من قبل وأما ادعاء ان السلطان محمود والسلطان عبد المجيد أباحا مخالفة الدين فلا ندري من أين جاء بها ذلك الذى كتبها اليكم وكان ينبغي لكم أن تسألوه عن حجته عليهم فالمشهور عنهم ما خلاف ذلك حتى ان الترك يضر بون المثل بشدة تدين عبد المجيد بكل ما يفهم به الدين جماهير المساميين من الترك والعرب. على ان هذا الوقت لا يفيدنا فيه ان نبشر القبور، ونحصل ما في الصدور، ولا لاجل تحديد التاريخ في هذا الموضوع، فكيف اذا كان الغرض من البحث اثاره العداوة بين أكبر شعرب المسلمين وهو أقرب الطرق لاستدلال الاجنبي لهما جميعا . فهذا ما نراه من الجواب موافقا لمقتضى الحال والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح الحق على الهوى

مدنية القوانين

﴿ أو سعي المتفرنجين ، الى نبد بقية الشريعة الاسلامية ﴾

(١)

(مقدمة تمهيدية)

قررت الدولة البريطانية إلغاء الحماية التي كانت ضربتها على مصر واعترفت لها بأنها دولة دستورية ذات سيادة ، واعترف لها بذلك الدول الكبرى وغيرها . وألغت الحكومة المصرية لجنة لوضع قانون أساسي للدولة المصرية . وكان مما وضعت هذه اللجنة من مواد الدستور الأساسية ان دين الدولة المصرية الرسمي هو دين الاسلام وانه يشترط في ملكها أن يكون مسلما ثابت النسب في بيت الملك العلوي بزواج شرعي ، فسأت هذه المراد بمض ملاحدة المتفرنجين المقلدين لاعداء الاديان من الافرنج في الدعوة الى التفصي من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها ، وهي التي يبدو أن بها لعلمهم بأن الروابط الروحية لا سبيل الى ابطالها ومحوها من الامة ولكنها تضعف ويتركها أهلها بالتدرج اذا لم يكن لهم ولا

لما شأن في الحكومة ولا في الروابط الاجتماعية المماثلة

قام كاتب منهم في هذه الايام يقترح من الاصلاح لمصر في عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعل كلها مدنية بوضع قانون مدني الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك .. ويعنون بالمدني ما يقابل الديني ، واحتج هذا المقترح على رأيه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لانها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ، ولا تبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة

ساء المساميين هذا الاقتراح وانه صادر عن كاتب يعد منهم ، ورد عليه كثيرون في جريدة الاهرام التي نشر فيها وفي غيرها من الجرائد ، ونزل بعض علماء الازهر هذه المرة في الميدان فكتب أفراد منهم مقالات في الرد منها اللطيف اللين في القول الذي لم يسوء الردود عليه ومنها الشديد الوطأة الذي ساءه وعده ذمًا وطعنًا ، لا تحطه ونقدًا ، وقد تبارت الاقلام في بيان حكمة الشرع الاسلامي في إباحة التزوج بالسكتانية دون تزويج السكتاني مسلمة فأجادت ، على ان كل واحد مما اطعنا عليه منها ترك لغير صاحبه في ذلك مقالا

وقد ذاكرني بعض علماء الدين وطلبة الازهر وغيرهم في ذلك ورغبوا اليّ أن أكتب في الرد ما يرجون ان يكون حزا في المفصل ، وضربا على الاكحل ، وأنا أعلم ان جميع قراء المنار ينتظرون ذلك مني ولا يرون أنهم في حاجة الى الطلب والاقتراح لما نعودوه من تتبع المنار لامثال هذه المطاعن في دين الاسلام الحق وشرعه العدل ، والرد عليها بما كانوا يعدونه القول الفصل . واكتفي لم أبادر الى الرد لعلمي بأنه من فروض الكفاية التي تسقط بقيام بعض المسلمين بها ، وكنت أنتظر لارى هل يتناول ما يكتبون جميع ما أرى أنه ينبغي أن يكتب ، فأكون في حل من ترك الكتابة ، فأبأت كل ما اطاعت عليه ، خلوا من أهم ما أرى وجوب البحث فيه ، ورأى مثل هذا أفضل من كلمتي في المسألة من أهل العلم والرأي ولا سيما بعد ان ذكرت له بعضه ، فأعاد عليّ ما بدأ من الاقتراح والرغبة ، فوعده كما وعدت غيره

مسألة التزوج بالكتابية وعدم تزويج الكتابي

إن أهون ما في مطالبة الحكومة المصرية بجعل قانون الأحوال الشخصية مدنيا لادينيا ذلك الاستدلال الضعيف على الحاجة الى ذلك بدعوى عدم عدل الشريعة في مسألة أو مسألتين من النكاح فلو لم تعرف حكمة للشريعة في الفرق بين المسألتين تقتضي عدم تساوي الحكم فيهما لما جاز للماقل أن يعترض عليها ويعدّها غير عادة ولا مساوية بين المسلم وغيره لان المساواة انما تطلب في الاحكام المفروضة على متبعي الشريعة والمتقاضين الى حكمها ، وهذه المسألة خاصة بما يباح للمسلم وما يحرم عليه في النكاح دينيا ، وغير المسلم لا يخاطب بالعمل بفروع الشريعة فيما يباح له ويحظر عليه مما هو خاص به ، لتساوي بينه وبين المسلم فيه ، وهي لا توجب على المسلم أن يتزوج كتابية ولا تلزم الكتابي ان يزوجه ابنته اذا طلبها ، ففي استطاعة الكتابي أن يكون مساويا للمسلم اذا رأى ذلك خيرا له ، بأن لا يزوجه

على ان النص القطعي في القرآن انما ورد بالانهي عن نكاح المشركات وانكاح المشركين و بحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم إنكاحهم ولكن ذهب بعض الفقهاء ان المشركين والمشركات في آية البقرة يشمل أهل الكتاب ثم جاءت آية المائدة بحل نكاح الكتابيات فكأن نكاح المشركين والمشركات في الآية البقرة والشيعية يحرمون نكاح الكتابية ، والتحقيق أن المراد بالمشركين والمشركات في الآية خاص بالعرب منهم كما روي عن قتادة وغيره واختاره ابن جرير — وان أهل الكتاب وان أسند اليهم الشرك فعنوان المشركين عند اطلاقه لا يعمهم . ومن الفقهاء من يقول ان العمدة في تحريم إنكاح غير المسادين ان الاصل في النكاح التحريم حتى يرد النص ولم يرد الا بالموثقة والكتابية . ويمكن النزاع في هذا الاصل وان يقال ان الاصل في جميع عقود الناس الصحة والحل حتى يرد شرع بخلاف ذلك وان يستدل على ذلك باقرار من يدخل في الاسلام على نكاحه قبله وباقرار أهل الذمة على أنكاحهم والحكم بمقتضى ذلك عند تحاكمهم اليها وبقوله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء . (وأحل لكم ما وراء ذلكم) . وغرضنا من هذا انه لو لم يكن لدينا من الدلائل والحكم ما نؤيد به المسألة المعترض عليها

لكان لنا أن نقول: إن الاعتراض لا يرد على أصل الشرع القطعي بل على مسألة فرعية من مسأله اتفقت فيها المذاهب أسد ذريعة الفساد الذي سنبينه وهو ما للم به النبي عن مناقحة المشركين في النص ، على ما بينهم وبين غيرهم من الفرق ، بل نقول إن هؤلاء المتفرجين ولا سيما علماء القانون منهم لو عرفوا جميع ما يتعلق بهذه المسألة من الأحكام والحكم اعدوها مما يفاخر به المسلمون جميع أهل المال والأديان بحرية الدين، وترغيبه في مودة غير المسلمين، فإن الاسلام قد جاء لاصلاح ما أفسد البشر من دين الرسل واتكيله واتمامه ، وقد كانت جميع الأمم عند بعثة خاتم الرسل (ص) تحقر النساء وتهضم حقوقهن فجاء الاسلام بالقاعدة العليا التي لا تلغوها ولن تعلوها قاعدة وهي قوله (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) أي درجة الولاية ورياسة الأسرة . وكانت حرية الدين مفقودة عند جميع الملل فجاء بالقاعدة العليا فيها وهي قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فالشريعة تفرض على المسلم الذي يتزوج امرأة غير مسلمة أن يسمح لها بأداء عبادات دينها في الدار وفي المعبد كما تشاء ، ولا يخشى أن تسمع منه تكديبا لأصل كتابها ولا للرسول الذين تؤمن بهم وتحبهم ، لأنه يؤمن بذلك فهو إذا تزوجها واقام أحكام الشريعة وحكمها فيها يكون ذلك الزواج من أكبر أسباب التآلف والمودة بين الزوجين لأن روح الزواج وسره الأدبي هو ما بينه تعالى بقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقد يسري التآلف من الزوجين الى عائلتهما والى أقوامهما ولو تزوج غير المسلم بالمسماة - وهو لا يدين الله كالمسلم بحرية الدين التي توجب عليه أن يسمح لها بأداء واجبات دينها واقامة شعائره، ولا يدين الله كالمسلم بمساواة النساء للرجال بالمعروف فيما عدا تلك الدرجة فقط ، ولا يؤمن أن يفتنها وينطق امامها بتكذيب كتابها ورسولها، لكان ذلك ظلما لها في دينها ودنياها ، وسببا للخصائن والعداوة بين العشيرتين ، واذا تعدد يكون سببا لانتشار العداوة في أهل الملتين ولا يعترض على هذا باختلاف أحوال الأمم وكون الكثيرين من مسامي زماننا بظلمون النساء في دينهن ودنياهن وكثير من غيرهم لا يظلمهن بظلمهم بل

يعاملوهن بمابرضيهن ، فان أحكام الدين موضوعة لمن يتبعون الدين عن إيمان وإذعان نفسي ، والا فان من الدعاة الى هدم شريعة الاسلام من يسمون بأسماء المسلمين ويشاركونهم في جميع حقوق المسلم على المسلم من ارث ووقف وزواج وغير ذلك لانظيل القول في هذه المسألة لما علم القارىء من انها فرعية وثانوية في موضوع البحث ولما سبق لنا من القول فيها في التفسير والفتاوي ولان العلماء الكرام الذين ردوا على مقترح مدنية القوانين أحسنوا فيما كتبوا فيها، بل نكتفي بهذه الكلمة ونظيل بعض الاطالة في الامر الالهم، والبلاء الاعظم، وهو الدعوة الى ترك الشريعة الاسلامية ونبذها وراء الظهور حتى في الاحكام الشخصية، التي تتعلق بما يدين المسلمون ربهم به فيما يحل لهم ويحرم عليهم في أمر النساء والنسل والارث بحيث تكون حكومتهم مكرهة لهم، على ما يعتقدون انه محرم عليهم، وانهم يعاقبون عليه في الآخرة ، وان استحلاله كفر بالله وبكتبه ورساله - وما في ذلك من الضرر على الامة في دنياها التي هي أكبرهم هؤلاء المتفرنجين

غرض المتفرنجين والافرنج من ابطال الشريعة

هذا الفريق من المتفرنجين ريبب بعض ساسة الافرنج الذين سعوا لتحويل حكومة مصر وغيرها عن أحكام الشريعة الاسلامية في المعاملات المالية والعقوبات وغيرها واستبدال قوانينهم بها فكان لنجاحهم تأثير عظيم في إضعاف مقوماتنا المالية باعراضنا عن أصول التشريع الذي قامت به مدنيتنا العربية الزاهرة وعن تاريخ هذه المدنية، وعظما، رجال الشرع من أئمة مجتهدين وحكام عادلين، فأصبحت الامة بذلك مهيئة في نفسها لانها لا تعرف لها سلفا صالحا تفخر به وتهتدي بهديه في أشرف مقومات الامم المدنية وهو الشرع العادل والحكومات المعمرة، وحل محل احتقارها لنفسها تعظيم الاجانب الطامعين فيها الساعين لتقطيع جميع روابطها ليسهل عليهم استعبادها وان هؤلاء التلاميذ يعملون لاساتذتهم مالا يستطيع أولئك الاساتذة ان يعملوه بأنفسهم ، وهم لا يشعرون أنهم يخدمون الاجانب بل يحسبون انهم يخدمون بلادهم وأمتهم بالصمود الى مستوى أولئك الاجانب في الحضارة، فانهم لا يهتمون كما يهتم الاجنبي لان المسلمين يعدونهم منهم، ولما يدعو أجنبي دعوة

صريحة في بلاد اسلامية الى ترك أحكام الشريعة ، بل هم يسبغون في حل الرابطة
الاسلامية في شعوب المسلمين من طريقين (أحدهما) تعليم المدارس الخاصة بهم
كمدارس دعاة النصرانية (المبشرين) في بلاد الاسلام ومدارس بلادهم التي يرسلون
اليها الطلاب المسلمون - ومدارس الحكومة التي يسيطرون عليها ، ولهم في كل نوع
منها أسلوب خاص (والطريق الثاني) إقناع المتفرجين من الامراء والحكام والكتاب
بوجوب الفصل بين الدين والحكومة وبأن الشرع المبني على أصول الدين لا يصلح
التزقي البشر الديوي . وبأن الشرع الاسلامي قد وضع لامة بدوية أو قريبة من
البداءة فلا ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر ، وبوجوب توحيد قوانين
الامة وجعلها موافقة لجميع أهل الاديان في الوطن الواحد ومساوية بينهم
وطالما كشفنا هذه الشبهات في المنار وبيننا الحق فيها ، وانه لا يرد على الشريعة
الاسلامية شيء منها ، وانها شريعة مدنية عادلة مرنة تنطبق على مصالح البشر في
كل زمان ومكان ، وان ذنب إضاعتها على أهلها ولا سيما علماء أصولها وفروعها ،
وانهم إذا ظلموا على جهودهم التقليدي فلا بد ان يضيعوا البقية المعمول بها منها ،
ونبدأ كلامنا فيما كان من السعي لهذا الامر من عهد السير سكوت المستشار
القضائي الانجليزي المشهور الذي اقترح إلغاء المحاكم الشرعية من مصر الى هذا العهد
الذي اقترح فيه بعض المصريين « مدنية القوانين » وقد كان فيما بينهما صيحة
منكرة لاحد وكلاء النيابة من المصريين هي شر من هذا الاقتراح ، للتصريح فيها
بهدم جميع أصول الاسلام - وعمل هادىء قبله الرأي العام ، ولم ينكره غير المنار ،
وهو ما تشغل به الحكومة بمساعدة العلماء من وضع قانون للأحكام الشخصية
مستمد من الكتب الفقهية . ثم نعود الى تلك النظريات فنبين الحق فيها وما
يجب على المسلمين ولا سيما علماء الدين من السعي له ومن مقاومة تيار الاتحاد
بالوسائل التي يرجي نفعها ، والاجتهاد في إقناع الملاحدة بحقية الدين من أقرب
طريق الى تربيتهم وأفكارهم ، والا فبإقناعهم بأن الشريعة الاسلامية عادلة
وأن من أصولها الثابتة دفع المفسد وحفظ المصالح العامة في كل زمن بحسبه ، وأنها
تأمين على الحضارة وعزة الامة ولا تعارضها ، وبما في المحافظة عليها من المنافع والمصالح
السياسية والاجتماعية والادبية ، وبما في إهمالها من المفسد المقابلة لهذه المصالح .

الرحلة الاوربية

(٤)

احمد عزت باشا العابد

لما وصلنا الى جنيف كان قد جاءها من باريس احمد عزت باشا العابد من كبار وجهاء وأغنياء سورية والذي كان الكاتب الثاني عند السلطان عبد الحميد . فاجتمعنا به زائرين ودعواته الى حضور المؤتمر فاعتذر بأنه مضطر الى السفر الى باريس لاعمال مالية يضره تأخيرها وقال انه يشرح لنا رأيه فيما ينبغي أن نطلبه من تخفيف وطأة الوصاية على سورية وهو ما كان طلبه بنفسه من وزراء فرنسا . فرددت عليه بأننا نحن طلاب استقلال مطلق من قيود الوصاية لطلاب وصاية خفيفة ، واكبر عار على السوريين أن يقبلوا الوصاية أو يسكتوا عن رفضها ويقعدوا عن السعي لدرء نائبتها ،

ثم قلت له سرا إنني أعلم أنك تخاف الفرنسيين أن يضروك اذا تحدثت معنا وانتظمت في مؤتمرنا ويمكنك أن تتلافى هذا الضرر بأن تمن عليهم بأنك حاولت أن تخدمهم بالتوسط بيننا وبينهم وجعل دخول المؤتمر وسيلة الى ذلك ، ويمكنك أن تذكر ذلك لمن تلقاه منهم في باريس حتى الرئيس موسيو بريان فلعلهم يأذنون لك بالعودة الى هنا ومساعدتنا على هذه الخدمة الوطنية وأنت بأمن من الضرر والاعتداء على أملاكك في الشام

قال : وفي الباطن أكون مع من ؟ قلت أنت بالطبع منا ومعنا في خدمة وطنك وكل يسلك طريقا والغاية واحدة . فأعجبه هذا الرأي فيما ظهري من وجهه وقوله اذ قال إنه يجتهد أن يعود من باريس اذا تمكن من اتمام عمله قبل انقضاء المؤتمر

كان هذا الحديث في يوم السبت (٢٠ أغسطس) وفي اليوم التالي زارنا قبل ذهابه الى المحطة للسفر الى باريس فأعدت الحديث معه في وجوب مساعدة المؤتمر بنفسه وماله ، وأتيته بدلائل وآيات ، دينيات وعتمليات وأدبيات ، حتى حلف لي بالطلاق بأنه سيجتهد في العودة الينا ، وان أدري أيجتهد في اقناع الحكومة الفرنسية وارضائها بذلك أم في غير ذلك . وأما المساعدة المالية فقال انه مستعد لها ولكن مثل هذا العمل يجب أن يشترك فيه جميع أغنياء

(المنار : ج ٦) (٥٦) (المجلد الثالث والعشرون)

البلاد ومن هو اكبر منهم كالمملك حسين . قلت نعم ان ذلك واجب على الجميع وعلى الملك حسين وأولاده الذين كانوا من أسباب وقوع البلاء في هذه البلاد ولكن تقصير بعض الناس فيما يجب عليهم لا يكون عذرا لغيرهم ، وعلى كل أحد أن يطالب نفسه بالواجب قبل أن ينظر الى غيره... وما أشبه هذا الكلام، الذي قابلته بالتسايم والاستحسان ، ثم سافر الى باريس ومنها الى الاستماتة لاجل تعاهد أملاكه فيها ومطالبة الدولة بعرف ما يستحقه من المعاش (التقاعد) على ماهي عليه من الفقر وما منيت به من المصائب والنوائب ومنها فقد البلاد العربية كلها ، على أن معظم ثروته العظيمة من خيرها وفضلها .

زيارة رئيس لجنة الوصايات في جمعية الامم

وفي أصيل يوم الاربعاء (٢٤ أغسطس) زرنا رئيس لجنة الوصايات لجمعية الامم (موسيو رابار) وهو من علماء سويسرة وأغنيائها مستقل الفكر مهذب الاخلاق وكان توفيق أفندي اليازجي أخذنا موعدا منه بهذه الزيارة لانه عرفه من قبل ، وذهب معنا رفيقانا وهبي أفندي العيسي ويوسف أفندي سالم وأما الامير ميشيل فكان قد خرج من جنيف لزيارة شقيقته في مصطافها . وبعد التعازف دار الحديث بيني وبينه في مسائلتنا وكان المترجم بيننا زميلنا وهبي أفندي العيسي وشاركه في ذلك الرفيقان الآخران

بدأت الكلام ببيان نظرية الرئيس ويلسون في مشروع جمعية الامم التي اقترحها ومكيدة الدولتين الاستعمارييتين وخذاعهما له بادخال مسألة الوصاية (الانتداب) في عهدتها ليكون منقذا لهما الى ما تعاهدتا عليه من استعمار البلاد واقتسامها بينهما ، وان هذا مناف للنرض الاول منها وهو السلم الدائم بحرية الاقوام . ثم انتقلت من ذلك الى سعي هاتين الدولتين الى ابطال ثقة الشعوب المعتدى عليها وغيرها بجمعية الامم واقناعهم بأنها آلة في أيدي رجالها ، واننا مع ذلك لم نياس من فائدتها ونفعها ولا نجزم بأنه يسهل عليهما تسخير هذا المدد العظيم من مندوبي الدول الكثيرة لتحقيق مطامع دولتين لولا مطامعهما لما وقعت اكثر الحروب في أوربة بجهلهم استعبادها للاقوام قانونيا مؤيدا من العالم المدني كله

ثم انتقلت من هذه المقدمات الى ان آمالنا في جمعية الامم هي التي حملتنا على الجيء الى جنيف لاجل بيان حقيقة الحال في سورية وفلسطين لها . ثم شرحت

له خلاصة تصرف الدولتين في سورية وفلسطين وأنه من قبيل تصرف المالك في ملكه على أن وجودهما هنالك بحسب القانون الدولي احتلال مؤقت في بلاد الأعداء لاجل حفظ النظام الى ان يتم الصلح بينهما وبين الدولة صاحبة البلاد (ولا حاجة الى ذكر ما قيل هنا لأنه مما أودع بعد في النداء الذي وضعه المؤتمر وقدم للعصبة)

ومما سألني عنه موسيور ابار في أثناء الحديث : رأيت اذا خرج الجيش المحتل من بلادكم وترك امرها اليكم اتقدرون على حفظ الامن فيها والقيام بشؤون الادارة ؟ قلت نعم وأستدل على قولي بالحق الواقف لا بدعوى تحتل المناقشة . ذلك بأن الترك قد جلوا عن سورية وتركوها لاهلها قبل وصول الحلفاء اليها ولم يبق فيها احد من ضباطهم ولا من رجال الادارة والقضاء منهم وقد قام الاهالي السوريون بحفظ الامن وسائر اعمال الحكومة عدة ايام الى ان احتلها الجيش العربي المؤلف من السوريين وغيرهم وكانت جل الاعمال الادارية في ايديهم الى ان شاركهم الجيشان البريطاني والفرنسي في احتلال البلاد . ولم يقع في هذين المهدين خلل ولا تعد على احد كما صار يقره كثيرا بعد احتلال الحلفاء . وذلك ان الحكومة كانت في عهد الترك بيد الاهالي ولم يكن فيها الا عدد قليل من موظفيهم يوجد فيها من اهلها من هم مثلهم وارقى منهم كما يوجد في ولاياتهم من موظفينا مثلهم ، فقال ان هذا شيء لم نكن نعرفه ... وبعد انتهاء الحديث شكرنا له عنايته بسماع حديثنا وحسن لقائه لنا وودعنا كما ودعنا ببشاشة الاخلاص ، وكنا كلنا تلاقينا بعد ذلك يسلم بعضهم على بعض سلام الاصدقاء .

المؤتمر السوري الفلسطيني

لم نكد نلقي عصا التسيار في جنيف حتى بحثنا عن مكان لائق لنعقد فيه المؤتمر الذي دعونا اليه وجئنا هذا البلاد لاجله فاهتدينا الى بهو عظيم في دار كبيرة لبلدية المدينة معدة للاحتفالات والمراقص والمقاصف وغير ذلك من الاجتماعات العامة فطلبنا فاجيب طلبنا ، وبادرنا الى عقد الجلسة الاولى في الموعد الذي ضربناه لعقد في الدعرة انعامه اليه (٢٧ أغسطس) ولكن لم نلبث ان تلقينا برفقة من تريسة بامضاء (رياض الصلح) يذبح فيها بأنه سيمصل الينا تمدا حاملا وثائق التوكيل من بعض الاحزاب السورية لنفسه

ولندويين آخريـن ، وبرقية آخريـ من الوفد العربي الفلسطيني المقيم بلندن يذبيـ فيها بأن شطر الوفد قد سافر الى جنيف لمشاركتنا في المؤتمر وبقي الشطر الآخر في لندن لتابعة السعي في المسألة الفلسطينية من الوجهة البريطانية — وكنت قد كتبت الى الامير شكيب أرسلان عقب وصولي الى جنيف كتابا الى برلين انبئه فيه بوصولنا واسأله عن موعد مجيئه وكان على علم بالمشروع وبأنه من المختارين لحضوره فجاءني منه كتاب باستعداده للسفر وموافاتنا على جناح الطائر — (وبعد ذلك بأيام جاءت برقية من طعان بك العماد مندوب حزب الاستقلال العربي في الارجنطين تنبيـ بأنه قادم لحضور المؤتمر وكان قد وصل الى إيطاليا)

لاجل ذلك جعلنا الجلسة الاولى بالفعل جلسة تحضيرية بحثنا فيها في النظام الاداري التهيدي للعمل وقررنا انتظار الوفود الجائبة والنظر فيما تحمله من أوراق اعتمادها وانتدابها لحضور المؤتمر من قبل أحزابها ثم تأليف المؤتمر من جميع المنديويين المعتمدين وجعل الجلسة الاولى للتعارف فانتخاب الرئيس ونائب الرئيس والكاتب العام (السكرتير) ومساعديه ثم لم تلبث الوفود أن حضرت في المواعيد التي انبأت بها وكان وفد فلسطين مؤلفا من الحاج توفيق حماد وأمين بك التميمي وشبلي افندي الجمل ولما أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا علمنا أن وفدهم يرجح التفاءل على التشاؤم في قضيتهم ، وأنه يرجو رجاء قويا أن تكون فلسطين أسبق البلاد العربية الى نيل الاستقلال ، وهذا خلاف ما اعتقدنا ونقيضه وقد كبر بعد ذلك البحث فيه

استطراد في مكآة فلسطين عند الانكآر

ولما صرح لي بعضهم بذلك قلت اني أتمنى ذلك الا أنه لا يعقل أن يقع الا بعد وقوع الانكآر في هوة المعجز فان الدولة البريطانية الطامعة في البلاد العربية من مصر الى منتهى ساحل خليج فارس تهتم بأرض البلاد المقدسة (فلسطين) ما لا تهتم ببقعة أخرى من البلاد العربية لاسباب دينية وأدبية وتاريخية ومالية وجغرافية وحرية — فانها مهد المسيحية ، وميدان الحروب الصليبية الاسلامية ، وحيث قهر ملكها (ريكارد) قلب الأسد في حربه مع السلطان صلاح الدين ، وبها استمالت اليها اليهود وتمتمت بالملايين من أموالهم ، واجتذبوا بسعيهم الولايات المتحدة الى انقاذها من ألمانية

وبكيدهم وقعت الثورة الاشتراكية في الاسطول الالماني الذي كان مستمدا لتدمير الاسطول البريطاني ، ثم في العمال الذين ألجؤا للحكومة الالمانية الى طلب الصلح ، على حين كانت ظافرة في الحرب - وهي مع ذلك متصلة بمصر وبالبحر الاحمر - فاذا كان لهذه البلاد كل هذه المزايا وترى بريطانيا العظمى أنها قد فتحتها فتحا أخذت به ثأر قلب الاسد والصليب واستخدمت في فتحها من المسلمين المحاربين الهنود - ومن العمال المصريين - في مد السكك الحديدية وأنابيب المياه و سائر الاعمال الحربية أضاف من استخدمت من البريطانيين المسيحيين كما أنها استعانت على هذا الفتح بنفوذ شريف مكة وأولاده وأنصارهم من الحجازيين والعراقيين والسوريين ، - واذا كانت جميع الكنائس البريطانية قد احتفلت بهذا الفتح الديني وافتخرت به - واذا كان وزير بريطانيا الاكبر قد صرح في مجلس أمتهم الاعظم بأن هذا الفتح خاتمة الحروب الصليبية - أي لا يرجي أن يكون بعده للمسلمين دولة قوية عزيزة تحارب في هذه البلاد بل ولا في غيرها - أرأيت مع هذا كله تسمح بريطانيا العظمى مختارة بأن تكون هذه البلاد مستقلة تابعة لدولة عربية ذات اكثرية اسلامية ساحقة فتترك هذه المزايا راغبة عنها ، وتغضب النصرانية في بلادها وسائر أوربة وأصربكة ، وتنفر اليهود وهي في أشد الحاجة اليهم في تعزيز ماليتها والثقة بها ؟ وماذا تفعل هذا ؟ الأجل فضيلة الوفاء للعرب ؟ أم لاجل ما يعتمد عليه ملك الحجاز من « الحسيات النجيبة البريطانية » ؟ ؟

الانكليز أقدر من خالق الله من الانس والجن على الخداع فكيف وقد عززم فيه خداع اليهود وكيدهم ، ومن العجيب ان قد فضحت عواقب هذه الحرب كيدهم وخداعهم ومع هذا ترى أجدر الناس بالخذر من هذا الخداع لا يزال الكثير منهم مخدوعين

ومن أساليب الخداع الانكليزي الخفية ما سبق موقظ الشرق وحكيمه السيد جمال الدين الى بيانه منذ عشرات من السنين : اذ قال لا يظلم الانكليز قوماً الا ويقوم افراد منهم يرفعون اصواتهم في الصحف وعلى مقاعد مجلسي النواب والاعيان باستنكار ذلك الظلم وعذل حكومتهم عليه ومطالبتهم إياها برفعه ، لاجل ان تظل آمال المظلوم معلقة بهم ، لا يطلب العدل والرحمة الا من قبلهم ، ومن آفات هذه الخدعة انها تصرف المظلومين عن مقاومة الظلم بما آتاهم الله من

القوى الذاتية وبسائر الوسائل التي تهديهم اليها سنن الله في الاجتماع البشري وتدعهم متكئين على خصمهم متوهمين أنهم يجدون من قومه عوناً لهم عليه ، ويحذرون ان يغضبوا ذلك العون الموهوم لئلا يخسروا عطفه ، وكل مقاومة للحكومة لا بد أن تغضبه .

هذا ما كان من رأي السيد الحكيم في انتصار بعض رجال الانكيز لمن نظامهم حكومتهم ، وهو واقم ولكنه غير مطرد ، وغرضه منه التحذير من الانخداع ، ولم يبق ذوبصيرة ينخدع بهودهم ووعودهم الرسمية بعد ما أظهرت عاقبة هذه الحرب من نكثهم واخلافهم فيها ، فكيف تنخدع بقول بعض الافراد وكتاب الصحف غير المسؤولين وان قالوا ما قالوا لمخالفهم للحكومة في الرأي ، أو انتصارا لبعض الاحزاب على بعض ؟ ولكن من الناس من تنفتح عين بصيرته إلا بعد طول التجربة بنفسه . وقد أطلنا في هذا الاستطراد لشدة الحاجة اليه في هذا الوقت ، ولا نحسب الا أن الوفد العربي الفلسطيني قد انتهى أو ينتهي في جهاده في لندن الى معرفة كنه هذا الامر ، وأنه أفاد في إطلاع كثير من خواص الشعب البريطاني على خطأ حكومته في المسألة الصهيونية

اختلاف نظريتي الاتحاد السوري والوفد الفلسطيني

دارت المذاكرة بيننا وبين أعضاء الوفد الفلسطيني على مقاصد المؤتمر وغاياته واسمه فذكرناهم بأن دعوة حزب الاتحاد السوري الى عقد المؤتمر مبنية على قواعده الأساسية في استتلال البلاد السورية ووحدها وشكل حكومتها وأن لا مندوحة عن تسميته بالمؤتمر السوري الاول ، فقالوا ان الدول قد فصلت بعض مناطق البلاد من بعض ووضعتم اكل منها اسما فاذا أطلق اسم سورية الآن لا تدخل فلسطين في مسماه فنترح أن يسمى المؤتمر السوري الفلسطيني بل نشترط ذلك ، فقبلنا بمدجدال طويل . وقالوا أن الوحدة السورية قد تتعارض مع الوحدة العربية التي يطلبها أهل فلسطين ، واذا استتقت فلسطين دون سورية أو قبلها كما ينتظر — فان ارتباطها بالوحدة السورية يكون ارتباطا ببلاد غير مستقلة فينافي استقلالها ، فلا بد اذا من طلب الوحدة العربية أو طلب الاستقلال لكل من سورية وفلسطين على حدتها ، فعز هذا الطلب على الامير ميشيل لطف الله لانه رآه هادما لاساس حزب الاتحاد السوري فلم يقبله ، فوقع الخلاف ، وطال فيه الجدال ، وكان الامير شكيب في مقام التوفيق والجمع بين الرأيين ، وذكر

في هذا المقام مسألة لبنان ، وان من أهله من سبقوا الفلسطينيين في رفض الاتحاد مع سائر سورية ، وكنت أنا حريصا على ارضاء كل من السوريين واللبنانيين وجعل المقصد الاهم جمع كلمة الجميع على الحرية والاستقلال التام الناجز وتفويض أمر الوحدة الى الرأي العام في الشعب بعد أن يصير أمره بيده ، وأرى أن هذا ليس ناقضا لاساس حزب الاتحاد السوري لأن له أن يظل يسعى الى اقناع الشعب برأيه في وجوب الوحدة والشعب هو صاحب الرأي الاخير في شكل حكومته ووحدة البلاد وعدمها ، وأن مطالب الاحزاب والمؤتمرات لا تقيد به ، بما لا يقتنم به

وبعد طول البحث والمناقشة اتفقنا على الاساس الذي بنينا عليه أركان مطالب المؤتمر التي وضعناها بعد ذلك في النداء الذي وجهناه الى جمعية الامم ومنها رفض الانتداب على كل من سورية وفلسطين ولبنان وما يلزمه من اخراج الجيوش المحتلة لها منها . وكنا نخشى أن يعارض الفلسطينيون في هذا ، لا لانهم يقبلون الانتداب ويرضونه — حاشاهم الله من ذلك بصدق ووطنيتهم واخلاص عقيدتهم — وانما قيل ان من سياسة وفدم في أوربة السكوت عن الانتداب والجملة على وعد بلفور بالوطن القومي لليهود عسى أن يستميلوا اليهم كثيرا من البريطانيين الذين يكرهون أن يكون لليهود نفوذ ممتاز في مهد النصرانية — ولكن موضع هذه السياسة لندن لا جنيف وقد رضي أعضاء الوفد كاهم برفض الانتداب ولله الحمد

أقول « كاهم » تسجيلاً لهذه الفضيلة لكل فرد منهم اذ من المعلوم المجهود أن ما تقرره الجماعات بالبحث والتشاور لا يكون كله باجماع منهم بل بعضه يكون باتفاق الرأي وبعضه بترجيح رأي الاكثرين على الاقلين وان كان ينسب الى الجميع لانهم بتضامنهم يعدون كالشخص الواحد ، وههنا أقول إن المطالب المدونة في نداء المؤتمر الآتي كلها متفق عليها بين الاحزاب وافرادها وانما كان الخلاف الذي هو ضروري في أمثال هذه المجمع محصورا في بعض المسائل الجزئية ، أو في العبارة التي تؤدي بها في لغتنا العربية أو تنقل بها الى اللغة الفرنسية . مثال ذلك في الجزئيات القول بأن لبنان كان مستقلا منذ أربعة عشر قرنا ، هو قول أخذ من مذكرة زميلنا سليمان بك كنعان عضو مجلس ادارة لبنان والموكل من قبل ألوف من أهله ، وأنا أول منكر لهذه الدعوى على التاريخ ولكن الاكثرين رأوا العضو اللبناني الذي نعده ركنا

من الاركان متمسكا بهذه الدعوى فوافقوه عليها لانها لا تنقض شيئا من مقاصدنا
الجلسة الاولى للمؤتمر وانتخاب الرئيس

بعد الاتفاق على أساس مقاصد المؤتمر واسمه عقدنا الجلسة الرسمية الاولى (في
٢٧ اغسطس) وكان في أول ما وضم من برنامجها في الجلسة التمهيدية أو التحضيرية
انتخاب الرئيس ونائبين له الخ وكنا قد تحدثنا قبل الجلسة في مسألة الرياسة واتفق
المسلمون منا على انتخاب الامير ميشيل لطف الله لمدة أسباب (أهمها) اثبات
التكافل والتضامن الوطني بيننا في المسائل الوطنية العامة بحيث يتفق على ذلك
جماعة منهم يكبرونه في السن منهم الامير العريق في مجد الامارة التليد ،
المزين بمجد البراعة في السياسة والادب الطريف — كالامير شكيب ارسلان —
والوجيه الزعيم في وطنه بصفاته الذاتية ومجد أسرته — كالحاج توفيق بك
حماد — وكذلك احسان بك الجابري ومكانته في أسرته من وجهاء حلب وفي
شخصه ومناصبه معروفة — والعالم الديني ذو النسب النبوي كصاحب المنار
ومنا اننا كلنا نعترف بأن الامير ميشيل ليس له من المنافع في استقلال
سورية مثل ما لنا ولا امثالنا ممن لهم في البلاد أهل وأملأك وأوقاف — ولا عليه
من المضار في عدم استقلالها مثل الذي علينا وعلى امثالنا — فكان فضله في
اجهاد النفس وبذل الوقت والمال في سبيل استقلالها أكبر من فضل غيره من
الساعين الى ذلك ، وناهيك بأكثر اغنياء البلاد الاشحة البخلاء الاندال ،
الذين لا يعملون ولا يساعدون العاملين ببذل قليل من المال ،

هذا الاتفاق على الرياسة منعنا أن نجعل الانتخاب سريا بورق يكتب ولما
صرح بعضنا به وافق الآخرون بالاجماع ثم اقترح بعضهم ان يكون كل من
صاحب المنار والحاج توفيق بك حماد نائبي رئيس والامير شكيب الكاتب العام
(السكرتير) فوافق الاعضاء على ذلك بالاجماع واختير توفيق افندي اليازجي
مساعدًا ، للسكرتير ، ثم وقف الرئيس فشكر للاعضاء ثقتهم به وانتخابهم اياه
بعبارة يزينها ما عهد فيه من الادب والتواضع ، ثم انعقدت الجلسة وانتخب
اللجان للعمل ، وتوالت بعدها الجلسات

ولما كان المؤتمر قد قرر ان تدون اعماله في كتاب خاص يطبع نكتفي بهذه الخلاصة
من خبر تكوينه وتفتي عليها بنشر النداء الذي وضعه في عدة جلسات ووزعه على
رئيس جيم الامة واعضاءها وارسله الى وزارات دولها والدول غير الممثلة فيها والى
جرائد سويسرة واشهر جرائد العالم — ليحفظ اثرًا تاريخيًا في مجلتنا وهذا نصه :

(نص النداء الذي قدمه المؤتمر الى المجمع الثاني العام لجمعية الامم)

جنيف في ٢١ سبتمبر ١٩٢١

الى سعادة هـ . ا . هـ . فان كارنيك رئيس المجمع الثاني العام لجمعية الامم
والى حضرات مندوبي الدول في هذا المجمع
ياحضرة الرئيس ويا حضرات الاعضاء

اننا نحن الموقعين أدناه ممثلي الاحزاب والفرق السياسية في سورية ولبنان
ومعتمدي أهالي فلسطين من المسلمين والمسيحيين الناطقين بلسان أهالي هذه
البلاد نتشرف بان نلجأ الى سلطة جمعيتكم العليا باسم المؤتمر السوري الفلسطيني
المنعقد الآن في جنيف في بسط الحالة السيئة التي آلت اليها امتنا واستمداد
ممونتكم لها بجمل حقوقها محترمة ومعترفا بها

نقرع باب جمعيتكم واثقين بالمبادئ التي كانت أساساً لبناء جمعية الامم،
والتي أنعمت في جميع الاقطار آمالاً مشروعة، ألا وهي احترام القوميات وحق
الامم في تقرير مصيرها، واقامة المدل ومراعاة الشرف في العلاقات الدولية،
ونبذ سياسة الفتح، والدقة في رعاية اليهود في الصلات المتبادلة بين الشعوب المنظمة
نلجأ الى جمعيتكم عالمين أنها بموجب الخصائص التي خولها إياها عهد جمعية

الامم الموقع عليه في فرساييل في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ مرجع لقضيتنا هذه
ولها فيها حق النظر والحكم وفقاً لروح هذا المهد

ان سورية وفلسطين ولبنان تسألكم بادئ بدء الالتفات اليها والاعتراف
بحقها في طلب الاستقلال التام المطلق بمقتضى القواعد العامة لحقوق الشعوب
واليهود الخاصة المقطوعة لها في السنوات الاخيرة

ان الحرب الطويلة التي وضعت أوزارها وأنجبت جمعية الامم كانت صراعا
بين فكرتين — فكرة القوة والفصب وفكرة الحق والحرية — فالامم التي كانت
تقاتل تحت لواء الحق وضعت مبدأ استقلال الشعوب في طليعة مقاصدها من
الحرب وكان كبراء رجال الامم المتحالفة يملنون واحدا بعد آخر على منابر
مجالسهم النيابية أن الحرب لن تؤدي الى فتوحات جديدة أو الى ضم أقطار
(المنار : ج ٦) (٥٧) (المجاد الثالث والعشرون)

جديدة، وإنما يجب أن تسفر عن ظفر الحضارة واستقلال الشعوب
ولقد سمع الشعب السوري هذه التصريحات فتقبلها بثقة تامة، وخاصة ما
يضمن منها للشعوب الخاضعة للسلطة التركية السلامة التامة لحياتها وحرية
الارتقاء بدون عائق (هواد الرئيس ولسون الاربع عشرة)
فالشعب السوري المؤيد بهذه التصريحات يمتد الى الامم بتاريخ ومقومات
تؤهلها أن يطالب بالاستفادة من تلك التصريحات وبالاعتراف بسيادته
وفقاً للمبادئ التي كان لها الفوز

وإذا كان تعريف الامة — هو كما قرر كثير من كبار المشرعين — مجموع
أفراد من عنصر واحد ولفة واحدة وحضارة واحدة أولي إرث تاريخي
شامل عام وشعور بارادة تأليف جماعة سياسية واحدة فان سورية اذا امة
وإذا كان تحديد القومية هو الشعور بأخوة متينة واشجة العروق وحب
متوارد لمسقط الرأس فالامة السورية هي ذات شعور قومي

ان وحدتي السلالة واللغة مؤكدتان بكون السحنة واحدة في جميع
البلاد وبكون اللسان العربي لسان الجميع. والغرباء الذين في البلاد لا يتجاوزون
واحداً في المائة، كما ان الحضارة العربية هي السائدة في البلاد وهي احد فروع
شجرة المدنية الذي كان مع الفرعين اليوناني والروماني أصل الهيئة الاجتماعية
الحاضرة وسبب ازدهارها. ثم انها لم تقف في سيرها: فالتعليم العربي منتشر في
جميع البلاد بمشرات من المدارس العليا ومئات من المدارس الثانوية وألوف
من المدارس الابتدائية، وهناك مدرستان جامعتان و٦٢٠ مدرسة مختلفة
الدرجة من مؤسسات الاجانب تضم مجهوداتها الى عمل المدارس الوطنية.
وكان نحو من مائة جريدة تصدر في أنحاء سورية الى حين انفجار الحرب
العامة. ويقدر عدد القارئين والكتابيين في أكثر المقاطعات بستين في المئة.
وأما الطبقة المستنيرة من أدباء وشعراء ومؤلفين وحقوقيين وأطباء ومهندسين
فعدد رجالها عظيم، وكثيرون منهم نالوا شهاداتهم من أوروبا، ولهم في البلاد
مركز رفيع. كما ان في البلاد جما غفيراً من الضباط المتخرجين من مدارس
الحربية في الاستانة وفي أوروبا قد أثبتوا كفاءتهم في تنظيم مصالح الأمن
العام. ولما جلا الترك فجأة عن البلاد قام أهالي سورية بمهمة تنظيم بلادهم
الحررة وتشكلت في الحال لجان ادارية في كل ناحية فوطدت أركان النظام

والأمن العام الى أن احتلت جنود الحلفاء البلاد . ولما أقيمت بعد ذلك
متاليد الادارة في المنطقة الداخلية الى حكومة وطنية كان الأمن والنظام فيها
أثبت وأتم منه في المناطق المحتلة كما شهد بذلك الأجانب الذين زاروا
البلاد في تلك الاثناء

ان تراث مجد السوريين المشترك لفتني عن الاشارة اليه . أية مدينة كانت
أبهى وأبهر من حضارة عصر عبد الملك بن مروان وهارون الرشيد
وصلاح الدين الابوبى وخلفائهم . ومن ذا الذي لا يتذكر تألق أنوارها على
سواحل بحر الروم ولا يشهد تأثيرها العالق بناصية الحمراء وبقباب كنائس
بلم (صقلية) الى اليوم . ولا يمكن انكار ما في شعبنا من الكفاءة السياسية
والادراك السياسي حتى ان حياتنا الإقليمية وتقاليدنا المحلية ظلت باقية لنا
في عهد الحكم التركي نفسه

وفي سنة ١٩٠٨ اعلن الانتخاب العام (في السلطنة العثمانية) فتمتع السوريون
بجميع حقوقه فكان عدد نواب العرب في الندوة العثمانية يتجاوز ثلث اعضائها
وكان لهم دور مهم في جلساتها وفي لجائها . وكانت سورية قبل الحرب تقوم
بنفقات ادارتها بل كانت الضرائب التي تدفعها تزيد عنها فتفيض على ميزانية
السلطنة العامة

ان شعور سورية القومي لم يزل ينمو منذ اوائل هذا العصر ، وكانت
الدعوة اليه تبث بنشاط من قبل الصحف والجمعيات الوطنية ، وقد جاد فريق
كبير من كبراء البلاد بأرواحهم على مشانق الترك تكفيراً عن جرم التفكير
في استقلال وطنهم

وان القومية السورية متجلية فيما وراء الحدود والبحار أيضاً فهناك
جاليات سورية عديدة منتشرة في جميع القارات ولا سيما في العالم الجديد ولها
صحفها وجمعياتها وأنديةها

وعند نشوب الحرب أعلن جلالة الملك حسين الاول استقلال العرب
بالاتفاق مع معظم الجمعيات السياسية في سورية ، ومنذ سنة ١٩١٦ قامت
القوات العربية بمساعدة الانكليز على هدم السلطنة التركية

وكان المقاتلة من العرب واثقين بأنهم يسمون لاستقلالهم لأن الحلفاء
كانوا يعلنون انهم يكافحون دفاعاً عن حقوق الشعوب ولم تكن آمال هؤلاء

المقاتلة مبنية على تصريحات رجال السياسة فقط بل على الوعود الصريحة التي قطعها للملك حسين السرهري، كماهون العميد البريطاني في مصر باسم انكازة احدى دول الحلفاء سنة ١٩١٥ وقد ضمنت هذه الوعود الاعتراف باستقلال بلادنا . فكل تلك الوعود والدماء التي أهرقت في سبيل الغاية المشتركة كانت تعزز الامال بانشاء دولة سورية قائمة على النظام والحرية والسلام ولكن لم يتم لسوء الحظ شيء مما كنا نؤمله حتى ان لبنانا الذي كان يتمتع باستقلال ذاتي تام تضمنه الدول العظام قد سلب منه استقلاله — فطفق الشعب السوري ينظر الى ماضيه والخيبة ملء فؤاده

ولم تمر بضعة شهور على اليوم الذي ضمن فيه السرهري مكاهون للعرب استقلالهم السياسي حتى عقد اتفاق سري بين مسيو جورج بيكو المندوب الفرنسي والسرمارك سايكس ممثل الحكومة البريطانية ظل اصحابه ينكرونه على ما كان من تخطيطه في ٩ مايو سنة ١٩١٦ برسائل تبودلت بين مسيو بول كامبون والسير ادوارد غراي — هذا الاتفاق قضى على وحدة سورية وشطرها الى منطقتي نفوذ احدهما فرنسية والاخرى انكليزية ، وهو يسلب الحكومة العربية حريتها الاقتصادية بما أعطى للدولتين المتعاقدتين من حق الاولوية في المشروعات والقروض والسكك الحديدية . وشرع لأمم مناطق الساحل ادارات فرنسية وانكليزية تتولى الامور مباشرة أو بشكل حماية حقيقية على الاقل وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر تصريح من الحكومة البريطانية بوعد

اليهود في فلسطين بامتيازات لا تتفق مع حقوق اصحاب البلاد ثم إنه بعد التوقيع على معاهدة فرسايل وعهد جمعية الامم في شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ وقع التواطؤ بين المستر لويد جورج والمسيو كليمانصو على ما يؤيد اتفاق سايكس — بيكو، وعلى قسمة سورية نهائيا الى مناطق غريب بعضها عن بعض (انظر الملحق رقم ٢)

وان الامور التي جرت على أثر هذا الاتفاق والتي سنأتي على ذكرها فيما بعد قد حققت وبالأسف كل المخاوف التي أحدثها هذا الاتفاق على اننا نريد أن نوجه نظركم قبل كل شيء الى كون سورية التي هي أمة حقيقية وقد وعدت بالاستقلال تستحق بأن تطالبكم بالاعتراف بسلطانها القومي واستقلالها

ان المادة الثامنة والعشرين من عهد جمعية الامم تنص على « ان بعض الجماعات التي كانت من السلطنة العثمانية في ماسبق قد بلغت درجة من الارتقاء يمكن أن يعترف معها موقفاً بكونها أمة مستقلة على شرط أن تسترشد ادارتها بنصائح ومساعدة تستمدّها من دولة منتدبة الى أن تصير أهلاً للسير وحدها »

فهذا النص قد وضع بعض الجماعات تحت الانتداب وأما الجماعات الأخرى — كالحجاز وأرمينية مثلاً — فقد اعتبرت باللغة درجة كافية من الارتقاء تفنيها عن دولة منتدبة

الا ان سورية أيها السادة تقيم لكم الدليل على رشدّها السياسي وحقها في السيادة نجماً للانتداب كإرمينية والحجاز، فهي بما أهرقته من دماء خيرة أبنائها وبمظاهرها مدنيّتها الموروثة خلفاً عن سلف وبارتقاء تنظيماتها السياسية المحليّة والإياليّة وبانتشار تجارتها وصناعاتها — قد أثبتت انها أمة رشيدة قد بلغت أشدّها وأهليّتها للحرية فنطالب منكم أن تعلنوا في جمعيتكم بمقتضى الحق الذي لا يمكن أن يماريكم فيه أحد تحرير أمة حقيقية من انتداب لا فائدة منه

— ٢ —

نوجه اليكم هذه العريضة بأصدق عزيمة وأرسخ إيمان بأنكم سترون من الوقائع التي نبسطها لكم ما يجعلكم تعرفون الى أي حد قضى الانتداب الذي ينفذون حكمه فينا على استقلالنا وكيف أصبح يهوي بنا الى دركة مستعمرة من مستعمرات المنتدبين علينا

جاء في الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين التي تميز حدود الانتداب المختص بالجماعات العثمانية ما يأتي :

(١) ان هذه الجماعات قد بلغت درجة من الارتقاء يصح معها الاعتراف بكونها أمة مستقلة

(٢) ان مهمة المنتدب قاصرة على المساعدة والنصح

(٣) ان رغائب الجماعات يجب أن توضع أولاً موضع الاعتبار عند اختيار

الدولة المنتدبة

وسترون كما نرى ان هذه القيود المعينة في الانتداب لم يحترم شيء منها

وأن استقلالنا ليس سوى لغو من القول
لقد قسمت بلادنا الى مناطق كما ذكر آنفاً عملاً بمعااهدة سايكس - بيكو
المؤيدة باتفاق لويد جورج وكليمانسو في سنة ١٩١٩ فأخذ الانكليز فلسطين
والساحل الفلسطيني وأخذ الفرنسيين ساحل سورية الشمالية واحتفظ الامير
فيصل بالمنطقة الداخلية - فاستمرت هذه الوقائع عن إحراج صدور الاهاين
والتأم في دمشق مؤتمر سوري عام في شكل مجلس مؤسس يتألف من مندوبين
انتخبوا من المناطق الثلاث - وقد عقد هذا المؤتمر برغبة الرأي العام الشديدة
جلسة عامة وأعلن بالاتفاق مع الزعماء السياسيين والرؤساء الروحيين من جميع
الملا والنجل في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ استقلال سورية التام بمحدودها الطبيعية
اي مع فلسطين ولبنان ونادي بالامير فيصل ملكاً دستورياً على البلاد والنصف
الى سن القوانين وتنظيم الحكومة الوطنية التي كان لديها ممثلون للحكومات
الاجنبية . على أن هذه السيادة على المنطقة الداخلية ما لبثت أن انتزعت في
صيف سنة ١٩٢٠ كما تعلمون

بعث الجنرال غورو بانذار نهائي الى الملك فيصل في ١٤ يولييه سنة ١٩٢٠
طلب منه فيه حل جيشه وقبول سلطته بلا قيد ولا شرط فلرغبة الملك في
اجتناب سفك الدماء قبل شروط الانذار على شدة المعارضة من المؤتمر والشعب
ولكن الجنرال غورو انتحل لنفسه حجة تافهة للزحف بجيوشه على دمشق
واحتلالها ففعل ولم يلبث أن عقد محاكم عسكرية حكمت حكماً غيابياً بالاعدام
على ستة وثلاثين شخصاً من الوطنيين بدعوى التواطؤ مع العدو ، وفرض
على البلديات حربية تدفع ذهباً وطقق يتصرف في البلاد بعد ذلك تصرف الفاتح
وفي ١٠ يولييه سنة ١٩٢٠ اعتقلت السلطة العسكرية الفرنسية أعضاء
مجلس لبنان الاداري المنتخب من الشعب اللبناني ودفعتهم الى مجلس حربي
فرساوي حكم عليهم بالنفي بسبب قرار أصدره ذلك المجلس اللبناني في ٩
يولييه سنة ١٩٢٠ طلب فيه المحافظة على استقلال لبنان وحياده العسكري
و ضمان الدول له . وعلاوة على ذلك أصدرت السلطة الفرنسية أمراً بالغاء
هذا المجلس فقضت بذلك على نظام التمثيل النيابي في جبل لبنان

وقد قسم الشعب السوري الآن الى قسمين تحت سلطة سيدين مختلفين
تتولاها ادارة عسكرية أشد وطأة من أية ادارة في أي بلاد مغلوطة في الحرب

وقد زال كل ما كان يتمتع به الاهلون من الحرية في الولايات والالوية في زمن الترك

منع العلم السوري ورفع على الابنية الرسمية علم وضعته السلطة الفرنسية لكل من الدول التي أحدثتها ونقشت فيه العلم المثلث الالوان . ورفع العلم البريطاني في فلسطين ، واشتدت وطأة القسوة والارهاب عقابا على أبسط الأحداث ، وترون في الملاحقات المربوطة بهذا مثلا من المعاملات الجائرة التي يعامل بها أهالي بلادنا

يخيل الى الانسان انه في حلم عند ما يسم الجرال غورو يصرح بأنه يوطد الوصاية بالدم ، وعند ما يرى ست قري و ١٧ مزرعة تدمر بسبب اعتداء شخصي (انظر الملحق الاول)

وأما ما كان في الامور التجارية والمالية فخيرات البلاد تستنزف بدون وازع . وثمة جيش من الموظفين يغلب في رجاله أنهم أقل كفاءة ودراية من سكان البلاد يسومون الاهالي أنواع الخسف (انظر الملحق الثالث) والمندوب السامي يحاكم بأمره بيده أوسم سلطة ، والذين أرادوا القدوم الى أوروبا من أهل وطننا طلباً للعدل حرموها حرية السفر

نذكر لكم بمنتهى الحزن هذه الوقائع التي أنتجها إرغاء العنان لادارة عسكرية مطلقة اليد ونتمتم هذه الفرصة لتوجيه نظر مندوبي الدولتين المحتلتين اليها

ان لنا من عظيم الثقة بالشعبين الفرنسي والانكليزي اللذين دافعا عن حرية الشعوب في اليونان وايطاليا وبلجيكا والبلقان ما لا يجعل لنا سبيلا الى الظن بأن الرأي العام فيهما لا يعطف علينا نفس ذلك العطف عندما يقف على الحقيقة تبسط هذه الوقائع لعصبة الامم فهي تقترف باسماها ولا شك أنكم تأبون أيها السادة المندوبون أن يستمبد شعب بأسره باسم مقاصدكم السامية وباسم أوطانكم وباسم انتدابكم . العهد ناطق بأن مهمة المندوب قاصرة على المساعدة والمشورة ، ولم يكن في التصور أن يدخل في معناه اكرام امة مستقلة على الخضوع لمثل نظام المفوضية السامية المطلقة في التصرف بمائلة لسلطة ماكم في مستعمرة ان أحد المؤلفين المرتابين في عاقبة عملكم قد عرف الانتداب في كتاب حديث وضعه في حقوق الدول (مارسل موان - سراي - باريس ١٩٢١

منفحة ٧٢) فقال «هو مظهر من أخاديع السياسة الدولية يقصد به التلبيس في الاستيلاء على مستعمرة مشتبهة»

ولكن في نفوسنا من الاحترام لسمو الغاية التي تتوخاها جمعية الامم ما لا يفسح لنا مجالاً للاعتقاد بأنكم لا تفندون هذا التعريف المصيب الذي طالما نشدق به شر خصوم جمعية الامم

ان السلطة التي تستمدونها من المواد ١١ و ٣ و ٢٢ من عصبة الامم تخولكم أن تأخذوا قضية بلادنا هذه في أيديكم وتسيروا بها في سبيل الحق نتشرف بأن نلجأ الى سلطتكم العليا لنتطلب منكم أن تجملوا الدفاع عن حقوق لبنان واستقلاله تحت حمايتكم فهو مهدد بنظام الوصايات المذكور في المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم ومهدد أيضاً بالاسلوب الجائر الذي تفسر به الدولة المنتدبة لصوص الانتداب

لقد كان لبنان منذ ١٤ قرناً ذا وحدة سياسية مستقلة متمتاً بسيادته التامة وكانت الحكومة العثمانية كلما حاولت تحديد حقوقه تبوء بالفشل المبين ففي سنة ١٨٤٢ جرت تركيا وضم عمر باشا مندوباً سامياً فاضطر الى الرجوع بعد قدومه ببضعة اشهر وهو الموظف الوحيد الذي رآه لبنان حتى سنة ١٨٦١

وتجنباً لانفراد احدى الدول العظمى في التحكم في لبنان وضم المجمع الاوربي الدولي سنة ١٨٦١ نظاماً اساسياً له تقرر فيه مبدأ سيادته وحكمه الذاتي وهذا النظام مؤسس على النقاط الآتية

١ - الاستقلال الاداري والاقتصادي

ب - الحياد السياسي

ج - ضمان الدول له

د - سيادة تركيا الاسمية

ثم أن سيادة تركيا زالت بعد الحرب فلم يبق بد من أن تكون للبنان سيادته التامة مؤسسة على المبادئ الثلاثة الاولى المذكورة آنفاً، ولكن لم يكن الاشي من هذا القبيل ويا للأسف: ان استقلال لبنان قد خرق باحتلال الجنود الفرنسية بلاداً احتلالاً عسكرياً وخرق بتحكم الادارة الفرنسية في جميع شؤون البلاد

وهذان الخرقان من الاعمال القاضية على نظم لبنان الاساسية المحترمة
من جيم الدول الى هذا العهد

— ٣ —

ثم اننا نوجه نظركم الى اعطاء الحكومة البريطانية عهداً لليهود في ٢ نوفمبر
سنة ١٩١٧ بمنحهم وطناً قومياً في فلسطين وهذا العهد قد تكرر في المادة
٩٥ من معاهدة سيفر المقودة في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢١
ان هذا العهد مخالف لحقوق الامم ولا يتفق مع الوعود التي نالها الشعب
العربي من السير هنري مكماهون المندوب البريطاني باسم الحلفاء
كان الشعب السوري مستعداً دائماً لمقابلة الاجانب بحسن الوفادة ولكن
لا يجوز اكرام العرب أصحاب البلاد منذ أجيال على اعطاء اليهود وطناً قومياً
في فلسطين (أنظر الملحق الثالث)

كان اليهود قبل عشرين قرناً قد ملكوا بين غيرهم من الشعوب قسماً من
فلسطين فهما يكن قدر ما نالته الحضارة من اليهود فليس تمت مشروع ضليم
يجراً على الادعاء أن تملكنا زال منذ عهد الامبراطور تيطس يخول سلائل
أصحابه الاقدمين حقوقاً ضد الوطنيين أصحاب البلاد الشرعيين الآن ؟
فاذا فتح الباب لمثل هذه الدعوى فالى أين المنتهي ؟ ألا يجب عندئذ أن يسمح
للعرب باسترجاع الاندلس وليونان باستعادة سيرا قوسه المدينة اليونانية
في عهد أرخميدس ؟

— ٤ —

فالمؤتمر السوري الفلسطيني يطلب اذاً منكم أيها الرئيس والاعضاء
الكرام ما يأتي =

(١) الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ولبنان وفلسطين
(٢) الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معاً بحكومة مدنية مسؤولة
أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في
شكل ولايات متحدة (فيدراسيون)

(٣) اعلان إلغاء الانتداب حالا

(٤) جلاء الجنود الفرنسية والانجليزية عن سورية ولبنان وفلسطين

(٥) إلغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين.

فاذا لم يكن لدى عصبة الامم الاستنارة الكافية وأرادت أن توقن أن ما بسطناه هو رغائب الشعب الحقيقية فنحن نرجوها أن ترسل الى سورية ولبنان وفلسطين لجنة تحقيق ذات سلطة كافية لتتمكن من اجراء تحقيق نزيه . وأن يعطى أهالي سورية من جمعية الامم ضمانا بأن يكونوا آمنين من انتقام المحتلين واضطهادهم اذا أبدوا آراءهم بحرية ، وذلك بأن تأمر بجلاء الجنود التي تضغط على الاهالي . وتفضلوا أيها السادة الرئيس والاعضاء بقبول فائق احترامنا من الامير ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري ومندوبها

رئيس

رئيس المؤتمر السوري العام في دمشق . ونائب رئيس

السيد رشيد رضا

الاتحاد السوري ومندوبه

نائب رئيس

مبعوث سابق — رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في

الحاج توفيق حماد

نابلس (فلسطين) مندوب المؤتمر الفلسطيني الممثل

نائب رئيس

الاهالي المسلمين والمسيحيين

الامير شكيب أرسلان

مبعوث سورية سابقا — مندوب حزب الاستقلال العربي

سليم عام

عضو مجلس لبنان الاداري

عضو سليمان كنعان

سكرتير سابق لسلطان تركيا — رئيس سابق لبلدية

حلب ولتشرقيات البلاط السوري — مندوب حزب

عضو احسان الجابري

الاستقلال العربي

عضو في الوفد العربي الفلسطيني ومندوبه — مستشار

» أمين التميمي

رئيس الوزارة في دمشق سابقا — مفتش ملكي في

السلطنة العثمانية سابقا

رئيس اللجنة الفلسطينية بمصر ومندوبها

» وهبه الميمني

مندوب الوفد العربي الفلسطيني وسكرتيره وأحد أعضائه

» شبلي الجمل

مندوب حزب الاستقلال العربي

» رياض الصلح

» » » »

» نجيب شقير

صالح عز الدين	عضو	مندوب الجمعية السورية الوطنية في بوسطن
طعان المهاد	»	» الحزب الوطني العربي في الارجلتين
جورج يوسف سالم	»	» حزب تحرير سورية في نيويورك
توفيق اليازجي	»	» « استقلال سورية ووحدها في سانتياغو (شيلي)

(المنار) صرفنا النظر عن نشر ملحقات هذا النداء في الرحلة وقد طبعت معه على حدة ووزعت مجاناً

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخصة ونفي

مجاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان



وانعد الآن الى اكمال حديث المجاعة : لا يسعني ان احصي المساعي التي سعيها لاجل جلب الاقوات اللازمة من الداخل الى لبنان والساحل ، وفي هذا المعنى لا بد ان تكون برقياتي أيضاً مسجلة في دفاتر التأخراف ، ثم لما جاء بطيريك الموارنة الى صوفر للسلام على جمال باشا ، وهذا أبدى له مزيد الحفاوة ، وكان معه المطران بولس عوادور هط من أعوانه — تكلمت مع جمال أماءهم بما يتهدد البلاد من الجوع — وكان الشيء على أوله — وكان كلامي بصراحة تامة ، فشكر لي البطريرك فيما بعد هذه الهمة كثيراً . ثم اني لما رأيت علي منيف بك متصرف لبنان قد أسس في الجبل عدة ملاجئ لاطعام الاولاد وهياً لها لوازمها وكانت كلها في كسروان والمثن طلبت منه الماعدة في تأسيس مثلها في الشوف ، وأسست ملجأ في عين عنوب وآخر في مغواية بقرب شرتون وآخر في بريح ، وجمعت لها جميع الثياب والاعطية والاكسية اللازمة من بيوت أرباب الحمية من ذوي اليسار ، وأجرى عليها المتصرف الارزاق الكافية من ادارة الاعاشة ، وعاش بها مثبات من الاحداث ممن

لا ملجأ لهم ، وكان نحو ٩٠ في المائة من الاولاد الذين عاشوا في هذه الملاجئ مسيحيين مع ان الالبسة والمفروشات جيء باكثرها من بيوت الدرروز ، ولكن لم نكن نشعر بهذا الفرق أصلاً ولا سيما أيام الحرب . ثم لما وجدنا الامر اشتد عن ذي قبل ، وانه لا مناص من شر هذه المسغبة الا بالاتفاق مع الحلفاء على الاذن بتسريب الاعانات من طريق البحر، راجعنا متصرف لبنان ووالى بيروت وهما راجعا الباب العالي وجرت مساع من الباب العالي لكي يفاث أهل سورية كما أغيث أهل بلجيكا وغيرها بواسطة الحلفاء فذهبت جميع مساعي الباب العالي سدى . واذا بأميركا قد أرسلت باخرة وقيل باخرتين مشحونتين أقواتاً وألبسة بناء على إلحاح السوريين في أميركا ، ووصلت هاتان الى ميناء الاسكندرية ، وذلك في أواخر سنة ١٩١٦ وانعقدت الآمال بهما الا بل نزلت أسعار الدقيق قليلا في بيروت بمجرد اشاعة وصولها الى نهر الاسكندرية . وتألفت في بيروت لجنة من مسلمين ومسيحيين لاجل استقبال هذه الارزاق وتوزيعها على المعوزين من جميع الطوائف ، وبات الناس يرقبون وصولها والاعناق مشرئبة والعيون محدقة نحو البحر وهذه الارزاق لاتصل . وكان مجلس النواب العثماني قد افتتح ، وتأخرت عن ميعاد الافتتاح نحو شهر بسبب اشتغالي بتأسيس الملاجئ . ثم ذهبت الى الاستانة فأول شيء عملته وقبل ان أرى أحداً من رجال الدولة هو انني قابلت سفير الولايات المتحدة ، وسألته عن سبب تأخر هذه الارزاق في الاسكندرية ، فأجابني بكون حكومته تأني تسليم هذه الارزاق الاعلى شريطة توزيعها بمعرفة قنصل أميركا في بيروت ، والحكومة العثمانية تستنكف من ذلك فصدقت كلامه ولكنني قلت له : ان كان مرادكم عمل الخير واجابة طلب السوريين الذين في أميركا فلا يجوز أن تتوقفوا بعالم كهذه . ثم ذهبت الى طلعت باشا أعاتبه على مثل هذه التصعيبات والعلات التي لا طائل تحتها عند ما يكون الناس يموتون جوعاً . فأجابني هذا طلب كنا طلبناه في الاول ثم بناء على إلحاح سفارة أميركا رجعنا عنه وها أنا ذا افوض اليك ان تتفق مع سفير امريكا على الشرط الذي يريد وانا أنفذه . فذهبت الى السفير وأخبرته بما جرى فقال انه يريد مكتابة بذلك من

نظارة الخارجية ، فذهبت الى احمد نسيمي بك ناظر الخارجية وهو أخ حميم لي ، فاستكثبته الذي أراده السفير ، ثم عدت الى السفير وقالت له : هل بقي شيء الآن ؟ فقد أجبناك الى طلبك فلم يبق الا أن تأمر بارسال البواخر الى بيروت ، فقال لكن أمامنا عقبة ثانية قلت : ماهي ؟ قال : نخاف من أن غواصات الالمان المنتشرة في البحر المتوسط تفرق السفن المذكورة . قلت تأتي بأمر من المانيا الى الغواصات فذهبت الى سفير المانيا فون كولمان ، وحكيت له القصة فأخذني بنفسه الى الملاحق البحري بالسفارة فون هومان (وهو الان المحرر السياسي الاول في جريدة دوتش الغاين تسابتونغ) وقال له : اكتب له مايشاء ، فأخبرته بطلب سفير أميركا واستكثبته الانهاء المعجل بعدم تعرض الغواصات للبواخر المحملة أرزاقا لسورية ، وبعد أيام ذهبت أسأل عن الجواب فتأخر الجواب نحو ٢٠ يوما لان البرقيات اللاسلكية اذا أرسلت الى الغواصات وهي في البحر جائلة قد يقع فيها غاط فلا بد من انتظارها حتى ترفأ الى مراسيها . فلما ورد الجواب بألفته السفارة الالمانية الى السفارة الاميركية ، ووجدت أنا أستنجز سفير أميركا وعده ، فبدلا من أن يفرح بانحلال العقدة رأيتهم ضجر وتبرم ، وقال لكن بقيت الغواصات الخمسوية فقطت له لا يوجد للنمسا غواصات الا في بحر الادرياتيك لحماية أسطولها ولم يبق ثمة من خطر ، فقال لا بد من الامر لها أيضا فحصلنا على الامر من النمسا بواسطة سفارة المانيا ورجعنا اليه . ولكن كنت بدأت أصدق ما كان قاله لي طلعت من كون المانع الحقيقي ليس من الدولة العثمانية بل من الانكليز . فلما أخبرناه بأن العقدة الاخيرة هذه قد انحلت قال لكننا أصبحنا لا نقدر على ارسال هذه البواخر لان الولايات المتحدة قررت اعلان الحرب على المانيا فقلنا له هذه مسألة سبقت اعلان الحرب بأشهر ، على ان الحرب لما تعلن فيمكنك أن تأمر بارسال البواخر من الاسكندرية الى بيروت ، وكل ذلك يتم في يومين قبل شهر الحرب منكم على الالمان ، فلم يقتنع ، فقلنا له أنتم ستعلنون الحرب على المانيا لاعلى تركيا فلا معنى لحبس هذه الارزاق عنا بهذه العلة ونحن من المملكة العثمانية لامن المانيا فبقي براوغ ، فقلت له حولوا هذه المسئلة الى دولة متحايدة كاسبانيا أو هولاندا

فانها مسألة انسانية لا مدخل لها في السياسة فلم يجابوب بالايجاب، وعندها صرحت له بقولي : قد تحققت كون طلعت باشا هو الذي قال الحقيقة وان تركيا ليست هي المانعة لوصول الارزاق بل انتم لا تريدون ايصالها وتنجبون أن تعتذروا للسوريين الذين في أميركا بكونكم عمائم الذي عليكم وإنما تركيا وقفت سداً في وجه هذا الخير . ولكن الحقيقة ان تخفى وكنت في جميع هذه المساعي وحدي من المبعوثين السوريين لم يشاركني أحد من زملائي لا لنقص في حميتهم ومروءتهم بل لاعتمادهم علي واعتقادهم بنفاذ كلامي . ثم لما قطعنا الامل من جهة أميركا حولناه نحو اسبانيا وأشرنا على ناظر الخارجية بمفاتحة سفير هذه الدولة فلم يمكن عمل شيء ثم دفعت أنور باشا أن يراجع البابا بواسطة القاصد البابوي في الاستانة فاستدعاه وقال له : ان قلة الاقوات في البلاد بسبب تطاول الحرب قد أعجزتنا عن ميرة جيشنا والاهالي معاً ، وقد بدأ الجوع في سورية لاسيما في لبنان وغداً انامات جماعات من المسيحيين تجعلون اللامعة عايناء، فها نحن أولاء نخبركم بالواقع ولا يصعب على الحضرة البابوية أن تنال من الحلفاء الاذن بارسال باخرة مشحونة أرزاقا كل شهر مرة لاجل نصارى سورية ولاسيما لبنان . وان احتج الحلفاء بكون المقصود هو توزيع أكثرها على المسلمين فنحن نتعهد بترك التوزيع الى قاصد البابا في بيروت والى البطاركة ولا ندخل في هذه المسئلة أصلاً ، وان ظهر من أول بعثة تأتي اننا مددنا يدنا الى شيء منها فعليكم أن لا تعيدوا التجربة ثم ان كان البابا لا يريد أو لا يقدر أن يؤدي عن هذه الارزاق فانا أودعها اليك أيها القاصد من صندوق الحربية . فشكره القاصد كثيراً وذهب وكتب الى القاتيكان فلم يرد شيء فراجعت أنور فقال لي انه فاض القاصد ولا يزال منتظراً الجواب ، ثم استدعاه ثانية فقال له القاصد قد بلغت مرجعي كل ما ذكرتم ولكن الى اليوم ما جاءني جواب . وسترون فيما يأتي السبب في عدم الجواب

عند ما ذهبت الى المانيا سنة ١٩١٧ دعيتي الحكومة الالمانية ان أعمل سياحة في عواصمها الشهيرة مثل هامبورغ وفرانكفورت وكولونييه ولايبسغ ومونيخ وغيرها وأرسلت معي رفيقا خاصا من نظارة الخارجية وأبرقوا الي كل الاماكن بالاحتفاء

بنا كما يعملون للضيوف الاعزاء ، ولما وصلنا الى مونيخ أدبت لنا البلدية مأدبة عظيمة حضرها نحو ٣٠ رجلا من وزراء الحكومة البافارية ورجال السيف والقلم ، ثم طلب منا المسيو كريخ قنصل تركيا وهو من أعيان مونيخ أن نلقي محاضرة بحضور ملك البافيار وجمع من أعيانها وذلك في الليلة الثانية فالتقينا محاضرة في فندق (بايريشرهوف) حضرها الملك وكثير من رجال تلك الدولة ومن الوجوه وأرباب الاقلام وكان موضوعها (سورية في أثناء الحرب) وقد اخترت أنا هذا الموضوع قصداً لاذكر ماجرى فيها من أهوال المجاعة بحيث ذكرت الجرائد ثاني يوم ان الملك رق جدا لسماع هذه المحاضرة ، ثم جاءني المسيو كريخ فيما بعد وقال لي : انه قد حدث قاصد البابا في مونيخ وهو من مشهورى الكرادلة وقص عليه ما ذكرته من كون الحكومة العثمانية سمعت بواسطة بعض الدول المتحايدة لدى الحلفاء في جلب أقوات من طريق البحر الى سواحل سورية ، وكون أنور باشا استدعى القاصد البابوي في الاستانة وكلفه ان يعرض الامر الى حضرة البابا ، وانه الى هذه الساعة لم تحصل أدنى نتيجة . فطلب قاصد مونيخ من المسيو كريخ تقريراً بذلك فجاءني وأعطيته التقرير اللازم مفصلاً بامضائي وذكرت فيه اني أتعهد بالنيابة عن الحكومة العثمانية انه مهما ورد من الارزاق بواسطة الحضرة البابوية الى سورية فلا تتعرض له الدولة لافي قليل ولا في كثير ولا يتناول منه أحد من المسلمين حبة واحدة

نعم لنا من ذلك فائدتان الاولى وقاية اخواننا واطنا المسيحيين من المجاعة ، والثانية كون القليل الوارد البنا من الداخل والذي نتقاسمه واياهم الآن ولا يسد حاجتنا ولا حاجتهم بصيرفيه كفاية نوعاً . ثم ذكرت في هذا التقرير جملة مؤثرة ، وهي ان الحضرة البابوية ان لم تغث نصارى الشرق في أزمة كهذه اللازمة فمتى يرجون اذا مساعدتها ؟

وبعد نحو ١٥ يوماً من كتابة هذا التقرير بينما انا في فندق أدلون الشهير في براين اذ جاءني تلغراف من المسيو كريخ يني في بورود جواب الفاتيكان ، وان ماله سيرد علي في كتاب مضمون . ثم لم يلبث ان ورد الكتاب وهو من المسيو كريخ نفسه يذكّر فيه ملخص ماورد من الفاتيكان على قاصد مونيخ من الجواب

على تقريرى حتى انه يضع بعض العبارات بين قوسين اشارة الى انها هي الواردة
بعينها من الكرسي البابوي . ومآل الكتاب ان البابا سعى من قبل مراراً وكرر
السعي هذه المرة ولكن دولة . . . (وأشار الى احدى دول الحلفاء) لا تزال تعارض
في ارسال هذه الاقوات الى سورية لذلك « فؤاد الاب الاقدس مجروح من خطة
هذه الدولة » ثم يقول : وسيعلم مسيحيو الشرق فيما بعد ان الخبر الاعظم لم يهملهم
في أزمته هذه ولكن ... الخ

واقدم اطلع بعض صحافي الالمان على هذا الكتاب فاحبوا ان ينشروه فلم
أجبههم الى ذلك خشية ان أثير مشكلة ، واجعل قبلا وقالا بين البابا وتلك الدولة .
ولكن هذا الكتاب لا يزال عندي والمسيو كرينج لا يزال حيا . وبعد ابائي الى
الامانة حررت الخبر الى لبنان ، وأتذكر انني كنته الى الشيخ بان الخازن من
وجوه الموارد . وكافته ان يطلع عليه غبطة البطريرك

وبالاختصار اذ المسؤولية الحقيقية تقع في مجاعة سورية على أولئك الذين
أبوا ادخال الاعانات الى سورية وهم معروفون وكان جل مقصدهم بذلك ان
يغضوا الدولة العثمانية الى الاهالي ويجعلوهم مستظريين زوالها ومجيبين لهم ، وان يقتلوا الناس
جوعاً ليقولوا ان الاتراك هم الذين قتلوهم . وأغرب من عماهم هذا ان اناسا يعتذرون
عنهم باعتذار واهية^(١) ، ويزعمون أنهم لم يكونوا يقدرون على اغاثة جياح سورية ، وقد لقيت
منذ نذير في برن رجلا سوريا مقبلا بالقطر المصري يقول ان سبب عدم ارسال الارزاق
الى سورية هو كون البواخر لا تقدر ان ترقا الى سواحل سورية من الاقام . . . فليسمع
الانسان هذه الاضاحيك وابتأمل . وأغرب من هذا الاغرب ان اناسا يعرفون الحقيقة
ويكتمونها ويستمرّون على نعمة ان الاتراك هم سبب المجاعة وان الحلفاء أرادوا رد سورية
ولا تترك رفضوا . وقد بلغ الامر من تضيق الحصر البحري على سورية ان بعض
السوريين بمصر جمعوا إعانات تقدّبة لارسالها الى سورية وحيل بينهم وبين
مشروعهم وهذا أيضا معروف بمصر مع انها نقود لا حبوب . ويقال ان
الفرنسيس كانوا يرسلون دراهم خفية الى الموارد من جزيرة ارواد ولكن الذي

(١) اني له عن ذي السفوك معتذر أدول حنانه في سفنكته تها

كان يعوزهم هو القوت بعينه لا الدرهم، فان الدواة كانت تتعهد بدفع اثمان جميع الاقوات بشرط وجودها، فكان على الفرنسيين ان يفرغوا باخرة مشحونة طعاما ذلك خير من ارسال حجارة رنانة لا تؤكل

هذا ما عندنا من الادلة والبراهين على كون المجاعة هي ناشئة عن الحالة الحربية وعلى كون استمرارها نشأ عن الحصر البحري ورفض بعض الدول ايصال شئ من القوت الى الجياع. فان كان عند غيرنا أدلة على العكس فليأتوا بها بدلا من ان يتشدقوا بالاقتوال الفارغة ان كانوا يقدرون ان يثبتوا ان الدولة كان عندها في الحرب الارزاق الكافية وان المجاعة لم تشتد الا في لبنان فقط وانه لم يمت مسلمون من الجوع كمات من النصارى بل أكثر وان مئات ألوف من أتراك الاناضول لم يموتوا - فليدلوا على ذلك بحجتهم

ان كانوا يقدرون ان ينكروا كون العسكر العثماني نفسه قل في الاخر غذاؤه وصار الجنود يفرّون بالالوف من قلة الطعام مع الجهد والقتال مما لا يبقى معه محل للشك بكون المجاعة لاجل مجاعة لا تجوع بها - فليأتوا ببرهانهم

ان كانوا يقدرون ان يجحدوا كون الارزاق التي ارسلت من أمير كالا جل سورية وقفت في الاسكندرية ولم يكن السبب في وقفها هناك الترك بل غيرهم وكذلك النقود التي جمعت بمصر لاجل الفقراء من السوريين لم يرخص في ارسالها الى سورية - فليعطونا على ذلك بيّنة واحدة

ان كانوا في شك مما ذكرناه من مساعي أنور باشا مع قاصد البابا في الاستانة ومساعدينا مع قاصده في مونيخ لاجل اغائة مسيحيي لبنان خاصة، وكيف فشلت وبسبب من فشلت تلك المساعي؟ فليسألوا الفاتيكان نفسه

نحن عمنا الذي عمناه اثناء الحرب من خدمة وطننا ومعاونة أبناء وطننا قياماً بواجب الانسانية والوطنية لا نريد من أحد جزاء ولا شكورا . ولم نكن نتصور ان نساق في يوم من الايام الى التلويح أو الاماع بخدماتنا هذه لانه لا يوجد شئ أسمج من عمل الخير والمن به . ولكن أبي حسد الحساد و بغض الذين في قلوبهم مرض الا أن يحملونا باقتراثهم ومباهاتهم على نشر حقائق كنا نود لو بقيت مطوية

ولقد حوررنا منها ما اقتضاه المقام الآن وسنستوفي الباقي في كتاب عن ذكريات الحرب. وانا نراهن ونخاطر كل أحديكم صد الانكار أن يأتي بدليل واحد على كوننا اشتركنا أثناء الحرب بأذى أقل مخلوق من أبناء وطننا أيا كان في أي موضوع كان، بل نراهن ونخاطر كل من شاء أن يأتي بحجة تبطل دعوانا بما بذلناه من المساعدات وقدمنا من الخدمات (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)
(الى الله مرجعكم جميعا فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون)

شكيب أرسلان

بزائن في ٤ يناير سنة ١٩٢٢

الخلافة الاسلامية

وترجمه بالعربية	ألفه باللغة الاوردية
أحدث تلاميذ دار الدعوة والارشاد	أحد زعماء النهضة الهندية
الشيخ عبد الرزاق	مولانا ابو الكلام
المليح آبادي	محي الدين آزاد
محرر جريدة (بيغام) الهندية	صاحب مجلة الهلال الهندية

﴿ فصل ﴾

(اذا بويح الخليفتان فاقتلوا آخرهما)

أي اذا قامت خلافة خليفة وتمكنت حكومته في الارض فلا يجوز لاحد الخروج عليه، ومن يخرج يجب قتله، لانه غادر وفتنة ومهلكة للهيئة الاجتماعية، يريد أن يفرق بين المسلمين ويهدم النظام القائم (والفتنة أشد من القتل)^(١)

(١) المنار : الفتنة المرادة من الآية هي ما كان من اكراه المشركين للمسلمين على الرجوع عن الاسلام بالتمذيب والنفي من الوطن فاللام فيها للعهد لا الجنس

وعن عريضة الاشجعي قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه » (احمد ومسلم)

ولذا اتفقت كلمة المسلمين ^(١) ان الخليفة سواء كان أهلاً أو غير أهل اذا قامت خلافته ، لا يخرج عليه ، ومن يخرج يقتل بعد اتمام الحجّة عليه والدعوة الى الصلح (فقاتلوا التي تبغي) (٤٩ : ٩)

وفي نيل الاوطار : قد حكى في البحر عن المعترة جميعاً ان جهادهم أفضل من جهاد الكفار في ديارهم ، اذ فعلهم في دار الاسلام كفعل الفاحشة في المسجد (ج ٧ ص ٨٠)

وحكمة هذا الحكم ظاهرة ، لانه لو لم يسد باب الخروج بتاتا لاتسلم الحكومة الاسلامية من الخارجين والناظرين مهما كانت صالحة وحسنة ، ومهما كان صاحبها أهلاً وجامعاً للشروط ، اذ كل ذي عصبية يدعى لنفسه الحق والفضيلة أكثر منه والناس لا يستطيعون التفاضل بينهما فيتفرقون حزبين حزب مع هذا وحزب مع ذلك ، ثم يخوضون غمار حروب لا تنتهي أبداً فوجب أن يمنع الخروج منعاً تاماً ، ويعاقب الخارج عقاباً شديداً ليكون عبرة لغيره ، فقتل نفس واحدة خير من قتل الالوف ، وقد أشير الى هذه الحكمة في الحديث « يريد أن يشق عصاكم » —

وقد وردت في هذا الباب أحاديث كثيرة من يرد الاطلاع عليها فليراجع كتب الصحاح —

﴿ فصل ﴾

(اجماع الامة وجمهور الفقهاء)

قد قامت حكومة أمراء بني أمية على القهر والاستبداد في زمن كان أصحاب النبي (ص) وأئمة أهل بيته موجودين فيه بكثرة زائدة ، ثم تلتها الخلافة العباسية وظلت خمسة قرون . وفي عصرها دونت العلوم الشرعية ، وألفت الكتب الدينية ، ووجدت أئمة المذاهب ، بيد أنه لم يختلف طول هذا الزمن أحد من الصحابة والمعترة ، والأئمة والفقهاء في هذه المسئلة بل كاهم

(١) المسئلة خلافية فيما ذكره وهو أعم مما ورد في الحديث

أجمعوا على قول واحد ، وعمل واحد ، ولعله لا يوجد بعد العقائد الأساسية وأركان الاسلام الاربعة إجماع على شيء غير هذا -

فعمل الصحابة معلوم ومشهور كان مروان بن الحكم والياء على المدينة وأبو هريرة صحابي رسول الله (ص) مؤذناً في المسجد النبوي وكان مروان يستمجل في الصلاة التي درجة لا يقول «التأمين» استئثالا، ولا يقف بعد الفاتحة وقفة ليقوله المأمومون بل يسرع ويبدأ بمد أم الكتاب بسورة أخرى ، مع أن فضل التأمين ثابت في السنة كما في حديث « فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » (بخاري) ولكن مع هذا لم يتخلف أبو هريرة عن الصلاة ورائه ولم يخرج من طاعته - الا أنه كان يأخذ عليه العهد فيقول « لا تفتني بأمين »^(١)

وكذلك كان الناس في عهد بني أمية يكرهون سماع خطبهم الخرافية ، فكانوا يتفرقون بعد صلاة العيد ولا ينتظرون الخطبة فأراد مروان أن يخطب قبل الصلاة ليضطر الناس الى سماعها - فقام رجل في وجهه وأنكر عليه عمله فروى اذ ذاك ابو سعيد الخدري رضي الله عنه حديثه « من رأى منكم منكراً فليغيره الخ »^(٢)

وهكذا كان أمراء بني أمية يخالفون صريح السنة كل يوم ، وينكر عليهم الصحابة بكل جرأة وشجاعة ، ولا يتركون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن مع كل هذا لا ينزعون اليد عن طاعتهم ولا يخرجون عليهم ، ولا ينكرون خلافهم لاجل أن خالفوا النظام الشرعي وتسلطوا على الخلافة بغير حق وحادوا عن الصراط السوي

(١) استدل على دعوى الاجماع بسكوت الافراد وسكونهم ومن الضروري أن الفرد لا يقاوم الدولة لمجزه وقد روى البخاري وغيره أن أبا هريرة كان يكفي ويعرض بما سمع من النبي (ص) في افساد أغيلمة من قريش لأمر هذه الامة - وهم هم - ويقول انه لو صرح لقطع بالعموم ولا شك في أنه لو كان له قوة من الامة لاسقط بها امارتهم كما فعل المسلمون بعد ذلك عندما أسسوا العصبيية والمراد أن المسلمين لم يجمعوا على الخضوع لاهل الجور والباطل وتقدم نقل الخلاف في حاشية سابقة

و (٢) المنار: تمة الحديث - « بيده فان لم يستطع فبأسانه فان لم يستطع فبقلمه ذلك أضعف الإيمان »

وكان سيد التابعين سميد بن المسيب يقول في بني مروان « يجيعون الناس ويشبعون الكلاب (تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٤٧) ويماقب بأنواع من العذاب والسكن يطيعهم ولا ينكر خلافتهم (٤) »
وقد قامت فتنة القول بخاق القرآن في عهد المأمون والمعتصم ، وابتلي بها علماء السنة ابتلاء شديدا ، فجلد الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ثمانين جلدة وحبس في السجن سنين عديدة ، ولكن لا داهن المأمون والمعتصم في بدعتها ولا خرج عن طاعتها بل كتب في وصيته « والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، ولا تخرج عليهم بالسيف ، ولا تقاتلهم في الفتنة » كذا نقل عنه ابن الجوزي في سيرته -

وقد نقل ابن حجر المسقلاني قولاً لابن التين يخالف ما قلناه من الاجماع فقال وقد أجمعوا أنه (أي الخليفة) اذا دعا الى كفر أو بدعة أنه يقام عليه ثم رد عليه قائلاً : ما أدعاه من الاجماع على القيام فيما اذا دعا الى البدعة مردود الا اذا حمل على بدعة تؤدي الى صريح الكفر والا فقد دعا المأمون والمعتصم والواثق الى بدعة القول بخلق القرآن ، وعاقبوا العلماء من أجابها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الاهانة ، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك ، ودام الامر بضم عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فابطل المحنة « (فتح ج ١٣ : ١٠٣)

والحقيقة التي لامراء فيها أن كل ما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر به من طاعة الخلفاء وما ينبغي أن يعاملوا به ، فسره السلف الصالح بعلمهم الحق ، وقد علمت في الفصول الماضية الاحاديث التي تبين أدوار الخلافة الاسلامية وما لكل دور من الاحكام ، فدور الخلافة الراشدة كان دور رحمة واسعة للامة ، وأما دور الملك العضوض فكانت خصائصه المتضادة ، وأحواله المتناقضة ، ابتلاء عظيماً لها ، فكان ذا وجهين مختلفين اجتمع فيه البياض والسواد ، والنور والظلمة ، والحق والباطل ، ويستلزم الحب والبغض ، والترك والطلب والقطع والوصل والطاعة والخلاف - وطولبت الامة بالقيام بكل منهما في وقته ومحلّه فتطيع هؤلاء الملوك وتسمع لهم لانهم أولياء الامور والقائمون بالحكومة الاسلامية ، فلا تخرج عليهم ولا تقوم في وجههم ، ونهيت من جهة اخرى أن تتبعهم وتقتدي بهم لان أئمتهم لا تكون مرضية ، فتطيعهم ولكن لا تستن بسنتهم ، وإن دعوا

الى المنكر ردت دعوتهم، وخالفتمهم في ذلك باليد واللسان والقلب ولا تزيغ عن الحق ابتغاء لمرضاةهم -

فما أصعب هذا المقام ! ولعمري إن الانسان ليزل قدمه دون أن يبلغ هذا ، فكيف السبيل الى القيام فيه ؟ لان الانسان طوع عواطفه فلا يستطيع أن يجمع بين عاطفتين متناقضتين، فانه إما أن يحب ويطيع واما أن يبغض ويعصى ، فمن يحسبه أهلاً لحبه وطاعته يحلو منه كل شيء في عينه فيطيعه بكل قلبه ولا يعصى له أمراً، ومن يبغضه يبغضه بكل قلبه فلا يطيعه البتة. نعم لا سبيل الى النجاح الا أن يدركه الله بتوفيقه ، فيجعل كل عاطفة في محلها ، ولا يدع بعضها يغلب بعضها الاخر فيهلك ويضل ضلالاً بعيداً - لانه لو تجاوز الحد في الطاعة دخل في الاقتداء والتأسي الذي يجر الى الغلو في الباطل والانحراف عن الحق، ثم انه لو تصلب في المخالفة وغلا في الامر بالمعروف خشياً عليه الخروج من الطاعة ومن ثم الولوع في الحروب وقتل النفوس والفوضى ، وهذه هي علة تلك الفتن التي لاتزال تنزل بهذه الامة من ثلاثة عشر قرناً، لان الناس لا يستطيعون التوازن بين العواطف، فكم من أناس غلوا في التمسك بالحق والامر بالمعروف فخرجوا على السلاطين والخلفاء ، وأضعفوا بعملهم هذا الخلافة والامة معاً، وكم مثلهم من غلوا في الطاعة فجعلوا الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، مداراة للامراء والملوك فافسدوا بذلك نظام الامة

ولقد ابيضت عين الدهر ولم تر أمة سارت على مثل هذا الطريق الاجتماعي المحفوف بالمصائب والمصاعب سالمة آمنة الا الامة الاسلامية ، فانها ولاشك سارت عليه بكل فوز ونجاح وسلامة، مراعية كل جوانبه، متجنبه جميع مزالقه، فعملت في آن واحد عمليتين متناقضتين فأطاعت الخليفة وخالفته ، أطاعت فيما تجب فيه طاعته، وخالفت فيما تجب فيه مخالفته، وقد شرحت بعملها مسألة «الاقتداء والطاعة» والفرق بينهما بكل وضاحة تحير منها علماء الاخلاق اذ لم يكونوا وفقوا الى حلها من قبل -

وأبي طاعة للحكومة القومية تكون أكمل من طاعة الصحابة والتابعين للامراء الجائرين المستبدين من بني امية، ثم من بعدهم من طاعة علماء السلف لدعاة البدعة من الخلفاء العباسيين ؟ فقد عذبوا بأنواع من الظلم والعسف ، وحبسوا في السجون ، وقتلوا واذوا بكل ما كان يمكن أن يؤذوا به ولكنهم

محمّلوا كل ذلك ولم يخرجوا عن الطاعة قيد شبر، بل اذا حرضهم أحد على العصيان قالوا « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ونحن بايعناهم »

هكذا كانت حالهم في الطاعة ، أما التمسك بالحق والامر بالمعروف والعمل بالسنة فكانوا فيه كالجبال راسخين ، فلم يهابوا سيف عبد الملك ولا قهر الحجاج ولا تنذر المأمون والمعتصم ، فاذا نطقوا نطقوا بالحق ، واذا عملوا عملوا بالحق ، ولم يكن في قلبهم سمة لشيء الا لكتاب الله وسنة رسول الله ، فهم عملوا بكل دقة على أمر « تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (مسلم) وعلى أمر « فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وأمر « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (مسلم)

وحسبنا محنة الامام احمد بن حنبل عبرة ، فقد كان يجلد ظهره تسعة رجال والمعتصم واقف على رأسه ينظر الى دمه الطاهر الذي يفوز من جسمه فوراً ويأمره بأن يقول كلمة في القرآن ما قالها الله ولا رسوله ولا أمر بها ، فكان يتحمل كل هذا العقاب الشديد ولكن لا يفوه بشيء الا قوله « أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول ! »^(١)

(١) المنار : قد سدد الكاتب في آخر هذا الفصل وقارب ، ولا شك في أن عمل علماء الصدر الاول من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار كالامام أحمد خير قدوة في كل محنة - ولا شك في أن أفراد الامة لا يجوز لهم الخروج على أمرائهم وان ظلموا ، ولا يجوز لهم طاعتهم في معصية الله الا من أكره بالتعذيب أو القتل على الشيء وحكمه وشروطه معروفة وأما جماعة أهل الحل والعقد من زعماء الامة الذين لا تنعقد الخلافة الا ببيعتهم ويتقيد الخليفة بمشورتهم فحكمهم غير حكم الأفراد - هؤلاء هم الجماعة يمثلون الامة صاحبة السلطة في الاجماع الواجب الاتباع الذين عناهم الخليفة الاول بقوله في خطبته الاولى بعد البيعة : فاذا استقمتم فاعينوني واذا زغت ققوموني . فعليهم أن يقوموا الخليفة فان لم يستقم بتقويمهم خلعهوه وولوا غيره : فاذا غلبهم المستبد المتغلب على أمرهم أو فقدوا من الامة شدة الجور والقهر فقد زالت الجماعة وصار أمر الافراد أمر ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ، ويجب السبي الدائم لازالتها

باب الانتقاد على المنار

﴿مسألة ثواب القراءة للموتى﴾

أرسل الينا صديقنا الرحالة الجليل السيد محمد بن عقيل من (المكلا) ما يأتي بغير امضاء :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب في المنار في الصحيفة ٨١ وما بعدها من ج ٢ م ٢٣ لسنة ١٤٣٠م مقالة مطولة في عدم وصول ثواب قراءة أحد من الناس الى شخص آخر مطلقا وكثير مما نقله غير صحيح فيما نرى

وقد عن لنا أن نرقم شيئا خطر بالبال عند قراءة ما جاء في المنار فنقول أولا ان الاعمال ما لم تكن خالصة لله تعالى لا تقبل وما لا يقبل فلا ثواب فيه فقراءة المستأجر أو صاحب الوقف إنما هي من باب طاب الدنيا بعمل الآخرة وهو مذموم فأبي ثواب يهبه هذا المغرور ثانيا بعض أعمال المكاف لا يمكن أن ينفك عنه ثوابها ولا يمكنه أن ينتفع بأمر آخر بدونها وذلك الايمان وأعني به المقدار الذي لا يخلد في النار من اتصف به وقريب من هذا ما تنصيح به النفوس من آثار الاعمال

ثالثا يدور كلام المنار في منع الاهداء للثواب على شبهة تيز (أولاهما) ما فهموه غلطا من الحصر في نحو قوله تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى : لسانا كسبت وعليها ما اكتسبت) وهن الاحاديث الواردة في هذا المعنى وهذا الحصر إنما عناه قصر الاستحقاق على سبيل الوجوب فيما ذكر طبق العدل الالهي والامر في الدنيا هكذا أيضا لكل مكاف ربح عمله وعليه تبعته وليس في شيء من الأدلة ما يمنع أن يتكرم الله سبحانه وتعالى بوجود منه وفضل على عبد من عبده

ابتداء منه طولاً ورحمة لا يسابق عمل ولا سعي وهذا غير التضعيف الذي نواته صالح الاعمال، كما أنه ليس فيها ما يمنع أن يفوز المؤمن بشفاعة من يأذن له بالشفاعة ثواباً ودرجات وأن ينال بسبب دعاء من يقبل الله دعاءه ما لم يسع فيه أو يخطر له ببال، وكذلك ليس فيها أنه لا يصل إليه من الثواب ما يهديه إليه اخوانه من عمل صالح مقبول والشبهة الثانية ان اعمال المكلف ليست من ممتلكاته كعروض التجارة الخ والجواب عليها اننا نعلم أن ثواب الاعمال الصالحة لا يجري مجرى عروض التجارة ولكنه مع ذلك قابل للانتقل من شخص الى آخر فينتفع به غير عامله أي ما خلا ما استثنيناه آنفاً— كما ورد من أخذ حسنات الظالم واعطاها للمظلوم وأخذ سيئات المظلوم ووضعها على الظالم وهل هذا الا من التصرف. وأما دليلنا فيما استثنيناه فهو أننا لم نطاع على نص يفيد سلب ايمان أحد ليعطى لآخر فيدخل هذا في النار وذلك في الجنة بخلاف ثواب الاعمال وعقابها. وأما مطلق المنع فعليه فيما أفهم شمة من قول الوعيدية ويوضح ما رجحناه من جواز الهبة وانتفاع المكلف بعمل غيره آية اللاحق (ألقنا بهم ذرياتهم) والاحاديث الواردة في ذلك المعنى وفي بعضها «كنت أعمل لي ولهم» وإذا صح أن ينتفع الشخص بعمل قريبه من أصل أو فرع صح أن ينتفع بما وهب له فذاك كالميراث وهذا هو الهدية أو الهبة أو الصدقة أو الصلة أو ما شئت . جعلنا الله ممن غمره جود جوده في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه . وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله اه

[المنار] إننا بسطنا أدلة ما قررناه في هذه المسألة وبينا بالبراهين الصريحة من القرآن أن من أصول دين الله تعالى على السنة جميع رسله (أن لا تزوروا وزر اخرى وأن ليس الانسان الا ماسعى) وأن أصل الاديان الوثنية التي سرت عدواها الى كثير من أهل الكتب السماوية هي أن المجرمين انما يتنجون بعمل الصالحين أو بجاههم لا بأعمال أنفسهم . وبينا ان الله تعالى ألحق بالمؤمنين ذرياتهم ، وأنه شرع للمؤمنين أن يدعوا بعضهم لبعض ، وان النبي (ص) اذن لبعض الاولاد بناء على الحاق الله اباهم بوالديهم ان يقضوا عنهم بعض حقوقه تعالى عليهم الخ فما قررناه مبني على الاخذ بصريح النصوص الثابتة في الكتاب والسنة مع مراعاة

القاعدة المعروفة وهي ان أمور الآخرة لا تعلم الا من كلام الله وكلام رسوله وانه ليس للأراء العقلية حكم فيها ولا هي مما يعلم بالاقيسة الاحتهادية كمسائل البيع والاجارة ، فظنون المجتهدين لا مجال لها في عالم الغيب ولا في شيء من مسائل العقائد

وصاحب هذه الرسالة قد زعم ان كثيراً مما قلناه وما نقلناه غير صحيح . فاما النقل فلم يستطع اثبات زعمه في شيء منه البتة . وأما غيره فقد وافقنا فيه في أمور وانفرد بمسائل ليست من موضوع البحث كقوله ليس في النصوص ما يمنع أن يتكلم الله على عبد من عباده الخ وهل يمكن لعبد أن يجبر على ربه أن يتكلم ؟ لا وليس لعبد أن يفتات على ربه بمحض رأيه أيضا فيخبر عنه بما لم يخبر سبحانه به عن نفسه في كتابه ولا على لسان رسوله أو يقيد ما أطلقه وهو يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم) ويقول في بيان أصول الجرائم والكفر (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو قد حصر ما زعمه من تخطئة المنار في شبهتين (احدهما) الاخذ بما فهمه

المحققون من العلماء - كالامام الشافعي رحمه الله تعالى - من الحصر في آية النجم وما في معناها من الآيات والاحاديث ، وزعم ان هذا الفهم غلط قال وانما معناه قصر الاستحقاق على سبيل الوجوب الخ وهو تقييد لحصر مطلق لا دليل له عليه ، ولا سلف له فيه ، وهو في آيات كثيرة وردت في بيان الجزاء الذي يجب الايمان به كقوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) لا في بيان ما يجب عليه تعالى منه وما لا يجب ، والحق انه تعالى لا يجب عليه شيء الا ما أوجبه على نفسه ، أي اثبتته وأكده في وحيه بمشيئته التي تتعارض مع حكمته . ومسألة الوجوب على الله تعالى عقلا يقول بها المعتزلة وينكرها أهل السنة

(والشبهة الثانية) التي زعمها مسألة جعل عبادات المؤمن كهروض التجارة يتصرف فيها وفي ثوابها المجهول في الآخرة فهو قد ادعى ان ثوابها قابل للانتقال وللعامل أن يتصرف فيه قبل أن يملكه بأن يهبه وهو في الدنيا أو يتصدق به . واستدل عليه بأخذ الله تعالى من حسنات الظالم للمظلوم دون أخذ إيمانه وجعله لغيره ، وهو استدلال باطل لانه قاس فيه تصرف العبد في الدنيا بما لم يملكه ولا يعلمه من أمر الغيب على تصرف الرب في الآخرة (يوم لا تملك نفس لنفس

شيئا والامر يومئذ الله (كما قاس عمل كل عامل على عمل الوالدين الاولاد الذين
 أحقهم الله بهم وعد النبي (ص) عملهم من عملهم ، لانهم سبب وجودهم وما تبعه
 من أعمالهم . وكلاهما من القياس مع الفارق والفرق مثل الصبيح ظاهر ، ولو صح ان
 القصاص يوم القيامة معارض الآية لم يكن حجة علينا لانه خارج عن محل النزاع
 ولاننا نحن نستثنى من عموم النصوص ما خصصها من كتاب أو سنة صحيحة
 بالشروط الثابتة في تخصيص العام من الاصول لا بالرأي وهوى النفس ، ولولا
 الشرع لكننا نهوى ان نقدر على نفع امواتنا وأن يقدر أحيائنا على نفعنا بعد
 موتنا ، وهل عم هذه البدعة الا كونها موافقة للإهواء ؟ والصواب أنه لا
 تعارض وأن المقاصة في الآخرة كحكم الشرع في الغرامات في الدنيا فهو لا ينافي
 أن لكل إنسان ملكه ولا حق له في ملك غيره ، وانه لا يملك الا ما جعله
 الشرع مالكا له ولا يؤخذ منه باختياره وبغير اختياره الا ما أذن به الشرع . قال
 الامام المازري في حديث مسلم في المقاصة بالحسنات والسيئات الذي نقلناه في تفسير
 هذا الجزء : وزعم بعض المبتدعة ان هذا الحديث معارض لقوله تعالى (ولا تزر
 وازرة وزر اخرى) وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بيته لانه انما عوقب بفعله
 ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لقرمائه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت
 وبقيت بقية قوبلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه وعدله في عباده
 فأخذ قدرها من سيئات خصومه فموقب به في النار فحقيقة العقوبة انما هي بسبب
 ظلمه ولم يعاقب بغير جنابة وظلم منه . وهذا كله مذهب اهل السنة والله اعلم . اهـ
 من شرح النووي على صحيح مسلم

﴿ انتقاد آخر في الموضوع ﴾

من صاحب الامضاء الرمزي في بيتن زورغ (جاوه) في ٣٢ شوال ١٣٤٠
 حضرة الفاضل المحترم السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

بمد السلام والتحية والاكرام اني اطلمت على ما ذكرتم في عدد ٨١ من
 المنار في مسألة انتفاع اموات المسلمين بما يهدى لهم من ثواب قراءة او ذكر
 وذكركم أن جواب ابن القيم عن هذه الحجة ضعيف جدا وأطالم الكلام في

ذلك وهذا الشيء معمول به في سائر الاقطار الاسلامية بل يؤجرون على ذلك لمن يقرأ القرآن على الختمه شيء معلوم (كذا) وعلى التهليل من جاب ٧٠ الف مرة فله كذا وكذا ويهدي ذلك الى ارواح الاموات ولا أحد يعترض عليهم في ذلك لان وصول ثوابه الى الاموات وعدم وصوله وقبوله عند الله تعالى من الامور الغيبية التي لا يعلمها الا الله وأنتم تقولون إنه لا يصل اليهم ثواب القراءة والذكر فمن أطلعكم على ذلك وفضل الله واسع والظن بالله جميل ومع ذلك انكم خطأتم ابن القيم وأكثرتم الأدلة والتأويلات في هذه المسئلة ولو فرضنا انها بدعة كما ذكرتم فهي من البدع الحسنة وليس يأثم من قرأ القرآن والذكر واهدى ثوابه للاموات بل يثاب وليس هي من البدع المضرة في الدين وقد ورد في الخبر «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» أو ما هذا معناه .

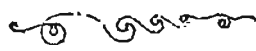
وقال الامام الشافعي رحمه الله البدع بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة وتنقسم البدع الى خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة وهذه المسئلة ترجع الى أي قسم من هذه الاقسام أفيدوني وأجركم على الله وأرجو أن تنشروا جوابكم في المنار على ما ذكر

ا . ح . ب . ر

(المنازل) اعلم أيها الاخ المستفهم أن أصول دين الله تعالى وفروعه مبنية على أساسين (أحدهما) ان لا يعبد الا الله تعالى (ثانيهما) ان لا يعبد الا بما شرعه . ونحن قد بنينا على هذا الاصل ولم نتجراً على عالم الغيب ، وانما وقفنا عند النصوص فعبادات الدين لا تثبت الا بنص من كتاب الله تعالى او سنة رسوله (ص) وليس لاحد ان يزيد فيها برأيه شيئاً فان الله تعالى قد اكمل دينه على لسان رسوله بنص الآية المشهورة . وكل بدعة في الدين فهي ضلالة بنص الحديث الصحيح ، واجماع علماء الامة ، واما البدعة التي قالوا انها تكون حسنة وسيئة المشار اليها بحديث «من سن سنة حسنة» فهي في المستحدثات الدنيوية فالحسن منها هو النافع كبناء القناطر والمدارس والمستشفيات وتدوين العلوم والصناعات والحرف ، والقبيح منها هو الضار في الدين أو الدنيا ، والحسن يكون واجبا أو مستحباً ، والقبيح يكون حراماً أو مكروهاً ، وما ليس من هذا ولا ذاك فهو المباح كستحدثات الزينة غير المحرمة والطيبات من الرزق . وهذه انما تسمى بدعاً في اللغة لا في عرف الشرع ومن صرح بأن البدعة اللغوية هي التي تعترها

الاحكام الخمسة ، والبدعة اللغوية لا تكون الاضلالة - ابن حجر المكي الهيثمي في ص ٢٠٦ من الفتاوى الحديثية المطبوعة بمصر. ولو ابيح للناس ان يزيدوا في العبادات لضاع الاسلام كما ضاعت اديان الرسل السابقين بتصرف اتباعهم فيها. وكل هذه المسائل مبينة في مواضع كثيرة من المنار بدلا ثلها التفصيلية ويمكن مراجعتها مستدلين عليها بالفهارس

ثم اعلم ايها الاخ ان عمل الناس بغير المشروع وسكوتهم على انكار المنكر لا يغير حكم الله في ذلك ولعلمكم رأيت ما حققه في هذه المسألة السيد محمد اسماعيل الامير في رسالته (تطهير الاعتقاد) التي نشرناها في الاجزاء الاخيرة وهو ان الناس يعملون منكرات كثيرة مجمع على تحريمها وقد صارت فاشية في جميع بلاد الاسلام. ولكن الامة لا تجمع على السكوت على المنكر ولهذا تجدون في كل عصر من ينكر كل بدعة تحدث. وقد نقلنا عن العلماء انكار هذه البدعة ومن لم ينكرها اجتهادا فهو معذور



تعزيتان

جاءتنا كتب وبرقيات كثيرة في التعمرية عن شقيقنا السيد صالح من هذا القطر ومن أقطار أخرى - فرأينا أن ننشر كتابين منها الكاتين في الذرورة من خواص أدبائنا، والصفوة من أصدقائنا، لما فيهما من رثاء فقيدها، وبيان بعض مكاتبه عندهم وعندنا، الأول من ملك دولة البيان، الامير شكيب أرسلان، والثاني من أبي حنيفة العصر، ورب النظم والنثر، الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ الطرابلسي وهو أعز أخلاء الفقيد

﴿ الكتاب الاول ﴾

رومة ١١ يونيو ١٩٢٢

سيدي الاخ الاستاذ

أنت تعلم أن أقل حادث يسؤك ويكدر صفو خاطرك يسؤني جدا، ويحمني أدا، فكيف إذا كان رزا عظيما كالذي رزته، وخطبأفادحا كالذي تحملت وقره، وكانت الفجيمة بالاخ الخطير، والصنو الجليل، والركن الذي كان يعتمد عليه البيت الرضوي الاصيل، لا جرم اني اشاطرك بأوفر سهم من وقم ذلك السهم الايم، واكرع معك مرارة تلك الكاس وما يكرع معك الجيم الا الجيم، لقد كنت منذ مدة أعجب لا نقطاع كتبك عني ولا أقدر لذلك سببا سوى

عدواء الاشغال ، فاذا به عدوان الدهر ، ومصائب الايام ، واذا بي أقرأ خبراً
عرفت منه سبب انقطاع اخبارك ، واحتباس آثارك ، الا وهو انتقال المرحوم
السيد صالح الى جوار ربه ، فنزل علي ذلك النعي الفجائي نزول الصواعق ،
وان كنت اعلم ان الدنيا كلها ان هي الا مجال لغراب البين الناعق ، وتخيلت لهذا
حزنك وارتماضك لهذا المصاب ، بما انت عليه من رقة الشمور وفرط الحنان ،
وشفوف شفاف الجنان ، وبمكان الاخ الراحل بذاته من الفضل والنبيل ، وانه
الذي يؤسف على مثله لذاته وصفاته ، قبل علاقته ومضافاته ، فلا حول ولا
قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون ، ليس لنا الا التأمل في زوال الدنيا وانها
دار قلعية ، وان هذا اليوم لا بد منه ان لم يكن اليوم فغداً ، فاخلتق كلها موتى
منذ الآن من ليس يميت فعلا فهو ميت حكماً ، وقافلة واحدة منها واصل
ومنها من هو على أهبة الوصول ، وكلاهما بالغ امدده جزماً ، اذا ليس للمتخلف
منا أن تذهب نفسه حسرات على أمر كلنا بالغه ، وفراق كلنا وارده ، بل قد
يكون السابق منا أسعد حالاً بمفادرة حياة هي اشبه بالممات ، وبغمض عين هو
عين اليقظة وان كان يظن انه سبات ، فضلاً عما هناك من فضيلة الصبر التي مثل
الاستاذ السيد من تحلى بحليتها ، واشتمل بحملتها ، لا بل من حث تلاميذه
الكثيرين ومريديه العديدين على التمسك بسنتها ، نسأل الله ان يحسن مثوى
العزيز الراحل ويكرم نزله ، ويبلغه من سمادة المنقاب امله ، وان يجعل في
السيد الرشيد العزاء ، ويطيل عمره لهذه الامة وبجزل ثوابه ، ومنى واجب التعزية
لحاضرة السيدة الوالدة أجزل الله أجزها ، وجبر قلبها والى حضرة السيد عاصم
والسيد محيي الدين واطال المولى بقاءكم جميعاً

الكتاب الثاني

سیدی الاخ الرشید اعظم له ولي الأجر ، والهمني واياہ الصبر ، علی فواجع الدهر
بلغني الخبر الذي صدع القلب وقعه ، واصم الأذان سمعه ، وضاعف الأحزان ،
التي ما زالت تلدها احداث هذا الزمان ، ولو وصل الي يقينه دفعة لاصباني
الكمد ، ولما بقي لي هذا الدماء القايل من الجلد ، ولكنني سمعته لأول الامر
من لا يتثبت في حديثه فرجحت أنه غلط عن المرض الخنجري الذي كان ألم
بالفقيد العزيز عوضه الله الجنة — أو طاب لنفس أن ترجح ذلك ضنا منها
بتلك الحياة الثمينة ، وبقيت في حالة الشك مدة لقيت فيها السيد ابراهيم آدم

غير مرة، وسألته عن ورود كتاب من قبلكم، ولم أستطع أن أخرج في السؤال عن هذا الحسد خشية أن أسمم من الجواب ما ينقلني من أعراف الشك الى جحيم ذلك اليقين، وهو حرسه الله لم يشأ أن يزيدني مما عنده اشفاقاً علي، وتفادياً من مبادهتي بوقوع ذلك الخطب الجليل، ولكن لم يلبث ذلك الشك والهف نفسي أن صار يقيناً محرقاتاً، أو سهواً مصحياً

الشك أبرد للحشى من مثله يألوت شكى فيه دام وطالا

وهناك عالجت من الاجزان الفادحة ما لو كان بالروض الاريض لاذواه، أو بالصخر الاصم، لا بلاه وعلمت كيف يسطو الكمد على الاكباد فيذيبها، وكيف يبيط الجزع بالانفس فيحول بينها وبين الصبر حتى لا نهتدي اليه سبيلا، ولا نجد عليه دليلا، ولعمري إن الرزء بالفقيد العزيز فقيد الفضيلة والادب، فقيد الشرف والحسب، فقيد الصدق والوفاء، فقيد الشمم والآباء، ليس مما يستطاع الصبر عليه، أو يتسرب السلوان اليه، وليس مما تخفف الايام آلامه عندي، أو تكاد تفي آثاره من نفسي، بل هو ألم الدهر، وحزن الابد، وكيف أجند صلوا ضمن لا أجند الفضائل اجتمعت في شخص اجتماعها فيه، بل كيف أجند صلوا ضمن لو نمت له لقضى عمره حسرات، وأفاض من شؤونه عبرات وأي عبرات، فوالهف تقس وهف الوفاء والمروة عليه، وياطول حزني وحزن الكرم، ومحاسن الشيم، ويا ما أحو جني عند هذه الممة الفادحة أن تعيرني أيها السيد الكريم جانبا من ثباتك، وذرروا من صبرك وأناذك، وأن ترغدني بحكمتك العالمة أحسن الله اليك العزاء، وأحسن ذلك لسيدتي والدتكم المحترمة ولنجل الفقيد النجيب السيد محي الدين حرسه الله تعالى وأوليته فضائل والده، وأحسن ذلك لشقيقه السيد حسن ولشقيقته الفاضلة السيدة حفصة ولكافة الأسرة الكريمة وأطمنا جميعا الصبر على فراقه وأسكنه فراديس الجنان، بين روج وريحان، وجنات ذات أفنان، وأطال الله تعالى بقائه والسلام عليكم وعلى من اليكم ورحمة الله وبركاته

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

المراق ومصر

ان بين مصر والمراق شبيهاً في مطالب أهلها وفيما تبغيه السياسة البريطانية

منهما ، فأما الاهالي في القطرين فيطلبون لا نفسها الحرية القومية والاستقلال السياسي والاقتصادي والاداري ولا يابون في حال موثاة الدولة البريطانية لهم على ذلك أن يتخذوها صديقة ويفضلونها وشعبها على سائر الدول والشعوب بمناقم عظيمة مضمونة ، وكل منهما قد ثار على السلطة البريطانية بحسب حاله — فتورة مصر كانت سياسية اجتماعية؛ وثورة العراق كانت حربية ، وقد قاومت السلطة البريطانية العسكرية كلا منهما بغاية القسوة والشدة فكانت الخسارة ثم اضطرت بعد ذلك الى سلوك سبيل اللين بأن تسمح لسكل من القطرين بأن يكون ذا دولة مستقلة في المظهر لها ملك ووزارة مسؤولة ومجلس شورى منتخب ودستور بشرط أن تقرر هذه الهيئات كلها وتضمن للدولة البريطانية كل ما تطلبه من الحقوق والمنافع في البلاد وتكون تحت رحمة جيش بريطاني محشر في قلب البلاد أو بعض أطرافها يمكنه في كل وقت تنفيذ ما عسى أن تأمر به دولته من التغيير والتبديل ومن سلب السلطة الوطنية ما ترى سلبه منها بالحجج التي تقيمها هي على أن لها الحق في ذلك . وهذه الحجج قد صارت معروفة الأنواع كدعوى ظهور عجز الاهالي عن القيام بشؤون بلادهم بغير مساعدة أجنبي ، ودعوى ظلمهم للاقلية الدينية والجنسية ،

وهذه التجربة لم تنجح في العراق فقد علم أن الرأي العام فيها كاره للانتداب رافض له وكثر الحديث في عقد معاهدة بين الحكومتين لا يذكر فيها الانتداب يضمن فيها للدولة البريطانية كل ما تنبغيه باسمه من سلطة ومنفعة ، وقد قيل مراراً أن المعاهدة قد وضعت وان الحكومة العراقية المؤقتة لم تقبلها ، فلم تتفق مع المندوب البريطاني السامي على انتخاب الجمعية الوطنية التي يشترط أن تقرها وهو لا يسمح باتخاذها الا بعد الاتفاق مع الملك فيصل ووزرائه على المعاهدة وعلى كفالة ايجاد جمعية وطنية ترضاهم وتقررها ، ولم تضمن له الحكومة ذلك وقد ظهر بهذا أن الرأي العراقي العام — وكذا الخاص — لا يتم بالالفاظ والمظاهر دون الحقائق كما يزعم الانجليز في الشرقين اذ قالوا في المصريين انهم ينفرون من كلمة الحماية لامن ممناها ، والامر المهم الذي يريد أن نذكر اخواننا العراقيين به هو أن الحقوق التي تمطيها العراق للانكليز اذا كانت محلة بالاستقلال التام المطلق فتقيدها بالانتداب أقل خطراً عليها من جعلها مطلقة لا يحاسب الانكليز عليها محاسب ، ولا ينازعهم فيها منازع .

بقرني الحكمة من بقاء ومن يؤت الملكة
فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الأولو الألباب

المسائل

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمرون القول
فبتمون أحسن أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام: إن الصلاة والسلام مني «ومنزلة» كمنار الطريق —

٣٠ ذي القعدة ١٣٤٠ — ٤ الأسد (ص ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من بيروت ﴾

(ش ٢١ - ٣١) من صاحب الامضاء

حضرة العالم العلامة والجهيد الفهامة مولانا الاستاذ السيد محمد أفندي رشيد
رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله

- (١) ما حكم الله تعالى ورسوله في رجل يمضي وقتاً كل يوم في قهوة عمومية
بها مسكرات واهب ميسر ولعب بليارد وغير ذلك مع أنه لا يتعاطى شيئاً من ذلك
كله وينكر ذلك بقلبه بل قصده تمضية وقت فم-ل يجوز له الجلوس أم لا ؟
- (٢) وهل سماع الادوار الغنائية من الرجال وضرب النساء على البيانو والعود
حرام أم لا ؟ — (٣) وهل الخرنجسة وما الاحاديث الصحيحة الواردة في
نجانستها ؟ (٤) وهل الاسبيرتو والبنزين نجس أم لا — (٥) وهل صلاة
الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم مستحبة ؟ وهل ورد في ذلك احاديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم أم لا — (٦) وهل يجوز المسح على الخف المقطع وعلى

(١) ههنا يجب التدقيق فيما جزء به الصمداني كيف ان له مع النقل عنهم بالمعنى

وهل كل صمداني بلغه النهي عن تصديقهم

الجواب (مايسمونها العامة باثربات) الصوف والقطن أم لا ؟ تفضلوا بيانها
 ماجاءت به الشريعة المطهرة والله يتولى مشورتكم
 السائل
 م . ط . ل

﴿ الجواب عن مسألة القعود مع مرتكبي كبائر المعاصي وه شاهدتهم ﴾

قل الله تعالى (٦٨ : ٦) واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم
 حتى يخوضوا في حديث غيره . وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى
 مع القوم الظالمين (٦٩) وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن
 ذكرى لعلمهم يتقون (٧٠) وذروا الذين اتخذوا دينهم هروا ولعبا وغرهم
 الحياة الدنيا) الخ وقال تعالى (١٣٩ : ٤) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم
 آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الآية
 هذا حكم الله فيمن يرى الباطل والمنكر أو يسمعه من غيره ، وهو انه منهي
 عن القعود مع أهله ، لان أقل ما في قعوده إقرار ما يرى ويسمع واحترام أهله ولا استئناس
 به وهو نوع من المشاركة فيه وراجع تفسير الآيات في ص ٤٦٣ من جزء التفسير
 الخامس و ص ٥٠٣ من الجزء السادس أو في المنار

وقال رسول الله (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع
 فبإسائه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف لايمان » رواه مسلم وغيره من حديث
 أبي مسعود البدرى (رض) وقال (ص) « إياكم واجلوس بالطرقات » قولوا
 يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال « فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا
 الطريق حقه » قالوا وما حقه ؟ قال « غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر » رواه البخاري ومسلم . والاحاديث في هذا كثيرة وهي
 واضحة المعنى ، وقلمواظب أحد على مجالسة أهل المعاصي والانس بهم الا وشاركهم
 في معاصيهم ولو بعد حين . وما يجده أولا من إنكار القلب وتوبيخ الضمير اندي
 هو أضعف الايمان يزول بالتدريج ، فليترك العاقل ربه ولا يغشى مجالس المنكرات

ويجاس أهلها الا لضرورة وبقدر الضرورة ان وجدت . وتقطع الوقت ليس بضرورة ولا حاجة صحيحة ، بل الوقت آمن ما يك العقل فعليه أن يصرفه فيما ينفعه في دينه أو دنياه ، لا فيما يعد وسيلة لى اضعافهما جميعا

﴿ الجواب عن مسألة سماع الفناء ، آلات طرب ﴾

مسألة السماع فيها تفصيل ، وخلاف عريض طويل ، وأكثر فقهاء المذاهب المشهورة يكرهون سماع الفناء أو كثرته ويحرمون ما زف المزمار واللاوتار ، والتحقيق ان الال فيها الاباحة ، وانها تعرض لها أحوال تكون بافتنة - وذرائع لمفسد تكون بها محرمة أو منكروفة ، وقد فصلنا القل فيها بذكر أدلة الحاظرين والمبيحين بتمييز صحيحها من سقيمها ووزن رواياتها بوزن الجرح والتعديل في الجزئين الاول والثاني من مجلد المار التاسع من ص ٣٥ - ٥١ و ٤ - ١٤٧ وفي الصفحة الأخيرة منها خلاصة الفتوى في عشر مسائل وله تشعة وكشف شبهات معترض في (ص ١٤٥) من المجلد السابع عشر

﴿ الجواب عن مسألتى نجاسة الخمر والسبيرة ﴾

أكثر الفقهاء قالوا بنجاسة الخمر وقال بعضهم بطهارتها ومنهم ربيعة شيخ الامام مالك من غلاء الساب والقاضي الشوكاني والسيد حسن صديق من فقهاء الحديث المتأخرين . ولا يوجد حديث صحيح ولا حسن مصرح بنجاستها . وقد فصلنا القول فيها من قبل في المجلد الرابع (ص ٥٠٠ و ٨٢١ وفي غيره ومنه) ص ١٨٤ م (١٧) والسبيرة لم يكن في عصر أذنة هذه المذاهب ولكن فقهاءها يقولون بنجاسته بناء على أنه نوع منها أو مستخرج منها ، وفي ذلك ما بحث طويلا فيما أشرنا اليه من فتوى المجلد الرابع وما تبعها . ولديا الآن فتوى من الهند بنجاسة كل من الخمر والكحول (السبيرة) سألنا عنها ونجيب في جزئه ثان ان شاء الله

﴿ صلاة الظهر بعد الجمعة ﴾

(ج) صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لم يرد فيها حديث صحيح ولا ضعيف
بل هي مسألة اجتهادية في مذهب الامام الشافعي (رض) وقد فصلنا القول فيها
مرارا (راجع فهارس المجلد السابع وما بعده

﴿ المسح على الخف المقطع والجوارب ﴾

(ج) اذا تقطع الخف فلم يعد ساترا للرجلين فلا يختلف الفقهاء في عدم
جواز المسح عليه لان عاتيه سترهما مع مشقة نزعهما وحكته انهما بالستر يظلان
ظاهرين نظيفين وكتاتهما تزول بهذا التقطع . والمسح على الجوارب الساترة جائز
وقد فعله النبي (ص) كما رواه أحمد وأصحاب السنن من حديث المفيرة
ابن شعبة وعصمة الترمذي وبجد السائل هذا البحث وما يتعلق به مفصلا في تفسير
آية الوضوء من سورة المائدة وهو في الجزء السادس من التفسير (ص ٥) والمجلد
السادس عشر من المنار (ص ٦٥٧ - ٦٦٥)

﴿ استمدال مشايخ الطرق لا تباعهم ونحكمهم في دينهم ودينام ﴾

(ص ٣٧) من صاحب الامضاء بالاسكندرية

حضرة صاحب الفضيلة العلامة السيد محمد رشيد رضا حفظه الله
بعد تقديم واجبات الاحترام لمقام فضيلتكم السامي : لا يخفى على مسلم اشتغالكم
بالعلوم والمعارف سيما ما هو خاص منها بالشريعة الاسلامية السمحة وما جبلتم
عليه من كرم الاخلاق وطهارة النفس ولذا جئت اليكم بالسؤال الآتي لازتم
مليجا لكل قاصد ودليلا لكل حائر آمين واني أستحلفكم بالدين الحنيف السمح
اجابتي على هذا السؤال على صفحات اول عدد يصدر من مجلتكم الفراء وهو :
(١) هل ورد نص شرعي يبيح لمشايخ الطرق أن يكلفوا المريدين أن
(المنار : ج ٧) (٦٣) (المجلد الثالث شرون)

يقبلوا رجل شيخهم باطنا وظاهرا؟ (٢) وهل يجوز لشيخ أن ينهى أولاده أو دراويشه أن يتعلموا العلم لان العلم على زعمه يوجد الكبر في النفس؟ وأن يمنع أحدهم أن يشتغل الا بمهنة واحدة بمعنى ان النجار مثلا لا يجوز له أن يشتغل بالحدادة وللحداد أن يمارس النجارة لان ذلك يحرم على زعمه . وان هذا الشيخ حتم على أولاده بأن يذكروا الله بيمض أسماء الله الحسنى مع ترك باقي أسمائه تعالى . واذا سأل عن تفسير آية أو حديث يفسر مسائل عنه وهو يدخن سيجارته ماذا احدى رجليه أو كاتبيهما معا ، وان هذا الشيخ جمع له جمعا عظيما من البسائط وذوي القلوب الضعيفة وعمل له طريقا وهو يتجول من بلد الى أخرى لتقويته فهل هذا الطريق شرعي؟

هذا هو السؤال وضحته لفضيلتكم ملتصقا الاجابة عليه كما ذكرت مع الشكر والثناء لاني في الحقيقة عامل مشتغل بالصناعة وبهمني كثيرا أمر ديني ، وفاتني أن أذكر لكم ان هذا الشيخ يزعم ان هذا الذكر مطابق للشرع وان الرسول صلى الله عليه وسلم جمع جمعا من أصحابه رضوان الله عليهم وذكرهم هذا الذكر اه وختاماً تفضلوا بقبول مزيد احترامي عبده منصور قنديل

(الجواب) ان من المصائب والزواجب أن يصل الجاهل بضروريات الاسلام في مثل هذه البلاد المصرية الى أن يحتاج بهض الناس الى السؤال عن هذه الضلالات والجهالات هل ورد فيها نص شرعي وان كان الغرض منه جعله وسيلة الى إنكارها — كما نظن — عسى أن يهتدي بما ينشر فيها من الإنكار بعض أولئك العوام لمساكين الذين يصدقون كل من يتظاهر بالصالح في كل ما يدعيه ويسلمون له كل ما يمزوه الى الشريعة وبحكيه عن الله تعالى وعن رسوله (ص) وهو يكذب في ذلك ويختلق بغير علم ولا حياء من الله ولا خوف من مسلم يعرف ضروريات الدين أن ينكر عليه كذبه على الله ورسوله وإفساده على العامة دينهم كالشيخ المشار اليه بهذا السؤال ، والعلماء الرسميون الذين احتكروا رئاسة الدين بقوانين الحكومة قلما يهني أحد منهم أقل عناية بأمر العامة بينحث أو سؤال، أو هدي

وإرشاد ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وهم يعلمون راعليه الناس ، فان ذكر على مصمهم مافشا في الناس من البدع المكفرة والمفسدة حوقلوا وتبرموا وقالوا : آخر زمان . ولكن اذا تصدى أحد لارشاد العامة و بيان حقيقة دينها لها وقال : هذا إيمان و ذلك كفر ، وهذه سنة وتلك بدعة ، وراوا له تأثيرا في العامة ، لا يهدم من أكبرهم عمائم وأطولهم لحى من يقوم في وجهه وينتصر للعامة عليه — فاذا ذكر بدع القبور بين ومنكراتهم التي تعد بالمشرات والمثات صاحوا في وجهه إنك تنكر زيارة القبور وكرامات الاولياء — واذا أنكر خرافات مشايخ الطريق اتى قباؤها لدين رأسا على عقب هاجوا عليه العاة : هذا مبتدع أو مهتلي أو وهابي ينكر كرامات الاولياء !! فبحماية استحباب زيارة القبور للرجال لاجل تذكر الموت والآخرة التي لم ينكرها وهابي ولا غيره يبيحون للملايين من النساء والرجال مثات من المعاصي المجمع على تحريمها والتي تقوم الادلة على كون بعضها ردة عن الاسلام وخروجها من الملة — ويادع من يصرح بهذا — وبحماية كرامات الاولياء التي توسعوا فيها توسعا تأباه سنن الله في خلقه وشرعه لهداية عباده يبيحون لاهل الطرق وتفسيرهم من الدجابين والمتوهين ، مثات من الخرافات المفرة عن الدين ، المشوهة لوجهه الجليل . وان بعض هؤلاء المعتمدين الرسميين ايمتحسون لهذه البدع والخرافات ويغارون عليها غيرة لو بذلوا بعضها للكتاب السنة لما عم الجهل بهما والاعراض عنهما العباد والبلاد ، حتى انهم يؤذون العالم النابغ لرئاستهم ويستعينون على أذاه بالحكومة اذا هودعا الناس الى السنة وأنكر تلك البدع عليهم ، كما فعلوا في دمياط غير مرة

ذلك ما جرى بعض دجاجة العوام على احتمال مشيخة الطريق والتصديق لارشاد الناس بل على إغوائهم وإضلالهم بما يعجز عنه كل شيطان مرید ، وماذا عسى أن نقول في مثل هذا الدجال الضفير وفساده اذا قسنه بكبار الدجابين ، الذين يمد أتباعهم بالملايين ، وبقدهم الالوف من العلماء المؤلفين ، والشعراء الفاوین ، كالشيخ احمد التيجاني الذي تستباح بالانتماء اليه جميع الفواحش والمنكرات للدعواه ان النبي (ص) ضمن لكل من يدخل في طارقتة

الجنة — وهو ما سنبينه في جزء آخر

وحسبنا في جواب هذا السؤال أن نقول بالأجمال ان ما يدعيه هذا الدجال كذب معلوم بالضرورة وما يحمل عليه اتباعه إفساد لدينهم وديناهم، فالدين لم يشرع فيه تقبيل رجل أحد ولا يده، وفي تقبيل رجل أي إنسان ذل تآباده عزة لا إيمان التي أثبتها الله لهباده المؤمنين، وتقبيل اليد ليس فيها لذاتها هذا المعنى من الذل ولكن لا يجوز أن يفعل على أنه من الدين، ولكل أحد أن يشتغل بكر حرفة وكل صناعة يرى له فيها ربحاً حلالاً، وليس لأحد أن يحظر عليه ذلك حظراً دينياً، ولا يقبل قول أحد في عبادة من ذكر أو غيره الا بدليل يسند فيه الى كتاب الله أو سنة رسوله (ص) والسلف والمجتهدون معذورون فيما اتبعوه بالاجتهاد من ذلك ولا يعذر فيه مثل لرجل المسئول عنه، وكيف يقبل قول من بلغ منه الجهل والضلال أن ينهى أتباعه عن طلب العلم الذي لا يصح بدونه عبادة وما ذلك الا أن العلم هو الذي يفضحه ويظهر جهاه، وكذبه على الله ورسوله مع سوء أدبه عند الكلام فيهما ماداً رجليه ناخماً خائفاً. ولم يبين السائل الذكر الذي حمل أتباعه على التزامه لتعلم هل له أصل ما في السنة أم لا، ولكننا قطع بأنه لم يرد في السنة شيء في التزام ذكر معين والاستغناء به كل ما سواه

﴿ تزوج المسلمين بالكتائيات ﴾

(س ٣٧) من وكيل المنار في الارجنتين السيد عبد الكريم عكره كتب الينا وكيلنا المذكور يشكو من تزوج بعض المسلمين السوريين ببعض نساء البلاد ورغب الينا ان نكتب في المنار تحذيراً لهم من ذلك لاعتقاده أنه غير جائز شرعاً

ونجيب عن هذا بأن نساء تلك البلاد كتائيات ونكاح المحصنات (العفيفات) منهن جائز بنص سورة المائدة المحكمة وعليه جمهور السلف والخلف. الا أنه هل عن عبد الله بن عمر (رض) منعه وحله وعلى المنع الشيعة الامامية. وقيده بعض الفقهاء ممن كن من سلائل أهل الكتاب قبل تحريف كتبهم وهذا من تدقيق

بعض الشاقفة . ونحن نعتقد انه جائز بالنص وانه لا يحرم الا لسبب آخر يدخل في باب سد الذرائع ، كأن يستلزم شيئاً من المفاسد المحرمة ، وأشدّها أن يتبع الاولاد كلهم أو بعضهم الام في دينها إما بحكم قوانين تلك البلاد وإما لكون المرأة أرقى من زوجها علماً وعقلاً وتأثيراً بحيث تغلبه على أولاده فتربيتهم على دينها وتعلمهم عقائده وعباداته فيشبهون عليه . وان من حكم حل هذا النكاح أن ترى المرأة غير المسلمة ما عليه زوجها من الدين العقول الموافقة للفطرة بعقائده وعباداته وآدابه واحكامه فيجذبها ذلك الى الاسلام . وإن أكثر المسلمين في تلك البلاد من العوام ولعلمهم يرغبون في نساء شمبها لانهم يرونهم فوقهم مكاة ولا أدري كيف يكون حالهم معهم ، فاذا كن يحترمنهم كما يحترمن الرجل من أبناء بلادهم وكانت عيشتهم معهم حسنة بالاحصان أي المنع من الفسق والاقتصاد وتربية الاولاد مع جعلهم تابعين لآبائهم في الدين فيكون هذا التزوج بهم حسناً مفيداً والا فلا

الهجر الجميل والصفح والصبير الجميل*)

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام ، العالم العامل ، الخبر الكامل ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام ، تقي الدين بن تيمية أيده الله وزاده من فضله — العظيم — عن الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل ، وما أقسام تقوى والصبر الذي عليه الناس ؟ فأجاب رحمه الله : —

الحمد لله . أما بعد فان الله أمر نبيه بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، فالهجر الجميل هجر بلا أذى ، والصفح الجميل صفح بلا عتاب ، والصبر

*) هذه الفتوى أو الرسالة ارسلها الينا مع كثير من امثالها صديقتنا علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي أثابه الله وسنشرها ثم نجمها في كتاب خاص انه شاء الله تعالى

الجميل ، صبر بلا شكوى ، قال يعقوب عليه الصلاة والسلام (انما أشكو بثي وحزني الى الله) مع قوله (فصبر جميل ، والله لما تعان على ما تصفون) فالشكوى الى الله لا تنافي الصبر الجميل ، وبري عن موسى عليه الصلاة والسلام انه كان يقول : اللهم لا تجلدني ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستفتى ، وعليك التكاليف . ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، اللهم الى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبلي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت الظلمات له ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي سخطك ، أو يحل عليّ غضبك ، لك الغنى حتى ترضى » ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر (انما أشكو بثي وحزني الى الله) ويكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف . بخلاف الشكوى الى المخلوق . قرىء على الامام احمد في مرض موته ان طاووساً كره أن ين المرض وقال : انه شكوى . فما أن حتى مات . وذلك ان المشتكى طالب بلسان الحال ، إما ازالة ما يضره أو حصول ما ينفعه ، والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه ، كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » ولا بد للانسان من شيئين طاعته بفعل المأمور ، وترك المحذور ، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور ، فالاول هو التقوى والثاني هو الصبر ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً) الى قوله (وان تصبروا وتمنوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط) وقال تعالى (بلى إن تصبروا وتمنوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا . أذى كثيراً ، وان تصبروا وتمنوا فان ذلك من عزم الامور) وقد قال يوسف (أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق

و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين

ولهذا كان شيخ عبد الله در ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة كلامهم بهذين الاصلين — المسارعة الى فعل المأمور ، والتقاعد عن فعل المحذور ، والصبر والرضا بالامر المقدور ، وذلك ان هذا الموضوع غلط فيه كثير من العامة بل ومن السالكين ، فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية ، دون الدينية ، فيرى ان الله خالق كل شيء وربّه ولا يفرق بين ما يحبّه الله ويرضاه ، وبين ما يبغضه ويبغضه وإن قدره وقضاه ، ولا يميز بين توحيد الألوهية ، وبين توحيد الربوبية ، فيشهد الجعم الذي يشترك فيه جميع المخلوقات — سمعها وشقيها — وشهد الجعم الذي يشترك فيه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والنبي الصادق ، والمتنبي الكاذب ، وأهل الجنة وأهل النار ، وأولياء الله وأعداؤه ، والملائكة المقربون والمردة الشياطين . فان هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجعم وهذه الحقيقة الكونية ، وهو ان الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره . ولا يشهد الفرق الذي فرق الله بين أوليائه وأعدائه ، وبين المؤمنين والكافرين ، والابرار والفجار ، وأهل الجنة والنار ، وهو توحيد الألوهية ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، وفعل ما يحبه ويرضاه ، وهو ما أمر به ورسوله أمر ايجاب أو أمر استحباب ، وترك ما نهى الله عنه ، ورسوله وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان . فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل الحقيقة لدينية والا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى ، فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى (وانن سألتهم من خالق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تدكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : الله ^(١) قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار ^(١) هذه قراءة أبي عمرو وبعثت في الآخرة وما بعدها وقرأ الباقر (لله) وهي المشهورة عندنا

عليه ان كنتم تعملون ؟ سيقولون الله قل فاني تسحرون ؟) ولهذا قال سبحانه
(وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال بعض الساف تسألهم من خلق
السموات والارض ؟ فيقولون الله . وهم مع هذا يعبدون غيره

من أقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين فهو كفر من اليهود
والنصارى . فان أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاؤا بالامر والنهي الشرعيين
لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله
ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا)

وأما الذي يشهد الحقيقة الكونية، وتوحيد الربوبية الشامل للخليفة، وبقرآن
العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة، فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين
الذين أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسله، وبين من عصى الله ورسوله من الكفار
والفجار، فهو لاء أ كافر من اليهود والنصارى^(١) . لكن من الناس من قد لمحو الفرق
في بعض الامور دون بعض، بحيث يفرق بين المؤمن والكافر، ولا يفرق بين البر
والفاجر، أو يفرق بين بعض الابرار، وبين بعض الفجار، ولا يفرق بين آخرين
اتباعاً لظنه وما يهواه فيكون ناقص الايمان بحسب ماسوى بين الابرار والفجار،
ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب ما فرق به بين أوليائه وأعدائه
ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة
وغيرهم الذين هم مجوس هذه الامة، فهو لاء يشبهون المجوس، وأولئك يشبهون
المشركين الذين هم شر من المجوس . ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضاً، فهو من
اتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخصمه كما نقل ذلك عنه

فهذا التقسيم من القول والاعتقاد . وكذلك هم في الاحوال والافعال .

(١) الاصطلاح الشرعي ان الكفرا-ا أطلق انصرف الى ما يقابل الاسلام
وبضاده فالمراد هنا أن من المسمين جنسية او ادعاء من هم ابعاد عن الاسلام من
اهل الكتاب . ويطلق الكفر احيانا بالمعنى اللغوي . واذا اطلق في عرف هذا
المصطلح فالمراد به الالحاد والتعطل المطابق ولا يدخل فيه اهل الكتاب كما هو ظاهر

فالصواب منها حالة المؤمن الذي ينقي الله فيفعل المأمور ، ويترك المحذور ، ويصبر على ما يصيبه من المقدور ، فهو عند الأمر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك . كما قال تعالى (اياك نعبد و اياك نستعين) . وذا أذنب استغفر وتاب ، لا يفتخ بالقدر على ما يفعله من السيئات ، ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات ، بل يؤمن بالقدر ولا يفتخ به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد « اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ، خلقتني وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت » فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ، ويعلم أنه هو هداه ويسر ما يسرى ، ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها ، كما قال بعضهم : أطعك بفضلك ، والمنة لك ، وعصيتك بعدلك ، والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتني ، الا ما غفرت لي . وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي أعمالكم ، أحصيا لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضوع .

وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة ، حسب الاستطاعة ، لكن ليس عندهم من شهادة القدر ، ايرجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر ، وآخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك اسكنهم لا يلتزمون أمر الله ورسوله واتباع شريعته . ولاملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين . فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه ، والذين من قبلهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه ، والمؤمن يعبد الله ويستعينه والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبد الله ولا يستعينه ، فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني . وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك ، وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك . فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني ، والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني ، أربعة أقسام

(أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم أهل السعادة في الدنيا والآخرة (والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر، مثل الذين يمثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هالعه

(والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كالاصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوات الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها . وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس

وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهونونه من المحرمات على أنواع من الاذى والآلام . وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك، يصبرون على أنواع من المسكروحات ولا يمكن لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

(وأما القسم الرابع) فهو شر الاقسام : لا يتقون اذا قدروا، ولا يصبرون اذا ابتلوا، بل هم كما قال الله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم اذا قدروا، ومن أبل الناس وأجزعهم اذا قهروا. ان قهرتهم دلوا لك وناقوك وحبوك واسترحوك، ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل، ون قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبا، وأقلهم رحمة واحسانا وعفوا، كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم

في كثير من أمورهم وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم
 وصناعهم ، فالاعتبار بالحقائق « فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ، وانما ينظر
 الى قلوبكم وأعمالكم » فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار واعمالهم كان
 شبيها لهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام أو ما يظهره منه بمنزلة ما معهم
 من الاسلام وما يظهرونه منه ، بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام
 من هو أعظم ردة وأولى بالاخلاق الجاهلية ، وأبعد عن الاخلاق الاسلامية ، من التتار
 وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته « خير
 الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة
 ضلالة » واذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ، فكل من كان
 الى ذلك أقرب وهو به أشبه ، كان الى الكمال أقرب وهو به أحق . ومن كان عن
 ذلك أبعد وشبهه أضعف ، كان عن الكمال أبعد وبالباطل أحق . والكامل هو من
 كان لله أطوع ، وعلى ما يصيبه أصبر ، فكلما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله وأعظم
 موافقة لله فيما يحبه ويرضاه ، وصبراً على ما قدره وقضاه كان اكمل وافضل . وكل
 من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك

وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعاً في غير موضع من كتابه وبين أنه ينتصر العبد
 على عدوه ^(١) من الكفار المحاربين والمعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين
 واصحابه تكون العاقبة قال الله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا ويؤتوكم من فورهم هذا يمددكم
 ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال الله تعالى (لتبلىن في اموالكم
 وانفسكم وتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشرکوا أفنى
 كثيراً ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا لاتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من
 أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم اولاء
 (١) المنار : كذا في الاصل والمعنى الذي يتضمنه المقام — أنه ينصر العبد
 الصابر على عدوه الخ وقوله بعده المحاربين المعاهدين غير ظاهر فان المعاهد غير
 المحارب واوله المعاندين

تحبوتهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم إلا تأمل من العميظ قل موتوا فميظكم إن الله عالم بذات الصدور. إن تمسك حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئته يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وقال اخوة يوسف له (نك لانت يوسف ؟ قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

وفي اتباع ما أوحى اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لأمره وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمديك بالعشي والابكار) وقال تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آباء الليل) وقال تعالى (استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) فلهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحة) . وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كاهل القوة والقسوة ومنهم من يرحم ولا يصبر كاهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن ، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كاهل القسوة واللماع . والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في المتولي ينبغي أن يكون قويا من غير عنف، لينا من غير ضعف، فبصبره يقوى وبليته يرحم، وبالصبر ينصر العبد فان النصر مع الصبر، وبالرحمة يرحم الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال « من لا يرحم لا يرحم » وقال « لا تنزع الرحمة الا من شقي » « الراحون يرحمهم الرحمن » ارحموا من في الارض يرحمكم من السماء » والله أعلم انتهى

الخلافة الاسلامية

<p>وترجمه بالعربية أحدث تلاميذ دار الدعوة والارشاد الشيخ عبد الرزاق الملح آبادي محرر جريدة (بيغام) الهندية</p>	<p>ألفه باللغة الاوردية أحد زعماء النهضة الهندية مولانا ابو الكلام محمد الدين آزاد صاحب مجلة الهلال الهندية</p>
---	--

فصل

(اجماع اهل السنة والشيعة)

ومثل الصحابة والتابعين كانت سيرة أئمة العترة عليهم السلام مع خلفاء بني أمية وبني العباس ، وان كانوا يرون أنفسهم أحق بالخلافة منهم ولكن مع ذلك لم يخرج عليهم أحد منهم ولا انحرف عن طاعتهم ، بل ظلوا تحت أمرهم طائعين لان حكومتهم كانت قد تمكنت ولما خرج من أهل البيت زيد ، أنكر عليه الامام جعفر الصادق عمله لنفس هذه العلة ، ولاجلها قبل الامام علي الرضا عهد المأمون بالخلافة اليه ، لانه لو لم يكن من المسلمين خلافته لما قبل العهد ، بل لرده واجتنبه منه ، ولكنه لما لم يفعل ذلك ثبت أنه كان يرى خلافة المأمون صحيحة وشرعية

ولا يؤثر عن هؤلاء الائمة الاظهار شيء يثبت انهم منعوا أحداً من طاعة خلفاء بني امية أو بني العباس ، بل في كتب الحديث للامامية (مثل أصول الكافي وغيره) ما يثبت أنهم مع اظهار استحقاقهم للخلافة وشكوى الغصب والتعدي عليهم منعوا الناس من الخروج والقدر -

وأقطع برهان على ذلك عمل أمير المؤمنين علي عليه السلام نفسه ، الذي

تدعي الامامية أن خلافته كانت منصوصة ، وأنه لم تكن الخلافة جائزة لغيره في حياته - ولكن مع ذلك معلوم لسلك الناس أنه عليه السلام لم يخرج على الخلفاء الثلاثة الذين مضوا قبله ، ولا تخلف عن بيعتهم ، ولا تنحى عنهم ، بل ظل عشرين سنة علي طاعتهم وموازرتهم ومناصحتهم ، حتى لحقوا بربهم ، وآلت الخلافة اليه ، فأثبت بعمله هذا أن الامة اذا اجتمعت على رجل فلا تجوز مخالفته وعصيانه والخروج عليه - بل على كل الناس ان يطيعوه ويسموا له - فاذا كان هذا غير جائز للخليفة المنصوص على خلافته فكيف يجوز لعامة الناس ؟

فأهل السنة والامامية كلاهما متفقان في هذه المسئلة . وأما الخلاف المشهور بينهما فانما هو في الخلافة الجمهورية ، أي اذا قدرت الامة على نصب الخليفة فمن تنصب ؟ فالشيعة تشترط أن يكون من أهل البيت فقط ، وأهل السنة ينكرون هذا الشرط ، ولكن اذا لم يبق هذا النظام ولم تقدر الامة على الانتخاب لتغلب المتغلبين على الخلافة ، فان قويت شوكتهم وانقادت لهم الامور انقيادا فكل من الشيعة واهل السنة يقول قولاً واحداً وهو أنه يجب طاعته والى هذا ذهب الزيدية وغيرها من الفرق الاسلامية -

❖ فصل ❖

(الشواهد من كتب العقائد والفقہ)

وانا لنورد ههنا بعض مقالات كتب العقائد والفقہ التي يتدارسها المسلمون في مدارسهم ومساجدهم من قرون عديدة ليسهل على الناس مراجعتها :

ففي شرح المقاصد « وأما اذا لم يوجد من يصلح لذلك ، أو لم يقدر على نصبه لاستيلاء أهل الباطل وشوكة الظلمة وأرباب الضلال ، فلا كلام في جواز تقليد القضاء ، وتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وجميع ما يتعلق بالامام من كل ذي شوكة » ثم بعد بيان شروط الامامة يقول « نعم اذا لم يقدر على اعتبار الشروط ، جاز ابتناء الاحكام المتعلقة بالامامة على كل ذي شوكة يقتدر ، تغلب أو استولى » وفيه أيضا « فان لم يوجد من قرئش من يجمع الصفات المعتبرة ، ولي كناني ، فان لم يوجد ، فرجل من ولد اسماعيل ، فان لم يوجد ، فرجل من المعجم »

وفي المرقاة شرح المشكاة « وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرم وإن كانوا
فسقة ظالمين » ويكتب في شرح حديث « من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد »
اي له اهلية خلافة أو التسلط والغلبة »

وفي الغامي « ويثبت عقد الامامة إما باستخلاف الخليفة اياه كما فعل ابو
بكر ، وأما بيعة جماعة من العلماء أو من اهل الرأي »

وفي المسامرة « والمتغلب تصح منه هذه الامور (أي ولاية القضاء
والامارة والحكم بالاستفتاء ونحوها) للضرورة وصار الحال عند التغلب كما
لو لم يوجد قرشي عدل ، أو وجد ولم يقدر (اي لم توجد قدرة على توليته لغلبة
الجزرة) اذ يحكم في كل من صورتين بصحة ولاية من ليس بقرشي ،
ومن ليس بعدل للضرورة »

وفي شرح المواقف ، بعد بيان شروط الامامة « ولكن للامة أن ينصبوا
فأقدها ، دفعا للمفاسد التي تندفع بنصبه » (٦٣٤)

وقد أعطي البحث حقه الحافظان حجر المسقلائي في فتح الباري حيث
يقول « وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ،
وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء ، وتسكين الدهماء ،
ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح - فلا تجوز
طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث « (ج ١٣ : ٧)
ويكتب في شرح حديث حذيفة « فاعتزل الفرق كلها » الخ « قال ابن بطال :
فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة
الجزور لانه وصف الطائفة الاخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم ومع ذلك أمر
بلزوم الجماعة » (كتاب الفتن ج ١٣ صفحة ٣١)

ويشرح حديث « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي »
بقوله « وأما لو تغلب عبد حقيقة بطريق الشوكة فان طاعته تجب اخذ الفتنة »
(فتح ١٣ : ١٠٩)

وقال النووي في شرح مسلم « وهذه الاحاديث في الحث على السمع
والطاعة في جميع الاحوال ، وسببها اجتماع كلمة المسلمين فان الخلاف سبب
لفساد احوالهم في دينهم ودنياهم ، وقوله : (ص) « وان كان عبدا مجذعا الاطراف »

يعني مقطوعها ، والمراد أخس العبيد ، أي اسمع وأطع للامير وان كان ذنيء النسب ويتصور امارة العبد اذا ولاه بعض الائمة أو تغلب على البلاد بشوكته « الخ (ج ٢ : ١٢٥)

وقال الشوكاني في الدرر الهية « وطاعة الائمة واجبة الا في معصية الله ، ولا يجوز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة » (شرح الدرر : ٤١٤)
وفي حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي « إن الخليفة اذا انعقدت خلافته ثم خرج آخر ينازعه حل قتله »

وقال رضي الله عنه في كتابه (ازالة الخفاء) الفارسية ما ترجمته وقد بحث في هذا الكتاب مسألة الخلافة بحثا مفصلا وجامعا لم يبحث مثله أحد قبله :
« والخروج على السلطان الفاقد للشروط أيضا حرام بعد اجتماع المسلمين عليه الا أن يظهر كفرا بواحا وقد تواتر هذا معنى » (ج ١ ص ١٣٢)

وحاصل هذه الشواهد ما صر بك من قبل ، وهو أنه يجب أن يكون للامة امام وخليفة ذو شوكة ومنعة في كل زمان ، فان استطاعت الامة نصبه فعليها أن تراعي الشروط التي شرطها الشريعة في الخليفة وان استولى على الخلافة رجل مسلم بقوته وعصبيته ، وانعقدت حكومته فيجب على كل الناس طاعته وقبول خلافته سواء أ كان قرشيا أو غير قرشي ، عادلا أو ظالما ، عالي النسب أو دانيه ، حتى وان كان عبدا حبشيا مجذع الاطراف فيجب طاعته ومناصرته على أعدائه الا أن يرى منه كفر ظاهر ، فلا طاعة في هذه الحالة ولا سمع ولا بيعة ، بل يجب الخروج عليه ومقاتلته — ومن لم يستطع ذلك يهاجر من بلده — قال المسقلاني في الفتح « فن قام على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعليه الأثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الارض » (١٠٩١٣)

وعلم من هذا ايضا أن الكفار اذا استولوا على بلد اسلامي يجب على أهله الخروج عليهم ومقاتلتهم . ولا يحل لهم أن يداهنوهم ويداروهم ، ومن عجز فعليه الهجرة من ذلك البلد ، لانه لا يجوز لمسلم البقاء تحت حكم الكفار!

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

مقدمة

لقد كان مما أصاب شيخنا الاستاذ الامام، من وراثة العلماء للانبياء عليهم الصلاة والسلام، ان حياته كانت خيرا للناس بما كان يفهم فيها بلهه وعمله، وسيرته وهديه، اذ كانت كل أوثانته مصروفة لمنفعة الامة في جنتها، أو للمفائة وطلاب الحاجات من أفرادها، وقتما كان يعمل لخاصة نفسه أو لبيته شيئا؛ فلها مات كذ في مائة خير للناس بما شعروا به من الحانية الى الاصلاح الذي كان يقوم به، والى الامام الذي يهدي السبيل، والاساذ الذي يذير لدليل؛ والطيب الذي يشفي العليل، والزعيم الذي يسير بالامة من حنادس الشبهات، ودياجير المشكلات، الى نور الحق المبين، فيما ينبغي أن تكون عليه في أمري الدنيا والدين، فما زال أهل البصيرة منها والرأي، يذكره. نه كلما حزبههم أمر، «وفى الليلة الظلماء بفتقد البدر»، حتى اذا ما تطورت الاطوار، وانساخ من الايل النهار، واضطربت في المصاحبة العامة الافكار، توجهت العقول البعائنة، والقلوب الحاسنة، الى الاحتمال باحياء ذكره، وتجديد البحث في تعليمه وهديه؛ اشترك في ذلك الشيخ الضعيف الوي، والكهل الحصيف الذي بلغ أشده واستوى، والاسناذ العلم، والتلميذ المتعلم، حتى كان السابق الى قرأح ذلك في الصحف اليومية؛ طالب من صلبة المدارس الثانوية، لم يدرك عهد الامام، ولكنه، أدرك قيمة ما ترك للامة من العووى والاعلام،

تشاور بعض تلاميذ الامام ومريديه في الاحتفال باحياء ذكره ،
وعرض خلاصة من سيرته على الامة مع شيء من نتائج فكره ، فألبوا
لذلك لجنة من إخوانهم ، واختاروا أن يرأس لجنتهم أحد اكابر علماء
الازهر الاعلام ، الواقفين على نشأة الاستاذ الامام ، وعرضوا ذلك على
فضيلة الاساذ الشيخ محمد بخيت الذي كان زميلاه في طلب العلم ، وخلقاه
في إفتاء ديار مصر ، ورجحوه بمجموعة من الزايات الا توجد في غيره ،
فخبر رأيهم ، وقبل اقتراحهم ، ثم اختاروا بعد التشاور أن يكون الاحتفال
في دار الجامعة المصرية ، واجتمعوا فيها المرة بعد المرة ، فوضعوا النظام
له ، وجمعوا من أنفسهم ما قدروه له من النقطة ، وقرروا أن ينتج
الجلسة الرئيس بخطبة مناسبة للمقام ، ويتلوه الاستاذ أحمد لطفي بك السيد
بكامة يقولها باسم الجامعة المصرية ، وأن يقف عليه الاستاذ الشيخ مصطفى
عبدالرازق بالقاء ترجمة الامام مفصلة ، وأن يلقي بعد ذلك الدكتور منصور فهمي
كلمة يهربها عن رأي النابتة المصرية في الامام ، وماله في قلوب أحرار الفكر
من المقام ، وأن ينشد بعده محمد حافظ بك ابراهيم قصيدته ، ثم يختم
الحفلة صاحب المنار ، بما عساه يتسع له الوقت من الكلام ،
ثم انهم بعد ذلك نشروا في الجرائد ما يأتي :

احياء ذكرى الاستاذ الامام

فكر جماعة من تلاميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبد في الاحتفال باحياء ذكره
وتألفت لجنة منهم برئاسة زميله حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت وقررت
أن تكون الحفلة بدار الجامعة المصرية الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة
سنة ١٣٤٠ الموافق ١١ يوليو سنة ١٩٢٢ (وهو يوم وفاته بالحساب الشمسي) .

ووضعت اللجنة نظام الحفلة وعينت خطباءها مراعية ما يتسع له الوقت وما يناسب الغرض من الاحتفال امام مصلح .
وستطبع اللجنة ما يلقي في الحفلة في كراسة خاصة مع ما يرد اليها من الخطب والقصائد المختارة . .

وهذه أسماء حضرات أعضاء اللجنة : —

- ١ — الشيخ محمد بنحيت — رئيس
- ٢ — السيد عبد الحميد البكري
- ٣ — السيد محمد رشيد رضا
- ٤ — الشيخ محمد مصطفى المراغي
- ٥ — الشيخ محمد هلالى الاياري
- ٦ — الشيخ عبد الحميد سليم
- ٧ — الشيخ مصطفى عبد الرازق
- ٨ — الشيخ علي سرور الزنكلوني
- ٩ — احمد زكي باشا
- ١٠ — حسن عبد الرازق باشا
- ١٢ — السيد عبد الرحيم باشا الدمرداش
- ١٣ — احمد بك لطفي السيد
- ١٣ — حنا بك بانخوم
- ١٤ — الدكتور طه حسين
- ١٥ — الدكتور منصور فهمي — السكرتير

ولما جاء اليوم الموعود كانت اللجنة قد آتت الاستعداد للاحتفال في بوحبة دار الجامعة المصرية بعد اذن مجالس ادارة الجامعة لها بذلك فقرشت أرضها بالرمل الاصفر ، ونصبت في صدر المكان منبر الخطابة وفرشت أرضه بالطنافس المعجمية النفيسة، ووضعت عليها الارائك والمقاعد الوثيرة ، وصفت

من ورائه كرامى الخيزران، بمدد ماوزعت من رقايع الدعوة على العلماء وخوادم
الامة من جميع الطبقات

وما جاءت الساعة المعينة للبدء في الاحتفال الا وكانت المقاعد كلها قد
سفلت بالمدعوين ، وفي مقدمتهم حضرة صاحب المعالي محمد شكري باشا وزير
الزراعة جاء من الاسكندرية لاجل حضور الحفلة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة
عن هيئة الوزارة

وزاد اناس تجددوا فاذن لهم ، فاضطر كثير منهم الى الوقوف وراء الصفوف
فكان المجموع زهاء الف وثلاثمائة نسمة. وقد بدى الاحتفال بقراءة بعض
الحفظة آيات من القرآن الحكيم . وبعد فراغه ابتدر المنبر الاستاذ الشيخ
محمد بنحيت رئيس لجنة الاحتفال وتلا خطبته الافتتاحية ، وتلاه سائر
الخطباء على الترتيب المتقدم

الخطبة الافتتاحية

لفضيلة رئيس لجنة الاحتفال

أيها السادة النجباء الاذكياء

اني أشكر لكم على تاييدكم الدعوة ، وتشريفكم هذه الحفلة ، واني أعتقد
أن كل اسواه في اجابة هذه الدعوة ، لانها على الحقيقة دعوة صادرة من
تلك الروح الطاهرة روح الامام الذي نمثل اليوم بذكراه ، فانها هي
التي دعوتنا جميعا وجذبت قلوبنا الى حضور هذه الحفلة المباركة ، وهي الآن
تترفرف فوق رؤوسكم لتتولى شكركم بنفسها على احتفالكم بذكراها. وتثني
عليكم ثناء جميلا حيث ذكرتموها بلسان صدق في الآخريين

هذه الروح هي روح الامام الخطير، والاستاذ الكبير، والمحقق الشهير،
والفيافي القدير، الغنور له (الشيخ محمد عبده) ولقد صاحبه طيب الله
ترابه، وجعل الجنة منقلبته ومثواه ، هذا لماه زمن تلقي الدروس بالازهر من

الصغر الى أن تخرجنا منه ، ولازمتنا معا كبار شيوخ الازهر في تلقي العلوم الشرعية من فقه وغيره ، وتلقي العلوم العربية من نحو وبلاغة وغيرهما ، ومن العلوم العقلية المنطق والفلسفة ، ومن العلوم الطبيعية غير ذلك كالمهنية بقسمها ، ومن لازمتنا معا في العلوم العقلية المعنوية له السيد جمال الدين الافغاني والمعفور له الشيخ حسن الطويل .

وبعد أن تخرجنا من الازهر لازم الاستاذ المشار اليه السيد جمال

الدين رحمه الله ،

فكان الاستاذ فيلسوفا في العلوم الشرعية عارفا بروح الشرع وحكمة التشريع أصولا وفروعا - فيلسوفا في العلوم العقلية عارفا بحقائق الموجودات علويها وسفليها على حسب الطاقة البشرية ، فكان اذا غاصت روحه في بحار التحقيق استخرجت دُرر الماني وآثارها فنظمتها في سلوك المباني الذهبية ، وجعلتها قلائد تتحلى بها أعناق ذوي الفضل والهمم العالية ، واذا صعدت الى سماء التدقيق نخبرت من دراري الحقائق أعلاها وأعلاها وتبرتها شمس تشرق في أفق قلوب ذوي المنابة بالعلوم فيشاهدون بيمين البصائر من الحقائق الملوية فوق ما يشاهدونه بالأبصار ، والشمس في رابعة النهار .

كان فيلسوفا في العلوم العربية كملت فيه مائة الفصاحة حتى اذا تكلم أدهش الفصحاء ، كما كملت فيه مائة البلاغة ، فاذا خطب حير الباغاء ، فكانت عباراته شفاء لآولي الالباب ، وإشاراتة نجاة للطلاب ، فهو معيار العلوم ، ومشكاة المنطوق منها والمهوم ، ولذلك لما انتقل في مثل هذا اليوم من دار الفناء الى دار البقاء وترك في هذه الدار فرغا

كان يشغله وحده ، ولم يستطع أحد أن يشغله بعده ، ذابت أسفا عليه
أكباد عارفي فضله ، فمالت من العين ، سيل العين دما بغير عين ، فكان
حقيقتنا بأن نقول فيه

اننا لا نبكي على كل ميت غير انا نبكي الذي هو امة
إن يش كان للبلاد حياة أو يموت كان موته موت امة
جماعه الله من الذين أنعم عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا . آمين

مفني الديار المصرية سابقا

محمد بنحيت

كلمة الترحيب باسم

﴿ . الجامعة المصرية ﴾

لحضرة الامتاذ أحمد لطفي بك السيد أحد أعضاء مجالس ادارتها

أيها السادة

اسمحوا لي أن أقدم لكم باسم الجامعة المصرية تحياتها وترحيبها بكم وبالغرض
الشريف الذي يجمعكم اليوم للاحتفال بذكرى الامام الشيخ محمد عبده
لم يكن غرض اجتماعنا تأيين المرحوم الامام من جديد بل غرض الاجتماع
في هذا اليوم الموافق يوم وفاته رضي الله عنه أن نستمع لخطيب الحفلة الشيخ . مصطفى
عبد الرازق الذي سيدرسه درسا تفصيليا على قدر الامكان في هذا المقام . وما
ظننا ان هناك شروطا يجب اجتماعها ومناسبات ينبغي تحيينها للدرس رجل من أمة
العلم والاصلاح أكثر الحاضرين هنا اما تلميذ له أو تلميذ لتلاميذه ، بل ذلك واجب
علينا . وان أقل قدر من المناسبة يجعل القيام بهذا الواجب سائغا ان كان الواجب

هو أيضا يحتاج القيام به الى المناسبات
 أيها السادة — إن لنا نحن المصريين من جهة كوننا أمة متمدنة حقا نقضيه
 من الانسانية جمها وهو مساواتنا بكل أمة متمدنة في المشرق للدوية . وان علينا
 مقال هذا الحق واجبا يازونا أداؤده، وهو احتمال نصيب من المسؤولية عن الارتقاء
 العام للانسانية في مدارج الكمال من جميع جهاته . فمكل عصر يجب أن يؤدي حسابا
 عما عمل الخير الانسانية، وكل أمة يجب عليها أن تحمل نصيبها من المسؤولية عن
 هذا العمل بقدر استعدادها . ومن الخطأ أن يظن بأن نصيبنا من هذه المسؤولية
 ضئيل القدر خفيف الحمل . بل الامر على ضد ذلك ، نصيبنا من المسؤولية يجب
 عدلا أن يربو على نصيب كثير من الامم . ربما عد غيرنا هذا القول غلوا في تقدير
 قيمة أمتنا ومنافيا للتواضع المحمود . ولكن هل أستطيع الحيد عن صيغة نتيجة
 منطقية يسلم كل العلماء بمقدماتها: الاجماع واقم على ان نظرية الانتقال الوراثي
 صحيحة، والاجماع واقم على اننا سلالة مهلمي الانسانية والهادين الى طرائق كمالها
 من جهة العلوم والآداب، ومن جهة أنظمة الحكم ومختلف الصناعات ... الخ —
 فيجب أن يقع الاجماع أيضا على اننا من أشد الامم استعدادا لاحتمال المسؤولية عن
 الارتقاء الانساني العام . ولا يتقصنا في ذلك الا زوال الموانع الخارجية التي حالت
 منذ بضعة قرون بيننا وبين الظهور باحتمال هذه المسؤولية والمشاطرة في المجد العلمي العام
 على هذا الاعتبار يجب علينا أن نتخذ نهضتنا العلمية الحاضرة بشير الرجوع الى
 مضمار المسابقة العلمية العامة وأن نوطد أنفسنا على العمل بمجد للاستعداد الى هذه المسابقة .
 ومن صنوف العدة أن تبين حقيقة مركزنا العلمي ، وليس مركزنا العلمي شيئا
 آخر الا تقدير ما أنتجت بلادنا من النوابع الذين هم أركان نهضتنا الحاضرة —
 أولئك هم مصابيح الماضي تنبعث منها أنوار الهداية الساطعة فتكشف للحال طريقه
 الى الامام في ظلمات الاستقبال

وأ كبر هؤلاء النقاء هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده الذي سيتفضل
 خطيب الحلقة فيفصل الكلام عليه تفصيلا
 وإني في الحتام يسرني أن أعلن اليكم أن حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس

الوزراء وحضرات أصحاب المعالي زملاءه أرادوا أن يشاطروكم الاحتفال بذكرى
المرحوم الامام فأناؤا عنهم أحدهم حضرة صاحب المعالي محمد شكري باشا وزير
الزراعة، وهي منة نذكر للحكومة بالثناء على جميل صنعها .

وأعان أيضاً أن حضرة صاحب الفضيلة والارشاد السيد عبد الرحيم باشا
الدمردش قد تبرع للجامعة بما يؤتيها غلة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه مصري لانشاء
كرسي لعلم الاخلاق تخليداً لذكرى المرحوم الامام، جزاه الله عن العلم خير الجزاء.

**

ترجمة الاستاذ الامام

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى عبد الرازق

(المنار) لما كان معظم ماكتبه هذا الاستاذ البليغ من ترجمة استاذنا ملخصاً
من ترجمتنا التي نشرناها في المنار عقب وفاته رأينا أن نكتفي بنقل شذرات
منها لاشتمالها على فوائد من الاستنتاج والاستنباط . على النحو الذي جرينا
عليه في الجزء الاول من تاريخه فن ذلك قوله في تأثير التصوف في نفسه بعد
اتصاله بالشيخ درويش

وليس عندنا بيان عن هذا الشيخ الصوفي ، نستطيع أن نفهم به أحواله النفسية
والعقلية ، وتبين كيفية سلطانه على نفس مریده ، تلك النفس القوية الحرة النافرة ،
التي راض الشيخ درويش جماعها في خمسة عشر يوماً ، غير أن الذي رواه الاستاذ
من حال شيخه ، يدل على أنه كان رجلاً ساذجاً ، نير البصيرة ، طيب القلب ،
سمحاً سهلاً مؤمناً يعزدي إيمانه بتفهم القرآن ، وبضروب سهلة من العبادة والرياضة
وأمثال هذا الصوفي يوجدون شذاذاً ، بين الاعداد الكثيرة من رجال
الطرق ، ويكون لهم أثر روحي في المستعدين من مريديهم ، بما في نفوسهم من
صفاء ، وما في إيمانهم من قوة ليست مستمدة من ناحية علمية

«ولا ينكر أثر الشيخ درويش خضر بيريته الصوفية في نفس استاذنا فان ذلك
الشيخ الصوفي الذي أخذ بزمام الجانب الروحي من تلميذه القتي في عنفوان ثورة

نفسية ، قد وجه عواطف الشباب وخيالاته الى معان من الذائذ القدسية
 واذا كانت التريية الحديثة تدعو الي تهذيب الذوق بفنون الجمال، فان التريية
 الصوفية تدعو الي تلطيف السر بأنواع من الرياضة ، كالعبادة المشفوعة بالفكرة،
 والالخان المستخدمة لقوى النفس ، الموقفة لما لحن فيها من الكلام موقع القبول
 من الاوهام . ويمين على تلطيف السر — كما يقول ابن سينا في الاشارات —
 الفكر اللطيف ، والعشق العفيف ، الذي تأمر فيه شمائل المعشوق ، لاسلطان الشهوة ،
 قال ابن سينا في وصف العارفين : « العارف هس بش بسام ، وكيف لا يهش
 وهو فرحان بالحق ، وبكل شىء ، فانه يرى فيه الحق .

العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت . وجواد وكيف لا وهو
 بمعزل عن محبة الباطل . وصفاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر .
 ونساءً للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق »

هذه التعاليم ، من شأنها أن تربي الوجدان ، وتلطف السر ، وتكمل النفس
 وترينها ، ولا جرم كان الشيخ محمد عبده صوفي الاخلاق

قضى شيخنا نحو أربع سنين في بداية تكوينه الفكري ، بالجامع الاحمدي
 بطنطا ، ولا ينبغي أن ننقل أن مسجد طنطا هو جامع سيدي احمد البدوي ،
 فيه مقامه ومخلفاته ، وفيه آثار مقدسة عند العامة ، وكثير من الخاصة ، وفيه مقابر
 لعير السيد من الاولياء

والسيد البدوي هو أشهر اولياء القطر المصري ، وصيته وكراماته ذائعة في
 واهي النيل ، ولزائريه من صور التوسل والزلفى مالا يخلو من شطط ، ومسجد
 السيد مورد الدراويش ، ومجتمع المجاذيب ، الذين يظن كثير من الناس ان لهم
 في صفحة الغيب لمحات

هذه السنين الاربع ، في هذه البيئة ، نهت عقل الشيخ محمد عبده الى البدع
 الدينية وعملها في العقول والاخلاق ، ولكنها أيضا مست بعض الجوانب من نفس
 القى فتركت في منازعتها المتسامية الى الكمال والفهم موطن تأثر .

قال الاستاذ فيما كتبه من تاريخ حياته :

« وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة (سنة ١٢٨٢ هـ) كنت اطالع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصاً يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجازيب فلما رفعت رأسي إليه قل ما هناه : ما أحلى حلواه مصر البيضاء :

فقلت له : وأين الحلوى التي معك ؟

فقال : سبحان الله ! من جد وجد .

ثم انصرف فعددت ذلك القول الهاماً ساقه الله اليّ ، ليحماني على طلبه العلم في مصر ، دون طنطا »

(ومنها قوله في حال الازهر واهله عند استادنا للعلم فيه)

ذهب المجاور الشيخ محمد عبده بتصوفه الى الازهر في شوال سنة ١٢٨٢ هـ —

فبراير ١٨٦٦ م — في عهد اسماعيل الذي جلس على عرش مصر سنة ١٢٧٩ هـ — ١٨٦٣ م —

كان اسماعيل يعرف قيمة العلم لحسن تربيته ، فعني بنشر المعارف ، وارسال البعثات العلمية الى أوروبا . وهو أول من أوجد حركة تجديد في الازهر ، وفي وقتها وضع الشيخ المهدي العباسي شيخ الازهر أول قانون للتدريس صدرت بتنفيذه ارادة سنية سنة ١٨٧٢ هـ — ١٨٧٢ م —

في ذلك العهد ، كان انتشر التعليم النظامي في القطر ، وأحسن الازهر وأهله بذلك ، وكانت البعثة العلمية التي اختارها محمد علي من بين نجباء الطلبة في الازهر وأوفدها الى باريس سنة ١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م — قد حولت عدداً كبيراً من الأذكياء عن التعليم القديم الموروث ، الى طريق جديد ، فاعتبرت في المرتبة الأولى علوم كانت في المرتبة الاخيرة ، في نظر الازهر بين ، كالرياضة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا ، وصارت باباً للتوظف والكرامة

وساعدت هذه البعثة على اظهار مافي منهاج التعليم الازهري من العيوب

أراد الجيل العلمي الجديد ، أن يعرب كتباً أوروبية مكتوبة في الغالب
بلسان فرنسي ولم يجد في المصطلحات القديمة متسماً ، فوضع عبارات محدثة ، وأوجد
أسلوباً جديداً لم يرض عنه الأزهريون ، ومنذ يومئذ دخل الى الأزهر التنازع بين
القديم والجديد

أما الروح السائدة في التعليم الأزهرى فكانت على ما وصفها بعض علماء الفرنجة
في قوله : « ولئن كانت انماط التعليم والبحث في الأزهر ، تختلف عما هو مستعمل
في الغرب الآن اختلافاً أساسياً ، فهي لا تختلف في شيء عن الانماط التي كانت
عندنا قديماً

أثر العلوم الثقيلة في قهر العقول ، الذي أخذ في التلاشي عندنا منذ قرون ،
لا يزال في عنفوان سطاوته في الجامعات الإسلامية .

ليس الغرض من العلم عند أهل الأزهر هو البحث للتحقيق ، والمقارنة
والتحصيل ، ولكنه النقل الصحيح لما ترك لا قدمون

والمفروض ان الاجيال متراجعة الى الانحطاط ، ولا جبال الماضية والمقبلة
تتصل بعصر النبي — صام — من طريقها بط من أعلى الى أسفل ، والأئمة
المجتهدون بمبدأ في عصور ذاهبة في أعماق الماضي ، لا يستطيع الحاضر أن
يدرك غبارها »

ونسارع الى بيان أن استاذنا صرح في تفسير سورة (العصر) بفساد ما عليه
الناس من ذم عصورهم ونسبة ما شاءوا من الخير الى ما كان قبلهم من العصور ،
كما صرح في كثير من أقواله وكتاباته بعيب التعليم الأزهرى ومناهجه .

هذا وكان في الأزهر نفسه تدافع بين الشرعيين والصوفية ، فأولئك
كانوا يرون الخروج عن العلوم الثقيلة المتداولة في الأزهر ، تمرداً على الدين ،
وهؤلاء كانوا يطمحون الى أنواع من المعارف التي لها مساس بالتصوف

ويدل على هذا التدافع ما ذكره الصوفي الأزهرى الشيخ حسن رضوان
المتوفى سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٢ م — ، في منظومته المسماة (روض القلوب

(المستطاب)

وقد كان للشيخ حسن رضوان مريدون بين علماء الازهر وطلابه ، منهم الشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمود البسيوني ، وهما من أساتذة الشيخ محمد عبده ، ومنهم الشيخ محمد عبده نفسه ، وجماعة من اخواته وبذلك يظهر أن شيخنا حينما جاء الى الازهر ، انضم الى حزب التصوف وهو أقل الحزبين جمودا ، وأقلهما نفرة من الجديد ،^(١) كان الاسناد متصوفا في الازهر مدة الدراسة ، مع شيوخه وزملائه ، متصوفا في أيام المسامحات ، مع خال أبيه الشيخ درويش خضر ، حتى انطبع تفكيره بنوع من الخيال الصوفي ، الذاهب في الروحانيات الى ما يجاوز مدى الفهم أحيانا

انساق الاستاذ الشيخ حسن الطويل الى دراسة الفلسفة الاسلامية ، بحكم نزوعه الى التصوف ، والتصوف الاسلامي متأثر بمذاهب الفلسفة ، خصوصا مذهب أرسطو ، الذي يعتبر اماما لفلاسفة العرب وانساق بعض الاساتذة كالشيخ محمد البسيوني ، الى مدارس الادب باعتباره من الفنون الجميلة التي أحييا ذوقها في مصر اسماعيل وقد كان الشيخ الطويل والشيخ البسيوني من أساتذة الشيخ محمد عبده ، فهو كان متصلا بالحركة الصوفية المخلوطة بالفلسفة ، وكان متصلا بالحركة الادبية على أنه لم يبعد كل البعد عن المحافظين على القديم ، فحضر دروس زعمائهم المشهورين كالشيخ عيش ، والشيخ الرفاعي ، والشيخ الجيزاوي ، والشيخ الطرابلسي والشيخ الجراوي .

اتصاله بالسيد الافغاني وتخرجه به

وفي سنة ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م — حضر الى مصر السيد جمال الدين الافغاني فصاحبه الاستاذ الشيخ محمد عبده ، يحضر دروسه ، ويلتزم مجالسه ، التي كانت مجالس حكمة وعلم

(١) هذا مما احدثني اليه الكاتب لهذه الترجمة دوننا فلم نذكر في ترجمة المنار ولا في التاريخ انه كان في الازهر حزب صوفي اذ لم نكن نعلم ذلك

كان الشيخ محمد عبده يومئذ قتي ، متأثرة كل عواطف قلبه الفني بمنازع التصوف ، ورياضاته ومواجهه . وكان يتلقى علوم الازهر على انماطها المعروفة ، شاعرا بأن ورائها ككلا علميا لا يجده فيما حوله

كان السيد الافغاني وحده ، قادرا على تخايل الشيخ محمد عبده من خموله الصوفي ، وتخليصه من الخيرة في التماس الكمال العلمي

هذا الرجل الكبير بمواهبه الفطرية ، الكبير بسعة علمه وحسن نظام فكره ، الكبير بمطامحه ، الكبير بنفسه العالية القوية المشتعلة حياة وعزما ، الكبير بتاريخه المملوء بالحوادث الجلى والآلام ، هو السيد جمال الدين الافغاني الذي صحبه الشيخ محمد عبده تلميذا وصديقا منذ سنة ١٢٨٨ الى سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧١ م - ١٨٧٩ م -

وبعد سنتين من صحبة الشيخ محمد عبده للسيد جمال الدين ، ظهر لنا ذلك الشاب المتصرف ، الذي كان ينطلق في القول على وجل ، اذا سألته العامة عن شىء من أمر دينهم ، في تلك المجامع التي كان يقوده اليها خال أبيه الشيخ درويش ، مؤلفا جريئا يكتب في رسالة الواردات سنة ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٣ م - من المذاهب الفلسفية والصوفية ، ما قد تكون بعض أوساطنا العلمية لم تستعد بعد لسماعه ، وقد مضى خمسون عاما

هذه الرسالة التي هي أول ما وصل اليها من آثار أستاذنا ، لانتخوفي أسلوبها من نفحة الادب العتيق ، أدب السجع والتكلف ، الذي كان عالقاً بالذوائف ، لقرب عبده به ، ولكنها في تأليفها ذات نظام حسن ، وطريقه في سوق البراهين معقولة ، هي رسالة صغيرة في العقائد على منزع يغلب تصوفه مافيه من فلسفة وفي سنة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م - الف شيخنا حاشيته على شرح الجلال

الدواني للعقائد المضدية

وهذه الحاشية ، ترينا الشيخ محمد عبده في السادسة والعشرين من عمره ، محيطا بمذاهب المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة ، أحاطة فهم وتقد ، يكاد يجهر بأرائه في تلك الموضوعات الخطيرة ، ويكاد يكظم صوته القوي شبح

عضوا الشيخ عيش، قائما على رأس مجاور، بينه وبين التقدم لامتحان العالمية سنتان في هذه الحاشية توضيح للمذاهب في الالهيات والنبوات ومقارنة بينها، ونقد متين .

جملة القول : ان الشيخ محمد عبده كان ما بين ١٢٩٠-١٢٩٢ (١٨٧٣ - ١٨٧٥ م) صوفيا متفلسفا

ويظهر ان السيد جمال الدين خلعه من التصوف بمعنى لدروشه، والانصراف للتحنث والرياضة ، الى معنى للتصوف جديد .

ويروى ان السيد الافغاني — يرحمه الله — كان يقول : « الفيلسوف إن لبس الخشن وأطال المسبحة ولزم المسجد فهو صوفي

» وان جالس في قهوة — متاتيا — وشرب الشيشة فهو فيلسوف »

واعلم الشيخ محمد عبده لما كتب حاشية العقائد كان ألم بقهوة متاتيا إللأماما .

طور العمل والتصدي للإصلاح

لم تطبع رسالة الواردات الا بعد وفاة الاستاذ^(١) وحاشية العقائد العضدية طبعت قبل وفاته بقليل . واول ما نشر على الناس من آثاره هو ما كتبه في جريدة الأهرام لبداية نشأتها سنة ١٢٩٣ هـ — ١٨٧٦ م . وهي فصول على ما قد يكون في تحزبها من الضعف تهتف بما يجيش في نفس ذلك المجاور الصغير ، من كبار الآمال ، المتبعثة عن مذاهب في الإصلاح ، وتطلع الى النهوض ،

ومنذ ذلك العهد ، توجهت نفس الاستاذ الى الإصلاح ، بعد ان كانت منصرفه الى تلوس الحقائق ، والبحث العلمي

وقد كان ذلك — من غير شك — بتأثير السيد جمال الدين الافغاني وهداياته شرع المجاور الشيخ محمد عبده يكتب في جريدة الأهرام فصولا متتابعة ، مما يمة المنزع ، مشتملة على أصول الدعوة الإصلاحية التي صرف حياته في سبيلها وقد استرعت تلك الفصول نظر الناس ، الى ذلك الفتى الناهض الى السابعة

(١) طبعت في منشآت الامام التي هي الجزء الثاني من تاريخه

والعشرين من عمره ، نهضة المصالحين الكبار عاقلا جريئاً
وصل صدى تلك المقالات الى اذنان الجامعيين من الشيوخ ، والتقى فيها
بمحدث ملازمة كاتبها للسيد جمال الدين ، واشتغاله بالفلسفة ، وترجيحه لبعض
مذاهب المعتزلة^(١) ونهيه عن التقليد ، ودعوته الى الاشتغال بالعلوم الحديثة ، وتحفيزه
لعلوم الفرنجة ، وإطالة شعره أيضا .

دخل الشيخ محمد عبده الى مجلس الامتحان سنة ١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ —
وكل ذلك ينتظره في صدور أعضائه ، ماعدا الرجل المنصف الشيخ محمد المهدي
العباسي ، شيخ الازهر لذلك العهد ، ورئيس لجنة الامتحان
ولولا قوة الشيخ محمد عبده في علمه وفي نفسه قوة باهرة ، وترفع الشيخ
المهدي عن الظلم ، لقضى مجلس الامتحان المؤلف من كبار الشيوخ ، بأن ذلك
المجازر المضطهد ، لا يستحق نجاحاً .

نال الاستاذ شهادة العالمية من الدرجة الثانية ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ،
فشعر لأول مرة ، بأنه انتصر على خصومه الجامعيين ، أعداء الاصلاح ، برغم
جاههم وكثرتهم ،^(٢) وزاده ذلك نشاطا ، فجمع كل مافي نفسه من قوة الشباب ،
وقوة العلم ، وقوة الرغبة في الاصلاح ، ووجه جميع ذلك الى العمل في الازهر ،
لاعتقاده أن صلاح الازهر صلاح للبلاد وأهلها ، وللمسلمين في أقطار الارض
أخذ يدرس كتب المنطق ، والكلام المشوب بالفلسفة في الجامع الازهر . ويدرس
في داره لبعض المجاورين كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه . وكتاب التحفة
الادبية في تاريخ تمدن الممالك الاوروبية . تأليف الوزير فرانسوا جيزو وتعريب
إخوانه نعمة الله خوري

(١) اتهم الاستاذ بهذا من وشي به الى اشيخ عايش والصبواب أنه رجح
مذهب السلف

(٢) كان بعض الشيوخ قد تفاسهوا لا يدعنه ينال شهادة العالمية فعارضهم
شيخ الازهر عندما اقترحوا ذلك وحنف أنه ما رأي مثله وأنه يستحق الدرجة
الاولى خلف بعضهم بالاطلاق أنه لا يعطى الاولى فإبرهم الشيخ المهدي باعطائه الثانية

وفي أواخر سنة ١٢٩٥ هـ — ١٨٧٨ م — عين مدرسا للتاريخ في مدرسة دارالعلوم ومدرسا للعلوم العربية في مدرسة الادارة والاسن الخديوية وفي سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩) نفي من مصر بمساعي الانجبار السيد جمال الدين الافغاني . الذي كان عمله السياسي شجى في حاق ممثل انجبارا . بمقدار ما كان تجديد للدرس الفاسفيات غيظا للجامدين من أهل الازهر . وعزل الشيخ محمد عبده من مدرسة دارالعلوم ومدرسة الاسن . وأمر بأن يقم في قرية محلة نصر — لا يفارقها الى بلد آخر .

ويظهر أن رياض باشا كان خارج القطار عند حصول هذه الحادثة في أوائل حكم الخديوى توفيق باشا ورياض هو الذي كان زين للسيد جمال الدين المقام في مصر . وأمهه بالهونة . ليستعين به على تربية شباب مصاح .

وإذا كان لوزير الكبير عجز عن رد ماؤت من نفي السيد الافغاني . فما كان ليفوته أن ينتمع بنلاميذه . وما كان ليترك خليفة السيد جمال الدين منفيًا في قرية من قرى مديرية البحيرة محرما عليه أن يخرج منها . فاستصدر له عفوا من الخديوى ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) وعينه محررا في الجريدة الرسمية . ثم جعله في آخر هذه السنة رئيسا لتحريرها

عند ذلك نرض الشيخ محمد عبده بمحركة اصلاح ، هيات له مساعدة رياض باشا وسائلها . واعانه عليها خيرة تلاميذ السيد جمال الدين ، الذين كانوا يشتغلون معه في تحرير الجريدة الرسمية

وقد انتظمت يومئذ صلة الاستاذ بالازهر . فلم بعد مهلمًا يريد أن يصالح طوق التعاليم فيه . ويرشد أهله الى العلوم الجديدة . ولكنه أصبح صحافيا يحاول للاصلاح الاجتماعي والسياسي . على مباديء الحرية والعدالة والشورى :

الم الشيخ محمد عبده رئيس تحرير الجرنال الرسمي — الوقائم المصرية — في فصوله الكبيرة الفائدة ، القوية الروح ، بوجوه الاصلاح التي كانت تنبعث عزيمتها اليها . فدعا الى التعاون على الخير ، وحشد فكرة الحرية ورفع المظالم عن الاهالي ر

وعاب على الشعب كمله ، ونادى باصلاح التعليم والتربية في المدارس ، وحمل على الرشوة وأهلها ، وبين ن الحق للقانون لا للقوة ، وذم اسراف الاهالي وتمسكهم بنظواهر المدنية مع الغفلة عن وسائل المدنية الصحيحة ، وعالج اصلاح متديتاتنا واصلاح بيوتنا ، وذكر رأيه في خطأ العقلاء الذين يريدون الرقي طفرة ووثبا . ثم تعرض الاستاذ لنوع من الاصلاح الديني شغف به في أدوار حياته الاصلاحية كلها : ذلك هو تطهير الاسلام من البدع التي شوهدت شعائره وجنت عليه وهذه المقالات نجمع مبادئه الوطنية ، ومذاهبه في الحرية ، وطريقه في الاصلاح . كان الشيخ وطنيا يرى « ان خير أوجه الوحدة الوطن لا متناغ الخلاف والنزاع هي »^(١) على أنه نصير للعبادى التي تدعو الى المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة والاخاء بين الناس ، وهو داع الى الحرية ، حربة العمل ، ورفع سوط القسوة غير القانونية ، بحيث لا يسخر أحد في عمل من الاعمال إلا فيما يعود بالمنفعة العامة على البلاد . أما القول والكتابة ، فلم يكن الاستاذ ، فيما يظهر ، من انصار حرتهما الا بمقدار ، لذلك كان يلتمس سن القوانين للرقابة على المطبوعات ، بل هو قد سعى لذلك وافاح فيه ، وكان يرجع الى سلطانه أمر هذه المراقبة ، في عهد يامنه تشهير الجريدة الرسمية . ذلك بأنه كان يخشى انتشار الكتب الضارة بالدين ، المشيعة للخرافات بين العامة ، ويخشى انتشار الالهات السخية ، والموضوعات المؤذية للاخلاق . أما سبيل الاستاذ في الاصلاح ، فهي سبيل التدرج ، يريد أن يحفظ للامة عوائدها السلفية ، المقررة في عقول أفرادها ، ثم يطلب بمض تحسينات فيها لا تبعد عنها بالمرّة ، فاذا اعتادوها ، طلب منهم ما هو أرقى بالتدرج ، حتى لا يمضي زمن طويل إلا وقد انخاموا عن عاداتهم وافكارهم المنحطة ، الى ما هو أرقى من حيث لا يشعرون .

(١) المنار : للشيخ ما هو مشهور من المقالات البليغة في ان للمسلمين ليس لهم جنسية ولا وحدة الا في دينهم ولكنهم كان يرى ان الوحدة الوطنية لا تمارض الاسلام . وتعمل الوحدة الوطنية بامتناغ الخلاف والنزاع فيها منقوض بالوقائع واطهرها في هذه الايام ما هو متواتر عن ارلندة

طريق الاستاذ في الاصلاح يرجع الى العناية بالتربية . ونشر العلم . وأول مبدأ يجب أن يكون أساساً لتحلية العقول بالمعلومات اللطيفة ، والنفوس بالصفات الكريمة ، هو التعاليم الدينية الصحيحة ، يعني ترغيب القلوب بما يرضي الخالق وازهاها بما يفضيه

أما الاصلاح الديني ، بتخليص الاسلام من شوائب الازمان والاجيال ، وردة الى سذاجته الاولى ، ليصافح العلم والمدنية ، ويتسع لحرية العقل - تلك الدعوة التي كان استاذنا حامل لوائها - فلم تكن في عهد محرير جريدة الرسمية الانبثاق المتكامل نموّه تأثر الشيخ محمد عبده بمبادئ استاذة السيد جمال الدين . ومع ذلك كان لمذاهبه الاصلاحية استقلال يجعل لها شخصية وحدها . ولقد كان حين تواليه تحرير الجريدة الرسمية حديث عهد بصحبة استاذة . حديث عهد بالتخرج على يديه ، وكانت له على هذا سبيل في الاصلاح ليست من كل وجه سبيل السيد جمال الدين كان السيد مشتعل الحماس ، يريد أن ياهب النفوس ، فيؤجج نارها ، ثم يصوغ من ضعفها قوة ، ومن ذلها عزا ، كان يرى أن الثورات هي سبيل الاصلاح الاجتماعي والسياسي

أما شيخنا أيام تحرير جريدة الرسمية فكان معلماً مصلحاً . يطلب الانارة في دفع الامم الى الرقي ، ليعلمها ويهذبها أولاً ، ثم يسوقها برفق الى ما عادت هبت أعاصير الثورة العراقية ، واستاذنا رئيس لتحرير الجريدة الرسمية . له يدعامة في حركة الافكار . ولم يكن الاستاذ ممن يدعون الى الاصلاح من طريق الثورة . ولكنه لما رأى الثورة قائمة لنصرة اغراض هي مبادئه ومبادئ استاذة اتصل بها والتقى في نارها خطباً .^(١) وقد حوكم معز عمائمها . رحكم عليه بالنفي ثلاث سنين وثلاثة اشهر^(٢)

١٥ «المنازل : الصواب أن الاستاذ كان خصماً للثورة العراقية إلى أن تصدى الامم لها فحينئذ نصرها» (٢) انتهى ما اخترناه من خطبة الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق

من الخرافات الى الحقيقة

٦

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام - في الجزئين الثاني والرابع

(٣٨) الصفح عن الهفوات ، واقالة العثرات ، وغض النظر عن الزلات ، كانت قاعدتهم المنبى في الامامات ، قال (ص) « اقبلوا ذوي الهيمت عثراتهم الا الحدود »^(١)

(٣٩) كانوا ينفرون من القيل والقال ، ومحتقرون الخصاص والمجدال ، لان النبي (ص) قال « من ساء خلقه عذب نفسه ، ومن كثر همه سقم بدنه ، ومن لاحى الرجال ذهب كرامته ، وسقطت مروءته »^(٢) . وكان الس في تلك الايام السعيدة لا ينحرفون فيد شجرة عن اوامره الجلية .

(٤٠) كانوا رشدون الجاهلين ، ويمتدون الفاسقين ، ويمدقون صابرين مصارين ، ويمدون هذا من الجهاد في دين ، لقواه (ص) « الجهاد اربع : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في موطن الصبر وشدة ان الناسق »^(٣) فيظهر من هذا ان عمل الخير ، واجتناب الشر ، واشبات على الحق ، لا يتم الا بفيض أهل الشر والفسق ،

(٤١) الاعتدال كان محور الامامات ، حتى في العبادات ، لانه جاء في الحديث « أيها الناس ! عليكم بالقصد ، عليكم بالقصد ، فان الله تعالى لا يمل حتى تعلموا »^(٤)

(٤٢) لم يكن من سيرة السلف الصالح في أعمالهم ولا أقوالهم ما يبهت ظنا لجاهل او شبهة لعقل على أن في القرآن وأحكامه حرجا أو سر لا يدخل

(١) رواه احمد والبخاري في الادب وأبو داود عن عائشة وحسنوه (٢) رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة (٣) أبو نعيم في حية لاوباد عن علي وحسنوه (٤) ابن ماجه وأبو بلي وابن حبان من حديث جابر بن عبد الله صحيح وفسردا « لا يمل حتى تعلموا » في الحديث غريد بأنه تعار لا يتركنا انا تتكلم حتى تركوا الجهل الصالح وهو من باب المشاكلة

في وسع المهتمدي به، بل كانت اعمالهم واقوالهم متجهة نحو افهام الناس أن القرآن الكريم كتاب انزل لافهام الناس الحقائق وتأمين سعادتهم من أقصر الطرق وأسهلها . وقد جاء في الكتاب القديم (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى) .

(٢٣) من يتأمل في أعمالهم يجد غايتها تزكية النفس بالفضائل ومكارم الاخلاق وسعادة الامة — لا مجرد التلبس بأعمالها البدنية في صلاة المصلين، وصيام الصائمين، ويرون أن المصريين على اتيان المنكرات والفواحش وسائر الجرائم التي تنافي المقاصد الاسلامية، الدينية والاجتماعية، لم ينتفموا من صلاتهم ولا من صيامهم . فقد قال النبي (ص) « رب قائم حظه من قيامه السهر ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش »^(١)

(٢٤) كانوا يتحامون الفلوف في الدين لان الله تعالى حذر منه بقوله (لا تغلوا في دينكم) والنبي (ص) نهى عنه بقوله « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق »^(٢)

(٤٥) تأوا يرجحون السمي للريح والكسب الحلال لينفع الرجل عياله وأمته على خطة أوئك الكسالى الذين ينكشون في زوايا المساجد بدعوى العبادة . لانه (ص) قال « رب طاعم شاكر أعظم أجراً من صابر صائم »^(٣)

ليتأمل هذا الحديث وأمثاله أبناء قومنا لعلهم يدركون معنى الدين الذي طامض ربنا الشرابات المؤلمات من حيث لا نشمر . ونحن نظن بأننا ننصره وتمثل أوامره .

(٤٦) التجارة مع الصدق والامانة كانت في نظرهم من اسمى المواقع فقد جاء في الحديث « التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء »^(٤)

فهل من صراحة أقوى من هذه الصراحة التي تفقأ عين كل من يزعم ان الدين الاسلامي لا بأس بالسمي وتكذب التائلين بأن الدنيا ليست للمسلمين؟ وهل

(١) الطبراني من حديث ابن عمر وأحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند صحيح ونم حديث أصرح منه في المسألة (٢) رواه أحمد من حديث أنس بسند صحيح (٣) رواه الفقهائي عن أبي هريرة بسند ضعيف وهناك شواهد صحيحة أصرح منه (٤) الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري بسند حسن وفي معناه حديث صحیح عن ابن عمر « قنا نجر النبي (ص) وكان أبو بكر وأكبر المهاجرين من الصحابة نجراً »

يوجد أفصح من هذا المهدي النبوي الكريم المكذب لزعم الزاعمير أن الدنيا والآخرة لا تجتمعان في قاب، مؤمن؟ ان هؤلاء الكسالى الذين يسترون المعجز والبله والعتة بأمثال هذه الاكاذيب على الدين لاضر على الاسلام من أعدائه. وحبذا لو ان الجمعيات كتبت هذا الحديث الشريف على ألواح آصمها على مفترقات الطرق التي يكثر مرور الناس فيها ليعلم الضالون والمضلون، ان الدين الحنيف ليس كما يعرفون - لسكن اولئك الكسالى وبعض المتعممين الذين عشن ميكروب الكسل في أدمغتهم يكتمون أمثال هذه الاحاديث عن العوام ويحبون اليهم الفقر والذلة والمسكنة، يكذبون على الله ورسوله ودينه بتبفيض العوام - جنود الاسلام وساعده المقتول - في الدنيا، يعلمونهم الحسرة للموت. وكأني بهم يمدون بهذه الاعمال خطوط الحديد لتسير عليها قطارهل الملل الاخرى في بلادهم. ولا يشك عاقل في ان هؤلاء أضر بالاسلام والمسلمين مما لدى أعدائهم من حيوش وطيارات ودبابات وأساطيل وذهب وحديد فأين من يسكت هؤلاء؟ وأين شجعان العمام؟

ايها الغافلون المفضلون! الدنيا لنا. وهكذا أمر ديننا، الذي جعل التاجر في زمرة الانبياء^(١) كفى تضليلا وتموها. ان كنتم تحبون الموت ولا تريدون الدنيا فدعوها لغيركم من المسلمين أما خطتكم ففايتها القاء أزمة لدنيا لغير المسلمين لو كنتم تفقهون نتائج ما تعملون.

أيها الشبان المحمديون. رفع نبينا منزلة التاجر الى مجازرة الانبياء. فتأملوا قدر ترغيبه في الانجار والعمل للدنيا لتقوية الملة والامة أيها العقلاء! ان تضيم الدنيا هو تضيم للآخرة. هل ضاع دين مسلمي الاندلس قبل ضياع دنياهم أي حكومتهم أم بعده؟ تأملوا واحكموا.

(٤٧) كانوا لا يتمنون الموت كما يفعل بعض أهل هذا الزمان المعجز،

(١) ان في الكتاب والسنة نصوصا في كون الاصل في سيادة الدنيا وطبائرها أن تكون للمسلمين أصح وأصرح من هذا الحديث في التجارة وحسبك منها قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة خالصة يوم القيامة) وطالما نوهنا بهذا في المنار

- لأنه (ص) « لا تتمنوا الموت »^(١)
- (٤٨) كان أفصح الأشياء عند المسلمين غرض النظر عن عواقب حفظ الصحة والابتلاء بكثرة الأكل ثم ثرة النوم المقضية إلى الاستكانة والكسل ، وضمف اليقين والميل إلى التقليد لقوله (ص) « اخشى ما خشيت على أمي كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين »^(٢)
- (٤٩) اضلال الناس وسوقهم إلى الطرق المظلمة كان من اقبح الأعمال ، سواء كان هذا الاضلال في السياسة أو الدين أو الاجتماع وقد جاء في الحديث « أعماراع نثن رعيتة فهو في النار »^(٣)
- (٥٠) الطاعة اذ قال « انما الطاعة في المعروف »^(٤) لان نصيب كل أمة تطيع رؤسها اطاعة عمياء وتصدق كل ما تسمع الا تقراض ، أي عواصمها من خريفة العالم : أو اه ! متى ينتبه المسلمون !
- (٥١) كان الواحد دائما طموحا ينظره إلى الملاء للاستفادة بمن كان فرقه ، لانه (ص) قال « جالسوا الكبراء ، وسائلوا الملاء ، وخالطوا الحكماء »^(٥) أن هذا الامر من القناعة التي يتشددون بها بدون أن يفهموا معناها ، ان الدين يأمر بالاكثر دائما من كل حسن
- (٥٢) كانوا ينظرون دائما إلى غايات الأمور ومقاصدها ، ولا يثنيم عنها صموية وسائنها وبعد طرقها ، ولا سيما العلم لقوله (ص) « اطلبوا العلم ولو بالعين »^(٦) ولو صح ان تصد الوسيلة غير الشريفة عن المقصد الشريف لما أمر بأخذ العلم من مشركي العين ، وهذا الحديث الشريف من جملة اسباب احتقارهم للصناعات في سبيل نيل المرام من النكال ،
- (٥٣) للتلاميذ مزية كبرى في دين محمد (ص) لانه قال « أفضل الصدقة أن

(١) رواه ابن ماجه من حديث خباب بن اسد صحيح وباليت شمري أن هؤلاء الذين ينكرون عليهم الكتاب تمنى الموت ؟ ما أراه إلا واحدا (٢) الدارقطني في الأفراد عن جابر (٣) ابن عساکر عن معقل بن يسار بنسند حسن (٤) رواه البخاري وغيره (٥) الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي جحيفة بنسند صحيح (٦) ابن عبد البر من حديث أسد بن زيد زيادة « فان ظاب العلم فربضة على كل مسلم ان الملائكة لتضع

يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم «^(١) لان تربية الدماغ التريية الصالحة ترقى شؤون الانسان المعنوية

(٥٤) كان المسلمون يحترمون أنفسهم فلا يعمالون الا بما تطمئن اليه قلوبهم وترتاح اليه ضمائرهم ، لانه (ص) قال « اذا طاك نفسك شيء فدعه »^(٢)
فكانوا يعلمون دينهم ومصالحهم بالاقناع فلا يساقون اليها ولا يكرهون عليها
(٥٥) كانوا يعتقدون أن اصدق مفت للانسان وجدانه لانه (ص) قال
« استفت نفسك وان افتاك المفتون »^(٣) وبما أن صحة حكم الوجدان متوقفة
على كون ذلك الوجدان نقي وطهر بصابون التريية وماء العلم وتحلى بحلى الاخلاق
قال (ص) « الاسلام حسن الخلق »

(٥٦) كان المسلمون يتجنبون كل عمل بالسر ان كان يكرهه الناس بالطن
لانه (ص) قال (ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك خلوته »^(٤)
(٥٧) بما أن صحة افتاء النفس تتوقف على تهذيب العقل ، وصحة
العقل منوطة بسلامة الجسد — كانوا يعتنون كل الاعتناء بقواعد حفظ الصحة ؛
لان من وصايا النبي (ص) بها قوله « تخلوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان »^(٥)
(٥٨) نظافة اليدين والقدم كانت من أهم اعمالهم اليومية . لانه (ص) قال
« من بات وفي يده غمر فأن صابه شيء فلا يلومن الا نفسه »^(٦)

أجنتحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » (١) ابن ماجه من حديث أبي هريرة
(٢) حمد وان حبان والحاكم عن أبي أمامة (٣) رواه البخاري في التاريخ عن
وابصة بسند حسن . وحديث الاسلام « حسن الخلق » في مسند الفردوس للدبلعي
« ٤ » لفظ الحديث في الجامع الصغير الذي نقل عنه الكاتب « اذا خلوت »

يدل خلوة رواه ابن حبان والترمذي عن ابن شريك بسند صحيح
« ٥ » تتمته « والايمان مع صاحبه في الجنة » رواه الطبراني في الاوسط عن
ابن مسعود . عظم عليه السلام أمر تنظيف الاسنان بهذا الحديث والناس يتهاونون
بها حتى يأكلها السوس فيفاسون آلامها ثم يحرمون منها فيسوء هضمهم ويحرمون
لذة الطعام او يضطرون الى وضع اسنان صناعية غالية الثمن وهي دونها
« ٦ » البخاري في التاريخ والترمذي والحاكم عن أبي هريرة وحسنوه
و الغمر فيه بالتحريك وهو ربح اللحم فهو حث على تنظيف الايدي بعد الطعام
ولا سيما اللدسم كاللحم والدهن

أين الذين يمرضون على قواعد حفظ الصحة ويقولون : المرض من الله ولا دخل للعبد فيه ؟ أين هم ؟ أين هم ؟

(٥٩) كانوا لا يخرجون من بيوتهم الا بالبسة لطيفة ومنشطة لانه (ص) هذبهم بقوله « أصاحوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس » وما قول الذين يخرجون الى السوق بلا جبة وبلا جوارب أو بلا طربوش ؟ إن الأوروبي يصور أمثال هؤلاء ويضع صورهم في معرض الصور المتحركة ليقول لقومه ها هم أولاء المسلمون !! ومن لي بمن يفهم الأوروبيين أن هؤلاء مسلمون اسما لا فعلا .

(٦٠) لم تكن النظافة التي يأمر بها الاسلام خاصة بالاجسام بل كانت تشمل باب البيت وساحة الدار أيضا . جاء في الحديث أن « طيبوا ساحاتكم »^(١) (٦١) ومن جملة أوامره (ص) ان تكون مدن المسلمين مزينة بالابنية العالية وبالماجد المارة لانه قال « ابنوا مساجدكم جما وبنوا مدائنكم مشرفة »^(٢) ايه ! يا أيها الذين يسكنون تحت الارض ! والذين يدعون غيرهم لهذا العمل : ما قولكم بهذا الحديث ؟

(٦٢) نظافة الطرق وتوسيعها مما كان يوضي به (ص) كقوله « اعزل الاذي عن طريق المسلمين »^(٣)

ان الانسان عند ما يرى هذه الاحاديث النبوية ، المبنية على أدق الاسس الاجتماعية يكاد يندوب الماعند ما يرى مدن المسلمين اليوم وطرقهم وبيوتهم (٦٣) شدد النبي (ص) في تنظيف الطرق حتى قال « من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم »^(٤)

ومع كل هذه الصراحة فان أكثر طرق المسلمين كأنها مستودع

(١) تتمته « فان اتقت الساحات ساحات اليهود » رواه الطبراني في الاوسط عن سعد وحسنوه . ومن العجيب ان هذا الامر لا يزال معروفا في بيوت فقراء اليهود الذين لم يتربوا تربية افرنجية « ٢ » ابن ابي شيبة عن ابن عباس « ٣ » مسلم في صحيحه وابن ماجه عن ابي برزة « ٤ » الطبراني في الكبير عن حذيفة ابن أسيد وحسنوه

لقاذورات البيوت التي يلقونها على الطريق ، كأن ذلك أمر عادي ، فهل لنا بعد هذه المخالفات لاوامر نبينا أن ندعي الاسلام ؟ قال سيدنا عيسى عليه السلام لامته : من ضربك على خدك الايمن فأدر له الخد الايسر ، واعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ومع ذلك ترى كل عيسوي يبذل جهده لان يكون هو القيصر ، ولان يعمر ملكه وملك غيره ، بينما ترى سيدنا محمداً (ص) أمر بما تقدم آتفا ترى المسلمين ينكشون ولايتوسمون على سطح الارض ، بيوتهم صغيرة ، بلادهم غير منتظمة ، يعطون ، لقيصر لقيصر ويضيفون على ذلك ما لهم الخاص ايضا يعطونه لقيصر ، يفتخرون بالذل . عجباً ! هل من علاقة بين أوامر نبي المسلمين وحالهم الحاضر ؟ لا ، ثم لا . ذكرنا آنفأستين حديثاً ونيقاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ترى مدلولها عندأمة عيسى فعلا ولفظها في كتبنا فقط ، أقول : إنهم مسلمون فعلا ونحن مسلمون اسماً ؟

لنقاييس حال أجسادنا بحالنا ، لعلنا نعتبر أو نخجل ان نكون اولاد أولئك الليوث ، لاننا اصبحنا عاراً على الاسلامية الحقيقية (٦٤) قال نبينا (ص) «ثلاثة لا يحبهم ربك عز وجل : رجل نزل يتأخر بآ ورجل نزل على طريق السبيل ورجل ارسل دابته ثم جعل يدعو الله أن يحبسها»^(١) فما قول ساداتنا الذين يظنون ان الدعاء وحده سبب الانتصار في الحروب العسكرية والسياسية والاقتصادية !

(٦٥) كانوا يعملون ثم يتوكلون ، لانه (ص) قال « قيد وتوكل »^(٢) اما اليوم فبحجة التوكل ترى المسلمين فرشوا فراش الراحة وناموا ينتظرون أن يعمل الناس لهم لياًكلوا ، وان احتاجوا شيئاً طفقوا يدعون ، ولا قيمة للعمل عندهم . وقد فاتهم أنه (ص) يوم الخندق حمل المجرفة بيده الشريفة واشتغل مع العملة بحفر الخندق حول المدينة لاجل دفع العدو . فعمله هذا دليل على ان للمجرفة وللخندق في الحروب تأثيراً لايفني عنه الدعاء ، ولوكان للدعاء ذلك التأثير كما يزعم المسلمون اسماً لا كتنفى (ص) بالدعاء ولما تعب نفسه

«١» الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالي بسند حسن «٢» البيهقي في شعب لايمان عن عبد الله بن عمرو بسند صحيح

(المنار : ج ٧) (٦٨) (المجلد الثالث والعشرون)

بجمل المحرفة ونحفر الخندق ؟ وليكن اين من يدقق في التاريخ ؟ واين من اذا درس استطاع ان يستنتج ؟

(٦٦) عبد النبي (ص) الذين يشتغلون لاعاشة عيالهم بالصناعات او التجارة او الزراعة افضل الامة بقوله « احب العباد الى الله تعالى اتقهم لعيله »^(١)
(٦٧) كانوا يتبايعون ويتقاضون الحقوق بكل بشاشة وسماحة . وكلام حلو ، ليصدق عليهم قوله (ص) « افضل المؤمنين رجل سمح البيع ، سمح الشراء سمح القضاء »^(٢)

ونحن اليوم بين حالتين - اما بائع وجد قوت يومه فبغى وطفى وعامل لمشتري معاملة الامر المستبد ، واما طماع كذوب محتال مداهن ، فابن نحن من السماحة التي امرنا بها سيدنا ؟

(٦٨) كانوا يهدون التضيق على العيال من اشد الامور كراهة وشرها معاملة لانه (ص) قال « شر الناس المضيق في أهله »^(٣)

واليوم نرى بعض من يدعي الاسلامية يمدد الكسل تديننا والفقر وضيق المهيضة سببا للهموز والنجاة ، والاستفحال بالكسب مائلا للمباداة ، فيالله ما أبعد هؤلاء عن دين محمد (ص) ؟

(٦٩) السياحة في اقطار الارض كانت أمرا محبوبا لانها توسع دائرة المعارف وتزيد الثروة وتقوي البنية وتعلم الانسان المقايسة ، لذلك أمر (ص) « ان سياحة امي الجهاد في سبيل الله »^(٤)

« السائقون هم الصائمون »^(٥) و « وسافروا تصحوا وترزقوا »^(٥) على هذه الاسس بنيت المدينة الاسلامية ، أما مسلمو اليوم فهم منكشون في بيوتهم حتى لا يعرفون اطراف مدينتهم فهل المسلم من يخالف أوامر نبي الاسلام ؟

المرجم حسنى عبد الهادي

(١) عبد الله بن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري مراسلا والتمتع فيه اعم مما ذكره المؤلف فكل من الدليل والمدلول ضعيف

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن ابي سعيد «٣» رواه في الاوسط عن ابي امامة وهو حسن « ٤ » ابو داود والحاكم والبيهقي عنه « ٥ » الحاكم عن ابي هريرة وصححه « ٥ » رواه كشيرون بألفاظ متقاربة

مدنية القوانين

﴿ وسعي لتفريجين لبذ بقية الشريعة وهدم الدين ﴾

(٢)

السعي لالغاء المحاكم الشرعية

(تمهيد) الافرنج الطامعون في استبعاد المسلمين. وأعدائهم من المتفرنجين قد يشتركان في عمل واحد وينتهدما فيه مختلفا اختلاف التضاد — فكلاهما ياربان الشريعة الاسلامية ويجارلان القضاء عليها، ومنع الحكم بها والتفاضي الى رجالها. فنية الفريق الاول وغرضه من ذلك حل رابطة من أقوى روابط هذه لامة وازاله فصل من أقوى الفصول المنطقية المقوية لهذه الملة والفاصلة بينها وبين الملل الاخرى لاجل اضعافها وتمهيد السبيل لادغامها في غيرها أو جعلها غذاء له . ونية الفريق الآخر اما ارضاء الفريق الاول لتحصيل قوتهم وغير ذلك بأن يكون اقتنع أن البلاد صارت له ولا يرتقي أحد في حكومتها الا اذا واثاه وواقفه في سياستها وادارتها — وإما مساعدته على عمل يظن انه يخدم وطنه به لاقتناعه بشبهاته التي يتوسل بها اليه كتوحيد القضاء أو الفصل بين الحكومة والدين والاقتصاد في نفقات المحاكم أو وجود هذه الشريعة وخلوها من المرونة التي تليق بالقرن العشرين — وإما ارضاء الاقليات غير المسلمة ولاسباب النصارى وإما كسر قيد الدين والخروج من حكم سلطانه تقليد الملاحدة الافرنج أولانه يحول دون التمتع بالذات أو لاعتقادهم أن الامة والحكومة لا يمكن أن ترتقي مع التزام أحكام الشرع وان القوانين الافرنجية خير لهما منه : — فالتفريجون ليسوا على رأي واحد ولا نية واحدة في حربهم للشريعة ولكن أكثرهم يتبع هوى نفسه ومنفعة شخصه ، وأقاربهم يتعمد . خدمة أمته ووطنه ، ولكنه حفظ شيئا وغابت عنه أشياء . وسيأتي بيان ذلك

على أثر هجرتي الى هذه البلاد من زهاء ربع قرن خبرني الأستاذ الامام رحمه الله تعالى يوما وهو يندفس الصعداء أن المستشار القضائي لوزارة الحفانية

(مسترسكوت) اقترح على الحكومة إلغاء المحاكم الشرعية وجعل التقاضي في الأحوال الشخصية من اختصاص المحاكم الأهلية بناءً على أن المحاكم الشرعية مختلة النظام قد كثرت شكوى الناس منها، وهه مطالبة الحكومة بإصلاحها، وإن قضاة المحاكم الأهلية المتخرجون في مدرسة الحقوق الخديوية قد تعلموا فيها أحكام الأحوال الشخصية فيمكن أن يجعل في هذه المحاكم جلسات للقضايا الشخصية خاصة إما أن للقضايا المدنية جلسات خاصة ولل قضايا الجنائية كذلك، وبذلك يتوحد القضاء وينتظم، ويتوفر للحكومة المال الكثير الذي تنفقه على المحاكم الشرعية المختلة لمعتلة سألت الاستاذ هل المحاكم الشرعية مختلة النظام معتلة الأحكام كما يزعم المستشار الانكليزي أم دعواه هذه كما نعهد من دعاوي السياسة التي تجعل الحق باطلاً والباطل حقاً: قال إن هذه الدعوى « كلمة حق أريد بها باطل » فالمحاكم مختلة وفيها عيوب كثيرة كما أن في غيرها من مصالح الحكومة خللاً وعيوباً، والبراءة الحقيقية على هذا الاقتراح إزالة أهم ما بقي للمسلمين في هذه الحكومة من حقوق أو الشخصيات المالية، ومن عجيب أمر هؤلاء الشيوخ... شيوخ لازهري أن هذا الاقتراح لم يستمر غيرتهم ولم يعترضهم على ما يجب من الإجماع على إنكاره والاحتجاج عليه وهو يس رزقهم وجاههم... وقد تعبت في اقناع شيخ الجامع بتأليف وفد من كبار العلماء للاحتجاج عليه مع بذل جهدي في مقاومته، ومحاولة اقناع المستشار بضرره وسوء مقبته، وقلت للشيخ لا يكفي أن أسعى وحدي لإبطال هذا وأنا من رجال القضاء الأهلي وأتم ساكتون... ولكن الخديوي اهتم به يومئذ وكذلك قاضي مصر التركي لأن النفوذ في المحاكم الشرعية كان لهما وحدهما وإبطال هذا النفوذ كان من المقاصد أيضاً

ولما لم يمكن قبول هذا المشروع اخترعت وزارة الحفانية وسيلة أخرى لما كانت تدعيه من الاهتمام بإصلاح المحاكم الشرعية اقترحها بطرس غالي باشا فقررت أن يبدأ بتعيين قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية بحضوران الدعوي لمهمة في المحكمة الشرعية الكبرى بل العليا، فقبل هذا المشروع بالسخط العام من

المنازج ٧ م ٢٣ تقرير الاستاذ الامام في اصلاح المحاكم الشرعية ٤١ •

المسلمين واندفع الكتاب ينشرون المقالات الضافية في جريدة المؤيد في انتقاده ومنهم بعض الازهريين وكان للشيخ علي يوسف رحمه الله جولة وأي جولة في هذا الميدان، وقد ساعدته على ذلك ببعض المقالات التي لم أوقعها باسمي الصريح ولا بحرفي (م. ر) كما كنت أوقع أكثر ما أكتب في المؤيد ثم فشلت الحكومة في هذا الاقتراح برفض مجلس شورى القوانين له مستندا الى فتوى شرعية صدرت من قاضي القضاة ومفتي الديار المصرية شيخ الجامع الازهر في ذلك العهد (وهو الشيخ حسونه النواوي) وكان رأي الامام في هذا المشروع ان الغرض الخفي منه للانكيز وأعوانهم أن يتعود المسلمون حكم لابسى الزى الافرنجى في القضايا الشرعية فيكون مهدأ للعودة الى المشروع الاول .

هذه النازلة دخلتنا يومئذ على كتابة مقال في جزء المنار الذي صدر في أواخر ذي الحجة سنة ١٣١٩ (عنوانه التعاليم القضائية) اقترحنا فيه على شيخ الجامع الازهر ومجلس ادارته إنشاء قسم في الازهر يعلم الشريعة تعليما قضائيا عمليا يعدون فيه خريجه لمنصب القضاء الشرعي، وما اقترحناه فيه أن تؤلف من طلابه هيئة للمحاكمات كهيئة المحكة ... وبيننا فيه عيوب كتب الفقه التي تدرس في الازهر وبمخشنا في تطبيق الاحكام على حاجات الناس في كل عصر وبيننا فيه تقصير العلماء في هذا وذاك واضطراب الامراء والحكام الى مجازاة المصر في تطوراته العامة ، مع ما يجب على العلماء في ذلك

وعلى إثر هذه النازلة عمز الخديو الشيخ حسونه من مشيخة الازهر واقفاه للديار المصرية ملجأ لا يختارا وولى الاستاذ الامام منصب الافتاء وتوسل اليه باكرم أصدقائه ليقبله قبل، وكلفته الحكومة تنقيش المحاكم الشرعية ووضع تقرير فيما يراه من وسائل اصلاحها ، فأجهت الامة على استحضان ذلك كما نوهت به الجرائد وقد قام رحمه الله تعالى بالامر خير قيام، ووضع تقريره الذي سارت بذكره الركبان، فخص فيه الله ووصف الدواء . ولكن الحكومة لم تنفذه حق التنفيذ، وكان مما بينه وبينه من خلل هذه المحاكم ما يعود الذنب فيه على الحكومة وحدها. وقد نشرناه في المجلة

الثاني من المنار ثم في كتاب على حديثه ، ووضعا له مقدمة بيانا فيها الاصول التي يدور عليها الاصلاح بالدليل الواضح . ولو قدر علماء الازهر ذلك التقرير قدره وعملوا بما أرشدتم اليه لضعفت أو دحضت حجة الطاعنين في أحكام الشريعة الذين يطالبون نسخها بالتوانين الوضعية . على ان هذه المحاكم قد انتظم سيرها بنص الانتظام منذ ذلك العهد على تقصير العلماء والحكومة جميعا في تنفيذ ما اقترح من الاصلاح فيها ولما كان تعاليم الفقه في الازهر بقي مختلفا ، فوضع الاستاذ الامام مشروع مدرسة القضاء الشرعي الاستغناء بها عنه

قانون الاحوال الشخصية

ثم ان الحكومة المصرية قد جاءت في عهد الحماية البريطانية بمشروع جديد وهو وضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالاتفاق والفسخ والعدة والنقمة ، وألفت لذلك لجنة يرأسها وزير الحقانية ومن أعضائها مفتي الديار المصرية السابق (الشيخ محمد نجيب) وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي والحقوق، على أن تستمد مواد هذا القانون من كتاب قدرتي باشا المشهور مع أخذ بعض مواد المناسبة لمصلحة هذا العصر من فقه المذاهب الاربعية المشهورة، وأن لا تنقيد بمذهب الحنفية في كل حكم وان اتخذته أصلا، لان ارتباط الحكومة بالدولة العثمانية التي قيدت القضاء بهذا المذهب قد زال

وهذا الاطلاق ركن من أركان الاصلاح الذي طالما فكر فيه وتمناه عتلاء العلماء وغيرهم من طلاب الاصلاح وهو مما اشتمل عليه تقرير الاستاذ الامام في اصلاح المحاكم الشرعية ، وبيننا في مقدمة طبعه مستنده من أقوال الفقهاء . ولكن هذا الشكل لتنفيذه منتقد من وجوه كنت قد بينتها في مقال طويل لم يتمكن نشره في أيام ظهور المشروع ، وقد كان وزير الحقانية أرسل الى الجزء الاول الذي تم منه لاجل بيان رأي فيه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين فانتدبه بعضهم ولم يكتب للوزير فيه شيئا لا فني لست مقراله وقد كاشفته يومئذ بذلك . وابداه الرأي في مواده يتضمن انرضا بأصله

ثم اني بينت أم ما تقدمته على جعل الاحكام الشرعية قانونا في المقالة الثانية من المقالات التي عنوانها (المتفرنجون والاصلاح الاسلامي) - وسيأتي بيان سببها وموضوعها - وهو جعل الاحكام الشرعية قانونا ، فان القانون اذا أطلق في هذا المقام يختص معناه بما يقابل الشرع الالهي من الاحكام ، وما يترب على ذلك من توقف الحكم به على اقرار مجالس الوزراء له وصدر أمر الحاكم العام بتنفيذه . وكونه تشريعا من هذه الحكومة الواقعة تحت سيادة غير اسلامية ، وكون المنفذه وزيرا من وزراءها لا يشترط أن يكون مسلما ، وكون القضاة يحكمون بما يفهمون من نصه وان لم تدل لضعفها وركاكتها على ما قصدته اللجنة ، وكونه سيشرح على أنه قانون فلا يتقيد الشارحون له بما أخذ أحكامه من الشرع وربما لا يعرفونها ، وقد يفتي ذلك الى مخالفة نصوص الشارع واجماع الامة . وكونه سيدهج بمد ذلك في القانون المدني ونزول منه كل صبغة وكل صيغة تدل على استمداده من الشرع الاسلامي كما صرح بذلك بعض الجاهرين بالاحاد من هؤلاء المتفرنجين

وجملة القول اني رأيت هذا الوضع أدنى الى إزالة ما بقي للمسلمين من العقومات والشخصات في هذه الحكومة الاسلامية بكل معنى تسمى به حكومة اسلامية أو مسيحية وزيادة . ولكنني لم أسمع ولم أقرأ لاحد من علماء الازهر كلمة قبلت ولا كتبت في إنكاره ، فهل كان سبب ذلك أنهم لا يرون مانعا من جعل أحكام الشرع في مثل النكاح والطلاق وقانونا وهي من قبيل العبادات في انها يدان بها الله تعالى بما أحل وحرّم في أغلظ ما نزلت فيه من النصوص من الحقوق البشرية من استحلال الابضاع وأبوت الانساب وتكوين بناء البيوت (العائلات) ان كان هذا سبب اقرارهم لهذا القانون فتمدقرت المساواة بينهم وبين غلاة المتفرنجين في إزالة كل صبغة أو مسحة اسلامية من الحكومة لان أكثر الاحكام المدنية وأحكام العقوبات والسياسة في الفقه من اجتهاد العلماء التي لم يرد فيها نص في القرآن ولا سنة من قضاء الرسول (ص) أو فتاواه والمدار فيها على حفظ المصالح ودرء المفاسد وإقامة العدل لا على التعبد كالتبعية بعد وقد كنت راجعت في المسألة الاستاذ الشيخ محمد نجيب وهو أكبر الفقهاء

مقاما في اللجنة ورغبت اليه أن يعترض على تسمية ما يجمعهونه من هذه الاحكام قانونا ويقترح تسميتها (المجلة الشرعية في الاحكام الشخصية) فقال وأي . نع يمنع من تسميتها قانونا؟ والقانون هو القاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها وهو يصدق على هذه الاحكام؟ قلت هذا عرف ذكروه في تفسير قول من عرف المنطق بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر ، وهو في عرف أهل الموسيقى اسم لآلة من آلات الطرب ، ولكنه اذا أطلق في عرف الحقوق والحكومات ينصرف الى ما يضعه البشر من الاحكام التي تجري عليها الحكومة ويكون مقابلا للشرعية التي هي وضع إلهي لا بشري ، حتى إن ما يستنبطه البشر بأراهم الاجتهادية من هذه الاحكام ينسبونه الى الوضع الالهي لان الاصل في الصحيح منه أن يكون راجعا الى نص من الكتاب أو السنة (وان كان الكثير منها ليس كذلك بل بعضها مخالف للنصوص) وذكرت له بعض ما ظهر لي من لوازم هذه التسمية وظننت نه سيفعل شيئا ولم يفعل

ومن نوادر الاتفاق أن حكومة الترك الاتحادية قد فعلت في أثناء الحرب الاخيرة على انهماكها فيها وجعلها أكبر ههنا نحواً مما شرعت فيه الحكومة المصرية ولكن توسعوا في مخالفة مذهب الحنفية مالم يتوسع المصريون على انهم هم حماة ومقيدو القضاء به ، ولولاهم لما انتشر في مصر ، وذلك ان الاتحاديين أجزأ من تولى زمام الاحكام في بلاد اسلامية على التغيير والتبديل بغير مبالاة بالمخالفين ، وسبأني البحث فيما وضعوه وأصدروا به ارادة سلطانية

اقترح المتفرنجون اقدام الحكومة على وضع هذا المشروع فاقترح بعضهم على وزير الحقانية أن يدمج فيه ابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق ، وحرية التعاقدين - ارجل والمرأة - في عقد النكاح ، وتساويهما فيما يلزم العقد ، وجعل العقد رسامين ، بل صرح بعضهم بوجود عدم تناقض أحكام النكاح مع الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، أي المتضمنة لباحة الزنا ! فظهر لنا مما قرأناهم وسمعنا منهم وعندهم أنهم يعدون هذا المشروع أقرب

الوسائل الى نبد الشريعة الاسلامية بجماعتها، لا الى الغاء المحاكم الشرعية وما يلزمه من القضاء على المعاهد الدينية فقط ، وهذا أكبر مما انتقدناه منه . بادي الرأي

دعوة المتفرنجين الى هدم أصول الشريعة كلها

نهوك أحد وكلاء النيابة من رجال القضاء الاهلي فكتب رسالة في هذا المشروع دعا فيها الى جعل هذا القانون مطابقاً لآراء من يسمون أنفسهم الفئة الراقية أو المتنورة في البلاد — وهم هؤلاء المتفرنجون ، اذ لا يكون الاصلاح عندهم الا بذلك — ولأنه خرج فيه عن موضوع الاصلاح الخاص بالاحكام الزوجية الى القول بهدم أصول الشريعة الاربعة المشهورة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . فأباح باسم لاسلام عدم التقيد بنصوص القرآن في الاحكام ، ولكنه سمح بأن يراعى في محرماته مرماها والغرض منها ، وفي واجباته الحكمة المقصودة بها ، وأما ما جرّمه وأحرمه ، فلكل حاكم عنده أن يحرمه . وأما السنة فكل ما ثبت فيها من احكام الرسول صلى الله عليه وسلم وقضائه ومن حلال وحرام فلا يجب اتباع شيء منه على من بعده ، خلافاً لقوله تعالى (فاتبعوه احكام تفلحون) ! وإنما يجب على المسلمين عنده أن يتبعوا في كل زمان ومكان كل من يتولى من حكومتهم فيما يسنه لهم ، ويؤمّمه ويحرمه عليهم ، وان خالف صريح سنة نبيهم ، ورسول ربهم اليهم ، مخالفة محرّجة ، وكذا ان خالف نصوص القرآن فيما تدل عليه عباراتها ، اذ لا يجب عليهم عنده الا مراعاة ما يفهمون من حكايتها ومعناها ، فاذا أمكن مراعاة هذه الحكمة وموافقة هذا المغزى من طريق آخر غير اتباع منطوق الآيات فلا بأس أو كما قال « فلا حرج في أن نصل الى الغرض المقصود من أفيد الطرق وأخصرها » ومثل له باغناء جعل العقد رسمياً عن الاشهاد على عقد الزواج ، وباغناء مرور أكثر مدة الحمل على الطلاق عن العدة المنصوصة ! أي ومثل هذا بالارلى ما اذا علمنا بالاطلاع على باطن الرحم بأشعة (رونتجن) أنه لا حمل فيه ، فحينئذ ينبح للمرأة أن تتزوج في اليوم الذي تطلق فيه ، والمطلق أن يمنع النفقة عنها وان لم تتزوج ،

(المنار : ج ٧) (٦٩) (المجلد الثالث والعشرون)

وبهذه القاعدة لا يبقى محرم الا ويباح ارتكابه لمن يدعي انه يمكنه مراعاة مغزى القرآن من تحريمه كشرب الخمر وتحريم نكاح البنت والاخت وغير ذلك وأما الاجماع والقياس فقد صار مجاله واسعا في هدمهما وجعل اجماع أمثاله وأقيستهم أولى بالاعتبار والاتباع من اجماع الصحابة والتابعين، وأقيسة لائمة لمجتهدين، ون يقول في القرآن ما قال ويصرح على أثره بقوله :

« و بذلك ينقض وجوب التقيد بأمامي الحرفية القانونية الواردة في القرآن » — ومن يجعل قضاء الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وأحكامه في زمانه كأفضية الافرنج والمتفرنجين بقوانينهم والاحكام التي يضعها لهذه البلاد المستشارون القضاةيون من الانكليز في زمانه، بل يجعل هذه ناسخة لها وواجبة الاتباع من دونها — هل يحترم اجماع سلف الامة الصالح ومجتهديها ؟ كيف وهؤلاء المستشارون ومقلدتهم المتفرنجيون من ابناء القرن العشرين ؟ وأوانك كانوا في زمن القرون الوسطى المسيحية التي يسميها أساتذته الافرنج القرون المظلمة، وان سماها قومه المسلمون غير المتنورين بعصر النور أو عصر السعادة كما يقول اخواننا الترك . (فلاورثي لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) — هذا ما كتبه وخطب به مصري من طائفة المسلمين الجغرافيين باسم الامانة

رأيه هذا في طول البلاد وعرضها ودعا اليه باسم الاسلام ، فوضع به للمسلمين ديننا جديدا وشرعا محدثا لم يتجرأ على مثله أحد من فرق الباطنية الذين تعبوا في محاولة إبطال دين الاسلام بالتأويل . فضلوا كثيرا وأضلوا عن سواء السبيل ، واكن الاسلام بقي ثابتا ، ظل حكمه نافذا ، حتى جنى عليه المقلدون الجامدون ، مالم يجن عليه الملاحدة والمرتدون . وأجرأ منه أناس من هؤلاء المتفرنجين ، يصرهون اليوم بأن حكومتهم يجب أن تكون غير مقيدة بدين ، وان تكون جميع قوانينها مدنية لا شائبة للدين فيها . فهد ينشد الشرع بشبهة السياسة المدنية ، وذلك ينبذه بشبهة النظريات القانونية أما هذا السيادي فهو محمود أفندي عزمي أحد محرري جريدة الاستقلال ، وأما ذلك القانوني فهو (احمد افندي صفوت) الذي كان وكيل نيابة

(الدلتجات) فاستخدمته الساطة البريطانية بماظهر من جرأته على الشريعة الاصلاح
القضاء في بلاد فلسطين بمدهدنة الحرب . وكان القى ما كتبه على جمهور كبير بقاعة
المحاميين في الاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي أنطون بك
سلامه ، وطبعه ووزعه على الناس في هذا القطر كله ، ولم يصمد أحد من علماء الازهر
ولا غيره من المعاهد العلمية — وفي مقدمتها معهد الاسكندرية — للرد عليه حتى
أظلمنا عليه أحد قضاة المحاكم الاهلية فرددنا عليه بأربع مقالات نشرت في المجلدين
العشرين والحادي العشرين من المنار

مهما يكن من سبب سكوت علماء المعاهد الدينية في ذلك الوقت فهام أولاء
يتصدون في هذا الوقت للرد على مقترح جعل القوانين كلها مدنية، واذا رفعت
الملاحكام العرفية عند الشروع في انتخاب أعضاء المجلس النيابي فسيكون مجال
النزاع والحصام في هذه المسألة أقوى، ولكل من الخصمين أنصاره فالسواد الاعظم
من الامة المصرية يخالف رأي هؤلاء القلة من المتفرنجين ، ولا سيما اذا صرحوا
بمقاصدهم كما يصرح مقترح مدنية القوانين، وهؤلاء المتفرنجون ليسوا باقليات، وتؤيدهم
الاقليات غير المسلمة ، ونفوذ الانكاز والافرنج كافة، ولا يخلو التصادم بين الفريقين في
عهد تكوين الحكومة النيابية وفي أوائل العهد بها من خطر عليها ، فليس مره صالحة
مصر في هذا الوقت أن تثار فيها هذه النزعات المهيجة التي طرقت بابها بعض
المتفرنجين ، فقابلهم بعض علماء الشرع بمطالبة الحكومة وواضعي القانون الاساسي
بما يفيد وجوب تطبيق جميع مواده على الشرع الاسلامي الذي يجب أن تلتزمه
الحكومة من حيث هو دينها الرسمي حتى في علاقتها بحكومة الخلافة أو بالخليفة .
وهذا المقام يحتاج الى بسط من وجوه أهمها ما لا يسع المسلم قبوله لمنافاته للاسلام
وما هو في سعة منه ، وما يضر ذكره دون السكوت عنه . وما تعارض فيه
المصالح ودرأ المفاسد . من المهم الآن اجتناب القلوب الجائنين ، فقد علمنا ما جنى
خلاف والشقاق على أشبه البلاد ببلادنا وهي (ارلدة)

واذ فتح هذا الباب فلا بد لنا من بيان نظريات الازهريين ونظريات المتفرنجين

في الشريعة والقوانين ، وما يراه حزب الاصلاح وهو الوسط الجامع بين هداية الدين البقية ، والترقي في معارج المدنية الصحيحة ، وهو حزب الاستاذ الامام الذي افتقدته البلاد في ظلمات مشكلات هذا العصر ، كما يفتقد في اليلة الظلماء مطلع البدر ، فاتفق رجال الدين ورجال المدنية على الاحتفال باحياء ذكره ، والرجوع الى تعاليمه وهديه ، فاذا نظم حزب الامام عمله ، وجمع كائمه ، وتعارف افراده الكثيرون من الازهريين وغيرهم ، فيوشك أن يؤدي لهذا القطر أفضل خدمة كان من شأن الامام — رحمه الله تعالى — أن يؤديها له في هذا الطور الخيف — طور الانتقال من سيطرة الحكومة الفردية ، الى مجبوحة حكومة الامة النيابية

كوارث سوريا في سنوات الحرب

﴿ تعليق المنار على مقالات الامير شكيب ﴾

الامير شكيب كاتب سياسي بارع ومؤرخ محقق ، وقد كتب هذه المقالات للتاريخ فأثبت فيها ما رأى بعينه ، وما سمع بأذنيه ، وما سعى اليه فأصابه ، وما سعى اليه ولم يصبه . وليس الامير بالرجل الظنون ، وما هو على سياسة الأتحاديين بظنين ، بل كان متبهما بمشايخهم ، لانه كان في السياسة الخارجية من شيعتهم ، كل من قرأ مقاله بانصاف يجزم معنا بأن الحكومة التركية لم تكن تريد في تلك السنوات إماتة السوريين بالجوع ولا اللبنانيين منهم ، ولم تفضل المسلمين على النصارى في التموين ولا في غيره من المعاملات ، بل كانت وطأتها عليهم أشد ، ولم تبطل امتياز لبنان كما أبطلت الامتيازات الاجنبية كلها : ولكن هذه المقالات أيدت الآراء المهمة التي كنا نعتقدها ، ونصرح بها ، قولا وكتابة ، وان حكمت المراقبة على الصحف بمنعنا من بعض ما كنا نكتب

١ — كنا نعتقد أن جمعية الأتحاد والترقي قد اقتضت ما أعطتها الحرب من التصرف في سلطنة آل عثمان بالحكم العرفي العسكري للقضاء على الشعب العربي فيها وجعل سورية والعراق ولايات تركية ، وان النهضة العالمية والوطنية لما كانت

في سورية أقوى منها في العراق عجل جمال باشا بتريكها بالقوة القاهرة ، متوسلا الى ذلك بتعريض الضباط والجنود منها للقتل في المعارك الخطرة ، وبتقتيل رجال النهضة الفكرية والقلبية - وبنفي البيوت ذات الثروة والملك الواسع الى الاناضول لاجل ادغامهم في الشعب التركي هنالك ، ثم بالاتيان بيوت تركية نخلفهم في بيوتهم وأملاكهم في سورية .
فجمال باشا كان منفذا لقرار جمعيته الاتحادية الطورانية لا مبتكراً لهذا الفساد راجع قول جمال باشا الاله يرشكيب مع اتياله على التوسل اليه بطاعت باشا أن يكف عن القتل والصلاب : أنظن أنني أفعل ما أفعل بدون مشاورة رفقائي ؟ (آخر ص ١٣٠) . ثم ما بعد هذا من خيبة الاله بالتوسل بأثر باشا . ثم راجع كلامه في (ص ٢٠٢) وما بعدها عن اجلاء السوريين عن وطنهم الذي وضع له اسم (التهجير) . ثم راجع في (ص ٢٩٢) مسألة محاولة جعل سورية تركية بمشروع قانون وضع لذلك كانوا يريدون تقريره في مجالس المبعوثين

٢ - كنا نعتقد أن محاكمة جمال باشا لمن يريد قتلهم محاكمة صورية لا يراد بها إحقاق الحق لينبع ، ولا تمييز بايشوبه من الباطل ليجتنب ، وانما هو رياء السياسة العصرية المعهودة من سائر الدول في معاملة من يعدمه أهلها عدوا لهم ، يحاكونه لاجل ادانته والحكم عليه ولا يعدون ما يثبتون به التهمة من الاثبات والتأويل ، وليس لاحكامهم عقاب من استئناف أو نقض وإبرام فيفند ما يافكون ! راجع قول الكاتب عن جمال باشا انه لما صمم على شنق الجماعة « استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه على ما عدت من شكري بك نفسه أسماء أربعين شخصا يجب أن يحكم عليهم بالموت ! فراوده شكري بك كثيراً ودافع كثيراً فتهدهده بالقتل الخ (آخر ص ١٣١ وأول ص ١٣٢)

٣ - كنا نعتقد ان هذه الخطة خطة جري وغرور لانها تكون سبباً طبيعياً لليأس العرب من هذه الدولة وحملهم على الخروج عليها في الوقت الذي يجب فيه من وثوق روابط الاخاء والولاء ما لا يجب مثله في غيره ، لانه أرجح الاسباب لانحصارها ، قنونه من أعظم الاسباب لانكسارها ، وعند ما باعنا أبناء فعاثله بل فظاأه قات لبعض

اخواتنا اثني أمتي لو أمكنني أن أصل إلى جمال باشا لا بين له خطاه والخطر على الدولة منه . فكانوا يقولون لي: إذا يبدأ بقتلك وصلبك ولا يرجع عن ضلاله ، وقد ظهر أن الحق كان معهم فإن الكاتب بذل له هذا النصح فلم يسمع له ، بل لولا صداقته لانور وطلعت لفتك به ، فإن هؤلاء المفرورين كانوا يظنون أن البلاد العربية التي جندوا منها خمسمائة ألف مقاتل تظل خاضعة لهم حتى بمد اليأس من إمكان حفظ لغة شعبيها ودينها والامن على وطنها في ظل دولتهم ؟ وان الخضوع بقوة الارهاب ، خير من الخضوع بوازع الاخلاص ؟ وكانت الحرب خير الفرص لاستمالة من نفرهم الأتخاديون من الدولة وأياسوم من حنظ حقوقهم أو حياتهم معها ، فعند الشدائد تذهب الاحقاد ، ولكنهم زادهم نفورا . وتأمل كيف كانت انكلترا تبالغ في مدح أهل الهند ومصر ، وفرنسة تبالغ في مدح أهل تونس والجزائر راجع (في ص ٢٠٣) قول الكاتب في رئيس « قومسيون التهجير » نوري بك المفسد : انه كان يكره في الباطن جمالا وطلعت وكل رجال جمعية الأتحاد والترقي ولكنه كان يغري جمالا بالنفي والتغريب انتقاما منهم لعلمه ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي ، وقد نبهنا جمالا إلى هذا الامر وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس الخ

٤ — كنا نعتقد ان ثورة الحجاز توقف بغي جمال عند حد ، وانه هو الذي جعلها ضربة لازب لامناص منها ولا مفر ، وذلك ان الفارين من بغي جمال باشا هم الذين جرّوا الشريف حسينا على ما كان يهواه من الثورة ، وهم الذين قاموا مع الضباط العراقيين بأثقل أعبائها .

وقد كان الامر كذلك كما بينه الامير شكيب في فصل خاص من مقاله « فراجعه في (ص ٢٠٧) وما بعدها ، فقد صرح في أوله بأن جمالا خاف العواقب فعدل عن المحاشنة إلى المحاسنة . وبأنه استدعاه هو وبعض زعماء العشائر (وسام) ونكلم معهم في اتحد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية (قال) وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة ، والنس منا السهر على الامانة للدولة ، وأنا

وان كنت لم اصدق كلامه في البراءة من السياسة ، الطورانية . . . لم أخالفه في
الطعن بسياسة الشريف من جهة مخالفته لانكثرة وتصديقه لمعاهداتها الخ
ثم ذكر ان توفيق بك الذي جعله جمال ناشا وكيلا لولاية الشام احتشد في
اقتناعه بوجود مؤامرة على قتله وخلع طاعة الدولة ، وانه مع ذلك اضطر الى الاكتفاء
بالحبس ، ولم يتجاوزها الى القتل ، — أي بعد ان كان يقتل بغير ذنب ؛ وذكر
ما قيل من ان الاستانة اندرت في هذه الكثرة انذاراً شديداً بأن يعدل عن خطته
المهودة لانه قد طغى السكيل الخ

وقد كنت صرحت بما يرجي من هذا التأثير في مقالة (المسألة العربية)
التاريخية التي نشرت في الجزء الاول من المجلد العشرين الذي صدر في شوال
سنة ١٣٣٥ (يوليو سنة ١٩١٧) بعد ان حذف المراقبة البريطانية منها ما حذف
وكانت كتبت في السنة التي قبل هذه السنة . ثم صرحت في الفصل السابع من
الرحلة الحجازية « بأن الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها ، وأفادت مارجوناه
منها فأنتقدت الحجاز وأوقفت بغي البغاة » ولكن خاب سعبي في ايقافها عند هذا
الحد ، حتى لانكون من أسباب انكسار الدولة في الحرب ، كما بينته في مواضع
متعددة بالتلميح عند المعجز عن التصريح ثم بالتصريح عقب زوال المراقبة
٥ — كنت أعتقد أن المصلحة العامة للبشر عامة وللشعوب المستضعفة
خاصة أن تنتهي الحرب الكبرى بهد قوي الحالفين القائمين بها جميعا وعود التوازن
بين دولها في عهد الضعف الى ما كان عليه في عهد القوة ، والا فبان تصار الحالف الذي فيه
الدولة العثمانية ، وكان يخالقي في هذا بعض من اكشفهم به حتى من المسلمين ،
قائلين ان الاتحاديين اذا اتصروا لا يقف بغيرهم عند حد ، فهم سيقضون على
الامة العربية قضاء مبرما ، ويستعبدونها استعباد الا تقوم لها بمرها قائمة ، وسيقضون
أيضا على الدين الاسلامي متممين ما بدؤوا به . وكنت أجيب بأنني أعلم من سوء
نية زعماء الاتحاديين فوق ماتعلون ، ولكنني أعتقد أن الالمان لا يمكنونهم من مثل
هذا الافساد الذي يضطرون الى السكوت لهم عليه في زمن الحرب اتقاء للفشل فيها ، وانه

لا بد أن يقدر الألمان من قدر الأمة العربية ما لا يقدره هؤلاء الاتحاديون المتطرفون ،
وان الشعب التركي الذي يغاب عليه التدين بالاسلام سيكون عوناً لنا والألمان عليهم .
وقد ذكر الأمير شكيب في مقاله ما يؤيد هذا الرأي ، ما سبق له في هذه
السبيل من السعي ، وهو ما ذكره في ص ١٣٢ من سعيه لدى قنصل المانية في
الشام ليتوسل بنفوذ حكومته لدى حليفاتها بمنع فظائع جمال باشا لان الضرر يعود عليها
من ذلك وقوله « ان قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لانهاية لها
فتكونون زدتهم الدليل الائتلافية قوة امة جديدة هي الامة العربية » وقول القنصل
بعد اخباره اياه بعجز سفارتهم في الاستئانة عن عمل شيء في هذا الباب : ان الأتراك
سيندمون على هذا العمل — ثم ما ذكره في ص ١٣٣ من سعيه لدى (فون كولمان)
الذي كان سفير الدولة الالمانية في الاستئانة لجعل الترك والعرب كائسة والمجر —
ثم لدى خلفه (السكوت پرستورف) الذي كان يصرح بأنه على هذا الرأي الخ
فثبت بهذا أن آراءنا كانت صحيحة لانها مبنية على الروية والتدقيق في البحث عن
الحق ، ولكنني لم أكن آمن من عاقبة غرور الاتحاديين وتهورهم اذا اتصروا ، ولا يأتسأمن
رحمة الله بهذه الامة اذا انكسرت الدولة بسوء تصرفهم ، ولا محل لشرح هذا هنا
هذا واننا سنعود الى شيء من هذا البحث في الرحلة الاوربية ونبين فيها
ما كان من شدة نفور السواد الاعظم من الترك من أعمال الاتحاديين واضمارهم لاثورة
عليهم بعد الحرب ، ومن منع الغازي مصطفى كمال باشا زعمائهم من دخول
الاناضول مدة الحرب لكرهه الامة لهم ، وخذرا من وقوع الشناق بوجودهم ، وما علمناه
مما لقينا من الاتحاديين أنفسهم من اعترافهم بخطأهم في المسألتين العربية والاسلامية ، ومن
سعيهم الآن لتكوين الجامعة الاسلامية ، مع عدم الرجوع عن الجنسية الطورانية ،
وقد تولى جمال باشا أفضل عمل يمكن عمله للجامعة الاسلامية وهو تنظيم الجيش
الافغانى الباسل . ولكن وردت الانباء بأن بعض أشقياء الارمن قد اغتاله في
القوقاس منصرفاً من أوربة الى الافغان . ولا شك ان فقدته الآن خسارة كبيرة لانه
كان قائماً بعمل عظيم ، ولكن رجال الثورات قلما يموتون حتف أنوفهم

الى حملة الاوربيته

(٥)

حديثنا مع أعضاء جمعية الأمم

كان مما قرره أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني قبل انقضاؤه أن يسعى بعض أعضائه الى مقابلة بعض أعضاء جمعية الأمم الذين يرجى أن يعطفوا على قضيتنا اذا عرفوا كنهها، والذين يرجى أن استفيد من الحديث معهم - فائدة تزيدنا بصيرة في أمرنا، فكتب الامير شكيب الى كثير منهم مكاتبات خاصة يطلب فيها تبيير وقت خاص لمقابلة وفد من أعضاء مؤتمرنا ويخبروه به - من حيث انه هو (السكرتير) للمؤتمر - فأجاب كثير منهم الطاب وابي المتسدد و بان الفرنسيان واستكبرا ان يجيبا كأههما لا يعترفان بأن مؤتمرنا عقد ، على أن حكومتهم قد كانت أشد اهتماما بأمر المؤتمر من زميلاتها انكاثرة ، فحلت صنائعها في سورية على توقيع عرائض ينكرون فيها أن يكون المؤتمر ممثلا لهم ومعبرا عن ارادتهم، فأجابها الى ذلك أهم أشد نفاقا من المستخدمين ، ودليل من الجبناء الطامعين . وستفصل اخبارهم في هذا مع غيرها في كتاب المؤتمر ، الذي سيكون تاريخا دقيقا لهذا العمل . وكذلك مندوب الهند وامره ليس بيده بل بيدسكرتيره الانكليزي . وانما سداد انكاثرة من وجوده كثرة أنصارها في الجمعية وكان ممن أجاب الطلب رئيس مجلس جمعية الأمم وهو مندوب الصين ورئيس الجمعية العامة وهو مندوب هولندا ومن الأعضاء البرانس ارفع الدولة مندوب ايراني والورد روبرت سيسل البريطاني الشهير مندوب حكومة الترانسفال والمسترفيشر مندوب الدولة البريطانية نفسها وكذا مندوبوا ايطالية واسبانية والبرازيل والارجنتين وغيرهم . وكنا نبسط لكل منهم قضيتنا وكان اشد هم عطفها عليها وغنيا لمساعدتنا مندوبا ايراني والصين لما بيننا وبين شعوبهما من الجامعة الشرقية ويليهما مندوبوا البرازيل والارجنتين فندوبا اسبانية وهو لندة كان بسطنا للقضية لدى هؤلاء متشابهها وكان الامير ميشيل يتكلم معهم باللين والاعتدال ولا سيما مع الاوربيين منهم وكنت أنا والامير شكيب نتكلم بشدة في رفض الانتداب وسوء الاعتقاد بالدولتين المتصديتين له ووصف (المنار : ج ٧) (٧٥) (المجلد الثالث والعشرون)

عيرتها ، وكان سليمان بك كنعان ، يزيد علينا بيانا في قضية لبنان ، ومثله توفيق بك حماد وشكري أفندي الجمل في الشكوى من الوطن القومي لليهود في فلسطين ، ولا فائدة في استقصاء ما دار بيننا وبينهم كلهم في ذلك ولا بد من بيان نموذج منه

مناقشتنا للورد سيسل

قابلنا اللورد روبرت سيسل في عصر يوم الجمعة (٣٠ سبتمبر) ومكثنا معه ساعة وربع ساعة وقد أفاض في الكلام معنا بطلاقة وحرية غريبة وهو جالس على كرسي بين الجالس والمستلقي . كما أجلس أنا في عامة الاوقات الا أنني أنحامي هذه الجلسة اذا كنت مم بعض المتكلمين المحافظين على الرسوم فأترك راحتي مراعاة لهم ، والظاهر أن الرأي العام في أوربة لا ينتقد مثل هذه العادة ولا يبعدها مخلة بأداب المجلس ، والا كان اللورد قليل الاحترام لنا ، وكبراء الانكليز شديدا والمحافظه على الآداب العامة على كبرياتهم واعجابهم بأنفسهم بسطنا قضيتنا للورد وبيننا له رأي أمتنا في الانتداب ، وخصصنا بالله ذكر مسائلنا فلسطين ولبنان ، فقال : إن البلاد السورية لا تزال بحسب القانون الدولي من بلاد العدو المحتلة ، صاحبها الدولة التركية وهي في حالة حرب مع دول الإحلاف لأنها لم تصدق على معاهدة سيفر التي أمضاها مندوبوها فلهذا لم تر جمعية الامم أن لها حقا في النظر في صكوك الانتداب للبلاد الرموز لها بحرف (أ) المقدمة لها من انكلترة وفرنسة ، وقد اقترحت أنا النظر فيها فلم يقبل اقتراحي (هذا نص كلامه وقد كانت الجرائد ذكرت أن كلا من الدولتين وضمت صك الانتدابها ونشرت صك الانتداب للعراق - وهو سيء جدا - ولم ينشر صك الانتداب لسورية لانه أسوأ . والظاهر أنهما استرجعتا الصكين ثم استبدلتا غيرهما بهما في هذا العام ، وقد أقرهما مجلس عصبة الامم وان لم يكن له حق في ذلك بشهادة اللورد)

ثم قال اللورد : ان الغرض من الانتداب أن تكون البلاد المفروض عليها مستقلة في ادارتها وتساعد الدولة المنتدبة حتى تستمد للاستقلال التام قلنا نعم هذا ما نص في عهد جمعية الامم ولكنه خداع كشفته سيرة الدولتين المستوليتين على البلاد ، قبل أن يتم لها أمر الانتداب ، وما ذكر في

عهد الجمعية ان لاهل البلاد الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة ونشرت
الدولتان بلاغا رسميا وعدتا فيه بالعمل برغبة الاهالي ثم أخلفنا الوعد ، ولم
تعتد برأي الاهالي في شيء

قال نعم ولكن الدولتين احتاطتا لذلك فجعلتا الاتفاق بينهما حائلا دون
انتفاع أهل البلاد بهذا النص ، وهو أن لا تقبل فرنسا الانتداب لفلسطين ولا
للعراق ولا تقبل بريطانيا الانتداب لسورية ، كما أنهما لا يمكنان دولة أخرى
من التصدي لهذا الانتداب

وقال جوابا عن كلام يتعلق بمدى تمكينها جمعية الامم من جعل الانتداب
موافقا لروح عهدها ونصوصه : ان للجمعية أن تفعل ذلك بأن تطبق الانتداب
على مبدئها وروح عهدها فلا تقبل ما يخالف ذلك

ثم قال ان حكومة العراق الجديدة موافقة لروح جمعية الامم وان انكثرة
تنوي مساعدة هذه الحكومة باخلاص ، وان سورية تستحق حكومة
مثلها — لكنه اعترف بأن مسألة فلسطين مشكلة ودقيقة (أي غير متفقعة مع
نصوص جمعية الامم ولا مع روحها) وقال ان انكثرة مضطرة الى الوفاء لليهود
بوعدهم بلفور والى ارضاء العرب وحفظ حقوقهم ، وهي ستجهد في اختراع
وسيلة لارضاء الفريقين مع موافقة روح جمعية الامم في الانتداب

هكذا قال اللورد ولكن صك الانتداب الذي ظهر أخيرا لم يرض
الا اليهود الصهيونيين وحدهم ، وقد أغضب العرب وخفر عهد انكثرة لهم ،
واخلف الوعود التي منتهم بها ، ولم يوافق روح عصبية الامم ولا نص موادهاء
فن نصدق وبقول من نثق ؟ ألا إننا لم نصدق قول اللورد ولكن كان يصدق
مثله ومن دونه كثير من الفلسطينيين ، حتى أتاهم اليقين

ولما صرحنا للورد بأننا لا نقبل هذا الانتداب بحال من الاحوال ، ولا
نصدق الوعود والاقوال ، نصح لنا بأن لا نمرق مسألة الانتداب بل بأن
تقبله ونطالب بمجملة موافقا لروح جمعية الامم فانه ضربة لازب (قال) ومما هده
سيفر وان كانت ستعدل فبلاد العرب لن تعود الى الحكومة التركية . فليس
أماننا من تتكل عليه لا نضافنا من سوء التصرف في الانتداب الا جمعية الامم
حقتسا ، لانها هي صاحبة الحق في المراقبة على الدول المنتدبة ومحاسبتها على أعمالها

قال هذا جوابا عما أطلال به الامير ميشيل من سوء التصرف في البلاد باسم الانتداب، فكأن الوردتوهم أنه يمكن أن تقبله اذا حسن التصرف فيه، وقد صرحت أنا والامير شكيب بأننا لا يمكن أن نقبله كما تقدم، واننا انما نذكر سوء التصرف فيه لاقامة الحججة من الآن على سوء النية لا للانتصاف وكان ملخص كلامي له : انه ليس في استطاعتنا أن نخرج الدولتين ويكون لنا الفلج عليها في دائرة قانون هما الواضعتان له والحاكتان به والمنفذتان له بالقوة، وانما نشكو الى عصبة الامم منذ الآن هذا الامر ونبين لها انه مخالف لمبادئها وغايتها - ولا نخطبه به بصفته البريطانية بل بكونه من كبار أعضاء العصبة الذين تشبعوا بروحها كما نسمم عنه، ونرى أن مشله ينبغي أن يعرف الروح السائدة في الشرق الآن ولا سيما سورية وفلسطين وسائر بلاد العرب، وان الحرب الاخيرة قد علمتهم أن الحياة يجب أن تكون رخيصة في سبيل الحرية، فهم لا يبالون ببذل دمايتهم في سبيلها - وأنه قد ثبت عدوهم أن هذا الانتداب استعمار واستعباد لا مساعدة لاجل استغلالهم، ولو كان مساعدة، لما قاوموه كل هذه المقاومة. وقد أجب عن أول هذا الكلام ولم يجب عن الجملة الاخيرة بل قام على أرضها

كلامي مع المندوب البريطاني

وأذكر مما قلته لمسترفيشر المندوب البريطاني في أثناء حديث وفدنا معه : ان أهل الشرق كانوا يثقون بالبريطانيين مالا يثقون بغيرهم من الغربيين ولا الشرقيين، ويضربون المثل بصدقهم ووفائهم. فاذا أراد أحد أن يقول قولاً فصلاً صادقاً لارجوع فيه قال « كلمة انكليزية » وقد انقلب هذا الاعتقاد بعد الهدنة من الحرب العامة الى ضده فلم يعد أحد يثق بقول انكليزي ولا غيره من الاوربيين، بل خسرت أوروبا كل ما كان من نفوذها الادبي ذلكم بأنكم في أثناء هذه الحرب قد أقيمت على جيم الامم والشعوب في الشرق والغرب درسا واحداً كان يتكرر كل يوم مدة أربع سنين، وهو أن الغرض من هذه الحرب بين حلفكم والحلف الجرمانى هو نصر سلطان الحق وحرية الامم والشعوب على سلطان القوة والاعتداء على الضعفاء واخضاعهم بالسلاح العسكري، ووعدهمونا معشر العرب وعودا خاصة بأننا سنكون

باتتصاركم أحراراً مستقلين ، وقد امتزجت هذه الوعود بدمائنا وأعصابنا ، كما صدقت الشعوب كلها تلك الدروس التي كانت تلقى عليها برقيات روتر وهافاس كل يوم ، وتشرحها وتفصلها جرائدكم وجرائد أحلافكم وما كان إلا أن وضمت الحرب أوزارها بخضوع أعدائكم لكم ، ونزولهم على شروطكم في الهدنة والصلح ، حتى ثلث الكنائس ، وظهرت الدفائن ، فعلم أنكم إنما خشيتم أن تشارككم الدولة الألمانية بقوتها ، في استعبادكم للشعوب واستعماركم لبلادها ، فأردتم القضاء على قوتها لتنفردوا بذلك . وكان أسوأ الناس خيبة من اتخذتموهم واتخذوكم أصدقاء من مخدوعي الأمة العربية ، فإنكم انزعتم منها خير بلادها وأخصبها ومواطن مدنياتها وهي سورية والعراق فقسمتوها بينكم وبين حليفكم فرنسا اقتسام الغنائم ، وقهرتموها على الخضوع لحكمكم بالذبايات والطيارات والبنادق والمدافع ،

واننا نرى انكم إنما أسستم امبراطوريتكم العظيمة بالقوة المعنوية والادبية كالدهاء والحكمة واللين ، وانكم ستكونون باستبدال القوة العسكرية الوحشية بها من الخاسرين ، وإنني قد كتبت في اثبات هذه القضية مذكرة أرسلتها الى وزيركم الاكبر لويج جورج في العام الماضي أثبت فيها انه يمكن لكم أن تربحوا من الشعوب العربية والتركية والفارسية وغيرها من أمم الشرق بالصدقة وحسن المعاملة معها اذا تركتم لها استقلالها ، أضعاف ما تتصورون من الربح منها باستعبادها واستذلالها . والخداع بالاقوال ، كتسمية الاستعمار بالانتداب ، لم يبق له رواج عند أحد من الناس وقد انسل المندوب البريطاني من المناقشة في هذا الموضوع بأنه الآن عضو في جمعية الامم لا في الوزارة البريطانية ، وان الانتداب مقرر في عهد الجمعية وليس موكولا الى أعضائها ليقرروه أو يتركوه ، وانما يطالبون بحمله مطابقاً للمبادئ والاحكام الموضوعه له .

ومما أضحكنا من كلام المندوب الايطالي أنني لما غمزت الحلفاء باقتسام بلادنا باسم الانتداب قال : إننا نحن لم نأخذ شيئاً !

مندوب الصين

ومما قلته لمندوب الصين — وهو رئيس مجلس العصبة بالانتخاب وياله من رجل عالم عاقل حلیم — لا يعزب عن علم سمادتكم ان الدول الغربية

الطامعة تمد الشرق كله مباحاً لها، وترى انه ليس لشعوبه حق في الحرية القومية واستقلال الحكم، الا من أثبت ذلك لنفسه بالقوة الحربية القاهرة كاليابان، وما يمنعهم من المدوان على شعب شرقي ضعيف في عقر داره لساب حرته واستغلال بلاده بيده - وأيديهم من فوقها - لا التنازع فيما بينهم عليه، وقد بدؤا بعد هذه الحرب الوحشية باقتسام بلاد الشرق الادنى، فاذا فرغوا منها لا يبقى أمامهم الا الشرق الاقصى، فأنتم بدفاعكم عن قضيتنا تدافعون عن أنفسكم:

من حلقت لحية جاره فليسكب الماء على لحيته
فاعترف بصحة هذا القول وبوجوب تكافل الشرقيين، وتعاونهم على
جعل آسية للاسيويين. وقد عني بنا اكثر من غيره

مندوب ايران

ومما قلته لمدوب ايران - البرنس أرفم الدولة - ان خصم المسلمين
الاكبري الشرق بل خصم الشرق كله هو الدولة البريطانية، وهي مع المسلمين
اليوم على طرفين متقابلين وان كانا يشتركان في أن كلا منهما أقوى ما كان
وأضعف ما كان في كل تاريخ حياته
فأما الدولة البريطانية فقد خرجت من هذه الحرب وهي سيده أوربة
كلها - دع الشرق - فانها استراحت من خطر الاسطول الالماني الذي كان
يهدد سيادتها البحرية بالزوال وأضافت الى مستعمراتها بلاذا واسعة غنية...
ودكت صروح الدولة العثمانية وجعلت اختها الدولة الايرانية تحت حمايتها،
وأحاطت بجزيرة العرب من أطرافها، بمد أن أعلنت الحماية على مصر واحتلت
العراق وفلسطين (البلاد المقدسة) وانفردت بالسلطان في البحر المتوسط، فصار
كل دوله وراءها كالخدم وراء المخدوم،،، ولكن هذه العظمة والرفعة هي
منتهى ما يمكن أن تصل اليه ولا يطيق النوع البشري احتمال عظمة فوق هذه.
فهي قد بلغت القمة، ولما كان الوقوف والسكون في عالم الاحياء محالاً، لم يبق
الا أن تنحدر وتندهور. وقد بدت آيات الانحدار والسقوط، فقد ثارت
عليها ارلندة ومصر والعراق ثورات دموية. وثار فلسطين ثورة سياسية
والهند ثورة اجتماعية. ونجم نبت الشقاق بينها وبين جارتها وأقوى حليفاتها

الدولة الفرنسية ، ورفضت ايران معاهدتها الاستعبادية ، وصارت جارتها أفغانستان دولة مستقلة حربية ، واستمادت الامة التركية قوتها الحربية . ووراء ذلك كله الروسية البلشفية . كل هذه الممضلات قد فاجأتها وهي في هذا الاوج من مجدها . فمجزت عن معالجة أدنى معضلة منها

وأما المسلمون فقد انتهت هذه الحرب بالقضاء على ما بقي من دولهم المستقلة ، وافتساح ما بقي من بلادهم بين الدول الظافرة ، فباغوا الحضيض الاسفل من الذلة والمسكنة . ولما كان الوقوف والسكون محالاً لم يبق الا أن يصدوا ويرتقوا . وقد ظهرت طلائع الارتقاء مما أشرفنا اليه من ثورات شعوبهم ونهوض حكوماتهم . فاذا كانوا قد اعتبروا بما كان من جنائياتهم على أنفسهم ، وبابوا كالأرجو من ذنوبهم ، وتعاونت شعوبهم مع سائر شعوب الشرق على دفع الضيم والعدوان عنهم ، فلا ريب في نظر الله اليهم ونصره اياهم . والمسلم لا ييأس من روح الله مهما تكن الخطوب والكوارث التي تساوره . لان اليأس لا يجتمع مع الايمان بقدره الله وعنايته وفضله في قلب واحد ، وهذه آيات الله فقد ظهرت للمسلمين بتسخير الامة الروسية لدولتي الاسلام — الثمانية والارابية — تنصرهما . واتشد أزرها . وتساعدهما على درء الخطر البريطاني عنها . بعدما كانت هي الخطر الأكبر عليهما ، الساعية الى مثل عروشهما ، وكانت الدولة البريطانية هي التي تقاومها في هذا . لا حبا فيهما . بل خوفاً ان تنازعها سلطانها البحري بالاستيلاء على الآستانة وتزحف على الهند من طريق ايران — أو كما قال المثل — لا حبا في عليّ ولكن بفضاً في معاوية

ثم نوهنا بنهضة الغازي مصطفى كمال باشا العسكرية والسياسية ، ولا سيما عنايته بجمع السكينة بين الشعوب الاسلامية والشرقية ، فقال البرنس : لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الدنيا ذليلاً الآن وبهذه المناسبة أذكر اني قلت لاكثر من تكلمت معهم من أعضاء جمعية الامم بالاشتراك مع بعض إخواني من وفد المؤتمر أو منفرداً ولرئيس الجمعية خاصة — وهو آخر من تكلم معه الوفد — ما ماخصه :

بعض كلامي لرئيس جمعية الامم

إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ويلسون تأليفها من جميع أمم الحضارة
 غير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف اممها وحكوماتها وشرف المبدأ والغاية
 الموضوعين لعمليها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين تكفل لهما الاستيلاء من
 استوليتا عليه من الشعوب قبل الحرب ومن تريدان الاستيلاء عليهم بعدها
 باسم الانتداب منها ، ولا سيما بلادنا العربية التي هي قلب الارض ومهد
 الاديان الكبرى في العالم وموضوع التنازع في النفوذ بين الدول الكبرى .
 فان هاتين الدولتين قد قلبتا الموضوع فحولتا الغاية المقصودة من الجمعية الى
 ضدها . وقد عز عليها أن تحتل تمعة الاستيلاء على البلاد المقدسة ومهد
 الاديان السماوية الكبرى . فجعلت تبعته على عاتق هذه الجمعية وكلفتها أن
 تكفل لهما هذه الغنيمة وما قبلها من غنائم الاستعمار الذي كان التنازع عليه
 علة هذه الحرب المخزية ، ويخشى أن يفضي الى حرب شر منها هو لا وشر
 ما لا . — ولا يصح منها أن تسفه نفسها وتحقرها بأن تمتد عن هذه
 الجريمة بأنها مقيدة بقانون وضعه لها هؤلاء الطامعون ، فان قانونها يجب أن
 يكون من وضعها ، وأن يقرر بأصوات الاكثريين من أعضاء جمعية العامة ،
 فاما أن تقبل الدول الطامعة ذلك واما أن يقتضح رياؤها ، وتلقى عليها
 وحدها تبعة ما ستجنيه على البشر مطامعها ،

اذا كان البلقان هو مسمر نيران الفتن والحرب في الغرب . فان سورية
 وفلسطين وسائر بلاد العرب ستكون مسمر نيران الفتن والحرب في الغرب
 والشرق جميعاً . واذا كانت انكثرة وفرسة قد فقدتا في عاقبة هذه الحرب
 كل ما كان لهما من النفوذ الادبي في الشرق . فستكون جمعية الامم هي القاضية
 على نفوذ أوربة الادبي في العالم كله اذا رضيت أن تكون آلة لهما فيما ذكرنا .
 واذا أصبحت أوربة لا تبالي بالنفوذ الادبي لاستحوذ الافكار المادية عليها
 — كما قال فيلسوفها الاكبر هربرت سبنسر — فلتعلم أن النفوذ المادي سيبتم
 النفوذ الادبي . فان الشرق قد استيقظ وعرف نفسه . ولن يرضى بعد اليوم
 أن تكون شمو به عبداً أذلاء للطامعين المستعمرين . واتعلمن نبأه بعد حين

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

بقرى الحكمة من بشاء ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا اولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٢٩ صفر سنة ١٣٤١ - ٢٦ الميزان (١ خ) سنة ١٣٠١ هـ ٢٠ أكتوبر سنة ٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من مدينة بنكوك (سيام) ﴾

(س ٣٨—٤٥) من صاحب الامضاء

(١) يقع اختلاف وشتاق في كل عام بين أئمة المساجد في اثبات هلال رمضان فمنهم من يعتمد ويعمل بمثل جدول الشهور والايام للشيخ القزويني ومنهم من يعمل بما قال في عجائب الخلوقات بعد ذكر الجدول وهو ما نصه: قال جعفر الصادق رضي الله عنه: اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فمد الخمام من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك ٥٠ سنة فوجدوه صحيحا اه ومنهم من لا يعمل الا بما قال الشيخ البجيرمي في حاشيته على شرح فتح الوهاب: — قال سيدي علي وفا المصري في فتاويه لا يستتر القمر اكثر من ليلتين آخر الشهر أبداً ويستتر ليلتين ان كان كاملا وليلة ان كان ناقصا. والمراد بالاستتار في الليلتين أن لا يظهر القمر فيهما ويظهر بعد طلوع الفجر. وفي عبارة بعضهم: واذا استتر ليلتين والسماء مصحبة فيهما فالليلة الثالثة أول الشهر بلا ريب والتفطن لذلك ينبغي لكل مسلم فان من تفطن له يغنيه عن التطلع من (؟) رؤية هلال رمضان ولم يفته يوم ان كان كاملا وحديث « صوموا لرؤيته » الخ في حق من لم يتفطن لذلك. ولو علم الناس عظم منزلة رمضان عند الله وعند الملائكة وعند الانبياء لاختاطوا له بصوم أيام قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه اه (قال) وهو كلام تقيس فأحفظه. والبقية يصومون بالرؤية ويفطرون بالرؤية صملا بالحديث الشريف فصار كل مسجد يصوم بما رأى أمامه.

وكذلك يختلفون في اثبات هلالي شوال والاضحى كاختلافهم في اثبات هلال رمضان بل العاملون بالرؤية يختلفون في قبول شهادة عدل واحد في هلالي شوال والاضحى (ولم تتوفر لاحد في سيام شروط المدالة المشروحة في كتب الامام الشافعي) فمنهم من يقبل ومنهم من يرفض فاعتماد الاول على ما ذكر البجيرمي في حاشيته على الاقناع في كتاب الصيام أنه هو المعتمد والثاني على ما قال الشافعي في الام والنووي في شرح مسلم. فالرجاء مل صدورنا أن

تبينوا لنا الحق في هذه مع الرد الصريح على من اهتدى بغير السنة النبوية
 (٢) ما حكم شراء أوراق اليانصيب؟ فإن الحكومة السياسية الآن
 تريد جمع المال لشراء الاسلحة النارية والطائرات الهوائية من أرباح اليانصيب
 لأعراض الجمهور عن التبرع لها) وما الفرق بينهما وبين الميسر الجاهلي؟ فإن
 قيل بالمنع. فما يفعل بالجائزة لوربحت النمرة التي اشتراها مسلم قبل تيقن الحرمة؟
 (٣) فشا بيننا اليوم: (١) التداوي بالأدوية المركبة من الكحول (٢)
 واستعمال الروائح العطرية والافرنجية (٣) تعاطي البيرة (٤) ووضع خلاصة
 الفواكه (Essence) في عمل الحلويات والمربات (٥) والاستصباح بزيت
 البترول (٦) والانتفاع بالغازات. فكل هذه مستحدثة يصعب علينا معرفة
 أحكامها شرعا فنلتمس من فضيلتكم بيانا شافيا مفصلا عن حكم كل منهما وعن
 أصلها وعن الفرق بين كل واحدة منها ان وجد. ولا تحيلونا على ما لم يكن
 بيدنا من فتاوى سبقت لكم في المنار أو غيره أفيدونا أثابكم الله والسلام
 بنكواك نوى
 تلميذكم ناظر مدرسة البداية
 عبد الله بن محمد المسعودي

﴿ جواب المنار ﴾

إثبات هلال رمضان والعيد

قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقد أجمع العلماء على أن الرد الى الله تحكيم كتابه
 والعمل به والرد الى الرسول بعد وفاته تحكيم سنته والعمل بها. وقد قال تعالى
 في كتابه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وناظر رسوله (ص) إثبات الشهر
 برؤية الهلال والا اكملت عدة الشهر ثلاثين يوما. ولا حاجة الى سرد شيء في تفسير
 الآية ولا نصوص الأحاديث في ذلك فهي معلومة لديكم. ومن عجائب ضلالات
 التقليد أن يترك السنة الصحيحة الصريحة عارفاً ويأخذ بقول زيد وعمر من
 الناس الذين ليست أقوالهم ديناً ولا حجة في الدين ولو لم تكن مخالفة للكتاب
 والسنة فكيف اذا خالفها ولا هم من العلماء المجتهدين على ان المسألة ليست اجتهادية
 لوجود النص الصريح فيها. وقد قال الامام الشافعي في أول باب الاجماع من
 رسالته الشهيرة في أصول الفقه: « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم
 (المنار: ج ٨) (٧٤) (المجلد الثالث والعشرون)

كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما » فما دامت رؤية الهلال ممكنة فلا يجوز العمل بالحساب ولا بمثل ما ذكر من الضوابط المبنية عليه ، ولكن قد يحتاج الى الضوابط اذا تمذر العمل بالسنة كأن تطبق الغيوم في قطر كبير عدة أشهر ويتعذر عليهم الوقوف على اثبات صحيح للشهر برؤية الهلال في مكان قريب منهم مثلا أو اذا كان الصيام في المنطقة القطبية وما يقرب منها حيث لا شهور — فهنا يجتهد في تقدير الاوقات للصلاة والصيام . وقد بينا هذه المسائل من قبل والغرض هنا بيان أن المصيب من المختلفين في المسألة في بلاد السائل هو الفريق الذي يثبت الشهر برؤية الهلال والا فبا كمال عدة شعبان ٣٠ يوما اذا غم الهلال على الناس . وينبغي أن يكثر المستهلون لتثبت الرؤية بالتواتر فان لم يتفق ذلك وشهد برؤيته من لا يعد عدلا في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فلا بأس بأن يعد عدلا في مذهب غيره والعبرة بتصديق الناس له فاذا كنا نعلم أن زيدا يتحرى الصدق ويتزهد عن الكذب ولكنه لا يرى بأسا ببعض ما يعد في المذهب مسقطا للرؤية ولا سيما اذا كان لا يعد مسقطا لها في هذا العصر أو لا يسقط مروءة مثله لمجموع مزاياه الأخرى ، فلا مانع من قبول شهادته . والعمدة في ذلك أن يمتد صدقه ، فان بعض ما اشترطوه في العدالة مبني على العرف لا النص : تكريم المروءة . والعرف يختلف باختلاف الزمان والمكان . ويكفي في اثبات رمضان شهادة واحد ، ثبت ذلك في السنة وجرى عليه الجمهور

وأما العيدان فالادلة في إيجابهما بشهادة عدل أو عدلين متعارضة والمهم أن يتفقوا على أحد القولين تفاديا من الاختلاف الذي يبغضه الله ويبغض أهله بمد هذا نقول كلمة في تلك الأقوال التي نقلها السائل عن بعض المصنفين : فاما ما نقلوه عن جدهنا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فهو صحيح في نفسه وانما يطرد بموافقة إثبات الشهر بالحساب الذي تقتضيه قواعد الفلك ولكنه قد يخطئ اذا جرى الاثبات على قاعدة الشرع بالرؤية ، وما يظن ان الامام قال بترك الاثبات بما أمر به جده عليه الصلاة والسلام والعمل بالحساب ، وإلا فان المعارف بالحساب لا يحتاج الى ذلك الضابط بل يعرف أول كل شهر معرفة قطعية لا شك فيها . وانما تختلف أقوال مؤلفي التقاويم أحيانا لان بعضهم يجري في ذلك على قاعدة تولد القمر وبعضهم يجري على قاعدة توافق الشرع

من حيث يجعل أول الشهر الليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال إذا انتفت الموانم كالغيوم وما في معناها. وقد بينا غير مرة أن الحكمة في جعل مواقيت الصلاة والصيام منوطة بما تسهل معرفته على جميع المسلمين من بدو وحضر أميين ومتعلمين هي أن لا تكون أمورهم الدينية بأيدي أفراد من علماء فن مخصوص كالفلان لا يوجدون في كل مكان وقد يعثرون بأمور الأمة في دينها كما فعل رؤساء الأديان الأخرى. ونجد أهل الأمصار الإسلامية الآهلة بالعلماء من جميع المذاهب لا يعملون في إثبات هلال رمضان والأعياد وغيرها إلا بالرؤية أو اكمال العدة على كثرة الحاسبين المدققين فيها، ثم انهم يثبتون الرؤية إثباتاً شرعياً بحكم في دعوى صورية لاجل اعلام الناس كافة به بصفة يرتقم فيها الخلاف ليسلم المسلمون من الفوضى والخلاف في عبادتهم في كل قطر. فإفعله أهل (سيام) عندكم مخالف لهدي الشارع والحكمة الشرع واعمل المسلمون سلفاً وخلفاً في جميع الاقطار الإسلامية وأمامنا نقله البجيرمي من أن حديث «صوموا لرؤيته» خاص بمن لم يتفطن لتلك القاعدة الحسائية — ومن أنه ينبغي الاحتياط لرمضان بصوم قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه — فهو باطل بشقيه ويستغرب قوله فيه: انه نفيس . ويترب على قوله الاول أن تقبل قول كل من جاءنا بقاعدة أو طريقة يمكن أن يحصل بها مقصد الشرع في عمل من الاعمال من غير الطريقة أو القاعدة الثابتة بنص الكتاب والسنة — وحينئذ يكون كل واحد من هؤلاء شارحاً لفير ما شرعه الله تعالى وناسخاً لما شرعه ولوفي الوسائل، وهو شرك بالله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا هذا المعنى في مواضع من التفسير والفتاوى القريبة العهد، وسيرى القراء شيئاً منه في الجزء الآتي من المنار في باب الفتوى ان شاء الله تعالى. وبمثل هذه الآراء أضع من قبلنا أصول دينهم وفروعه

وأما الرأي الثاني فيقال فيه: ان الصيام لا يعد من رمضان الا اذا ثبت الشهر وكان الصيام بنية رمضان والا فقد ورد في السنة النهي عن صوم يوم الشك وعن استقبال رمضان بيوم أو يومين ...

وجملة القول ان الواجب على أهل بلدكم أن يعملوا في إثبات رمضان والميدين بما يعمل به سائر المسلمين من الاستهلال فان رؤي الهلال فذاك والا أكلوا

عدة شعبان؛ وأن يجتمع أئمة المساجد والعلماء ليلة الثلاثين من رمضان فإن ثبت الشهر أعلموا به الناس وصاموا جميعاً والافطروا جميعاً . (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)
شراء أوراق اليانصيب وربحها

« اليانصيب » ضرب من ضروب الميسر التي كثرت في هذا الزمان كما كثرت أنواع أخته الخمر، فلا خلاف في تحريمه بين علماء المذاهب الاسلامية كلها، وأما ربحه من حكومة غير اسلامية في دار الكفر التي لا تنفذ فيها شريعة الاسلام فباح اذ لا يمكن التزام أحكامها واشتراط عقودها في تلك الدار بل يكفي في حل أموال أهلها وحكومتها رضاؤهم وعدم كونه سرقة أو خيانة لهم. ولا حاجة الى بيان الفرق بين هذا الميسر والميسر الجاهلي فان كل ميسر حرام كما أن كل خمر حرام، وان أكثر أنواع الخمر والميسر المستحدثة في هذا الزمان شرعاً كانا منهما في عصر نزول الشرع، وان كان بعض الفقهاء يقول ان حرمة الخمر المتخذة من عصير العنب أشد وأغلظ من سائر الخمر، فهو لاء بنوا قولهم على دعوى لفظية صرجوحة والحق الذي بيناه في التفسير ان كل شراب مسكر فهو خمر لغة وشرعاً، وان شر الخمر أشدها ضرراً في العقل والبدن كالتي يسمونها الاشربة الروحية ولا سيما المستحدثة بالطرق الاوربية، وكذلك الميسر شر أنواعه ما استحدثه الاوربيون في هذا الزمان

الادوية والاعطار الكحولية

اذا كان في الادوية التي يدخلها الكحول اشربة مسكرة فلا شك في تحريم شربها وعدم اباحتها الا في حال الاضطرار التي تبيح المحظور لقوله تعالى (الاما اضطررتم اليه) قيل ومادون الاضطرار من التداوي الذي يكون بتجربة صحيحة أو رأي طبيب عدل يصدقه المريض بأن هذا دواءه ولا يوجد غيره يقوم مقامه. وقد فصلنا هذا البحث بأدلتنا من قبل. ولكن يوجد كثير من الادوية الجامدة والمائمة التي يدخلها الكحول للتطهير وامانة جرائم الفساد ولتفسير ذلك من حفظ المواد وتحليلها أو تركيبها وهي ليست اشربة مسكرة فهذه لا وجه للامتناع من التداوي بها. ومثلها الاعطار الاخرى الممعدة للتمطر والتطهير الطبي فلا وجه لتحريمها الا عند من يعتقد أنها خمر نجسة، وقد بينا بطلان هذا القول في

المجلد الرابع من المنار وفي غيره كالمناظرة فيه بيننا وبين بعض كبراء علماء الازهر وقد جاء تنا في هذه الايام فتوى من الهند بتحريم تزيين المساجد بالطلاء الذي يدخله (الاسبيرتو) بناء على القول بأنه خمر نجس وقد سئلنا عن رأينا فيها فأجبنا جواباً طويلاً ضاق عنه هذا الجزء وسترونه فيما بده ان شاء الله تعالى وتعلمون منه ان هذه الادوية والاعطار لا يحرم منها شيء وانما يحرم الشراب المسكر فقط البيرة البيرة شراب مسكري سمي في اللغة العربية (الجمعة) فهو محرم قطعاً، وان كان القليل منه لا يسكر فان القليل ذريعة الى الكثير

خلاصة الفواكه ان انواع الحلوى والمربى التي توضع فيها خلاصة الفواكه كالموز والتفاح كثيرة في مصر وغيرها من بلاد الاسلام يأكلها المسلمون من العلماء وغيرهم ولم يبلغنا ان أحداً جعلها موضوع خلاف يحتاج فيه الى الاستفتاء، ولا نعلم أن منها خمر، على ان الخمر اذا دخلت في مواد وطبخت هذه المواد خرجت عن كونها خمراً مسكرة وطهرت على القول بأنها كانت نجسة - وهذا مذهب الحنفية الراجح المختار عندنا فيها كما بيناه في الرد على الفتوى الهندية المشار اليها آنفاً الاستصباح بزيت البترول قد استغر بنا سؤالكم عن الاستصباح بزيت البترول وقولكم انه من المستحدثات في بلاد سيام فنحن منذ عرفنا الدنيا رأينا يستصبح به في الدور والمساجد ولا وجه لجعله مما يسئل عن حله وحرمة فان الاصل في جميع الاشياء النافعة الحلّ واذا وجد شيء جديد ضاراً أو فيه ضرر من جهة وتقع من أخرى فهو الذي يسئل عن حكمه

الانتفاع بالغازات ما قيل في زيت البترول يقال في الغازات والمستعمل عندنا في الاستصباح منها غاز الفحم الحجري وهو كثير في مساجدنا ومنها الجامع الازهر . والله تعالى أعلم

﴿ استفتاء آخر في اسلام أهل سيام ﴾

﴿ المشوب بالاعمال والشمائر الوثنية البوذية ﴾

(س ٤٦) من صاحب الامضاء

ماقولكم ، دام فضلكم :

في مسلمين نساؤهم متبرجات تبرجا دونه تبرج الجاهلية الاولى . لا يرين في

أنفسهن عورة سوى السواتين ، يتعاطين أشغال الحياة خارج البيت أكثر من داخله ، ويختلطن مع الرجال الأجانب ، ويزاحمنهم في الأسواق والحفلات والولائم وكل الأشغال ، يقلن : لا إله الا الله محمداً رسول الله ، ويصلين الخمس ، ويصمن رمضان الخ ، ويحضرن أسواقاً خيرية ، وحفلات بوذية ، يقيمها البوذيون في معابدهم ، ويشتركن معهم فيها في الملهى والميسرفى مكان مزدحم ، ولا يوجد أدنى فرق بينهن وبين البوذيات في الزي والهيئة ، — هذه أوصاف بناتهم ونسائهم — فهم لم يعرفوا ولم يعترفوا ان للحياء معنى ، وللغيرة معنى ، يهينون من لم يتزي بزيتهم ، ويمرون من لم يتخلق بأخلاقهم ، ويقلدون البوذيين في آدابهم ، وفي الملبس والمسكن والوساخة ، وفي بعض الامور الدينية ، . والوثنيين ملبس خاص قبيح المنظر جداً ، ما يستر غير السواتين ، ومسكن عجيب فيه غرفة أو غرفتان هي قاعة الاستقبال وقاعة النوم والا كل معاً — أول ما يرى الزائر عند دخوله المطبخ ومافيه ، والمرقد وما حواليه . كما ان وساختهم ليس لها حد ، ولقد صدق القائل : لا عتاب بعد الكفر ، ولهم معابد كثيرة فلما يخلو شارع من معبد أو معبدتين ، وأقل مساحة كل معبد في بنكوك ٦٠٠ متر مربع . كذلك تجد مساجد المسلمين في كل حارة نزلوا فيها من مسجد الى أربعة يكثرونها بدون أقل حاجة ، يقيمون في كل منها الجمعة ويتبعونها بالظهر ، وكل مسجد معارض ومعاد للآخر — وكل معجب بما عنده — نجمة تفرق وحدتهم ، وتبعث التنافر والتقاطع والتناوب بينهم ، وعلى ما ظهر تنزل غضب الله عليهم ، ومع كثرة هذه المساجد — وفي عاصمة بنكوك فقط فوق عشرين مسجداً جامعاً — تجد عند مصلي الجمعة في كل مسجد لا يتجاوز العشرين رجلاً الا في مسجدتين أحدهما في (بنكوك نوى) والاخرى في (وسكيت) وهذه المساجد معظمها مقفلة الابواب في كل يوم ، ولا تفتح الا في أيام الجمع وليالي رمضان ، وعند حضور الجنازات ، كما ان معابد الوثنيين لا يفتحونها الا في أيام معلومة . وصلاة الجماعة مفقودة في غير مسجدين أو ثلاثة كأن لم يكن لهم علم بأنها من شعائر الاسلام والمسلمين والمتوظفون في هذه المساجد والمتدينون عندهم مخلوقو الرؤس شهت غير متقشفون تاركو التجارة والصناعة والحياة الشريفة لاهل الدنيا . فمن يخلق رأسه

أو ينظف أسنانه أو يصلح زيه يمدّ عندهم مارقا . فعاشهم يأتهم رغداً من ثمار
 ترغيب القوم وترهيبهم في فدية الصلاة والصوم وصلاة الجنائز ، ولا يحضر أحد
 لصلاة الجنائز إلا بدعوة من المصاب ، فأموال الفقراء يمد المصلون عليهم بالأصابع
 وأما الاغنياء فلا تسل — ومن الولائم واهداء ثواب الذكر والقرآن بل يبعه
 لاموات الاغنياء والمثرين ، ومن استتراف ما بأيدي الناس من الصدقات بالترغيب
 في وضعها في أيدي العلماء والصالحين ، والترهيب من أن تقع صدقة في يد الجهلاء
 والظالمين ، فكم من مسلم فقير عضه الدهر بأنياه لم ينظر اليه أخوه المسلم ، وكم
 وكم !! لان هذا في عينهم ليس من المستحقين للبر لفقره ، أولانه غير محقوق الشعر
 وكل فقيه من فقهاءهم أو امام من أئمتهم (عدا أهل بنكوك نوى)
 يشخذ ، والشحاذة شمار علمائهم والمتدينين منهم ، فاذا خرج فقيه الى القرى
 يشخذ وحصل كثيراً صار كبيراً مقدماً يفوق أقرانه ! .. وكثير من أئمتهم
 وعلمائهم من يملك أموالاً طائلة من الذهب والفضة والاطيان ولكن لا يزكونها
 اذ هم عند قرب حلول الحول يهبونها لاولادهم ونسائهم فيصبحون فقراء
 يستحقون الصدقات فيجولون من بادية الى بادية ، ومن بيت الى بيت يشخذون ،
 فبعد انصرام موسم الحصاد وانقضاء الحاجة يستردون الاموال من اولادهم
 ونسائهم ، ويقرضون المعوزين ويأخذون منهم خمسة في المئة شهرياً ،
 ويستحلونها بطرق يستنبطونها من قواعد فقههم ، أو يعطونهم ورقة بنكنوت
 قيمتها ١٠٠٠ ر. تيكس مثلاً بشرط أن يؤدوها بخمسة عشر تيكسا فضة ،
 وهم لا يرون زكاة في أوراق البنكنوت فتفتح لهم الابواب يدخلون فيها زمرا
 فرحين مستبشرين بما أوحى اليهم كبار علمائهم

والخلاصة أنهم — في دينهم ودنياهم — على غير المألوف في المسلمين في
 أقطار العالم . وما من مسلم فاضل ينزل عندهم الا ولسان حاله يقول :

بليت بقوم لا أريد ودادهم فأكرههم جداً مع البعد والقرب
 ولاكنني أصطاد رزقي بأرضهم ولا بد للصياد من صحبة الكلب

فالمرجو أن تبينوا لنا حكم هؤلاء هل هم فسقة تسقط عدالتهم امام الشرع
 الخفيف أم لا؟ فهذا الذي ذكرت قليل من كثير مما هم عليه من الخزي والضلال ،
 وما رآه كن سمع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحمد وهاب

﴿ المنار ﴾ ان اطلاق لقب الفسق وسقوط العدالة بالمعنى المعروف أقل ما يقال في هؤلاء الناس ، وكنت أود لو أعرف شيئاً من تاريخ دخولهم في الاسلام ، وكيف يتعامله الذكور والاناث في هذه الايام ، وهل يعرف عوامهم العربية وماذا يوجد عندهم من كتب العقائد والفقهاء ، وما يحسن أن يرسل اليهم منها ولو بغير ثمن ان كانوا يقرأون .

ان ما ذكر السائل عنهم وقال انه قليل من ضلالاتهم الكثيرة يشمل عشرات من المعاصي المجمع على تحريمها دع ما فيه خلاف منها هل هو فسق أو كفر ، أو هل هو من الكبائر أو الصغائر ، ولعلنا تفصيلها في مقال خاص ،

ان بعض هذه الفواحش والمنكرات مما يكفر جميع علماء المذاهب الاسلامية من يستحلها لانه من المعلوم من الدين بالضرورة ولا سيما مشاركة الوثنيين في عبادتهم وأكل الربا ومنع الزكاة واظهار عورات النساء للرجال على الوجه المبين في السؤال . ولا يندر مرتكبوا أمثال هذه الكبائر الا اذا كانوا حديثي عهد بالاسلام بحيث لم تبلغهم أحكامه في هذه المسائل وظاهر ما ذكرتم من أمرهم أن منهم فقهاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه، ولعل بلاءهم من فقهاءهم كأكثر عوام المسلمين الذين لا يهتم فقهاؤهم بنشر الدين فيهم ويكرهون كل من يرشدهم اليه ويصدونهم عنه، أو ليسوا هم الذين كتبتم الينا انهم يصدون عن المنار ويعادون قراءه « ويرمونهم بألسنة حداد ، ويجعلونهم من المفسدين لا تثار الآباء والاجداد » فما الحيلة في هداية عامتهم ، اذا كانت هذه حالة علمائهم؟

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

والذي نراه أنه اذا أمكن إطلاع هؤلاء الناس على حكم الله فيهم فيه وكانوا في جملتهم مدعين لاصل الدين، فلا بد أن يهتدي كثير منهم واذا كانوا يعرفون العربية فيحسن اطلاعهم على كتاب الزواجر للفقهاء ابن حجر المكي الشافعي ، ونحن مستعدون لما نكلفه من السعي لهدايتهم . وأما اذا كانوا لا يدعون لما يعلمون من دين الله قطما فلا يعتمد باسلامهم ولا يعاباً بصلاتهم ولا بصيامهم ، لان شرط صحة الاسلام أن يذعن المؤمن لكل ما علم أنه منه ، ولا يستحل مخالفة شيء منه ، ولا يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض وإلا كان متبعاً لهواه لا لما شرع الله (أرايت من اتخذ إلهه هواه فأنت تكون عليه وكيلاً)

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

٢

كلمة الاستاذ منصور فهمي

أيتها السادة

منذ أكثر من عشرين عاما ونحن صبية في أيام الدراسة الاولى اذكر انني
كنت مع رفيق لي في شارع الدواوين
قيد أبصارنا على مقربة من باب احدي تلك الدواوين مرأى شيخ معم
أشيب، ربع القامة، مهيب الطامة، لطيف المشية

نظرنا الى الشيخ نظرة المتفرج المتعجب حتى دخل الديوان وتوارى عن
أبصارنا. قال صاحبي ذلك هو الشيخ عبده فقالت: كان ينبغي أن يحيه، وعاتبته
رفيقتي على أنه لم يبدأ بالتحية فأتبعه، وعاتبني اذ لم أكن البادئ فيتبعني. ثم حل
كل معنا رفيقه ثم ذلك التقصير، وانتمحل كل منا لنفسه ما استطاع أن يدفع به
عن نفسه من المعاذير

سرتنا في سببنا واستبقي خيالي صورة ذلك الشيخ الذي كنت رأته للمرة
الاولى، وأخذت تمر امام نفسي تلك الاقوال التي كانت تقذف حول اسم ذلك
الرجل الجليل

أخذت أنصوّر معنى الاصلاح لاني كنت اسمع انه من المصلحين. ومعنى
العلم لاني كنت اسمع انه من أكبر العلماء. ومعنى الخروج عن المؤلف لاني
كنت اسمع انه من الذين خرجوا عن المؤلف الذي لا يعتمد على حق، ولا على
عقل، ومعنى العظمة لاني كنت اسمع انه كان عظيما

أخذت المماني المختلفة تتوالى على ذهني الضعيف الفاضل لان الاحاديث التي
كانت تدور حول اسم الشيخ كانت مختلفة الالوان أيضا

ما كنت أستطيع وقتئذ أن أدرك حق الادراك معنى العلم ولا معنى الخروج

(المجلد الثالث والاشرون)

(٧٥)

(المنار: ج ٨)

عن المؤلف ولا معنى العظمة ولا معنى الاصلاح . كنت لا أدرك ذلك وكان زميلي مثلي لا يدرك تلك المعاني أيضاً، ولكننا كما نشعر بشيء واحد . هو رغبتنا الصادقة في أن تؤدي لذلك الرجل تهيئةنا ا كبار له واجلالا

كنا نرغب في ذلك أيها السادة كان في نفوس الصغار والسذج حسا يدركون به معنى العظمة وشعور خاصا يميزون به ميزة الرجل العظيم، رغم ما يسترها من أقوال المتقولين، وذب الحاسدين، وثائرة الجاهلين

قضى القضاء أيها السادة أن تكون تلك المرة التي رأيت فيها الشيخ هي الاولى والآخرة، ولكن الله يريد أن اقف اليوم لاحيي الشيخ تلك التحية التي كنت أريد أن أقدمها اليه منذ عشرين عاما

نعم أيها السادة كنت أريد أن احيي ذلك الرجل وأنا صبي في بداية العمر وبداية العلم، واليوم أتقدم لتحيته وأنا أخدم العلم الذي كان الشيخ يخدمه، وأحصل تمارا كان الشيخ يعمل على انضاجها وأعين علي تغذية اذهان طالما أراد الشيخ أن تشبه علما

كنت أريد أن احيي الشيخ من عشرين عاما لاني كنت أشعر انه عظيم وممتاز، والان أتقدم لتحيته وقد أصبحت أدرك شيئا من معاني العظمة والامتياز

العظمة أيها السادة واسعة، واسعة، تتضاءل أمام سمعتها وهيبتها كل المعاني العظمة من المعاني التي اذا مست الكون بنعدم عندئذ التماسد وينلاشي الحقير، ويظهر الصالح، ويعلو الكبير .

العظمة منجركة لا تعرف القرار والسكون وتمتد كاللبب المستقر في كل جهة وتعمل فيما يصيبه عملها النافع

لا تعرف القرار لانها تجري وراء الكمال وأمام الكمال على ذلك يكون الرجل العظيم هو الذي يريد أن يموض الناقص بالكمال ويعتمد على نفسه للتهيئة الحارة . لا يريد أن يقف حيثما يقف الناس : لانه يرى

الحياة سائرة والكمال سائرا وهو يسير اينما سارا . لانكون نفسيته حيث تكون
نفسياته الاس لانها كبيرة تمتد في الوجود اللامائي ، ونفسيات عامة الناس صغيرة
متضائلة لاتسد في الوجود الا فراغا يسيراً

تلك هي بعض صفات العظيم فهل كان الرجل الذي نذكره اليوم على شيء
من هذه الصفات ؟ .

ان من يطلع على حياة الشيخ يتبين القوة العظيمة التي كانت تقوم عليها نفسه
الكبيرة وأدل دلائل على ذلك ان الاعمال التي اتصت بها جهوده وقع فيها حرب
بين أسلوب القديم وأسلوب الجديد وكان هو حامل لواء الابي وكان في جهاده
مظفراً منصوراً .

أليس هو الذي عند اتصاله بصناعة الصحافة والتحرير أدخل في التحرير
أسلوباً أصح ووجه الكتابة العربية وجهة الدقة والطلاوة .

أليس هو الذي أدخل الاساليب الحديثة في التعليم الديني عند اتصاله بإدارته ؟
أليس هو الذي أجهده نفسه ليربط العلوم الاسلامية بالينابيع الصحيحة الواسعة
ويوجهها وجهة الطرق العلمية الصحيحة ؟

أليس هو الذي كان صوته عالياً في محاربة روح الاستبداد والجمود أينما تكون ؟
أليس هو الذي أكبر شأن الافتاء عند اتصاله بذلك المنصب الكبير . وأخذ
بقي في اقطار الاسلام المختلفة بمسائل دقيقة فتحها للافتاء الشرعي . شكاجديداً
أليس هو الذي كان يوفق بين روح المحافظة وروح التجديد وروح الدين
وروح العلم حتى يستفاد من حسناتها جميعاً ؟

أليس هو من أصحاب الفضل في المناذاة بحرية الفكر واحترام استقلال الرأي ؟
ان الجيل الناشئ . مدين للشيخ عبده بتعود التسامح وتقدير فوائده لاستقلال
الفكري ، وقد جهر الشيخ بفضل ذلك في خطبة القاها بتونس اذ يقول : « أقول قولي
هتذا ولا أريد به الزام سامعه بقوله وإلا خالفت ما أدعو اليه من استقلال الفكر
وحرية الرأي . . »

ان الجيل الحاضر بقدر له بلاءه الحسن في احترام الرأي القائم على التفكير،
ويجب أن يقدر له المشتغلون بالعلم صيغته الصارخة بوجوب تعديل التعليم بحيث
يخرج العلماء المشتغلين بالأبحاث العقلية المحضة

قال بذلك في وصيته السياسية التي كتبها بالفرنسية الى الكونت دي جربيل
(نُشرتْها) في مؤلفه مصر الحديثة في ٦ يونيو سنة ٩٠٥ أي قبل موته بنيف
وثلاثين يوما وسينشر أخونا الدكتور طه حسين تعريب هذه الوصية قريبا
قال الشيخ في هذه الوصية :

« إذا نظرنا الى التعليم الذي تنشره الحكومة من حيث قيمته فنحن مضطرون
الى أن نلاحظ أنه لا يكاد يقدر الا على تكوين رجل محترف بحرفة يكاسب بها
الحياة، ومن المستحيل أن يستطيع هذا التعليم تكوين عالم أو كاتب أو فيلسوف
فضلا عن تكوين نابغة، وكل ما لدينا من المدارس التي تمثل التعليم العالي في مصر
إنما هي مدرسة الحقوق والطب والهندسة، وأما بقية الفروع التي يتكون منها العلم
الانساني فقد ينال منها المصري أحيانا صوراً سطحية في المدارس الاعدادية ويكاد
يكون من المستحيل أن يتقن منها شيئاً، وهو في الغالب مكره على أن يجهد جهلاً
تماماً، وذلك شأن العلم الاجتماعي وفروعه التاريخية والحقبة والاقتصادية ذلك شأن
الفلسفة القديمة والحديثة والآداب العربية والاوربية والفنون الجميلة أيضاً، كل
ذلك مجهول لا يدرس في مدرسة مصرية . والنتيجة أن في مصر قضاة ومحامين
وأطباء ومهندسين، تختلف كفاءتهم قوة وضعفاً في احترام حرفهم، ولكنك لا
تري في الطبقة المتعلمة الرجل الباحث، ولا المفكر، ولا الفيلسوف، ولا العالم . لا
تري الرجل ذا العقل الواسع . والنفس العالية . والشعور الكرم، ذلك الذي يري
حياته كلها في مثل أعلى يطمع فيه ويسمو اليه . »

يتبين لكم مما تقدم أيها السادة أن الشيخ كان مبشراً بدار العلوم الحقيقية

المالية ولم يحض قليل من الزمن حتى أنشئت الجامعة المصرية صدى لأميتها
الكبيرة العالمة

لا نزال الى اليوم نحتاج لى مثل هذه الصيحة تنبهنا الى اننا نريد علوماً توجد
فينا رجالاً واسعى العقول .

نريد علوماً تكون فينا اخلاقنا ومدار كفاء، وتحبب اليها الحياة او تبين لنا ما يمكن
ان يكون في العيش من جمال وسمو .

نريد ذلك الآن، وقد اراده الشيخ من قبل وجهر به واوصى فلا غرابة وقد
لخذت امانيه تسير في سبيل التحقيق ان يقوم في الجامعة المصرية أحد أساتذتهم
بذكر الشيخ بالحمد والتحية والاحلال .

أيها السادة . .

ان الوقت الذي قدر لي لاقف بينكم ذا كرا الشيخ لا يتسع لتعديد حسناته
في حياتنا الاجتماعية ولكن حسبه من العظمة أنه كان من زعماء الدين ومن زعماء
الدنيا معاً .

توجه الى شؤون التصوف والتقى وفقه الدين، ولكنه لم يهمل شؤون الاصلاح والامران
فؤاد تولاها نور السماء . ولكنه وسع مسائل الارض .
ذهن وفق بين عالم الغيب وعالم الشهادة . . .
رجل وصل بين الارض والسماء بسبب . . .
« انه لرجل عظيم »

منصور فهمي

الاستاذ بالجامعة المصرية

قصيدة حافظ ابراهيم بك

أذنت شمس حياتي بعفيم ودنا المنهل يا نفس قطبي
 انت من سار اليه سيرنا ورد الراحة من بعد الغوب
 قد مضى « حفتي » وهذا يومنا يشداني فاستثبي وأنبي
 وارقيبته كل يوم انما نحن في قبضة علام الغيوب
 اذكري الموت لدى النوم ولا تغفلي ذكرته عند الهبوب
 واذكري الوحشة في القبر فلا مؤنس فيها سوى تقوى القلوب
 قدمي الخير احتساباً فكفى بعض ما قدمت من تلك الذنوب
 راغبي فقد شبابي وأنا لا أراع اليوم من فقد مشيبي
 حن جنباي الى برد الثرى حيث أنسى من عدو وجيب
 مضجع لا يشكي صاحبه شدة الدهر ولا شد الخيوب
 لا ولا يُسّمه ذاك الذي يسّم الاحياء من عيش رتيب (١)
 قد وقفنا ستة (٢) نيكى على عالم المشرق في يوم عصيب
 وقف الخسة قبلي ففضرا هكذا قلبي واني عن قريب

(١) أي على وتيرة واحدة

(٢) يشير الى يوم تأبين المرحوم الاستاذ الامام فتقد كان المؤمنون يومئذ سنة أولهم الاستاذ الشيخ احمد أبو خطوة والثاني حسن عاصم باشا . والثالث حسن عبد الرازق باشا . والرابع قاسم امين بك . والخامس حفتي ناصيف بك . والسادس حافظ ابراهيم بك . وقد مات المؤمنون على ترتيب وقوفهم في الخطابة واحداً بعد واحد ولم يبق غير حافظ - أطال الله بقاءه - وقد نظم ذلك المرحوم حفتي بك ناصيف بايات بعث بها الى الشاعر منها : -

أتذكر اذ كنا على التهر ستة نعد آتار الامام ونسند
 وقفنا بترتيب وقد دب بيننا مات على وفق النظام مرتب
 ابو خطوة ولى وقفاه عاصم وجاء اميد الرازق الموت يطلب
 فلبى وغابت بعمده شمس قاسم وعم اقرب نجم عيالي يقرب

وردوا الحوض تبعاً ففضوا
أنا منذ بانوا وولى عهدهم
هدأت نيرات حزني هداة
فتذكرت به يوم الطوى
يوم كفناه في آماننا
(عرفوا من غيبوه وكذا
ونحننا بامام مصلح
كم له من باقيات في الهدى
يبدل المعروف في السر كما
يحسن الظن به أعدوه
تنزل الاضياف منه والمنى
قد مضت عشر وسبع والنهى
ترقب الافق فلا يبدو به
وننادي كل مأمول وما
دوي الجرح ولم يقدر له
أجذب العلم وأمسى بعده
رحمة الدين عليه كلما
رحمة الرأي عليه كلما
رحمة الفهم عليه كلما
رحمة الحلم عليه كلما
ليس في ميدان مصر فارس
كلما شارفه منا قتي
ما ترى كيف تولى « قاسم »
أنسى الأحياء ذكرى (عبده)

باتفاق في منايهم عجيب
حاضر الريعة موصول النحيب
وانطوى (حقيقي) نعمادت للشبوب
صادق العزيمة كشف الكروب
وذكرنا عنده قول (حبيب)
تعرف الاقار من بعد المغيب
عامر القلب وأواب منيب
والندى بين شروق وغروب
يرقب العاشق اغفاء الرقيب
حين لا يحسن ظن بقريب
والخلال العربي مرعى خصيب
في ذبول والاماني في نضوب
لامع من نور هاد مستثيب
غير أصداء المنادي من محيب
بعد ثاوي (عين شمس) من طيب
رائد العرفان في واد جديد
خرج التفسير عن طوق الاريب
طاش سهم الرأي في كف المصيب
دقت الاشياء عن ذهن اللييب
ضاق بالحدثان ذو الصدر الرحيب
يركب الاخطار في يوم الركوب
غاله المقدار من قبل الوثوب
وهو في الميعة والبرد القشيب
وهي للمستاف من مسك وطيب

انهم لو أنصفوها لبنا
 معهداً للدين يسقى غرسه
 ونسينا ذكر حقيقي بعده
 لم تسلم منا عليه دمة
 سكنت أنفاس حقيقي بعد ما
 عاش خصب العمر موفور الحجي
 معهداً تعتاده كف الوهوب
 من غير فاض من ذلك القلب
 ودقنا فضله دفن التريب
 وهو أولى الناس بالدمع الصيب
 طبت في الشرق أنفاس الاديب
 صادق العشرة مأمون المغيب

كلمة صاحب المنار

أيها السادة

إن اخواني أعضاء لجنة هذا الاحتفال قد حددوا وقته وخصوني بالكلمة
 الختامية لانا مهما يقل من قبلي فانه يسهل علي أن آتي بشي جديد ، لسعة وقوفي
 على تاريخ شيخنا الامام الذي محتفل بكراه ومعرفتي بشؤوننا ، وأن أجمله على قدر
 ما بقى من الوقت إذ لا أكون ملتزماً لآراء كلام معين مرتبط بهضه ببعض ..
 أيها السادة : ان أخص صفات استاذنا الذي اجتمعنا لآحياء ذكره هو
 انه إمام مصلح ، فهو في كل طور من أطوار حياته العملية كان يعمل لخدمة الناس
 واصلاح شؤون الامة ، ولم يكن يعمل لنفسه ، لا لبيته شيئاً يذكر ، فلو أجملت تاريخ
 حياته في كلمة مفردة لكانت تلك الكلمة هي « المصلح »
 طرق جميع أبواب الاصلاح بل دخل فيها عالماً عاملاً ، مجيداً متقناً ، حتى تعلقت
 به آمال وطنه وأمته ، بل آمال الشرق كله وأكبره العلماء والعقلاء والاذكياء من
 كل أمة وشعب على اختلاف أديانهم ومشاربهم
 قال المشير أحمد مختار باشا الغازي علامة الترك الشهير ورب السيف

(١) كانت الكلمة ارتجالية وكتبت بعد القاها بزمن طويل في الجملة فلا بد
 أن ينقص المكتوب فيها جملاً ويزيد أخرى ولو بسطاً وايضاحاً او يختلف ترتيباً

والقل في إكبار علمه وعقله : إنني أعتقد ن دماغ هذا الرجل أعظم دماغ عرف،
وانه لو وزن لرحح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن
أدمغتهم (كأبرس بسمارك). ولما قرأت في الجرائد بأ وفاته (وكان الغازي يومئذ
في أوربة) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الحسارة به لا عوض لها
وأبنة الدكتور عبد الله جودت أحد كتاب الترك المشهورين و حدو و سسي جمعية
الاجتهاد والترقي في مجلته (اجتهاد) التي كات تصدر في مصر باللغتين التركية
والفرنسية مرتين في العديدين السبع والحادي عشر من السنة الاولى فجعل عنوان
الترجمة (الاموات الذين لا يموتون) فقال في الاول منهما . ما ترجمته الحرفية
كان الشيخ محمد عبده بلا خلاف أحد الابن الذين لا يدخلون في طبقات
الرجال ، وانما الانهاية هي الحد الوحيد الذي ينتهي اليه علمهم .
ثم قال كان الشيخ محمد عبده مسلما حقيقيا على قدم النبي صلى الله عليه وسلم . وقال
في العدد الآخر : كان الشيخ محمد عبده مسيحا ثانيا منحه للعالم الاسلامي الذي
كان دوي سقوطه فيه يصح . مساهم ذوي الوجدان ، ويمزق أحشاء اصحاب الايمان .
وكتب الدكتور ادوارد براون العلامة الانكليزي المدرس في جامعة كمبرج
كتاب تعزية قال فيه « مارأيت في الشرق ولا في الغرب مثله »
وقال ابراهيم باشا نجيب المصري : ان الناس لا يعرفون قيمة الشيخ محمد عبده
الا بعد ثمانين سنة — أي بعد انتهاء جيايز في التربية الاجمعية
وقال الدكتور يعقوب صروف صاحب المقنطف لما أكثر المؤنوز في حفلة
الاربعين من وصف الاستاذ بكلمة فقيه الاسلام وفقيد مصر : اننا لانرضى بأن
يكون فقيدهم وحدكم ، بل نقول إنه أكبر من ذلك — انه فقيه الشرق كله
وأزيد هنا كلمة مما ضاق الوقت عن ذكره هالك وهي ان السيد محمد توفيق
البكري سمع نبأ وفاة الاستاذ الامام وهو في أوربة فلم يصدق الخبر فلما عاد الى
مصر أخبرنا بأنه لم يصدق الخبر الا بعد عودته الى مصر وعال ذلك بأنه كان يخال
ان الموت لا يتجرأ على الشيخ محمد عبده وقال : لقد ترك الشيخ فراغا لا يسده
(المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الثالث والمثرون)

أحد ، فانه كان كما قال المتنبى : ملء السهل والجبل . ولو ترك مناصب الحكومة وعمل مستقلا لحدث انقلابا عظيما

أشار بعض الخطباء الى ما كان من تحامل بعض الشيوخ عليه منذ أشرق نور عقريته بعد اتصاله بالسيد جمال الدين حتى سعى بعضهم فيه الى شيخ الأزهر الشيخ المهدي العباسي عند امتحانه لشهادة العالمية ليستطوره فيه وكانوا تقاسموا بالله ليجرمته من هذه الشهادة ، ولكن الشيخ المهدي كان رجلا كبيرا لا يلتفت الى هذه السفاسف ، فلما حضر امتحانه ورأى مارأى من نبوغه على ما كان من اعانت بعض مشيخة الامتحان له ، وكيدهم لا يقاعه في الاغلوطات ، حلف اياه مارأى مثله واته أحق من يأخذ الدرجة الاولى بها — فقتع حينئذ أبهم أشد على الرجل عتيا بأن يأخذ الدرجة الثانية ، بحلف بالطلاق أن لا يعدوها الى الاولى ، فبرّ شيخ الأزهر قسمه — مع اعترافه بأنه ظلم للممتحن — إطفاء للفتنة

كان أكثر تحامل من تحامل عليه من الشيوخ بغيا منهم سببه في الاكثر الحسد ، وفي الاقل سوء الظن في رجل مستقل المنكر في العلم ، يستدل فيحكم بالتعني او الاثبات ، وقد قرأ الفاسفة ولازم السيد جمال الدين . واذا لم يكن العالم العاقل ، المدلي بالحجة فيما يأخذ ويترك ، ظنينا في دينه ، متهما في عقيدته ، مهما يكن من صلاحه واستقامته ، فلى من توجه التهم ، من هؤلاء الجامدين الذين لا استقلال لعقولهم في علم ولا عمل ؟

لكل الرجل على ما أوذي في الله من أول ظهور فضائه ، الى يوم لقاء ربه — لم ينل أحد بعض ما نال من الاحترام عند أمم الشرق والغرب ، وعند جميع الطبقات من قومه ، في حياته و بعد مماته ، فقد كان طلاب الاصلاح العلمي الديني ، وطلاب الاصلاح المدني ، وطلاب الاصلاح الحكومية ، على مذاهب فيها ، وكل منهم يعلم امامه وزعيما الامة فيما يروجوه ، يطلبه لها ، وقد صرح بهذا اصحاب المقنط والمقنم في ترجمتهم له عند وفاته ، فهو قد وصل باجماع الطبقات والفتات المفكرة على علمه وفضاه الى مقام الزعامة الذي كان يرجى أن يزيل به الخلاف بين الدين وأهله ،

وبين العلم المصري والمدنية ورجالها ، فققدته مصر وسائر بلاد الشرق في أشد أوقات حاجتها اليه ، ولكنها انما فقدت شخصه ، ولم تفقد رأيه وهداه ، وتمسكات الى عهد وفاته لم يكمل استعدادها للنهوض معه ، ولذلك كان يقول :
روح الرجل الذي ليس له أمة ،

حتمًا إن اتفاق كلمة الاحزاب المختلفة من طلاب الاصلاح الديني والمدني على زعامة هذا الامام ، حدير بأن يعد من خوارق العادات ، فهو على ما كان معروفًا به من قوة التدين والغيرة على الاسلام ، والاجتهاد في الاصلاح الذي يرتفع به شأنه — كان يحمل رجاء غير المسلمين من علماء الشرق ورجاء من لا يشغل لدين محلا من قلوبهم ، بأنه هو الرجل الذي يمكن أن يقود نهضة الشرق — كما قال الدكتور صروف ، وكذا غيره من أدباء النصارى — (كما يعلم من أقوال بعضهم في تأبينه وراثته التي نشرناها في الجزء الثالث من تاريخه)

وانني أبين هنا بالكتابة ماضق الوقت عن بيانه في الحفلة من سبب ذلك . وهو أن أكثر أهل الشرق الأدنى مسلمون معروفون بشدة الاستمسك بدينهم ، وقد حال سوء فهمهم للاسلام دون مجاراتهم للشعوب العزيزة القوية في مضمار العلوم والفنون والثروة والحضارة ، حتى ساء ظن بعض المفكرين فيه ، وظنوا انه هو المانع من التبرقي من حيث هو باعث عليه ويتمذر انماض الشرق بدوتهم . وانماضهم بدون اصلاح ديني يتفق به الدين مع العلم والحضارة ، ويعلم به ان العقيدة الاسلامية ، لا تتناقض في الوحدة الوطنية ، لذلك شهد اورد كرومر بأن الحزب الاسلامي الذي كان زعيمه الشيخ محمد عبده هو الحزب الوسط بين الحزب المحافظ على التقاليد الصيقة الذي يحارب المدنية وينبذها وبين حزب المتفرنجين المذوقين من الدين وانه هو الحزب الذي يرجى أن تنهض به البلاد

وقد سئل الاورد عن الشيخ هل كان متساهلا في الاسلام؟ فقال: بل هو متعصب له أوفيه ولكن بعقل

ذكر خطيبنا الاستاذ الشيخ مصطفى ماتوجهت اليه همة الاستاذ لامام

أخيراً من بناء قواعد الإصلاح كلها على التعاليم وتربية الأمة ، وأزيد عليه أن أهم أركان التربية عنده تربية الإرادة التي يتوقف عليها كل إصلاح وكل نهوض وأكتفي في هذا الوقت الضيق بكلمة واحدة له فيها

قال لي مرة : والله لو أن في معبر مئة رجل لما استطاع الاكابر أن يقيموا فيها أو لما استطاعوا أن يعملوا فيها عملاً — ان عندنا مئتين وألوفاً كثيرة من المهلهين الذين يستطيعون القيام بالأعمال المختلفة في جميع الوظائف ولكن أكثرهم ضعفاء الإرادة لا يرجي منهم شيء

(وهنا ناشد الخطيب صديقه الشيخ علي سرور الزكلاوي بأن يختصر ويدع له وقتاً يقول فيه كلمة، فحتم كلامه بالتنبيه الى إحياء مبادئ الاستاذ الامام)

*

كلمة الاستاذ الشيخ علي سرور الزكلاوي

أحد علماء الأزهر

أيها السادة : إن اللجنة المحترمة لم ترح لي في ضمن قراراتها القول مع القائلين في هذه اللجنة المباركة لضيق الوقت بركنرة الخطباء ولكن أبي الله إلا أن يتسع لي الوقت فأقول كما تفي في إمام لي شرف الاتساع اليه . وقد أرى من القبل أن أحرم الحديث عنه في مثل هذا اليوم . وقد أذنت لي اللجنة الآن . وأنا على غير عدة فأشكرها على هذا التساهل العظيم

أيها السادة : ان الاستاذ الامام الشيخ محمدا عبده كان آية من آيات الله تعالى، فقد مضى على مفارقتة لهذه الحياة سبعة عشر عاماً تقريباً والأمة لم تحتفل بإحياء ذكره . وليس من المعقول أن تبرز الفكرة في هذا اليوم واضحة جليلة والأمة منها في شوق ولها على استعداد تام كما ترون سولاً يكون المحفل به آية من آيات الله إن آيات الله تعالى الثابتة في الكون مهما طال عليها العهد لا بد أن ترجع إليها العقول المتحيرة لتستريح بها في المستقبل، لانها لم تخلق خلقاً عادياً يتناسى

بمجرد مفارقة الحياة الاولى ، ولكنها تبرز للوجود في إمداد خاص فينتفع بها الآخرون ، كما انتفع بها الاولون ،

أيها السادة: ان إحياء ذكرى الاستاذ الامام بعد مضي هذه المدة يعد فإلا حسناً في حياة مصر ، و بشري يتقرب من ورائها النصر والظفر ، اذ الامة التي تستنظم آيات الماضي في أوقانها العصبية تسترشد بها في حياتها المستقلة ، لى الامة التي قويت عقليتها وعمت حيايتها ، واذ لا ضير عليها ولا خوف مهما تلون فيها العذاب ، واشتدت بها الخطوب

ان الاستاذ الامام لا بد أن يكشف المستقبل القريب للامة عن حقيقته الواجحة والواضحة في نفوس أصدقائه رطلابه

ان الاستاذ الامام قد أجمع اصداقائه وأء - وه معا على أنه باهة من نوابغ عصره ، وان اختلفت أظفار الفريقين في مدرك جهة النبوغ ، وعندى أنه مع نبوغه وتفوقه على أقرانه في كثير من مسائل الوجود المعروضة على البحث . هو عبقرى من كبار العبقرين في نظرياته الدينية التي ليست لها صورة واضحة في دين الاسلام^(١) وخصوصاً فيما يتعلق بالعالم ونظام التعليم

أيها السادة : ان أكبر آية تدل على عظمة الاستاذ في نفوس الامة ازدياد تعلق القلوب به بلا سبب عادي يحال عليه ذلك التعلق وراء الفضيحة المجردة والنبوغ والعبقرية ، لانه وان كان رجلاً سياسياً ومدنياً ، الا أن السياسة لم تكن من مظاهره الواضحة ، بل كان مظهره الحقيقي والرسمي أنه رجل ديني من كبار علماء الدين ، ورائس الدين في مصر عوامل قوية نحيل عليها تفكير الناس في احياء ذكره ، بل الدين كما ترون ذابيل في جوف الفساد المنتشر الذي يتبع الحق والفضيلة انتزاعاً ، ولو أن الاستاذ الامام كان مظهره سياسياً لما بلغ منا العجب بما به اذا فكرت الامة بعد هذا الزمن الطويل في احياء ذكره ، لان الحياة السياسية فتية في العالم ، ونامية بلهبة ، متمشية مع العواطف ، ومتغلغلة في نفوس الخاصة ، والجماهير ترتكز على أقل الاسباب

(١) هذه الكلمة بحجة هيحة يجلي ما بعدها بعض ما فيها من الاجمال

أيها السادة : ان الاستاذ الامام قد كان محبوبا عند الخاصة وكانوا في زمنه قليلين ، وكان مصادرنا من الجماهير تبعاً لمصادرة رجال الدين له ، وقد افترق العقلاء في كل فكرة تصادفها المعارضة على فرقتين : هل الحق مع الاقلية أو الاكثرية ؟ وعندى أن المسئلة واضحة لا تحتاج الى احتدام الجدل وتشعب الآراء

إن الحق يكون مع الاقلية دائماً اذا كانت الامة سائرة في حياة تقليدية مضى على العمل بها زمان طويل فتحكمت في النفوس ، سواء أ كانت الحياة دينية أم مدنية ، والامة في دور جهاتها ، ثم جاء هارجل من أبنائها أو من غير أبنائها وله عقلية راجحة ، وشخصية واضحة ، فدعاها الى الاصلاح بالحجة والبرهان ، وافتها لى دلائل الحياة الصحيحة ونماذجها ، فصادته ولم تدع له بايديء ذي بدء اللهم الا التز القليل ، لان عقولها محصورة في دائرة حياتها الموروثة ، ومن الصعب أن تتخطى تلك الدائرة بسهولة ، قبل أن يصادفها شيء من التهذيب بالتجربة والتعميم ، ففي هذه الحالة يكون الحق دائماً مع الاقلية . وعلى هذا النحو كانت حياة الانبياء وكبار المصلحين ، وقد كانت معارضة الاستاذ الامام من هذا القبيل

وأما اذا نزل بالامة حادث ديني أو مدني فاصطدمت به العقول واحتدم فيها الجدل ، وانقسم المفكرون الى قسمين ، تبع الجمهور فيه أحد الفريقين ، فالحق في تلك الحالة يلازم مع الاكثرية ، خصوصا اذا كانت الاقلية بجانبها القوة المجردة ، لان الجمهور لا يرى الا في طريق الامارات الظاهرة ، وللدلائل الواضحة ، البعيدة عن المخاوف . والبرهنة من الظنون والشكوك ، وايس الجمهور في تلك الحالة سائراً بعقليته الساذمة ، وانما هو تابع من جهة الطائفة من المفكرين قد أناروا له الطريق ، ومنساق من جهة اخرى بما أودعه الله في فطرته السليمة من الاستعداد لقبول الحق بسرعة ، وهي الفطرة القوية التي نصر الله بها الانبياء والمرساين

أيها السادة : ان تبعة إهمال ذكرى الاستاذ الامام في هذه المدة الطويلة لا يجوز أن تلقى على عاتق المعاهد الدينية فإن هذا النوع من الحفازة لم يكن معروفا لهم ، ولا مألوفا عندهم ، وقد أدوا للاستاذ الامام كبر ما يعرفون من الحفازة والذكرى

المنار ج ٢٣ م ٢٣ بعض ما أرسل الى اللجنة - قصيدة لمفتي الديار المصرية ٦٠٧

بالترحم عليه كلما ذكروا الاستدلال بأقواله اذا أظلم عليهم الامر، والتمسك بعبادته
والهوض في سبيل تعاليمه وارشاداته، حتى إن مذهبه ليزداد انتشارا في كل يوم،
خصوصا بين الطلاب. وان المعاهد الدينية بفضل ارشاداته سائرة في طريق
الرفق والاصلاح الذي كان ينشده رحمه الله تعالى. فالحمد لله على نعمة التوفيق والسلام

علي سرور الزنكلوني — من علماء الازهر

بهذه الكلمة انتهى ما قيل في الحفلة وانقض على أثرها الاجتماع

بعض ما أرسل الى اللجنة من منظوم ومشهور

قصيدة قيلت

لصاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية

لما ولي الاستاذ الامام إفتاء الديار المصرية نظم الاستاذ الفاضل الأديب
الشيخ عبد الرحمن قراعه (مفتي الديار المصرية) لهذا العهد قصيدة بليغة همام
بها. وهذا الاستاذ يفتخر بأن الامام قد أجاز قوله له مرة: إنه أصغر اخوانه.
واكبر أولاده. ذلك بأنه حضر معه دروس بعض شيوخه ومنهم السيد جمال
الدين وحضر عليه بعض ما قرأه من الكتب. وقد نشرت تلك القصيدة في
المجلد الثاني من المنار. وقد نسخها الاستاذ احمد زكي باشا لتقرأ في الحفلة
لقوة المناسبة التي لا يغفل عنها الباشا. وهي أن هذا الاحتفال لاهياء ذكرى
مفتي الديار المصرية. ويرأسها خلفه في إفتاء الديار المصرية فناسب أن
تلى فيه قصيدة خلفه في إفتاء الديار المصرية. ولكن الوقت لم يتسع لانشادها
ولابداع احمد زكي باشا في شرح هذه المناسبة لها فاقترح على اللجنة أن
تنشرها فيما تطبمه من بيان احتفالها. وهي

يهديك في الفتوى الى الحق هندي ومن فيض هذا النفل نجدى ونجدى
تمت بك للعالمات نس ابية وعزيمة ماغ كالجسام الجرد
ورأي رشيد في الخطب وحركة وتجربة في مشهد بعد مشهد

وعلم كدور الشمس لم يك خافيا
فضائل شتى في الافاضل فرنت
ولو جاز تعدادي لها لمدتها
فقيم أطيل الهول والشمر قاصر؟
أمولاي يا مولاي دعوة مخلص
لكل زمان من بنيه مجدد
وقد علم الاقوام أن محمدًا
يمينا بمن بالفضل خصص (عبده
وقلده عقد الفتاوى فأصبحت
لتخترقن الحجب بالرشد لا الهوى
فتوضح من إشكاله كل غامض
اليك أرف المدح شعرا مقصدا
لا بلغ نفسي بامتداحك سؤلها
بجاه على قدرى ولكن شافعي
وهنأت نفسي ثم هنأت معشري
وقلت لمصر هنئيه وأرخي

سنة ١٣١٧

لقد سبق التاريخ شعرا فلم أجد
فزوت كما أنفي ومن يلف مخاصها
فلا زلت يا مولاي فينا محسندا

نشرت في مجلة « المنار » الإسلامية عدد ٢٤ سنة ١٩٩٩

على أحمد الا على عين أومد
ولكنها حلت بساحة مفرد
ولكنها جازت مقام التصدد
وماذا بني قولي ويعني تردي؟
تقول فيصني أو تؤم فيقتدي
لما أبلت الا هواء من دين أحمد
مجدد هذا الدين في اليوم والغد
محمدًا (الداعي لهدي محمد
تتبعه به الفتيا بخير مقلد
وئبني منار الحق بالفكر واليد
وتفتح من أبوابه كل موصد
على بعد عهدي بالقرىض المقصد
وأقضي حقا لم يكن بمجدد
لدى قدرك السامى نباله مقصدي
وهنأت أوطاني بما نال سيدي
(بهديك في الفتوى الى الحق نهدي)

٤١ ٩٠ ٥٢٧ ٤١ ١٣٩ ٥٦٩

من الياء بدءًا بمد طول تردد
من النقص يطاب للكمال ويزده
وحاسدك المغبون غير محسد

محمد عبده

﴿ للشباب النجيب محمود افندي كامل ^(١) ﴾

﴿ نجل الاستاذ العالم العامل ، محمد علي بك كامل المحامي الشهير ﴾

في مثل هذا الشهر من سبعة عشر عاما مضت رشق الدهر قلب مصر بسهم
أدماء . وهبت عواصفه على أهل الكنانة فأثارت لوعتهم . وتركت في كل دارمأتما ،
لم يشفق — أجل لم يشفق ذلك الدهر الغائب على أبناء مصر فأخذهم على غرة
اختطف من بين أحضانهم أباهم الخنون — وهم فرحون بالنظر اليه ، جنلون
لقربهم منه — فقلب أفراحهم أتراجا ، وبشرهم عبوسا . اختطف أمهم الرؤوم التي
كانت ترضعهم من ثديها أفويق رنقها الكمال ، واكتنفها الجلال
اختطف قائدهم الذي كان يرفع — وهو في مقدمتهم — نبراس الحق لينير لهم
الصراط المستقيم فلا يضلوه

اختطف الحكيم الوقور ، الفيلسوف القدير ، الشهم الهمام ، الاستاذ الامام ،
الشيخ (محمد عبده)

ان يموت العظيم — خصوصا اذا كان كفقيدنا وفي ظروف فقيدنا — من
الاثر في نفوس قومه ما يقف قلم أقدر الكتاب عن أن يسطر وصفه ، ويمجز
أفصح الخطباء عن ايفائه حقه . حزن شامل يم الامة ويضع غشاوة كثيفة تحجب
عن الابصار الافراح . وتنهيدات تخرج من أعماق نفوس مكتومة ، وحسرات
تحتاج في قلوب دامية وأكباد حررى ، وأفكار سوداء صامتة ، تتخيلها الافئدة
المكلمة ، ونظر الى العالم كأنه ضاق على رحبه . وشعور بالوحدة ، وحاجة الى
العزلة — هذا ما كان يشعر به أولئك الشجعان الذين حضروا موت عظيمنا —

« ١ » لهذا الشاب الفضل الاول في القيام بالاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

لانه اول من ذكر به ودعا اليه على صفحات الجرائد

(المنار : ج ٨) (٧٧) (المجلد الثالث والعشرون)

أجل أسميهم شجعانا ولا أكون مغالياً ، لانهم صبروا على تحمل تلك الكارثة العظمى ، والمصيبة الكبرى — وهذا ما نشر به نحن الآن وقد قننا لحياء ذكرى ذلك الراحل الكريم الذي خرج من صدقة مصر فصار درةً يتيمة في تاج الشرق تحطف الابصار وتلقي الهية في القلوب .

ليتني كنت في أيامه أقنني آثاره ، وأترسم خطواته ، أرثشف من منهل علمه العذب ، وفضله الفياض ، أنخذ من أعماله عظة وعبرة تكون لي درساً في حالي وامتقبالي . أنصت الى عظاته البليغة فتكون على نفسي برداً وسلاماً . أقصده اذا التبس على أمر فيستبدل شكى باليقين ، أجهد أن أشابهه فأسمو نفساً وعلماً وخلقاً .

إننا نجمله ونجمل فيه كل شيء — نجمل أنفته ونفسه العالمة — نجمل أقدامه وصبره وجده — نجمل كماله وورعه وتقواه — نجمل غيرته ورحمته السماء — نجمل أماته ونزاهته وشهامته — نجمل قيامه بالواجب على الوجه الاكمل — نجمل عبقرته التي نطأ على لهاها مات أكبر العلماء الافذاذ — نجمل وطنيته الحرة — تلك الوطنية التي كانت تعمل وهي صامته .

« ان فناء في الحق لهو عين البقاء » كلمة مأثورة خرجت من فم ذلك العظيم فكانت من جوامع الكلم ، كلمة انطبقت على نفسه الكريمة تمام الانطباق ، كلمة يا حبذا لو عرف معناها الدنيويون وتشربت بها نفوسهم .

نعم قننا بعد سبعة عشر عام ننشر للملا آية سافرة من اخلاص وولاء ذلك الرجل لوطنه ودينه ، ومثلاً حياً للمبقرية الشرقية والنبوغ المصري ، وخير مثال للعظمة يجتذي مثاله طلابها ، ويتمخذه قدوة عشاقها .

فسلام على تلك الهمة الوثابة التي كتم القبر أنفاسها ، وكبح الثرى جماحها . سلام على تلك السجايا التي تأصلت جذورها في نفسه فلم يقدر على اقتلاعها الا الموت . سلام على تلك الروح الطاهرة التي ترفرف الآن في سماء الخلود .

سلام على تلك المبقرية التي ظهرت ظهور الشمس تبدد فلول الظلام .

سلام على تلك الهبة الكتابية ، والمهزة الصحفية ، التي وقفها على تقويم اعوجاج

أمرته والاخذ بيدها

سلام على تلك الهيبة والمكانة الرفيعة ، والمنزلة السامية ، التي لم تحدث في نفسه
أي إعجاب أو كبرياء

سلام على ذلك الشماع الوهاج الذي كان يؤثر في القلوب ويكبل الارادة
فحجبت ظلمة القبر لمعانه ،

سلام على ذلك المجد الطريف . والسؤدد المنيف ، والعزة والوقار .

سلام على ذلك الايمان الراسخ ، والعقيدة الثابتة والصلاح والورع .

سلام على ذلك الضمير الحي الذي عرف الواجب فأداه ، والجليل فأولاه .

سلام على ذلك الوجدن الراقي الذي كان ينبض لبؤس الناس ويفرح

لفرحهم .

سلام على من كان للاسلام علما فانطوى ، وللوطنية نصيراً فانزوى .

سلام على سعادة زائلة ذاق حلوها بعضنا ثم ذهب فاصبحت أثراً بعد عين .

سلام عليه مادام فينا عرق ينبض ونفس تشعر

﴿ التسمية باسم الاستاذ الامام ﴾

في المغرب الاقصى

جرت عادة البشر في جميع الامم بان يسموا اولادهم باسماء عظماء الرجال حبا
بذكورهم ، وتفاؤلا باقتداء هؤلاء الاولاد بهم ، وقد قرأنا بجزيرة السعادة في العدد
الذي صدر منها في رباط الفتح من بلاد المغرب الاقصى بتاريخ ٢٧ دى الحجة
الماضي تحت عنوان (محمد عبده الثاني) ما نصه :

« بشر صديقنا العضو الرئيسي بالمحكمة العليا الفقيه السيد عبد الحفيظ القاسبي
بولد ذكر سماه على بركة الله (محمد عبده) تذكرا لاسم الشيخ محمد عبده المصري
عظيم علماء الاسلام . فنعم الولد ونعم التذكار لذلك الرجل العظيم (وذكركان
الذكري تنفع المؤمنين)

الى ثائق ال سميته ، للمسألة العرب بيته

﴿ عود على بدء ﴾

﴿ المكاتبات بين أمير مكة بالامس . وملك الحجاز اليوم ﴾

﴿ وبين نائب ملك الانكليز بمصر ﴾

لا يزال جمهور المشتغلين بالسياسة من عرب الاقطار السورية والعراقية ومصر يجهلون أسباب الثورة التي قام بها أمير مكة بمساعدة بعض السوريين والعراقيين — لأنه كان يكتّم ما دار بينه وبين معتمد الدولة البريطانية في مصر وما اتفقا عليه حتى عن أولاده قواد جيوشه ، وانما كان يمنيهم بأن الذي تقرر وتمنق عليه الفريقان هو استقلال جميع البلاد العربية العثمانية وجعلها مملكة عربية حرة له ! وقد ظهر بعد ذلك ان ما عرضه على انكلترة قبلت بغضه بقيود وشروط — يجعل البلاد تحت حمايتها في الداخل والخارج

وقد كان جميع أنصاره وأنصار أولاده الامراء موالين للدولة البريطانية الى ان انكشف الغطاء وظهر ما كان من اتفاقها مع فرنسا على قسمة الولايات العربية بينهما من حدود مصر والبحر الاحمر الى خليج فارس ، واحتل كل منهما حصته وتصرف فيها تصرف المالك فيما ورثه عن آبائه وأجداده من الارض — فعند هذا رجع بعضهم عن موالاتها ، وتعلق الآمال بها دون بعض .

ثم نشر الامير فيصل في دمشق نص المعاهدة التي أخذها من والده ليجتجج بها على الحكومة البريطانية وظهر منها أنها تتضمن حمايتها لجميع البلاد العربية التي طلب استقلالها ليكون ملكها ، فخابت آمال أناس آخرين وسكتوا عن التججج أو الاحتجاج بذلك العهد أو الوعد — ولكن لا يزال لهم أنصار يتولونهم ويتولونها ، وأنصار يتولونها من دونهم وآخرون يتولونهم من دونها ، ولا يزال فيهم من يطالب الدولة البريطانية بما تطالبها به جريدة القبلة بالاقوال الرسمية وغير الرسمية التي

تفي بمهدما ، وتنجز وعدها لملك الحجاز بل ملك العرب كلها ، ومن العجائب أن يكون كثير من أهل فلسطين من هؤلاء الاوياء الذين يسمون ملك الحجاز « بالمتقدم » وانما تقدم من حكم الدولة العثمانية ، الاسلامية ، الرحيمة ، المساوية بينهم وبين الترك في كل الحقوق - ووضعهم بثورته تحت حكم سيطرة الدولة البريطانية ، والشعبة اليهودية الصهيونية ، ولا يزال يوجد فيهم من يظن أن وفاة الدولة البريطانية بوعدها ينيلهم الاستقلال ، كما يظن أولياؤه في سورية الشمالية أنه يتقدم من فرنسا ، ولو بجعلهم تحت انتداب انكلترا أو حمايتها ، وان كانوا لا يجيئون ان انتدابها كان شراً على فلسطين من انتداب فرنسا على سائر سورية ، فإن كان الضغط على العراقيين دون الضغط عليهم ، فسيه ان حال العراقيين كانت خيراً من حالهم ، وانما تنال الشعوب باستعدادها وأعمالها ، لا بأمانها وأقوالها ندع هؤلاء الاغرار يتخبطون في غزارتهم وغرورهم الى أن يعلم الزمان من كان قابلاً للعلم ويربي من كان قابلاً للتربية ، ونساعد الزمان على ذلك ببيان ما منحص من الحقائق ، ونشر ما نعلم من اليبينات والوثائق ، لتكون عبرة للمعتبرين ، وحجة على الجاهلين والمكابرين ،

كلما دخلت مسائل الشرق في طور جديد ترى المتكلمين على صاحب الحجاز وأولاده من السوريين - ولا سيما الفلسطينيين منهم - عادوا الى نعمة المعاهدة بين الملك حسين والانكليز يطالبون بها ، ويرغمون ان الملك حسين وضعها وأمنهاها باسم الامة العربية لا باسمه وحده ، ونسأله تعالى أن يكفي هذه الامة العربية من تلك المعاهدة التي يريدون استبعاد الامة العربية بها

الأيها النائمون أفيقوا ، وبأيها المخدوعون بأقوال العائشين من فضلات آكلي ائمان استكم وبلادكم تنهبوا ، قد آن لكم أن تعلموا ان تلك التماساة من الورق التي بسمها الملك حسين (مقررات النهضة) وبسبها النافخون بيوقه المعاهدة الانكليزية العربية ، هي وثيقة من الملك حسين بجعل البلاد العربية كلها تحت الحماية الحاكمة البريطانية في داخلها وخارجها ، وتنص على اعطائها الحق باحتلال ولاية

البصرة لتأمين السيطرة على العراق ، فيجب على كل عربي مخلص لامته وبلاده أن يرفضها ، وينكر أن يكون لواضعها أدنى حق في وضعها ، والاقتيات على حقوق مسلمي الارض في الحجاز ، وحقوق زعماء الامة العربية في الجزيرة وسورية والعراق ، بوضعه هذه الوثيقة الموجبة لاستعبادهم ، وتصرف الانكليز في بلادهم هذه المقررات هي التي نشرها الامير فيصل قائد الجيش الشرقي لدول الحلفاء - يوم نشرها - وملاك العراق اليوم في جريدة المفيد ونشرناها في المنار تقلا عنها . واننا نعيد اليوم نشرها ، مع الوثائق الاخرى المتعلقة بها ، التي أشار الملك فيصل الى ان الانكليز اعترفوا بها ، ولم يعترفوا بوجود معاهدة وهذا نصها بالمعنى الصحيح الذي كتبه والده :

﴿ صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى ﴾

﴿ بشأن النهضة العربية ﴾

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقا من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصروفة والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ماعدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاومات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل في محلها في رعايته وصيانته تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من

أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على

دفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية (٣) — تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية حينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكها قاصرة في حضان بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال

(٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما يحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتنا والذخائر والنقود مدة الحرب (٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد اهدم استعدادها (انتهى)

*

(المنار) — هذا ما كتبه الملك حسين بن علي اذ كان أمير الحجاز من قبل الدولة العثمانية الى السر هنري مكماهون ليعرضه على دولته ويقنعها بأن ترضى بجمعه الاساس الذي تبنى عليه ثورة أمير مكة على دولته ، وملخصها ان انكلترة هي التي تؤسس الحكومة العربية وهي التي تتولى حمايتها وحفظ حدودها وحفظ الامن فيها للاعتراف بأنها قاصرة في حجب انكلترة القيمة عليها . ولكن دولته لم ترض بجعل هذه القواعد معاهدة بينها وبين أمير مكة ، بل طفق مندوبها السامي بمصر يناقشه فيها ، ويليه عن المهم منها ، وكما اعترف لهم بشيء اتخذوه حجة عليه يحفظونها الى وقت الحاجة ، وأعظم حججهم عليه جعل جميع البلاد العربية تحت حمايتهم وقد نشر الملك فيصل بعض ماجاء في أحد كتب السر هنري مكماهون الى والده بشأن الحدود ، وقد آن لنا نحن أن ننشر النصوص التي يهمنا أمرها من تلك الكتب لان مانشر لم يكف لازالة اللبس ، وكشف القناع عن الغش ، وما لنا لا ننشرها وقد تداولتها الايدي في الشرق والغرب ؟

أرسالت تلك (المقررات) من مكة الى مصر في ضمن كتاب للسر هنري

مكهاون في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ . وهاك ماأجابه في أول كتاب بعدها

الكتاب الاول

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى أمير مكة في شأن الثورة الحجازية ﴾

﴿ في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ ﴾

كتاب من السر آرثر مكهاون نائب ملك الانكليز بمصر

في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الى السيد الحسين النسيب سلالة الاشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة
الحمدية، والدوحة القرشية الاحمدية، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد
ابن السيد والشريف بن الشريف السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين
سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبة العالمين، ومحط رحال المؤمنين الطائعين، عمت
بركته الناس أجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات الماطرة، والتسليمات القلبية الخالصة من كل
شائبة . نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لآظهاركم عاطفة الاخلاص
وشريف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن
نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح
الانكليز. والعكس بالعكس. وهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال نغامة اللورد
كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندي وهي التي كان موضعاً بها
رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند
إعلانها . واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا المظمى رحب

باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة
وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة
لاوانها، وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب
دائرة رهاها ، ولان الاثر لا يزالون محتلين لاغاب تلك الجهات احتلالاً

فعلياً، وعلى الاخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا زاه قد مديد، المساعدة الى الالمان والاتراك نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان ، وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك . ومع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل مال البلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفرائه اليانا ، ونحن على الدوام معكم قلباً وقلبا ، مستنشقين رائحة مودتكم الذكية ، ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا . وفي الختام أرفم الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي ، وطاقق احترامي ما

المخلص

السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فيامماه (مقررات النهضة) فأجابه بالكتاب التالي : —

كتاب ثان

من نائب الملك السير آرثر مكماهون الى الشريف حسين

في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فروع الدوحة المحمدية، وسلالة النسب النبوي ، الحسيب النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع ، الامير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً آميناً للاسلام والمسلمين ، بعونه تعالى آمين وهو دولة الامير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه

(المجلد الثالث والعشرون)

(٧٨)

(المنار : ج ٨)

قد تلقيت بيدا الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٢٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة وأخلاصكم ما أورثني رضاء وجبوراً . اني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق اني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط - ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فاني قد أسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم واني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول ان ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق والشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للماهدات المقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من خصوص الاقاليم التي توضعها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف (١٤) بدون أن تمس مصلحة حليفها فرنسا (١٥) فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي (١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجود منع التعدي عليها

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة

(٤) هذا وان المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الاورباويين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة واني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد دولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى لمحور غائب أصحابها العرب وتنتهي بمقصد مخالفة (٤) دائمية ثابتة معهم ، ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال ولقد اقتصر في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية الكبرى وان كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت الى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة . وترجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لاهل العالم اني لمرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف ابن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي في الدرجة الثانية من الاهمية ولم اذكرها في كتابي هذا . وفي الختام أثبت دولة الشريف ، ذا الحسب المنيف ، والامير الجليل ، كامل تحيتي ، وخالص مودتي ، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجيا من ذي الجلال أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم ، وصالح الشعوب . إن بيده مفاتيح الامر والتعيب يجر كما كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام ما

نائب جلالة الملك

السير ارثر مكاهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب بجواب يعترف فيه بأن ولايتي مرسين وأدنه ليستا داخلتين في حدود البلاد العربية التي يطلبها ويقبل تأجيل البحث في ولايتي حلب وبيروت الى ما بعد الحرب ، ويقر المعاهدات المجهولة التي بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب حتى من كانوا منهم في المملكة العربية التي هي موضوع المساومة بينه وبينها وقد اعترف لها بالانفراد بالتفويض فيها . فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي

كتاب ثالث

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في ٨ صفر سنة ١٣٣٤)

الى صاحب الاصلالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب
الظاهر، والنسب الفاخر، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة
المكرمة قبله الاسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء

ولقد فقدت واصلت كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني
مارأت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين وأرضه من حدود البلاد
العربية . وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضى تأكيداتكم ان العرب
عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وغيره من السادة الخلفاء الاولين - - التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان
وامتيازاتها على السواء . هذا وفي قولكم: ان العرب مستعدون أن يحترموا
ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً ان هذا
يشمل البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى
لاستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل
ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة . ولكن لما كانت مصالح حليفنا
فرانسا داخلة فيهما فالمسئلة تحتاج الى نظر دقيق، وسنخبركم بهذا الشأن مرة
أخرى في الوقت المناسب

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لان تعطي كل
الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في
ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة واننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ
الحذر ولما نريد أن ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا
في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبدلوا كل مجهوداتكم في جمع كلمة

الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على أن لا يمدوا يده المساعدة
لاعدائنا بأي وجه كان . فانه على نجاح هذه الجهودات وعلى التدابير الفعلية
التي يمكن للعرب أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عند مايجيء وقت العمل
تتوقف قوة الاتفاق بيننا ووثباته . وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا
العظمى قد فوضت لي أن ابلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا
العظمى لاتنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية
حرية الشعوب العربية وخلصها من سلطة الالمان والاتراك

هذا وعربونا على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في جهوداتكم في غايتنا
المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين الف جنيه
وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية، وخالص التسليمات الودية، مع مراسم
الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي
ولافراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام

المخلص
نائب جلالة الملك بمصر
السير آرثر هنري مكاهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب حامدا شاكر اراضيا واعدا بالقيام
بمجمع كلمة العرب على قتال الترك طالبا بعض الاسلحة والذخائر والاقوات .
فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي :

كتاب رابع

﴿ من نائب ملك الانكاز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الاسلام
والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف
بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة العظيمة
زاده الله رفعة وعلاء آمين

بعد ما يلقى بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالحببة القلبية أرفق الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيبتكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الامين وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها وانها لموافقة في الاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد سررتي أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم^(١) وان كل شيء رغبتكم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقم التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها اياهم

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج وسيعود الى بورت سودان وبمدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم أو ماعساه أن ينتج سوء تفاهم ألا وهو يوجد في بعض المراكز والنقط العسكرية فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب^(٢) يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى انه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الاوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدؤون بالعداء وبين العرب الارباه الذين يسكنون تلك الجهات لاننا لا تقدم للعرب أجمع الاكل عاطمة ودية . وقدأبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بيينة من الامر اذا بلغتم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرننا الى عمل من هذا القبيل

(١) المراد بهذه المطالب الاسلحة وعتاد الحرب (٢) اعلمه سقط من هنا ذكر من وضعوا بانهم يجاهرون بالعداء للانكليز

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الالقاء باذلون جهدهم في اعمال السفن ليبتثوا بها الالفام في البحر الاحمر ولا لالحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة إخبارنا اذا تحقق لديكم ذلك وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عدداً عظيماً من الجمال وقد أرسلت الي دمشق الشام ونأمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك واذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ولا شك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة

وقديسني أن أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطاهم وهم يأتون الينا وحداناً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد اليهم وقد والحمد لله هزمتنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم . وان لسقوط أرضهم من يد الاتراك وكثرة انزماماتهم في بلاد القوقاس تأثير عظيم (؟) وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له وإياكم . ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح، وأن يهد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لا يزغزعها كرم المصور ومرور الايام

كتبه المخلص
السير آرثر مكاهون

نائب جلالة الملك بمصر

(المنار) نلخص هذه الكتب وترتب ما تقرر فيها بالمسائل الآتية :

- (١) إن الحكومة البريطانية تستثني من بلاد العرب بالنص معظم سورية وهو سواحل ولايات كليكية وحلب والشام وبيروت، فتكون سورية العربية محصورة في المدين الأربع دمشق وحمص وحماء وحلب وملاحقاتهن ولا منفذ لشيء منها الى البحر الا فلسطين المسكوت عنها
- (٢) إنها تزعم أنها مطلقة التصرف في الاقاليم التي تضمها تلك الحدود من بلاد العرب بدون أن تمس مصلحة حليفها فرنسة، أي فيما تقرر بينهما

من حصتها في سورية . والمعنى انها بما لها من حق التصرف في غير حصة فرنسة من البلاد التي حددها الشريف تقرر ما ذكرت من الحقوق لها وله . ولا ندرى من أين لها هذا التصرف المطلق في هذه البلاد ؟ وبأي حق اعترف لها الشريف به ؟ (٣) تزعم أن العرب يعترفون بأن مركز بريطانيا ومصالحها موطدة في ولايتي البصرة وبعداد ويستلزم ذلك أن تكون ادارتها بيد انكارة وتحت حمايتها (٤) تضمن حماية الاماكن المقدسة من كل اعتداء . وهي تفسر البلاد المقدسة بالخرمين والقدس و كربلاء والنجف وتفسر حمايتها لها بما تشاء من الوسائل ومنها ايجاد قوئى عسكرية من سلاح الطيران وغيره

(٥) تزعم أن العرب قد قرروا أن يكون المستشارون والموظفون الذين يؤلفون الهيئة الادارية في بلادهم من الانكليز ، لان الشريف رضي بذلك (٦) تشترط عدم التعرض في هذا الاتفاق المطلوب للمعاهدات المعقودة بين الانكليز وبعض رؤساء العرب ، يعنون أكثر بلاد الجزيرة كالحبش وحضرموت ونجد وعسير وبعض قبائل العراق

(٧) تقول إنها مستعدة مع مراعاة هذه التعديلات التي تسجلها على شريف مكة ومن يمثلهم من العرب بدعواهما لأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد هذا الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة . أي إنها بعد هذه التعديلات التي معناها أن جميع بلاد العرب في قبضة تصرفها مستعدة للاعتراف باستقلال مبهم في مكان مبهم ، والاستعداد للاعتراف بالشيء لا يقتضي الاعتراف به بالفعل ، والاستقلال المفضل لا ينافي الحماية ولا الوصاية ولا ما يسمونه الانتداب كما صرحوا به رسميا

(٨) تقول ان هذا التصريح يؤكدهميل بريطانيا لرغائب أصحابها العرب (أي لاستعبادهم) وينتهي بمقد محالفة يكون أول نتائجها طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير العرب من نيرهم — أي لوضعهم تحت نير الانكليز الذي يفوقه في الثقل ، كما يفوق الجبل الجمل

(٩) تعد بأنها عند ما تسمح لها الظروف تساعد العرب على ايجاد هيآت حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة من بلاد العرب وهي الحجاز وفلسطين ويتعهدون بحمايتها وطردهم منها وليس في شيء من كل هذه الوعود حجة عليها للشريف الا في مسألة فلسطين اذ جعلت البلاد وطننا لليهود

مدنية القوانين

وسعي المتفرجين لنبد بقية الشريعة وهدم الدين

(٣)

سبب حرب متفرجة المسلمين للاسلام

ان خواص الامم وقادتها هم أهل العلم الذين يتبعهم السواد الاعظم من العلوم في أمور دينهم ودنياهم كالعلم والتعليم والارشاد، وشؤون الحكومة من سياسة وادارة وقضاء وحفظ للامن ودفاع عن الوطن . وكل ما يحتاج اليه الامة في حفظ مصالحها الدينية والدنيوية من علم وعمل فحكم الاسلام فيه أنه واجب شرعاً ، ولم يكن للدول الاسلامية التي أسسها خلفاء الاسلام في جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وغيرها من آسية وأفريقية وأوربة (كالاندلس) علم يستمدون منه أحكام الادارة والسياسة والقضاء والحرب الا الفقه الاسلامي المبني على قواعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وكان كافياً لذلك في عصورهم ، ولا يزال كذلك ولن يزال اذا سلك المسلمون فيه طريق الاجتهاد الذي سار عليه سلفهم

ثم ضعفت الحضارة الاسلامية بضعف دولها ، بضعف هداية الاسلام فيها ، ثم قويت حضارة أوربة واعتزت دولها وارتقت علومها وفنونها ، ونظمها وقوانينها ، فكتتها هذه القوى من السيادة على أكثر ممالك الاسلام ، وكانت هذه السيادة ضرورياً لها أسماء ورسوم يمتاز بها بعضها عن بعض ، وانتشر بعض علومها وقوانينها في هذه الممالك تابعاً لتلك السيادة في بعض البلاد ومتبوعاً أو ممهداً لها في بعض ، وكثرت المدارس الاجنبية فيها من قبل دعاة النصرانية الاوربيين والاميريكين لنشر تلك العلوم والقوانين مع الدعوة الدينية ، وقلدتها بعض الحكومات الاسلامية المستقلة بالاسم وبالفعل في مناهج التعليم ومواده ، وتلا ذلك اقتباس قوانينها والتشبه بها في عاداتها وأزيائها وغير ذلك ، فمظمت سيطرة هؤلاء الاجانب على العقول والقلوب بتصرفهم

في تربية النشء وتعليمه تصرفاً قصده قطع جميع روابطه المليية والقومية وجعله عالة عليهم في كل شيء

إذا كان هؤلاء الافرنج قد عجزوا عن تنصير المسلمين بمدارس جمعياتهم الدينية فانهم لم يعجزوا عن ابطال ثقة الكثيرين منهم بدينهم الذي هو مستمد فضائلهم وآدابهم النفسية والاجتماعية لتصبح الامة المكونة منهم لا فضيلة لها في نفسها ولا آداب — واطال ثقتهم بشرعهم العادل الذي هو أساس حضارتهم ومجدهم، والمكون لدولهم الي هي مناط شرفهم التاريخي لتكون الامة المكونة منهم لا مجد لها ولا تشريع ولا تاريخ — واطال ثقتهم بلقنهم، الحافظة لشرعهم وآدابهم وتاريخهم وحضارتهم لعدم شعورهم بالحاجة اليها بفقد الشعور بالحاجة الي ما تحفظه من ذلك، وتوجه همهم الى استبدال شرائع آدابهم وحضارتهم واثقتهم — بما كان لسلفهم من ذلك، أي ليخرجوا عن كونهم أمة ذات مقومات ومشخصات مستقلة فيفقدوا أعظم أركان الاستقلال القومي، ويكونوا كالأقبيط الذي يجهل أهله ونسبه ولا يستطيع أن يتصل بأسرة يلتحق بها فيكون أبتري في الناس — فهذا سبب التفرنج الذي نشكو بعض آثاره في الملة ولو كان أمر التربية وتعليم العلوم والفنون الدينية في يد زعماء الملة وعلماؤها لما ازدادت الامة بها الاقوة واتحادا كما سبق لسلفنا،

كان خلفاء المسلمين وأمرائهم وعلماؤهم في عصور حضارتهم يرون أنفسهم أولى من كل البشر بكل علم وكل فن ينفع الناس في معاشهم أو عقولهم أو أبدانهم حتى أحبوا العلوم الميثة والفنون الدارسة، وكانت هذه العلوم والفنون تقرأ مع علوم الدين في مساجد المسلمين ومدارسهم، وما وجدوا شيئاً منها مخالفاً لشيء من نصوص الدين الا وحكموا فيه بأحد أمرين إما كونه باطلاً فلا يؤثر به مخالفته الدين، وإما كون مخالفته صورية لا حقيقية لا يمكن الجمع بين ما ثبت منه وبين النص ثم صرنا الى عصور ضف فيها العلم بالدين وبلغة الدين وبسائر العلوم والفنون التي كان المسلمون منفردين بها في العالم، وكان لذلك أسباب أهمها ايجاب تقليد المصنفين الميئين، ونحرهم العلم الاستقلالي على الاحياء أجمعين، بدعوى أنه من

الاجتهاد المتعذر على المتأخرين، واهمال التربية الملية التي تصحح النية في طاب العلوم والفنون وتوجهها الى مابه ترنقي الامة وتعزز.

ولكن الافرنج الذين اقتبسوا استقلال الفكر والعلم الاستدلالي من المسلمين فكانوا سببي ارتقائهم ، قد ردهما الى المسلمين ليسنعينوا بهما على اقتناعهم بكل ما يريدون من سوء بهم ، من حيث لا يشعرون بردهما اليهم، وبامكان استفادتهم منهما في دينهم ودنياهم ، بعد أن حال دونها رجال الدين الاسلامي بما أقفلوا في وجوههم من باب الاستقلال بطلب علم الدين بالدليل، وقد تربوا على أن لا يقبلوا شيئاً بدون دليل — فكثر مروقهم من الدين ، ثم اقتنع كثير منهم بأن الدين عقبة في طريق ترفيهم في الدنيا فصاروا يحاربونه بالعلم والعمل

رجال الدين ورجال الدنيا

بهذا دخل عوام المسلمين في باب التنازع بين عاملي زعماء الدين وزعماء الدنيا . كل منهما يجذب العوام اليه ، واننا نرى أن زعماء الدنيا أقدر على جذبهم الى مدارسهم والى تقليدهم ، فطلابها وطلابها يزدادون سنة بعد سنة ويذلون المال لها، وطلاب علوم الدين في نقصان ، على كون تعليمها بالمجان ، وقلما يقبل عليه الا الفقراء الذين يمتصون به من الخدمة العسكرية أو بدلها المالي . وقد أصبحت مناصب الحكومة وأعمالها وهي تكاد تكون محصورة في خريجي مدارس الدنيا ، وهم يكيدون لما بقي لرجال الدين منها . وهو القضاء الشرعي المحدود الذي هو موضوع بحثنا في هذه المقالات — إما بابطاله وجعل جميع الاحكام قانونية وضعية حتى الاحكام الشخصية ، وإما بالتوسل الى إلغاء القضاء الشرعي بجعل الاحكام الشخصية الشرعية قانوناً، وابطال كونها ديناً .

يعمل هؤلاء المتفرنجون كثيراً ، ورجال الدين لا يعلمون شيئاً ، للمتفرنجين احزاب وجمعيات كثيرة سياسية واجتماعية واشتراكية ... وليس لرجال الدين حزب ولا جمعية ذات نظام . المتفرنجون هم الاقلون ، ولكنهم يزيدون ولا ينقصون ، والدينيون لا يزالون هم الاكثرين ، ولكن كثيرهم الى قلة ، ورابطتهم الى انحلال،

كان طلاب المدارس المدنية هم الجند العامل في انقلاب سياسي، فلما شاركهم طلاب الأزهر بمصر في ذلك اتحدت الحكومة مع السلطة الأجنبية على كبح جماحهم، والحجر عليهم وخدمهم، ووافقها مشيخة الأزهر على ذلك لضعف ارادة رؤسائها وحرصهم على ما بيد الحكومة من رزقهم، وهذا الحجر مبني على القاعدة الأفرنجية، المؤسسة لازالة السلطة والسيادة الإسلامية، وهي فصل السياسة من الدين، والذي يقتضي أن لا يشترك علماء الدين ولا طلابه في شيء من أعمال السياسة ولا شؤون الحكومة.

ما كل متعلم في المدارس المدنية متفرنجاً. وما كل متفرنج ملحد، وما كل ملحد منهم خادماً للأفرنج أو مشايعاً لهم، بل جل ما في البلاد الإسلامية من سعي لاستقلالها، ومقاومة سلطة الأجانب فيها فهؤلاء المتفرنجون هم جل القائم به. وقد بينا في المقالة الثانية من هذه المقالات أن هؤلاء المتفرنجين مقاصد ونيات مختلفة في محاربتهم لهذه الشريعة التي يجهلون ما هي، ويجهلون مكانها من تكوين أمتهم وحياتها، وأن منهم من يعتقد أنه يخدم أمته ووطنه باستبدال القضاء عليها بالقضاء بها وتقول الآن إن إثم هؤلاء وغيرهم ممن يظن بالشريعة ظنهم، وإن لم يكن له مثل نيتهم، على عائق الطائفة التي ليس لها رزق ولا مال، ولا احترام ولا جاه، إلا من وقف حياتهم على الاشتغال بعلوم هذه الشريعة ووسائلها تعليمياً وتصنيفاً، وإفتاءً وقضاه، أعني طائفة علماء الدين، الذين صاروا حجة على الدين، وفتنة للمؤمنين والكافرين، (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم)

من الواجب على هذه الطائفة — بما أخذ الله عليها من الميثاق أن تبين للناس ما نزل اليهم تبيناً يثبت لهم بالآيات البينات أن فيه سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وأنه كله حق وخير وعدل وصلاح، وأنه خال من كل باطل وشر وظلم وفساد، وأن أحكامه الدنيوية موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان، وإن سلطته ليست شخصية، ولا بما يسمونه «الأتوقراطية» بل هي حكومة شورى شعبية، وأكمل

مثال لما يدعونه «الديمقراطية» وإن ولي الأمر فيها مسؤول غير مقدس، ومقيد بمشاوره أهل الحل والعقد، الممثلين لسلطة الشعب — وأن تسهل سبيل فهمه وتعلمه لكل طبقة من طبقات الأمة بما يليق بها من المصنفات بالطرق المعروفة في فن التعليم والثروة، بأن يوضع بعضها للاطفال، وبعضها للعوام، وبعضها لمن فوقهم من طلاب العلم، وبعضها للقضاة والمتقاضين،

وكان مما ينبغي للاختصاصيين منهم بهذا النوع الأخير أن يطلعوا على كتب القوانين الوضعية بأنواعها ويعرفوا ما فيها من حسن وقبيح، وعدل وظلم، ليزدادوا بصيرة في محاسن شرعهم وطرق خدمتها، وينظروا ما في كتبها الفقهية المتداولة من تقصير أو تعقيد أو نقص سببه ما حدث للناس من المعاملات التي لم تكن في عهد مصنفها فيتداركوا ذلك كله ويثبتوا لكل ناظر فيما يضعونه من الكتب الحديثة أن هذه الشريعة كاملة لا يمكن لأهلها الاستغناء بها عن سواها، مع العمل بما ورد من أن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها

كما ينبغي للاختصاصيين في علم العقائد أن يكون لهم إلمام كاف بالعلوم العصرية والفلسفة الحديثة، وأصول الأديان المشهورة، وتواريخ الملل الكبيرة، ليعرفوا نسبتها إلى الإسلام، وما بينها وبينه من المشاركات والمباينات، وما في ذلك من الشبهات — وللإختصاصيين في علم الإرشاد العام والتربية أن يكون لهم إلمام بسيرة الجمعيات الدينية عند الأفرنج ومقلديهم من نصارى الشرق في مدارسهم ومصنفاتهم، وسيرة قسوسهم وراهباتهم وراهباتهم، ليمادوا كيف يحوطون كل طبقة من طبقات أهل ملتهم بما يليق بها من تلقين الدين والترغيب فيه والدفاع عنه وغير ذلك

وكان مما يجب عليهم أن يكونوا خير قدوة للأمة، ووجهة الملة، بعلومهم وهديتهم وافقائهم وقضائهم، وأخلاقهم وآدابهم، وإحياء السنن ومحاربة البدع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتبع شبهات الملاحدة والمبتدعة والرد عليها، ووقاية العامة من شرها الخ

كل ذلك لم يكن، بل جل حظهم من العلم أن طالب العلم — في مثل الأزهر

وملحقاته بمصر، والفتح والسلمانية بالأستانة، وجامع الزيتونة بتونس والنجف بالعراق وديوبند بالهند— يناطح كتباً معينة بضع عشرة سنة أو أكثر: مناقشة في مفرداتها وجمالها وأساليبها الركيكة في الأكثر ليؤهل نفسه بذلك لامتحان يكون بفوزه فيه اماماً أو خطيباً في مسجد أو مدرسا في هذه المعاهد الدينية، أو قاضياً في المحاكم الشرعية، فيكون له بذلك رزق مضمون، ومقام معلوم، وهو لا يستفيد من هذه الكتب التي يقتلها مناقشة وجدلاً في الغاظها غيرة على الدين، ولا اهتماماً بأمر المسلمين، ولا استعداداً لنشره في العوام، ولا لرفع شأنه في الخواص، وذلك بأنهم كما قال الاستاذ الامام يتعلمون كتباً لا علماً.

نعم إن بين هذه المدارس وأهلها تفاوتاً في العلم والعمل والاستفادة من علم الشرع، فعلماء (ديوبند) أبعدهاء المسلمين عن الدنيا ومناصب الحكومة، ولعلماء النجف من الجاه فوق ما لغيرهم من أمثالهم، وعلماء الترك لا يزال لهم مقام رفيع وتأثير في الحكومة والامة، وانما علماء مصر هم أقل علماء الاسلام حظاً من الدنيا على رغبتهم فيها اذ هم فيما نعلم أشدهم تقصيراً.

احتاجت الحكومة المصرية الى تعليم العربية في مدارسها فأنشأت مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة لها اذ لم تجد في الأزهر غناءً. ثم لما ضجت الامة من فساد المحاكم الشرعية واضطرت الى اصلاحها لم تجد بداً من انشاء مدرسة خاصة للقضاء الشرعي لان الأزهر قد عجز عن تخريج قضاة ترضاهم الحكومة والامة. وكل من له من هذه الطائفة مزية مما يجب لاهلها فانما سببها استعداد خاص فيه، وتوفيق اتفاقي أتيح له لا طريقة التعليم المطردة، كالأستاذ الامام الذي عرف قيمة علمه وعقله وفضله الغرب والشرق، والانس والجن، وجهله أكثر علماء الأزهر الذين قضى أفضل سني عمره في الجهاد لاصلاح حالهم، وجمالهم أمة لهذه الامة، التي اعترفت له كلها بالامامة، وساعده المنار في جهاده هذا— فقاومه كبار الشيوخ بكل ما أوتوه من حول وقوة، ومن بقية المسكنة الرسمية لدى الامراء والحكام، والوهمية أو الخيالية عند العوام

لقد مات الاستاذ الامام فأنشأوا يعرفون من فضله بالتدريج أكثر مما كانوا يعرفون، ويقرون بما كانوا يجحدون، وهم مع هذا لا يزالون لاصلاحه يقاومون، فقد كان من طريقه الاصلاحى أن يذكر في التفسير بعض التأويل لما يشتهه على أهل العصر من الآيات، التي يظنون انها لا تتفق مع بعض العلوم أو المكتشفات، مع تقريره ترجيح ما كان عليه السلف الصالح على كل ما خالفه، وكان مما ذكر من دفع بعض الشبهات مسألة خالق البشر من نفس واحدة فذكر انه ليس في القرآن نص قطعي أصولي على ان هذه النفس هي آدم كما نعتقد نحن وأهل الكتاب.... وقد تصدى بعض علماء الازهر ايهم يقال عنه أنهم أعرف بحاجة العصر من غيرهم الى تكفيراً من عهد قريب لاننا نشرنا رد هذه الشبهة في المنار، وكتب في ذلك مقالات في بعض الجرائد من العجيب أن يرشح صاحب هذا التكفير بعض تلاميذه لان يكون خليفة الاستاذ الامام ١١ وقد اطلمت في هذه الايام على كتاب طبع بمصر لشيخ مغربي يوزع بغير إذن وموضوعه تجهيل الاستاذ الامام وصاحب المنار، وتكفيرهما بمقاومتهم للبدع وترغيبهما في علوم الكفار كالفلك وتقويم البلدان الخ كل ذلك لم يكن، وكل هذا قد كان، فكان من جرأته أن بقيت حقائق الدين محبولة، ومحاسن الشريعة مدفونة، وطرق العلم باحالكه الظلام، مشتبهة الاعلام، والبدع في ازدياد، تهمد السبيل لفسو الخاد، فان هؤلاء المتفرنجين الذين نشكو من محاربتهم للشريعة كالفرنج لا يعرف أكثرهم من الاسلام الا أنه ما عليه جمهور المسلمين من الشعائر والعقائد، والاذكار والموائد، الممزوجة بالبدع والخرافات، والتقاليد الباطلة والعادات، فانهم يرون كهراء العلماء يتصدرون تلك الاحتفالات، ويشاهدون طواف الالوف من النساء والرجال بالقبور المشيدة المنسوبة الى آل البيت والاولياء المجلبة بالكشمير، كطواف الحجاج بيت الله خاشعين داعين مستغيثين بصاحب القبر.

بل كثيراً ما تقف هؤلاء المتفرنجون على وقائع اضطهاد بعض هؤلاء العلماء الاعلام لكل عالم أو طالب علم ينكر هذه البدع، ويجاهر بالدعوة الى اتباع السلف،

كاضطرادهم للشيخ محمد الرمال الدمياطي واخرجه من دمياط ، وللشيخ مصطفى الشرف في طنطا ونقله من المسجد الاحدي الى معهد أنسيوط ، وللشيخ محمد عبدالظاهر في الاسكندرية وقد حرصوا العامة عليه هذه الايام فضر به ضربا مبرحا ، ولكنهم اذا لقوا من يعتقدون فسوقهم ومروقهم من الدين من رجال الحكومة أو كبار الاغنياء يتهلقون لهم بالتعظيم والمبالغة في الدعاء

هذا شأنهم في اضطراد من تحت رئاستهم ولا يملكون أكثر منه ، وقد نجرا أحد قضاتهم الشرعيين على الحكم بردة الشيخ محمد أبي زيد (أحد تلاميذ مدرسة دار الدعوة والارشاد) والتفريق بينه وبين زوجته اذ احتسب أحد علماء الازهر بابلاغ ذلك القاضي أنه قد ارتد عن الاسلام اذ قال ان الدليل على رسالة آدم غير قطعي وهو معارض بحديث الصحيحين وغيرهما الناطق بأن نوحا أول رسول أرسله الله الى أهل الارض ، ولكن قاضي الاستئناف كان أعلم وأحكم من هذا القاضي فنقض حكمه

وغاية دفاعهم عن الدين أن يطلبوا من الحكومة ابطال بعض الصحف عند ما تنشر شيئا مخالفا للدين أو للمذاهب المشهورة فيه . وقد باننا أنهم طلبوا منها خيرا أن تأمر بمنع مجلة القضاء الشرعي التي أنشأها بعض أساتذة هذه المدرسة وطلابها النجباء لانه نشر فيها بحث في امضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه للطلاق الثلاث باللفظ الواحد خلافا لما جرى عليه العمل في عصر الرسول (ص) وعهد خلافة أبي بكر (رض) وستين من خلافته .

ويعتقد هؤلاء المتفرنجون أنه لو كان هؤلاء العلماء نفوذ في الحكومة لملأوا بقوتها حربا العلم والاعتقاد والعمل في كل ما يخالف معارفهم التقليدية في الدين ، بل لتحكروا في حرمان من شاؤا من الدين وعقابه حتى بالقتل كما كان يفعل غيرهم من النصاري اذ كان رؤساؤهم في الدين مثاهم في معارفهم

ما ذكرناه أولا وآخرها هو علة العلل لما فشا في المسلمين من الاطحاد في الدين والاعراض عن الشريعة وتفضيل بعض المتفرنجين القوانين الوضعية عليها في

مصر والآستانة وكل قطر دخل فيه التعليم الاوربي ، واصرفه جمهور علماء المسلمين على جعل الشرع محصورا فيما قال مصنفو كتب مخصوصة انه المعتمد أو المقتى به في المذهب وان خالف فظواهر القرآن والاحاديث الصحيحة ومصالحه الامة والدولة ومن هذا الجمود التقليدي ان شيوخ الاسلام في الآستانة يحظرون الفتوى بما في مجلة الاحكام العدلية لان بعض موادها مخالف للمعتمد في مذهب الحنفية ، ولقد قلت لشيخ الاسلام موسى كاظم افندي بمناسبة حديث بيننا: اني مستعد ان أستخرج لكم من الشريعة الفراء كل ما تمس اليه حاجة العصر في غير الربا القطني اذا كنتم تفقدونه ، قال أنا أعلم ان هذا سهل وأتمناه واسكن ما اذا نفعل في مشايخ الفتوى خانه ؟

يعلم الله تعالى اننا نود لو يكون علماء الشرع فينا هم قادة هذه الامة في دينها ودنياها، اننا لم نلق ما ألقيناه منذ انشاء المنار من التبعة عليهم في تقصيرهم الا لاجل حفز همهم لتلافي ذلك التقصير وأول ما يجب أن يعرفوه من حال العصر وأهله في هذه السبيل أن حرية العلم والرأي واستقلال الفكر مقدسان عند جميع المتعلمين في غير المدارس الدينية وكذا عند بعض المتعلمين فيها — والاولون هم اولو الامر والنهي في الحكومتين التركية والمصرية فاذا لم يقدر العلماء هذه الحرية والاستقلال قدرهما، ويرجموا عن اصرارهم على التقليد الاصم الابكم الاعشى ، فان هؤلاء يغلبونهم على عامة الامة، ويتركون ما بقي من ضلة الحكومة بالدين والشريعة، عملا بقاعدة فصل الدين عن السياسة بالمعنى الذي يفهمونه ويدعو اليه بعضهم اليوم، لا بالمعنى المعروف عند علماء الشرع في مثل قولهم يصح كذا قضاء لاديانة أو ديانة لا قضاء. ويعلم من قول شيخ الاسلام الذي ذكرناه آيضا أنه يوجد في علماء الترك أفراد من المستقلين في علم الدين العارفين بحال العصر وما ينبغي من الاصلاح فيه ويوجد مثلهم في مصر وتونس والهندواكنهم مغلوبون على أمرهم حتى ان الذي يصل منهم الى مقام المشيخة الاسلامية في الآستانة والى مقام إفتاء الديار المصرية في القاهرة يبقى مغلوبا على ما يريد من الاصلاح بجمود السواد الاعظم من هؤلاء المقلدة

فاذا تيسر أن يكون هؤلاء المستقلين من العلماء حزب قوي منظم وعرفو الطريق المستقيم لحفظ الدين والشريعة وسلكوه فانهم يجدون من هؤلاء المتفرجين انصارا حتى يكون الشاذ منهم قليلا وضعيفا لا تخشى عاقبة شذوذه. وسندكر في المقال الآتي ما ينبغي الأخذ به في هذا الطريق ، وبالله التوفيق

﴿ تنمة تلخيص مکتوبات نائب ملك الانكليز لايرمكة تابع ص ٦٢٤ ﴾

(١٠) استصوابها (أي الحكومة البريطانية) انتحال الشريف حسين للخلافة الاسلامية واغراؤه باعلانها ، والتصريح بأن ملك الانكليز نفسه « رجب باسترداد الخلافة الى يد عربي صمم من فروع الدوحة النبوية المباركة » (٤) (١١) الوعد المتعلق بمسألة الصلح ونصه كما في ص ٦٢١ « فان حكومة بريطانيا المظني قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا المظني لا تنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والترك »

هذه جملة العهود والوعود والمقاولات الابتدائية بين الانكليز وأمير مكة وهي قسمان (أحدهما) ما طلبه هو من الحكومة الانكليزية وسماه مقررات النهضة وهذا كله شر واستعباد للعرب وقضاء على حريتهم ولا يلزم أحدا من العرب به شيء لانه لم يكن موكلا من أحد منهم بأن يساوم الانكليز ويعطيهم حق الحماية للبلاد العربية وتأسيس حكومات فيها يتولون ادارتها وحفظها

(ثانيهما) وعود الانكليز المطلقة للعرب بما كتبوه له وقالوا مثله لنا ولغيرنا ونشروه على العرب في جريدة عربية سموها الكوكب كانوا ينشرونها بطرق النشر العسكرية في جميع الاقطار العربية، وهو أن العرب سيكونون بانتصار الدولة البريطانية أحرارا مستقلين في بلادهم. فهذه الوعود حجج يجب أن نعي بها الانكليز ونشهرهم بالكذب والخداع والغش الى أن يتركوا لنا استقلال بلادنا كلها.

نعم انهم يسمون الحجاز والعراق وشرق الاردن بلاداً مستقلة ويصدقهم في ذلك من وضعهم ملوكاً وأمرأه فيها لانهم هم أعوانهم على استعباد الامة العربية . كأن الاستقلال عبارة عن تولية هؤلاء الثلاثة هذه المناصب ، فصر اذا مستقلة من قبل تصريح ٢٨ نوفمبر الذي تقرر به الاستقلال الاسمي لها حتى في مجلس العموم الانكليزي ، وزنجبار مستقلة لان فيها سلطانا وطنيا ومسقط بالاولى، بل في الهند بلاد مستقلة كثيرة كيدرآباد الدكن و بهوبال وكشمير و . . . و . . . فالى متى يسخر هؤلاء السياسة الاشرار بالامم والشعوب؟ والى متى يجدون من الخونة في هذه الامم من يساعدهم على ذلك ؟

السجى للتوفيق بين الشرق والغرب

(١)

كان مما أقصد إليه في رحلتي هذه أن التقي ببعض أحرار أوربة المستقلي الرأي فأستفيد من آرائهم وأفيدهم ما أحب أن يعرفوه عن بلاد الشرق عامة وبلادنا العربية خاصة ، وأن أقترح عليهم السجى لأصلاح ذات بين الشرق والغرب بالعدل والانصاف ومبادلة المنافع وعدول الدول المستعمرة عن مطامعها ، وعن أصرارها على استعباد الشعوب الشرقية واغتصاب خيرات بلادها بالقوة العسكرية القاهرة ، وأبين لهم ما تجدد بهذه الحرب من يقظة هذه الشعوب وتمارفا ، وتوجهها الى التعاون على دفع عدوان العادين عليها ، وما يؤول إليه أمر هذه الاطماع الاستعمارية من الفتن والحروب بما تفرسه في قلوب المظلومين المقهورين من العدا ، وما تؤرثه من الاحقاد ، وأن خير الوسائل لتلافي هذه الشرور أن يعنى أحرار أوربة باقناع رجال الدول المستعمرة أو إكراههم بقوة شعوبهم الادبية ومجالسهم النيابية ، على قاعدة حرية الشعوب وسيادتها القومية ، ومساعدتها على ما تطلبه باختيارها من وسائل تمير بلادها بالفنون العملية والآلات الصناعية ، في مقابلة الانتفاع منها بما في بلادها من فضل الاغذية ومواد الصناعة الاولية

آراء أحرار أوربة في تنازع الشرق والغرب

لقيت أفراداً من هؤلاء الاحراز في (جنيف) وغيرها وتحدثت معهم في هذا المقصد ، فألقيتهم يعتقدون أن هذه الحرب لم تزد رجال السياسة في الدول الكبرى الا رسوخاً في الطمع المردي والفساد ، وتنادياً في إثارة الفتن والشرور ، وضراوة بسفك الدماء ، ويعرفون كنه فساد سياسة هذه الدول ويتشاءمون بسوء عاقبتها ، ولا يصدقون ما يدعيه هؤلاء الا ان يكون من الطعن في الشرقيين ولا سيما المسلمين والرغبة في اصلاح حالهم ، ووقاية نصارى الشرق من تعصبهم ، بل وقاية أوربة نفسها من سوء تأثير حريتهم واستقلالهم

ذكرت في الفصل الذي قبل هذا أن آخر من لقينا من رجال جمعية الامم في جنيف رئيسها العام ، في هذا العام (١٩٢١) أو في هذا الاجتماع ، وذكرت

بعض حديثنا منه ، وأذكر هنا أن سكرتيره الخاص (موسيو شور) كان قد
تمشى وسهر معنا في الليلة التي قابلنا الرئيس في نهارها (ليلة غرة صفر سنة
١٣٤٠) وقد دار السمر بيننا في الموضوع الذي بينه آنفاً فأعجبنا الصاف هذا
الشاب وإطلاعه على كثير من حقائق السياسة الأوربية المتعلقة بالشرق ، ولا
سيما الترك ، ونذكر جملاً من كلامه

قال : كنت أصدق ما كانت تذيعه السياسة في أوربة عن توحش الترك
وظلمهم للمسيحيين عامة والأرمن خاصة إلى أن أتبع لي أن أذهب إلى الأستانة
وأختبر الحال بنفسي ، وحينئذ علمت أن أوربة على عدم تمسكها بالدين ، هي
المتعصبة على المسلمين ، والكاذبة بما بثته من الدعوة بأنهم أعداء المسيحيين ،
فقد مكثت في الأستانة زمناً طويلاً عاشرت فيه المسلمين ورأيت من حسن
أخلاقهم وآدابهم ، ما وقتت به على درجة التحامل عليهم ، وأعترف بأن
الحلفاء جعلوا مسألة الانتداب على البلاد العربية ذريعة إلى ما ذكرتموه من
ظلمهم في استعمارها ، واستعباد أهلها ، وذكر لنا واقعة مما شاهدته بنفسه في
الأستانة من معاملة مسلمي الترك للأرمن

قال : كان في الأستانة لجنة أميريكية تسعى لتعريب الأرمن من ررق الترك
بزعماً ، وقد بلغها أن أحد الباشوات قد اغتصب فتاة أرمنية وكرها على
الاسلام ، فسألوه عنها فاعترف بأن عنده بنتاً فقيرة يتيمة آواها ورباها وأحسن
معاملتها ، وهي تقيم في داره برضاها واختيارها ، فطلبوا منه بكل غلظة وفظاظة
أن يأتيهم بها ففعل ، فسألوها عن قصتها فكان كلامها مصدقاً لما قاله الباشا على
أكل وجه وعلومها أنها في سعادة وغبطة في عيشتها الراضية عنده وإنها
غير منكروهة على شيء ولا كارهة لشيء ، ولا ممنوعة من الذهاب إلى حيث
تشاء . فسألوها عن إكراهه إياها على الاسلام ، فقالت أنه لم يدعها أحد إلى
الاسلام ، لا بالإكراه ولا بالاختيار ، ولكنها الفت الاسلام من تلقاء نفسها
وصارت تذهب مع سيدات الدار (الهوانم) أحياناً إلى المسجد إذا ذهبن إليه
فلا يمنعها إذا ذهبت ، ولا يسألنها الذهاب إذا قدمت . فطلبوا منها أن تترك بيت
الباشا وتقيمهم لأنه يجب أن تعود إلى دينها ، وتتزوج برجل من أبناء جنسها ،
فامتنعت فأكرهوها وأخذوها فوضعوها في مشغل كانوا يضمون فيه أمثالها
لأجل تحصيل رزقهن بمملهن ، فكانت كارهة لنقلها عن نعيم مقيم ، إلى بؤس اليم ،

وبعد ايام قليلة من تركها للدار جاء المكان الذي كانت فيه سيدة او سيدتان من حرم الباشا ومعهما عبد من الاغوات يحمل بقعا من الحرير المزركش فيها حلل من الثياب النفيسة وعاب فيها حلي من الذهب والجواهر وقدمها للبنات الارمنية ، وقالت سيدته للبنات ولمن حولها ان هذه الحلي والحلل هي التي كانت هي وبناتها يتبرعن بها للفتاة في الاعياد والمواسم ويحفظنها لها ، لاجل تجهيزها بها عند زواجها ، فهي قد صارت ملكها ، ولا تطيب انفسهن لحرمانها منها !! فهذا مثال الاسترقاق والظلم الذي كان يسومه باشاوات الترك وحرمةم للارمنيات !!

وأما الارمن الذي خدعهم الانكليز والروس بالخروج على دولتهم بالسلاح والكيد لها والتعريض الى أعدائها وقت الحرب فلا يعقل أن يغفر لهم الترك ذلك وكان رئيس مؤتمرنا قد دعا مدير جريدة (تريبون دي جنيف) وسكرتيره الى المشاء مع أعضاء المؤتمر في الفندق فأجابوا الدعوة ، وقد رغب الي سكرتير قلم التحرير (موسيو ماتيل) ان اجلس بجانبه على المائدة لاجل الحديث معه فأجبت مرتاحا ودار بيننا حديث طويل اتمناه في سمرنا بعد العشاء بدأت الحديث بأن بينت له خلاصة علاقة الشرق بالغرب ، وما يود احتياضه من علومه وفنونه ، وما يكره من أفكاره وشؤونه ، وما ينكر من مدنيته المادية ، ومطامعه الاستعمارية ، التي كان التنازع عليها موقدا لنار الحرب الاخيرة ويقتظر أن يوقد نار حرب أخرى شر منها ، الا أن يتلافى عقلاء أوروبا الاحرار هذا الخطر بمقاومة هذه السياسة ، وارجاع الدول المستعمرة عن التماذي في هذه المطامع ، وإفنائها بالاستفادة من بلادنا وافادتها ، مع ترك أمر الحكم فيها لاهلها قال : ان مدنيتم مدينية آداب وفضائل فحافظوا عليها فهي خير لكم من مدينية الغرب المادية الفاسدة التي هي كما ترى مظاهر رياء وزينة وشهوات . . . قلت : إننا راضون بأدبنا وفضائلنا ولا نريد ان نستبدل بها غيرها ولا سيما هذه الآداب والتقاليد والعبادات المبنية على الافكار المادية والشهوات النفسية ، التي تبيح السكر والزنا والقمار ، وسلب الاقوياء لحقوق الضعفاء ، وانما نريد أن نقتبس بعض الفنون والصناعات المساعدة على العمران

قال : انك لا تستطيعون أن تكونوا أمما صناعية مثلنا فان الشرق غير مستعد لذلك كالفرب ، ثم إن هذه الصناعات من مفسدات الاخلاق أيضا ، فاذا أنشئ في الشرق معامل كمعامل أوروبا فإنه يدخل فيها النظام المالي الاوربي

والاحوال الاجتماعية الغربية المبنية على الصنع والنهب والمزاحمة وسائر المفاسد
 أي كسالة المال ، واختلاط النساء والرجال ، ومفاسدها كثيرة معلومة
 قلت — وقد ظننت أنه مخادع لأنه سياسي : ان الشرق قد سبق الغرب
 الى الصناعات العظيمة الباقية آثارها من الوف السنين في مصر وغيرها . . بل
 جميع اصناف البشر مستعدون لكل علم وصناعة ، والشعوب التي سبقت لها
 مدنية صناعية يكون استعدادها أقوى بسبب تأثير الوراثة . وهذه أمة اليابان
 شرقية وهي من الجنس الاصفر الذي كان يظن أنه أقل استعدادا من الابيض
 الذي نحن منه مثلكم وقد ساوت أوربة في كل علم وصناعة
 قال : انني أعني بأنكم لا تستطيعون أن تكونوا أما صناعية لعدم الداعية
 لا الضعف في الاستعداد الفطري ، والداعية هي الحاجة التي تولدها كثرة السكان
 وعدم كفاية الارض لميشتهم — والشرقيون الاقدمون الذين ترقوا في الصناعة
 كالمصريين والاشوريين كانوا ممن ضاقت بهم بلادهم
 قلت وأنا أريد اختصار البحث الاجتماعي والانتقال الى البحث السياسي — :
 إقنا لا نحاول الآن أن نشيد معامل تغنيانا عن كل صناعات أوربة وأميريكة
 فان لهذه موانع اقتصادية عندنا تحول دون ربحنا منها ، وفوزنا على مصنوعات
 الغرب التي تزاخنا فيها ، وإنما نحن محتاجون أشد الاحتياج الى بعض الفنون
 والصناعات الضرورية لترقية ربحنا واستغلال أرضنا فيها يتضاعف ربحها ،
 ونحن أعرف بما نحتاجه وما نحن مضطرون اليه منها ، وإنما يزيد ان نستفيد
 من امثالكم الاحرار ما يجب السعي اليه منا ومنكم في علاقة بلادنا ببلادكم
 فان حكوماتكم الاستعمارية لا تتركنا احرا في شؤون حياتنا حتى نختار
 لانفسنا ما نحافظ به على مدينتنا ونقتبس ما نشاء من شعوبها ونضع ما نشاء ، وقد
 كنا جاهلين بكنهه مطامعها وخفايا سياسيتها فعرفنا ، ونأمنين فاستيقظنا
 انني معتبط بك لانني رأيتك على رأينا في المدينة المادية ومفاسدها
 والظاهر ان أصحاب هذا الرأي في أوربة قليلون ، وهو رأي شيخ فلاسفتها
 هبروت سبنسر فقد حدثنا عنه أستاذنا الامام الحكيم الشيخ محمد عبده
 المصري الشهير أنه لما زاره في آخر سياحة له في أوربة — (وكان ذلك في مصطافه بمدينة
 برين — في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣) سأل الفيلسوف الامام : هل زرت
 انكثرة قبل هذه المرة؟ قال نعم زرتها منذ ١٩ سنة عقب الاحتلال البريطاني لامور

تتعلق بالاحتلال ومالية مصر ومسألة السودان. قال: هل رأيت في هذه المرة تغيراً في الافكار؟ وما ترى من الفرق بين الانكبار اليوم والانكبار منذ عشرين سنة؟ قال: لم ألاق كثيراً من الناس هذه المرة لاني حديث عهد ومثل هذا التغير يؤخذ العلم به عنكم قال الفيلسوف: الحق عند أوربة للقوة الامام: هكذا يعتقد الشرقيون ومظاهر القوة هي التي حملتهم على تقليد

الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابعه

الفيلسوف: محي الحق من عقول أهل أوربة واستحوذت عليها الافكار المادية فذهبت بالفضيلة، وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين اولاً فأفسدت الاخلاق وأضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانكبار فهم الآن يرجعون القهقري بذلك. وسترى هذه الامم يختبئ بعضها ببعض وتنتهي الى حرب طامة ليتبين أيها الاقوى فيكون سلطان العالم

الامام: اني آمل أن يحول دون ذلك هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير

مبادئ الحق والعدل ونصر الفضيلة

الفيلسوف: وأما أنا فليس عندي مثل هذا الامل فان هذا التيار المادي

لا بد أن يبلغ مداه غاية حده

(موسيو راسيل) انني أنا أعتقد مثل هذا الاعتقاد ولست كالفيلسوف

سبنسر وكثير من العقلاء يعتقدونه وهو لا يحتاج الى كل علم سبنسر وفلسفته،

فاني الترف واتباع الشهوات الذي هو أثر طبيعي للثروة وسعة الحضارة هو

الذي أهلك الامم السابقة وازال حضارتها في الشرق والغرب كأعمكم العربية

والمصرية، وامنا اليونانية والرومانية. وهو الذي لا بد ان يقضي على مدنيتنا

الحاضرة، فان سنة الاجتماع في كل الامم واحدة لا تتغير

قلت: نحن نعتقد هذا من يعرف منا علم الاجتماع ومن لا يعرفه لانه

منصوص في القرآن في آيات منها قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا

مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وفي آيات أخرى

ان الله سننا في الامم كقوله (قدخلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا)

وان هذه السنن لا تبدل لها ولا تحويل، ولكن الامم الاوربية تعلم من

هذه السنن ما لم يكن يعلمه من قبلها، حتى المسلمون الذين ارشدتهم كتابهم

اليها، وشرع بعض حكماهم في جعلها علما مدوناً كابن خلدون الفيلسوف العربي

المشهور - ولكنهم ظلوا مقصرين في ذلك حتى وسع نطاق هذا العلم مثل الفيلسوف سبنسر وغيره فهم بارشاد هذا العلم يجتهدون في اتقاء الهلاك اجتهادا ربما يكون سببا في تأخيرها فنحن في هذه الفرصة يجب ان نتقي شر اعتدائهم علينا، ليطول امد السلام فيكم وفينا

قال : ان التأخير ليس بمستطاع وقد حكيت عن الفيلسوف سبنسر انه كان يأسا من تلافي مفسد الافكار المادية ونصر الحق والفضيلة عليها . وانا اخبرك بأنه يوجد كثير من عقلاء اوربة يعتقدون ان خرابها سيكون قريبا وانه ربما يكون هذا الجيل آخر جيل فيها ، وحيثهم عليها هذه الحرب الاخيرة قلت : الاترى ان من الممكن التوصل بأمثال هؤلاء العقلاء الى بث الدعوة في الشعوب الاوربية بالزام حكوماتها ترك المدوان على حريقنا واستقلالنا ، اكتفاء بمبادلة المنافع بينهم وبيننا ، وتلافيا لما تولده المطامع في بلادنا من التنازع بين الدول الطامعة فيها ، الذي يفضي الى الحرب الآتية ، وهي التي اذا وقعت ستكون القاضية

قال : لا إمكان فهؤلاء السياسيون لا يحولهم هما تربوا ومرنوا عليه من المطامع والدسائس الا القوة القاهرة ...
قلت : وبم تنصح لنا اذن ؟

قال : اجمعوا كلمتكم ، وحافظوا على دينكم وآدابكم وفضائلكم ، واستعدوا للاستفادة من الحرب الآتية ، فاذا كانت شعوبكم تبتم راي الزعماء العقلاء مثلكم فانكم تستفيدون من فرصة الحرب الآتية ، ما فاتكم مثله في الحرب الماضية ، والافلستم الآن بأهل للاستقلال والالحرية ، بل تحتاجون الى تربية طوييلة ... هذا ملخص حديثنا السياسي على المائدة وفي السمر بعدها ، بل كان من حرته الثامة ان صرح بما لا يجوز لي ان انقله عنه الا باذنه ، وهو يعتقد ان سياسة الغرب يكذبون فيما يرموننا به من العيوب ليحتجوا به على اقناع مجالسهم واحرار شعوبهم بالاعتداء علينا . ومن مجاملته الادبية لي قوله : اني اعتقد بتناسخ الارواح ، وقد رايت روعي قريبة من روعي ولكني لم تبلغ درجتها في الارتقاء ، واني ارجو ان تدركها بعد موت وحياة اخرى فنلتقي في الحياة الثالثة تلاقي الاتحاد والمساواة ، فأجيبته بمجاملة تليق بالمقام وأثنت على ما افادنا ، وما نصح به لنا ، مقتبطا بتفاقنا في الافكار والآراء .

بوتني الحكمة من يقاه ومن يوت الحكمة
فقد أوتي خيراً كثيراً وما يزيد
إلا أوامراً بالآيات

المساجد

١٣١٥

فيبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيبتغون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الآيات

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى «ومئارا» كئار الطربق —

٣٠ ربيع الاول ١٣٤١ - ٢٦ المقرب (خ ٢) سنة ١٣٠١ هـ ١٩ نوفمبر ٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ حكم استعمال الاسبرتو - الكحول ﴾

أفتى بعض فقهاء الهند بتحريم استعمال الكحول في الاصباغ والادهان
والعطور ولا سيما زيين المساجد بالاصباغ التي يدخل فيها وعلوا ذلك بكونه
خمرًا نجسة. وقد أرسل اليها بعض فضلاء المسلمين هنالك نص الفتوى في ذلك وسألونا
هل هي صواب أو خطأ وان نبين ذلك بما عندنا من الدلائل في أقرب وقت لان
الناس مضطربون فيه. وقد اكتبنا بتأخير سنوهم. ونذكر بعده ما أرسل
من ترجمة الفتوى بالعربية على ضمفها وغلطها ونقني عليها بالجواب، ومن الله
تعالى نستمد الصواب. ونسأله ان يؤئنا الحكمة وفصل الخطاب

(المنار: ج ٩) (٨٣) (المجلد الثالث والعشرون)

﴿ نص الفتوى الهندية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله سبحانه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى
أما بعد . فهذه صورة ما أجبنا به عن الاستئلة الواردة علينا في أمر المسجد

والشراب — بتوقيفه تعالى وهو يهدي للحق والصواب

(سؤال) — هل يجوز استعمال الاسبريت (الاسبيرتو يعني روح الخمر)

على أبواب المسجد والحيطان، مخلوطا ببعض الالوان والادهان؟

(الجواب) — لا يجوز أبدا لان الخمر حرام ونجاسة مغلظة وسامون(?) في

الشرعية الاسلامية

(س) — بعض الناس يقول انه كما يجوز استعمال الخمر في معالجة المرضى

يجوز في هذا أيضا؟

(ج) — لا يجوز أبداً لانه حرام ونجس الا اذا بلغ المريض حد اليأس ولم

يوجد له دواء غير الخمر ورأى طبيب حاذق مسلم انها تنفعه فحينئذ يصوغ بعض
العلماء استعماله بقدر الضرورة فان سلم فشتان بين المريض المعذور، والمسجد المعذور

(س) — هل الخمر نجس وحرام استعمالها بعد خلطها مع بعض الاشياء

وذهب رأتحتها أيضا؟

(ج) — نعم ولو خلطت ببعض العطريات فانها نجس وحرام

(س) — يظنون ان الاسبيرتو ليس بخمر

(ج) — هذا ظن فاسد منهم والحق انه خمر حاد مسكر جدا على التحقيق

وانه أخبت من البول . وأما تبديل اسمها وتغيير رأتحتها وتقليل جرمها فلا يجدي

نفعاً وقد ورد في الخبر ، عن النبي الصادق الابر ، ذم مستحلي الخمر بتبديل اسمها

(س) — ماذا عليهم اذا استعملوا الاسبيرتو على جدران المسجد وأخشابه

دون موضع الصلاة

(ج) — لا يجوز لهم هذا حتى على خارج جدار المسجد حتى تقذره بظاهر

أيضا لان الشريعة الغراء أكدت في تطهير المساجد وتمظيفها تأكيداً بليغاً

(س) — ان الأسيرينو ضروري لهذه الالوان والادهان
 (ج) — لاهو ضروري للالوان والادهان ولا هي ضرورية للمساجد .
 ودعوى عموم البلوى فيه ضلال ومكابرة وجدال من كل معاند
 (س) — اذا تسحق مساجدنا في مقابلة معابد الكفار
 (ج) — ان المرزة الحقيقية أن نكون مؤمنين صادقين ، ونصلي الخمس
 مجتهدين خاشعين ، لا في زخرفة المساجد وتشبيدها بالمباهة ومقابلة معابد الأديان ،
 بل كرهها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المروية عنه فاعلم
 (س) — لا بد من تحرير هذه الأسئلة والاجوبة ليستهدى بها المؤمنون ،
 وليلقها الغائبين الحاضرون
 (ج) — يا أسفا على جهلنا وضلالنا هذا حتى انا احتجنا الى بيان حرمة

الخمر ونجاستها ، وتحرير أدلتها . وهي بنصوص الكتاب والسنة ، واجماع الامة ، رجس
 من عمل الشيطان ، مشهور وتواتر من عهد الصحابة عليهم الرضوان ، فاذا يكون
 الحلال ، على هذا المنوال ، من عدم التمييز بين الحرام والحلال ، وترك الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر ، فوالله ما ندري كم من اخواننا الجاهلين وقعوا في مهاوي الضلال
 والسير ، من ارتكاب المعاصي والبدع وأنواع الفواحش والمنكرات ، فواويلاه ثم
 واويلاه ، ولا حول ولا قوة الا بالله

هذا — وهذه خلاصة النصوص من الكتاب والسنة الصريحة ، وأقوال علماء
 المذاهب الاربعة الصحيحة ، فتمسكوا بها وتذكروا ، وبلغوها واشكروا ، وليعلم ان
 تعلم الحلال والحرام ، وسائر فرائض الاسلام ، والاذعان بها ، والتسليم لها ،
 فرض على المكلفين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (أي عن الشرك والبدعة
 والكفر والمعصية) من خصائص المؤمنين ، ولهذا أرسل الله تعالى رسوله الأعظم ،
 سيدنا محمدا الأكرم - صلى الله عليه وسلم - بالكتاب والحكمة فبلغ الرسالة ، وأدى
 الامانة ، ونصح للامة ، وكشف الغمة ، وجلا الظلمة ، وجاهد في الله ، وعبدته حتى أتاه
 اليقين ، وقد أمر الامة بحفظ تلك الامانة (أي الكتاب والسنة) وأدائها الى من

يستحقها الى يوم الدين . وليعلم أن انكار فرض من فرائض الاسلام ، أو حرم ضروري من الاحكام ، كفر وعدوان ، وأن الاصرار على خلافها معصية كبيرة مستلزمة للكفر واللعنة والخمران

أما الآيات — (١) (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي) الآية (٢) (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية — (٣) (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وأما الاحاديث (١) « أمر ببناء المساجد وأن تنظف وتطيب » رواه الترمذي وأبو داود (٢) « من أكل هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا » رواه الشيخان (٣) « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وصابها وبائعها وشاربها » الحديث رواه أبو داود (٤) بسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر يجعل في الدواء فقال « إنها داء ليست بدواء » (٥) « إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه أبو داود والترمذي (٦) « لا تداووا بالمحرم » رواه أبو داود

(فائدة) اذا تحقق أنه صلى الله عليه وسلم منعنا عن التداوي بالمحرم وأخبر أن الله لم يجعل شفاءنا فيه وأن الخمر داء ليست بدواء ، وهو ما ينطق عن الهوى ، إن هو الاوحى يوحى . وقال تعالى فيه (ص) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهل يجوز لمسلم بعد ذلك أن يعتقد شفاء في الخمر وهو من المؤمنين ؟ لا والله لا يجوز له ذلك ، كيف وفيه تكذيب للنبي الصادق الامين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الى يوم الدين

وأما النقه (فقد) أجمعت الائمة والامة على أن الخمر نجاسة مخالفة وحرام قطعي قليلها وكثيرها ، ولا يجوز استعمالها والانتفاع بها كيف ما كان ، وهذا هو المذهب المقى به للعلماء الحنفية عليهم الرحمة والرضوان وفي هذا القدر كفاية ، والله يعصمنا من الغباوة والغواية ، وله الحمد في البداية والنهاية

في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠ (حرره عبده المذنب أبو عتيق محمد شفيق)

(تنزيل بمجي غفرله)

(تحقيق القول) قال الدكتور الحكيم غلام جيلاني شمس الاطباء في كتابه
المعتبر المشهور المسمى بمخزن الحكمة (وقد وثقه وصدقه جمهور الدكاتير، والاطباء
المشاهير، في الهند): الخمر باعتبار استخراجها على ثلاثة أنواع أولها (بير) وركنه
الاكبر الشعير وغيره. والثاني (واين) وركنه الاعلى العنب وغيره. والثالث
(سبريت) أي اسبيرتو. وهو يتخذ من الشرايين المذكورين بعمل التصعيد
والتقطير وهو اكثر حدة وقوة لزيادة (الكحل) وهو الجزء المسكر فيه أهم من صحيفة ١٤٦
وقال: مقدر الكحل — وهو الجزء الفعال في الخمر بالنسبة المثوية هكذا:
٢ — ٤ في المائة في البيرا و ١١ في المائة في الشمبانية و ٢٣ في المائة في پوت و ٥٣
في المائة في البراندي و ٥٤ في المائة في الوسكي والروم و ٨٦ في المائة في السبيرتو
اه — من صحيفة ١٤٩ — وذلك في الطبعة الثانية من الكتاب المذكور. فالذين
يقولون: إن الاسبيرتو ليس بنخمر، مشروبه بل دواء أكال أو سم قتال — ضالون
مضلون لانه معلوم أن الاسبيرتو يخالط لا كثمار الاسكار ببعض الخمر الخفيفة أو
الاشربة العادية ويجعل في كثير من الادوية الاورپاوية فتصير به الادوية
رجسا من عمل الشيطان نعم شربه صرفا يضر بالانسان لحدته وشدة اسكاره ولو
فرضنا أنه لا يشرب أو انه دواء أكال فهو ما لم تتغير حقيقته بصيرورته خلا
رجس على كل حال

الجواب صحيح أبو عتيق محمد شفيق — المدعو بشفيق الرحمن

كتبه أحقر العباد محمد عبد المنعم بأعكظه

خطيب مسجد الجامع بمبئي

لقد أجاد من أفاد خادم العلماء محمد عبد الغفور المدرس الاول

في المدرسة الهاشمية بمبئي

بسم الله الرحمن الرحيم - حمداً لمن وفق أولي الدراية، للحكم والعمل بمقتضى
الرواية، وصلاة وسلاماً بتوجان بتاج القبول، على سيدنا محمد الحبيب المقبول،
(وبعد) فقد سخر الله برحمته حضرة النبيل الشيخ شفيق الرحمن، عامله الله معاملة

ذوي الاحسان ، لتحقيق حقيقة (الاسبرتو) لما سأله بعض الاخوان ، عن استعمال ذلك في الحيطان ، وتعين أنه روح الخمر بعد الاطلاع على كتاب مخزن الحكمة المترجم من الانكليزي الى (الاوردو) لاحد الدكاتر المسلمين المحققين ، وحيث إن الفتوى على قول الامام محمد رحمه الله تعالى في النجاسة وحرمة تناول واتفاق الائمة الثلاثة لزم تجنبه وبعده ولا سيما من المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فجزاه الله عن مناضلته عن الدين ، ورزقنا المسلمين حسن اليقين ، ولقد أصاب فيما أجاب والعهدة على المترجم وبالله التوفيق حرره

الفقيه أحمد يوسف الفارسي المدني

خطيب مسجد اسماعيل حبيب

ما كتب الحبيب في الجواب فهو الحق وعين الصواب

الراقم قاضي غلام أحمد تليائي

المدرس الاول في المدرسة المحمدية بمبي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، قد تأملت في هذه الفتوى ، فوجدتها محكمة المباني ، متقنة المعاني ، قضايها موافقة لما عليه المعول ، من نصوص القرآن والحديث التي عليها العمل ، كيف لا ومحور هذا الشيخ الفاضل المولوي شفيق الرحمن ، سلمه الله المنان ، فوالله دعوت لمحورها بحسن المثوبة ودوام التوفيق ، وما أجاب هذا الفاضل بتعين المصير اليه ، وغيره لا يعول عليه ، والله اعلم أبو السعود محمد سعد الله المكي الخطيب

والامام في مسجد زكريا بمبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجيب الدعوات ، والصلاة والسلام على سيد السادات ، وعلى آله المر المحجلين ، وصحبه والتابعين ، وبعد فيقول العبد البائس : اني اطلعت على هذه الفتوى (وفي الاصل هذا السؤال) فوجدتها مشحونة بالدلة الواضحة ، والنقول المعتمدة في الدين ، وضوحا لا غبار عليه ، فيجب والحالة هذه على كل

من اطاع على هذه الادلة العمل بمقتضاها وفقني الله واياكم لما فيه صلاح
في الاولى والاخرى

البائس

سليمان عبد العزيز ميرداد

الجواب صحيح والله الموفق

أحقر العباد محمد فضل كريم الدهلوي الخطيب الخطيب الامام بمسجد المنارة في بمبي

بمبي

الامام في مسجد رنكاري محله

الجواب صحيح

مهتمم اليتيم خانة الاسلامية بمبي

محمد شرف الدين

(مدير دار الايتام الاسلامية)

الجواب صحيح

مدرس اليتيم خانة الاسلامية بمبي

عبد السميع

جواب المنار

الحمد للمهم الصواب. قد جاء في محكم القرآن، أن الخمر رجس من عمل الشيطان،
من شأنها أن توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة،
فلانزاع في هذا ولا في كونها محرمة في كتاب الله وسنة رسوله تحريمًا باتًا لا هوادة فيه،
وقد بينا من مضار الخمر ومفاسدها في تفسير الآيات الواردة فيها ما لا يوجد أقله
في تفسير آخر ولا في كتاب فقهي، ولا خلاف في وجوب صيانة المساجد عن
النجاسات والاقذار أيضًا

وأما مسألة كون السبيرتو أو الكحول خمرًا وكون كل ما وجد أو دخل
فيه أحدهما نجسًا نجاسة حسية يجب تطهير ما يصيبه منها وإن كان عطرًا — فهي مسألة
اجتهادية ليس فيها نص قطعي ولا راجح في الكتاب ولا السنة ولا هي من المسائل
الاجماعية كما ادعى أخونا الفاضل مولوي محمد شفيق ومن أجاز فتواه من علماء الهند
الكرام كما يعلم مما نبينه في المسائل الآتية، وإن سبق بيانه في المنار من قبل

وإننا قبل تحقيق الحق في هذا المقام نذكر أوثق العلماء الكرام الذين نختلفهم في اجتهادهم بمسائل كثيرا ما يعقل عنها العلماء عند الفتوى في مسائل الحلال والحرام التي يوجبون العمل بها على الأمة الإسلامية

﴿ المسألة الأولى ﴾ ان التحريم الديني المحض كسألتنا هو حق الرب تعالى وحده ولذلك عرفه علماء الأصول بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، فالقول بان كذا حرام بغير دليل صريح من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة يعد من القول على الله بغير علم ومن الاقتراء عليه تعالى ، وشرعا لم يأذن به ، وذلك منتهى الخطر على الدين ، فيجب الاحتياط في ذلك لان فاعله يكون قد اتخذ نفسه شريكا لله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ولستأ نريد بالنذ كبر بهذه المسألة القطعية تعريضا ما بأوثق المفتين فيما نرى أنهم أخطأوا فيه ، فان للجهل الخطيء أجرا على اجتهاده وهو معذور في خطأه اذا بذل جهده في طلب الحق فيه باخلاص ، وآية ذلك رجوعه عما أخطأ فيه إذا ظهر له ذلك

﴿ الثانية ﴾ إن من يتبع رأي أحد من الناس في التحريم الديني وما في معناه من العبادات من غير أن تظهر له الحجة فيه عن الله تعالى ورسوله (ص) فقد اتخذ ربا وشريكا لله تعالى كما يعلم من الآية المذكورة في المسألة الأولى ومما ورد في الحديث المرفوع تفسيرا لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وذلك قوله (ص) لعدي بن حاتم « اما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه » رواه أكثر مخرجي التفسير المأثور والترمذي في جامعه وحسنه والبيهقي في سننه

وخرج بالتحريم الديني ما يحظره الامراء وقواد الجيوش على اتباعهم لمصلحة راجحة أو دفع مفسدة في أمور الدنيا أو الحرب ، فلا يشترط في طاعتهم فيها أن تكون منصوصة في الكتاب والسنة ، بل يدخل هذا في عموم ما ورد من الامر بطاعتهم في المعروف ويكفي أن لا يكون معصية لله تعالى

(الثالثة) نطقت الآيات الصريحة بحة، والاحاديث الصحيحة الفصيحة بأن هذا الدين يسر لا حرج فيه نقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله في أجمع آيات الطهارة بعد الامر بالوضوء والغسل والتيمم (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) الآية وقوله (ولو شاء الله لاعتكم) أي ولكنه لم يشأ اعتنا وهو إيقاعنا فيما فيه مشقة، والاحاديث في هذا المعنى معروفة في الصحاح والسنن ولا حله سميت هذه الملة بالخفيفة السمحة

(الرابعة) من الامور المعلومة من شؤون البشر بالضرورة أن بعض الناس يتحمل من التكاليف بسهولة ما لا يتحملة غيره الا بمشقة ، وأن منهم الميال بطبعه الى الغلو في الدين أو التزام العزائم ومنهم المعتدل المتوسط ومنهم من يتقل عليه أن يزيد على فعل الواجب وترك الحرام . ومنهم من يقصر في هذا أيضا . قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم من مقصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ولاجل هذه الحقيقة الثابتة في سنن الفطرة كان من حكمة الدين أن يوجد في الكتاب والسنة ما دلالة صريحة قطعية، وأراجحة جلية كالذي أجمع عليه أو عمل به جمهور السلف. وما دلالاته خفية ليأخذ أهل العزائم من الصديقين المقربين - وهم السابقون في الآية - بما لا يمكن أخذ البرار به وهم المقصدون فيها - فضلا عن الظالمين أنفسهم . والتحريم العام الذي يخاطب به جميع أفراد الأمة هو ما كان قطعي الدلالة أي لا مجال فيه للتأويل والاجتهاد ، والاجتهادي يعمل فيه كل أحد بما أداه اليه اجتهاده . ولا تحمل الأمة كلها على ظن مجتهد . وقد قال الفقهاء: ان أول ما يجب على امام المسلمين الاعظم وخليفة رسوله (ص) « حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة » (١) ولولا هذا لا بطل كل خليفة اجتهاد غيره في العلم واجبر الأمة على اتباعه واتباع مذهب امامه ... ومن الشواهد أو الدلائل المتعلقة بموضوع بحثنا في ذلك أن آية سورة البقرة في الخمر تدل على تحريمها دلالة راجحة ولكنها غير قطعية لأنه قال فيها وفي الميسر

(١) الاحكام السلطانية للماوردي

(واثمهما أكبر من نفعهما) أي ان مفسدتهما راجحة على منفعتهما ، ودرء المفسد مقدم عند الفقهاء على المصالح المساوية، فكيف اذا كانت المفسدة هي الراجحة ، ومع هذا لم يعلها عمر رضي الله تعالى عنه البيان الشافي في الخمر وظل يدعو ان ينزل الله تعالى فيها «يانا شافيا» ولكن بعض الصحابة تركوا شرب الخمر لهذه الآية عند نزولها ولم يتركها كلهم بل لم بأمرهم النبي (ص) بتركها وبهراق ما كان لديهم منها الا عند نزول آية المائدة التي صرح فيها بقوله تعالى (فاجتنبوه - الى قوله - فهل أنتم متتهون ؟) فلما قريء ذلك على عمر قال : انتهينا انتهينا

﴿ الخامسة ﴾ النجاسة في اللغة القذارة والخبث وهي حسية ومعنوية ، فالحسية ما عافه الطباع السليمة لثمنه كالبول والعدرة . والمعنوية ما يعلم خبثه وقبحه بالشرع أو العقل قال تعالى (إنما المشركون نجس) والطهارة النظافة والتنزه عن الاقذار. والمطلوب منها في الشرع : ازالة النجس وما دونه كقلح الأسنان ، والوضوء والغسل وبدلها وهو التيمم، وفي الوضوء والغسل والتيمم معنى التعبد ولذلك اشترط فيه أكثر أئمة الفقه النية ولم يشترطوه في الاول وان كان مطلوبا شرعا

ومجموع ما ورد في الكتاب والسنة في ازالة النجاسة يدل على أن مراد الشرع من المسلم أن يكون نظيفا بقدر الاستطاعة بدنا وثوبا ومسجدا وكل ذلك معقول المعنى ليس فيه شيء ظن بعض العلماء أنه للتعبد الا غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات احداهن بالتراب للحديث الذي ورد فيه وفي رواية «وعفروه الثامنة بالتراب» والحنفية والعمرة لا يأخذون بهذا الحديث. والشافعي وأحمد يقولان: إن سببه نجاسة الكلب أو اصابه ، وجعله بعضهم للتعبد وزعم بعض الصوفية أن سببه كون سور الكلب يورث قساوة القلب، واكتشفت الاطباء ما يصحح أن يكون سببها وهو كون اصابه سببا للاصابة بالذودة الوحيدة أو الذودة الشريطية . وقد تقدم تفصيل القول في ذلك في المنار من قبل وليس مقصودا هنا

﴿ السادسة ﴾ قال العلامة ابن رشد في بداية المجتهد: وأما أنواع النجاسات فان العلماء اتفقوا من أعيانها على أربعة : على ميتة الحيوان ذي الدم الذي ليس بمائي،

وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته - وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي أو الميت اذا كان مسفوحا أعني كثيرا، وعلى قول ابن آدم ورجيعه . وأكثروا على نجاسة الحجر، وفي ذلك خلاف عن بعض المحدثين اه وتسنن ذكر في المقصد بعض من صرحوا بطهارتها .

﴿ السابعة ﴾ اختلف العلماء في ازالة النجاسة هل هي فرض أو سنة؟ واختلفت مداركهم الاجتهادية في التطهير هل المراد به ازالة عين النجاسة وضمائمها من اللون والطعم والرائحة أم إضعافها وازالة صورتها المستقدرة؟ بالغ بعض أهل المدرك الاول - ولا سيما الشافعية منهم - فكان من اجتهادهم ما لا يعقل له معنى وما فيه حرج شديد وعنت كان سببا لا ابتلاء للكثيرين بالوسواس ومنه ما يشبه تطهير الاطباء للاجسام والجروح والاشياء كاشتراطهم أن يكون الماء القليل (وهو مادون القلتين) وارداً على النجاسة لا موروداً ... وهذا ما لا يتيسر الا للخواص الواجدين . وما ورد في السنة الصحيحة من الاستنجاء بالحجر، وصلة تطهير الثوب من دم الحيض والمني، وتطهير النعل بدلكها بالارض، وأشباه ذلك - يدل على أن الواجب هو الثاني والاول كمال فيه . واختلفوا أيضا في كون طهارة البدن والثوب والمكان شرطا لصحة الصلاة أم لا

﴿ الثامنة ﴾ للعلماء مذاهب في ازالة النجاسة وزوالها يؤخذ من مجموعها على اختلاف أصحابها ما قلنا في المسألة الخامسة: انه مدلول النصوص وهو أن الفرض الشرعي من الطهارة هو أن يكون المسلم نظيفا لا تنفر منه الطباع السليمة . ولا يشترط في ذلك أن لا يكون على بدنه ولا ثوبه ذرة من أعيان النجاسة يدركها الطرف المعتدل، يعلم من أحاديث مسح النعل المتنجس بالارض وفرك المنى وحته وإماطته بإذخرة وغير ذلك . ومن المطهرات اللبغ وتحلل الحجر عند من يقولون بنجاستها وإزالة عين النجاسة عن المصقول وقالت الحنفية ان الارض اذا تنجست تطهر بالجفاف سواء كان بالشمس أو الهواء أو النار مع أن الجفاف لا يزيل من المادة النجسة الا ما يتبخر منها وقد تبقى رائحتها واستدلوا على ذلك بأن المسجد النبوي كانت الكلاب تدخله وتبول فيه وما كانوا

يطهرونها . والغرض من هذا بيان مدرك هؤلاء الفقهاء الذين يتبعهم ملايين كثيرة من المسلمين في يسر الشريعة

ويحسن أن نذكر هنا حديث بول الاعرابي في المسجد الذي رد به الجمهور عليهم وان لم يكن البحث لتحقيق الراجح في هذه المسائل : روى الجماعة (أي أحمد والشيخان وأصحاب السنن) من حديث أبي هريرة وانس بن مالك (رض) ان اعرابيا بال في المسجد فقال الصحابة له : مه مه - وهي كلمة زجر - فقال رسول الله (ص) « لا ترزموه - أي لا تقطعوا عليه بوله - دعوه » فتزكوه حتى بال . هذا سياق أنس ، وقال أبو هريرة : فقام اليه الناس ليقعوا به فقال النبي (ص) « دعوه وأريقوا على بوله سجلا أو ذنوباً من ماء . فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » وتتمه سياق أنس : ثم قال (ص) « ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » قال ثم أمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشبهه عليه . والسجل والذنوب بفتح أولها الدلو الواسعة الملائي وقال ابن السكيت في الثانية : فيها قريب من الماء ، ولا يطلق هذان اللفظان على الدلو الفارغة

ومن المطهرات عند الحنفية النار وانقلاب العين كالزيت النجس الذي يدخل في عمل الصابون . ومذهبهم فيه قوي جداً يدل على فقه الشرع وفهم كنه الطهارة التي طولب الناس بها وهي النظافة والتنزه عن الاقدار ، لا الاعنات وتكليف ما لا يعقل تعبد محضاً . فهذا المذهب لا يحتاج الى دليل من النص بعينه ، ومما يدل عليه اجماع الامة على عدم وجوب النية ولا اشتراطها في إزالة النجاسة . ولهم أن يستدلوا عليه بحديث أبي الدرداء في (المري) الذي يصنع من الخمر والسلك والملح ويوضع في الشمس . وقد أكله أبو الدرداء وغيره من الصحابة كما سيأتي ، ونحن نستدل به على طهارة الخمر . ولكنهم قالوا : لو جعل الخمر في مرقة لا تؤكل لتنجسها بها ولا حد ما لم يسكر منه (أي الآكل) لانه أصابه الطبخ . ويكره أكل خبز عجين عجنه بالخمر لقيام اجزاء الخمر فيه (اه من الهداية)

الموضوع

بمد هذا التمهيد نقول (أولاً) ان الخمر ليست بنجاسة نجاسة حسية (وثانياً) ان دعوى اثبات نجاستها بالكتاب والسنة والاجماع ممنوعة (وثالثاً) ان الكحول (السيبوتو) ليس بخمر بل ولا ينحصر وجوده في الخمر بل يوجد في أنواع النبات وغيرها ويكثر في الخمرات من العجين وغيره وأكثر ما يكون اسنحضاره من الخشب والقصب وهو أقوى طهورية من الماء (ورابعا) ان سلمنا أنه خمر وان الخمر نجسة فان ما يدخل فيه من الادهان وأنواع الطلاء والادوية والاعطار ينبغي أن يكون طاهراً كالخل والمرى والخبز والصابون الذي يدخله الزيت النجس وأمثالها

الخمر طاهرة حساً وشرعاً

أما كون الخمر طاهرة غير نجسة نجاسة حسية ، فهو أمر حسي لا يمكن المراء فيه ، وأما كونها طاهرة شرعاً من الجهة الحسية - وان كانت أم الخبائث والرجس المعنوي - فلان الاصل في الاشياء الطهارة وليس في الشرع ما يخالف الحس ، وما ورد في الشرع من الحث على الطهارة والنظافة الحسية فلا يفهم منه الا التنزه عن الاقذار كما ورد في حديث تطهير المسجد من بول الاعرابي وازالة ما أصاب البدن أو الثوب أو المكان باذهاب عينه أو اذهاب قذارته بحيث لا تنفر الطباع السليمة مما أصابه. وإنما كان يصح إلحاق الشرع الخمر بالنجاسات الحسية لو ورد الامر الصريح بفعل ما أصابه شيء من الخمر ولم يرد ، وقد كانوا يشربونها إلى آخر مدة النبي (ص) اذ لم تحرم قطعياً الا في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن ، ولا شك في أن الشاربين لها لا يسلّمون من اصابة أيديهم وثيابهم بشيء منها ، ولو كانت من النجاسات والاقذار في الواقع ونفس الامر أو في حكم الله تعالى لا مروا بالتنزه عنها قبل تحريمها ، وكان يكون ذلك من المنفردات عنها الممهّدات لتخفيف وقع تحريمها

علي نفوسهم كالذي ذكره المفسرون من التنفير عنها بأبي البقرة والنساء ، ولما أخرج بيان نجاستها الى وقت نزول القطع بتحريمها ، ولا يقال إنها انما صارت نجسة بالتحريم لان الكلام في النجاسة الحسية وهذا لا يختلف باختلاف الحكم فهي مازالت كما كانت قبل التحريم وربما طيبها الناس بعد ذلك فكانت أبعد عن القذارة مما كانت ، وسيأتي ما يؤيد هذا

تحقيق القول فيما استدل به على نجاسة الخمر

استدل المقتي الهندي ومن وافقه بدعوى الاجماع وهي دعوى ممنوعة فقد نقل العلماء الخلاف بين فقهاء السلف في نجاستها كما رأيت في عبارة ابن رشد في (بداية المجتهد) ومن قال بطهارتها منهم فقيه المدينة الامام ربيعة شيخ الامام مالك كما في شرح المذهب للنووي وغيره . وفي كتاب (رفع الالباس في وهم الوسواس) لاحد ابن العماد الفقيه الشافعي مانصه :

« ومنه الخمر وهي نجسة خلافا لبيعة شيخ الامام مالك وداود (امام الظاهرية) فانهما قالا بطهارتها كالسهم الذي هو نبات والحشيش المسكر ، وحكى الفزالي وجها في المحترمة ووجها في ان باطن حبات العنب المستحبة خمر طاهر ، وحكى الشيخ تقي الدين رحمه الله في شرح المور الطهارة المحترمة ، والمحترمة هي التي اعترضت بقصد ان تتخذ خلا » اه ثم ذكر القول بأن ما اعترضه أهل الكتاب - من المحترمة أي بناء على عدم تكليفهم بفروع الشريعة ، فجميع خمر أهل الكتاب أو غير المسلمين طاهرة على الوجه . ويفهم منه أن القول بنجاستها تغليظ على المسلمين لاجل المبالغة في اجتنابها ، بالتقاعد عن أسبابها ، ولكن هذا لا يصح أن يجعل دليلا شرعيا على النجاسة الحسية وما يترتب عليها من الاحكام الكثيرة التي تنسب الى دين الله وتجعل مما خاطب الناس بتحريمه عليهم

ومن قال بطهارة الخمر من فقهاء الحديث المتأخرين الامام الشوكاني في (السيل الجرار) وغيره والسيد حسن صديق خان في (الروضة الندية)

وأما الاستدلال على نجاستها بالكتاب العزيز فهو محصور في تسميتها رجسا في

آية المائدة . وهو مردود من وجوه

(أحدها) ان الرجس في اللغة هو الخبيث القذر حساً أو معنى ، فالحسي ما تدرك قذارته بالحس ونفور الطباع السليمة ويتميزه عنه الناس كالبول والعدرة ، والمعنوي ما تدرك قذارته بالعقل أو الشرع أو بهما معا كالكفر والنفاق . قال الراغب بعدما ذكر ما هو معنى هذا : والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر اه

وأقول : ان الرجس قد ذكر في القرآن في تسع آيات لا يحتمل ارادة النجاسة الحسية منها الا في واحدة فقط وهي قرله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى الي محرماً على يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس) والراجح ان الضمير في قوله «فانه» راجع الى الثلاثة بتأويل ما ذكر كما بيناه في تفسير الآية مؤيداً بالشواهد من التنزيل ومن كلام العرب ، أما الاولان فاستقذار الطباع لهما معروف ، وأما الثالث فعنى كونه رجساً أنه ملازم للاقتدار كثير التغذية منها . وانك لتجد ذكر ازالة الرجس عن أهل البيت النبوي قد قرن بأن المراد به تطهيرهم واكد ذلك بالمصدر ولم يقل أحد من المفسرين ان المراد بالرجس في الآية النجاسة الحسية وبالتطهير ازالتها ، على أن بعض العلماء قالوا ان تأكيد الفعل بالمصدر يخرج عن كونه مجازاً ويحتم كونه حقيقة . وهذه الآية حجة عليهم الا أن يقولوا : ان التطهير حقيقة في ازالة الاقتدار الحسية والمعنوية والتنزيه عن كل منهما . أو ان الرجس حقيقة في الخبث المعنوي لانه هو الاكثر في استعمال القرآن وغيره

(ثانيها) أن لفظ الرجس فيها خبر عن الخمر والميسر والانصاب والازلام كما قال جمهور المفسرين ولا شيء من ذلك بقدر في الحس ولا نفور الطبع فتمين أن يكون كاه من الرجس المعنوي ، وجعله خبراً عن الخمر وخبر ما عطف عليها محذوفاً تكلف مخالف للمتبادر من العبارة لغة ، وانما جيء به لتأييد القول بنجاستها ، والا فالاصل في خبر المبتدأ وما عطف عليه أن يكون خبراً عنها جميعاً ، ولو كان خبراً عن الخمر لقال «فاجتنبوها» لان الخمر مؤنثة اللفظ قال الاصمعي ولا يجوز تذكيرها ، فان قيل جوزة غيره قلنا هو الفصيح الذي لا خلاف فيه وانه القرآن أفصح اللغات

ويؤيد كون الانصاب والازلام رجسا قوله تعالى في آية أخرى (فاجتنبوا
الرجس من الاوثان)

(ثالثها) ووصف الرجس بأنه من عمل الشيطان . ثم بيان عمل الشيطان في
الخمر والميسر خاصة بانه يقع العداوة والبغضاء بين السكارى والمقامرين ، وصددهم عن
ذكر الله وعن الصلاة . ولو لم يكن قوله (رجسا من عمل الشيطان) راجعا الى
الخمر الميسر والانصاب والازلام جميعا لما صرح بذكر الخمر والميسر في هذا البيان
(رابعها) ان الصحابة رضي الله عنهم أراقوا كل ما كان عندهم من الخمر
عند نزول هذه الآية حتى كانت تجري في شوارع المدينة ولو كانت الخمر نجسا
حسبيا يجب تطهير ما تصيبه بمنطوق الآية لتوفرت الدواعي على نقل عنايتهم بتطهير
أوانيهم وما أصاب أبدانهم وثيابهم منها عند اراقتها فانه من الضروريات ولم يرد
شيء من ذلك كما تقدم

وأما الاستدلال على نجاستها بالسنة فقد أعجز المدعين لذلك رواية خبر
صحيح صريح في ذلك . وإنما استدلل بعضهم بحديث أبي ثعلبة عند أحمد وأبي
داود إذ قال للنبي (ص) ان أرضنا أرض أهل كتاب وانهم يأكلون لحم الخنزير
ويشربون الخمر فكيف نصنع بآيتهم وقدورهم ؟ قال « ان لم تجدوا غيرها فاحضوها
بالماء واطبخوها فيها واشربوا » وهذه واقعة حال ذكرت في الصحيحين بدون ذكر
الخنزير والخمر فيها ، وغسلها من احتمال طبخ الخنزير وشرب الخمر فيها ضرب من
النظافة لا يتعين أن يكون سببه نجاسة ما كان فيها وهو مجهول ، والاصل في الاشياء
الطهارة ، وأبو ثعلبة هذا هو الخشني أسلم عام خيبر أو قبله وسأل النبي (ص) عن
أواني أهل الكتاب وعن الصيد ما يحل منه ؟ وذلك قبل نزول آية حل طعام أهل
الكتاب فامر النبي (ص) بما ذكر من غسل أوانيهم مبالغة في النظافة التي كان
يميل اليها والتباعد عن الانس بهم قبل تمسك الاسلام . والافه ومعارض بالاحاديث
الكثيرة والروايات عن الصحابة في أكل طعامهم في أوانيهم ، وجنينهم ، والتوضؤ
والشرب من أوانيهم أيضا ، ولا سيما في أيام فتح بلادهم ، ولو كان الصحابة ومن

بعدهم من الساف يتوقون أو انيهم فلا يأكلون ولا يشربون فيها الا بعد غسلها لتواتر ذلك عنهم ، بل ثبت في الصحيحين أن النبي (ص) توضأ من زيادة مشرقة . وتوضأ عمر من جرة نصرانية . والتغليظ في معاملة المشركين أشد منه في معاملة أهل الكتاب وثبت أكل الصحابة (رض) المري المصنوع من الخمر والسماك ففي كتاب الصيد من صحيح البخاري أن أبا الدرداء قال في المري : ذبح الخمر النينن والشمس . والمري من التوابل المثيرة لشهوة الطعام وهو بضم الميم وسكون الراء . وضبط في النهاية تبعاً للصحاح بتشديد الراء نسبة إلى المر وهو الطعام المعروف . والنينان جمع نون وهو الحوت . واسناد ذبح الخمر إلى السمك والشمس مجازي معناه أنهما ذهباً بطعم الخمر واسكارها كما كانوا يهرون عن تأثير مزجها بالماء إذا كثرت بالقتل ، كما قال حسان ان التي عاطيتني فشر بتهما قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

قال الحافظ في الفتح : وهذا الاثر سقط من رواية النسفي وقد وصله ابراهيم الحربي في غريب الحديث له من طريق أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء فقد ذكره سواء . قال الحربي هذا (مري) يعمل بالشام يؤخذ الخمر فيجعل فيه الملح والسمك ويوضع في الشمس فيتغير عن طعم الخمر . وذكر الحافظ طرقاً أخرى له عن أبي الدرداء للطحاوي وعبد الرزاق . ثم قال ورويناه في جزء اسحق بن الفيز بن طريق عطاء الخراساني قال : سئل أبو الدرداء عن أكل المري فقال : ذبحت الشمس سكر الخمر فنحن نأكل لا نرى به بأساً ، قال أبو موسى عبر عن قوة الملح والشمس وغلبتها على الخمر وازالتها طعمها ورائحتها بالنبيج الخ (ثم قال) قال وكان أهل الريف من الشام يعجنون المري بالخر وربما يجلون فيه أيضاً السمك الذي يربي بالملح والابزار مما يسهونه الصحناء . والقصد من المري هضم الطعام فيضيفون اليه كل ثقيف أو حرّيف ليزيد في جلاء المعدة واستدعاء الطعام بحرافته وكان أبو الدرداء وجماعة من الصحابة يأكلون هذا المري المممول بالخر اه المراد مما أورده الحافظ ومما ذكره عن بعضهم تعليل الحل بتخلل الخمر ولا يصح الا على التشبيه والا فان الخل مانع لا طعام .

هذا الاثر يدل على ان أولئك الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتقدون طهارة الخمر ولو كانت نجسة لتنجس السمك والملح والاناة بها قبل أن تدبجها الشمس ومتى تنجس السمك تعذر تطهيره عند جماهير الفقهاء الا من يقول ان استحالة العين وزوال تنجس النجاسة مطهر ، وهذا القول يقتضي حل جميع الادهان والادوية التي تدخلها نجاسة اذا زال تنجسها بحيث لا يعد ذلك الشيء قدراً لانه ولا عرفاً . وهذا هو مدرك الحنفية وهو مدرك صحيح ولكن خرجوا عنه في بعض المسائل . ومن العجيب أن اخواننا علماء الهند الذين شددوا في واقعة الفتوى من فقهاء الحنفية فيما يظهر ، ولكنهم لما اجتهدوا في المسألة كان اجتهادهم بعيداً عن مدرك المذهب الذين تفقهوا فيه ، ومثل هذا كثير

حقيقة الخمر والكحول

الخمر كل شراب مسكر . هذا هو المختار عندنا على ما حققناه في التفسير . ولكن الفقهاء واللغويين اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أن الخمر ما كان من عصير العنب اذا اشتد وغلا — زاد بعضهم وقذف بالزبد — وعليه الحنفية الذين يقدم اكثر مسلمي الهند . وهذه الخمر العنابية هي المحرمة عندهم بالنص قطعاً ما قل منها وما كثير ، وهي التي يعدونها نجاسة نجاسة مغلظة . وأما سائر المسكرات فلم فيها أقوال ثالثها أنها طاهرة ، وما عداها من المسكرات فأصل المذهب أن المحرم منها هو القدر المسكر ، بل لهم فلسفة دقيقة في تحقيق كون الكأس الاخيرة أو الجرعة الاخيرة التي حصل بها الاسكار هي المحرمة دون ما قبلها ، والجمهور يخالفهم في هذا بحق رجحه بعضهم ، ولكنه مذهب اجتهادي على كل حال .

والتحقيق الصناعي أن الخمر نوعان (أحدهما) ما يصنع بالتخمير وهو وضع الفاكهة الرطبة كالعنب والبسراو الجافة كالتمر والزبيب أو الحب كالتفاح والشعير في الماء حتى يختمر وكذا العسل وخره تسمى في اللغة البتع ، ولهم في ذلك صناعة بعضها بالنار وبعضها بدونها ، ويسمون هذا النوع في زماننا بالنبيذ وهو أصناف كثيرة ومنها ماله اسم آخر كالبيرا المتخذة من الشعير واسمها العربي الجعة . والنبيذ بالعربية هو النقع

والثقيع، وهو الشراب الذي يكون من نبت نحو زبيب أو تمر أو تين جاف في الماء أي طرحه فيه وكان النبي (ص) والصحابة يشربونه قبل أن يشتد ويصير مسكرا فانه يكون حينئذ خمرأ . وكان النبي (ص) يشرب منه مدة ثلاثة أيام في الغالب فاذا شعر بموضته أذن بأن يشرب به الخدم وترك شربه احتياطا - وقد فصلنا القول في ذلك في تفسير آية المائدة

وأما الكحول - السبيرتو - فهو سائل قابل للاحتراق سريع التبخر أو الطيران يستخرج غالبا من الخشب وجذور القصب وأليافه وهو يوجد في جميع أنواع النباتات ولا سيما الفاكهة ويكثر جدا في قشر البرتقال والليمون وفي كل ما يختمر من الاشياء كالعجين ، ولا يستخرج من الخمر لفلاؤها ورخصه . وهو أقوى المطهرات فانه يزيل النجاسات والاقذار التي تعسر ازالتها بالماء . وانما يستخرج لاستعماله في التطهير الطبي وتحضير كثير من الادوية، وحفظ بعض الاشياء من الفساد وفي الاعطار والاصباغ والوقود والاستصباح وغير ذلك، وقد كافنا بعض علماء الكيمياء والطب من ثقافت المسالمين ببيان علمي فني سنشره فيه في ذيل هذه الفتوى . فهو ليس بشراب ولا يمكن شربه لانه سم قاتل

نعم ان هذا الكحول أو العول هو المادة المؤثرة في الخمر التي لولاها لم تكن مسكرة وانه اذا وضع في شراب غير مسكر بنسبة مخصوصة بصير مسكرا . ولكن هذا لا يقتضي أن يسمى هو خمر لغة ولا شرعا ولا عرفا، كما أن المادة المؤثرة في قهوة البن التي يسميها الكياو بون (كافيين) والمادة المؤثرة في الشاي التي يسمونها (شايين) والمادة المؤثرة في التبغ (الدخان) التي يسمونها (نيكوتين) اذا وضعت في شراب آخر أو في طعام يصير له مثل تأثير القهوة والشاي والتبغ ولا يسمى بأسمائها . وكل ما يترتب على ذلك من الحكم الشرعي ان الشراب الذي يوضع فيه من الكحول ما يجعله مسكرا بحرم شربه لاسكاره ، ويدخل عندنا في عموم الخمر وان وضع له اسم آخر خلافا للحنفية ومن على رأيهم من الغويين وغيرهم فلا يعدونه منها لغة ولا حكما من كل وجه

والقائلون بنجاسة الخمر لم يعالوا حكمهم بان فيها مادة نجسة هي علة نجاستها ولم يكونوا يطمون بوجود هذه المادة فيها حتى نرفع على قلوبهم ان كل ما توجد فيه يكون نجسا، وان كان في الواقع ونفس الامر طيبا وطهورا، بل أقوى مزيل للنجاسات ومطهر للاشياء ، فان هذا قلب للحقائق ، وانما أرادوا فيما يظهر المبالغة في اجتنابها والبعد عن مظان استعمالها في غير الشرب لئلا يكون ذريعة له. ألا ترى أن الحنفية جعلوا مسألة النجاسة فيها تابعة لقوة الدليل على تحريم شربها، فقالوا: ان نجاسة خمر العنب مغالطة لانها هي المحرمة عندهم بالنص القطعي ، وأما سائر المسكرات فقيل طاهرة وقيل نجسة بنجاسة مغالطة وقيل مخففة ، والمعروف بالقطع الآن أن الكحول في الاشربة التي تسمى الروحية كالعرقى والكونياك والوسكي أكثر منه في خمرة العنب المسماة بالنبيذ، ولو كانت النجاسة تابعة لمقدار الكحول لوجب أن تكون نجاسة المسكرات المقطرة المسماة بالروحية أغلظ من نجاسة خمر العنب. ثم ألا ترى أن الشفعية ذكروا قولا بطهارة الخمر المحترمة وهم أشد الفقهاء تدقيقا وتشديدا في مسائل النجاسة

ثم ان جعل مادة الكحول هي النجسة بنفسها والعلة لنجاسة ما توجد أو أو تكثرفيه يقتضي الحكم بنجاسة المعجين المختمر ونقيع التمر والزبيب ولا سيما إذا أتى عليه يومان أو ثلاثة وكان ذلك في بلاد حارة كالبحار وهو كالمعجين المختمر طاهر بالاجماع، وكذا كل ما يوجد فيه من فاكهة ونبات، ولو جب تطهير اليد والسكين اذا قشر بها الليمون والبرتقال .

فعلم من هذا ومن الملحق الفني الذي سنؤيده به أن ما ذكر في الفتوى الهندية في بيان حقيقة الخمر والكحول مترجما عن الانكليزية قاصر وخلاصة القول أن الكحول مادة طاهرة مطهرة وركن من اركان الصيدلة والعلاج الطبي والصناعات الكثيرة وتدخل فيما لا يحصى من الادوية ، وأن تحريم استعمالها على المسلمين يحول دون اتقانهم لعلوم وفنون وأعمال كثيرة هي من أعظم أسباب تفوق الافرنج عليهم كالكيمياء والصيدلة والطب والعلاج والصناعة، وان

تحريم استعمالها في ذلك قد يكون سببا لموت كثير من المرضى والمجر وحين أو أطول مرضهم وزيادة آلامهم في احوال كثيرة ولا سيما حال الحرب . واني أذكر مادة واحدة من مستحضرات الكحول منبها إلى بعض منافعها ليقاس عليها غيرها وهي (صبغة اليود) فهذه الصبغة من المنافع الكثيرة التي لا تشوبها أدنى مضرة ما يكفي لعد تحريم استعمالها من أعظم الجنايات على المسلمين ، فهي على كونها من المطهرات الطبية للجروح المانعة من عروض الفساد لها الذي ربما يفضي إلى قطعها تستعمل علاجاً واسعاً في أمراض متعددة ، وقد كانت والتي أصيبت برثية حادة (روماتزم) عجزت بها عن المشي والصلاة واقفة فعالجها الدكتور شرف الدين بك الطبيب التركي المشهور بصبغة اليود دهنا وشراباً بوضع خمس نقط في نصف كوب من الماء تشربه قبل الطعام وأذن لها أن تزيد عدد النقط إلى عشر فشفيت حتى تمكنت من أداء فرضة الحج بغير مشقة ، وعالج به غلاماً عندنا أصيب بالحى التيفوئية فشفي بإذن الله . وكثيراً ما يسعل الأطفال عندنا في الليل حتى يجرمون النوم فاذا دهنا صدر الطفل بصبغة اليود مخففة بالكحول أو بعض أعطاره كالكولونيا سكن السعال في الحال فمن ذا الذي يقول: إن دين الفطرة والخليفة السمحة ، الذي من أهم أصوله القطعية بالنص اليسر ورفع الحرج ، — يحرم على المسلمين جميع منافع هذه المادة الكثيرة بدعوى مكابرة للحس هي جعلها نجسة وتسمية طبيها أقذراً ، ودهانها للخشب المانع من امتصاصه للوساخة والجاعل له في منتهى الجمال والنظافة رجساً تنزه عنه المساجد كالبول؟ ابهذا يصدق علينا قول نبينا (ص) اننا بعثنا ميسرين ، ونكون ممتثلين لأمره « يسروا ولا تعسروا » ؟

اني لو ذهبت أعد ما أعلم من منافع الكحول في الطب والصناعة لهددت عشرات منها وان ما أعلمه من ذلك دون ما يعلمه الاطباء والكيميائيون ، فتحريم هذه المنافع الكثيرة على المسلمين بمثابة أن يقول محرموها في كل منها إن الله تعالى خاطبنا بما يقتضي تركه اقتضاءً جازماً ، وانه مما يعذب الله المسلمين على فعله ، ويشيبهم على تركه ، والشبهة على ذلك أن فيه مادة أداهم اجتهادهم إلى أنهم من الاقدار التي يجب

التفزه عنها لاجل أن يكون المسلم ظاهراً نظيفاً، وان كانوا يورثون بأعينهم انها طهور مزيل للنجاسة، على أنها تبخر - أو تطير كما يقول العامة عندنا - اذا عرضت للهواء فلا تبقى في نحو الثوب والاناة وذلك انها مركبة من عنصري الماء (والاكسجين والادروجين) وغاز الكربون فحينها تنزل البتة دون النجاسات التي يقول الحنفية أن ماتنجس بها يطهر بالهواء والشمس؟

فيا أيها المفتون بنجاسة الكحول وتحريم استعمال كل ما يدخل فيه من أدوية وأصبغ وأدهان وأعطار، وقد اشتدت حاجة البشر إليها في هذه الأعصار، انكم تحرمون منافع ثبت ثبوتها قطعياً أن بعضها صار من الضروريات، وسائرهما من الحاجيات او من الكماليات، بحيث يجزم العالم بأصول الشرع أنها في جملتها من فرائض الكفایات، وقد عمت بها النعمى، ولا أقول عمت بها البلوى، وان مثلكم في القول بإمكان الاستغناء عنها كلها في هذا العصر بدليل الاستغناء عنها فيما قبله، كمثل من يقول بإمكان استغناء المسلمين عن أسلحة هذا العصر في الدفاع عن حقيقتهم، كما استغنى عنها من قبلهم؟ فاتقوا الله واعلموا أن هذه التشديدات التي ما أنزل الله بها من سلطان، المخالفة للحقائق الثابتة بالحس والعقل والوجدان، قد نفرت الكثيرين من أهل هذا العصر عن الاسلام، وجعلته من أشد الحرج والاعنات، حتى صار بعض حكامهم يرون أنهم مضطرون الى ترك شريعته، واتباع قوانين الافرنج لتكون لهم دولة عزيزة، وامة راقية محترمة، (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج واسكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم اهلکم تشكرون)

فاذا ظهر لكم بما شرحناه أن فتواكم كانت غلطاً فان مما يعلي قدركم عند الله وعند الناس أن تصرحوا بذلك وترجعوا الى الحق وتعلنوه للناس كما كان يفعل سلفنا الصالحون (رض) فقد صرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على المنبر بأن ما كان عزم عليه من تحديد مهور النساء خطأ، وان المرأة التي راجعته فيه هي التي أصابت. وان ظهر لكم انه خطأ فردوا ما أدلينا به من الحجج وانشروا فتوانا على الناس كما نشرنا فتواكم، ليحكم سائر المسلمين بيننا وبينكم، ونحن مستعدون

لرد ما نراه خطأ واتباع ما نراه صواباً (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

(تنبيه) أخرنا طبع هذه الكراسة أكثر من شهر حتى طبع كل ما بعدها انتظارا للملحق الفني الذي أشرنا اليه فيها فتأخر من وعدنا بكتابته لنا حتى اضطررنا الى ارجائه الى الجزء التالي

﴿ عطوف آل رضا ﴾ أنعم الله تعالى على صاحب هذه المجلة بينت كاملة الخلق ولدت له قبل فجر ٢٩ من هذا الشهر سماها عطوفا فنسأله تعالى أن يجعلها قرعة عين

المعاهدة العراقية البريطانية

كتبنا في آخر الجزء السادس كلمة عن العراق ومصر وتشابه السياسة البريطانية فيها ، ذكرنا فيها ما كثر الحديث فيه من وضع الانكليز مشروع معاهدة تعقدها مع حكومة العراق لا يذكر فيها الانتداب الذي صار لفظه ممقوتا عند العراقيين كلفظ الحماية عند المصريين وغيرهما — ولكنها تضمن لهم كل ما يبغونه في العراق من سلطة ومنفعة ، وذكرنا أن العراقيين لا يندعون بالانفاذ والمظاهر دون الحقائق ، وذكرنا بأن ما يعطونه للانكليز بالمعاهدة اذا كان مخلا بالاستقلال المطلق من كل قيد فتقييده بالانتداب أقل خطراً من جعل الانكليز مطلقي التصرف فيه . . .

وقد أعلنت بعد ذلك هذه المعاهدة مؤلفة من ١٨ مادة موقفاً عليها من المندوب البريطاني ومن رئيس وزارة العراق عن حكومتها بل ملكيها ، فاذا هي صك لاستعباد الدولة البريطانية للعراق ، فالمادة الاولى منها نص في تعهد ملك الانكليز لملك العراق بناء على طلبه بما يقتضي لدولته من المشورة والمساعدة بدون أن يمس ذلك بسياستها الوطنية . . . وقد عرفنا معنى المشورة في مصر فاذا هي سلب السلطة كلها من الحكومة الوطنية وجعلها كالألة ، وعرفنا معنى المساعدة في السودان فدفع الانكليز ٨٠٠ الف جنيهه مساعدة على فتحه يدعون بها الآن امتلاك السودان كله الى الابد

والمادة الثانية هذا نصها « يتعهد جلالة ملك العراق بأن لا يعين مدة

هذه المعاهدة موظفاً ما في العراق من تابعة غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ادارة ملكية بدون موافقة جلاله ملك بريطانيا وستمقداتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومة العراقية» وهذه المادة أظهر المواد في اثبات سوء نية الانكليز وكون الاستقلال لفظياً مجرداً من كل معنى — والا فلماذا يمنع ملك الانكليز ملك العراق أن يوظف من شاء وشاءت حكومته من سوري أو مصري أو غيرهما من الشعوب العربية في هذه البلاد العربية بدون موافقتهم؟

والمادة الثالثة فيما يفترض على حكومة العراق في قانونها الاساسي من اعتبار « حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان في العراق ويكفل لهم حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع أشكال العبادة وان لا يكون أدنى تمييز لبعضهم على بعض بسبب الجنس أو الدين أو اللغة » الخ والمعنى أن لا يكون للوطنيين أدنى امتياز في شيء ما من أمور الوطن والحكومة على أي أجنبي شرقي أو غربي في حق ولا مصلحة ولا رغبة . . . (١) وسيعلم العراقيون ما وراء هذه الدسائس من الصغار والهوان لهم في وطنهم اذا خانت الجمعية الوطنية بلدها فصدقت على هذه المعاهدة

والمادة الرابعة في التزام ملك العراق قبول ما يقدمه له ملك الانكليز من المشورة بواسطة المعتمد السامي في جميع الشؤون المهمة المتعلقة بالتعهدات والمصالح الدولية والمالية لثاني - وأن يستشير المعتمد السامي الاستشارة التامة في كل ما يتعلق بالامور المالية والسياسية؛ والمعنى أنه غير مستقل في شيء من ذلك والمادة الخامسة في حق ملك العراق في التمثيل السياسي في لندن وغيرها مقيداً « بما يتم عليه الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين » وبأن يكون العراقيون تحت حماية ملك بريطانيا في كل مكان لا ممثل لملكهم فيه (٢)

والمادة السادسة في تعهد ملك بريطانيا بادخال العراق في جمعية الأمم . وهذه المادة هي التي يظن بعض الجاهلين أنها المنة الوحيدة على العراق وليس كذلك والمادة الثامنة في الحظر على حكومة العراق أن تباع أو تهب أو تؤجر شيئاً من أرض العراق الى دولة أجنبية — وهذه المادة أهم المواد عند الانكليز فانهم لم يعطوا العراق الاستقلال اللفظي الا لاجل أن يمنعوا الدول القوية كالولايات المتحدة أن تشاركهم في بترول البلاد او غيره من مواردها (لها بقية)

﴿ الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله ﴾

بالاعمال، وبالذوات والاشخاص

تابع لما قبله من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

وسئل أيضاً رحمه الله تعالى هل يجوز للانسان أن يتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب حاجة أم لا ؟

﴿ فأجاب ﴾

الحمد لله — أجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأله الناس ذلك وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكباثر من أمته ويشفع أيضاً لعموم الخلق وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات . ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً وأجمع أهل العلم على ان الصحابة كانوا يستشفعون به في حياته ، ويتوسلون بحضرته ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم انما كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — فيسقون وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرت قول الشاعر وانا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل فالاستسقاء هو من جنس الاستشفاع به وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ويطلب من الله أن يقبل دعائه وشفاعته فينا . وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجذب الناس في الشام استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي رضي الله تعالى عنه وقال : اللهم انا نستشفع وتموسل اليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك ، فرفع (يديه) (المنار : ج ٩) (٨٦) (المجلد الثالث والمشرور)

ودعا الناس حتى سقوا ، ولهذا قال العلماء يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح، وإذا كانوا بهذه المثابة وهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن ، وفي سنن أبي داود وغيره ان رجلا قال: انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال « ويحك أتدري ما الله؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك » فأنكر عليه قوله: انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله — لان الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضي حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكر استشفاعه بالله في مثل قوله

شفيعي اليك الله لا رب غيره وليس الى ردا الشفيع مسبيل
فهذا كلام منكر لم يتكلم به عالم. وكذلك بعض الاتحادية ذكر انه استشفع بالله الى رسوله وكلاهما خطأ وضلال . بل هو سبحانه المسئول المدعو الذي يسأله من في السموات والارض) والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله أي يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم ، وفي أن يدخلهم الجنة، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها^(١) أن يخرج منها، ولا نزاع بين جماهير الامة أنه يجوز أن يشفع لاهل الطاعة المستحقين للثواب ، وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لاهل الكبائر لان الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها . ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار من أهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من ايمان أو مثقال ذرة .

والاستشفاع به وبغيره هو طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله والسؤال بذاته بحضوره. فلما في معنيه أو بعد موته فالاقسام به على الله والسؤال

(١) أي من المؤمنين

بذاته لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين^(١) بل عمر بن الخطاب ومعاوية ومن كان يحضرهما من الصحابة والتابعين لما أجدبوا استسقوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد بن الاسود رضي الله عنهما ولم ينقل عنهم انهم في هذه الحالة استشفعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا غيره فلم يقسموا بالمخلوق على الله عز وجل ولا سألوه بمخلوق نبي ولا غيره بل عدلوا الى خيارهم كالعباس وكيزيد بن الاسود وكانوا يصلون عليه في دعائهم، روي عن عمر رضي الله عنه انه قال: انا تتوسل اليك بم نبينا. فجملوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر عليهم أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه

وقد كان من الممكن أن يأتوا الى قبره فيتوسلوا به ويقولوا^(٢) في دعائهم في الصحراء: نسألك ونقسم عليك بأبياتك أو بنيك أو بجاههم ونحو ذلك. ولا نقل عنهم^(٣) انهم تشفعوا عند قبره ولا في دعائهم في الصحراء. وقد قال صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبري وثناً. اشد غضب الله على قوم اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد» رواه الامام مالك في الموطأ وغيره وفي سنن أبي داود أنه قال «لا تتخذوا قبري عيداً» وقال «لعن الله اليهود اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد» قال ذلك في مرض موته يحذر ما فعلوا: وقال «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»

وقد روى الترمذي حديثاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه علم رجلاً

(١) عبارته في كتابه التوسل والوسيلة الذي اختصرت منه هذه الفتوى هكذا (فاما التوسل بذاته في حضوره أو في مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين

(٢) كذا في النسخة التي طبعنا عنها ولعل الاصل: أو يقولوا الخ أي في حال البعد عن القبر (٣) هكذا ذكر النفي هنا (بلا) معطوفاً وهو يقتضي المقابل ولعل الاصل: ولكن لم ينقل عنهم- انهم توسلوا بذاته ولا نقل عنهم الخ وهذا الواقع الذي صرح به في عدة مواضع من كتبه ورسائله

أن يدعو فيقول « اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه في » وروى النسائي نحوه هذا الدعاء . وفي الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال « ان شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعاه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه بنبيك نبي الرحمة يا رسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه في . قال الترمذي حديث حسن صحيح ^(١) ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله : ادع الله لي أن يكشف لي عن بصري . قال « فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أتوجه بك الى ربي أن يكشف عن بصري ، اللهم فشفعه في » قال فدعا وقد كشف الله عن بصره فهذا الحديث فيه التوسل الى الله به في الدعاء . ومن الناس من يقول : هذا يقتضي جواز التوسل بذاته مطلقا حيا وميتا ومنهم من يقول : هذه قضية عين وليس فيها الا التوسل بدعائه وشفاعته لا التوسل بذاته ، كما ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به اذا أجذبوا ثم إنهم بعد موته انما توسلوا بغيره من الائمة بدلا عنه فلو كان التوسل به حيا وميتا مشروعا لم يملوا عنه وهو أفضل الخلق واكرمهم على ربه ، الى غيره ممن ليس مثله ، فعدوهم عن هذا الى هذا مع أنهم السابقون الاولون وهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله وما يشرع من الدعاء وما ينفع ، وما لا يشرع ولا ينفع ، وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخخصة يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ،

(١) هو حديث غريب كما صرح الترمذي انفرد به ابو جعفر قال هو غير الخطمي ، وظاهر صنيع تهذيب التهذيب تبعا لاصله انه مجهول فانه وضع له عددا خاصا ولم يزد على ما قاله فيه الترمذي انه غير الخطمي والا فهو عيسى بن الرازي التيمي ولكن هذا ضعيف حتى قال ابن حبان انفرد عن المشاهير بلنا كير او محمد ابن ابراهيم المؤذن وليس بالقوي ، وللترمذي تساهل في التصحيح ، ومتن الحديث شاذ أيضا الا أن يفسر التوجه به بدعائه وهو متمين كما يعلم مما فصله المؤلف

وانزال الغيث، بكل طريق، دليل على أن المشروع ماسا بكونه دون ما تركوه، ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه دون ما تركوه. وذلك أن التوسل به حيا هو الطلب للدعاء وشفاعته، وهو من جنس مسأله أن يدعو، فما زال المسألون يسألونه أن يدعو لهم في حياته، وأما بعد موته فلم يكن الصحابة يطلبون منه ذلك لا عند قبره ولا عند غيره كما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين (١) وان كان قد روي في ذلك حكايات مكذوبة عن بعض المتأخرين، بل طلب الدعاء مشروع لكل مؤمن من كل مؤمن، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب لما استأذنه في العمرة « لا تنسنا يا أخي من دعائك » حتى إنه أمر عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له، مع أن عمر رضي الله عنه أفضل من أويس بكثير، وقد أمر أمته أن يسألوا الله له الوسيلة وان يصلوا عليه

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من رجل يدعو لآخيه في ظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لآخيه بدعوة قال الموكل به آمين ولك مثل ذلك »^(٢) فالطالب للدعاء من غيره نوعان أحدهما أن يكون سؤاله على وجه الحاجة اليه فهذا بمنزلة أن يسأل الناس قضاء حوائجهم. والثاني أنه يطلب منه الدعاء لينتفع الداعي بدعائه له وينتفع هو فينتفع الله هذا وهذا بذلك الدعاء كمن يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخارق قادر على دعاء الله ومسأله، فطلب الدعاء منه جائز كمن يطلب منه الاعانة بما يقدر (عليه) فاما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يجوز أن يطلب الا من الله، لا من الملائكة ولا من الانبياء ولا من غيرهم، لا يجوز أن يقول لعير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، ونحو ذلك. ولهذا روى الطبراني في معجمه

« ١ » يزعم بعض الناس في زماننا أنه لا فرق في طلب الدعاء والشفاعة منه « ص » بين حالي الحياة والمات لأنه حي في قبره . وكانهم يدعون أنهم أعلم من الصحابة وسائر أئمة السلف بذلك فالصحابة رضي الله عنهم فرقوا بين الحالي وان شئت قلت بين الحياتين ، والامور التعمدية لا تشرع بالعقل ولا بالقياس

(٢) الحديث في صحيح مسلم بمعنى ما ذكر من حديث أبي الدرداء بثلاثة الفاظ ليس هذا منها فهو مذكور بالمعنى ورواه أبو داود ايضا

أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فجاءوا إليه فقال «انه لا يستغاث بي بما يستغاث بالله» وهذا في الاستغاثة مثل ذلك فاما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب ولهذا قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وفي دعاء موسى عليه الصلاة والسلام: وبك المستغاث. وقال أبو يزيد البسطامي استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثته المسجون بالمسجون وقد قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) الآية فبين أن من اتخذ النبيين أو الملائكة أو غيرهم أرباباً فهو كافر. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض — الى قوله — ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى عن صاحب ياسين (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) * أأخذ من دونه آلهة من دون الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) الآية وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

فالشفاعة نوعان أحدها الشفاعة التي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من

جهال هذه الأمة. وضالهم وهي شرك

والثانية أن يشفع الشفيع بأن المشفع الله التي أثبتها الله (٢) لعباده الصالحين

(١) بل هما آيتان والشاهد في الثانية أظهر وهي قوله تعالى (ولا يأمرم أن

تخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، أي أمرم بالكفر بعد اذ اتهم مسلمون)

(٢) لعل اصل العبارة: والثانية أن يشفع الشفيع باذن المشفع (بكسر الفاء)

وهو الله تعالى، وهي الشفاعة التي أثبتها الله الخ

ولهذا كان سيد الشفعاء اذا طالب منه الخلق الشفاعة يوم القيامة يأتي ويسجد تحت العرش قال «فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقال: أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع» فاذا أذن الله في الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه. قال أصحاب هذا القول فلا يجوز أن يشرع ذلك في مفيبه وبعدموته، وهو معنى الاقسام به على الله والسؤال بذاته، فان الصحابة رضي الله عنهم قد فرقوا بين الامرين، فان في حياته صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك محذور ولا مفسدة، فان أحداً من الانبياء لم يُعبَد في حياته بحضوره فانه ينهى أن يشرك به ولو كان شركاً أصغر، كما ان من سجد له نهاه عن السجود له، وكما قال «لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد» وأمثال ذلك

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والاشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرها ولهذا كانت الصلاة في حياته مشروعة عند قبره منهيًا عنها والصلاة خلفه في المسجد مشروعة ان لم يكن المصلي ملاقانه والصلاة الى قبره منهيًا عنها^(١) فعننا أصلاً عظيماً (أحدهما) انه لا يعبد الا الله (والثاني) أن لا يعبد الا بما شرع لا بعبادة مبتدعة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فلا ينبغي لأحد أن يخرج عما مضت به السنة، وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الامة، وما

(١) هذه العبارة كلها قد حرفها الناسخ ولم نجد لها أصلاً في كتاب التوسل والوسيلة نصحيحها عليه والذي يعلم من القرائن بمعونة الاحاديث الواردة في النهي عن الصلاة في القبور واليهما والنهي عن اتخاذ قبره وثناً يعبد واتخاذ عيدا — ان الصلاة خلفه (ص) أو بالقرب منه في حياته لم يكن يخشى أن يقصد بها تعظيمه بها فتكون اشراكاً لأنها غير خالصة لله تعالى، وأما الصلاة الى قبره وتعظيمه بعد وفاته واتخاذ عيدا فيخشى منه ذلك ولذلك نهى عنه

علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تقبل على الله مالا تعلمه

وقد اتفق العلماء على انه لا يعتقد اليمين بغير الله ولو حلف بالكعبة أو باللائكة أو بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لم تعتقد يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه إمامي تحريم وإما نهي تنزيه فان للعلماء في ذلك قولين والصحيح أنه نهي تحريم ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »

وفي الترمذي عنه أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ولم يقل أحد من العلماء انه يعتقد اليمين بأحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان عن احمد في انعقاد اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتين لكن الذي عليه الجمهور كمالك والشافعي وأبي حنيفة انه لا يعتقد اليمين به كاحدي الروايتين عن أحمد وهذا هو الصحيح، ولا يستعاذ أيضا بالمخلوقات بل انما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته ولهذا احتج على ان كلام الله غير مخلوق بقوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » فقد استعاذ بها والمخلوق لا يستعاذ به. وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا » كالتي فيها استعانة بالجن كما قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) وهذا مثل العزائم والاقسام التي يقسم بها على الجن وقد نهى عن كل قسم وعزيمة لا يعرف معناها بحيث أن يكون فيهما ما لا يجوز من سؤال غيره .

فسائل الله بغير الله اما أن يكون مقسما عليه واما أن يكون طالبا بذلك السبب كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم، وكما يتوسل بدعاء الانبياء والصالحين. فان كان إقساما على الله بغيره فهذا لا يجوز. وان كان طالبا من الله بذلك السبب كالطلب منه بدعاء الصالحين والاعمال الصالحة فهذا يصح لان دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به، وكذلك الاعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا. فاذا توسلنا بذلك كنا متوسلين اليه بوسيلة تبقى عنده. واما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال

الصالحه^(١) ولا ريب ان لهم عند الله من المنازل أمراً يعود نفعه عليهم ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم، ومحبتنا لهم، وبدعائهم لنا، فاذا توسلنا الى الله باماننا بنبية ومحبتة وموالاته واتباع سنته ونحو ذلك فهذا من أعظم الوسائل، وأما نفس ذاته مع عدم الايمان به، و(عدم) طاعته وعدم دعائه لنا، فلا يجوز. فالمتوسل اذا لم يتوسل لابما من المتوسل به ولا بما منه ولا بما من الله فبأي شيء يتوسل؟^(٢) والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك مثل أن يقال لابي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان (واما) أن يسأل كما يقال بحياة ولدك فلان وبترية أهلك فلان وبجرمة شيخك فلان ونحو ذلك. وقد علم ان الاقسام على الله بغير الله لا يجوز بل لا يجوز أن يقسم بمخلوق على الله أصلاً. وأما حديث الاعمى فانه طلب من النبي أن يدعو له كما طلب الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وقوله «أتوجه اليك بنبيك محمد» أي بدعائه وشفاعته لي. ولهذا في تمام الحديث: فشفعه في. والذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه. وقد قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) فعلى قراءة الجمهور^(٣) انما يتساءلون بالله وحده لا بالرحم، وتساؤلهم بالله متضمن إقسام بعضهم على بعض بالله وتعاهدتهم بالله. واما على قراءة الخفض فقد قالت طائفة من السلف: هو قولك أسألك بالله وبالرحم فعنى قولك أسألك بالرحم ليس اقساماً بالرحم فان

(١) سقط من هذا الموضع جواب اما من نسختنا مع شيء من شرطها والمعنى ظاهر ومثله في كتبه الاخرى ولعل الاصل: وأما اذا لم تتوسل بدعائهم ولا بالاعمال الصالحة التي نفعها اقتداء بهم بل توسلنا اليه وسألناه بذواتهم أو جاههم عنده - كنا متوسلين اليه بامر أجنبي ليس سبباً لاجابة سؤالنا الخ

(٢) أي اذا لم يتوسل بما هو من المتوسل به كدعائه له - ولا ما هو منه هو كعمله الصالح وامانته ولا ما هو من الله تعالى كسؤاله بفضلته ورحمته وما أوجبه على نفسه فبأي شيء يتوسل والوسيلة - وهي القرابة الى الله - محصورة في هذه الثلاث التي هي أسباب اجابة السؤال والعطاء دون ذوات الانبياء والصالحين وصفاتهم وجاههم اذ هي ليست من اعمالنا ولا من اعمالهم لنا (٣) هي نصب الارحام

« المنازل: ج ٩ » « ٨٧ » « المجلد الثالث والعشرون »

القسم بها لا يشرع لكن بسبب الرحم أي ان الرحم توجب لاصحابها بعضهم على بعض حقوقا كسؤال (أصحاب الفار) الثلاثة لله عز وجل باعمالهم الصالحة ومن هذا — الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة » فهذا الحديث (عن) عطيه الموفى وفيه ضعف (١) فان كان هذا كلام النبي الله عليه وسلم فهو من هذا الباب لوجهين أحدهما أن فيه السؤال لله بحق السائلين عليه، وبحق الماشين في طاعته، وبحق السائلين أن يجيبهم، وبحق الماشين أن يشيهم، وهذا حق أحقه على نفسه سبحانه وتفضل به، وليس المخلوق أن يوجب على الخالق شيئا، ومنه قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) . وفي الصحيح من حديث معاذ « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم » فحق السائلين ، والعبادين له هو الاثابة والاجابة فذلك سؤال له في أفعاله كالاتعاذة وقوله « أعود برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك » فلا استعاذة بالمعافاة التي هي فعله كالسؤال باثابته التي هي فعله . وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقول « يا عبدي انما هي اربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي » فالتى هي لي تعبدني لا تشرك بي شيئا والتي هي لك اجزيك به أحوج ما تكون اليه . والتي بيني وبينك — منك الدعاء وعلي الاجابة ، والتي بينك وبين خلقي فأت الى الناس ما تحب أن يأتوه اليك » وتقسيمه في الحديث الى قوله واحدة لي وواحدة لك هو مثل تقسيمه في حديث الفاتحة بحيث يقول الله

(١) بل قال في مجمع الزوائد ان اسناده مسلسل بالضعفاء — لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده

تعالى « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما نأل » والعبد يعود عليه نفع النصفين والله تعالى يحب النصفين لكن هو سبحانه يحب أن يعبد . وما يعطيه العبد من الاعانة والهداية هو وسيلة الى ذلك فانما يحبه لكونه طريقا الى عبادته، والعبد يطلب ما يحتاج اليه أولا وهو محتاج الى الاعانة على العبادة والهداية الى الصراط المستقيم وبذلك يصل الى العبادة الى غير ذلك مما يطول الكلام فيما يتعلق بذلك وليس هذا موضعه وان كنا نخرجنا عن المراد (للفتوى بقية)

الخلافة الاسلامية

وترجمه بالعربية	ألفه باللغة الاوردية
أحدث تلاميذ دار الدعوة والارشاد	أحد زعماء النهضة الهندية
الشيخ عبد الرزاق	مولانا ابو الكلام
المليح آبادي	صاحب مجلة الهلال الهندية
محرر جريدة (بينام) الهندية	

فصل

واقعة الامام الحسين عليه السلام

ولمعرض أن يقول لو كانت طاعة الخليفة واجبة في كل حالة كما ذكرت ، لما خرج الامام الحسين على خلافة يزيد بن معاوية ، ولما عدته الامة محقا وشهيدا مظلوما —

والجواب على هذا أن الامام لم يحارب أهل الشام في ذلك الحين الذي كان يدعي الامامة لنفسه ولطلب الخلافة دون يزيد والذي يمتد غير هذا فكأنه لم يطلع على واقعة كربلاء كما ينبغي . ويجب أن يفرق الناس بين الحالتين حالة خروجه من المدينة وحالة قتله بكر بلاء ، فانهما مختلفتان اختلافا كلياً ولهما حكام مختلفان في الشريعة —

فالحالة التي كانت عند خروجه من المدينة أن حكومة يزيد لم تكن تمكنت بعد ، ولم تتم بيعته بالخلافة في المراكز الاسلامية المهمة والمواضع والقصبات ، ولا اجتمع عليه أهل الحل والعقد من المسلمين ، لآز صوت أهل المدينة كان من الاول أقوى الاصوات في مسألة الخلافة لكونهم كانوا في العاصمة الاسلامية وفيهم أهل الحل والعقد — ثم لما انتقلت العاصمة في زمن علي عليه السلام الى الكوفة ، أصبح للكوفة شأن عظيم في السياسة ، فلما خرج الامام كانت المدينة غير متفقة على يزيد ، أما الكوفة فجميع أهلها كانوا ضده ، وكانوا يلحون على الامام أن يقوم للخلافة ويأخذ بيعتهم عليها ، فالحسين عليه السلام لا حرص على الخلافة ولا خرج على الامام ، بل قام في الحين الذي توفي خليفة المسلمين فيه وخلا محله ، ولم يتمكن أحد في مقامه تمام التمكّن ، مجيبا لطلب الجهم الفقير من المسلمين الذين كانوا في المراكز المهمة — مثل أهل الكوفة والمراق — ولا ريب أنه كان يراعي في قيامه مصلحة كبيرة أخرى أيضا وهي صون الامة من مثل يزيد وخلافته —

وان قيل: إن معاوية كان عهد بالولاية اليه فما كان يجوز للامام أن يخرج عليه ، فجوابه ان الشريعة لا تعتبر عهد الاب الى ابنه بالخلافة شيئا — ولذلك لما ألح معاوية على عبد الله بن عمر (رض) بأن يبايع يزيد ، قال « لا أباع لاميرين » (رواه ابن حبان ونقله في الفتح)

وان سلمنا جدلا أن هذا العهد معتبر وصحيح ، فلا يعتد به مالم تتمكن الحكومة ، اذ الشرط الجوهرى للخلافة كما علمت انعقاد الحكومة فمن انعقدت حكومته ، فقد صحت خلافته والا فلا —

فهذه الحالة كانت عند خروجه من المدينة ؛ ولكن تغيرت عند وصوله الكوفة ، لان أهلها بايعوا يزيد على يد ابن زياد ، وقلبوا للامام ظهر المجن ، كما فعلوا مع أبيه من قبل — فلما رأى عليه السلام أن الناس دخلوا في طاعة يزيد وتمكنت حكومته ، أقلم عن المطالبة بالخلافة وعزم على أن يعود الى المدينة — الا أن ابن سعد وجيشه لم يسمح له بذلك بل حاضره وحاول أسره وأهله وحرمه — فقال لهم الامام خلوا سبيلي لاذهب الى دمشق فاخطب يزيد في شأنى — ولكن الظالمين أبوا الا اسره —

فلم يكن للامام حينئذ الا طريقان : اما أن يسلم نفسه واهله الي هؤلاء
الظفاعة ، واما ان يستشهد بطلا مغوارا ، والشريفة لم تجبر أحدا على أن
لا يدافع عن نفسه ويدعها اكلة للأكلين فاختر عليه السلام الطريق الثاني
بالشجاعة الهاشمية وكال المزيعة واستشهد مظلوما !
فتأمل في هذه الحالة ، فانها غير ما كانت عند خروجه من المدينة ، فانه
اذ ذاك كان مطالباً بالخلافة — اما في كربلاء فلم يكن مدعياً لها ولا محارباً
لأجلها ، بل كان معصوماً ، طاهراً زكياً ، وقع في محال الظلمة الاشقياء
الذين لا يعرفون الحق ولا الانسانية ، فأبت نفسه الابية ان تخضع لهم وتذل
امامهم ، فقام وجهها لوجه يدافع عن شرفه وناموسه فقتل ظلماً وعندوا
وبغير حق — ومن العجيب ان الناس من قرون يخطئون في فهم هذه الواقعة ،
مع انها واضحة — ومن اراد التوسع فعمليه « بمنهاج السنة » ج ٢ لشيخ الاسلام
ابن تيمية —

فصل

شرط القرشية

قد علمت مما مر أن الخليفة اذا انتخب فله شروط ، وقد ظل العلماء الى
زمن طويل يحسبون منها القرشية أيضاً ، أي إن الخليفة مع سائر الشروط
يجب أن يكون قرشياً ، والا لا تصح خلافته — هذا في صورة الانتخاب
أما اذا استولى عليها مستول ، فلا ينظر فيه الى شرط ما الا الاسلام والنعقاد
حكومته — ولا خلاف في أنه لم توجد بعد الخلافة الراشدة خلافة جامعة
لسائر الشروط ، بخلافه بني أمية وبني العباس ان كانت قرشية ، فقد كانت
فاقدة لشروط أخرى كثيرة ، سما الشرط الاساسي لها ، وهو أن تكون
بانتخاب الامة ، لا بالسيف والدم — وهذا الشرط لم يوجد في أي خلافة ،
بعد الخلافة الراشدة^(١) — ثم بعد هذا الشرط يشترط أن يكون الخليفة عادلاً ،
غير مستبد يحكم برأيه ، بالشورى ويسير على كتاب الله وسنة رسول الله وسنة
(١) هذا مبالغته والواقع ان بدء خلافتهم كان بالقوة لا خلافة كل فرد منهما

الخلفاء الراشدين ، ومعلوم أنه لم يكن أحد من الخلفاء هكذا غير عمر بن عبد العزيز (رض) ^(١) وقد استولى الأعاجم على الحكومة بعد العباسيين ، ثم انتقلت الخلافة من العباسيين الذين كانوا بمصر الى الترك والعثمانيين ، فهي فيهم من ذلك الحين الى الآن بلا نزاع ، وقد اجتمعت الامة الاسلامية على طاعة هذه الخلافة العثمانية ^(٢) وتحسب السلاطين العثمانيين خلفاء من قرون عديدة ، فان كان خلفاء بني أمية وبني العباس فاقدين لحمة شروط مثلاً ، فنفرض الخلفاء العثمانيين فاقدين لسبعة شروط ، فاذا لم يضر بالاولين فقدان هذه الشروط ، فكيف يضر بالآخرين ؟ فان كان العثمانيون ليسوا من العرب ولا قريش ، فلا يقدح به في خلافتهم لان المسئلة هنا ليست مسئلة انتخاب الخليفة حتى ينظر في شروطه ، وانما الذي يهم في هذه الصورة هو أن يقوم قائم بالخلافة والحكومة الاسلامية ، لئلا يضطرب أمر الامة ، ويصبح فوضي ، فلذا لا أهمية لشروط الخلافة ههنا وجدت أو لم توجد

ومن شروط الخلافة المتفق عليها الحرية ، أي يجب في الخليفة أن يكون حراً لا عبداً ، ولكن العبد اذا تغلب بشوكته وقوته وقامت حكومته ، فلا خلاف في أن طاعته واجبة ، ولا يوجد مثال في تاريخ الامم بأسرها الا في الامة الاسلامية ، أن العبيد صاروا فيها أئمة وملوكاً وقوادا ، وخضع لهم المسلمون من العرب والمعجم بلا عذر ولا انكار — والاحاديث النبوية أكبر شاهد على ذلك — فقال النبي (ص) « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » وفي رواية مسلم عن أبي ذر « وان كان عبداً مجدع الاطراف » وفي رواية ابن حصين « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا وأطيعوا له » والنواوي يقول في شرحه والمراد أخس العبيد اسمع وأطع وان كان ذنيء النسب ، حتى لو كان عبداً أسود مقطوع الاطراف ، فطاعته واجبة ، ويتصور امارة العبد اذا ولاه بعض الائمة ، أو تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه . ولا يجوز ابتداء عقد الولاية له مع الاختيار ، بل شرطها الحرية (ج ٢ : ١٢٥) وفي فتح الباري « لو تغلب حقيقة بطريق الشوكة فان طاعته يجب اختاماً للفتنة » (١٣ : ١٠٩)

« ١ » هذا الحصر غير صحيح على ادلاقه « ٢ » دعوى الاجماع متنوعة

فإدام هذا النواوي الذي هو من أكبر أنصار القرشية يقول بنص هذا الحديث: إن إمارة العبد مهما كان ذنيء النسب ، خسيس الحال — صحيحة في صورة الاستيلاء والغلبة ، فكيف يعترض على الخليفة العثماني القائم المتمكن بكونه ليس من قريش ؟ إن سلمنا أن القرشية شرط ضروري للخلافة^(١) والحقيقة أن البحث في شروط الخلافة لا علاقة له بالمسئلة التي نحن بصدددها ، إلا أننا لا نرى بأساً في أن نتكلم على شرط القرشية ، إذ هو مزلة لأقدام كثير من الناس

(١) لا شك في أن صديقنا مؤلف هذه الرسالة لا غرض له من تأليفها إلا تأييد الخليفة العثماني التركي وإثبات صحة خلافته ووجوب طاعته شرعاً . وهذا الغرض لم يوضع موضع خلاف جديد لاجل القرشية فيحتاج في تأييده إلى التحريف والإيهام الذي ارتكبه في نقل نصوص العلماء والتصرف فيها وهو غافل عن الحقائق الواقعة في هذا العصر وأهمها أن الخليفة العثماني في حكم الأسير المحجور عليه من سلطة أجنبية غير إسلامية وأن القوة المتغلبة في الأمة التركية خصم له وإنما يمثلها مصطفى كمال باشا فهو الذي يجب طاعته إذا أمر أو نهى بحسب القاعدة التي ذكرها ، وإن لم يتحل بلقب الخلافة ، وهذا اللقب ليس بواجب شرعاً وبمقتضى هذه القاعدة يجب طاعة كل متغلب بالقوة أينما كان ومهما يكن لقبه وإن تعدد ، وعليه الحكومات الإسلامية في الشرق كالفرس والافغان ، وفي الجنوب كاليمن ونجد ، وفي الغرب كمصر ومراكش . فالخليفة العثماني غير متغلب عليها ولا أمر له فيها ولا نهى فيطاع ، أو يعصى سواء منها ما سيطرت عليه دولة أجنبية وما لا سيطرة عليه لاحد والمعترف بهذه الخلافة وغيره . والعمل بهذه القاعدة هو الذي أضاع الخلافة الصحيحة المستوفاة الشروط . إذ وجد في كل عصر من يؤيد كل متغلب مهما تكن حاله . وجمالوا الضرورة العارضة أمراً شرعياً ثابتاً . والذنب الأكبر في هذه السنة السيئة على معاوية الذي سنها ، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . على أن أكثر خلفاء بني أمية وبني عباس كانوا قائمين بهم واجبات الخلافة من نشر الإسلام وحماية دعوته والجهاد في سبيلها وإقامة الحدود والحكم بالشرع في كل شيء وإنما كان أكثر ظلمهم في التصرف في أموال الأمة وفي التنكيل بمن يتصدون لنزع السلطة منهم ، وأقله في أمور اجتهادية أخطأوا فيها كحمل الناس على القول بخلق القرآن

وإذا ما رى المؤلف في الإجماع على شرط القرشية فهل يباري في الإجماع على =

الى حملة الاوربييت

(٧)

بينت في الفصل السابق انه كان مما أرجو أن أخدم به أمتنا وبلادنا الشرقية في أوربة ابلاغ من ألقى من أحرار الاوربيين حقيقة حال الشرق ، وموقفه اليوم أمام الغرب ، والاستعانة بهم على اصلاح ذات البين ، وانه جرى لي أحاديث مع بعض من لقيت منهم ذكرت بعضها، وكنت قبل ذلك كتبت مقالة في الموضوع أردت أن تكون بلاغا عاماهم فلم يتيسر لي نشرها فاني لما كلفت صاحبنا الشيخ علي الغياثي ترجمتها قرأها واعادها الي قائلها: إنه لا يوجد جريدة في جنيف تقبل ان تنشرها ، لشدة حكمها على انكثرة وفرسة وهذا نصها

﴿ نداء الشرق لاجرار الغرب ﴾

هذه صيحة حق ، من جانب الشرق ، يتموج بها الهواء في بهرة الغرب (١) مدينة جنيف الحرة ، التي هي كالمنار في هذه البهرة ، حيث جمعية الامم ، ومثابة (٢) كل شعب مظلوم يشكو ممن ظلم ، فعسى أن تحترق مسامع أعضاء هذه الجمعية ، فتنفذ الى عقول حكيمه ، وقلوب رحيمه ، وعسى أن تردد صداها

= الخرية؟ وهل يجهل أن المتغلبين «حكاهم حكم البغاة وقطاع الطرق فلا يعتد بهم» كما صرح به الخافظ ابن حجر في شرح حديث ابن عمر « لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي من الناس اثنان» من شرحه للبخاري؟ انه لا يجهل ذلك وانا نداء لكل مسلم يستطيع أن ينصر الترك على أعدائهم المعتدين علي ملكهم أو يساعدهم عليهم ولو بالمال أن يفعل لا نهم مسلمون معتدى عليهم واذلائهم اذلال للاسلام، لا لاجل وجود الخليفة فيهم، والا فان هذا الخليفة حكم بفتوى من شيخ الاسلام عنده بان الكمالين خارجون عليه يجب قتالهم فانكر السواد الاظم من المسلمين عليه ذلك وكان عطفهم على الكمالين عاما ومساعدتهم لهم بالمال ترد من كل قطر. وقد كان لا تتصارهم على اليونان من السرور والابتهاج في الشرق والغرب مالم يسبق لمثله نظير ولو اطاعوا هذا الخليفة كما يوجب عليهم المؤلف لاستأصلوا الكمالين. ذلك بان قاعدة السياسة العامة، هي ترجيح المصلحة العامة، ولا يحتاج فيها الى الخروج عن الاحكام الشرعية الاجماعية أو القرية من الاجماعية بقوة أدلتها، وضمف الخلاف فيها ،

(١) البهرة بوزن الغرفة الوسط والمراد انها أوسط أوربة (٢) المثابة مجتمع الناس

الذين يختلفون اليه بدءا وعودا وهو من تاب بشوب بمعنى عاد ورجع

سحفت هذه المدينة ، فتصل الى أحرار جميع الشعوب الاوربية الكريمة ، فتكون حجة لمحكمة الامم اذا أرادت أن تحكم بالحق ، فيما اختلف فيه الغرب مع الشرق ، وذلك يتوقف على سماع أقوال الخصمين ، والنظر في مستندات الفريقين ، وحجة عليها اذا هي حكمت للقوي القاهر ، بمجرد دعواه على المتهور العاجز ، يشهد بها عليها أولئك الاحرار المدول ، ويسجلها عليها التاريخ الصحيح ، حين ترى عاقبة هذا الحكم وتؤاخذ بسوء مغبته ، يوم تعود الحرب جذعة^(١) بهذه السياسة الخدعة ، الخبأة الطلعة^(٢) التي يسلك أختاتها^(٣) ومضايقتها المغرورون بقوتهم ، المسرفون في مطامعهم ، المتلذذون بعظمة استرقاق الشعوب ، المتنعمون بما يسلبون فيها من الخزائن والجيوب ، بل نرجو من هؤلاء الاحرار المنصفين ، أن يجاهدوا هؤلاء الساسة الماكرين ، ويؤلبوا عليهم هذه الشعوب التي أرهقوها بالجندية ، وفوادح الضرائب المالية ، فيتعاون العلماء والكتاب ، والصناع والزراع ، على قلب سياسة المطامع ، المعززة بالبنادق والمدافع ، المفضية الى حرب بمدحرب ، لا تنتهي الا بخراب الارض ، واهلاك الحرث والنسل .

أصيخوا أصيخوا أيها الاحرار الى ما يلقيه عليكم شرقي خبير بشؤون الشرق ، وما يجب أن يتبدل من علاقته بالغرب ، بما أحدثت هذه الحرب من الانقلاب الاجتماعي فيه ، وأنتم أنتم الذي يمكنكم بهذا الانقلاب أن تكفروا سيئات هذه الحرب وفضائلها عن مدنيتكم وشرف شعوبكم ، وتأخذوا على أيدي دهاة سياسة الطمع والكبرياء أن يرهقكم ويرهقوا العالم كله بحرب شر منها ، اذا ظلوا متحكمين في أموالكم ، وجنودكم وعمالكم ، وظلتم مخذوعين بفصاحة خطبهم الخلابة ، ومستعدين لحلاوة أمانتهم الجذابة .

(١) الجذعة بالتحرريك الشابة الفتية وهي مؤنث الجذع واصل استعماله في بهيمة الانعام
(٢) الخدعة الكثير الخداع والخبأة الكثير الاختباء والاستتار والطلعة الكثير الطلوع
فهذه صيغ مبالغة معروفة وهي بضم ففتح (كهزة لمزة) ويستوي فيها المذكر والمؤنث والجمع بين الضدين الخبأة والطلعة انما يكون بالتعاقب والتناوب أي انها تختبئ نارة وتظهر أخرى كسلاحف البحر فالاختباء من الخوف والطلوع لاجل الاستطلاع (٣) الاخوات المضايق وأحدها خرت فهي كقفل واقفال

أيها الاحرار المتفكرون إنه ليقل فيكم من كان له علم أو المام بدخائل هذه للسياسة الافاة^(١) المرائية ، أو سبر لغور مكرها وتلبيسها ، وقد كنتم معذورين في الزمن الماضي بتصديقهم في زعمهم أن الاستعداد للحرب، هو الذي يمنح الحرب، وأن التنافس في الاستعمار الذي هو علة علها ليس الامسابقة في خدمة الانسانية ، بتحضير الشعوب اللمجبة ، ومباراة في العمران الذي يرفه معيشتكم ومعيشة هذه الشعوب جميعا، ليعم العلم والعمران ، ويعيش البشر كلهم في رغد السلام

أما الآن فلم يبق لكم عذر اذا استمررتم مخدوعين بخلافتهم ، مستسلمين لكيدهم، فقد فضحتهم هذه الحرب شرفضيحة، وكذبت دعواهم أن الاستعداد للحرب أتقى للحرب ، ورأيتم كيف كان التزاحم على الاستعمار والتنافس في حب السيادة سببا للمباراة في الاستعداد لها ، وكيف كان هذا الاستعداد مضرما لنارها، وسببا لازهاق أرواح الملايين من البشر ، وخراب ماعمره في العشرات بل المئات من السنين، ولضياع مارج المستعمرون بظلم الشعوب المستعبدة من الاموال ، ثم لتشويه مدينة هذا العصر وسوء سميتها

ألا إن تبعة هذه المصائب يجب أن تلقى على أكتاد^(٢) رجال هذه السياسة السوءى، وان لم يثبت على أحدمنهم بعينه إلقاء جذوة النار الاولى ، فأنني على رأي الفلاسوف الاجتماعي (موسيو غوستاف لوبون) في تبرئة كل دولة من دولها، وكل رجل من هذه الدول ملوكها ووزرائها، من تمديد بدء الحرب حتى المانية وعاهلها ، وروسية وقيصرها ، وفي أن سببها الحق مجموع أعمالهم السياسية التي كانت كنقط ماء تقع في كأس لم تلبث ان طفحت ففاضت كما قال ، أو كتجميع القوى الضاغطة يوجب الاتفجار ، أو كوضع البارود بجوار النار، لا يؤمن عليه الاحتراق، فاذا لم تؤخذوا هؤلاء السياسة بما جنته سياستهم على البشر لعذرهم إياهم بخطأ الاجتهاد، فلماذا تقر ونهم على الاصرار على هذا الخطأ والاستمرار على هذه السياسة، وأنتم تعلمون أن المعلولات تتكرر بتكرار علها، والمسببات تدوم بدوام أسبابها ؟ فكيف وقد تجد هذه المصائب والدواهي

(١) الافا كذا بالتشديد صيغة مبالغة من الافك وهو صرف الشيء عن وجهه الحق بالكذب أو التلبيس والتويه، أو المغالطة والتاويل (٢) الكتد ما بين الكتفين

أسباب جديدة أحدثتها الحرب ثم معاهدات الصلح ، وهذه الأسباب نوعان يقظة الشرق ، وتأريث الحقد والانتقام بين امم الغرب ما تعلمه الشرق من الحرب والصلح

أيها الاحرار — اعلموا أن حرب المدنية المادية الاوربية وهدنتها ، ومعاهدات الصلح وتناججها ، قد علمت عوام شعوب الشرق ما لم يكن يعلمه الا بعض خواصهم من سوء مقاصد الدول المستعمرة ، حتى ساء الاعتقاد بالامم الاوربية أنفسهم ، فهدمت في خمس سنين ما بنى في العقول والقلوب من فضل هذه المدنية وعظمة أهلها في مدة قرن كامل — وعلمتها وجوب الاتحاد والتعاون بينها على اختلاف أديانها ، ومذاهبها وأجناسها ، على دفع عادية المستعمرين ، القساة المتكبرين الظالمين المرائين — علمتها الاقتداء بهم في بذل النفس والنفيس ، وعدم المبالاة بالموت في سبيل الحرية والاستقلال — علمتها أنهم لا يعرفون للحق ولا للعدل ولا للفضيلة ولا للإنسانية معنى ، وان الشرف والمجد استبداد القوي بالضعيف واستعباده وتسخيره لعظمتته وشهوته ، — علمتها أنهم كذابون مراؤون أفا كون ، يسمون الاشياء بأسماء أضدادها ، يحسنون بذلك سيئاتهم ويقبحون حسنات غيرهم .

كان الشرقي اذا أراد أن يؤكد صدق قوله أو الوفاء بوعدده يقول : « كلمة افرنجية ، أو انكليزية » وقد صاروا يطلقون هذا الوصف النسبي على ضد ما كانوا يطلقونه عليه تعميما وتخصيضا ، ويعتقدون بحق ان الترك أصدق وابر واعدل وارحم من الافرنج عامة ، ومن الانكليز والفرنسيس خاصة ، وكيف لا وقد وعدهم هؤلاء بالتحرير والاستقلال وعودا عامة وخاصة بما امطرت شركاتهم البرقية وجرائدهم الخافقين (الغرب والشرق) من وصف مبادئهم ومقاصدهم من الحرب ، وبما كانت طياراتهم تلقيه في البلاد العربية من المنشورات والجرائد العربية الشارحة لهذه الوعود الموجزة ، والمفصلة لمقاصد تلك المباديء الجملة ، واهم تلك المنشورات ما كان باسم امير مكة بالامس وملكها اليوم ، والامير فيصل احد قواد الحلفاء بالامس وملك العراق من قبل بريطانية اليوم ، وجريدة القبلة التي انشأتها حكومة الحجاز بعد الثورة العربية ، وجريدة الكوكب التي كانت تصدرها السلطة البريطانية بمصر . فكان هذا وذاك وعودا وعهودا رسمية

من الخلفاء تصدر من لندن ملوكهم وقوادهم، وتبشرها بردهم العسكرية وطياراتهم، فلا يمكن ان تكون من غيرهم .

ثم كانت عاقبتها احتلالا عسكريا قاهراً في سورية والعراق، معززا بجميع آلات الحرب الحديثة مع بيع وطن فلسطين العربي لليهود، واستمباداً واستذلالاً للعرب من قبل المحررين المنتقذين لهم ، المنتقدين باسم جمعية الامم لمساعدتهم على النهوض بأمر استقلالهم، بعد ما اصابهم ما اصابهم من نواب الحزب ، ولكن هذه المساعدة اضطرت هؤلاء الاصدقاء الخدوعيين الى ثورات ومقاومات دمرت مئات من المزارع والقرى، وقتلت عشرات الالوف في العراق وسورية

جهل جمعية الامم بمكر الخلفاء بها

ايها الاحرار المنصفون : اننا نعلم انه لا يعزب عن علمكم ان التنافس في القوة المادية ، والتزاحم على المطامع الاستعمارية ، هما اللذان اوقدا نار الحرب العامة ، وان معاهدات الصلح السوءى في فرساي وسان ريمو وسيفر هي التي نقضت تلك المبادئ، وجعلت الظرف فتحا وانتقاما واستعمارا سيميد الحرب جذعة ، ولكن الذي يرتاب فيه كثير من الناس في الشرق والغرب هو علم محبي الحق والعدل من اعضاء جمعية الامم الذين ليس لدوهم هوى ولا لافرادهم ضلع مع احد من الدول الظافرة القاهرة، كما يكيد لهم دهاة سياسة هذه الدول بمجلس الجمعية وما يلقون على عواقبهم من الالفة الليلية نجاه العالم الانساني: تبعة حكم جمعية الامم لهم وإقرارها إياهم على قهرهم للشعوب المغلوبة في الغرب واستخدامهم اياها لمنافعهم باسم التعويضات، وعلى استمباد شعوب الشرق كلها باسم الاتداب، هذا الاسم الذي ابتدعه ليكون عخر جالهم من تلك الوعود والعهود، ودعوى ان الحرب كانت بين مبداين (المبدا الجرمانى الذي يمضي الاستملاء على الامم بالقوة، ومبدا الخلفاء الذين يبغون حرية الامم) وعلى جعل بناء السلم العام الدائم قائماً على اختصاص هؤلاء القاهرين الجائرين بالقوى الحربية ، بأنواعها البرية والبحرية والجوية ، ليدوم لهم القهر والاستعباد للمحرومين منها ، والعاجزين عنها ، او يكفل لذات القوة الكبرى، ان يدوم لها الرجعتان والكلمة العليا، الا وهي بريطانيا العظمى، التي شرعت في تأسيس امبراطوريتين جديدتين كانت تحلم بهما من عهد بعيد ، فجعلت حرب المبداين وسيلة لتأسيسهما بقوة الجند والسلاح ، وقوة الكبد

والخداع ، الاولى منها الشطر الشرقي من افريقية ، والثانية الشطر الغربي من آسية ، ويدخل في هذه السيادة جميع المعاهد المقدسة للاديان السماوية ، كما ان لها السيادة في الهند والتبت على اقدم معاهد الديانات الوثنية

إنما يرتاب من اشرفنا اليهم من الناس في علم من وصفنا من أعضاء جمعية الامم — وهم الاكثرون — بما ذكرنا من كيد ساسة الدول الظافرة لها ومكرهم بها ، لانهم يظنون أن الجمعية بجملتها راضية بنظامها ، ملقبة بقيادها الى مجلسها ، كما تنقاد الرعية الجاهلة الى ملكها المستبد بها ، ذلك المجلس الذي يفصل باسمها في أعظم المسائل تبعة واسواها عاقبة كسألة الوصايات الانتدابية ، افيصدقون انها مساعدة ، وهم يرون ما يدينهم من المساومة والنازعة ، والمصارعة والمقارعة ^(١) وبقراءون بعض ما تجود به برقياتهم وصحفهم من أنباء المظاهرات والثورات على سلطتهم العسكرية القاسية ، في البلاد المرزوة بالوصاية بدعوى العطف عليها والرحمة بها ، ومساعدتها على النهوض بأعباء حريتها واستقلالها ، وما يعترفون به أحيانا من مقاومة ذلك بتدمير القرى والمزارع ، بأكساف الطيارات وقذائف المدافع ، التي تفعل المعجزة والنساء والاطفال ، وقلما تصيب المتظاهرين أو الثائرين من الرجال ، وبقرض الغرامات الثقيلة على أهلها الوادعين الساكنين ، وغير ذلك من ضروب القهر والاستعباد الذي شرحه تقرير المؤتمر السوري الفلسطيني وما ألحق به

قواعد السلم بين الشرق والغرب

انني بعد بيان هذه الحقائق أخلص لجمعية الامم ولجميع أحرار الشعوب الاوربية آراء شعوب الشرق ، وآمالهم في أحرار شعوب الغرب ، وهي : —

(١) إن زعماء شعوب الشرق من علماء الحقوق والشرائع والخطباء والكتاب والضباط الذين هم قادة الافكار وجنودهم من النابتة الجديدة المتعلمة قد أجمعوا على أن يكونوا أحرار في بلادهم ، مستقلين بأمر حكوماتهم ، لا سيد عليهم من سوى أنفسهم ، بل لا سيد الا شرائع البلاد وقوانينها ، والمساواة في العدل بين المقيمين فيها ، سواء كانوا من أهلها أو من المهاجرين اليها .

(١) للمقارعة معنيان : ضرب كل الآخر وضرب الفرعة بينهما على ما يختلفان له

(٢) يرى هؤلاء الزعماء أن التعاون الانساني بين الشرق والغرب يجب أن ينحصر في استعانة الشرقيين بأهل الفنون الغربية على عمران بلادهم واستخراج كنوز الثروة منها باصلاح الري وترقية الزراعة واستخراج المعادن وزيت البترول وغيره وبما يتوسل به الى ذلك من العلوم والفنون ، وللغربيين في مقابلة ذلك ما يأخذه هؤلاء الفنيون من الاجور العظيمة ، وما يجلبون من الاغذية لبلادهم ، والمواد الاولية لمعاملهم ، وما يربحون من بيع مصنوعاتهم الكثرية ، وبهذا دون غيره تكمل الروابط الانسانية بين الأمم والشعوب ، ويعم العمران ويستغني عن سفك الدماء ، وتأريث العداوة والبغضاء . بل يحل محلها الحب والاخاء

(٣) اذا وجد في أحرار الغرب من يساعد زعماء الشرق على هذا الاصلاح

الانساني الذي هو أقوى ذرائع السلام في الارض ، فأول ما يجب أن يبدؤا به إقناع دولتي انكلترا وفرنسة بتمديد معاهدات الصلح المتعلقة بالشرق بالحق والعدل او نسخها بخير منها ، واستقلال الاقوام التي لا يمكن أن ترضى بأن يكون السلطان في بلادها لاجنبي عنها ، كعرب الجزيرة والسوريين والعراقيين والمصريين والتركي ، والفرس والافغانيين ، بأن ترفع الاحتلال العسكري من مصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق وتترك لاهل هذه البلاد الحرية التامة في شكل حكوماتها ، برأي مجالس نيابية منتخبة من أهلها

(٤) أن تكف الحكومة البريطانية عن الدسائس التي تبثها في اليمن وسائر جزيرة العرب لايقاع الشقاق والفتن بين امرائها واغراء بعضهم ببعض ومخادعتهم بعقد اتفاقات بينها وبينهم فتوسل بها الى العبث باستقلالهم عند سنوح الفرص

(٥) اذا عرض أحرار أوربة عن هذه الدساسة ، أو عجزوا عن إصلاح ذات بين الشرق والغرب ، ورأى زعماء الشعوب الشرقية ان جمعية الأمم رضيت لنفسها بأن تكون شر آلة وجدت في الارض ، لهدم قواعد الحق والعدل ، بكفالتها للقوي بالمال والسلاح كل ما يطمع فيه من الاضعف - فستكون عاقبة ذلك خراب أوربة بحرب أخرى ، أو بلشفية أضرم من البلشفية الروسية وأضرى ، واتحاد جميع شعوب الشرق ، على الانتقام من جميع امم الغرب ، (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

الانقلاب التركي الجديد

❖ وثائق تاريخية ❖

إسقاط الدولة العثمانية ، وتأسيس دولة تركية ، وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية ، بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية ، عملاً بقاعدة الديمقراطية الاوربية

بينما كان صديقنا الزعيم الهندي الكبير (مولانا أبر الكلام) يجهد قريحته في استنباط الدلائل لاقناع العالم الاسلامي بوجود طاعة الخليفة العثماني السلطان محمد وحيد الدين والخضوع لخلافته وإن أساء وظلم وفعل ما فعل ما لم يكن كفراً بواحاً ، وارتداداً عن الاسلام صراحاً ، — كان هذا الخليفة يستغني شيخ الاسلام في دولته في اعتبار حماة لدولة من أبطال الاناضول الكمالين بغاة خارجين على الامام (الخليفة) يجب قتالهم شرعاً ، ويعد المقاتل لهم بأمر الخليفة غازياً مأجوراً ، والمقتول بأيديهم شهيداً مغفوراً ، وكان هؤلاء الكماليون قد ألفوا حكومة تركية محضة لها السلطان كاه على الامة باسم الامة ، ولا سلطان عليها لملك ولا خليفة ، وما يتبع ذلك من ثل عرش آل عثمان ،

وضع هؤلاء الغزاة المسابسون ميثاقاً وطنياً لا تقاذ بلادهم من السلطة الاجنبية التي فرضتها عليهم معاهدة الصلح مع الخلفاء وقبائها السلطان وحيد الدين وحكومته — ثم وضعوا لحكومتهم الوطنية قانوناً أساسياً نسخوا به قانون حكومة آل عثمان وأسقطوا دولتهم . واننا ننشر الآن هذا الميثاق وهذا القانون مترجمين بالعربية . ونقفي عليهما بنشر ترجمة الخط السلطاني بتأليف وزارة الداماد فريد باشا المتضمن لأمره بقتال الكمالين وترجمة فتاوي شيخ الاسلام بذلك ، وبلوغ الصدارة العظمى في تنفيذ أمر الخليفة المؤيد بهذه الفتاوي — ونجمل هذا أصلاً وتمهيداً لبيان ما ترتب عليه من الانقلاب بالفعل

ترجمة الميثاق القومي التركي بالعربية

وهو الذي تأسست الحكومة الكمالية في الاناضول لاجل تنفيذه

المادة الاولى — ان الاقطار العثمانية التي أكثر سكانها من العرب والتي تحتلها جيوش الأعداء منذ عقد الهدنة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ يجب أن يقرر مصيرها طبقاً لإرادة أهلها على أن يمكننا من الاعراب عن ارادتهم بعمل الحرية .

وأما الاقطار العثمانية الواقعة أمام خط الهدنة ووراءه التي أكثر سكانها من المسلمين العثمانيين الذين تجمعهم وحدة الدين والمذهب والغاية الوطنية فهي حريصة على حقوقها القومية ، ومزاياها الاجتماعية ، فلا تقبل التجزئة والتقسيم على أي حال ولا بأي شرط

المادة الثانية — ان ألوية فارس واردةهان وباطوم التي أثبت أهلها منذ تحريرهم بصورة علنية صريحة ارادتهم الرجوع الى حمى أمهم تركية ، فلا يرى الموقعون على هذا الميثاق بأساً بأخذ رأي سكانها مرة أخرى في مصيرها بتمام الحرية المادة الثالثة — ان النظام القانوني لترافية الغربية الذي كان تقريره معلقاً على عقد الصلح مع تركيا يجب أن يؤسس طبقاً لإرادة الاهالي على أن يعربوا عنها بجزرية تامة

المادة الرابعة — تكون سلامة الآستانة — عاصمة الدولة ومقر الخلافة — وبحر صرمرة — مصونة كل الصيانة وفي مأمن من كل اعتداء :

إذا قبل هذا المبدأ فان الموقعين على هذا مستعدون لقبول أي قرار يتخذ باتفاق الرأي بين الحكومة السلطانية والدول صاحبات الشأن لضمان حرية المضايق للتجارة العالمية والمواصلات الدولية .

المادة الخامسة — ان الموقعين على هذا الميثاق يقبلون القواعد الخاصة بحقوق الاقليات التابعة للبلاد الأجنبية كما تقررت في المعاهدات الخاصة المقفودة بين دول الحلفاء وبين أعدائهم وبعض الدول المشتركة معهم

ومقابل ذلك يجب أن تتمتع الاقليات الاسلامية النازلة في الممالك المجاورة بنفس هذا الضمان لحقوقها ،

المادة السادسة — ان الموقعين على هذا يعتبرون الاستقلال التام والحرية المطلقة شرطاً لا بد منه لحياتهم الوطنية، ولترقية بلادهم الاقتصادية والقومية ولتأسيس حكومة الدولة وادارتها على أساس ثابت جديد

ولهذه الاسباب صحت عزيمة موقعي هذا الميثاق على مقاومة كل قيد تشريعي أو مالي من شأنه الحيلولة دون الارتقاء القومي

ويجب على كل حال أن تكون شروط القيام بما سيفرض على تركيا من الواجبات غير مخالفة للقواعد المقررة في هذا الميثاق

الآستانة في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠

القانون الاساسي

للدولة التركية الجديدة — أو قانون التشكيلات الاساسية

المواد الاساسية

المادة ١ — السيادة للشعب، بلا قيد ولا شرط، وأصول الادارة مستندة الى قيام الشعب بالذات وبالفعل بادارة شئونه

المادة ٢ — تجتمع القوة التنفيذية، والقوة التشريعية في الجمعية الوطنية الكبرى التي تمثل الشعب وحدها تمثيلاً حقيقياً

المادة ٣ — تقوم الجمعية الوطنية الكبرى بادارة الدولة التركية وتدعى حكومتها « حكومة الجمعية الوطنية الكبرى »

المادة ٤ — تتألف الجمعية الوطنية الكبرى من أعضاء ينتخبهم اهل الولايات

المادة ٥ — تنتخب الجمعية الوطنية الكبرى مرة كل عامين. والمدة الانتخابية لكل عضو هي عامان . ويجوز أن ينتخب العضو مرة اخرى . وتستمر الجمعية

في عقد اجتماعاتها الى حين انتخاب الجمعية التي تخلفها . فاذا تعذر الانتخاب يمد أجل الجمعية سنة اخرى . وكل عضو من أعضاء الجمعية ينوب عن الشعب جميعه لاعن الاهالي الذين انتخبوه فقط ،

المادة ٦ - تجتمع الهيئة العامة للجمعية الوطنية الكبرى في أول نوفمبر من كل عام بغير دعوة

المادة ٧ - تنفيذ الاحكام الشرعية ، وسن جميع القوانين أو تعديلها أو الغاؤها ، وعقد الصلح والمعاهدات ، وعلان الدفاع الوطني ، وما يشابهها من الحقوق الاساسية - خاصة بالجمعية الوطنية الكبرى . وتتخذ الاحكام الفقهية والحقوقية الموافقة لمعاملات الناس وحاجيات الزمان والآداب والمعاملات أساساً لوضع القوانين والنظم . وتدين واجبات الوزراء ومسؤولياتهم بقانون مخصوص

المادة ٨ - يقوم بادارة دوائر الحكمة من تنتخبهم الجمعية الوطنية الكبرى لذلك وفاق القانون المخصوص . وتبين الجمعية للوزراء وجهة الادارة فيما يختص بالتنفيذ وتستبدل بهؤلاء الوزراء غيرهم عند الحاجة

المادة ٩ - الرئيس الذي تنتخبه الهيئة العامة للجمعية الوطنية الكبرى يرأس الجمعية مدة عقدها ، وللرئيس أن يضع توقيعه باسم الجمعية وأن يصدق على قرارات الوزارة ، ورئيس الجمعية هو الرئيس الطبيعي للوزارة

﴿ الادارة ﴾

المادة ١٠ - تنقسم الادارة التركية باعتبار أحوالها الجغرافية والاقتصادية الى ولايات ، وتنقسم الولايات الى أقضية وتتألف الاقضية من نواح

﴿ الولاية ﴾

المادة ١١ - الولاية ذات شخصية ممنوبة وهي حائزة لاستقلالها الداخلي (Autonomie) في أمورها المحلية . وللمجالس الشورية في كل ولاية أن تقوم بادارة أوقافها ومماهدها الدينية ومعارفها وصحتها واقتصادياتها وزراعتها وأشغالها والمعاونة الاجتماعية ، بموجب القوانين التي تضعها الجمعية الوطنية الكبرى . وتستثنى من ذلك السياسة الداخلية والخارجية ، والامور الشرعية والعسكرية والعلاقات الاقتصادية الدولية ، وتكاليف الحكومة العامة وما يشمل منافعه أكثر من ولاية واحدة

المادة ١٢ - يتألف مجلس شوري الولايات من أعضاء ينتخبهم أهالي

الولايات . ومدة اجتماع هذه المجالس امان وتجتمع في كل عام شهرين
المادة ١٣ - ينتخب مجلس شوري الولاية من بين أعضائه رئيساً للقيام
بوظيفة الاجراء (التنفيذ) مع هيئة ادارة من بين الاعضاء تنتخب لادارة
شعب الادارة بحيث تكون وظيفة الاجراء في يد هذه الهيئة الدائمة
المادة ١٤ - للجمعية الوطنية الكبرى وال يمثلها في كل ولاية ، تعيينه
حكومة الجمعية الوطنية، ووظيفته القيام بالواجبات العامة المشتركة للدولة .
ولا يتداخل الوالي (في غير ذلك) الا عند وقوع تمارض بين واجبات الدولة
والواجبات المحلية

﴿ الاقضية ﴾

المادة ١٥ - القضاء جزء اداري ، ليست له شخصية معنوية . يقوم
بادارته (قائمقام) معين من قبل حكومة الجمعية الوطنية الكبرى ويكون
تحت أمر الوالي

﴿ الناحية ﴾

المادة ١٦ - الناحية شخصية معنوية حائزة لاستقلال ذاتي في حياتها الخاصة
المادة ١٧ - لكل ناحية مجلس شوري وهيئة ادارة ومدير
المادة ١٨ - مجلس شوري الناحية ينتخبه اهل الناحية مباشرة
المادة ١٩ - ينتخب مجلس شوري الناحية هيئة ادارتها ومديرها
المادة ٢٠ - لمجلس شوري الناحية وهيئة ادارتها قوة قضائية اقتصادية
ومالية تعين القوانين المخصصة درجاتها
المادة ٢١ - تتألف الناحية من قرية أو عدة قرى

﴿ التفتيش ﴾

المادة ٢٢ - تعين مناطق التفتيش العام بتوحيد الولايات باعتبار علاقاتها
الاقتصادية والاجتماعية
المادة ٢٣ - يتكفل المفتش العام بالامن العام في منطقتة وتفتيش المعاملات
في الدوائر وتنظيم الامور المشتركة بين الولايات التي في منطقتة ويراقب
المفتش العام وظائف الدولة العامة والوظائف الخاصة بالادارات المحلية مراقبة دائمة

﴿ مادة منفردة ﴾

المادة المنفردة - هذا القانون مرعي من يوم نشره لكن الجمعية الوطنية الكبرى الحالية لاجتماعها على الدوام الى حين تحقيق غاياتها كما هو مصرح في المادة الاولى من قانون (نصاب المذاكرة) المؤرخ ٥ سبتمبر ١٩٢٠ لاتنفذ المواد الرابعة والخامسة والسادسة من هذا القانون قانون التشكيلات الاساسية الا اذا قررت الجمعية ذلك باكثرية ثلثيها بعد تحقق تلك الغايات
١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩ - ٢٥ يناير سنة ١٩٢١

(المنار) قد علم من هذا القانون ان الترك قد أزالوا به السلطة الملكية العثمانية. والخلافة الاسلامية معاء فليس لغير الجمعية الكبرى في بلادهم أمر ولا هي وهذه امنية لحزب (التركية الفتاة) منذ عشرات السنين سنجحت الفرصة الا ان نيلها بسهولة كما سنفصله بعد

ثلاث وثائق تاريخية

في مناهضة دولة السلطنة والخلافة العثمانية للنهضة الكمالية

﴿ الوثيقة الاولى ﴾

الخط السلطاني الصادر بمنصبي الصدارة وه شيخه الاسلام وبقرار وزارة الداماد فريد باشا المتضمن للامر بالقضاء على نهضة الاناضول الوطنية

محمد وحيد الدين

« وزيرى سمير المعالي فريد باشا
« بناء على استقالة سلفكم (صالح باشا) وجه مسند الصدارة الى عهدتكم لما هو مشهود من درايتكم وأهليتكم وأحليت المشيخة الاسلامية أيضا الى عهدة دري زاده عبد الله افندي وقد اقترنت باقرارنا هيئة الوكلاء الجديدة التي أقتموها طبقا للمادة السابعة والعشرين من القانون الاساسي
« ان موقفنا السياسي الذي بدأ منذ عقد الهدنة يقترب تدريجاً من

الاصلاح أصبح في حالة وخيمة بسبب الاضطرابات التي وقعت تحت اسم القومية (في الاصل المليية) وظلت التدابير الاصلاحية التي اتخذت حتى الآن لصددها عقيمة «وقد أظهرت الوقائم الاخيرة، أنه اذا استمر معاذ الله تعالى هذا المصيان فسيكون مصدرا لاحوال وخيمة ، فلذلك نطلب انفاذ الاحكام القانونية بحق مثيري هذه الاضطرابات المعروفين والداعين اليها؛ واعلان العفو العام عن الذين انضموا اليها واشتركوا فيها بسائق الغفلة ، واتخاذ التدابير النهائية لاعادة الامن والانتظام وتأييده في ممالكنا الشاهانية بسرعة تامة واكملها ، وتوطيد ارتباط رعايانا الصادقين بمقام الخلافة والسلطنة المحقق الذي لا يتغير ، وانشاء الروابط الصميمة الاطمئنانية مع الدول المتحالفة العظمى والاهتمام بالدفاع عن منافع الدولة والامة استفاداً على أساس الحق والعدل لتكون شروط الصلح معتدلة وبذل الجهد لمقد الصلح بأسرع ما يمكن ، وريثاً يتم ذلك يجب التوسل بأنواع التدابير المالية والاقتصادية لتخفيف العسرة العامة بقدر الامكان . وأسأل جناب الحق أن يجعلكم مظهرًا لتوفيقاته الالهية »

﴿ الوثيقة الثانية ﴾

(فتاوى شيخ الاسلام بان الكمالين بغاة يجب قتالهم)

ما قول مولانا شيخ الاسلام ومفتي الانام في بعض أشخاص شريرين اتحدوا واتفقوا في البلاد الاسلامية الواقعة تحت ولاية قطب نظام العالم خليفة المسلمين- أدام الله تعالى خلافته الى يوم القيامة- واتفقوا رؤساء لهم وأخذوا يحتالون على الرعية الشاهانية الصادقة ويغفلونهم ويضلونهم بالتزوير، ويجمعون الجنود بلا أمر عال، ويفرضون أنواع الغرامات والضرائب خلافاً للشرع الشريف، ومغايرة للأمر المنيف؛ زاعمين في الظاهر أن ذلك لتجهيز الجيش والحقيقة أنه لمحض الرغبة في جمع المال، ويستعملون أنواع التضيق، ويأخذون أموال الناس وأشياءهم غصباً بعد تعذيبهم ، فعودهم ذلك ظلم عباد الله ، وجرائمهم على ارتكاب الجرائم، فهجموا على بعض القرى والبلاد من الممالك المحروسة فخرّبوها؛ وجعلوا عاليها سافلها، وقتلوا عدداً من الأبرياء، وسفكوا دماء طاهرة ، وعزلوا بعض الموظفين العاميين والملكيين والعسكريين المنصوبين من قبل أمير المؤمنين،

ونصبوا غيرهم أناسا من رهطهم، وقطموا وسائل المواصلات والنقل بين مقر الخلافة والممالك المحروسة، ومنعوا إنفاذ الأوامر الصادرة من جانب الدولة قاصدين بتجريدهم مقر الخلافة عن الاقطار الاخرى كسر شوكة الخلافة وتوهينها واهانة مقام الامامة المعلى بخروجهم عن طاعة الامام، ونشرهم الاراجيف والاشاعات الكاذبة للاخلال بالنظام والانتظام، والامن العام في بلاد الدولة العملية، وسوق الناس الى الفتنة والسعي بالفساد، كما هو ظاهر ومحقق، فاذا أصر الرؤساء المذكورون وأعوانهم وأتباعهم من الباغين على عنادهم وفسادهم، ولم يتفرقوا بعد الامر العالى بالصادر اليهم بالتفرق فهل يجب قتلهم وقتالهم، وتخليص العباد من مضرتهم، وتطهير البلاد من شرهم وخبائثهم؟ وهل يكون ذلك فرضاً مشروعا طبقاتاً لما نصت عليه الآية الكريمة (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) أم لا؟ نرجو الجواب؟

الجواب: نعم والله تعالى أعلم

كتبه الفقير

دري زاده السيد عبد الله عفى عنهما

وفي هذه الصورة أيكون^(١) من الواجب على المسلمين القاطنين في الممالك المحروسة والقادرين على الحرب والضرب اجابة دعوة الامام العادل خليفتنا السلطان محمد وحيد الدين والالتفاف حوله لقتال البغاة المذكورين أم لا؟ نرجو الجواب

الجواب: نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون امتناع الجنود الذين يجردهم الخليفة المشار اليه لقتال البغاة المذكورين عن قتالهم وفرارهم منه كبيرة أم لا؟ وهل يكونون آثمين يستحقون في الدنيا التعزير الشديد، وفي العقبي العذاب الاليم، أم لا؟

نرجو الجواب

الجواب: نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون الذين يقتلون البغاة من جنود الخليفة غزاة

« ١ » في الاصل: بهذه الصورة ألا يكون الخ ولا يصح العطف بالنفي على السؤال المنفى بقوله في آخر السؤال أم لا، ثم الجواب عنهما بنعم - ومثله ما بعده ، جعلنا الاستفهام الاول ايجابيا

أم لا؟ ويكون الذين يقتلهم البغاة من الجند شهداء ومن التوايين أم لا؟
نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون المسلمون الذين لا يطيعون الامر السلطاني
الصادر بقتال هؤلاء البغاة آثمين ومستحقين للتعزير الشرعي أم لا؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

﴿ الوثيقة الثالثة ﴾

بلاغ الصدارة لانتفاذ الخط السلطاني بعقاب الترك الكمالين

«تجتاز الدولة العثمانية اليوم أزمة حرجة لا عهد لها بمثلها من قبل. فالوطن

في خطر حقيقي

« لقد كان الواجب على هذه الامة أن تسلك سبيل السلامة والعقل بعد
ما لاقته من عبر الحرب العظمى التي سبقت اليها بدون علمها ورضائها، والتي
استنفدت أموالها ودماءها، وانجبت عن انكسارها الذي انتهى باستسلامها
الى الدول حين عقد الهدنة، فتتعظ بهذه النتائج وتمود الى رشدها وصوابها
« بيد أن بعض الاشخاص الذين لم يدركوا هذه الحقيقة كما يجب قاموا
بدافع الانانية والنفم الذاتي يسمون للفتنة والفساد مثسرين باسم الانظمة
الوطنية فأخرج ذلك موقفنا السياسي وجعله في أشد الاخطار ونكأ من جهة
ثانية جروح هذا الوطن المقدس الذي أثقلته تكاليف الحرب وجرحته أنواع
الجنايات وسوء الاستعمالات التي ارتكبت في سني الحرب جراحاً بالغات

« وقد انتجت بعض الحوادث المؤسفة التي وقعت اثاره الرأي العام في
أوربة وأميركا علينا فكان من أثره تشديد شروط الصلح فوق شدتها
واحتلال الدول العظمى للاستانة احتلالاً عسكرياً مؤقتاً طبق أحكام الهدنة
فقام على أثر ذلك العصاة يسمون لقطع المواصلات بين الاناضول والعاصمة
وان ذلك لاعظم خيانة وطنية

« ان هذه الحركة الباغية المتسترة بعتار الوطنية جعلت الاناضول عرضة
لاحتلال خفيف من جهة، وتكاد تورد الدولة موارد جديدة من الاخطار
والمصائب. ان أعظم أعداء الامة العثمانية اليوم هؤلاء الذين يضحون الامة

والوطن تجاه مطامعهم الشخصية متسترين بدعوى الوطنية الكاذبة، وان هؤلاء يهيئون سلسلة ثقيلة من الجنايات للمعاقبة التي يعملون لاجلها، فقد داسوا على الدستور وعلى قوانين الدولة بأرجلهم، وأخذوا يرتكبون الفضائح المتوالية ويجمعون الدراهم من الاهالي بالاكره، ويجندونهم بالقوة ويوصلون أنواع الأذى اليهم، ويقتلون من لا يقدم لهم الدراهم ولا يدخل في جيشهم ويباغتون القرى وينهبونها، ويحرقون القصبات، هذه الافعال منافية للامر الالهي ومردودة في نظر الشرع الشريف كما هو مبين في الفتوى الشريفه المنشورة أعلاه، وإن الحكومة الحاضرة تعد الاحتفاظ بحياة كل فرد من الامور الواجبة في هذه الاوقات اكثر منها في كل زمان للمساعدة على انهاض هذا الوطن العثماني الذي أصيب بأنواع المصائب، وتعميره وتلافي خسارته في النفوس والقوة « ان هذه الحكومة التي تفضل ادراك آمالها من خير وصلاح بغير سفك دماء لا تتردد في تأديب هؤلاء الذين حادوا عن الطريق المستقيم امتثالاً لارادة حضرة صاحب الخلافة السنية المبلغه بموجب الخط الهايوني، ووفقاً للشرع الشريف، والخط المنيف، وذلك لانقاذ حياة الدولة والامة وسلامتهما من خطر محقق « بناء عليه نعلن أولاً: ان الذين اشتركوا في حركات العصيان — مخدوعين بأقوال القاعين بهذه الحركات أو متأثرين بتهديدهم وهم يجهلون ما تجره من النتائج الوخيمة — اذا عادوا نادمين وعرضوا صداقتهم واخلصهم لجلالة مولانا (أفندينا) في مدى أسبوع يكونون محلاً للعفو العالي

ثانياً — ان الحكومة ستؤدب القائمين بالعصيان والداعين اليه والمشاركين فيه من المصرين على عنادهم كما يقضي بذلك الشرع والقانون. ولما كانت الحكومة لا تتسامح في أي جهة من جهات المملكة باعتداء الاهالي المسلمين، على مواطنيهم من غير المسلمين ولا باعتداء هؤلاء على مواطنيهم المسلمين، فكل من يرتكب مثل هذه الاعمال أو يتغافل ويتسامح في ايقاعها شخصياً يكون عرضة لاشد العقاب » انتهى

(المنار) لو كان ذلك الخط السلطاني والفتاوى الشرعية وهذا الامر الوزاري صدرت في حال عادية والحكومة متمتعة باستقلالها في شأن فئة من رعيها بنت عليها، وخرجت عن طاعتها لم يكن عليها غبار، ولكن هذه الحكومة

كانت واقعة في أسر الاعداء المحتملين لعاصمتها ، والمسيطرين عليها بالقهر والدسائس جميعا ، وقد قبلت معاهدة الصلح الخزية السالبة لاستقلالها ، بعد سلخ ماسلخت من بلادها ، وكان الكاليون هم الذين أبوا قبول هذا الخزي باختيارهم ، وقاوموه بسلاحهم ، فكان ضلع العالم الاسلامي كله معهم ، وتم ذلك بنصر الله تعالى لهم والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم (المخطيء) الهبل

ظفر الترك باليونان

وثلمهم عرش دولة آل عثمان

وجعلهم الخلافة الاسلامية ، سلطنة روحانية أدبية

(وتلك الايام نداؤها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين * وللمحس الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)

إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)
استخف الظفر في الحرب الدولة البريطانية فخافها حامها الراسخ ورويتها وأناتها في الامور ، فأظهرت ما كانت تكتم من التعصب الديني وعداوة الاسلام ، وحاولت القضاء على ما بقي من السلطة الاسلامية الضعيفة والاستقلال المضطرب ، في بلاد الترك والعرب ، فتقسمت هذه البلاد بينها وبين حلفائها قسمة ضئلى ، وكان مما اصطفته لنفسها مصر وسائر ما بقي من بلاد العرب — الا مفحص قطة في سورية لحليفها فرنسة — والقسطنطينية العظمى مع زقاقها العظيمى الشأن (الدردينيل والبوسفور) على ثقة منها بأن مملكتي ايران والافغان في قبضة يمينها ، وبلاد القوساس وتركستان في قبضة شمالها ، وصرح كبير وزرائها لويد جورج بأن هذه الحرب ، آخر حرب صليبية في الارض ، أي لم يبق فيها شعب اسلامي مستقل يمكنه أن يذود على حوضه (المنار: ج ٩) (٩٠) (المجلد الثالث والعشرون)

بسلحه ، فان الدولة العثمانية ، آخر دولة حربية اسلامية ، قد سقطت تحت
السيطرة الاوربية المسيحية

فلما رأت ان اسود الترك في الاناضول قد جمعوا فلول جيوشهم ، وأبوا
الخضوع لما فرض عليهم في معاهدات الصلح الجائرة من إلقاء سلاحهم لاعدائهم ،
والخنوع لما أوجبوا عليهم في أنفسهم وأموالهم وإدارة بلادهم ، أغرت بهم الدولة
اليونانية ، عدوتهم التاريخية ، وقد زاد بفضلها عليها عددها ، وتضاعف بمساعدتها
لها ، مددها ، فخاست خلال الديار ، وسامتها الحسف والتبار ، وحكمت فيها السيف
والنار ، وقتلت الكبار والصغار ، والوزير البريطاني الاكبر (لويد جورج)
عدها في غيها ، وينصرها في بنمها . فعز على ليوث العربن ، وشم المرانين ،
أن تلج الثعالب أغياها ، وأفتال فيها أشبالها ، فبطشوا بزحوف اليونان
البطشة الصغرى فوققوا لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ثم صاح بهم المعدل
الاهلي (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون)

هجمت الليوث التركية الكمالية تلك الهجمة الصادقة على جيوشهم فولوا
مدبرين ، (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين) ، فطردتهم في مدة
اسبوعين ، مما تبرؤوه في مدى سنتين ، فقتل منهم عشرات الالوف ، واسر
عشرات الالوف ، وفر الباقون من مصارع الختوف ، تعبت في أقيمتهم
الحراب والسيوف ، وما زال يطاردهم سيف النصر ، حتى القى من سلم منهم
عند سيف البحر ، حيث تنتظر السفن كل شريد وطريد ، فيما كانوا يحتلون
من نغري إزمير وإزميد ، وغنم الترك ما لا يحصى من سلاحهم وعتادهم ،
ومتاعهم وزادهم ، وناهيك بأسر من أخطأه الرصاص من كبار قوادهم ، وفشل
تدبير لويد جورج وفنزيلوس بتجديد القيصرية (الامبراطورية) البيزنطية ،
وحلم الملك قسطنطين الثاني بلبس تاج قسطنطين الاول في محراب جامع (أياصوفية)
وخاب كيد الانكليز لاجلاء مسلمي الترك من شرقي أوربة بهمجية اليونان ،
كما أجلي مسلمو العرب من غربيها (الاندلس) بهمجية الاسبان ،

لو كان كل ما في هذا النصر العزيز أنه سحق جيش تركي مهاجم ، لجيش
يوناني مدافع ، يفوقه في العدد والمدد والمدافع ، لما كان بدعا من النصر ،
ولا مما يعده الترك من موجبات الفخر ، ولكنه كان أثراً لهجوم عسكري لم

يسبق له نظير في أعظم المعارك بتدبيره وإحكامه ونظامه ، واستيفائه لجميع الشروط الفنية ، وسرعة تأثيره في ميادين مختلفة — وكان على هذا عقب سلسلة حروب مع البلقانيين في البلقان ومع إيطالية في طرابلس الغرب ومع انكازة في فلسطين والعراق ومع روسية في الأناضول ومع الانكاز والفرنسيس جيمما في غاليبولي ثم مع فرنسا في كليكية ومع الارمن في القوقاس — وكان على هذا وذلك بعد انكسار الدولة وطلبها الهدنة ، والخضوع لشروطها القاهرة ، ثم قبول حكومة السلطان في الأستانة لشروط الصلح القاضية بتقسيم بلاد الدولة بين الاحلاف وسيطرتهم على الامارة التركية الصغيرة التي أبقوها باسم سلطان الترك وخليفة الاسلام في ماليتها وعسكريتها وأحكامها القضائية — وكان على هذا كله بعد إلقاء الانكاز المحتلين لاصمة الدولة الفاسدين السلطان وحكومته وبين ابطال الأناضول المدافعين عما بقي من بلادهم قبل ان يعمها الاحتلال الاجنبي المذل بل المميت ، والمطالبين باستقلال مارزي ، بالاحتلال منها حتى حملوه على الحكم بعصيانهم ، وإباحة إهراق دمائهم ، بخروجهم على سلطانهم وخليفتهم ، لكسر قوتهم المعنوية ، بفتوى من شيخ الاسلام ، تطبق عليهم حكم البغاة الخارجين على الامام ، المحاربين لله ورسوله والساعين في الارض بالفساد ، ولو انه أمر بهذا وهو حري في تصرفه ، مستقل في حكومته ، لما اكثرثوا الامر ، فكيف وهم يعتقدون أنه واقع تحت أسراعدهاء الاسلام ومسير بنفوذهم ، فعصيانه واجب ، واسقاط حكومته ضربة لازب — ثم انه كان على هذا كله ظفراً بدولة بريطانية العظمى ، وقضاء على ما كان من نفوذها الاسمي ، وإحباط لسميتها المعلوم . وهو ازالة ملك الاسلام من الشرق ، والاستيلاء على جميع دول الغرب ، ولذلك كان ضلع حليفتها فرنسة مع الترك السكاليين ، مقاومة لمساعدتها هي لليونانيين

أصبح الترك السكاليون بهذا النصر أمام عدوتهم انكازة وجها لوجه بزوال تلك الواسطة التي كانت تحاربهم بها ومن ورائها ، فطفقت تحشر أساطيلها امام الدردنيل ووراءه ، وتسوق جيوشها الى (غاليبولي وشناق قلعه) وأهابت بحليفاتها المحتملتين معها الأستانة ان تستعدا لقتال الترك فأبيتا ذلك عليها ، فصاح لويد جورج يستنجد الامبراطورية كلها لتحفظ له ثمرة النصر في الشرق فكان جواب أكثرها خافتاً — فهبت الاحزاب البريطانية المعارضة تفضحه بأنه يريد

اثارة حرب صليبية أخرى تنفرد بريطانيا العظمى بهادون أوربة، وتوسطت فراسة بصداقتها للكاليين فأقنعتهم بعقد الهدنة، وترك الزحف على تراقية والآستانة، فعقدت الهدنة في ثغر (مدانية) وهو ثغر تركي صغير، كان لهم بعقدها فيه شرف كبير، وضمن لهم الحلفاء فيه الحدود التي قرروها في ميثاقهم القومي. وكان هذا فشلا لسياسة الوزير لويد جورج أدى الى سقوط وزارته، وعرف العالم كله ان الذي أسقطها هو الغازي كمال باشا بقوته، وقد أصبح الترك بعد ذلك الذل والنكال، يخاطبون بريطانيا العظمى مخاطبة الانداد والاقفال، وهذا ما كانوا فقدوه منذ قرون وأجيال، فسبحان من يعز من يشاء وينذل من يشاء أذاع البرق أنباء هذا النصر في العالم فاهتز لها الشرق، وشخصت أبصار دول الغرب، وكادت تصعق الدولة البريطانية خيبة وخزيا، كما صعقت اليونانية قهراً وعجزاً

لله در الكهرباء فثغرها ال
بسام كم يبدو يبشر بالجد
ولربما التهب فكان وميضها
نارا فأحرق من بغى وعمردا

احتفل المسلمون بهذا النصر المبين في كل قطر من الاقطار، بقدر ما لاهله من الحرية ووسائل الاجتماع واظهار السرور، وكان قصب السبق في ذلك لمصر والهند، ويليها سورية والعراق على كراهة ملكها لذلك، ويليها تونس والجزائر فراكش، وكان المهدي بلاد المغرب الاتصى أنها أقل بلاد الاسلام اهتماما بالدولة العثمانية وما يجري فيها، فصارت بسبب الحماية الفرنسية كأمثالها أو قريباً منها، واتفق أن ضلع الدولة الحامية لها في هذه المرة مع الترك، حتى ان سلطان المغرب هنا الحكومة الفرنسية - لا الحكومة الكالية - بهذا النصر (!) وقد قرأنا في جريدة السمادة المغربية عدة قصائد لادباء المغرب في الابتهاج به، وأنهم يعدونه نصراً للاسلام على أعدى أعدائه، وقد كتب الينامن اليمن أن كلا من الامام يحيى والسيد الادريسي قد احتفلا في بلادها بهذا النصر، وأمر السيد الادريسي باطلاق واحد وعشرين مدفعا من المواقع العسكرية ايدانا بالاحتفال. وقد يظن ان بلاد الحجاز هي التي شذت وحدها، وإنما الذي شذ وحزن لهذا النصر هو ملكها، وأما أهل الحجاز ولاسيما البلدين المكرمين فهم أشد حبا للترك ودولتهم من غيرهم، ولكنهم تحت ضغط حكم قاهر لا يملكون من حريتهم شيئاً

لا يرضى مالك أمرهم

هذا العطف الاسلامي العام ، والمكانة السامية امام دول الخلفاء ، التي لا تنال عندهم الا بسفك الدماء ، قد جرد الكالمين على القبض على أعنة الادارة في الآستانة المحتلة ، والشروع في انفاذ خطتهم في إسقاط الدولة ، ومحاكمة رؤسائها حتى السلطان المتحلي بلبق الخلافة ، وقد اوعز اليه بأن يستقبل فأبي ، وظن أنه يستطيع أن يحدث بقوة الانكاز حدثا ، فلما رأى أن السواد الاعظم من أهل الآستانة عليه معهم لا معه عليهم ، اتفق مع السلطة البريطانية المحتلة على الفرار من العاصمة بنفسه ففعل ، وقد تقاوه مع غلام له وبعض حاشيته على بارجة انكليزية الى مالطة ، وشاع انهم يريدون اخذه الى الهند وجاء ان يفرقوا به كلمة المسلمين فيها ، وقد دعاه ملك الحجاز الى مكة بلسان البرق بايعاز من الانكاز كما يقال لتدبير كيد في الخلافة يوقع في العالم الاسلامي الشقاق ، او ينفره من الترك الكالمين فيكون عوناً لهم عليهم ، والا فان جريدة القبلة لسان ملك الحجاز لم يطل العهد على تكفيرها لهذا الخليفة ، فهل كان اظهاره العداوة لقومه ، واهانتة لنفسه ولمنصبه بالاتجاه الى عدوه ، رجوعا عن الكفر الى الايمان ، ومدعاة الى التعاون على اقامة الاسلام ؟ أم ثم كيد ككيد صواحب يوسف يريد به الانكاز ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويريد صاحب الحجاز من أسير الانكاز في مكة ، مثل ما كان من أسير السلطان سليم في الآستانة ، ليقول (هذه بضاعتنا ردت اليانا) ؟ إذن ينبغي أن يكون له قوة حجازية ، كقوة سليم العثمانية ، وأما قوة الدولة البريطانية ، الموجهة الى امارة السلطة الاسلامية ، فلن تكون محيية للخلافة النبوية ، وان تركت حكومة الترك الجديدة باب الفتنة مفتوحا بما اخترعت من الخلافة الروحية ، وحصرت السلطة كلها في جمعيتها الوطنية .

اضطرب العالم الاسلامي لنبأ ابتداء خلافة ذات سلطة روحية ، مجردة من كل سلطة حكومية ، وهي بدعة جديدة من الجهتين الايجابية والسلبية ، لم يرم الى مثلها أحد من مبتدعة المسلمين الا الباطنية ، فهم الذين جعلوا لامامهم المعصوم سلطانا روحيا وأوجبوا اتباعه في كل ما يفسر به النصوص وان كانت قطعية وفسرها بما يخالف معناها القطعي ، ولكنهم لما قدروا على تأسيس دولة جعلوا الامام الروحي ، هو السلطان السياسي والحاكم الشرعي . وليس في الاسلام

سلطة روحية بالمعنى الذي ابتدعتها الباطنية - والترك لا يريدونه - ولا المعروف عند
النصارى وهو نحو منه، حتى نهرب من الجمع بين السلطتين ونقلد بعض النصارى في
التفريق بينهما. وإنما سلطة الخليفة في الاسلام حكومية محضة، وهو مسؤول عن عمله
كغيره، وان كان رئيسا دينيا ودينويا، فعنى رياسته الدينية أنه هو صاحب
الاولية والاولوية في مثل إمامة الصلاة والخطبة من العبادات الاجتماعية. ولكن
لا يكلف مسلم أن يتبعه في اجتهاده في أمور العقائد والعبادات الشخصية، وإنما تجب
طاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه من حيث هو حاكم اذا لم يكن مهصية. وقد أمر بعض
خلفاء العباسيين بالقول بخلق القرآن مخالفاً لأهل السنة كالشافعي وأحمد
ولم يكونوا يخالفونهم فيما يحكمون به أو يأمرون من الامور السياسية والمدنية
الموافقة للشريعة، وسنبن أحكام الخلافة في مقال آخر

إننا نرى أن أهم مصالح المسلمين السياسية الآن أن يؤيدوا الترك الكمالين
في موقفهم أمام دول أوربة الطامعة في اغتصاب ما بقي للمسلمين من ملك وملك،
وهو دون ما اغتصبته من قبل، وان لا نجمل خطأهم في مسألة الخلافة سبباً لضعفهم
في هذا الموقف، بل ندعه الى أن يتم الصلح ويحق لهم الاستقلال الصحيح
المطلق من قيود النفوذ الاوربي فحينئذ ندلي اليهم بما لدينا من الحجج الشرعية
والسياسية، على ما يجب أن يكون عليه مقام الخلافة الشرعية من سلطان
وتفوذ، ومنه اثبات أن سلطة الخليفة مقيدة بالشرع والشورى، وأنه هو الممثل
لسلطة الامة ووحدها لا صاحب سلطة فردية مستبدة، وان الاشتراط عليه
عند المبايعة من سنن الراشدين التي جرى عليها الصحابة، فان عبد الرحمن بن عوف
لما فوض اليه رجال الشورى الامر واراد مبايعة علي أو عثمان اشترط على من
ولاه اتباع سيرة من قبله فقبل، والسلطة الحقيقية في الحكومة الاسلامية لجماعة
أهل الحل والعقد الذين لا يكون الخليفة خليفة الا بمبايعتهم كما فصلناه في
تفسير قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وسنلخصه
في مقالة الخلافة التي وعدنا بها آنفاً

ان أولي الامر وأهل الحل والعقد في الدولة التركية في هذا الوقت هم الجمعية
الوطنية الكبرى في أنقرة، وهم الذين اذا نجحوا تنجو الدولة واذا خذلوا
وخابوا (لا سمح الله) تهلك الدولة، ولم يكن الخليفة الذي نأوه هم وناوؤه هو

الامام الحق المتجلي بشروط الامامة والقائم بحقوقها حتى يجب نصره عليهم ، بل كان جماهير المسلمين يقرون له بمنصب الخلافة لاجل تقوية الدولة والامة بهذا المنصب امام الاعداء ، فاذا انقلب الامر ، وانعكس الوضع ، وصار اعداء الملة هم الذين يستعينون بمنصبه على سلب سلطتها ، والاستيلاء على بلادها — فهل يقول من له أدنى مسكة من الدين أو العقل بنصر اعداء الاسلام على المسلمين لاجل من سلحوه بهذا اللقب ليكون قوة للمسلمين على اعدائهم ؟

لعل الانكيز يظنون أن المسلمين قد سفهوا أنفسهم ، حتى انحدروا الى هذا الدرك الاسفل من الجهل بدينهم ومصالحهم ، وأنه يمكنهم أن يتخذوا محمد وحيد الدين ، فتنة المسلمين ، ولا سيما اذا وضعوه في مكة ، واتحد مع صنيعتهم الاول ملك الحجاز على اثاره هذه الفتنة في البلاد المقدسة ، وهو على كونه قد حكم عليه بالمرور من الاسلام ، لم يخرج عن سياسته بدعوته الآن الى الإقامة عنده في المسجد الحرام ، الذي حرم الله ان يقربه المشركون والكفار — فان تكفيره او لا خدمة للانكيز ونصر لهم على الدولة التركية ، ودعوته الآن الى مكة خدمة لهم كذلك ، ولكنها خدمة خاسرة ، في الاولى والآخرة

لو عرف جماهير المسلمين في الاقطار المختلفة الحقيقة التي بينها آتفا لما اكثروا الخوض في مسألة الخليفة الذي والى اعداء امته وملته ، ولا في مسألة خلفه ، ولا في تخطيط حكومة الجمعية الوطنية او تأييدها في امره ، ولحصروا تأييد هذه الحكومة بما يقوي مركزها امام اعدائها ، ونصحوا لها بأن ترجيء البت في مسألة الخلافة الى الوقت المناسب لها ، ولكن اقناع غير المحصورين بذلك متعذر . والظاهر لي ان الجمهور الاعظم على الرأي الذي ظهر لنا انه الصواب ، وان جهر بعضهم بما يخالف في السلب أو الايجاب . ومن المضحكات ان مسلمي سورية عظم عليهم امر سلب السلطة من الخلافة حتى انتقم بعضهم من صورة مصطفى كمال باشا التي كانوا يرفعونها تكريماً لها

واما الجرائد ، فقد جاءتنا بالنقائض ، فمن الكتاب فيها من انكر ما حصل انكاراً شرعياً ، ومنهم من حاول جعله شرعياً بالتأويل ، ومنهم من بحث عن شواذ التاريخ واعتداء الخارجين على الخلفاء فأراد ان يجعله امراً مشروعاً يحتذى ومنهم من اظهر سروره بازالة سلطة الخلافة ، بالفصل بين السياسة والحكومة ، وبين الدين والشريعة ، وهؤلاء من غلاة المتفرنجين الملحدين ، الذين نرد عليهم في

مقالات (مدنية القوانين) ونحن ندعو المسلمين الى العطف على الدولة التركية الجديدة، وتأييدها بأشد ما كنا نؤيد به الدولة العثمانية التليدة، ولا نرى أننا محتاجون في سبيل ذلك الى الانحراف عن شيء من أحكام ديننا. ولا الى الاقرار بأن كل ما عملته هذه الدولة أو عملته صوابا. فأما نحن نؤيدها في مقاومة المعتدين عليها وعلينا. ولا نشترط لذلك أن تكون معصومة في أعمالها، لافي مسألة الخلافة ولا في غيرها. وقد ترجمت لنا الجرائد خطبا واقوالا في هذا الموضوع لزعماء الكمالين أهمها خطبة للغازي مصطفى كمال باشا نفسه وسننشرها في الجزء التالي ان شاء الله تعالى

وجملة القول إن آخر ما جاء من أبناء هذا الانقلاب (الى سلخ هذا الشهر) بعد كتابة ما تقدم، ان الكمالين قد امضوا امر محو الدولة العثمانية من لوح الوجود، وجعلها من قصص ألواح التاريخ. وأنهم انتخبوا عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة على شرطهم. لا امر له ولا نهي في حكومتهم. ولعلمهم يستفيدون بذلك تخفيف ضغط الانكيز عليهم، وشدة تأييد الروس لهم، فأنهما اشد الدول خوفا من عاقبة سلطة الخلافة الدينية، الاولى تُرف على مستعمراتها الاسلامية، والثانية تخاف على دعوتها البلشفية، ولا ضرر على الاسلام فيما وقع، فالخلافة العثمانية كانت اسمية فائدتها انتفاع الدولة العثمانية بنفوذها السياسي، فلتنتم الدولة التركية الآن باعلان التخلي عنه، الى ان تقتنع ثانية بالانتفاع به، وليس من البعيد ان تقتنع في زمن قريب بوجود إقامتها على حقها، وقيامها بكل ما يمكن من وظائفها، كاحياء الدعوة الى الاسلام، ومقاومة تيار الاحاد والابتداع، واقامة الحدود وتنفيذ الاحكام، وجباية الزكاة وتوزيع الصدقات، وتلافي ضرر التفرق باختلاف المذاهب والاجتهاد، بجمع الكلمة على قواعد الاجماع، ووضع نظام للتعامم الديني والوعظ والارشاد، حتى تعترف جميع الحكومات الاسلامية بها، وتأخذ التفويض باقامة الدين وتنفيذ الشرع من ممثلها، وطالما خطر في بالنا انه يجب ان يكون لها ديوان خاص، مؤلف من عقلاء العلماء واولي الاختصاص، المختارين من جميع المذاهب الاسلامية في الاقطار المتفرقة. ومن ممثلي حكوماتها المختلفة. وقد كاشفنا بهذا الرأي، من يعدون أولى اولي الامر وارباب الشأن. والله الاصر من قبل ومن بعد.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

بقر في الحكمة من بقاءه من يؤت الحكمة
فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا أولو الالباب

١٣١٥

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنا را » كمنار الطريق —

٢٩ ربيع الآخر ١٣٤١ - ٢٦ القوس (خ ٣) سنة ١٣٠١ هـ ١٨ ديسمبر ١٩٢٢

الأحكام الشرعية

﴿ المتعلقة بالخلافة الإسلامية ﴾

لقد كانت الخلافة والسلطنة فتنة للناس في المسلمين كما كانت حكومة الملوك فتنة لهم في سائر الأمم والملل. وكانت هذه المسألة نائمة فأيقظتها الأحداث الطارئة في هذه الأيام، إذ أسقط الترك دولة آل عثمان، وأسسوا من أنقاضها فيهم دولة جمهورية بشكل جديد. من أصوله أنهم لا يقبلون أن يكون في حكومتهم الجديدة سلطة لفر من الأفراد إلا باسم خليفة ولا باسم سلطان، وانهم قد فصلوا بين الدين والسياسة فصلاً تاماً، ولكنهم سمو أحد أفراد أسرة السلاطين السابقين، خليفة روحياً لجميع المسلمين وحصر بها هذه الخلافة في هذه الأسرة، كما بينا ذلك بالتفصيل في هذا الجزء وما قبله من المنار، لذلك كثرت خوض الجرائد في مسألة الخلافة وأحكامها، فكثرت الخطط والخبيط فيها، ولبس الحق بالباطل؛ فرأينا من الواجب علينا أن نبين أحكام شريعتنا فيها بالتفصيل الذي يقتضيه المقام، ليعرف الحق من الباطل، وأن نقفي على ذلك بمقال آخر في مكان نظام الخلافة من نظم الحكومات الأخرى وسيرة المسلمين فيه وما ينبغي لهم في هذا الزمان، وإن تأييدنا للحكومة التركية الجديدة، لما يوجب علينا هذا البيان والنصيحة، ونحن إنما نؤيدها لما كان الدين، ومصالح المسلمين، وما أضعف ديننا وأهلنا، إلا محاباتهم للأقوياء فيه، فكانت محاباة العلماء للملوك والخلفاء وبالأعلى عليهم وعلى الناس، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء (لتبينته للناس ولا تكتمونه) — ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ومن الله نستمد الصواب؛ ونسأله الحكمة وفصل الخطاب:

(المنار: ج ١٠) (٩٢) (المجلد الثالث والمشرون)

١ - التعريف بالخلافة

الخلافة، والامامة العظمى، وإمارة المؤمنين - ثلاث كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا قال العلامة الاصولي المحقق السعد التفتازاني في متن مقاصد الطالبين ، في علم أصول عقائد الدين^(١) : « الفصل الرابع - أي من العقائد السمعية - في الامامة وهي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلامة الفقيه ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية^(٢) الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا

وكلام سائر علماء العقائد والفقهاء من جميع مذاهب أهل السنة لا يخرج عن هذا المعنى ، الا أن الامام الرازي زاد قيداً في التعريف فقال : هي رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لنفسه . قال السعد في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد في التعريف وما علله به : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اه

٢ - حكم الامامة أو نصب الخليفة

أجمع سلف الامة واهل السنة وجمهور الطوائف الأخرى على ان نصب الامام أي توليته على الامة واجب على المسلمين شرعا لاعتقلا فقط كما قال بعض المعتزلة واستدلوا بأمر يخصها السعد في متن المقاصد بقوله : لنا وجوه (الاول) الاجماع وبين في الشرح ان المراد اجماع الصحابة قال وهو العمدة ، حتى قدموه على دفن النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) انه لا يتم الا به ما وجب من اقامة الحدود وسد الثغور ونحو ذلك مما يتعلق بحفظ النظام (الثالث) ان فيه جلب منافع ودفع مضار لا تحصى وذلك واجب اجماعا (الرابع) وجوب طاعته

« ١ » توفي سعد الدين سنة ٧٩١ وطبع شرحه للمقاصد في الاستانة سنة ١٣٠٥ وهو عمدة علماء الكلام من العرب والترك وغيرهم « ٢ » توفي سنة ٤٥٠ وكتابه هذا فريد في بابه وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٢٨ و مترجم بعدة لغات

ومعرفته بالكتاب والسنة ، وهو يقتضي وجوب حصوله وذلك بنصبه اه
ومعنى الاخير أن ما اجمعوا عليه من وجوب طاعته في المعروف شرعا ووجوب
معرفته بالكتاب والسنة وكونها من أهم شروطه يقتضي ان نصبه واجب شرعا
وقد اطال السعد في شرح المقاصد في بيان هذه الوجوه وما اعترض به بعض
المبتدعة المخالفون عليها والجواب عنها

وقد غفل هو وأمثاله عن الاستدلال على نصب نصب الامام بالاحاديث
الصحيحة الواردة في التزام جماعة المسلمين وامامهم وفي بعضها التصريح بأن
« من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم من حديث لابن
عمر مرفوعاً ، وسيأتي حديث حذيفة المتفق عليه وفيه قوله (ص) له « تلزم
جماعة المسلمين وامامهم »

٣ - من ينصب الخليفة ويعزله

اتفق أهل السنة على ان نصب الخليفة فرض كفاية ، وان المطالب به أهل
الحل والعقد في الأمة ، ووافقهم المعتزلة والخوارج على ان الامامة تنعقد
ببيعة أهل الحل والعقد . ولكن اضطرب كلام بعض العلماء في أهل الحل والعقد
من هم ؟ وهل تشتط مبايعتهم كلهم ام يكتفى بمدد معين منهم ؟ ام لا يشترط
العدد ؟ وكان ينبغي ان تكون تسميتهم بأهل الحل والعقد مائة من الخلفاء
فيهم ، اذ المتبادر منه انهم زعماء الأمة واولو المكاة وموضع الثقة من سوادها
الاعظم ، بحيث تتبعهم في طاعة من يولونه عليها فينتظم به امرها ، ويكون بما من
من عصيانها وخرجها عليه ، قال السعد في شرح المقاصد كغيره من المتكلمين
والفقهاء : هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس ^(١) زاد في المنهاج للنووي الذين
يتيسر اجتماعهم . وعلة شارحه الرمي بقوله لان الامر ينتظم بهم ويتبعهم
سائر الناس . وهذا التعليل هو غاية التحقيق منطوقاً ومفهوماً فاذا لم يكن
المبايعون بحيث تتبعهم الأمة فلا تنعقد الامامة بمبايعتهم . وهذا هو المأخوذ من
عمل الصحابة رضي الله عنهم في تولية الخلفاء الراشدين فان عمر عدّ البدء في بيعة
ابي بكر فلتة لانه وقع قبل ان يتم التشاور بين جميع أهل الحل والعقد اذ لم

« ١ » قال الشيرازي في قولهم ووجوه الناس : من عطف العام على الخاص

فان وجوه الناس عظماءهم بامارة أو علم أو غيرها اه ص ١٢٠ ج ٧

يكن في سقيفة نبي ساعدة احد من بني هاشم وهم في ذروتهم ،
وتضافرت الروايات بأن أبا بكر (رض) اطال التشاور مع كبراء الصحابة
في ترشيح عمر فلم يعبه أحد له بشيء الا شدته ، وان كانوا يعترفون
انها في الحق فكان يجيبهم بأنه يراه يلين فيشتد هو - وهو وزيره - ليمتدل الامر ،
وان الامر اذا آل اليه يلين في موضع اللين ويشتد في موضع الشدة - حتى اذا
رأى انه أقنع جمهور الزعماء - وفي مقدمتهم علي كرم الله وجهه - صرح باستخلافه
فقبلوا ولم يشذ منهم أحد ، ولما طمن عمر رأى حصر الشورى الواجبة في
الستة الزعماء الذين مات الرسول (ص) وهو عنهم راض لعلمه بأنه لا يتقدم
عليهم احد ولا يخالفهم فيما يتفقون عليه أحد ، لانهم هم المرشحون للإمامة
دون سواهم (وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن
ابن عوف) ، ولما أخرج نفسه عبد الرحمن بن عوف منهم وجعلوا له الاختيار
بقي ثلاثا لا تكتحل عينه بكثير نوم وهو يشاور كبراء المهاجرين والانصار ،
ولما رجح عثمان دعا المهاجرين والانصار وامراء الاجناد فلما اجتمعوا عند منبر
رسول الله (ص) بعد صلاة الفجر صرح لهم باختياره وبايعه هؤلاء كلهم ،
رواه البخاري في صحيحه وغيره . والمراد بأمراء الاجناد الالة الاقطار
الكبرى مصر والشام وحمص والكوفة والبصرة وكانوا قد حجوا مع عمر في
ذلك العام وحضروا معه المدينة . ولما شذ احد هؤلاء الولة - وهو معاوية
فلم يبايع عليا كرم الله وجهه مع اجماع سائر المسلمين على مبايعته كان من الفتنة
وتفرق الحكمة ما كان . وانما تصح المبايعة باتفاقهم ، واتفاق الاكثرين الذين يتبعهم
غيرهم ، ومن لم يتبعهم بالاختيار ، سهل عليهم إكراهه بقوة الامة على الطاعة والالتقياد
ومن رؤسائهم في هذا العصر قواد الجيش ، كوزير الحربية واركان الحرب ،
ومتى تمت البيعة في العاصمة وجب ان تتبعها الولايات بمبايعة ولائها اذا كانوا
يتبعون فيها ، والا وجب ان ينضم اليهم زعماء أهلها من العلماء والقواد وغيرهم
وغلط بعض المعتزلة والفقهاء فقالوا ان البيعة تنعقد دائما بخمسة ممن
يصلح للإمامة بدليل ما أشار به عمر اذ حصر الشورى في الستة المرشحين وقبل
جميع الصحابة منه ذلك فكان اجماعا . نعم كان اجماعا في تلك الواقعة ، لا اجماعا
على ذلك العدد في كل مبايعة ، وقالوا ان مذهب الاشعري انها تنعقد بعقد واحد

منهم اذا كان بمشهد من الشهود وهو غلط أوضح . وقد ذكر هذا القول الفقهاء مقيدا بما اذا انحصر الحل والعقد فيه ^(١) بأن وثق زعماء الامة به وفوضوا أمرهم اليه ، وهذا لم يقع ويندر ان يقع . وامامة عثمان لم تكن بمبايعة عبد الرحمن بن عوف وحده بل كانت عامة لا خاصة به ، وكذلك مبايعة عمر لابي بكر ، فان الامامة لم تنعقد بمبايعته وحده بل بمبايعة الجماعة له ، وقد منح ان عمر أنكر على من زعم ان البيعة تنعقد بواحد من غير مشاورة الجماعة وكان بلغه هذا القول في أثناء حجه فمزم على بيان حقيقة امر المبايعة وما يشترط فيها من الشورى على جماهير الحجاج فذكره بعضهم بان الموسم يجمع اخلاط الناس ومن لا يفهمون المقال ، فيطرون به كل مطار ، وانه يجب ان يرجي هذا البيان الى أن يعود الى المدينة فيلقيه على اهل العلم والرأي ففعل

قال على منبر الرسول (ص) : بلغني ان قائلا منكم يقول والله لو مات عمر لبايعت فلانا - فلا يفترن امرؤ ان يقول ان بيعة ابي بكر كانت فلتة فتمت ، الا وانها قد كانت كذلك ولكن وفق الله شرها ، وليس فيكم من تتطع اليه الاعناق ^(٢) مثل ابي بكر ، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تفرقة ان يقتلا . ثم ساق خبر بيعة ابي بكر وما كان يخشى من وقوع الفتنة بين المهاجرين والانصار لولا تلك المبادرة بمبايعته للثقة بقبول سائر المسلمين . رواه البخاري وقد أقرت جماعة الصحابة عمر على ذلك فكان اجماعا فتحرر بهذا أن الاصل في المبايعة ان تكون بعد استشارة جمهور المسلمين واختيار أهل الحل والعقد ولا تعتبر مبايعة غيرهم الا أن تكون تبعاً لهم . وان عمل عمر (رض) خالف هذا الاصل القطعي فكان فلتة لمقتضيات خاصة لا أصلاً شرعياً يعمل به ، ومن تصدى لمثله فبايع احداً فلا يصح ان يكون هو ولا من بايعه اهلاً للمبايعة ، بل يكون ذلك تفريراً قد يفضي الى قتلها اذا أحدث في الامة شقاقاً يوجب

٤ - سلطة الامة ومعنى الجماعة

قال الله تعالى في وصف المؤمنين (وامرهم شورى بينهم) والقرآن يخاطب جماعة المؤمنين بالاحكام التي يشرعها حتى احكام القتال ونحوها من الامور العامة

«١» الرملي في شرح المنهاج ص ١٢٠ ج ٢ «٢» اي اعناق المطي في الرحلة اليه

التي لاتتعلق بالافراد كما بيناه في التفسير ، وقد امر بطاعة اولي الامر — وهم جماعة — لاولي الامر، وذلك ان ولي الامر انما يطاع بتأييد جماعة المسلمين الذين بايعوه ووثقهم به، ويدل على هذا المعنى ماورد من الاحاديث الصحيحة في التزام الجماعة وكون طاعة الامير تابعة لطاعتهم واجتماع الكرامة بسلطتهم كحديث ابن عباس في الصحيحين عن النبي (ص) قال « من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه فان من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية » ولما اخبر النبي (ص) حذيفة بن اليمان بما يكون في الامة من الفتن في الحديث الصحيح المشهور قال فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال (ص) « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قال قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها » الخ

قال الطبري بمد ذكر الخلاف في الجماعة ، ومنه حصر بعضهم إياه في الصحابة ، والصواب لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة (قال) وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا ينبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع ان استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر اه نقله عنه الحافظ في شرح البخاري واقره

هؤلاء الجماعة هم اولو الامر من المسلمين واهل الحل والعقد ومنهم اولو الشورى لدى الامام، ومتى خوطب المؤمنون في الكتاب والسنة وآثار الصحابة في امر من الامور العامة فهم المعنيون المطالبون بتنفيذ الامر، ومن الآثار الدالة على الاجماع في ذلك قول ابي بكر (ر ض) في خطبته الاولى بعد المبايعة : أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمتم فأعينوني ، واذا زغت فقوموني . وروي نحوه عن عمر وعثمان : وهم الذين فرضوا له رانب الخلافة لرحل من أوساط المهاجرين لا أعلام ولا أدنام

وقد تقدم في التعريف بالخلافة قول الرازي ان الرئاسة العامة هي حق الامة التي لها أن تعزل الامام (الخليفة) اذا رأت موجبا لعزله ، وقد فسر السعد معني هذه الرئاسة لثلاث سنن شكل فيقال اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرءوس ؟ فقال إنه يريد بالامة اهل الحل والمقدأى الذين يمثلون الامة بما هم فيها من الزعامة والمكانة ، ورئاستهم تكون على من عداهم أو على جميع أفراد الامة . والثاني هو الصحيح ويؤيد هذا تفسير الرازي لاولي الامر في قوله تعالى (٤ : ٥٨) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا

الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فقد حقق أن المراد بأولي الأمر أهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الأمة . وقد تابعه على هذا النيسابوري واختاره الاستاذ الامام ، ووضعناه في التفسير مستدلين عليه بقوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ومن المعلوم بالضرورة أن أولي الأمر الذين كانوا مع الرسول يرد اليهم معه أمر الأمن والخوف وما أشبهها من المصالح العامة ليسوا علماء الفقه ولا الأمراء والحكام — بل أهل الشورى من زعماء المسلمين^(١)

٥ — شروط أهل الاختيار للخليفة

اشترط العلماء في جماعة المسلمين أهل الحل والعقد شروطا بينها الماوردي في الاحكام السلطانية بقوله :

(فصل) فاذا اثبت وجوب الامامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم^(١) فاذا قام بها من هو اهلها سقط فرضها عن الكافة وان لم يقم بها احد خرج من الناس فريقان (احدهما) اهل الاختيار حتى يختاروا اماماً للأمة (والثاني) أهل الامامة حتى ينتصب احدهم للامامة . . .

فاما اهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة (احدهما) المدالة الجامعة لشروطها (والثاني) العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها (والثالث) الرأي والحكمة المؤديان الى اختيار من هو للامامة اصلح ، وبتدبير المصالح اقوم واعرف . وليس لمن كان في بلد الامام على غيره من هل البلاد فضل مزية يقدم بها عليه ، وإنما صار من يحضر ببلد الامام متوليا لعقد الامامة عرفا وشرعا ، لسبق علمهم بموته ، ولان من يصلح للامامة في الاغلب موجودون في بلده اه (فتح الباري)

أقول لهذه الشروط مأخذ من هدي السلف فقد قال الطبري : لم يكن

(١) راجع تفسير « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » في آخر تفسير المجلد ١٣ وأول ١٤ من المنار أو الجزء الخامس من التفسير ص ١٨٠ — ٢٢٢ المراد بطلب العلم هنا تحصيل ما فوق الفروض العينية من علوم اللغة والشرع وفنون المعيشة والطب والقتال

في أهل الاسلام أحده من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للسته الذين جعل عمر الامر شورى بينهم ، اه
أما العدالة التي هي الشرط الاول فهي عند الفقهاء عمارة عن التحلي بالفرأض والفضائل ، والتخلي عن المعاصي والرذائل ، وعمائخل بالمروءة ايضاً ، واشترط بعضهم فيها ان تكون ملكة لا تكلفاً ، ولكن التكلف اذا التزم صار خلقاً
وأما العلم فيعلمون به علم الدين واذا اطلقوه كان المراد به العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد ، ويفهم من كلام بعضهم ان الاجتهاد في الشرع شرط في مجموعهم لاني كل فرد منهم ، فقد قال في الروضة وأصلها انه يشترط ان يكون فيهم مجتهد وتقييده شرط العلم بما قيده به يدل على أنه يختلف باختلاف الزمان فان استحقاق الامامة في هذا العصر يتوقف على علوم لم يكن يتوقف عليها في العصور القديمة ، وقد ذكر بعض العلماء أن من مرجحات اختيار الصحابة لابي بكر (رض) أنه كان أعلمهم بأنساب العرب وبأحوالهم وقواتهم ، ولأجل هذا لم يهب من قتال أهل الردة ما هابه عمر ، ولا بد الآن للامام وجماعة الشورى (أهل الحل والعقد) الذين هم قوام إمامته وأركان حكومته من العلم بالقوانين الدولية والمعاهدات العامة ، وبأحوال الأمم والدول المجاورة لبلاد الاسلام وذات العلاقات السياسية والتجارية بها من حيث سياستها وقوتها وما يخاف ويرجى منها ، وما يحتاج اليه لاتقاء ضررها والانتفاع بها ، ..
ومن الآثار في ذلك قول الحافظ في الكلام على مبايعة عثمان من (الفتح) :
والذي يظهر من سيرة عمر في امرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد انه كان لا يراعي الا فضل في الدين فقط بل يضم اليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فيها فلاجل ذلك استخاف (أي أمر) معاوية والمغيرة بن شعبة وعمر بن العاص مع وجود من هو أفضل منهم في أمر الدين والعلم كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة اه وسيرة أبي بكر وعمر في الخلافة يقتدي بها ولا سيما في الامور العامة الكلية التي تسمى سنة بدليل اشتراط عبد الرحمن إياها مع سنة الرسول على علي وامتناعه عن ترجيحه لعدم جزمه في الجواب أو تقييده بالاستطاعة وترجيحه لعثمان لجزمه بغير قيد لان سنتهما نالت الاجماع ولقوله (ص) « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه احمد والترمذي

وابن ماجه عن حذيفة وصححوه ، وبالنسبة لفقهاء المذاهب المدونة فمدوا أعماله قواعد في الجزئيات كالخراج ومعاملة أهل الذمة وهي أعمال اجتهادية تتبع المصلحة وهذا العلم هو المادة لما ذكر في الشرط الثالث من الحكمة وجودة الرأي . ولم يشترط قوة المصيبة فيهم لان المفروض انهم أهل الحل والعقد الذين تعتمد عليهم الامة في امورها العامة ، وأن أحكام الشرع فيها هي الحاكمة والنافذة ، وان المسلمين لا يدينون الا بها ، ولا يخضعون الا لمن ينفذها ، وأما التغلب بعصبية الجنس فليس من هدي الاسلام في شيء ، بل هو خروج عن هدايته ، وحكمه فيه سيذكر بعد

فعلم مما تقدم ان لقب أهل الحل والعقد مراد به معنى المصدرين فيه بالقوة وبالفعل وهم الرؤساء الذين تتبعهم الامة في امورها العامة ، واهمها نصب الامام الاعظم وكذا عزله اذا ثبت عندهم وجوب ذلك ، ومن يملك التولية يملك العزل ، كما تقدم بيانه في مسألة سلطة الامة ، قال امام الحرمين في الامام الذي « جازو ظهر ظلمه وغشمه ولم يرعو لزاجر عن سوء صنيعه : فلاهل الحل والعقد التواطؤ على ردعه ولو بشهر السلاح ونصيب الحروب » ^(١) ومن ظن ان كل من يوصف بالعلم والوجاهة تمنعده ببيعهم الامامة ويجب على الامة اتباعهم فيها فقد جهل معنى الحل والعقد ومعنى الجماعة والاجماع ، وما تقدم من الاخبار والآثار ، ومن كلام المحققين في المسألة ولا سيما شروط اهل الاختيار :

٦ - الشروط المعتبرة في الخليفة

قال السعد : وقد ذكر في كتبنا الفقهية انه لا بد للامة من امام يحمي الدين ويقيم السنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضمها مواضعها . ويشترط أن يكون مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً ذا رأي وكفاية سمياً بصيراً ناطقاً قريشياً . فان لم يوجد في قريش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كنتاني فان لم يوجد فرجل من ولد اسماعيل فان لم يوجد فرجل من المعجم اه ^(٢) والمراد بقوله مجتهداً الاجتهاد في الاحكام الشرعية ، بالعلم بأدلتها التفصيلية والتفصيل الاخير في حال فقد القرشي للشافعية وقيل انه من فرض ما لا يقع ،

« ١ » شرح المقاصد « ٢٧٢ ج ٢ » « ٢ » « ص ٢٧١ ج ٢ » ايضا

(المنار : ج ١٠) (٩٣) (المجلد الثالث والعشرون)

وكل ما قبله متفق عليه عند أهل السنة ، الا الحنفية فقد أجاز بعضهم تولية غير العالم المجتهد لانه يستعين بالفتين المجتهدين كلقضاء وقد قال الشيخ قاسم بن قلطوبغا في حاشيته على المسامرة لشيخه الكمال بن الهمام ^(١) ان الشروط التي لا تنعقد الخلافة بدونها عند الحنفية هي الاسلام والذكورة والحرية والعقل وأصل الشجاعة وان يكون قرشيا . اهـ أي وما عدا هذه فشروط تقديم في الاختيار لا شروط العقاد ووضع الماوردي هذه الشروط بقوله ^(٢)

« وأما أهل الامامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة (احدها) المدالة على سروطها الجامعة (والثاني) العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام (والثالث) سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها (والرابع) سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض (والخامس) الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدير المصالح (والسادس) الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو (والسابع) النسب وهو ان يكون من قريش لورود النص فيه ، وانعقاد الاجماع عليه ، ولا اعتبار بضرار حين شذ فجزها في جميع الناس لان أبا بكر الصديق (رض) احتج يوم السقيفة على الانصار في دفعهم عن الخلافة لما بايعوا سعد بن عبادة عليها (أي أرادوا مبايعته) بقول النبي (ص) « الأئمة من قريش » فأقلموا عن التفرد بها ، ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، تسليما لروايته ، وتصديقا لخبره ، ورضوا بقوله : نحن الاصرء ، وأنتم الوزراء . وقال النبي (ص) « قدموا قريشا ولا تقدموها » — أي ولا تقدموها — وليس مع هذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه ، ولا قول لمخالف له . اهـ

أقول : قد تقدم الكلام في المدالة والعلم المشترطين في أهل الاختيار ويأتي مثله هنا بالاولى ، أما الاجماع على اشتراط القرشية فقد ثبت بالنقل والفعل ، وراه ثقة المحدثين واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم . وجرى

(١) توفي الكمال سنة ٨٦١ وهو من أجل علماء الحنفية قيل انه بلغ درجة الاجتهاد المطلق وتوفي الشيخ قاسم المذكور سنة ٨٧٨ والظاهر انه من علماء الترك ، والمسامرة مطبوعة مع شرحها للكامل بن ابي شريف الشافعي المتوفى سنة ٩٠٥ . وحاشية الشيخ قاسم بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٦ (٢) ص (٥٠٤) من الاحكام السلطانية

عليه العمل بتسليم الانصار واذعانهم لبني قريش ثم اذعان السواد الاعظم من الامة عدة قرون حتى ان الترك الذين تغلبوا على العباسيين وسلبوهم السلطة بالفعل لم يتجرأ أحد منهم على ادعاء الخلافة ولا التصدي لانتجالها حتى بالتغلب الذي يجيء الكلام فيه بعد ، وما ذلك الا لان الامة كلها مجمعة على ما ذكره ممتقدة له ديناً بل كانوا يدعون النيابة عنهم ،

وأما الاحاديث في ذلك فكثيرة مستفيضة في جميع كتب السنة وقد اخرجوها في كتب الاحكام وأبواب الخلافة أو الامارة والمناقب وغيرها ولم يقع خلاف في مضمون مجموعها بين أهل السنة من عرب ولا عجم ، ولم يتصد أحد من علماء الترك لتأويلها ، وقد طبع بعض الكتب المثبتة لها في الآستانة باذن نظارة المعارف حتى في زمن السلطان عبد الحميد الذي لم يهتم بلقب الخليفة أحد مثله ومنها شرح المقاصد الذي نقلنا عنه هنا ما نقلنا ، وكذا المواقف مع شرحه وحواشيه . وحديث « قدموا قريشاً ولا تقدموها » الذي ذكره الماوردي رواه الشافعي والبيهقي في المعرفة بلاغاً وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة والبخاري في مسنده من حديث علي كرم الله وجهه والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن السائب بأسانيد صحيحة . وفي معناه حديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين « الناس تبم لقريش في هذا الشأن » ولا يزيد ذكر بقية الاحاديث وانما خرجنا الحديث الذي اعتمده الماوردي وذكرنا ما يشرب منه في لفظه لانه لم يخرجه وحسبنا من قوة حديث « الاثمة من قريش » من حيث الرواية قول الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند ذكره في المناقب من صحيح البخاري ما نصه : قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابياً لما بلغني ان بعض فضلاء العصر ذكر انه لم يرو الا عن أبي بكر الصديق اه و ذكر الحافظ ان لفظ أبي بكر لسعد ابن عباد في السقيفة في مسند أحمد : والله لقد علمت ياسعد ان رسول الله (ص) قال وأنت قاعد « قريش ولاة هذا الامر » فقال له سعد : صدقت . فمن علم هذا لا يلتفت الى ما يذكره بعض أهل هذا العصر من تأويل تلك الاحاديث والبحث في اسانيد بعض ، او من ان شرط القرشية من الشروط الخلافية وان قال هذا بعض كبار المتكلمين فان هؤلاء يذكرون أمثال هذه الخلافات الشاذة عن بعض المبتدعة لاجل الرد عليها ، لا لانها كاخلاف بين أئمة الحق في المسائل الاجتهادية

وغرض من يماري أو يكتم شرط القرشية في هذا العصر تصحيح خلافة سلاطين بني عمان ، وهذا مالا سبيل اليه عند أهل السنة المشترطين للقرشية باجماع مذاهبهم الا بقاعدة التغلب ، وأما عند الخوارج فلا سبيل اليه البتة . لانهم انما أنكروا شرط القرشية ، نعالحصر الامامة في بيت معين . وماذا يضر العثمانيين ان تكون خلافتهم بالتغلب وقد قال بعض الفقهاء في بني أمية وبني المباس كلهم أو جلهم مثل ذلك

وأما حكمة حصر النبي (ص) الخلافة الشرعية فيهم أو سببه فقد ذكر المتكلمون والفقهاء فيه ما روي من قول أبي بكر الصديق فيه للانصار في سقيفة بني ساعدة : من انهم أوسط العرب نسبا ودارا ، وأعزهم أحسابا . وزاد بعضهم ما كان الصديق في غنى عنه في ذلك الوقت . وأجمع كلام لهم في هذا ما ذكره الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) (١) وفي بعضه نظر قال : — « والسبب المفضي لهذا ان الحق الذي أظهره الله على لسان نبيه (ص)

انما جاء بلسان قريش وفي عاداتهم ، وكان أكثر ما تعين من المقادير والحدود ما هو عندهم ، وكان المعدل لكثير من الاحكام ما هو فيهم ، فهم أقوم به ، وأكثر الناس تمسكا بذلك ، وأيضا فان قريشا قوم النبي (ص) وحزبه ولا نخر لهم الا بعلو دين محمد (ص) وقد اجتمع فيهم حمية دينية ، وحمية نسبية ، فكانوا مظنة القيام بالشرائع والتمسك بها ، وأيضا فانه يجب أن يكون الخليفة ممن لا يستنكف الناس من طاعته لجلالة نسبه وحسبه ، فان من لا نسب له يراه الناس حقيرا ذليلا ، وأن يكون ممن عرف منهم الرئاسات والشرف ، ومارس قومه جمع الرجال ونصب القتال ، وأن يكون قومه أقوياء يحمونه وينصرونه ويبذلون دونه الأتفس ، ولم تجتمع هذه الامور الا في قريش ولا سيما بعد ما بعث النبي (ص) ونبئه به أمر قريش ، وقد أشار أبو بكر الصديق (رض) الى هذه فقال : ولن يعرف هذا الامر الا لقريش هم أوسط العرب دارا الخ «

« وانما لم يشترط كونه هاشميا مثلا لوجهين (أحدهما) أن لا يقم الناس في الشك فيقولوا انما أراد ملك أهل بيته كسائر الملوك فيكون سببا للارتداد ،

(١) ولد سنة ١١٠١ وتوفي سنة ١١٧٦ وهو مجدد علوم الدين في الهند في القرن

الثاني عشر وكتابه هذا في حكمة التشريع طبع في الهند وصر مرارا

ولهذه العلة لم يعط النبي (ص) المفتاح (أي مفتاح الكعبة) للعباس ابن عبد المطلب (رض) (والثاني) أن المهم في الخلافة رضاء الناس به واجتماعهم عليه وتوقيرهم إياه وان يقيم الحدود ويناضل دون الملة وينفذ الاحكام ، واجتماع هذه الامور لا يكون الا في واحد بعد واحد ، وفي اشتراط أن يكون من قبيلة خاصة تضيق وخرج فربما لم يكن في هذه القبيلة من تجتمع فيه الشروط وكان في غيرها « اه

وأقول : إن الله تعالى ختم دينه وأتمه وأكمله بكتابه الحكيم الذي أنزله « قرآناً عربياً » (١) و « حكماً عربياً » (٢) على خاتم رسله العربي القرشي ، واقتضت حكمته أن يكون نشره في مشارق الارض ومغاربها بدعوة قريش وزعامتهم ، وقوة العرب وحماية هذه الدعوة بسيفهم ، وكل من دخل في الاسلام من الاعاجم وكان له عمل صالح فيه كان تابعاً لهم متلقياً عنهم ، على مساواة الشرع في أحكامه بينهم ، ونبوغ كثير من مواليتهم الذين استعربوا بالتبع لهم ، وكانت قريش في جملة بطونها أكل العرب خلقاً وأخلاقاً وفصاحة وذكاء وفهماً وقوة عارضة كما كانت أصرح نسباً في سلالة اسماعيل وأشرف تاريخاً في العرب بفضائلها وفواضلها وخدمتها لبیت الله تعالى — فكان مجموع هذه المزايا التي كملت بالاسلام مؤهلاً لها لاجتماع كلمة العرب عليها ، ثم كلمة من يدخل في الاسلام من غير قريش ، ولا سيما بعد النص من الرسول (ص) بذلك واجماع اصحابه عليه ، وجملة صلوات الله وسلامه عليه خلافة نبوته فيها وسببه امران (الاول) كثرة المزايا التي تفتش بها الدعوة ، وتكون بحسب طباع البشر سبباً لجمع الكلمة ، ومنع المعارضة والمزاجمة أو ضعفها — وكذلك كان ، فان الناس أذعنوا لهم على تنازعهم وكثرة من لم يقم باعباء الخلافة منهم ولا أخذها بحقها فلم يكونوا يبتغون بديلاً من فرداً أو بيت منهم ، الا الى آخر منهم ، وكان افضتات بعض الاعاجم على بعض العباسيين فسقا عن الشرع اكسائر أنواع التمدي على الاموال والاعراض (والثاني) أن تكون اقامة الاسلام متسلسلة في سلائل أول من تلقاها وودعاليها ونشرها حتى لا ينقطع اتصال سيرها المعنوي والتاريخي فان

« ١ » هذا اللفظ في سورة يوسف والزمر وفصلت والشورى والأحقاف

« ٢ » سورة الرعد آية ٣٩

الملل والامم وليدة التاريخ وريديته

ألم تروا أن سيرة الخلفاء الراشدين تعد هي المثل الاعلى لاحكام الكتاب والسنة النبوية وهديهما ، وان سيرة الخلفاء المدنيين من الامويين والعباسيين الذين نشروا العلوم والفنون ورقوا الحضارة في الشرق والغرب تعد أصل المدنية الاسلامية وسندها ؟ ألم تروا أن صلة العالم الاسلامي بعهد الاسلام الموضعي (الحجاز) تعد في الدرجة الثانية لصلته بكتابه وسنته ، حتى ان الخليفة الذي نصبته الدولة التركية الجديدة في الآستانة قد لقب نفسه بمخادم الحرمين الشريفين كالسلاطين الذين كان الحجاز خاضعاً لهم ؟

ألم تعلموا ان الاسلام على حرثه وسماحته قد خص الحجاز أو جزيرة العرب بأن لا يبقى فيها دينان وأوصى بذلك النبي (ص) في آخر حياته ؟ ألم يبلغكم أن بعض المؤرخين من غير المسلمين قال: لو ان الجيش الذي فتح جنوب فرنسا بعد فتح الاندلس كان كله او اكثره عربياً لملك اوربة كلها ودان له اهلها ، وانما انتفض الافرنج عليه لان اكثره كان من البربر الذين لم يفهموا الاسلام ولم يلتزموا احكامه في حفظ اليهود والمسلمين وعدم الاعتداء على الاموال والاعراض كالعرب ، أفرايتم لو جعل الاسلام خلافة النبوة مشاعاً وتغلب عليها المعجم من القرون الاولى أكان يحفظ الاسلام ولغته كما حفظ بنشر خلفاء قريش له من برهم وفاجرهم ؟ وهذا بحث يتسع المجال لشرحه ولكن في غير هذا المقال الذي نريد أن يكون بقدر الحاجة الطارئة ،

وقد أورد بعض فضلاء العصر شبهة على جعل الخلافة في قريش بأنها تعارض ما جاء به الاسلام من المساواة ومن نزع العصبية وتسود طائفة معينة على سائر المسلمين بل جعلها كالشبهة التي أوردتها بعض العلماء على الشيعة الذين يحصرونها في العلويين من أنها تفتح باب الطعن في الاسلام لغير المؤمنيين بزعمهم أن النبي (ص) انما أسس ملكاً لاهل بيته ، وكل ذلك ظاهر البطلان كما بيناه في موضع آخر من المنار فان قريشاً بطون كثيرة متفرقة وكان بينها من التعمادي في الجاهلية ما بين غيرها من قبائل العرب وبنطونها ومنه عداوة بني عبد شمس لبني هاشم التي خفيت في بعد فتح النبي (ص) لمكة وتأليفه لابي سفيان كبير بني أمية وفي خلافة أبي بكر وعمر ، وبدأ الاستعداد لظهارها

في خلافة عثمان وأظهرها معاوية بعده . ولم يتجدد لقريش شأن في زمن الراشدين لم يكن لها ولا في زمن الأمويين والعباسيين إلا أن الأمويين كانت عندهم عصبية لأهل بيتهم ثم للعربية فمقتهم العالم الإسلامي وقلوبهم قبل أن يستكمل ملكهم قرناً واحداً .

ولم يكن لبني تيم في خلافة أبي بكر ولا لبني عدي في خلافة عمر أدنى امتياز على أحد من أقرانهم ، ونزوان بني أمية على مصالح الأمة في زمان عثمان كان بسبب ضعفه ، لا بتمرّة عصبية منه ، ولم يغفر له الرأي الإسلامي العام هذا بل هاج الناس عليه حتى كان ذلك تمهيداً لتمكن أصحاب الدسائس الخفية في الإسلام من قتله ، أعني دسائس حزب عبدالله بن سبأ اليهودي والمجوس مشيري الفتن في الإسلام

وقد روي أن الامام العادل العاقل عمر حذر عثمان وعلياً وعبدالرحمن من مثل هذا الايثار للاقارب المنافي لهدي الإسلام والمفضي الى فساد الامر ، فقال لهم لما جعل الامر في الستة : ان الناس لن يمدوكم أيها الثلاثة ، فان كنت يا عثمان في شيء من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وان كنت يا علي فاتق الله ولا تحملن بني هاشم على رقاب الناس ؛ وقال لعبد الرحمن مثل ذلك . ذكره الحافظ في شرح البخاري ، وقوله ان الناس لن يمدوكم مبني على القاعدة التي قررناها وهي ان أمر الخلافة للامة لا للستة الزعماء الذين أراد عمر جمع كلمة الامة بجمع كلمتهم لعلو مكانتهم فيها بمناقبتهم على ان النبي (ص) قد أوعد قريشاً في بعض الاحاديث بانتقام الله منهم اذا لم يقيموا الحق والعدل والرحمة كما شرعها ، والاحاديث في ذلك متعددة منها قوله (ص) « يامعشر قريش انكم أهل هذا الامر ما لم تحذثوا فاذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب » رواه أحمد وأبو يعلى عن ابن مسعود بسند رجاله ثقات وله طريق آخر بلفظ آخر وشواهد ومنها « الامراء من قريش ما عملوا فيكم بثلاث - مارحموا اذا استرحموا وأقسطوا اذا قسموا وعدلوا اذا حكموا » رواه الحاكم عن أنس بسند حسن

هذا وان العباسيين لم يحملوا بني هاشم على رقاب الناس بل كانوا أشد من بني أمية وطأة على العلويين الذين هم خيارهم وفضلوا الفرس ثم الترك على العرب ،

وأما المسلمون فكانوا أزهق الناس في الدنيا وملكها ، ولولا ذلك لسعوا لها سمياً ، ومن صح منه الهوى أرشد للحيل ، ولم يتول أحد منهم الامامة بعد ان نزل عنها الامام الحسن السبط عليه السلام الا أمة الزيدية في اليمن فكانوا وما زالوا أفضل وأعدل أهل بيت تولوها بعد الراشدين . واما ادارسة المغرب فيلقبون بالسلطين وأما المبيديون فكانوا ادعاء في النسب وفي الاسلام أيضاً

وجملة القول ان الشعوبية اورردوا شبهات كثيرة على العرب وعلى قريش وأجاب عنها العلماء كابن قتيبة وغيره ، ولكل قوم محامد ومساوى ودين الله فوق كل شيء وما صح دليله واجمعت عليه الامة او سوادها الاعظم في خير القرون لا تقبل رأياً ولا بحثاً في نقضه والا لم يبق لنا شيء . من ديننا ، وما كانت أهواء المصيبة والمحابة في الدين الا فتنة لنا ، وضارة بعربنا وعجمنا ، وان جهل ذلك الكثيرون منا ، وان حكمة الشارع (ص) في جعل خلافة نبوته في قريش منزهة عن المصيبة الجاهلية التي حرماها ، ولبابها مكان قريش من هذا الدين ولقته وأهلها . إذ لم تقم له قائمة الا بهم وبها ، ثم لم يخدمه أحد من الاطاحم الا من أتقنها ، نخدمه أولاً من استعرب من الفرس ، ثم جدد قوة دولته العمانيون من الترك ، بعد ان مزق شمله وأضعفه سلفهم ، وسنئين بعد ما يجب له علينا وعليهم .

٧ - صيفة المبايعة

الامامة عقد تحصل بالمبايعة من أهل الحل والعقد لمن اختاروه اماماً للامة بعد التماور بينهم ، والاصل في البيعة أن تكون على الكتاب والسنة وإقامة الحق والعدل من قبله وعلى السمع والطاعة في المعروف من قبلهم . ففي الصحيح ان عبد الرحمن ابن عوف قال في مبايعة لعمان : أبايك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده ، وبايعة الناس على ذلك . وان الناس لما اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير بايعة عبد الله ابن همر (رض) بعد ان كان امتنم عن مبايعة معها لأجل الخلاف والتفرقة . فكتب اليه : اني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت . واني بني قد أقروا بذلك .

وكان الصحابة يبايعون النبي (ص) على السم والطاعة في المنشط والمكروه وقول الحق والقيام به فيما استطاعوا وعدم عصيانه في معروف ، كما قال تعالى في مبايعة النساء له (ولا يعصينك في معروف) وقد صح أن النبي (ص) هو الذي كان يلقنهم قيسد الاستطاعة عند المبايعة .^(١) وقد بايعوه أيضاً على الاسلام وعلى الهجرة وعلى الجهاد والصبر وعدم الفرار من القتال وعلى بيعة النساء المنصوصة في القرآن . والأحاديث في هذا معروفة في الصحيحين والسنن ، نخص بالذكر منها حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه ونفذه كما في كتاب الفتن من البخاري : دعانا النبي (ص) فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وان لا تنازع الامر أهله « إلا أن تروا كافرين بواحا عندكم من الله فيه برهان » ونفذه في باب المبايعة من كتاب الاحكام « بايعنا رسول الله (ص) على السم والطاعة في المنشط والمكروه وأن لا تنازع الامر أهله ، وأن تقوم أو تقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعة على السمع والطاعة الذي تقدم في الأصل عند قوله فيه من كتاب الفتن « وأن لا تنازع الامر أهله » أي الملك والامارة ،

وجملة القول ان العلماء اتفقوا على وجوب الخروج على الامام بالكفر واختلّفوا في الظلم والنسق لتعارض الادلة ومنها سد ذريعة الفتنة والتحقيق المختار ان على الافراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما دون الخروج على ولي الامر بالقوة ، وأما أهل الحل والعقد فيجب عليهم ما يرون فيه المصلحة الراجحة حتى القتال وقد تقدم النقل في هذا في مسألة سلطة الأمة وسنعود اليه في بحث ما يخرج به الامام من الخلافة

٨ - ما يجب على الأمة بالمبايعة

ومتى تمت المبايعة وجب بها على المبايعين وسائر الأمة بالتبع لهم الطاعة للامام في غير معصية الله والنصرة له ، وقتال من بغى عليه أو استبد بالامر دونه ، وسيأتي الكلام على دار العدل والجماعة ، وما يتعلق بها كحكم الهجرة وأهم ما يجب التذكير به من طاعة الامام الحق على كل مسلم وكذا الامم الضرورة أو التغلب على كل من بايعه بالذات ومن لزمته بيعة أهل الحل والعقد —

أداء زكاة المال والالعام والزرع والتجارة — والجهاد الواجب وجوباً كفاًياً على مجموع الأمة والواجب وجوباً عينياً على أفرادها رجالاً ونساءً على ما هو مبين في كتب الفقه ، كما يجب عليهم طاعة من ولاهم أمر البلاد من الولاة السياسيين والقضاة وقواد الحيوش دون غيرهم ، ويجب على هؤلاء الخاضوع له فيما يقيد به سلطتهم وفي عزله إياهم إذا عزلهم ، والشرط العام في الطاعة أن لا تكون في ممصية الله تعالى والاحاديث الصحيحة في هذا معروفة وتجمع على معناها . ومن الاخبار والآثار التي يحسن إيرادها هنا ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فاذا عبد الله بن عمرو بن الماص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست اليه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فبنا من يصلح هبابة ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره ^(١) اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه « الصلاة جامعة » فاجتمعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انه لم يكن نبي قبلي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وان أممكم هذه جمل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمر تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً ^(٢) وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه ، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذي يحب ان يؤتى اليه . ومن بايع اماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه . فليطعمه ان استطاع فان جاء آخر ينارعه فاضربوا عنق الآخر » فدنوت منه فقلت له : أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى الى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي ، فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل اموالنا بينما بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

(١) انتضلوا وتناضلوا — تباروا في الرمي بالسهام ومثلها الرضا ص . والجشمر بالتحريك الدواب تجعل في مكان ترعى فيه وتبيت ، وهو ما يسمونه الآن التربع (٢) يرقق الفتنة بعضها بعضاً : يجعله رقيقاً اي ضعيفاً وانما ذلك بمجيء

متأخرها أشد مما قبله ، فيعد المتقدم رقيقاً بالاضافة الى ما بعده

بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا. اتقوا ان الله كان بكم رحيمًا) قال فسكت ساعة ثم قال اطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله اه وقد أعز الله البشر بالاسلام ومقتضى الكتاب والسنة انه لا طاعة ولا خضوع فيه الا لله تعالى ، وطاعة الرسول من طاعته لقوله (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وطاعة اولي الامر كذلك لقوله (وأولي الامر منكم) ولذلك اشترط فيها ان تكون في تنفيذ اصول شرعه او فروعه . وقد قال بعض امرأة بني أمية لبعض علماء التابعين : أليس الله قد أمركم بأن تطيعونا في قوله (وأولي الامر منكم) ؟ فقال له : أليست قد نزلت عنكم — يعني الطاعة — اذ خالفتم الحق بقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ؟ نقله الحافظ في الفتح : قال ومن بديع الجواب وذكره . على ان اولي الامر هنا الجماعة أي الامة كما تقدم

٩ - ما يجب على الامام للامة والامة

يجب على الامام نشر دعوة الحق ، واقامة ميزان العدل ، وحماية الدين من الاعتداء والبدع ، والمشاورة في كل ما ليس فيه نص ، وهو مسئول عن عمله يراجع كل أحد من الامة فيما يراه أخطأ فيه ، ويحاسبه عليه أهل الحل والعقد ، وقد قال (ص) « الامام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » رواه الشيخان من حديث لابن عمر وغيرهما . وقد بين الماوردي ما يجب عليه في عشر قواعد كلية لم يذكر منها مسألة المشاورة ، على كثرة النصوص فيها ، واستفاضة آثار الراشدين في الجري عليها ، اتباعاً لما صح من عمل النبي (ص) بها ، قال : « والذي يلزمه من الامور العامة عشرة أشياء :

(أحدها) حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجم عليه سلف الامة ، فان نجم مبتدع أو زاع ذو شبهة عنه ، أو ضح له الحجة وبين له الصواب ، ولأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروساً من خلل ، والامة بمنوعة من زلل (الثاني) تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بين المتنازعين ، حتى تم النصفة فلا يتمدى ظالم ، ولا يضيع مظلوم (الثالث) حماية

البيضة^(١) والذب عن الحريم ، ليتصرف الناس في المعاش وينتسروا في الاسفار ، آمنين من تغريب بنفس أو مال (والرابع) اقامة الحدود لتحصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك (والخامس) تحصين الثغور بالمدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا تظهر الاعداء بغرة يذهبكون فيها محرماً ، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد^(٢) دماً (والسادس) جهاد من طاند الاسلام بعد الدعوة ، حتى يسلم أو يدخل في الذمة ، ليقام بحق الله تعالى في اظهاره على الدين كله (والسابع) جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف (والثامن) تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير (التاسع) استكفاء الامناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه اليهم من الاعمال ، ويكله اليهم من الاموال ، لتكون الاعمال بالكفاءة مضبوطة ، والاموال بالامناء محفوظة ، (العاشر) أن يباشر بنفسه مشاركة الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسة الامة ، وحراسة الملة ، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة ، فقد يخون الامين ويفش الناصح ، وقد قال الله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ، ولا عذره في اتباع الهوى حتى وصفه بالضلال . وهذا وان كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع . قال النبي عليه السلام « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ولقد أصاب الشاعر فيما وصف به الزعيم المدبر حيث يقول (البسيط)
وقلدهوا أمركم لله دركم رجب الدراع بأمر الحرب مضطلما
لامتروفا ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خسما
وليس يشغله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفما^(٣)

(١) البيضة في اللغة الواحدة من بيض الطير وبيضة الحديد ، وحوزة كل شيء وهي المراد هنا أي حوزة الامة وهو ما يسمونه اليوم بالامن العام
(٢) المعاهد هنا يشمل أهل الذمة ومن بيننا وبينهم معاهدات من الاجانب
(٣) هذا البيت لم يذكره الماوردي لئلا يتوهم انه ينبغي أن يكون ولي الامر أبتز معدما وان كان النفي للما والولد باعتبار ما وصفناه وهو الشغل بهما عن مصلحة الامة

ما زال يحاب دَرّ الدهر أشطره يكون متبماً يوماً ومتبماً حتى استمر على شزر صريرته مستحكماً الرأي لاغماً ولاضرعاً^(١) (أقول) عبارته في الواجب الأول في منتهي التحقيق ، وهو المحافظة على ما أجم عليه السلف الصالح من الدين واطلاق الحرية للامة فيما سواه من المسائل الاجتهادية من حيث العلم وعمل الافراد في العبادات ، واما ما يتعلق بالسياسة والقضاء المنوط بالحكومة فله أن يرجح بعض الاحكام الاجتهادية على بعض ، باستشارة العلماء من أهل الحل والعقد ، ولا سيما اذا لم يكن هو من اهل الاجتهاد في الشرع ، ولقد كان ائمة الدين يطيعون الخلفاء فيما يخالف اجتهادهم من امور الحكومة اذا لم يخالف النص القطعي من الكتاب والسنة ولكنهم لم يطيعوهم في القول بخلق القرآن لانه من امور العقائد التي خالفوا فيها السلف .

والجهاد الذي ذكره في الواجب السادس أراد به القتال العيني والبكفائي وانما يجب على كل مكلف اذا استولى العدو على بعض بلاد المسلمين وتوقف دفعه على ذلك والا اكتفى بمن يستنفرهم الامام بحسب الحاجة ؛ والجهاد قد يكون بالمال والاسان ومنه الدعوة الى الاسلام بالبرهان ، وتجب طاعة الامام في التعليم العسكري بنظام القرعة وغيره ، وعليه أن يمد للاعداء ما يستطيع من قوة ليقاتلهم بما يقاثلوننا به أو يفوقهم ، ومنه انشاء البوارج والخواصات والطيارات الحربية وأنواع الاسلحة الخ وتجب طاعته في ذلك كله بالمال والنفس بنص قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) واطحاب للامة وانما الرئيس هو الذي يوحد النظام فيها. وعلى هذا تكون العلوم والفنون الطبيعية والكياوية والآلية كلها من الواجبات الكفائية وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب وليس في الاسلام جهاد يجب به قتال كل مخالف وان كان معاهداً أو ذمياً

١٠ - الشورى في الاسلام

(أقول) وأهم ما يجب على الامام المشاورة في كل ما لانص فيه عن الله ورسوله ،

(١) المرير والمريرة الحبل والشزر القتل من جهة اليسار وهي اشده ، اي حتى ثبت واطرد عزمه وقوته على طريقة واحدة لا ترد فيها ولا ضعف كالحبل المقبول اشد القتل ، والفخم الضخم البطيء الحركة والضرع بالتحريك الضخم والجبان

ولا اجماع صحيحا يحتاج به ، أو مافيه نص اجتهادي غير قطعي ، ولا سيما أمور السياسة والحرب المبنية على أساس المصلحة العامة ، وكذا طرق تنفيذ النصوص في هذه الامور اذ هي تختلف باختلاف للزمان والمكان ، فهو ليس حاكما مطلقا كما يتوهم الكثيرون بل مقيد بأدلة الكتاب والسنة وسيرة ائمة الراشدين العامة وبالمشاورة ، ولولم يرد فيها الا وصف المؤمنين بقوله تعالى (وامرهم شورى بينهم) وقوله لرسوله (وشاورهم في الامر) لكفى ، فكيف وقد ثبتت في الاخبار والآثار قولاً وعملاً ، وسبب هذا الامر للرسول «ص» بالمشاورة في امر الامة ، جعله قاعدة شرعية لمصالحها العامة ، فان هذه المصالح كثيرة الشعب والفروع لا يمكن تحديدها ، وتختلف باختلاف الزمان والمكان فلا يمكن تقييدها ، وقد ذهب به من علماء السلف الى أن النبي «ص» كان غنيا عن المشاورة فلولا ارادة جعلها قاعدة شرعية لما أمره الله بها . روي عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى (وشاورهم في الامر) أنه قال: قد علم الله أنه مابه اليهم من حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده . وروي في المرفوع ما يؤيده فقد اخرج ابن عدي والبيهقي بسند حسن عن ابن عباس أن الآية لما نزلت قال رسول الله «ص» « اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي فن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يقدم غيا » اي شرعها الله تعالى لتحقيق الرشد في المصالح ومنع المفاسد فان الغي هو الفساد والضلال . ولكن الاحاديث الصحيحة ناطقة بأن النبي «ص» لم يكن مستغنيا عن غيره من الناس الا فيما ينزل عليه فيه الوحي وقال « انتم أعلم بامر دنياكم » رواه مسلم عن عائشة وأنس وقال « ما كان من امر دينكم فالي ، وما كان من امر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد وفي حديث رافع بن خديج في صحيح مسلم أيضا انه «ص» قال « إنما انا بشر ، اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر » وهذا هو الموافق لقوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي) فهو ممتاز على البشر بالوحي اليه ولكنه فيما عداه وعلما يستلزمه بشر تجوز عليه الاعراض البشرية ، ويحتاج الى غيره في الامور الكسبية ، وكونه اكمل البشر لا يقتضي ان يحيط بكل شيء علما ويقدر على كل عمل فان هذا الله وحده (قل لا أقول لكم عندئذ خزان الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك)

ولذلك كانوا اذا راجعوه في أمر امر به ورأوا المصلحة في غيره سألوه أقاله أو فعله بوحى من الله من رأيه؟ فاذا قال انه من رأيه ذكروا رأيهم وقد يعمل به ويرجحه على رأيه كما فعل في يوم بدر فقد جاء «ص» ادنى ماء فنزل عنده فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمزلاً أنزلك الله ليس لنا ان نتقدمه ولا ان نتأخر عنه؟ ام هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل فانهم بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم فنزله ثم نفوروا وراءه الخ فقال له النبي «ص» «لقد أشرت بالرأي» وعمل برأيه. وفي رواية ابن عباس عند ابن سعد أن جبريل نزل فقال للنبي «ص» الرأي ما اشار به الحباب بن المنذر

وقد استشار «ص» ابا بكر وعمر «رض» في اسرى بدر فاختلف رأيهما فقال «لو اجتمعنا ما عصيتكما» وكان رأيه موافقا لرأي ابي بكر فاتقده ثم نزل الوحي بما يؤيد رأي عمر وهو قوله تعالى (ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض) الآيتين فقال «ص» لعمر «كاد يصيبنا في خلافك شر» والروايات في هذه المسألة كثيرة. وكل هذا كان قبل امر الله تعالى اياه بمشاورتهم فانه نزل في غزوة احد وفيها رجح رأي الاكثرين على رأيه «ص» ورأي كثير من كبراء الصحابة (رض) وأخرج ابن مردويه عن علي كرم الله وجهه قال سئل رسول الله «ص» عن العزم — أي قوله تعالى (وشاورهم في الامر) فاذا عزمتم فتوكل على الله) فقال «مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم»

وقد حققنا مسألة الشورى في الحكومة الاسلامية بالتفصيل في تفسير هذه الآية من سورة آل عمران وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) من سورة النساء. وبيننا في الاول الحكمة في ترك الرسول «ص» نظام الشورى الامة وعدم وضع أحكام لها، وملخصه ان النظام يختلف باختلاف احوال الامة في كثرتها وقلتها وشؤونها الاجتماعية ومصالحها العامة في الازمنة المختلفة فلا يمكن ان تكون له احكام معينة توافق جميع الاحوال في كل زمان ومكان، ولو وضع لها أحكاماً مؤقتة نخشى ان يتخذ الناس ما يرضه لذلك العصر وحده ديناً متبعاً في كل حال وزمان وان خالف المصلحة، كما فعلوا في الاخذ بظواهر مبايعة أبي بكر وعثمان واستخلاف عمر. فاكتفى بشرع الله للمشاورة وتربيته «ص» الامة عليها بالعمل. على أن أولي العصية خالفوا

ما شرعه الله باتباع اهوائهم ومطامعهم لتقصير أولي الامر في وضع هذا النظام لكل زمان بما يناسبه، كما ضبط عمر « رض » الامر في زمنه بما يناسبه، بل عني علماءنا بمسائل النجاسة والحيض والبيوع أشد من عنايتهم بهذه المسألة حتى قال امام كبير مثل الاشعري ان بيعة رجل واحد من أهل الحل والعقد تلزم الامة اذا أشهد عليها، فاني يستقيم أمر أمة تعمل بهذا القول في رياستها العامة؟

وأما الآثار عن الراشدين في المشاورة فكثيرة (منها) مرواه الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران ان ابا بكر كان يسأل عامة المسلمين عما لا يجد فيه نصاً من الكتاب ولا سنة عن النبي (ص) هل يعلمون عن النبي (ص) فيه شيئاً — فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا فيأخذ به ويحمد الله تعالى (قال) وان أعياء ذلك دعاء عوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك — وزاد انه كان بعد النظر في الكتاب والسنة ينظر فيما قضى به أبو بكر أيضاً لانه كان لا يقضي الا بنص أو مشاورة. وانظر الى الفرق بين سؤال عامة المسلمين عن الرواية واختصاص الرؤساء والعلماء بالمشاورة — ذلك بأنهم هم جماعة أولي الامر وأهل الحل والعقد الذين أمر الكتاب بطاعتهم بعد طاعة الله ورسوله وقال في احالة أمر الامة اليهم (ولوردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم) (للكلام بقية)

﴿ تنبيه ﴾ لهذه المقالة بقية تأتي من أهم مباحثها مسائل الاستخلاف والمهد وخلافة الضرورة والتغلب وما يخرج به الخليفة من الامامة وعزله والخروج عليه ودار العدل والجور، وتعدد الخلفاء في وقت واحد، وحال المسلمين فيه اليوم وحكوماتهم المستقلة، وتعارض المانع والمقتضي في توحيد مقام الخلافة، أو ما يجب على المسلمين ويحظر عليهم في ذلك.

وقد علم مما نشر ويزداد وضوحاً فيما سينشر ان خلع حكومة الجمعية الوطنية في انقره لمحمد وحيد الدين نافذ شرعاً، وأنه ليس الآن خليفة ولا سلطاناً، ولا يتوقف تصحيح خلعه على تكفيره كما ادعى بعض من كتب في المسألة فقال اننا رأينا منه كفراً بواحا أي ظاهراً لا يحتمل التأويل، وانما يؤخذ الحكم بما ذكرناه في مسألة المباينة ومسألة سلطة الامة، ويوضحه ما سيأتي

الخلافة الإسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحمد رعماء التمهضه الهندية	أحمد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	شيخ عبد الرزاق
صاحب مجلة الهلال الهندية	ملاح آبادي
	محرر جريدة (بيغام) الهندية

باب اثنته من قریش

فصل

تحقيق ماره درش واشترط القرشية

إذا تتبعنا الكتاب والسنة والآثار والدلائل الشرعية والعقلية ، لا نجد فيها لنا قطعياً على تخصيص الخلافة والامامة بقریش نعم ، نجزم بصحة الأحاديث التي وردت في هذا الباب . ولذلك حصده في بكر الصديق في سقينة بني ساعدة على مسمم من صحابة . وعدم نكارم عليها ، وشهره هذا للأمر فيهم ومن هدم إلى انقرض لدولة العباسية أيضاً صحيحة — ولأن الحقيقة مع ذلك كله على خلاف ما يسمه الناس ، لأنه لا ينكر ما ذرناه آتقنا ، لا ينكر أن الشريعة الغراء لم تحصر الخلافة قط ، فم دون قوم وقبيلة دون أخرى — بل ما نأت عن هذه الشريعة . ولأن لا يسمك أن تقول هذا . لأنها إنما جاءت لتحرير الإنسانية من القيود والأغلال التي كانت عليها ، ولإعلاء شأنها ورفع معالمها وإعلان ناموس الصم وهدم أوثان العصبية والامتيازات القومية الداطلة ، فهل رجم بعد هذا الفهري ، وشيد بأيدي هيكلا جديدا لتلك الأوثان المجدودة ؟^(١)

(١) بالعجب ! اعترف الكاتب بصحة الأحاديث وإجماع الصحابة ومن بعدهم قولاً وعملاً على كون الخلافة في قریش ثم شرع يفتي ذاك الأثبات بدخلة ظاهرة البطلان — (المنار: ج ١٠ ص ٩٥) (المجلد الثالث والعشرون)

لسنا في حاجة الى لاطناب والتفصيل ، اذ كل من له أدنى معرفة بالشريعة يعلم حق العلم أنها من أول نشأها انتقضت على تصور الامتيازات القومية الفخمة وودستها دكة واحدة ، حتى جعلتها أترأ بعد عين - ماذا كان حال العرب قبل الاسلام ؟ كانوا في غاية من العصبية ، ممالقين في اعتبار النسب ، غير مسالين بمن - وهم ، لا يرون لاحد شرفا ولا فضلا ، حتى الرعاة منهم كانوا يشمخون أمام الملوك والعظماء ، ويمدون القياصرة والاكاسرة ميينير أمام عزم القومي وشرهم النسبي - ليست العرب وحدها ، بل الدنيا كلها كانت سائرة على هذه المنهج . عا كفة على هذه الاوثان ، موثقة بهذه القيود والاصفاد ، ظهر الاسلام فباحم قبل كل شيء هذه الاصنام ، ونادى مناديه بأعلى صوته : (يا أيها الناس يا حلقاكم من ذكر وأثنى . وجعلناكم شموبا وقبائل لتعارفوا إرا أنزمتكم عند الله أتقاكم) (٤٩ : ١٤) فجعل أساس الشرف والفضل العمل وحده . فن علاه عمله فهو شرف فاضل ، ومن سقط به عمله فهو ساقط مهين . مهما كان كريم النسب عالي الحسب ، وقال (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للسان الا ماسى * وأن سميه سوف يرى) (٤٦ : ٥٣) وكان صاحب لوته (ص) يصيح بين الامام « ليس منا من دعا الى عصبية ، ليس منا من قاس على عصبية . وليس منا من مات على عصبية » وأوصى أمته في آخر حياته يوم الحج الا لبر قائلا « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، كلكم أبناء آدم » (الشحان) وقال « ليس لاحد فضل على أحد الا بدين وتقوى ، الناس كلهم بنو ادم وادم من تراب » (رواه الجماعة) فظهر الاسلام وقيامه ضمان المساواة في النوع الانساني ، فلا فضل بعده لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، الناس كلهم احوان ، أبوهم آدم وأمهم حواء ، وإنما الافضل أحسنهم عملا وأقومهم طريقة وأنفاهم لربهم ! أما عمله (ص) فشهد على ذلك ، فانه لما بعث آخر بعث في حياته أمر عليه أسامة بن مولاة زيد ، فأنكر على هذا بعض السذج فقال (ص) « لقد

= وهي كون ذلك يعارض تحررها الانسانية الخ ثم بيني تلي ذلك تاويل الاحاديث وانكار الاجماع بما سياتي من الروايات الشاذة والآراء التي سنبين بطلانها في عواضها ، ثم نعرضها على القراء ليزوا راجعها من مرجوحها

طعنتم في اماره ابيه وقد كان لها أهلا ، وان أسامة لها أهل « فتأمل في قوله عليه السلام كيف زر كرامة « الأهل » ليعلم أن الامرة والراسة تتوقف على الاملية لا غير ^(١) — ومول عائشة ارض) في زيد مشهور حيث قالت : لو كان زيد حيا ، ما استخاف رسول الله (ص) غيره ^(٢) وسرية أسامة التي نحن صدها كانت مشتملة على سادات من المهاجرين والانصار وحقول من العرب العرباء وقريش اصحاب الجدل بادخ ، وكان فيها أبو بكر الصديق الذي خاف رسول الله (ص) ، وصار بعد بضعة أيام أميراً للمؤمنين ، ورئيساً للمسلمين ^(٣)

وهذا أمر بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسامان الفارسي معلوم مشهور ، حتى إن عمر الفاروق القرشي كان يقول في بلال : سيدنا ومولانا واداري صهيبا يقول : نعم المد صهيب ، لو لم يخف الله لم يمسه . وأوصى حير وفاته أن يعلي عليه صهيب — وأمير المؤمنين علي عليه السلام القرشي الله ، شجي كان يقول في سامان : سامان هذا أهل البيت ^(٤) فكان من أمر العرب

(١) هذا لا يعارض الاحاديث التي هي أصح منه والاجماع في الامامة المظهير وهو في امرة سرية من الجش ولو تارضها اكانت هو أولى بالترجيح (٢) رآد عائشة هذا شاذ وقد ثبت بعلايه بصحوص الاحاديث في امامة قريش حتى ما كان منها اخبارا عن المستقبل اذ كيف نستخلصه وقد اعلمه الله بان الخلافة ستة ووز في قريش مدة قرون وبما ظهر من حكمة الشرع في عدم استخلاف شخص بعينه (٣) سبحان الله ! كيف تذكر المسلمين اليوم ان الانساب والاحساب التي يتخردها بها ويهدونها موازين الشرف ينقسم كانت منبودة من ذلك الزمن المبارك فلم يكن ينظر اذ ذلك الا في العمل والتقوى ، فأنتقام وأقرهم الى الله وإلى رسوله كان أشرف واكبر من غيره ، وهذا أسامة مع تأخره في النسب كان يقدم في المطاء على شرفاه قريش ، وقد اعترض مرة عبد الله بن عمر على تقديم أسامة عليه فقال له أبوه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : كان أبوه أحب الى رسول الله من ابيك ، وكان أحب الى رسول الله منك . فما أعجب هذا الانقلاب الذي أحدثه الاسلام في أوائك الذين كانوا محترمون سائر الناس ويمدون كافة البشر قدني وأحط منهم ، حتى إنهم اتفوا يوم بدر من منازلة كاه يثرب فردوهم بلا قتال ولكنهم بعد الاسلام يخضعون لامارة العبيد وابناء العبيد ولا يستنكفون منها يقدم ابن العبد على ابن السلطان فينظر ما كنا ولا يفوه بكامة ! اه من حاشية الاصل (٤) بل هذا حديث مرفوع رواه الطبراني في الكبير واسا كم عن عمرو بن عوفه

بعد الاسلام أن انحلت عصبيتهم النسبية في خلال قرون . وبقوه المعجم في مضمار المحاسن والفضائل ، وحضمت العرب أمامهم ، ومملوهم كما كانت تخضع أمام قريش وبي هاشم ، حتى صطر الخليفة القرشي هشام بن عبد الملك أن يقول للإمام الزهري : والله ليسودن الموالي العرب ، ويخطب لهم على المنابر ، والعرب يحكمهم ، (العقد المرید)^(١)

فهل يتصور بعد هذا ان دعي الاسلام (ص) الذي دعا الموع الاساني الى نيل العصبية وغرور النسب وقامة المساواة العامة - رجع المهفري ؟ فيقيم هواه (٩) ويجسر الحنومة والسلطنة والخلافة في فومه وقبيلته . او آخر الدهر ؟ ويقول لسائر الناس لا فضل ولا شرف ولا حق الا للمل ولاهنية ثم يدسي هذا ويترك الممن وراء ظهره ويقول لنفسه ، النسب ، القبيلة ، اوطية ويسلط فومه على العالم كله ، لعمر ابيك ان هذا لشيء عجاب !^(١٠)
نعم انه من عجب المعجب ، ولكن ما كنا لننبالي به لو نطق به كتاب الله وسنة رسوله . لان ميزان الحق عندنا الكتاب والسنة ، فاذا ثبت فيهما شيء

(١) القول في سبق المعجم للعرب باطل كما يعمله كل منصف يعرف التاريخ ، لهم ما هو لهم ولكن ما انا وهم في شيء وقد قصدوا اذلال العرب ولم تقصدهم العرب الا عزم ومساواتهم بهم في الاسلام

(٢) كل ما ذكره شعرات وخطبات متكلمة تعود على ما اراده من جعل الخلافة في بني عثمان احصوا بين الناس وأما جعلها في قريش فلا يقتضي ذلك ولا عدم المساواة بين الناس ، الدين والنفس الحقوق والجزاء الآخرة . من أداته أنه لم يمنع من ارتفاع شأن الموالي ولا ما جرم حتى أزمنة الخلفاء الجائرين من قريش وقد كان أكثر ولاية بني هاشم وعبادتهم من الاعاء حم في النسب ولولا ذلك لاسادوا قريشا وغيرها وافسدوا امر الاسلام حتى بالغوا في تعظيم آل الرسول (ص) وقد زل قلمه زلة فاحشة بل زلت قدمه عما قاله في حيزه الاستفهام ، مما لا يابق التفوه به في حق خير الانام وان كان الاستفهام إنكارا ، ولو يكن كذلك لكان كفرا صريحا وقهقا فظيما وانما نشره آراء لاسنة النقص ونستفقر الله تعالى منه لنا وله . ومن لوازمه ان جميع اهل السنة القائلين بحضره (ص) للإمامة في قريش يرمونه « ص » بما بره الله تعالى منه من اتباع الهوى !! وهو تكفير لهم غير مقصود
للكتاب ولازم المذهب غير مذهب في الاغاب

قهر حق، سواء فربناه او لم تفهمه، ولدا لم يستبد به بمجرد فهمنا وعقلنا
بل استبدنا لاننا ما وجدناه فيهما، وقلنا: انه لا يليق بهذا الدين، دين الفطرة
دين المساواة . دين العمل

من الخرافات الى حقيقة

۷-

(۷۰) اعنى المسلمون فدينا، لرياضة المدنية اعتناء رائداً، لارامل الصحيح
لا يكون الا في الجسم الصحيح . ولذلك كانوا يلهون الشبان فن الفروسية والرمية
والسباحة اتباعاً للحديث الشريف القائل « علموا اولادكم السباحة والرمية »^(١)
« وعليه يلزمي فانه خير لهوكم »^(٢) « والرعي خير مهووم به »^(٣)

لبسامل العادل نتيجة دين يأمر بتوسيم دائرة المعارف وتزويد أسباب
الثروة وتقوية البدن ! (وفي الحرب) وهذه الاركار الثلاثة متصل بعضها
ببعض كما لصقت محاسن الاخلاق بالتحاب والتواد، هل يقف أمام قوم هذا
صباحهم موهبا قل عددهم . وعديدهم أعظم امبراطورية ؟

(۷۱) الرحمة للصغير واحترام الكبير كان خلقاً راسخاً لانه (ص) قال
« لس من مر لم رحم صغيراً ويعرف شرف كبيرنا »^(٤)

(۷۲) الاقتصاد كان أساساً ثابتاً ومحترماً لانه جاء في الحديث « ما طال من اقتصد »^(٥)

(۷۳) وانما الشيخ فذنب مدموماً جداً، جاء في الحديث الشريف

« بحق الاسلام بحق الشيخ نبي »^(٦)

(۷۴) الشيخاء كان أمراً ممدوحاً جداً، قال (ص) « أقبلوا السخي زلتة

فان لله احد بيده كلها عتر »^(٧)

(١) ابن مندرة و المنيرة والديلمي في مسند الفردوس بسند حسن

(٢) الطبراني في اوسد عن سعد بسند صحيح (٣) الديلمي في مسند

الفردوس عن ابن عمر (٤) احمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو بسند

صحيح (٥) احمد عن ابن مسعود بسند حسن (٦) أبو يعلى عن أنس باسناد

صحيح (٧) الخريزمي في مكارم الاخلاق عن ابن عباس باسناد صحيح

من لا يعرف أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما سمحا بثروتهمما لاجل
استكمال وسائل الحرب ؟

(٧٥) وأما البخل فكان في أقصى درجات المميتات والمذمومات .

لقوله (ص) فيه « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق » (١)

(٧٦) حرية الوجدان وحرية الماكن وصيانة الملك بأنواعه ولا سيما

الكتب والرسائل وأمثالها من الحريات الأساسية التي طالما افنخرها الأوربيون

كانت من جملة ما جاءنا به نبينا قبل الب سنة وكسور ، قال الله تعالى (لكم

دينكم ولي دين) وقال (لا إكراه في الدين) وقال رسوله « من اطلع في بيت قوم

بغير اذنه لم يدرى لهم أن يفتقروا عينه » (٢) وقال الله لا تدخلوا بيوتنا غير

بيوتكم حتى تستأذوا واسأموا على أهلها) وقال (ص) « من اطلع في كتاب

أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار » (٣) وقصارى القول لو اعنى علمه وثنا

بإستخراج أمثل هذه الأحاديث لوجدوا فيها من الوثائق ما هو كمال لاطال

كل دعوى اتهم بها الدين الحنيف .

ومما بوجب الأسف أن المصائب التي حلت بالمسلمين كأنها لم تكف لفتح

عيونهم لتحرى أوامر هذا الدين المبين الذي تقتضي أن يكون متبعوه في

طليمة العلماء والأغنياء والأقوياء والأمراء . واعجباه !

(٧٧) ان الهيثو للخصم ومقابلة يوته بالقوة من أسس الاسلام لذلك قال

الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهل للمسلمين بعد هذا أن يكلوا

الامور لمشيئة الله تعالى ويعطوا قواهم وأموالهم ويعدوا ذلك من الاسلام ؟

(٧٨) أرشد (ص) الى حسن اختيار الموظفين بقوله « لكل شيء آفة

تفسده . وآفة هذا الدين ولالة سوء » (٤) فهل يحس بعد هذا أن يقبل الوالي

المسلم الشفاعات لاجل توسيد الامور العامة لمرأهها

(٧٩) كانوا يعتنون بما يزيد الثروة العمومية ولا سيما تربية الفهم

لأنه (ص) قال « اتخذ الفهم فانها بركة » (٥) وغير خاف على أحد أهمية ما للفهم

(١) بخارى في الادب المفرد وترمذي بإسناد صحيح (٢) احمد ومسلم من حديث

أبي هريرة (٣) الطبراني الكبير عن ابن عباس (٤) رواه الحارث من حديث ابن

مسعود وحموه (٥) الطبراني والخطيب عن أم هانئ . وان ما جاءه بلفظ « اتخذي »

من

من الحكمة الاقتصادية في عصرنا . لتنبه الكسالى .

(٨٠) كانوا يضمون الشيء في محله ويتقاعدون عن الاسراف والتبذير
 لسترشاداً بقوله (ص) « أفضل الدينارين دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار
 ينفقه الرجل على ذابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل
 الله عز وجل » ^(١) وهذا يدل على أنه لم يكن من الممرور في عصره (ص)
 تخصيص الثروة بأناس كسالى نامون على ظهورهم تاركين الامر وعادين هذا عبادة
 (٨١) كان العمل والجود ممدوحاً والكسل مذموماً لقوله (ص) « من
 جات كالا من طلب الحلال بات مقفورا له » ^(٢)

(٨٢) . أشد ما اعتنت به الديانة الاحمدية بصناعة والتجارة لانه (ص) قال
 « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل سع مبرور » ^(٣)
 (٨٣) كان الفرمكر وها مستمادامنه وانما يطلب الصرعليه وكان (ص)
 يقول « أعوذ بالله من الفقر والعيلة ومن أن تظلموا أو تظلموا » ^(٤) و « اللهم
 إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن اظلم أو أظلم » ^(٥)
 ان أبا بكر كان تاجراً غنيا . وكذلك ذو النورين . واكتسب طلحة والزبير
 ثروة هائلة من التجارة .

(٨٤) ما كان في أوائل الاسلام أحد ينكش في زاوية أو نكية ليأكل
 ويشرب من ثمرة جد غيره باسم العبادة . لانه (ص) قال « استغنوا عن الناس
 ولو بشو السواك » ^(٦)

لذلك كان كل واحد يشتغل بعمل من الاعمال حسب قدرته العقلية والبدنية
 (٨٥) الحراثة كانت محترمة جداً وقد أمرنا بها سيدنا (ص) بقوله « احثروا
 فان الحرث مبارك واكثروا فيه من الحجاجم » ^(٧)
 (٨٦) الحياة الاستقلالية كانت اساس أمل كل فرد . لانه (ص) قال

(١) احمد وصلم وأصحاب السنن ماعدا أباداود عن ثوبان (٢) ابن عساكر عن أنس
 بسند صحيح (٣) احمد والطبراني والحاكم عن رافع بن خديج والطبراني عن ابن عمر
 وهو حديث صحيح (٤) الحاكم والمستدرک بلفظ « تمودوا بالله . - وآخره - وان تظلم
 لاوتظلم » (٥) ابو داود والسنائي وان ماجه « (٦) البزار والطبراني والبيهقي عن
 ابن عباس وهو صحيح (٧) أبو داود في مراسيله بن علي بن الحسين مرسلته

«خيركم من لم يترك آخره لذيئه، ولا ديدنه لآخره، ولم يكر كلاً على الناس» (١)
 لذلك كان كل يسيئ لئلا يكون حملاً ثملاً، المسهير شأن البطالير والكسالى اليوم
 (٨٧) الأبحار في الاقطار وحب ما محتاحه الناس كان من الامور المدوحة
 والاحتكاك كان من الامور المدمومة . جاء في الحديث « الجانب الى سوقنا
 كالجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقنا كالمجد في كتاب الله » (٢)

ها اذعه القاري والكريم لاريطاله تحت التجارة الخارجية ومحت الاحتكار
 في كتب الاقتصاد السامى ليرى علو معنى هذا الحديث
 (٨٨) التبذير وعمل الاشياء التي لا فائدة منها كانت مجهولة عندنا لان
 انني (ص) قال « لمن الله زائرات القبور والمنحذين عليها المساجد والسرج » (٣)
 من ها يفهم أن انشاء التراب وزيارتها ليس من الاسلامية في شيء . وقد
 اتقلت هذه الخرافة لديننا الصايف انفي من أساطير الهنود القديمة .
 ذاً اتلاف شيء من الثروة رايقد الشروع على القبور موجب للعة
 فان المتأملون ؟

(٨٩) في القرون الوسطى كان النصراني ومحللات مختلفة صوامع ينقطعون
 للعبادة فيها . فيها نبينا عن ذلك « لا رهبانية في الاسلام » لان الله أمرنا
 بالعمل اذ قال (وجاءوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم)
 (٩٠) ان ذبح القربان على القصور ممنوع في دين الاسلام لانه جاء في
 الحديث « لا حق في الاسلام » (٤)

(٩١) النذر « لا وفاء لنذر في معصية الله » (٥)
 (٩٢) تعلبى بعض الاشياء على الاولاد وغيرهم لدفع النظر واستكتابه
 للنسج لاجل محبة الارزاق لزوجاتهم من أمور الشرك لعمود بالله لقوله (ص)
 « ان الرنى والخاتم والتولة شرك » (٦) ليتنبه القائلون ! المنذرون .

(٩٣) الخطيب عن أنس بسند صحيح «٢» الحاكم عن اليسع بن المغيرة مرسل «٣»
 ابو داود وترمذي والسنائي والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وليس سبب اللعن
 التبذير بل ان هذا العمل من المبادات الوثنية (٤) أبو داود عن أنس (٥) رواه
 أحمد عن جابر بسند حسن ، والنذور للموتى منها ما هو من أعمال الشرك ولا فائدة
 في شيء من هذه النذور وانما يستخرجها من دل البخيل كما ورد في حديث آخر
 (٩٤) أحمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح

(٩٣) نهى النبي (ص) لمن ربط القلب بلشعور دين وقال « من أعلق شيئاً وكل له »^(١) والنتيجة الحرمان

(٩٤) كذلك نهى عن مزاحمة العرافين الذين يبرون أموال الناس بدعوى الاختار عن الغيب ، قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوماً »^(٢) ولأن الله تعالى قال في آية أخرى « لا يعلم الغيب الا الله » (١) فإقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أنبئ بالملك . فما قول خفاف العقول الذين يطلبون علم الغيب من العرافين بعد ما جاء في هذه الآية الكريمة من الصراحة :

(٩٥) نهى (ص) عن التشاؤم من الاسم أو من صوت الطير ، عن الرملي وعد لك وثنية فقال « العيرف والطهرة والصرق من الجبث »^(٣)
(٩٦) وكذلك عد التطير شركاً فقال « الطيرة شرك »^(٤)

(٩٧) كانوا لا يتشائمون من طير الصائر ولا يعتمدون على أقوال الهممة والسحرة . لأنه (ص) أحرق من فعل ذلك من الجمعية الاصلامية اذ قال « ليس منا من تطير ولا من تطير له وتكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له »^(٥)

(٩٨) الحسد والتميمة والكهانة كانت بمنزلة واحدة لانه جاء في الحديث الشريف « ليس مني ذو حسد ولا تميمة ولا كهانة ولا أنا منه »^(٦)
أن من يعتبر ؟

(٩٩) لا واسطة بين العبد والمعبود ودين أحمد . وكره فرد مسؤول عن عمله لأن الله تعالى قال (ولا زرع وازرع وزر أحرى أما ما يعمد أو يتخذ به من الجهلة من الوسهاء لأنه لو فهو مأخوذ من الامم السابقة وتقليد (للاغراء) من النصراني والبرهمية عند اليهود القدماء و (المورس) هذه الزردشتيين وللشاهن عند الكلدان . وما لهذا يمكن ودين الاسلام .

(١) احمد والترمذي والحاكم وحسن (٢) احمد ومسلم بن فضال
المؤمنين (٣) أبو داود عن فضيلة وهو صحيح (٤) احمد والخزري في الادب المفرد واصحاب السنن عن ابن مسعود (٥) اصبغاني في التبليغ عن عمران بن حصين وهو حسن (٦) رواد أيضاً عن عبد الله بن مسعود

(المناج: ج ١٠ ص ٢٣) (٩٦) (المجلد الثالث والعشرون)

(١٠٠) ان الله غني عن أية واسطة بينه وبين عبده . لانه قال في كتابه الكريم (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

واما بناء القبور الفخمة والمزينة واتخاذها ملجأ لقضاء الحاجيات فهو ليس من الاسلام في شيء . ولكنه تقليد للنصارى والهنود والبرانيين كما سيحىء تفصيل دخول هذه الخرافات في تماثيل الاسلام .

(١٠١) الغيبة كانت مسكرهة جداً لان الله قال (ولا يفتب بفضلكم بعضاً . أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً)

ليتنه الاغبياء الذين يقضون أوقاتهم باغبياب الناس والسبحة في أيديهم (١٠) لم يعتن الدين الاسلامي بشيء كما اعتنى بالعلم . وقد جاء في الحديث « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة اشهر »^(١) وقال أيضاً « العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع »^(٢) و « فضل العلم أحب الي من فضل العبادة »^(٣) و « افلح من رزق علماً »^(٤)

(١٠٣) الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي من أهم قواعد الدين الحنيف وحفظا لكرامة الضرر جاء في القرآن الكريم (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

فان كان جل جلاله ينهى نبيه عن السيطرة، فهل يكون هناك دين يكفل الحرية أريد من دين الاسلام ؟ وسنبحث في مقابلة الاسلام بغيره في هذه المسألة بحثاً خاصاً . (له بقية) حسني عبد الهادي

« ١ » الدرامي في مسند الفردوس عن ابن عباس « ٢ » الخطيب وابن عبد البر في كتاب العلم « ٣ » الطبراني في الاوسط والحاكم عن حنيفة والثاني عن سعه وتمته « وخر ديشكم الررع » وهو صحيح « ٤ » البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب باللفظ « افلح من رزق لبا » اي عقلا

طائفة لشيعة

في سورية وحاجتها الى اصلاح

كان لطائفة الشيعة المشهورة (سنة المتأولة) شأن عظيم في جبل عامل وجبل لبنان من سورية ونواحي بعلبك في سعة الاملاك والوجاهة . الثروة وفي السلم والاعمال . ولما كان ما كان من نهضة النصارى الاخيرة في لبنان انكس الشيعة وتضعفوا وفاقهم النصارى في كل شيء حتى غلبوهم على املاكهم الواسعة فلم يبق لهم فيه شيء يذكر ، وقد كان من اسباب ذلك السخاء العربي البالغ منتهى حد الاسراف ، وحب السخفة والعظمة ولو لباطل ، والثناء والتعظيم وان كان كدبا ، حتى ان كثيرا من املاك شيوخهم وكبرائهم قد آلت لي من كان عندهم من الفلاحين والخدم من النصارى الذين كانوا يستغلون هذا الضعف منهم بإقامة ذوق كحفظ امتيازهم لهم بلبس الحذاء الاحمر المسمى بالحزمة . ومن أغرب ما حكى عنهم في ذلك أن أحد الفلاحين أهدى الى شيخ بلده منهم حزمة حمراء فأعجب عليه الشيخ بمحفل او كرم عظيم (يسمى عودة) كان هو في أشد الحاجة اليه

لم تشارك الشيعة النصارى في شيء من تآلف العلوم والفنون الحديثة في القرن لماضي وكذلك كان أهل السنة الذين هم أكثر سكان مدن سورية الكبرى وأولى بالامراع الى كل ما يتجدد من أسباب الحضارة ، ولكن هؤلاء عنوا في هذا القرن ببعض العناية في العلوم والفنون العصرية وفي التجارة ورقية الزراعة أيضا وظل جيرانهم من الشيعة على نحوهم راضين من العلم الادب بما يتقاه بعض جيرانهم منهم في مدرسة النجف الكبرى أو على ما تخرجين فيها من فنون العربية والعلوم الشرعية وقد قرأنا في الشهر الماضي مقالتي في جريدة الاتفاق الاسبوعية التي تصدر في مدينة صيدا عنونها (تأخر الطائفة الشيعية وكيفية تقدمها) كانت هي الداعية بل الداعية لنا الى كتابة هذا ، اذ راعنا منها وصف كاتب المقالة (المخلص) الغيور لقرى الشيعة في جبل عامل وبعابك بأنها مهدمة المساجد خالية من المدارس ، وقوله ان الاميين منهم يتجاوز عددهم ٩٥ في المئة ، وان هذا الجهل اكثر أسباب حرمان

الطائفة من تمثيلها في الحكومة الحاضرة كما يجب وأن يضمهم سعي في العالم لماضي
الى تعيين عضو شعبي في محكمة التدبير (النقض والابرار) التي اشانت و يرت
« غير أنه نجحوا لما دعوا أن الطائفة ليس لديها سوى ثلاثة شين من شعبي
هذا من الحقوق » والحكومة غير رضية عنهم . (كذا قل أفلا وقد سمعتم)
ثم هل الكاتب : تفرغ عن الجول فروع عديدة أهمها التعصب الذي لا عني
لدى جعله أن نتسكع في مهاوي الشقاء ونرطم في حاة التخلف لاهير في كغير
ويد وشر بالشعر ورسواتا دائب في ترقية نفسه واعلاء شأنه الختم ذكر فرع آخر
هو فروع اسهل وهو الجول أو الحمود في العقول والفتور في الهمم

ذكر من أسباب هذا التأخر تفرق كلمة الرؤساء ومحاسن الزعماء ومقامة
كلمة للآخر بدلا من التعاون على رفع شأن الطائفة، وقضى عليا بتدخل عدائهم
في كل الامور السياسية وعده من أهم عال تأخر الطائفة مهلا له أو مستدلا عليه
بأن « لدين واللغة شيء والسياسة شيء آخر لم يتفقا وان يتفقا » وبأن الرؤساء
الروحانيين الغربيين لا يتدخلون في السياسة البتة . و قترح على علماء الطائفة ومجتهديها
التفرغ لتوثيق الرابطة الدينية وتوطيد ها على أسس القومية الحق وتدريب أخلاق الأمة
هذا ملخص المقالة الاولى . وأما ملخص الثانية وقترح تأليف جمعية من
شجرة العلماء والزعماء لترقية شأن الطائفة بالمعروف والمنزلة المصرية ومساعدة بحر يده
واقه تمل الطائفة . وضرب اليهود والارمن مثلا للطائفة الصغيرة التي ليس لها
حكومة ويجب عليها أن تنهض بنفسها وهمتها واقدامها

قال : « والطائفة الشيعية هي كالارمن واليهود من كل وجه الاوجه وحده
وهو التقدم والتفوق » ولكنه ذكر في سبب الفروق بينهما أن اليهود والارمن غير
محصين كالشيمة . وهذا غلط فم أشد خاتق الله تعصبا لانفسهم على غيرهم ولكن
يعلم وعقل، ودهاء وحذق

ثم ذكر من نشاط الارمن في خدمة الخش الانكليزي ومساعدتهم له في
محاربة لغواتهم العمانية (التي كانت تفضلهم على قوم نبيهم العرب وعلى سائر العنانيين

تحتي اذ ظائف رسا (لممات) أن نساءهم ورجالهم كانوا يتجسسون لهم . دخلون
 الممات التركية البلاد وجمعوا الاموال حتى من المسلسل للمصحة المسلحة
 لتس من با على قتال الترك . قال « انهم بهذه الطريقة كانوا يصحون معهم
 ضباطا بين الجيش لان كلنزي سي كان بحارب في جهات لمصل فقط مؤلاء
 على جمع حركات الالمان والازراك العسكرية . وهذا ما جرى مع (الكن نور)
 الضابط الالمن كلنزي الذي دخل هو ورفيق له مرة مع تاجر ارمني متكلم
 مدينة (كر او كال) بصحبهم أحد بحار المدينة المترين المسمى نصر على كان
 (أي سي هرخان) ادعى انهن زوجاته الثلاث فقضوا في (اكد ابيض) .
 جهدهم ليلطوا من له وديونوا في قتالهم هم هم ما عرفه من الحقائق .
 الالمان اركبي . ذكر أن ذلك الخابط الالمن كلنزي كانا الارمن بكلمة مفاد
 قال فيه : « حرام أن يحكم الترك ويسيظروا على هذا الشعب الالمن .
 هو كفو لتنظيم امور دولة عظيمة لذلك نرى ارمينية اليوم ارايدة ثنية :
 ونطاق على هذه الكلمة أن الالمن الذين يستخرون الشعوب كمنهم من
 حيث لا تشمر قد جعلوا الارمن الاذ كياه جدا في دائرة ضيقة جدا من أشقى
 أهل الارض فجوا عليهم أقبح جاية كما جوا أخيرا على اليونان اسين يشهور الالمن
 في نشاطهم وغرورهم بأنفسهم — وعلى العرب الاغرار من قبلهم ، ولا يزال
 كالسبل يقذف جلوداً بجلود ، ومن العجائب استمرار الخداع الشعب — بله
 الافراد — بنفوسهم ، ولعل الاحداث الحاضرة تنتهي بمعرفة جميع الشعب حقيقة
 أمرهم وأن مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان ا كفر فلما كفر قال ا بري . ملك
 اني أخاف الله رب العالمين) وأما الافراد فلا يزالون يجدون فيهم أغياه وخديته
 الى أن يجيء اليوم الذي يعاقب فيه كل شعب من يخونه ويغشه بحمله على قبول
 النقيذ الاحزبي في بلاده . وعسى أن يكون ذلك اليوم الموعود قريبا

ثم تعود الى الكلام في اصلاح طائفة الشيعة الذي يهنا جدا فنقول : اننا
 كنا عزمنا أن نرور النجف في رحلتنا لهندية العراقية فحال دون عزمنا ما عرانا من

الحق في البصرة ثم في بغداد والاضطرار عقر البقعة الى السفر . كنا عزنا على هذه الزيارة لاجل البحث مع محبي الاصلاح من العلماء ولا سيما السادة الشرفاء منهم في هذا الاصلاح . قد جاء منهم وفد الى بغداد لزيارتنا ودعوتنا الى النجف الاشرف . وقد قال لثانيه وهو سيد عالم شهير: اننا نعدك اماما صاحب الحجة المسلمين فلماذا تخص اهل السنة نارشادك و قدك لما حدث فيهم من البدع والخرافات وعندنا اضعاف اضعافها ، أنت ساكر عنها ؛

فأجبت : حق اني على ضمني ، عجزني حرص على الاصلاح الاسلامي على اطلاعي وعمومي لا اخص به اهل مذهب دون غيره ، وانني لست سنيا ، اني انتمصب أو التقيد لمذهب من المذاهب التي تنتمي الى السنة كالاشرعية أو حنيفة والشافعية بل أنا سني محض او مستمك بما صح من سنة النبي (ص) لا أوثر عليه تقليداً أحد . وأما سبب سكور عن نكار بعض البدع والخرافات العاشية في الشيعة فلأمر قراء المنار من الشيعة قائلون ولا يحتاجون الى التصريح فلما لي انكار بعض البدع الخاصة كما كتلت حدث الموتى من البلاد المعبدة ومما منتهى الى قرب مدافن آل البيت عليهم السلام في المراق لدفنها في مساجدهم أو بالتقرب منها (مثلاً) ولو فعات هذا الخاء ضد ما تريد من الاصلاح بانكاره إذ يكون سبباً لحمل بعض متمسكي العلماء خاهدر على الطعن في المنار وصاحبه بأنه منحصب لاهل السنة على الشيعة بل عدو لهم ، كما فعل بعضهم في سورة اذ الف رسالة عنوانها (الشيعة والمنار) لما رأى بعض قراء المنار من طلبة العلم والادباء قد استحسنا طريقة المنار الاستقلالية في فهم الدين وحرية العلم والرأي . وإنما ادع بهذا لكم . ثم تكلمنا فيما ينبغي من طرق الاصلاح العام والخاص ورأيي فيهما ومما قلته إن الشيعة أشد تعصبا من سائر المسلمين في دينهم ومذهبهم وأشدهم حترماً للعلماء والسادة وطاعة لهم . وهذا مما يمين على الاصلاح ، وان كان سبباً لكثير من الفساد ، فيجب على العلماء ولا سيما السادة منهم أن ينهضوا بأمر الاصلاح قبل أن يغير الزمان الشعب عليهم ، فهذه الحال لا يمكن دوامها ، وقد رأيتم أن

البابية والبهائية دعوا الشيعة الى دين وثني جديد قد ظهر فساد مثله من ضلال
 الباطنية وورقها المعلومه فاستجاب لها المؤلف منهم . وذا أتم دعوموه الى اصلاح
 الحق الذي يجمع كافة المسلمين ويزيل الاحقاد اني كان سبها السياسة وندوة
 الباطنية للاسلام نفسه ورجعتم بالاسلام الى أصوله من الكتب وصحيح الاثر
 وسيرة السلف الصالح من أئمة آل البيت وغيرهم مع بيان كفالة الحنيفية السمحة لما
 يرقى لمسه في هذا العصر من علوم وفنون وأعمال فاسك تنجحون بحاجه عظيمه
 قال: إن هذا حسن ولكن المستعدين له من كهراء العلماء المجتهدين قليلون لان
 معظم أوقات حياتهم مصروفة فيما يحول بينهم وبين العلم بالحاجة اليه ود كرلي كافة
 عن كبير منهم - رأيت في الهدى وأثبت له على علمه وفضله - قا ان من
 المسائل التي اهتم بتحقيقها واطالة البحث فيها مسألة بول المراق الذي عرج عليه
 رسول الله صلى عليه وآله وسلم الى السماء هل هو طاهر أم نجس ؛ (قل) ولكن
 كثيرا من النابتة الجديدة في النجف الاشرف مستعدون لهذا الاصلاح وهم يمتنون
 لو برنكره. لو اجتمعوا بكم لاستفادوا كثيرا. فقات انكم أنتم تبلغونهم رأيي وانما
 الانسان بعلمه ووريه ، لا بصورته وبدنه ..

بعد هذه الكلمة التي أقصد بها إثبات اهتمامي باصلاح حال طائفة الشيعة
 خاصة أقول اني أحييز اقتراح الكاتب (مخلص) تأييد جمعية من العلماء والزعماء
 لرفع شأن الطائفة بالعلم والعمل والثروة ، وأنكر عليه قوله أن الشيعة كاليهود
 والارمن فينبغي لهم أن يتأسوا بهم في نهضتهم : اليهود شعب له مقومات الشعوب
 المستقلة بجنسيتها في نسبه ودينه وأمنه ، والارمن مثله في كل شيء الا الدين
 ولكن لهم رامة دينية خاصة والشيعة ليست كذلك فلا هي مستقلة بدين ولا
 لغة ولا نسب، بل دينها الاسلام وهي مؤلفة من شعوب كثيرة ذات لغات وانساب
 مختلفة ، وانما شيعة سورية عرب في اللغة والنسب ، فلم يبق بينها وبين
 الارمن شبه الا في اختلاف المذهب، وهو لا يتخفي في الاسلام التفرقة - فالصواب أن
 يكونوا في اصلاح القومي مع أبناء جنسهم من العرب في كل ما يرقى الامة العربية، وفي

الإصلاح الذي من شأنه إخوانهم المسلمين فيما يظهرهم من البدع والخرافات وتزكيتهم
 مهدي الإسلام، التعاون مع سائر المسلمين على ما يرفع شأنه ويزيد أهله تمنع
 أن يكون الخلف من مسائل المذهبية مما للتهرق والشقاق الذي حصره
 كتاب الله ورسوله (ص) من أهله بقوله (ان ليس فروعاً دينية وكأه تبعاً
 لست منهم في شيء)

التي ليسوا أقلية في سوربة فانهم مسلمون ولا ينبغي لهم أن يتفرقوا عن
 سائر المسلمين في شيء إلا إذا كانت المصاحبة في تمثيلهم في الحكومة ربح لهم
 وأسائر المسلمين ما دامت هذه الأمة التي صفق بها أرباب المطاعم لبنان الصفح لا
 قلبان الكبير ثانياً قائمة على عروشها وهي جعل وظائف وعمالها في
 دينية مذهبية. وقد كما تتقد في أنفسنا على صيغنا وصدقنا الفضل صاحب - لمة
 العرفان الغراء بزعمها المشابهة أنزعة مجلة لمشرق استرورية في التنبؤة شعراً التنبؤة
 ومصطفى الشمة وما أشبه ذلك مما يقوي الشعور بنزعة المذهب، ولا ننسى أن
 في حب الاتفاق، لأنه لا يقصد ما يترتب على عمله من تقوية الشعور بالافتراق
 والشبهة كانت قبل بدعة المذهب الدنية في الإسلام حزناً سياسياً ثم اصبح بدعة
 المذاهب كغيرهم، ولا يصلح شأن المسلمين صلاحاً تاماً ما داموا شيعة واحزاباً
 تتعصب كل شيعة وكل حزب لمذهب ديني مهم

وإنما الإصلاح الذي يحيا به لاسلام وأهله هو ما فاضاه من قبل في
 المنازع على قاعدة جمع الكلمة على ما أجمع عند المسلمون قبل تدوين المذاهب من كتاب
 الله والسنن ولا سيما العمالية المتأثرة وأركان الإسلام وتحريم الفواحش ما ظهر وما باطن
 الخ وجعل مسائل المذاهب الخلافية حرة كمسائل العلوم والفنون الأخرى يعمل
 فيها العالم بما يراه أرجح عنده، ويستقي فيها العامي من يشق بمله دينه من العلماء
 فيما يحياه، فبهذا يزول المانع من تعاون جميع المسلمين على ما يرفعهم في أمور ديارهم
 مع حفظ دينهم ويكون لهم شأن عظيم بين الأمم

ليس في هدي القرآن وسنة الرسول (ص) أصل من الأصول التي شرعها

الله لحياة أهل دينه وعزهم ومالكهم مثل أصل الوحدة والاعتصام الذي يكون به المسلمون كالجسد الواحد، ولا محذور فيهما على المسلمين أشد ولا أغلظ من التفرق والانقسام، ولولا فتنة الخلافة لما بلغ ضرر تفرق المذاهب في الاسلام هذا الحد، فوالله إنني أكتب هذا وأنا في ألم لا يعرفه الا من ذاقه. أتنبس الصعداء أن أرى فئة من المسلمين ترى نفسها بين فئة منهم أكبر منها كاليهود بين نصارى روسية أو الارمن بين مسلمي الترك ويدعوها طلاب إصلاحها الى ان تحذو حذو هذين الشعبين . . .

لئن كنتم أيها الاخوة فئة قليلة في اخوانكم مسلمي سورية فليست شيعة العراق بقليل فيه بل هم الاكثرون ، وهم مقصرون فيما يطالب الناصح (المخلص) تسميركم فيه من وسائل الترقى الدنيوي ، ثم ان دولة الشيعة الايرانية هي مقصرة عن شأوجارتها التركية المنسوبة الى السنة ، وان نهضة جارتها الاخرى وهي الدولة الافغانية — على حداتها — خير من نهضتها في السياسة وال عمران . وإن لما أشار المايح (المخلص) من القاء حمل كبير من أوزار التبعة على علماء الطائفة ومجتهديها وجها وجيها ليس هو اشتغالهم بالسياسة كما قال تصريحاً ، بل هو جهلهم بها كما لمح اليه في قوله : ان الدين واللغة شيء والسياسة شيء آخر ، ولكن السياسة في الاسلام من الدين ، ومن الخطأ المبين تقليد بعض المتفرنجين منا لبعض متفرنجية النصارى وأسائدتهم في الفصل بين الدين والدولة ، على أن أكثر المتدينين من النصارى — ولا سيما الكاثوليك — ينكرون عليهم ذلك ، وفي هذا المقام تفصيل لا محل له هنا . وإنما الغرض ان نبين غلط المتفرنجين منا في مسألة السياسة وان نذكر كتاب المقال بأن السبب الذي جعله يشعر بأن الشيعة في سورية كاليهود والارمن هو السياسة ، وان علاجه لا يأتي الا من قبل العلماء الذين يفهمون السياسة ، وقد اتفقت مع صديقي العلامة (السيد عبد الحسين) العاملي على أن الذي فرقنا هو السياسة ، وان الذي يجمعها هو السياسة ، فنعوذ بالله من شر السياسة ونسأله من خيرها

تذكرت أنني قلت في أيام طلبي للعلم كلمة في هذا المعنى كان لها تأثير لولاه

(المنار : ج ١٠) (٩٧) (المجلد الثالث والعشرون)

نسيتهها ولما كنت أصدق أنها مما كان يخطر ببالي في ذلك العهد كان عندنا في طرابلس الشام أيام طلي للعلم فيها متصرف له إمام واسع بالعلوم الدينية والفنون العربية^(١) شافعي المذهب كأهل بلدنا القلمون، وكان كثيرا ما يزورنا في أيام الجمع مع بعض العلماء والوجهاء ويحب أن يصلي الجمعة عندنا — وقلمنا يوجد مكان تقام فيه الجمعة مستوفاة الشروط على مذهب الشافعي كما تقام عندنا — وكان كثير البحث في المسائل الشرعية والاجتماعية — وقد جرى الحديث مرة عندنا على المائدة في ضعف المسالمين وحكوماتهم فقلت: (إن رأس أسباب ذلك جهل رجال الدين بالسياسة وجهل رجال سياسة الدين) فامتعض الباشا وقال: أو رجال السياسة والدولة جاهلون بالدين؟ قلت: إن وجود مثل سعادتكم فيهم نادر ولا شك أن الأكثرين كذلك — وأردت أن أفصل.. فغير والذي رحمه الله تعالى موضوع الكلام، واستكبر الحاضرون هذا القول للباشا مني على بدايتي في العلم وحدائثه سني وكان منهم الشيخ علي رشيد الميقاتي من وجهاء شيوخ طرابلس وابن أخيه صالح أفندي من موظفي الحكومة فطفق هذا بذيغ هذه الكلمة وينوه بها، وهي قد اغرت الباشا بكثرة البحث معي وكان يسجبه جوار لاني لا أجب إلا بما تحضري فيه حجة

وأذكر على سبيل الاستطراد مسألة في موضوعنا هذا وهي قوله لي: إن الدولة مخطئة في استثناءكم يا معشر طلاب العلوم الشرعية وعلمائها من الخدمة العسكرية فأنتم أولى من غيركم بها، وهذا الاستثناء لا أصل له في الشرع فقد كان علماء الصحابة كلهم يجاهدون مع الرسول (ص) فحضرني الجواب بالبداهة ولم يكن هذا البحث خطر ببالي من قبل فقلت: بل لهذا أصل في محكم القرآن... فحفظت عيناه وقال: في محكم القرآن؟ قلت نعم قال تعالى في سورة التوبة وهي من آخر ما نزل

(١) هو مصطفى ذهني باشا آل بابان من أمراء الكرد والد أحمد نعيم بك العالم المشهور وعضو مجلس المعارف الكبير في الاستانة والمرحوم اسماعيل باشا بابان الذي كان ناظرا للمعارف فيها

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فتخاوصت عيناه عند الجواب وسجيتا بعده وأثنى بما أثنى . ولما التقينا في الاستانة في سنة ١٣٢٩ كان يذكرني بهذه المجالس وينوه بها . ونعود الى موضوعنا فنقول :

ان طائفة الشيعة ما زالت اكثر طوائف أهل السنة احتراماً وطاعة لعلمائها ولا سيما السادة العلويين منهم ، ولا يزال أبناء العراق تأييداً بما يدل على ان لاولئك العلماء الاعلام اليد الطولى في الحركة الوطنية الاستقلالية ومقاومة الدسائس الاجنبية التي تهى لجعل استعباد الاجنبي لاهل العراق وغيرهم من مسلمي الشرق قانونياً مؤيداً بمساعدة خادعة « وما المعاهدات الاحجة القوي على الضعيف » كما قال أعظم ساسة أوربة . ولكنهم لقللة تمسهم بالسياسة يخشى عليهم ان يخذعوا اليوم ، كما خذعوا في مؤتمر كركر بلاء من قبل ، فقد باننا الآن ان الدسائس تعمل للفرقة بين علماء العرب منهم وعلماء إيران ، فالواجب عليهم ان يتقنوا السياسة وكل ما يتوقف عليه الاستقلال في هذا العصر كما يتقنها الابا ورجاله ورهبانه

فاذا ظلوا على جهودهم واعراضهم عن البحث فيما يحتاج اليه المسلمون في هذا العصر من العلوم والفنون والصناعات ، والنظام المالي وسياسة الامة التي تجمع بين هداية الدين وقوة الامة بالمال والقوة ... والسعي في إنهاضها وجمع كلمتها — فان اليوم الذي تنبذهم فيه الامة سيكون قريباً ، وحينئذ يكون التحامل عليهم شديداً على سنة رد الفعل الطبيعية ، فعلماء الشيعة لا يزالون أصحاب الزعامة في طائفتهم على حين نزعت الزعامة من علماء أهل السنة وصار نفوذ المتفرنجين حتى الملاحدة منهم في العامة المتدينة أقوى من نفوذهم كما هو مشاهد في بلاد الترك وبلاد مصر ، وقد سبق متفرنجو الاتحاديين في الترك الى سلب سلطة شيخ الاسلام على المحاكم الشرعية فعملوها تابعة للمحاكم الاهلية القانونية^(١) فليفتكر في ذلك علماء الشيعة ،

(١) بعد كتابة هذه المقالة للاجزاء الثامن وتمذر نشرها فيه وفي التاسع جاءنا نياً سلب الترك للسلطتين التشريعية والتنفيذية من خليفتهم كما بدناه في محله

واننا نحييهم في هذا المقام على مقالات (مدنية القوانين) التي نشرها في المنار ونرجو من صدقنا العلامة السيد عبد الحسين ومن سميته العلامة الشيخ عبد الحسين وهما أشهر علماء جبل عامل أن يبيننا لنا رأيهما فيها وفي هذه المقالة كتابة وإذا سمحنا لنا بنشر آرائهما في المنار فاننا نرجو أن نستفيد بها ونفيد ، على أننا ننشر ما يفضّل به غيرهما من علماء الشيعة وغيرهم من تأييد أو نقد في هذا المقام ، يفيدنا فيما نسمى اليه من الاصلاح ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

خطبة الغازي مصطفى كمال باشا

التي ألقاها في مجلس الجمعية الوطنية الكبير بأقره في جلسة ١٢ ربيع الاول (اول نوفمبر) التي اعلنوا فيها اسقاط الدولة العثمانية للاقتناع بكون سلب المجلس السلطة من الخليفة موافق للشرع الاسلامي وكان ذلك على اثر ارسال توفيق باشا الصدر الاعظم رقيات اليه بطلب اعضاء من حكومة اقره ينضمون الى الاعضاء الذين يختارهم الباب العالي لمؤتمر الصلح الدولي .

ماهية الباب العالي

أيها الزملاء . ان توفيق باشا الذي يضيف الى اسمه في الاستانة صفة غير شرعية ، قد راجع القيادة العليا لجيوشكم بريقة خصوصية سرية ، ثم اردفها بريقة صريحة تفشي سر الاولى . واذا ما فحضم البرقية ألقيتموها ترمي الى تهويش الرأي العام الاسلامي واضعاف حكومتنا الوطنية التي فازت في الدفاع عن قضيتنا المقدسة فوزاً فعلياً وقانونياً ازاء الاعضاء الذين كانوا يرومون بحق استقلالنا . وقد اقتضت تلك البرقية للعارية عن المعنى والمنطق تكرار حقيقة مؤيدة بوجود مجلسكم العالي . لا شك ان الحقيقة المندرجة في شكل ادارتنا هي اخذ الشعب التركي بزمام اموره وقيامه بمهام سلطنته الشعبية منذ ثلاثة اعوام ودفاعه عن قضيته المقدسة . وقد ادى ظهور هذه الحقيقة الى زوال باطل : هو اجتماع سيادة الشعب وسلطنته في يد شخص واحد .

كرر هذه الحقيقة التي اقرها الشعب واقربها الهيئة الجليلة المؤلفة من وكلائه تبعاً لارادة الامة مرارا ، وارجوكم ان تتفضلوا بالاصفاء الي بضم دقائق حضرات الزملاء : لعلكم توافقوني على القاء نظرة سريعة قصيرة في التاريخ التركي والتاريخ الاسلامي توضحها للحقيقة

خلاصة تاريخية سياسية للتركية والاسلامية

ان في هذا العالم الانساني امة تركية عظيمة يزيد عددها على مائة مليون على أقل تقدير ، ولهذه الامة مكان فسيح في التاريخ يضاهي مكانها على وجه الارض. واذما شئتم - ايها السادة - امكننا ان نقيس هذا التاريخ بمقياسين الاول خاص بالعهد الذي يتقدم التاريخ المدون . ومنه نعلم ان اول تركي ابن يافث ابن نوح عليه السلام . وليس لنا الا ان نتسامح مع اول العهود التاريخية التي كانت تتسامح في جمع الوثائق ، انما يمكننا ان نقول مستندين الى اقطع الدلائل التاريخية ، المادة الجليلة : ان الاتراك اسسوا دولا عظمت في قلب آسيا منذ خمسة عشر قرنا وكانوا من العناصر التي تجلت فيها جميع انواع القابليات الانسانية . وقد قام بتأسيس تلك الدول الترية اجدادنا الذين كانوا يرسلون سفراءهم الى (الصين) ويتقبلون سفراء (بيرانطة) في عواصمهم

كذلك من المعلوم ايها الزملاء ان في العالم كتلة عربية يتسكون من قسمها الاسيوي كتلة متكاتفه . وقد ظهر من هذه الامة العربية نجر العالم ، والرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ايها السادة ، ان الله واحد احد عظيم ، ونستطيع ان نقول ناظرين الى تجليات السنن الالهية. ان الناس يصح فخصهم وهم في حالين ، وفي عهدين : العهد الاول عهد الصبا والشباب البشري ، والعهد الثاني عهد الرشد والكمال الانساني ، والانسانية في عهدها الاول كالطفل وكالشاب تبتغي ان تشتغل بنفسها بالوسائل القريبة المادية . وقد اقتضت ارادة الله ان يبعث في الناس من يرشدهم الى ان يتم وصولهم الى الكمال ، ولذلك ارسل فيهم من عهد آدم عليه السلام انبياء ورسلا لا يمكن عددهم او احصاؤهم ، الى ان قام نبينا الاعظم بتبليغ آخر الحقائق الدينية والمدنية . فلم تبق حاجة الى الاتصال بالناس بواسطة رسله حيث قد وصلت درجة كمال النوع البشري الى حد يصله بالالهامات الالهية رأسا ولهذا كان

الرسول المجتبي خاتم الانبياء وكان كتابه اكل الكتب السماوية .^(١)
ولد عليه الصلاة والسلام قبل الف وثلاثمائة وواحد واربعين عاماً في يوم
الاثنين من شهر (ابريل) ربيع الاول قبل طلوع النهار . وقد شب واكتهل ،
قبل ان يرسل وكان وجهه نورانياً ، وكلامه روحانياً ، لا يفوقه احد في رشده
ورويته ، بل يفوق الكل في صدقه وحلمه ومروءته . وقد امتاز محمد المصطفى
بأمثال هذه الصفات الجليلة قبل بعثته ، فاشتهر في قبيلته بلقب محمد «الامين»
وكان محبوباً ، محترماً ، موثقاً به لدى الجميع قبل بعثته

بعث محمد عليه الصلاة والسلام في سن الاربعين وارسل في سن الثالثة
والاربعين فظل سيدنا نخر العالم يسعي عشرين عاماً متكبدا اعظم المشاق ،
محوطاً بأشد الاخطار . وقد ارتقى الى اعلى عليين بعد ان بلغ الرسالة ،
وأمم تأسيس الاسلام . وهانحن اولاء في يومنا هذا (١٢ ربيع الاول) ندرك ذكرى
ذلك اليوم فقد ارتحل الرسول الاعظم الى دار البقاء في مثل هذا اليوم بالتاريخ
العربي . فلما ارتقى الرسول الى الرفيق الاعلى اجتمع المسلمون الذين ارشدتهم الى الحق
وعلى الاخص اصحابه الكرام (ص) وبكوا الفقداء البكاء . وانما ادرك ارباب الفطنة
ان لا فائدة في هذا الحزن الذي تقضي به البشرية فاجتمعوا للتشاور في اتخاذ
التدابير التي يتسنى بها رؤية مصالح الامة وادارتها بعد ارتحال رسول الله (ص)
اجتمعوا لينتخبوا اميراً يخلف رسول الله وقد كانوا يرون النبي الاعظم يحب
ابا بكر حبا جما وانه اشار في آخر ايامه بما افاد انه يبتغي ان يخلفه ابو بكر

آراء الصحابة في الخلافة

فكان المنتظر ازاء ذلك عقد اجتماع لا تتخاب ابي بكر الصديق انتخبا
رسمياً . ولكن الانتخاب لم يكن سهلاً الى هذه الدرجة حيث قامت المناقشات
والمفاوضات الكثيرة ، وحدثت الاختلافات العظيمة ، وظهرت ثلاث وجهات نظر
مهمة في امر الانتخاب :^(٢)

(١) المنار : هذه الجملة في الرسل وحكمة اكمال الدين بخاتمهم مقتبسة من رسالة
التوحيد للاستاذ الامام بالاختصار ، وهي في الرسالة منتهى البلاغة في البيان
(٢) التحقيق أن الخلاف لم يطل وانما كان بين المهاجرين والانصار اذ ظن بعض هؤلاء
أنهم أحق بالحكم لان العاصمة (المدينة) دارهم والقوة التي نصرت الاسلام فيها

الاولى : ان يكون الاستحقاق لمقام الخلافة بالكفاءة والقدرة على ادارة مصالح الامة . وعليه ينبغي ان تكون الخلافة في اقوى الاقوام (او قال القبائل) نفوذا ورشدا وهذا رأي جمهور الصحابة^(١)

الثانية : ان يكون من نصروا الاسلام الى ذلك اليوم اهلا للخلافة . وهذا رأي الانصار

الثالثة: التزام قوة القرابة . وهذا رأي الهاشميين .

لم يتسن ترجيح وجهة نظر من هذه الوجهات باتفاق الآراء لا لتخاسب الخليفة . فقام سيدنا عمر وبابع أبا بكر الصديق منها لتشتت الآراء فبوييم له . ومن ذلك يتبين ان التأثيرات الشخصية هي التي انتجت انتخاب الخليفة الاول ، لا ائتلاف الميول العامة تألفا طبيعيا حول نقطة واحدة .^(٢)

والحق، ايها السادة لا يصح لنا ان نظن ان هذه المناقشات الخاصة بالخلافة لاجل لها فان امر الخلافة في الحقيقة اعظم مصلحة اسلامية . والخلافة

قوتهم، ولم يكن المهاجرون الا ضيوفا عندهم، وأما المهاجرون وسائر الانصار فكانت حجتهم التي أدلى بها أبو بكر أن النبي (ص) نص على أن الخلافة في قريش وان العرب لا تدن الا لهم لمزاياهم المسماة بينهم — أي احتجوا بنص الشارع وبالمصلحة العامة التي هي من اصول الشرع ومقاصده ، لا بقوة عصبة أبي بكر فان الاسلام أمات العصبة الجنسية وانما احياها بنو أمية فجنوا على الاسلام اكبر الجنائيات وأما بنو هاشم فكانوا يزيدون على سائر قريش بقربهم من الرسول (ص) وذلك مرجح لهم فليس بينهم وبين نظرية الجمهور تعارض ، ولكن عمر (رض) خاف أن يسبق الانصار الى مبايعة رجل كبير منهم كسعد بن عبادة فيقع الشقاق بينهم وبين المهاجرين وتكون فتنة فبادر الى مبايعة أبي بكر لاعتقاده أنه هو الرجل الوحيد الذي يتبعه السواد الاعظم في مبايعته لكثرة مزاياه وترشيح النبي «ص» له بامامة الصلاة في آخر حياته ، وكذلك كان

(١) هذا خطأ محض فلم يكن احد من الصحابة يجيز ان يجعل الخلافة بقوة العصبة لتكون محل تنازع الاقوياء كما حصل بعد «٢» في هذا التعبير نظر والحق ما بيناه آنفا، وقد صرح عمر على المنبر بانبيعة ابي بكر كانت فلتة اي أمرا استثنائيا عارضا لا يجوز القياس عليه وان الله وقي المسلمين شرها بسبب أنه لا يوجد في الامة أحد تقطع أعناق الابل في الرحلة اليه والاتفاق على فضله مثل أبي بكر

النبوية امارة تربط اهل الاسلام اجمعين وتكفل اجتماعهم على كلمة الاتحاد . وقد قضت الحكمة الالهية ان لا تنمقد الاعلى السطوة والقوة^(١) اذ المقصد الاصيلي منها دفع الفساد، وتوطيد امان البلاد، وتنظيم امور الجهاد . وتمهد المصالح العامة، وهذا كله منوط بالسطوة والقوة . تلك سنة الله في خلقه .

من اجل ذلك كانت وجهة النظر الاولى التي عرضتها عليكم فيما سلف ، والتي تجعل الخلافة في الامة ذات الحول والطول ، أرجح وأغاب وجهة^(٢) . وكان من الصواب أن يتقلد أبو بكر الصديق الخلافة بالتأثير

تأسست بعد عهد السيادة النبوية امارة اسلامية باسم الخلافة على هذا المنوال . وقد حدثت الردة وبعثت الحركات الرجعية بعد وفاة الرسول فأخذها أبو بكر ووطد دعائم السلام . ثم توسل الى توسيع حدود الامارة الاسلامية . ولما أحس بدنو أجله تذكر ما وقع من المشاكل في أمر انتخابه وانتخب عمر الفاروق بنفسه لمقام الخلافة، وعهد اليه بها وقدمه للامة

اتسعت البلاد الاسلامية في عهد (الفاروق) اتساعا عظيما وكثرت الثروة ونمت نعموا كان من شأنه — كما هي العادة — حدوث الاغراض الدنيوية بين الناس ، وظهور الثورة والفتنة ، حتى لقد كانت هذه النقطة تزعج الفاروق الذي كان يتذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد قال لخواص أصحابه : ان أمتي سيظهر امرها ، وتهزم أعداءها ، وتفتح اليمن والقدس والشام ، وتقتسم خزائن الاكاسرة والقياصرة ، وأنها ستشب بينها الفتنة بعد ذلك فتضل وتفوي ، وتسير سير الملوك السالفين . حتى لقد سأل الفاروق يوماً (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه عن الفتنة التي تموج موج البحر فأجابه انه لا بأس عليه منها وان بينه وبينها باباً مغلقاً . فسأله عمر هل يفتح هذا الباب

«١» نعم ولكن قوة الاسلام المتحدة لا قوة شعب ولا قبيلة تحتكر السيادة وكون الخليفة من قريش الكثيرة البطون لا يمتضي هذا الاحتكار ولم يفعله احد لقريش ولكن ابتدعه الامويون لانفسهم فسئوا سنة سيئة كما قلنا من قبل

(٢) نص عبارته أن رأي الجمهور كان أرجح بالنظرية التي ذكرها وهي جعل الخلافة فيمن قومه أقوى من قوم القرينيين الآخرين وقد بينا ان هذا خطأ محض وضد الواقع بل كانت قوة الاسلام واحدة والا فان قوم أبي بكر هم بنو تيم وليسوا باقوى ولا أرشد من بني هاشم ولا من الاصحار — فهذا التعليل غلط او مغالطة

أم يكسر؟ فقال له حذيفة: بل يكسر. فقال عمر: اذن لا يتلاق بعدها أبداً. وتأسف. والحق ان الباب كان يوشك أن يحطم، اذ قد اتسعت البلاد الاسلامية وتثرت الاعمال. وكان من العسير تعميم العدل الكامل في كل مكان بمثل تلك الادارة. كان سيدنا عمر يفكر في ذلك ويتدبر في نتائجه ويضرع الى الله أن يقبض روحه ولقد سأله سائل وهو يبكي يوماً عن سبب بكائه فأجابه. كيف لا أبكي وأنا أخشى لو ضاعت شاة على مهر الفرات أن أسئل عنها؟

أجل ان الفاروق رضي الله عنه كان قد فهم حق الفهم ان الامارة الموسومة باسم الخلافة غير كافية لادارة دولة وان الفرد الواحد مهما اعتمد على فضيلته وقدرته ومهافته لا يستطيع ادارة دولة بأجمعها^(١). ولهذا السبب كان (عمر) لا يفكر في خليفة بعده^(٢) حتى لقد قال لمن أشاروا عليه بتولية ولده بأنه تكفي ضحية واحدة من بيت واحد. وخاطبه «عبد الرحمن بن عوف» رضي الله عنه اذ قال له: سأوليك الخلافة بعدي، قائلاً: أو تنصحي بقبولها؟ فأجابه. لا. فقال له عبد الرحمن: والله لا أقبلها أصلاً.

وقد كانت النتيجة ان نوصل (عمر) الى أحسن حل إذ أحال امارة الدولة ومصلحة الامة الى مجلس شورى (٣) فاجتمع أصحاب الشورى والشعب في المسجد وهناك قر رأيهم على تفويض أمر الادارة الى خليفة انتخبوه.

(١) هذا غلط آخر أو مغالطة خرى اراء الخطيب أن يجعلها حجة لما أورد من شكل حكومتهم الجديدة وسبب ذلك به بظن أن الخلافة سلطة شخصية مطابقة والنصواب أن سلطة شورى مقيدة. وانها أقرب الى شكل حكومة الجمعية الوطنية منها الى شكل حكومة سلاطينهم الذين كانوا يسمونهم خلفاء كوحيد الدين وعبد الحميد إلا أنها خير منها ولم يكن شكل الادارة علة لما حصل من الاحداث والفتن بل طبيعة الاجتماع التي ترتبت على سيادة دين جديد دولة جديدة وشعب جديد في اهم كثيرة ذات ملام متمردة في اقطار واسعة في اقل من ربع قرن مع صهوبة المواصلات

(٢) الشواب أنه كان يفكر والروايات فيه كثيرة «٣» ليس عمر هو الواضع للشورى بل رب عمر في قوله تعالى «وامرهم شورى بينهم» من سورة الشورى وقوله لرسوله «وشاورهم في الامر» وعمل النبي (ص) بذلك حتى كان يرجع عن رأيه الى رأيهم كما فعل في غزوتي بدر واحد.

تولى سيدنا (عثمان) الخلافة ولكن كان قد تحطم الباب الذي قضي عليه بالتحطم، وبدأ القيل وقال وظهرت امارات عدم ارتياح في اشر الممالك الاسلامية. وقد وقف سيدنا عثمان موقف الضعف والمعجز حتى لقد دعاه « معاوية » فامله على الشام لصيانة حياته فرفض « عثمان » ذلك وأمر « معاوية » أن يرسل اليه جنوداً للمحافظة عليه. ولكن لم يتسم المجال لاتخاذ هذه التدبير حيث قامت المناطق التي أعلن أهلها العصيان وتقدمت المدينة وحاصرت « عثمان » في بيته ثم أراقت دمه وهو بجانب زوجته

تولى الخلافة بعد ذلك سيدنا « علي » كرم الله وجهه بين ضوضاء عظيمة ووقائع دموية — وقد تحطم الباب — والحق أن العراق واليمن وسورية والقطر الحجازي كانت بلاداً مختلفة وان كان يسكنها شعب واحد. وقد اصطر الخليفة في الحجاز ان يقف وجهاً لوجه ازاء وال يستمد الى القوة حيث كان « معاوية » لا يعترف بخلافة « علي » لرم الله وجهه بل يتهمه بدم عثمان (١) فكان مما فعله الخليفة المأمور بتنفيذ الاحكام القرآنية قطع الحرب ازاء الجيوش الاموية التي علققت القرآن على زؤوس رماحها. وتعهد الطرفان بقبول ما يقضي به الحكمان. كان سيدنا « علي » حاضراً اذ جتمع مندوبه « أبو موسى الاشعري » مع (عمرو بن الماص) مندوب معاوية لتنظيم أمر التحكيم. فاعترض مندوب « معاوية » على ما خطه أبو موسى الاشعري من ان هذا التحكيم بين أمير المؤمنين علي ومعاوية. وطلب إلغاء عبارة أمير المؤمنين قائلاً انه لا يعترف بمارته الا من ثم تحت أمره فلا يعترف به أهل الشام. فوافق سيدنا « علي » ذلك. والكل يعلم تلك الحيلة الدنيئة التي وقعت بعد ذلك بين مندوبي الطرفين. وهناك بشر (عمرو) معاوية بالخلافة اذ نجح في حيلته. كما أن علياً استر يقوم بالخلافة بعد أن ردد قليلاً فيما اذا كان يجب عليه أن يراعي حكم الحكم ام لا

يتبين من هذا ان اثنين من كبار المسلمين لم يترددا في التنازع باسم الخلافة والتحارب من جلها اذ اراة دماء شعب بتشيع لئن واحد منهما رغما من ان الحكم على من واحد. وحسن رومه واحدة

(١) التحقيق انه سبق المبايعة لعلي علي تسليمه قتله عثمان لانه انهجه بدمه

تمكن الحاج في خيلته من هزيمة النز (١١٤) وارهاق آتة وعياله وهناك تحولت
الخلافة الى سلطنة اسلامية باسم الخلافة

فتحت الدولة الاموية فتوحات عظيمة ، ولكنها لم تحي الا تسعين عام اطاحت
بالوقائم الدسوة من اولها الى آخرها ، وقد استقطت الامة العربية دولة بني أمية
في عام ١٣٢ ، وأسست مكانها دولة أخرى هي الدولة العباسية التي كان يلقب
رؤسائها بالقبائل الخلافة . وكان هناك في الأندلس كذلك ملوك فلولوا يلقبون
بالقبائل الخلافة قرونا . بالرغم من ، حود الخلافة العباسية في العراق

أسلفت فيما سبق انه كانت قد تأسست في أواسط آسية دولة تركية قبل
خمسة عشر قرنا أي قبل هجرة الرسول الأعظم بقرنين ونصف ، وقد اعتنق
الأتراك الدين أسسوا هذه الدولة الدين الاسلامي قبل الف سنة . ووسعوا
بلادهم في اتجاه الشرق حتى حدود الصين ، وأقبلوا حتى سورية والعراق في عهد
لدولة العباسية لصفهم حنة دا . وقبوا نفوذهم في هذه البلاد التي تحت حكم
الخطفاء العباسيين ، وارتقوا الى أسمى المقامات ، وتولوا قيادة الحوش .

وقد تأسست في القرن الرابع الهجري دولة تركية عظيمة باسم الدولة
السلجوقية . فكان الأتراك الذين يحملون اسم هذه الدولة ينتشرون في بلاد
القافقاس من جهة ، وبلاد إيران والعراق وسورية من جهة الجنوب ، وبلاد
الأناضول من جهة الغرب ، حتى دخلت دولة الخطفاء العباسيين المقيمة في بغداد
في دائرة نفوذ هذه الدولة . والحقي أن هذه الدولة التركية مدت سلطانها الى
ما وراء النهر وخوارزم والشام ومصر واكثر الأناضول في أواسط القرن
الخامس الهجري ، ووسعت حدودها حتى كاشغر ونهر سيحون الى البحر الأبيض
والبحر الأحمر وبحر عمان ، بحيث كان الخطفاء العباسيون في بغداد تحت نفوذهم
وادارتهم . وقد جلس (ملكشاه) الذي مثل السيادة التركية بجانب الخليفة
المقتدي بالله واتصاهرا. (٢)

« ١ » الظاهر الموافق للواقع ان المراد هنا: هزيمة المغوية لالهزيمة في القتال فملي
كان هو المنصور والحسن ، صالح معاوية وهو أقوى منه حيننا للداه
« ٢ » في مسألة كون الدولة السلجوقية تركية والايوية كردية بحث تاريخي

أريد أن أحل هذا المظهر وهذا الموقف قبلًا . لقد كان (الخاقان) التركي الذي يمثل دولة تركية عظيمة لا يرى بأسًا في المحافظة على مقام الخلافة وحدها ولو رأى بأسًا في ذلك لكان في مقدوره أن يزرع تلك الصفة من الخليفة وأن يضيفها إلى نفسه ، أي أنه لو أراد (ملكشاه) لفعل في بغداد ما فعله السلطان سليم في مصر بعد خمسة قرون^(١) . بل إننا نرى (ملكشاه) لم يفكر إلا في أن يخلف المقتدي بالله من هو اصدق للدولة التركية والبق بمقام الخلافة . وقد ضنفت على الخليفة المقتدي بالله لعزل ولده من ولاية العهد وإقامة حفيده مكانه والآن — أيها السادة — مقام الخلافة محفوظ ومجانبه مقام السيادة والسلطة الوطنية ، أي الجمعية الوطنية التركية الكبرى . ولا شك أن هذين المقامين يتفان جنبًا إلى جنب وقفًا أعلى واسمى من وقفة الخلافة العاجزة الضعيفة إزاء ملكشاه ، لأن تركيا الحديثة تمثلها الجمعية لوطنة الكبرى ، ولأن الشعب التركي يتمسك ويتكفل بأن يكون سناداً لذلك المقام بجميع قواه ، من حيث هو واجب وجداني ديني^(٢)

لنتقدم في ملاحظتنا التاريخية ، نضم خطوات أخرى حتى تتضح لنا ضرورة إدارتنا الحالية ومقدار نعمها للإسلام

واجتماعي لا محل له الآن كما أنه لا محل لذكر شيء من عمل الترك في الدولة العباسية التي انتمت عليهم ورفعت مكانهم على العرب والمعجم

« ١ » هذه مسألة فيها نظر من وجوه ترجحها بيانها إلى وقت آخر لا يلبس الحقيقة فيه غيرها وإنما نذكر الخطيب وقراء الخطبة بمئات تأثير الاعتقاد والرأي العام وظروف الأحوال وصروف الزمان فقد كان نفوذ الجون ترك في عهد الاتحاديين أقوى من نفوذ السلطان وآل عثمان ولكنهم لم يقدرُوا على نزع الملك منهم كما قدرُوا عليه في عهد الكياليين

« ٢ » الخلافة ليست مقامًا وجدانيًا حقه الاحترام في القلب فقط بل هي عبارة عن رئاسة الحكومة الإسلامية ، فرئيس هذه الحكومة التي تقيم الإسلام بأحياء دعواته والدفاع عنها وتنفيذ أحكامه هو خليفة الرسول وأن لم يسم خليفة ، فإن هذا اللقب لم يطلق على غير لاول من الخلفاء الراشدين وقانون الجمعية الوطنية قد حصر السلطة كلها فيه ليس فيه ذكر الخليفة وقد نصت خليفة روحياً في الإصانة وإنما نتظر ما نتظر به من الامحالي

أيها السادة ان الأتراك الذين أسسوا في اواسط آسية دولة على دول قاموا بتأسيس دولتين عظيمتين بلفتنا أوج المدنية في غرب ذلك . هما الدولة السلجوقية الإيرانية، والدولة السلجوقية الأناضولية . ومن المعلوم ان (قونية) كانت حاضرة الدولة السلجوقية الأناضولية وان هذه الدولة قد حافظت على حياتها حتى عام ٦٩٩ . وبينما هذه الدول الإسلامية التركية المعروفة تسمى وتعمل ظهر الفاتح جنكيزخان (قارة قوروم) سنة ٥٩٩ ووسع حدوده حتى بحر الصين وبحر البلطيق والمحيط الأسود وقد استولى حفيده (هلاكو) خان سنة ٦٥٦ على بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم وبذلك رفع الخلافة من وجه الأرض فعلا

لقد رأى سيدنا عمر في حياته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستطيع وقف موجات الهيثة الاجتماعية . وفارق الحياة الدنيا مضطرب الروح، وأما سيدنا عثمان فقد سال دمه على صحف القرآن وسط الهجمات المقسرة، ولم يتمكن الامام علي كرم الله وجهه من تقرير الخلافة في عهده ولا من المحافظة على حقوق آل بيت الرسول ، ولا مريون لم يستطيعوا المحافظة على الخلافة اثر من تسعين عاما، وقد اضطر خلفاء العباسيون الى مصر نفوذ الخلافة بين اسوار بغداد ، وقد ذهب المستعصم آخرهم ضحية هلاك كومع اولاده وعياله وثمان مائة الف من المسلمين.

وأما خلفاء الاندلس الذين لم يتجاوز نفوذ خلافتهم قصر الحمراء بعد ضعف الخلافة العباسية فكنا يعلم عاقبة فاجعتهم في أوائل القرن الخامس الهجري . وقد أدت الواقعة الخطيرة التي قام بها (هلاكو) الى اعدام الخليفة ومقام الخلافة (١) ولكن لم تمض ثلاثة أعواد على ذلك حتى التجأ الى الحكومة المصرية (المستقر بالله) من آل عباس سنة ٦٥٩ هجرية فاعترف ملك مصر بخلافته ، وقد جاء من بعده ١٧ خليفة لم يكسر لاحد من أدنى نفوذ أو تأثير رأسي بل كان يستخلف

« ١ » يريد بكل ما تقدم ان حكومة الخلافة الإسلامية بالمعنى المعروف في الإسلام لم تنجح ولم تثبت لامة دائمة فيها تفتضي انها لا تصلح للمسلمين . وهذا خطأ محض والصواب ما أشرنا اليه في حاشية قبل هذه . وان خروج المسلمين عن احكام الإسلام في الخلافة كان من احباب تفاقم تلك الاحداث والغتت وصقوحت الدول

بعضهم بعضاً تحت حماية الحكومة المصرية. فمما أشنت الإدارة السلجوقية أسست
 الأمة التركية الدولة العثمانية مكان الدولة السلجوقية عام ٦٩٩ هجرية وقد وجد
 السلطان سليم عند دخوله مصر عام ٩٢٤ م يلقب بالخليفة ، عدا من قتلهم
 من ملوك مصر ، فلم يتردد ذرة في أن بقاء صفة الخلافة في شخص عاجز مما
 يهين العالم الاسلامي فاتخذها لنفسه على أن يجعل قوة الدولة التركية سنداً لها
 أيها السادة : تأسست الدولة العثمانية عام ٦٩٩ هجرية ، تقلدت خلافة عام
 ٩٢٤ . فلم يمض على ذلك التاريخ خمسون سنة حتى أتمت ثلاثة قرون من حياتها
 تدمي عهد الاعتلاء ولا تتصارات المتوالي . أما بعد ذلك فقد بدأ عهد الانحطاط
 فصارت الحدود التركية تضيق كل يوم . ونهضت قوات الشعب التركي مادة ومعنى
 كل يوم ، ونزلت الضربات الموجهة على رأس الاستقلال التركي وتمحق أراضي
 المملكة وثروتها ونفوسها وكرامتها بسرعة مدهشة . (١)

كانت البلاد منتبهة مستعدة لما الحجة أسباب مصائبها منذ قرون في لحظة احدة .
 اذ كان التاريخ واضحاً للغاية ، وكان الشعب قد بلغ أشده و كاله يعمل لملافاة نتائج
 غفلته مؤلمة التي انسته نفسه . جراه اتخاذ واسطة وقوة لثرب . يح اطماع الانحطاط
 الذين يريدون أن يتحكوا ، أن يتسلطوا ، أن يستولوا وأن يتمنعوا وان
 يسترحوا ، أن يتوغلوا والسرف . الترف . مع الرذائل وغير ذلك من المقصد
 لديئة . هالك لم يتردد الشعب في الحكم بأه فداحان لوقت الذي يستعمل قوته
 وتقوده المعقول ، المشروع ، الانساني

ولهذا هب الشعب التركي الذي أسس دولة حنكزية ودولة سلجوقية
 ودولة عثمانية وحرب جميع عدد الدول باء دث وأسر في هذه المره دولة
 باسمه وعنوانه ووقف بأراء لمصائب التي يلي بها بعسرتة وقوته أي فطر عليها
 سلم الشعب جميع أموره ووجه السلطة الشعبية . لا في شخص واحد ،
 بل في مجلس عال مؤلف من وكلائه الذين ينتخبهم جمع أفرادهم . وهذا المجلس

«١» يفهم من قوله هذا بمونة ماسبقه ان منصب الخلافة الذي ادخله السلطان
 سليم في الدولة هو الذي كان سبب سرعة انحطاطها وقد صرح الدكتور رضا نور
 عن هذا في حديثه الآتي - فيا ليت شرن ابي عمال عمله سليم ومن بعده باسم
 الخلافة فكان سبب ضعفها اما والله لو قاموا بولاية تلك الخلافة لماكوا لشرق كالم ...

مجلسكم الموقر ، أي الجمعية الوطنية التركية الكبرى ، التي تدعى حكومتها (حكومة الجمعية الوطنية التركية الكبرى) وليس هناك مقام سلطنة أو هيئة حكومة أخرى في البلاد

والآن قد يدور ناخلة سؤالا عما يصير اليه امر الخلافة بعد انهدام المقام الشخصي الذي يصيف لنفسه تلك الصفة

أيها السادة لقد رأينا مقام الخلافة في بغداد في عهد الخلفاء العباسيين وفي مصر يعيش قرونا بجانب السلطنة ، مع انقراضه عنها ، وان من الطبيعي جدا أن يكن مقام الخلافة بجانب مقام السلطنة الشعبية ، مفرق هو انه كان على رأس السلطنة في بغداد ومصر شخص ، وأما في تركيا فيجلس في ذلك المقام شعب ثم لا يكون مقام الخلافة صريفاً عاجزاً ملتجئاً ، كما كان في بغداد ومصر ، بل ستربع فيه شخص عاين يستند على الدولة التركية ^(١)

وعني هذا النحو - بزاد الشعب التركي قوة كل يوم ، صفته دولة عضوية مدنية ، وستضعف سادته ورفاهيته وفهمه لسانيته ونفسه ، كما أنه سيظهر في مظهر العزة والرفعة التي تشرح قلوب المسلمين أجمعين ، ويجمله النقطة التي يجتمع حولها العالم الاسلامي روحه ووجدته وإيمانه .

أيها السادة : لا رى حاجة لا يوضح ماتعدده الدولة التركية والجمعية لوطنية الكبرى وحكومتها من العوة والبركة والنجاة والسعادة للشعب التركي ، فان بحارب ثلاثة أعوام وثار تلك التجارب كافية لا يوضح ذلك على ما أعتقد وأما الفوائد التي تجيبها تركيا ومجيبها العالم الاسلامي من مقام الخلافة بعد ذلك فسيبرهن عليها المستقبل بكل وضوح

ان الدولة التركية الاسلامية ستكون اسعد دولة في العالم لسكونها منبها

« ١ » كان سبب وجود شيوخ يسعي خليفة في جانب السلطان التركي ببغداد والجر كمي مصر هو اعتقاد أولئك الترك والجر ا كسة أن الخليفة الحق يجب أن يكون قرشياً ومنه تستمد السلطة الشرعية ولا محل لا ستقاد الحكومة التركية مثل هذا الاعتقاد في بني عثمان الذين سابتهم تلك لانهم الاتراخ أهلاله بل تراه ضرراً على الامة - على أن عمل أولئك السلاطين لم يكن شرعياً في الحقيقة بل في الصورة فما الفائدة في محاكاتهم فيه؟ ومن لم يكن أهلاً للسلطنة لا يكون أهلاً للخلافة بالأولى لانها سلطنة وزيادة مع سلطنة وهداية ونهضة

ومنشأ لتجلي السعادتين

والآن احتم كلامي قائلاً اني رى جميع الزلاء متحمدين ومتفقين تمام الاتفاق في اساس المسألة التي نتباحث فيها ، وتلك حال سارة نوجب شكر الامة وتبريك الجمعية المبجلة ، لقد تلي علينا تقرير مفصل من قبل ، ولدينا تقرير آخر قدم الآن ، وكلاهما متحد في الاساس ، فليس لدينا الا ان نحرر ما ورد فيهما في شكل اصرح والطف ، ثم نحيلهما على راي الجمعية الوطنية المبجلة ونعلمهما بمد الحصول على رايها ، وبذلك نحول دون جميع الدسائس التي يدسها علينا اعداؤها ، انتهت الخطبة

﴿ المنار ﴾ إن المراد من هذه الخطبة السياسية جعلها حجة للجمعية الوطنية التركية في إسقاط الدولة العثمانية وتأييد دولة ترزية محضه بشكل جمهوري جديد واقامة هذه الدولة خلافة روحية للمسلمين بمعنى جديد لم يعرف من شكله الا ان محصورة في بني عثمان وان الدولة التركية هي التي تنتخب خليفة تركيا عثمانيا وتؤيده بقوتها وتجاهل على حرمانه من سلطة الحكومة أجل وارم من الخليفة العباسي الذي تغلب عليه سلاطين الترك في بغداد والذي تغلب عليه سلاطين مصر ، ولكن هذه التنظيرات التاريخية على ما فيها ليست حججاً شرعية على ما كان وعلى ما يراد الآن ، وإنما هي مبنية على قاعدة « الحق للقوة » ولاحتياج الدولة التركية الجديدة إلى حجة غيرها ، وليس السلجوقيون ولا الجراكمة ولا غيرها أولى بها منها ، وهذه القاعدة هي التي تجرى عليها سياسة هذا العصر وجميع الشعوب الاسلامية التي تعطف على الترك وتؤيدهم فانما تؤيدهم لاجل قوتهم الحربية والتلذذ بأن شعبا اسلاميا يقاتل الافرنج المستذلين لهم قتال الاكفاء ، ويضطرهم بقوته الى احترامه والاعتراف بحقوق لدولته ، لا لاجل الخلافة والخليفة ، والبرهان القاطع على ذلك انهم كانوا إلباً واحداً على محمد وحيد الدين ، لما ناول الكاليين ، ولا تأثر و ذلك لما يقال من تنازل الاسير العباسي للسلطان سليم أمره عن الخلافة التي لم يكن يملك منها الا دون ما يملك وحيد الدين منها ومن السلطة عندما فر الى مالطة . فان فقد الشعب اثره في المسلم هذه القوة الحربية الممازة (لا سمح الله بذلك) لم يمد أحد من المسلمين يوالي بأمره أو جده حليفة أم لا . فعليه ان يوجه حلافة صهيحة أو يدع .

أقول هذا وأنا لهذه القوة ناصح أمين، ومؤيد لها في مكافحة اعداء المسلمين، وكنت أول من قاوم السمي لجمال شريف مكة الذي خرج على الدولة ووالى اعداءها خليفة للمسلمين، ونوهت بأعمال الكمالين وفضلتهم عليه وعلى اولاده ولكني لأقول الا ما اعتقد أنه الحق، ومنه أن الغازي مصطفى كمال باشا مخطيء فيما رمى اليه في خطبته من محاولة اثبات ان نظام الخلافة الشرعي غير صالح ولا موافق لمصلحة الأمة، وان سيدنا عمر علم بذلك ومهد السبيل لنظام غيرها بأمره بالشورى في انتخاب الخليفة بعده - ومخطيء في استدلاله على ذلك بهجز الامويين والعباسيين والمثانيين عن اقامة تلك الخلافة، كما اخطأ في دعواه ان جمهور الصحابة جعلوا الخلافة تابعة لقوة العصبة الجنسية - ونتيجة هذا أنه مخطيء في حكمه المقصود بالذات من أن الحق أو الصواب ما فعله المتغلبون على الخلفاء الاولين من سلب سلطتهم، وجعلهم آلة للتبرك بلبقهم، وان ذلك حجة لاقتداء الحكومة التركية الوطنية بهم، كل ذلك باطل واعتداء على الشرع تفذ بالقوة، ويمكن الآن أن ينفذ مثله بالقوة، ولكن لم يكن ذلك ولن يكون هذا حقاً ولا خيراً لمن فعله، بل صدق على الجميع قول الرسول (ص) في الامارة والحرص عليها بغير حقها « نعم المرزعة وبئست الفاطمة » رواه البخاري وقد بينا الحق في المسألة في مقالتنا التي نشرناها في هذا الجزء، وقد كتبنا الى الغازي مصطفى كمال كتاباً أشرنا فيه الى الخطة المثلى في احياء مقام الخلافة والانتفاع به وذلك قبل وقوع هذا الحدث الاخير الذي نرجو أن يصححوا خطأهم فيه بمد الصلح واستشارة علماء الاسلام الاعلام من جميع الاقطار -

هذا واننا تم السياق التاريخي الذي بدأنا به فنقول
التقرير الذي اعتمد وقرار الحكومة

التي القاها مصطفى كمال باشا خطبته هذه في جلسة الجمعية الوطنية الكبرى التي عقدت لاعلان اسقاط دولة آل عثمان وحكومة الباب العالي بمناسبة برفيات الصدر الاعظم توفيق باشا التي ارسلها اليه يطلب فيها ارسال مندوبين لمؤتمر الصلح يشتركون مع مندوبي الباب العالي. وأما التقارير التي اشار اليها في الخطبة فقد اعتمد منها تقرير الدكتور رضانور الموقع من ٦٨ نائباً وبني عليه قرار الجمعية الآتي

وهذا نص التقرير

﴿ تقرير الدكتور رضا نور المومع من ٢٨ نائباً ﴾

« ان الدولة والامة العثمانية قد نزلت بها أعظم المصائب من جهل السراي والباب العالي واسرافهما منذ قرون وقد كانت نتيجة ذلك أن تدهورت البلاد في مهاوي الانقراض . لكن الشعب التركي المؤسس للامبراطورية العثمانية والمالك الحقيقي للبلاد هب دفعة واحدة في الأناضول ووقف في وجه أعدائه الخارجين كما جاهد السراي والباب العالي اللذين اشتركا مع الأعداء في مبادئهم وأسس الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة كما الف جيوشها وحارب أعداءه الخارجين والسراي والباب العالي ، في أخرج الظروف حتى وصل الى يوم التجاة . أسس الشعب التركي قانون التشكيلات الاساسية اذ رأى خيانة السراي والباب العالي وأخذ السيادة من السلطان لنفسه بالمادة الاولى من ذلك القانون كما أعطى الامة جميع القوات التنفيذية والتشريعية بالمادة الثانية منه وجمع كل الحقوق المملوكية في نفسه من اعلان حرب وعقد صلح وغير ذلك . بالمادة السابعة منه . فبناء عليه قد انهدمت الامبراطورية العثمانية القديمة منذ ذلك الحين وتأسست مكانها دولة تركية وطنية ، كما زال السلطان منذ ذلك اليوم وتولى مكانه الشعب ، فليس للهيئة الموجودة في الأستانة سناد شرعي غير اجنبي يمكنها أن تستند اليه بل هي ظل زائل

أسست الامة حكومة شعبية تحمي حقوق الشعب والفلاح وتكفل بسمادته مكان الحكومة الشخصية المؤسسة على حكم جماعة النزق والترف . فلهذا نهار أشد حيرة اذ نرى في الأستانة أولئك الذين شاركوا المدو في معاداته للشعب التركي لا ينفكون يتحدثون بحقوق الخلافة والسلطة وحقوق البيت الملكي ، بل انه يندري التاريخ وجود وثيقة كبرقية يوفيق باشا من جهة غرابتها ومخالفتها للواقع وعليه فاننا لطاب اتخاذ القرارات الآتية:

- ١ — قد انقرضت الامبراطورية العثمانية مع مبدأ الاوتوقراطية
- ٢ — تأسست حكومة فتيحة قوية وطنية باسم الدولة التركية مبنية على

قواعد الحكومة الشخصية

٣ - الحكومة التركية الجديدة تقوم بمقام الامبراطورية العثمانية وترثها وحدها في داخل حدودها الوطنية

٤ - حيث إن الامة قد تولت السيادة بنفسها بموجب قانون التشكيلات الاساسية فالسلطة التي في الآستانة صارت الى العدم وانتقلت الى التاريخ

٥ - ليس في الآستانة حكومة مشروعة بل إن الآستانة وما حولها مائند للجمعية الوطنية الكبرى ، ولهذا يجب تعيين الموظفين لها من قبل حكومة الجمعية الوطنية

٦ - الحكومة التركية تنقذ مقام الخلافة الذي هو حقها المشروع من أيدي الأجانب الذين وقعت الخلافة أسيرة في أيديهم . «

(قرار الجمعية الوطنية)

وفي جلسة أول نوفمبر نشرت الجمعية الوطنية منشوراً وقراراً باتفاق الآراء محصوراً في مادتين هذه ترجمتهما :

١ - ان الشعب التركي قد فوض للجمعية الوطنية الكبرى ، التي تمثله تمثيلاً حقيقياً جميع حقوق سيادته وحاكيتته بمقتضى قانون التشكيلات الاساسية بحيث تجتمع تلك السيادة والحاكمة في الشخصية المعنوية للجمعية اجتماعاً لا يقبل زكاً ولا مجزئة ولا نقلاً الى غيرها ، كما فوض اليها تلك السيادة وعدم الاعتراف بأي قوة أو هيئة لا تستند على الادارة الوطنية . فلهذا لا يعترف بشكل أي حكومة في داخل حدود الميثاق الوطني الاحكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا . من أجل ذلك يعتبر الشعب التركي شكل الحكومة التي في الآستانة والمستندة على السيادة الشخصية منتقلة الى التاريخ انتقالاً أبدياً ابتداء

من يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠

٢ - الخلافة في آل عثمان بحيث تنتخب الجمعية الوطنية الكبرى لها من آل ذلك البيت أرشدتهم وأصلحهم عالماً وأخلاقاً . والدولة التركية سناد مقام الخلافة

١ نوفمبر سنة ١٩٢٢

كلمة الدكتور رضا نور بك في الخلافة والسلطنة *)

لما وصل الى الاستانة الدكتور رضائور بك وزير الصحة والتعاون الاجتماعي في انقرة وأحد مندوبي الترك لمؤتمر لوزان في طريقه الى أوروبا اجتمع به أحد الصحافيين وسأله عن رأيه في الانقلاب الاخير وعن نتائجها فأجاب الدكتور بما نعر به هنا وفيه القول الفصل لان الدكتور من زعماء هذه الحركة وهو الذي قدم بالاشترار مع حسين عوني بك بمبعوث أضرهم تقريراً الى المجلس الكبير بفصل الخلافة عن السلطنة بقرت المناقشة في مضمونه ووافق عليه المجلس قال الدكتور :

« هذا هو التاريخ مائل أمامنا يحددنا أنه كان في العصر العباسي خلفاء ما تدخلوا في الشؤون الزمنية مطلقاً ، ولا اكتمك أن الدول التي يجمع خلفاؤها بين السلطين الدينية والمدنية في أشخاصهم تصير دائماً الى الفناء والانقراض (١) اذا فكرت في هذا الامر ضمن دائرة العلم والاصول الادارية يظهر لك أن القرار الذي أصدرناه بفصل الخلافة عن السلطنة منطبق على أحدث الاصول (٢) وسيقابل العالم المتمدن والعالم الاسلامي كله عملنا بالارتياح وستظل الامة والدولة التركية حامية لمقام الخلافة المعلى وتتولى جيوش تركيا وحرابها الدفاع عنه « ولا يخفى ان الخلافة تكون دائماً في الدول والامم القوية القادرة على

* المتظم في ٢ ربيع الآخر

(١) أكثر متفرنجي الترك على هذا الرأي وهم مخطئون في جعل الجمع بين السلطين سبب الفناء فان الدول التركية التي نوه بها مصطفى كمال باشا وقال انها أبت انتحال الخلافة وأمثالها من الدول التي لم تكن جامعة بين السلطين قد انقرضت أيضاً وهي كثيرة وقد اشرنا الى اسباب ذلك في موضع آخر وهذه حكومة اليمن جامعة بين السلطين منذ أكثر من الف سنة ونيف وقد حاولت الدولة العثمانية القضاء عليها منذ أربع قرون فمجزت ولانزال باقية وبيت الامامة فيها أقدم بيت ذي حكومة في الارض (٢) نعود فنقول إن فصل الخلافة عن السلطنة يخرجها عن معناها الشرعي الى معنى أحدث الاصول المخالفة لاصول الاسلام القديمة اي يخرجها عن كونها الخلافة الاسلامية ويجعلها خلافة مشايخ الطريق وهي حينئذ لا تحتاج الى حراب ولا مدافع

الدفاع عن بيضتها ، واعلاء كلمتها . فاذا ما استندنا لخليفة الى حراب الترك يصبح
ذا تأثير ممنوي في العالمين الاسلامي والمدني »

المحرر — هل صدر قرار بفصل وكالة الشرعية (المشيخة الاسلامية) عن
الوزارة على أن تكون مرتبطة بمقام الخلافة أم لا ؟ وهل ينتظر حدوث شيء
مثل هذا ؟

الدكتور — لم يصدر شيء حتى الآن وقد ترك البحث في هذه الفروع
موقتاً على أن يعاد إليها في فرصة ثانية فيفصل في أمرها

لقد أحدثنا انقلاباً تاماً الآن فهذا الانقلاب الذي هو انقلاب الانقلابات من أعظم
الانقلابات التي عرفها التاريخ فجاء عصرها تاماً ولم يبق لنا وقت نعالج فيه المسائل الثانوية
المحرر — الا ترون أنه كان الأفضل تأجيل إصدار هذا القرار ريثما يعقد الصلح ؟
الدكتور — لقد وقع الانقلاب في الزمن الملائم ، ولا يغرب عن البال

أن هذا الأمر داخلي بحث لا علاقة له بالصلح الخارجي

ويلوح لي أن أهل الآستانة لم يدركوا تماماً مزايا هذا الفصل ولكنهم
سيماهون في المستقبل القريب أن فيه سعادة الاسلام وحياة تركيا

« من الحقائق الثابتة أن الأمة التركية لا تعيش داخل ادارة امترج فيها
الدين بالدنيا ^(١) وليهمل أهل الآستانة أن الأمة التركية ولا سيما قرويي الاناضول
منها لا يخضعون لسلطنة الاشخاص فقد سئموا ذلك وملوه ^(٢) »

« اسمعوا خفقان قلب الاناضول وانصتوا الى روجه التي تقول: ان الانسان
ليس متاعاً تجارياً يقايض عليه وما هو بمملوك فيضحي لنيل الفخار وارضاء
الشهوات والمطامع . كنا نظن أن أهل الاناضول على شيء من الجهل والغباوة
ولكننا لما اضطررنا الى التغلغل في احشاء الاناضول والتنقل في ربوعه والاختلاط
بأهله عن كذب أدركنا اننا سنا على خطأ وأن الاناضوليين يفكرون أحسن منا
وينظرون الى المسألة من أصلها

وبعد فأنني أرجو أن أسألكم بوجدانكم وعامكم لماذا لا توافقون على الفصل

(١) هذا تصريح آخر بأن الحكومة غير دينية وهذا أخص من جعلها غير
مرووسة لخليفة ديني حكومة الافغان دينية ورئيسها ليس خليفة الاسلام الشرعي
(٢) لا نثق بنقل الدكتور عن فلاحى الاناضول فان اعتقاده ليس كاعتقادهم قطعاً

بين الخلافة والسلطنة؟ فاننا لو رحننا قلب صحف التاريخ العثماني لوجدنا أنه كان بين السلاطين من كانت له حلية مزخرفة يطلقها ثم يحاول السير بين صفوف الامة واجراء الحكم باسم الخلافة^(١)

المحرر - متى يكون انتخاب الخليفة؟

الدكتور - لا أعلم متى يكون ذلك ومن المقرر أنه سيختار الأرشيد

والاصح من أبناء عثمان

المحرر - لا يخفى عليكم أن بين المسلمين دولا وجماعات أولي قوة وبأس

فاذا قامت إحدى هذه الدول عداءً وقالت إنها ستختار الخليفة فماذا نقول لها؟

الدكتور - يصعب جداً على هاتيك الجماعات الاسلامية انزاع الخلافة

من أيدينا لان الخلافة قائمة على القوة، ولان فصلنا بين الخلافة والسلطنة موافق

أيضاً لاحكام الشرع الشريف^(٢) وزد على ذلك اننا لو نظرنا فيما له علاقة بالتاريخ

الاسلامي من شؤون الخلافة نجد أنه من الضروري لبقاء الخلافة في آل عثمان

نيل موافقة العالم الاسلامي والهنود وسواهم من الامم الاسلامية الاخرى

على اتفاق في الرأي بهذا الامر^(٣)

ولما كانت الخلافة قائمة على القوة وليس من المستطاع بقاء الخلافات الضعيفة

فستظل الخلافة بأيدينا أبدىالاننا نبذل دماءنا في سبيلها منذ عصوره والترك

هم الذين أوصلوها الى الهند والصين وقاتلوا الامم الاخرى دونها (٤٤)

المحرر - من هو الأرشيد والاصح بين أبناء عثمان؟

الدكتور - يوجد على كل حال بينهم رجل يصلح للقيام بهذا الامر

المحرر - ماذا سيكون لقراركم من التأثير في العالم الاسلامي؟

الدكتور - لا أظن انه سيكون له اثر سيء فان غايتنا كما قلت آتفا هي

(١) هذا عبث بمنصب الخلافة سببه الجهل بها وبالاسلام الذي شرعها، وذلك

السلطان المدعي لها دجال مبطل، وأنصاره أضل منه وأجهل، فهل يصح أن يحكم على

ضمر الخلافة وفسادها بفساد أمثال اولئك السلاطين المدعين لها بالباطل؟

(٢) كلاله مخالف للشرع وان أصل الشرع ان تكون القوة للحق لا الحق

للقوة وكل ما خالف ذلك فقير شرعي

(٣) فستبهر ويصهرون

معاودة المسلمين ولأنه موافق لأحكام الشرع الشريف
 المحرر - هل تفكرون في نشر بلاغ على العالم الإسلامي بما تم ؟
 الدكتور - لا أدري ، ويجب أن تعلموا أن المسلمين كلهم متحدثون
 معنا فكراً وقد ثبت ذلك في مواقف كثيرة ، ولما كنت برحمتي الأخيرة في
 روسيا كان مساموها يقولون لي « إن الأناضول صار كعبة المسلمين »

المحرر هل حددتم عمر الخليفة ووظائفه ؟
 الدكتور - لم يتم شيء من ذلك . ومن الممان أن الخليفة سيقوم
 الاشتراك مع وكيل الشرعية (شيخ الإسلام) بإدارة الأمور الدينية . على أن
 عن ذلك فإن للخليفة في العالم أعمالاً كثيرة أخرى
 المحرر - هل أبلغتم الخليفة الحالي شيئاً بما تم ؟
 الدكتور - لا أعرف والذي استطعتم قوله هو أنه إذا لم يسأل مجلس أقره
 عما تم بشأنه فلا يبلغه المجلس شيئاً الآن اهـ

﴿ المنار ﴾ لا شك في أن الدكتور رضا نور بك صاحب هذه
 التصريحات من أركان الجمعية الوطنية لحكومة أنقرة وأن قرارها التاريخي
 كان بترجيح رأيه ورأي من سبق فأقنعهم به ، ولكن حكمه على العالم
 الإسلامي عامة وعلى مسلمي الأناضول خاصة هو كأقواله في الشرع الإسلامي
 ليس مبنياً على شيء من العلم الصحيح . إن العالم الإسلامي يعطف على حكومة
 أنقرة في شيء واحد وهو مقاومتها لسلطة الأجانب المعتدين عليها وعلى غيرها
 من الشعوب الإسلامية

وأما مسألة الخلافة وما قرروه بشأنها فمن المسلمين المصرح بالانكار عليه ،
 والساكت المنتظر أنجلياء الفحة وما يكون بعد الصلح ، والمهني للخليفة الجديد
 المبايع له على أنه خليفة المسلمين وحاكمهم وصاحب السلطان عليهم وإن سلب
 حكومة أنقرة لسلطته باطل فهو غير نافذ شرعاً ، ولم يمدعن هذه الفرق الأفراد من
 المتفرجين الذين يودون الانسلاخ من الحكومة الدينية ومن كل ما هو من الدين ،
 ولا قيمة لهم بين المسلمين (ولتعلمن نبأه بعد حين)

هذا وأنا كنا قد رأينا برقية لشركة روتر فيما كان من الخلاف والمعارضة
 لتقرير هذا الدكتور في الجمعية الوطنية ولا سيما مسألة الخلافة فلم نخجل بها ،

ولكننا رأينا اليوم (٢٩ ربيع الآخر) قبل طبع هذه الكراسة من المنار تفصيلا لما كانت اثبتته تلك البرقية نشرته جريدة الاهرام فرجنا نشره تماما للوثائق التاريخية وهو

انفصال السلطنة عن الخلافة

كيف وضعه مجلس أنقرة الوطني

حضرة الفاضل صاحب جريدة الاهرام

نشرتم في جريدتكم مقالات مختلفة لانصار فصل السلطنة عن الخلافة ولمعارضيتها فلا شأن لي في الزيادة على ما قيل لان فيه كفاية للمسلمين ولكنني أريد أن أذكر في هذه الرسالة بعض ما اطلمت عليه عن الكيفية التي وضع بها القرار الذي قضى بفصل الخلافة عن السلطنة مستقيا معلوماًني عن نشرتين نشر الاولى منهما لطفي فكري بك أحد المندوبين في المجلس الوطني الكبير والمحامي الصحافي المعروف. ونشر الاخرى العالم المشهور الشيخ بشير في (نيكده) وهذه خلاصة ما ورد فيهما أعرضه على طلاب الفائدة لمقارنته عما يعارضه واستخراج حقيقة الواقع

وضعت الفتوى بفصل السلطنة عن الخلافة بناء على اقتراح قدمه الدكتور رضانور بك - أحد مندوبي الترك في لوزان الآن - في ٣٠ أكتوبر الماضي الى المجلس الوطني الكبير. ووقم عليه ستة وسبعون من زملائه فجرى فيه بعض التعديل وأحيل الى لجنة الامور الشرعية في أول نوفمبر الماضي وهذا المجلس عقد جلسة دامت ساعتين وأسفرت عن وضع قرار معارض له من جميع الوجوه على أنه عند ما طرح الاقتراح على المجلس لقي معارضة شديدة وكلما حاول أنصاره عرضه للتصويت لاقراره بالاكثرية كان المعارضون ينسحبون من الجلسة فتعطل لمدم وجود العدد القانوني لابداء الآراء . ولم يكن عدد الموجودين في المجلس يزيد على ٢٢ مبعوثا فأرسل الغازي مصطفى كمال باشا يستدعي أنصاره المتفبين لاسباب مختلفة

ولكن المعارضة أخذت بالامتداد وكانت تتألف من حزبين قويين أحدهما حزب الاتحاد والترقي وعدد أعضائه خمسة وأربعون والآخر حزب آخر تألف لهذه الغاية من أنصار قره واصف بك المشهور وعدد أعضائه خمسة وأسمون . أما الاتحاديون فعارضوه لأنهم وجدوا هذا الاقتراح فرصة سانحة للإيقاع بحزب الحكومة والحلول محله وأما أنصار (قره واصف بك) فكانت معارضتهم مبنية على أسباب دينية وسياسية لا محل لايرادها هنا . فلما أعيى حزب الحكومة الأمر ورأى أن المعارضين يكثر عددهم وينسحبون كلما طرح الاقتراح للتصويت تصرف كما تقول النشرات المذكورتان آنفاً تصرف حزب الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثان قبل الحرب ، وذلك بأن طرح الاقتراح للتصويت وطلب أن يبدى الموافقون آراءهم برفع الأيدي فرفع الموافقون أيديهم وقام ضجيج هائل في المجلس الى أن أعلن الرئيس أن الأكثرية قد حصلت وأعلن انقضاء الجلسة ولما عرف هذا الأمر استقال عبد الله عزمي بك وزير الشؤون الدينية ولكن صدر إليه الأمر بأن يبقى في منصبه وبما يتعين خلف له (مطالع)

﴿ المنار ﴾

هذا التفصيل مؤيد لما ورد في بعض الانباء الخاصة من أن الأكثرين في الجمعية العمومية كانوا معارضين للدكتور رضا نور زعيم الغلاة في هذه الفكرة التي يعتقدون أن وجوده في موسكو هو الذي قوى عزيمته عليها، ولولا أن الرئيس مصطفى كمال باشا أيدته أخيراً لرفض اقتراحه نهائياً. وبهذا ظهر لنا سر ادعاء الرئيس في خطبته أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه حصلت بتأثير عمر الشخصي لا برأي الأمة، وقد بينا غلطه - وإن شئت قلت مغالته، في هذا - في تعليقنا على الخطبة ولكن لم يظهر لنا غرضه من هذه المغالطة الا بعد وقوفنا على هذا الخبر . ونختم هذا الموضوع هنا بأن حكومة انقره مؤيدة الآن بأعظم قوة عسكرية ببلغها طاقة البلاد ، لها في عنقها منة الانقاذ ، فهي في حالة غير عادية ، ولا يظهر شكل حكومة الشعب فيها كما هي الا بعد إلقاء السلاح وعود الجند الى أعماله ، وانتخاب أعضاء الجمعية الوطنية انتخاباً عاماً اختيارياً ، والا بعد التروي والتشاور في مسألة الخلافة ، ولا سيما مشاوره علماء الاقطار الاسلامية غير التركية فيها . وينبغي أن براعى في هذا التشاور من يصلح له والله الموفق .

(المنار : ج ١٠) (١٠٠) (المجلد الثالث والعشرون)

مؤتمر لوزان للصلح في الشرق

انمقد مؤتمر الصلح في لوزان وبرز في ميدانه قائده العام لورد كرزون وزير الخارجية البريطاني يقاتل الوفد التركي بسيفين سيف الاتحاد الاوربي في يمينه وسيف الاتحاد البلقاني في شماله ، ومن ورائهما العالم المسيحي في أوربة وأميريكة يظهره على تأليف اوطان خاصة للاقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير - الارمن والروم والاشوريون والسكادانيون كلهم مسيحيون يجب أن يكون لهم اوطان في قلب البلاد الاسلامية ، ولاسيما الدولة التركية ، يمتازون فيها بلغاتهم وتقاليدهم الدينية والمدنية ، التي كانوا يحاربوا ولتهم الممثلة ، وسبباً من أسباب سقوطها - كما ظاهر دولته هذا العالم كله على تأسيس وطن لليهود في قلب البلاد العربية (فلسطين أو سورية الجموية)

إذا قال الترك اننا نريد أن نعيش أحراراً مستقلين في عقر دارنا ، وهو جزء صغير من سلطنتنا (امبراطوريتنا) الواسعة التي سلبتموها منا ، فالعدل والحق أن نكون فيها مثلكم في بلادكم ، وديننا وقوانيننا توجب علينا أن يكون للمخالفين لنا في الدين من المشمولين بسيادتنا مثل مالنا من الحقوق وعليهم ما علينا ، وماضيما يشهد لنا بتسامحنا . قالت الدول الاوربية القوية : كلا إنكم قوم متمصبون تريدون ظلم المسيحيين ، فاذا قال الترك لهم اذا كارماتهمونا به من الظلم قبيحاً ومحرمماً فلماذا تظلمون المسلمين ؟ وقد نحت أصواتهم وحفيت أقدامهم وأقلامهم من تكرار التظلم والاستغاثة ، ولا منصف ولا مغيث ، قالوا ان المسلمين متمصبون يستغيثون من العدل والرحمة المسيحية التي ناملهم بها فلا يقبلونها ، وأما المسيحيون عندكم فهم يشكون من ظلم حقيقي اسلامي مثال ذلك - وهو قليل من كثير - اننا رحمنا عرب فلسطين المسلمين فأعطينا وطنهم لليهود وجعلنا حكومته يهودية ، في ظل عدالة الدولة البريطانية ، لاجل أن يعمر هذا الوطن ويرقوا فيه الحضارة وينموا الثروة ، فيعيش العرب في ظلنا وظلمهم ناعمين متمتمين بالحضارة والذوات . فحملهم التعصب والجهل على الشكوى من هذه الرحمة ، بدلا من الشكر على هذه النعمة . وهكذا نريد أن نرحم الارمن في لاناصول والاشوريين في العراق !!!

قد حدثت دول الاستعمار الاوربية هذه السياسة وصردت عليها ، وكادت

تقضي على الشرق كله بها . ولولا الاختلاف بينهم على تقسيم بلاده لما بقي لهذا
الذماء من الاستقلال الضعيف المهدد فيه عين ولا أثر . والفضل الا كبر للنهضة
التركية الجديدة ان قادتها قاروا ما أوجرتهم سياسية أوربية من سم اليأس ،
وكشفوا ما وضعته على أبصارهم من غشارة الوهم ، واحتقروا الموت في سبيل
حريتهم . فهم قد أجمعوا أمرهم على سد منافذ السيطرة الاوربية السابقة عليهم ،
وشرهما ما تمتموا به من الامتيازات ، وما استغلوه من حماية المسيحيين وحقوق
الاقليات ، ودسائس المدارس والجمعيات . ونصرف المصارف والشركات .
ولكن الترك قد عرفوا من أوربة ما لم يعرف عرب الحجاز وسورية والعراق ،
الذين يبيهم زعماءهم للاجانب ويمنون عليهم معهم بالتحجير من الاسترقاق ،
زاعمين ان المشتري الجديد ، خير من الشريك التليد . وانهم سيقنعونه بالكلام ،
على جعلهم شركاء له في الاحكام ، وجعل الرق وسيلة للحرية ، والاتسباب
ذريعة للاستقلال التام . عرف الترك ان هذه الدول لا تعرف حقاً إلا للحسام ،
ولا مستحقا للحرية الا المحتقر للموت الذؤام . وسيرى اتحاد دول الخلفاء
الكبرى ، ودول البلقان الاخرى ، انهم لا يرهون اتحادهم ، ولا يرجعهم التهديد
والوعيد عن اصرارهم على تحرير بلادهم . فاما أن يضطر الاتحادان العظيمان الى
احترام ميثاقهم ، والاعتراف لهم بمساواة أعظم دولهم ، والا أعادوها عليهم
(أي الحرب) جذعة ، وذلك ماتا باه أمهم ، فانها ملت القتال وبذل الاموال ،
وسيكون الفوز للترك أعداء الخلفاء ، والخسار والمار على من محضوهم الود والولاء
يعلم الخلفاء علم اليقين أن الترك في أشد الحاجة بل الاضطرار الى الصلح
لان شعوب أوربية حاربت أربع سنين فأنهكتهم الحرب وأفنت ثروتهم
العظيمة ، والترك حاربوا عشر سنين على قلتهم وفقرتهم فهم أحوج الى الراحة
وسلامة من بقي من رجالهم ، والانصراف الى عمارة ما خربت الحرب من بلادهم
ويعلم الترك علم اليقين ان شعوب أوربية كلها سئمت الحرب وخسارتها
فلا يسمح شعب منهم لدولته بتجديدها لاجل الاجهاز على الترك . بل لا ترغب
دولة من دولهم بالقضاء الابدي على دولة الترك الا انكثرة ، وليس من مصلحتها
الانفراد بحربهم ، لمكانتهم من العالم الاسلامي المضطرب ومن الروسية البولشفية ،
وما يستطيعان من التأثير في الشرق الادنى كله حيث حياة انكثرة وعظمتها .
ولكنها لو علمت ان الترك غير مستعدين للحرب ، لاستطاعت أن تحرمهم من ثمرة

النصر ، وتراوغهم الى ان تخضعهم الحاجة والفقير . فلا مندوحة لهم اذا عن التهديد بالحرب ، اذا تعذر ان ينالوا حريتهم المطلقة بالسلم .
 فان قيل - بل قيل - كيف يجارون في عدة ميادين ، للحلفاء والبلقانيين - فنقول ان فرنسا وايطالية لانحازبان الترك ، وروسية تساعدنهم على البلقانيين والانكليز ، وهم قادرون على اخذ العراق بفرقة واحدة من جيشهم ، لان اهلها لا يجارونهم لاجل الدولة البريطانية ، وهم يعلمون ان معاهدتها مع الملك فيصل خديمة استعمارية . ومن اداتها انها لم تسمح لهم بجيش عربي عراقي ليظالوا عالة عليها . وقد خلقت لهم اقلية مسيحية جعلت لها جنداً خاصاً لاجل منع الوحدة الوطنية . فهل يسمح مجلس العموم الانكليزي للورد كرزون المتمصب عدو الاسلام بمئات الملايين من الذهب ومئات الولا ف من الجنود ، ليقاتل به الترك في الموصل ويحتفظ بالعراق ؟ المعقول لا ، وعلم الفيض لله تعالى

﴿ المعاهدة العراقية البريطانية - تابع ما قبله ﴾

والمادة التاسعة تسلب الحكومة العراقية حريتها القضائية بهذا النص « يتعهد جلالة ملك العراق بقبول اللائحة التي يشير بها جلالة ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها في أمور المدلية لتأمين مصالح الاجانب بسبب إلغاء الامتيازات » الخ وقد كافح المصريون أشد الكفاح في رفض ما هو أقل من هذا القيد مما عرض عليهم ويكافح الترك في لوزان الآن مثل ذلك فيما هو دونه أيضا ، فياحسرة على العراق

والمادة العاشرة في عقد اتفاقات منفردة لتأمين تنفيذ المعاهدات والاتفاقات أو التعهدات التي تعهد ملك الانكليز بتنفيذها في العراق !! ووراء هذا من الفوائيل ما هو سالب لكل استقلال

والحادية عشرة في مساواة الرعايا البريطانيين في العراق لغيرهم من دول عصبة الامم والقصد فيها الى ارضائهم مع امتياز الدولة البريطانية بالسيادة الفعلية والثانية عشرة نص في ان « لا تتخذ وسيلة ما لمنع أعمال التبشير أو التدخل فيها » وهذا حجر شديد على حكرمة العراق بحول دون محافظتها على كرامة دينها من تكذيب القرآن الحكيم وخاتم النبيين (ص والطعن فيهما والتنفير عن الاسلام من قبل مبشري النصارى وتأويل النصوص بالباطل من

البهائية أنصار الدولة البريطانية السائدة ، وبعينها من مراقبة أعمالهم ومطبوعاتهم الضارة كما زاه في مصر . وستحدث هذه المادة من الفتن والفساد ما لا يعلم طاقته إلا الله ، لأن العراق لم يألف احتمال مثل هذا كصر ، ولولا سوء نية الانكليز في هذه المادة لا كتفوا بحرية الأديان حتى في الدعوة اليها بشرط أن لا يظمن واحداً في دين الآخر ولا يشوه نصوصه . فان قيل انه قد اشترط فيها « أن لا تخل الأعمال بالنظام العام وحسن ادارة الحكومة » قلنا هذا الشرط سيكون حجة على الحكومة لاهلها اذا فرضنا أنها نجرات على التصدي لمنع شيء مما أشرنا اليه والثالثة عشرة في التزام ملك العراق تنفيذ ما تقرره جمعية الأمم لمنع الامراض والرابعة عشرة في سن قانون للآثار القديمة

والخامسة عشرة في عقد اتفاق مالي بين الطرفين ينص فيه على ما يعطي ملك الانكليز لحكومة العراق من المرافق العامة وعلى مساعدة حكومتهم لهم بالمال حسب الحاجة وعلى تصفية ديون العراق . وهذا الاتفاق سيكون مشار آفات وغوائل كبيرة ان لم تقم به حكومة علمية بدقائق الفنون المالية والمكاييد السياسية ، ومسلحة بالشجاعة الأدبية ، فالانكليز استباحوا سلب السودان من مصر بحجة أنهم ساعدوها على فتحه ، بعد أن أجبروها على تقرير تركه ، ثم على فتحه برجالها ومالها وانما ساعدوها بمبلغ حقير لا يوازي ما استفادته بعض رجالهم منها السادسة عشرة في تمهد ملك الانكليز بقدر ما تسمح له التعهدات الدولية (الجهولة لدى العراق) بان لا يضم عقبته في سبيل ارتباط العراق مع الدول العربية المجاورة بمقاصد جبركية أو غيرها . وفخواها أن حكومة العراق غير مستقلة ولا حرة في مثل هذا الارتباط بنفسها

والسابعة عشرة في تحكيم محكمة العدل بجمعية الأمم في الخلاف الذي يمكن أن يقع بين الطرفين في هذه المعاهدة على أن يكون الاعتماد على النص الانكليزي (٢٢) والثامنة عشرة وهي الأخيرة في كون مدة هذه المعاهدة عشرين سنة ، وليس فيما نص في شكل حكومة العراق بعدها اذا قررت وجوب الغائبا ، تكون حرة مستقلة بعد تكوين الانكليز اياها كما يشاؤون ، وتقيدها بالقيود المالية وغيرها كما يهرون ؟ أم يقرون ماشاءوا في امرها ، بدعوى أنهم هم الذين أوجدوها ، وما لهم من المصالح فيها ، والديون عليها ، ؟ نعم هكذا يفعلون ، واذا لم يستقل العراق في فرصة ارتباك العالم الحاضرة ، فستكون كرتهم خامسة ،

واننا ننصح لاعضاء الجمعية التأسيسية المنتخبة ، بان يطلعوا على جميع ما كتبه
المصريون في قضيتهم الحاضرة ، أو المطبوع منه خاصة ، ليكونوا على بصيرة من
هذه المعاهدة التي ستكون حجة القوي على الضعيف كما قال (بسمارك) في المعاهدات
المنطبقة على القانون الدولي مع الدول العظمى ، فما القول في العراق الذي جعلوه تحت
وصايتهم ، وأقرتهم دول عصبة لصوص الامم على ذلك لانها آلة في أيديهم ؟

﴿ البهائية بعد موت زعيمهم عباس افندي ﴾

مات في أثناء هذا العام زعيم البهائية عباس افندي ابن بهاء الله إلههم
ومشترعهم ، وكان يلقب نفسه ويلقبونه بعبد البهاء اعترافاً بألوهية والده ،
وقد وقع الشقاق بينهم فيمن يخلفه فيهم ، فانه قد أوصى لرجل غير الذي
أوصى له والده ، والكل من الخليفين حزب يتبعه ويؤيده ، ويخذل الآخر
ويفنده ، وذلك صدع لوحدهم ، وقد كان مثاراً للعجب أن يوصي العبد ،
بما يخالف أمر الرب ، واذا ظهر السبب ، بطل العجب ،

هذا الدين الجديد ، طور عصري لضلال الباطنية القديم ، وكان عباس
افندي أدهى مؤسيسيه وناشريه ، حتى انه حظر الي اليوم اظهار كتابهم الذي
يسمونه (الكتاب الاقدس) لانه اذا تناولته الابدي يتمذر نشر الدعوة في
كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم . فان أهل الحضارة
في هذا العصر ، يكثر فيهم المستقلون في الفكر ، فلا سهل أن تنشر فيهم
دعوة الي دين له أصل معروف : كتاب يدعو انه مقدس ومصوم ، الا ويكون الحكم
في هذه الدعوة لنصوص هذا الكتاب ، دون ما تزينه الدعاة من الدعاوي وتزوره
من الاختلاب ، تستميل به المستعدين ، وتكتفي أمر المعارضين والمستعدين ،
وقد كان عباس جديلاً المحكم ، وعذيقهم المرجب ، وانما كان والده البهاء
شخصاً يشغلون به الخيال ، وينزهونه عن القول والقييل والقال ، فلا
يسمح للناس برؤيته ، ولا يعرجته ومرادته ، لئلا تعرفه الحواس والعقول ،
ونحكم له أو عليه بما يفعل ويقول ، وكان عباس يخبر عنه كل من اضطر الي
ذكره له ، بما يرجو بفراسته أن يستحسنه ويقبله ، شأنه في الاخبار عن نحلتهم ،
والحكاية عن مذهبهم أو طريقتهم وقد سبق لنا ذكر الشواهد على هذا
قد صدع كثير من عقلاء المسلمين وأذكيائهم بتناقضهم ودهاء عباس افندي

الذي كان يدعي أنه من المسلمين المصلحين ، فلا غرابة اذا اتخذ غيرهم لهم ، وان علموا كثيرا من أصول دينهم . اذا كانوا من غير المسلمين العارفين بحقيقة الاسلام ، وأما من يعرف حقيقة التوحيد فيستحيل أن يقبل عقيدة وثنية ، ومن يعرف ما كرم الله به البشر ورفع من شأن حريتهم بالاسلام ، فلا يعقل ان رضى لنفسه بأن يكون عبدا لبشر مثله كالزعيم الملقب بالبهاء .

وقد بلغني في هذه الايام أن ميم احمد افندي صفوت صاحب الخطبة الذي اقترح بها على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والقياس ، والاخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه في الاحكام ، وهي التي رددت عليها من قبل في المنار ، فظهر لي الآن سر ما فيها من النفاق والمراء ، غير المهود من صحيح العقيدة ولا فاسدها من رجال القضاء ، وسر اعتماد الانكليز على صاحبها وندبهم له لاصلاح القضاء في فلسطين ، وانه من كيدم الخفي لهذا الدين ، والدائية صنائهم في كل مكان ، ولا سيما العراق وايران ، وقد كان لروحي افندي من بطانة الوكالة البريطانية في جده دسائس كثيرة في الحجاز

ومنهم شيخ الذي كتب مقالة جهلية في الخلافة ووصف نفسه في امضائها بأنه من علماء الاسلام وأنه وكيل جمعية حفظ الخلافة . فتصدى كثير من العلماء للرد عليه ، وأنكر بعضهم كونه عالما أزهريا مصريا ، والحق أنه مصري أزهرى ، ولكنه مضطرب غير عالم ولا مسلم ، بل هو بهائي ، وحسبنا في الرد عليه أنه بهائي ،

كانت الدولة العثمانية مشرطة على البابية - البهائية والازلية - جميعا أن لا يدعوا الى دينهم في بلادها . والا أخرجتهم منها . فلم يكونوا يبثون دعوتهم الا في مصر ، وبطريق المناظرة والمغالطة دون الجهر . وقد أصابت لجنة الدستور بعدم اصغائها الى طلبهم الاعتراف بدينهم كما طلبوا ، فان نص في الدستور المصري على حرية كل دين واطاحة كل دعوة فستري مصر فتنا عظيمة من البهائية لانهم يدعون العامة الى دين جديد باسم الاسلام ممن يلبسون لباس علماء المسلمين ويدعون الاسلام . ولو صرحوا بدينهم ودعوا اليه ولم يحرفوا القرآن والسنة له لهان أمرهم . وسنعود الى الكلام في شأنهم ان شاء الله تعالى

﴿ خانمة المجلد الثالث والعشرين ﴾

باسم الله وبحمده نختتم هذا المجلد من المنار كما افتتحناه بهما ، ونسأله تعالى أن يجعل كل أعمالنا صالحة له وبإممه ، وان يوفقنا دائما الى التسبيح بحمده ،

وبجعلنا من عبيد نعمته وشكره .

وعن فضله ونعمته أن أقدرنا على الاستمرار على إصدار المنار ، على فقد الاعزاز والانصار ، ومطل أكثر المشتركين في جميع الافطار ، بعد ان كان جلي شكوانا من أبناء هذه الديار ، ولا سيما الاغنياء الكبار ، فليس سبب ذلك القلة ، بل ما يعرفه المتفكرون في أنفسهم ، وما قصر فيه المسلمون عن شأن خيرهم ، فان المنار تخصص باصلاح شؤونهم في دينهم ودنياهم ، فشانهم معه ، قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في كلمته المأثورة .

ومما لدينا من المواد للمجلد الرابع والمشرين فتاوى ورسائل مهمة لشيخ الاسلام ابن تيمية لم تنشر بعد وبقي ما ننشر مسلسلة ككتاب (من الخرافات) ورحلة أوربة وتتمه كتاب الخلافة لاسلامية للزعيم الهندي الكبير الشيخ ابوالكلام أحمد . وتتمه ما بدأنا به من المقال في هذه المسألة التي صارت اليوم أم المسائل الاسلامية وأهمها ، وأحوجها الى تعاون أهل العلم والرأي في بيان حقيقتها ووسائل إقامتها ، ومما يناسب هذا تتمه مقالات (مدنية القوانين) فان الخلافة عدوة المتفرنجين ولدينا ترجمة خطب ذلك الزعيم الهندي الذي قدمه الى المحكمة الانكليزية عند ما أرادت محاكمته على بعض خطبه المحرصة على حكومة الهند ، وهو خطاب غريب في بابه ، لا يتجرأ على مثله لا من كان مثل موقظ الشرق وواضع أسس الاصلاح الاسلامي ، المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ، وسيرى قرأه ان خطب زعيم مصر (سعد باشا زغلول) تعد في غاية اللين والاحتراس بالنسبة الى خطب زعيم الهند . وله مقدمة مترجمه تلميذنا الشيخ عبدالرزاق المنيجي في وصف الثورة الهندية السامية ، وخلاصة أعمالها - لا تستغني بلادنا المصرية وأمثالها عن الاطاحة بها ولدينا رسالة تاريخية غريبة في باها ايضا عنوانها (انتداب العرب في سويسرة في القرون الوسطى) للامير شكيب ارسلان الشهير ، ووجدنا بترجمة ما هو أهم منها عند جميع المسلمين

وسنعود ان شاء الله تعالى الى تقرير المطبوعات الحديثة وكنا كتبنا في

ذلك شيئاً للاجزاء الاخيرة فانظرنا الى ارجائه مباحث الخلافة

ففسى أن نجد من القراء ما يشد أزرنا ، ويكون عوننا لنا على جهادنا ، من أداء الحق ، والنوصي بالحق والصدق ، والله الحمد من قبل ومن بعد . وصلى الله على خاتم الرسل وهادي الخلق ، وآله وصحبه وسلم